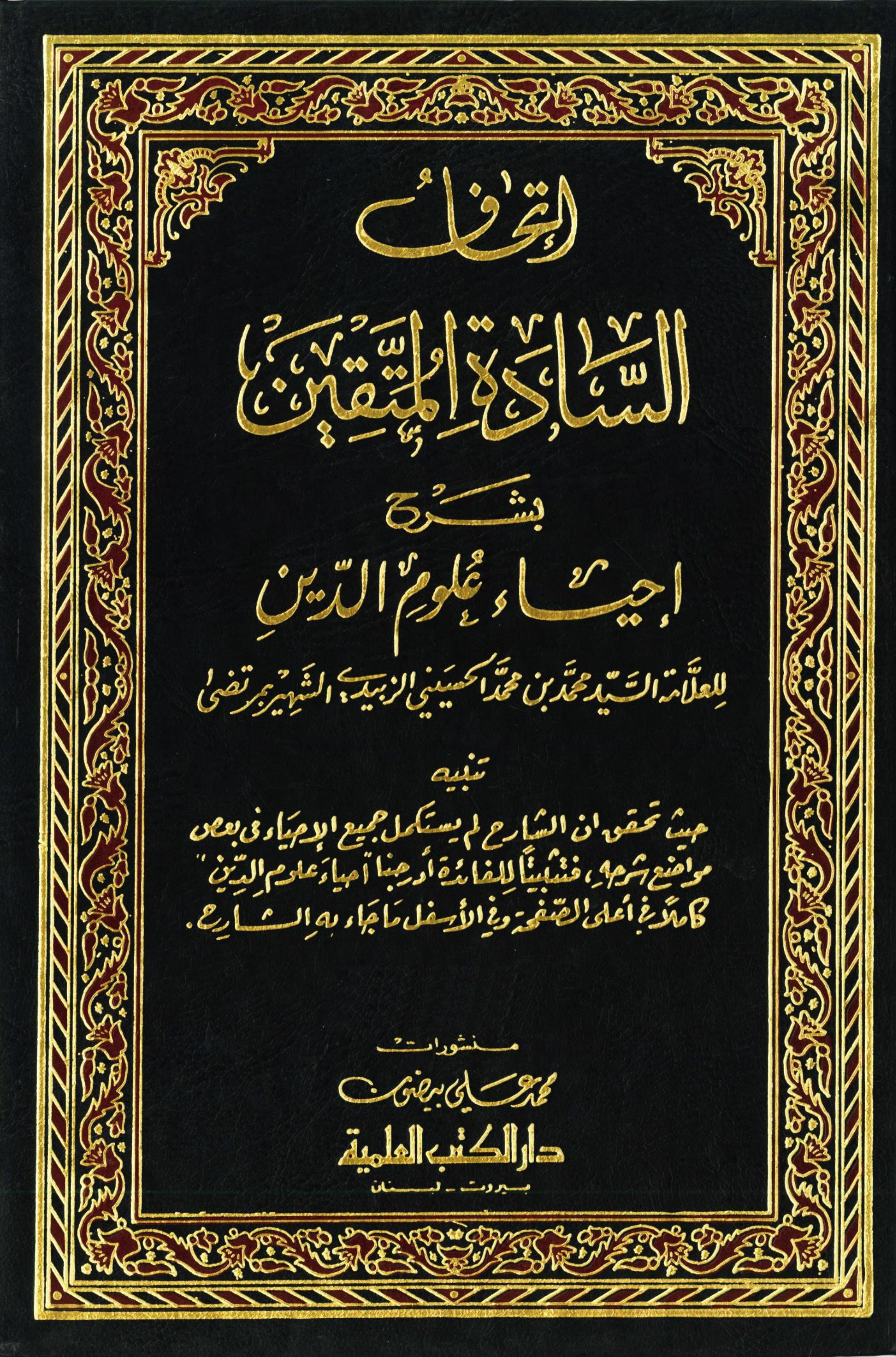


إتحاف
السادة المتقين
بشرح
إحياء علوم الدين
للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
تنبيه
حيث تحقق ان الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض
مواضع شرحه، فتثبيتاً للفائدة أدرجنا أحياء علوم الدين
كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح.
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

# إتحاف السادة المتقين

## بشرح

## إحياء علوم الدين

تصنيف

العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي
الشهير بمرتضى
المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه فتنبيهاً للفائدة أدرجنا إحياء علوم الدين كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح

## الجزء الحادي عشر

كتاب الصبر والشكر، كتاب الرجاء والخوف، كتاب الفقر والزهد.

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

# كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

## بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله أهل الحمد والثناء ، المتفرد برداء الكبرياء ، المتوحد بصفات المجد والعلاء ،**

---

## بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، ومصباحاً يهتدى به من وفق لشكره ، وسبباً للمزيد من فضله ونعمته ، ودليلاً على آلائه وعظمته ، أحمده على ما أخذ وأعطى ، وعلى ما أبلى وابتلى ، الباطن لكل خفيه ، الحاضر لكل سريره ، العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون ، وتخفي الظنون ، وأسأله الصبر على بلوائه والشكر على نعمائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه ، ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته ، وصفت دخلته ، وخلص يقينه ، وثقلت موازينه ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله ونجيه وحبيبه ، وبعيثه ونجيبه المختار من خلائقه ، والمفتاح لشرح حقائقه ، والمختص بفضائل كراماته والمصطفى لمكارم رسالاته شهادة يوافق فيه السر الإعلان ، والقلب اللسان ، وصلى الله عليه وعلى آله الأنجم الهداة ، وأصحابه السادة الكرام الثقات ، وسلم تسليماً كثيراً كثيراً .

**( أما بعد )** فهذا شرح **( كتاب الصبر والشكر )** وهو الثاني من الربع الرابع ، والثاني والثلاثون من كتب الإحياء للإمام الهمام حجة الإسلام علم الائمة الأعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدّس الله سره وضاعف بره . ونفع باسرار علومه ومتع أبصار العارفين في رياض معارفه وفهومه سلكت فيه منهاج الإيضاح والبيان ، والإفصاح والتبيان لنظم عقود جواهره الفرائد الحسان ، وضبط قواعد فوائده المهذبة المؤسسة الأركان ، مع كشف العويصات ، وتنبيه إلى الإشارات ، وعزو الأخبار إلى الرواة ، والآثار إلى الوعاة وتوجيه الأقوال عن الثقات ، متجنباً عن الإعتساف والتطويل ، مائلاً عن تكثّر القال والقيل ، متوكلاً على المولى المنعم الجليل في التيسير والتسهيل ، سائلاً منه أن ينفع به قارئه وكاتبه والناظر فيه ، وأن يبلغنا من فضله وإحسانه ما نؤمله ونرتجيه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب .

قال رحمه الله تعالى : **( بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل الحمد والثناء )** أصل الثناء من

**المؤيد صفوة الأولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء ، والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه سادة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ؛ ومصونة بالتعاقب عن التصرم والإنقضاء .**

**أما بعد ؛ فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار . وهما أيضاً وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبوراً وشكوراً ، فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان**

---

الثني وهو العطف ومنه الإثنان لعطف أحدهما على الآخر ، والثناء لعطف المناقب في المدح وقد تقدم ذكر الحمد والثناء وبيان النسبة بينهما في أوّل كتاب العلم ، ومعنى كونه أهلا لهما أي مستحقاً لهما لكماله في ذاته وصفاته فلا يليق بهما ولا يستحقهما إلا هو جل ذكره وثناؤه . ( **المنفرد** ) وفي نسخة المتفرد ( **برداء الكبرياء** ) أي العظمة والجلال ؛ وفيه تلميح إلى الحديث القدسي ، قال الله تعالى : « الكبرياء ردائي » وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الكبر والعجب . وسبق الكلام على الإنفراد والتفرد في كتاب قواعد العقائد ( **المتوحد بصفات المجد والعلاء** ) المجد السعة في الكرم والجلال والعز والشرف والعلاء رفعة القدر أي هو تعالى مختص بتلك الصفات فلا يشاركه فيها أحد ، ( **المؤيد صفوة الأولياء** ) أي خاصتهم ( **بقوّة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء** ) ، والسراء والضراء حالتا المسرة والمضرة والبلاء اسم من الابتلاء بمعنى الأختبار والإمتحان ، واختيار الله تعالى لعباده ، تارة بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، فصار المنحة والمحنة بلاء ، فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المنحة أعظم البلاءين ( **والصلاة على** ) سيدنا ( **محمد سيد الأنبياء** ) أي رئيسهم وزعيمهم وقد ثبتت سيادته على ولد آدم بالأخبار الصحيحة . ( **وعلى أصحابه سادة الأصفياء ، وعلى آله قادة البررة الأتقياء ، صلاة محروسة بالدوام على الفناء** ) . أي تدوم أبد الآباد فلا تفنى ( **ومصونة** ) أي محفوظة ( **بالتعاقب** ) أي التوالي والتكرار ( **عن التصرم والإنقضاء** ) أي الإنقطاع والانتهاء وحكم افراد الصلاة عن السلام تقدم البحث في أول كتاب العلم .

( **أما بعد فإن الإيمان نصفان ، نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار** ) . قال العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ، اهـ قلت : وكذلك رواه البيهقي في الشعب ولكن بلفظ نصف في الصبر ونصف في الشكر . ( **وهما أيضاً وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبوراً وشكوراً** ) ، فالصبور هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه ، بل ينزل الأمور بقدر معلوم ويجريها على سنن محدود يؤخرها عن آجالها المقدرة لها تأخير متكاسل ولا يقدمها على أوقاتها تقديم مستعجل ، بل يودع كل شيء في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون

ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان، وكيف يتصوّر سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان، والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان، فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان. ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى.

**الشطر الأوّل:** في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر، وبيان حده وحقيقته، وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته، وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر، وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه. فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى.

---

وكما ينبغي وكل ذلك في غير مقاساة داع على مضادة الإرادة والشكور هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال أنه شكور بتلك الحسنة ومن اثنى على المحسن أيضاً فيقال إنه، شكور، فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا هو سبحانه لان زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة، وإن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل مثن على فعل غيره والرب تعالى إذا اثنى على أعمال عباده فقد اثنى على فعل نفسه لأن أعمالهم من خلقه، وإن كان الذي أعطى فأثنى شكورا فالذي أعطى واثنى على المعطي أحق بان يكون شكوراً فثناء الله على عباده عطية منه، **( فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان ثم هو غفلة عن )** معرفة **( وصفين من أوصاف الرحمن )** جل وعز **( ولا سبيل إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان )** به، **( وكيف يتصوّر سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان )** وهو الصبر والشكر، **( ومن به الإيمان )** وهو الصبور الشكور، **( والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان، ونحن )** بحمد الله تعالى **( نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخران شاء الله تعالى )**. أي فلم يفرد لكل واحد منهما كتاباً كما فعله غيره من المتكلمين على مقامات اليقين.

**الشطر الأوّل في الصبر:**

وهو المقام الثاني من مقامات اليقين. **( وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته، وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته، وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر، وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه. فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى )**.

## بيان فضيلة الصبر:

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً . وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بأمْرنـا لِمَـا صَبَـرُوا﴾ [ السجدة : ٢٤ ] وقال تعالى : ﴿وتَمَّت كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بني إسرائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [ الأعراف : ١٣٧ ] وقال تعالى : ﴿وَلَيُجزين الَّذينَ صَبَرُوا أجْرَهُم بأحْسَن مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [ النحل : ٩٦ ] ، وقال تعالى : ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَونَ أجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [ القصص : ٥٤ ] ، وقال تعالى : ﴿إنَّمَا يُوفَى الصابِرُونَ أجْرَهُمْ بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ [ الزمر : ١٠ ] فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ، ولأجل كون الصوم من الصبر وإنه نصف الصبر

---

**بيان فضيلة الصبر من الكتاب والسنة:**

إعلم أنه ( **قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف** ) جليلة ( **وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً** ) ، وعن الإمام أحمد أنه ذكر الله الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعاً ، بتقديم التاء على السين نقله صاحب القاموس في البصائر وهو مقام شريف اثنى الله عليه في كتابه . ( **وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها** ) أي تلك الدرجات والخيرات ( **ثمرة له** ) . ونتيجة وهو في القرآن على سبعة عشر نوعاً .

**الأول:** أنه جعل الصابرين أئمة المتقين وقرن الصبر باليقين ، وأن بالصبر واليقين ينال الأمانة في الدين ( **فقال عز من قائل: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا** ) وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ قال ابن عيينة في هذه الآية : أخذوا برأس الأمر فجعلهم الله رؤساء .

**النوع الثاني:** انه تم عليهم كلمة الحسنى في الدين ( **و** ) منه ( **﴿تمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾** ) .

**النوع الثالث:** إيجابه الجزاء لهم بأحسن أعمالهم ( **و** ) منه ( **قال** ) تعالى ( **﴿وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** ) .

**النوع الرابع:** مضاعفة أجرهم على كل عمل ( **و** ) منه ( **قال تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾** ) .

**النوع الخامس:** رفع جزائهم فوق كل جزاء فجعله بلا نهاية ولا حد . ( **و** ) منه ( **قال تعالى: ﴿إنَّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر** ) ، فقد أوجب الجزاء للمتصف به بغير حساب وحدود ، ذلك على أنه من أفضل المقامات . ( **ولأجل كون "صوم من الصبر فإنه نصف الصبر** )رواه ابن ماجه والبيهقي من

**قال الله تعالى: « الصوم لي وأنا أجزي به » فاضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى: ﴿واصْبِرُوا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [ الأنفال: ٤٦ ] وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى: ﴿بَلَى إنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ويأتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ ربكم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [ آل عمران: ١٢٥ ] وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [ البقرة: ١٥٧ ]، فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول.**

---

حديث أبي هريرة بلفظ « الصيام نصف الصبر » **( قال الله تعالى: « الصوم لي وأنا أجزي به » )** رواه الشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ قال الله عز وجل: « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به » الحديث. وعند الطبراني وابن النجار من حديث ابن مسعود بلفظ « هو له إلا الصوم هو لي » الحديث، وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في كتاب أسرار الصوم **( فأضافه إلى نفسه )** تشريفاً له **( من بين سائر العبادات )**.

**النوع السادس: ( وعد الصابرين بأنه معهم )** أي أوجب لهم معية تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم ليست معية عامة أعني معية العلم والإحاطة. **( فقال: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ )** فهذا إخبار منه تعالى أنه معهم ومن كان معه الله غلب كمن كان معه عدة، وهذا كما قال: وانتم الأعلون والله معكم ( و ).

**النوع السابع: ( علق النصرة )** والمدد بجنده **( على الصبر فقال تعالى: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ )** فاشترط الصبر والتقوى لإمداده بجنده ونصره وتأييده، وفي الحديث « النصر مع الصبر والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً » رواه أبو نعيم والخطيب وابن النجار عن أنس مرفوعاً ( و ).

**النوع الثامن: ( جمع للصابرين بين أمور )** ثلاثة، **( لم يجمعها لغيرهم )** وقد فرقها على جل العبادات بعد البشارة في الآخرة والعقبى **( فقال )** تعالى: **( ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين )**، وهذا من باب التدلي **( واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول )**، ولكن نذكر بقية الأنواع التي سبق الوعد بها.

فمن ذلك وهو **النوع التاسع**: الأمر به وقد تقدم مثاله في سياق المصنف وهو قوله تعالى: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ وكقوله تعالى: ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ [ البقرة: ٤٥ ] وقوله واصبروا وصابروا وقوله: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [ النحل: ١٢٧ ].

**النوع العاشر**: النهي عن ضده كقوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا

**وأما الأخبار فقد قال ﷺ: « الصبر نصف الإيمان » على ما سيأتي وجه كونه نصفاً. وقال ﷺ: « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إلي من أن يوافيني كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه » ثم**

---

تستعجل لهم﴾ [الاحقاف: ٣٥] وقوله: ﴿لا تولوهم الأدبار﴾ [الانفال: ١٥] فإن تولية الادبار ترك الصبر والمصابرة.

**النوع الحادي عشر**: الثناء على أهله كقوله تعالى: ﴿والصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار﴾ [ال عمران: ١٧] وقوله: ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [البقرة: ١٧٧] ونظائره كثيرة.

**النوع الثاني عشر**: إيجاب محبته لهم كقوله تعالى: ﴿والله يحب الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٦].

**النوع الثالث عشر**: إخباره بأن الصبر خير لهم كقوله تعالى: ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [النحل: ١٢٦] وكقوله: ﴿وإن تصبروا فهو خير لكم﴾ [النساء: ٢٥].

**النوع الرابع عشر**: إطلاق البشرى لأهل الصبر كقوله تعالى ﴿وبشر الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٥].

**النوع الخامس عشر**: الإخبار بأن أهل الصبر مع أهل العزائم كقوله تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣].

**النوع السادس عشر**: الإخبار بانه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها إلا أهل الصبر كقوله تعالى: ﴿ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ [القصص: ٨٠] وقوله: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ [فصلت: ٣٥].

**النوع السابع عشر**: الإخبار بأن الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر، كقوله تعالى: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.

(**وأما الاخبار**) الواردة في فضيلة الصبر (**فقد قال ﷺ « الصبر نصف الإيمان »**) رواه أبو نعيم والخطيب والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بزيادة، « واليقين الإيمان كله » وقد تقدم (**على ما سيأتي وجه كونه نصفاً وقال ﷺ « من أقل ما أوتيتم »**) كذا في النسخ وفي القوت أن أقل ما أوتيتم (**« اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته، من قيام الليل وصيام النهار، ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إليّ من أن يوافيني كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم، ولكني أخاف أن تفتح الدنيا عليكم بعدي فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه » . ثم قرأ قوله**

قرأ قوله تعالى: ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وما عِندَ اللهِ بَاقٍ ولَيُجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أجْرَهُمْ﴾ الآية.

وروى جابر انه سئل ﷺ عن الايمان فقال: «الصبر والسماحة». وقال أيضاً: «الصبر كنز من كنوز الجنة» وسُئل مرة: ما الايمان؟ فقال: «الصبر».

---

**تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا﴾ الآية)** تقدم هذا الحديث في كتاب العلم مختصرا وذكر العراقي أنه لم يجده هكذا بطوله وهو هكذا في القوت وعزاه إلى أبي أمامة الباهلي من رواية شهر بن حوشب عنه وسيأتي بتمامه في آخر كتاب الزهد في الفصول التي نلحقها بخاتمته **(وروى جابر)** بن عبد الله رضي الله عنه **(انه سئل النبي ﷺ عن الإيمان)** ما هو، **(فقال)**: «هو **(الصبر والسماحة»)** قال صاحب القاموس: وهذا من أجمع الكلام وأعظمه برهاناً وأوعبه لمقامات الإيمان من أولها إلى آخرها فإن النفس يراد منها شيئان بذل ما أمرت به واعطاؤه فالحامل عليه السماحة وترك ما نهيت عنه والبعد عنه فالحامل عليه الصبر اهـ.

وقد سبقه البيهقي بهذا فقال: يعني بالصبر الصبر عن محارم الله وبالسماحة أن يسمح باداء ما افترض عليه انتهى.

وتبعها امام الطائفة الحسن البصري فقال يعني الصبر عن المعصية والسماحة على اداء الفرائض.

قال العراقي: رواه الطبراني في مكارم الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف، ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده اهـ.

قلت: وذكر صاحب القوت أنه من رواية ابن المنذر عن جابر وقد رواه أبو يعلى كذلك وقوله في يوسف أنه ضعيف هو قول النسائي.

وروى الذهبي عنه أنه قال فيه إنه متروك ثم ساق له مما أنكر عليه هذا الخبر وأما حديث عبيد بن عمير عن أبيه وهو عمير بن واقد الليثي له صحبة فأخرجه البخاري في التاريخ بلفظ «أفضل الإيمان الصبر والسماحة».

ورواه الديلمي هكذا في مسند الفردوس من حديث معقل بن يسار، وعزاه صاحب القاموس إلى كتاب الأدب المفرد للبخاري بلفظ المصنف.

**(وقال)** ﷺ، **(«الصبر كنز من كنوز الجنة»)** قال العراقي غريب لم أجده اهـ.

قلت: ربما يشهد له ما رواه سعيد بن منصور والخطيب من حديث علي رضي الله عنه أربعة من كنز الجنة اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وصلة الرحم وقول لا حول ولا قوّة إلا بالله وهذا لأن كتمان المصيبة من جملة الصبر ويحتمل أن يكون من كنوز الخير بذل من كنوز الجنة وقد روى ذلك من قول الحسن البصري الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده **(وسئل)**

وهذا يشبه قوله ﷺ : « الحج عرفة » معناه معظم الحج عرفة وقال أيضاً ﷺ : « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ، تخلق بأخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور .

وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال: « أمؤمنون أنتم » ؟ فسكتوا فقال عمر : نعم يا رسول الله . قال: « وما علامة إيمانكم » ؟

---

ﷺ **( مرة ما الإيمان فقال: « الصبر » )** أي بجميع أنواعه الآتي ذكرها فيها تتم مراتب الإيمان، وقد أحاله العراقي على حديث علي الآتي ذكره للمصنف في الآثار ولفظه، « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد » ولا يخفى أنهما حديثان متغايران فتأمل **( وهذا يشبه قوله ﷺ : « الحج عرفة » معناه، معظم الحج عرفة )** .

وقد تقدم في كتاب التوبة وفي كتاب الحج أي معظم أركانه فكذلك الصبر معظم أركان الإيمان **( وقال أيضاً )** ﷺ : **( « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » )** هكذا هو في القوت واستطرد ذكره في كتاب التوبة فقال: ثم على التائب أن يعمل في قطع معتاد إن كان، ثم ليصبر على مجاهدة النفس في الهوى، إن بلي به ثم قال: فهذه الخصال من أفضل أعمال المريدين وأزكاها ، ومعها تلهم النفس المطمئنة رشدها وتقواها وبها تخرج من وصف الإمارة بالسوء إلى وصف المطمئنة إلى أخلاق الإيمان، وهذا أحد المعاني في الخبر المشهور « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس ». لأن النفس تكره خلاف الهوى والهوى ضد الحق والله تعالى يحب الحق فصار إجبار النفس على خلاف الهوى على وفاق الحق، لأن محبة الحق من أفضل الأعمال اهـ .

وقال العراقي: لا أصل له مرفوعاً ، وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس .

**( وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام)** يا داود **( « تخلق باخلاقي وان من اخلاقي أني أنا الصبور » )** نقله صاحب الرسالة والتخلق باخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصوّر في حقه ليصير بذلك ربانياً رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة على بساط القرب وسيأتي الكلام على ذلك .

**( وفي حديث عطاء )** بن أبي رباح التابعي المكي الثقة **( عن ابن عباس )** رضي الله عنه قال: **( لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال: أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر )** بن الخطاب رضي الله عنه وكان مع النبي ﷺ أو كان جالساً معهم اذ ذاك فأجاب نيابة عنهم وقال: **( نعم يا رسول الله قال: وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء )** ، أي الرخص والسعة **( ونصبر**

قالوا : نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء ، فقال ﷺ : « مؤمنون ورب الكعبة » ، وقال ﷺ : « في الصبر على ما تكره خير كثير » .

وقال المسيح عليه السلام إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون. وقال رسول الله ﷺ : « لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً والله يحب الصابرين » . والأخبار في هذا لا تحصى .

وأما الآثار ؛ فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران : أحدهما أفضل من الآخر . الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى . واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر .

---

**على البلاء )** ، أي الاختبار والشدة **( ونرضى بالقضاء . فقال ﷺ : « مؤمنون أنتم ورب الكعبة » )** هكذا أورده صاحب القوت .

**وقال العراقي:** رواه الطبراني في الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء اهـ .

**( وقال ﷺ : « في الصبر على ما تكره خير كثير » )** ولفظ القوت أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، قال العراقي : رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم **( وقال المسيح عليه السلام: إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون )** ، ولفظ القوت إلا بالصبر **( وقال رسول الله ﷺ : « لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً والله يحب الصابرين » )** قال العراقي : رواه الطبراني من حديث عائشة وفيه صبح بن دينار ضعفه العقيلي اهـ .

قلت ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية من طريق صبح بن دينار البلدي عن المعافى بن عمران عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن عائشة ثم قال غريب تفرد به المعافى .

**( والاخبار في هذا )** الباب **( مما لا تحصى )** لكثرتها ومن ذلك ما رواه الديلمي بلا إسناد من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما « الصبر مفتاح الفرج ، والزهد غنى الأبد » ، وروى القضاعي من حديث ابن عمر وابن عباس « انتظار الفرج بالصبر عبادة » وروى الطبراني في الكبير من حديث الحكم بن عمير الثمالي « الصبر والإحتساب من عتق الرقاب ويدخل الله صاحبهن الجنة بغير حساب » .

**( وأما الآثار )** في الصبر **( فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري )** رضي الله عنه أرسلها إليه حين كان والياً بالبصرة **( عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران ، أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر على ما حرم الله تعالى ، واعلم أن الصبر ملاك الإيمان ، وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى**

وقال علي كرم الله وجهه بني الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل. وقال أيضاً: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين؛

---

**بالصبر)** رواه إبراهيم بن بشار الرمادي عن سفيان عن والد إدريس بن عبد الله عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه، وكان أبو موسى قد أوصى إلى ابنه أبي بردة رسائل عمر التي كان يكتبها إليه.

**(وقال علي رضي الله عنه بني الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل)**. ولفظ القوت وقد جعل علي رضي الله عنه الصبر ركناً من أركان الإيمان وقرنه بالجهاد والعدل والإيمان، فقال: بني الإيمان على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل اهـ.

قلت: وقد روي ذلك من حديث علي مرفوعاً قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن السندي. حدثنا الحسن بن علوية القطان. حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار. حدثنا إسحاق بن بشر، حدثنا مقاتل عن قتادة عن خلاس بن عمر وقال: كنا جلوساً عند علي بن أبي طالب إذ أتاه رجل من خزاعة فقال يا أمير المؤمنين هل سمعت رسول الله ﷺ ينعت الإسلام قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على أربعة أركان. على الصبر واليقين والجهاد والعدل». الحديث. وهو طويل وقد تقدم بعضه في كتاب التوبة ثم قال صاحب الحلية كذا رواه خلاس بن عمرو مرفوعاً وخالف الرواة عن علي فقال: الإسلام. ورواه الأصبغ بن نباتة عن علي فقال: الإيمان. ورواه الحرث عن علي موقوفاً مختصراً، ورواه قبيصة بن جابر عن علي من قوله. ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله اهـ.

قلت وبلفظ الإيمان موقوفاً رواه صاحب نهج البلاغة **(وقال)** علي رضي الله عنه **(أيضاً الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له)**، كذا في القوت ولكن بلفظ، إنما الصبر من الإيمان وهكذا رواه البيهقي في الشعب بإسناده إليه قال الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس مات الجسد ثم قال علي رافعاً صوته أما أنه لا إيمان لمن لا صبر له وروى صاحب نهج البلاغة قال علي رضي الله عنه أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً، لايرجونّ أحد منكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم. ولا يستحيين أحد إذا لم يتعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه انتهى.

وقد روي أوله مرفوعاً من حديث أنس رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف، **(وكان عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه يقول: نعم**

يعني بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى. والعلاوة ما يُحمل فوق العدلين على البعير، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [ البقرة: ١٥٧ ] وكان حبيب بن أبي حبيب، إذا قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ العَبْد إِنَّه أوّابٌ﴾ [ ص: ٤٤ ] بكى وقال: واعجباه أعطى وأثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني.

وقال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر. هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل، وأما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه إلا بعد فهم حقيقة

---

**العدلان )** مثنى العدل بكسر العين والدال المهملتين وهو الحمل زنة ومعنى إذ كل منهما عديل للآخر.

قال ابن فارس العدل الذي يعادل في الوزن والقدر وعدله بالفتح ما يقوم مقامه من غير جنسه وفي المصباح عدل الشيء بالكسر مثله من جنسه ومقداره **( ونعمت العلاوة للصابرين، يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة )** بالكسر **( ما يحمل فوق العدلين على البعير )** فيكون كعدل ثالث، وفي المصباح ما يعلق على البعير بعد حمله مثل الأداوة والسفرة والجمع علاوى. **( أشار إلى قوله تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ )** كذا في القوت. وقد أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في السنن وابن أبي الدنيا في العزاء عن عمر بن الخطاب قال: نعم العدلان ونعم العلاوة، ﴿الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ نعم العلاوة.

**( وكان حبيب بن أبي حبيب )** البجلي أبو عمرو البصري نزيل الكوفة صدوق يخطيء روى له الترمذي **( إذا قرأ هذه الآية: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ )** يعني داود عليه السلام **( بكى وقال: واعجباه أعطى واثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني عليه )** والرب إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه لأن أعماله من خلقه. **( وقال أبو الدرداء )**: رضي الله عنه **( ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر )** نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا موسى بن هارون الحافظ حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قالا: حدثنا بقية حدثنا يحي بن سعد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن رشد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر والإخلاص للتوكل والإستسلام للرب تعالى. **( هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل، فأما من حيث النظر بعين الإعتبار فلا تفهمه إلا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه، إذ معرفة**

الصبر ومعناه، إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف، فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق.

## بيان حقيقة الصبر ومعناه:

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين، وجميع مقامات الدين إنما تنتظم من ثلاثة أمور: معارف وأحوال وأعمال. فالمعارف هي الأصول وهي تورث الأحوال والأحوال تثمر الأعمال فالمعارف كالأشجار، والأحوال كالأغصان، والأعمال كالثمار. وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى. واسم الإيمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الإيمان والإسلام في

---

**الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف**)، فلا بد من معرفة الموصوف الذي هو حقيقة الصبر، (**فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق**).

**بيان حقيقة الصبر ومعناه:**

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الصبر مقام**) شريف (**من مقامات الدين**) وهو ثاني مقام من مقامات اليقين (**ومنزل**) منيف (**من منازل السالكين**) في طريق الحق لا يستغني عنه سالك ألبتة إلا رجل انسلخ من غفلته إلى حضرة ربه، فإن هذا المنزل لا يعرفه ولا يدور حوله إلى أن يرجع إلى بشريته وإنسانيته (**وجميع مقامات الدين إنما تنتظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال**)، وذلك لأن المقامات كلها من الإيمان بالله ولله، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾ [البقرة: ١٨٦] وللإيمان بالله ولله عقود كثيرة لا نهاية لها على ما أشرنا إليه في أول كتاب التوبة، وكل عقد من هذه العقود أصل، ولذلك الأصل فرع وللفرع ثمرة (**فالمعارف هي الأصول**) الثابتة في القلوب بما أمرها الله بها من النظر والإعتبار (**وهي تورث الأحوال**) أي إن لتلك الأصول فروعا تنشأ عنها هي مواجيد القلوب وأحوال لها بسبب ما جبلها عليه من محبة سعادتها وكمالها (**والأحوال ثمرة الأعمال**)، أي أن لذلك الأحوال ثماراً هي الأعمال الناشئة عن أحوال القلوب، وبها النجاة والكمال فالعلم هو الأصل الذي هو عقد من عقود الإيمان بالله أو لله والحال ما ينشأ عنه من المواجيد والعمل هو ما تنشئه المواجيد على القلوب والجوارح من الأعمال (**فالمعارف كالأشجار**)، فإنها ثابتة في القلوب ثبوت الأشجار في الأرض (**والأحوال كالأغصان**)، فإنها متفرعة عن تلك المعارف تفرع الأغصان عن الأشجار (**والأعمال كالثمار**)، فإنها تنشأ من تلك الأحوال نشأة الثمار من الأغصان وقد بين ذلك قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ الآية. [إبراهيم: ٢٤] وتقدمت الإشارة إليه أول كتاب التوبة. (**وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى، وإسم الإيمان تارة يختص بالمعارف**) فقط التي هي الأصول (**وتارة يطلق على الكل**) أي عليها مع ما ينشأ منها

كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم إلا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة. فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها، ولا يعرف هذا إلا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والأنس والبهائم، فإن الصبر خاصية الإنس ولا يتصوّر ذلك في البهائم والملائكة. أما في البهائم فلنقصانها. وأما في الملائكة فلكمالها. وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة، وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبراً.

وأما الملائكة عليهم السلام، فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والإبتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف.

---

ويثمر منها ( **كما ذكرناه في اختلاف اسم الإيمان والإسلام في كتاب قواعد العقائد وكذا الصبر** ) من جملة عقود الإيمان بالله ولله ( **لا يتم إلا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة** ) تنشأ عن تلك المعرفة هي كالفرع لها ( **فالصبر على التحقيق عبارة عنها** ) عن تلك المعرفة والحالة ( **والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا إلا بمعرفة كيفية الترتيب بين** ) الموجودات ( **والملائكة والأنس والبهائم، فإن الصبر خاصية الأنس** ) أي مخصوص بنوع الإنسان لتركبه من طرفي مشابهة الملائكة والبهائم ( **فلا يتصوّر ذلك في البهائم والملائكة أما** ) عدم تصوّره ( **في البهائم فلنقصانها** ) وتسفل درجتها في نفس الحياة التي بها شرفها لأن الحي هو الدرّاك الفعال، وفي إدراك البهيمة نقص وفي فعلها نقص أما إدراكها فنقصانها إنه مقصور على الحواس، وإدراك الحس قاصر لأنه لا يدرك الأشياء إلا بمماسة أو بقرب منها، فالحس معزول عن الإدراك إن لم يكن مماسة ولا قرب، فإن اللمس والذوق يحتاجان إلى المماسة والسمع والبصر والشم يحتاجون إلى القرب وكل موجود لا يتصور فيه مماسة ولا قرب فالحس معزول عن إدراكه في هذه الحالة، وأما فعلها فسيأتي في سياق المصنف قريباً.

( **وأما** ) عدم تصوّره ( **في الملائكة فلكمالها** ) وعلو درجتها، ( **وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة** ) أي منقادة ( **لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبراً** )، وهو إشارة إلى نقصانها في فعلها ( **وأما الملائكة عليهم السلام، فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والإبتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج إلى مصادمة يصرفها عن** ) مطالعة ( **حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف** ) ولتقدسها عن الشهوة كانت داعية للقرب إلى الله تعالى.

وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصاً مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح، على الترتيب وليس له قوّة الصبر البتة، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما، وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم، ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين، أحدهما يهديه، والآخر يقوّيه، فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين: إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله، ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف. فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط. فلذلك لا تطلب إلا اللذيذ. وأما الدواء النافع مع كونه مضراً في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه، فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في

---

**( وأما الإنسان )** فدرجته متوسطة بين الدرجتين فكأنه مركب من بهيمة وملكية، **( فإنه خلق في ابتداء الصبي ناقصاً مثل البهيمة )** أي في الإدراك إذ ليس له منه أولا إلا الحواس التي يحتاج في الإدراك بها إلى طلب القرب في المحسوس بالسعي والحركة إلى أن يشرق عليه نور العقل المتصرف في ملكوت السموات والأرض من غير حاجة إلى حركة بالبدن وطلب قرب أو مماسة مع المدرك له بل مدركه الأمور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان. **( لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه )** فهي مستولية عليه **( ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة )** وفي أثناء ذلك يظهر فيه شهوة الغضب وبحسب مقتضى كل هذه الشهوات يكون انبعاثه **( ثم شهوة النكاح، على الترتيب )** إلى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى تلك الشهوات **( وليس له قوة الصبر البتة إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتها ومطالبتها وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم )**، يدعو إلى أفعال ملائمة لشهوته **( ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده )** وكرمه **( أكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم )** إذ قد خصهم بالكمال في الإدراك وفي العقل **( فوكل به )** أي بكل واحد منهم **( عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن )** رتبة **( البهائم واختص بصفتين إحداهما: معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله، و )** الثانية: **( معرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف، فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصالح العواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط فلذلك لا يطلب إلا اللذيذ فأما الدواء النافع مع كونه مضراً في الحال فلا تطلبه )** ولا ترغب إليه **( ولا تعرفه فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن إتباع الشهوات لها مغبات مكروهة في العاقبة )** يقال للأمر غب

العاقبة، ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر، فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلاً ولكن لا قدرة له على دفعه؟ فافتقر إلى قدرة وقوّة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوّة حتى يقطع عداوتها عن نفسه، فوكل الله تعالى به ملكاً آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها، وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة، فتـارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد كما أن نور الهداية أيضاً يختلف في الخلق اختلافاً لا ينحصر. فلنسمّ هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثاً دينياً، ولنسمّ مطالبة الشهوات بمقتضيـاتها باعث الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد. ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى. ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى. فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة. فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين، وإن تخاذل

---

بالكسر ومغبة أي عاقبة ( **ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر، فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلاً ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهـوات فيجـاهـدهـا بتلـك القـوة حتى يقطـع عداوتها** ) من أصلها ( **عن نفسه، فوكل الله تعالى له ملكاً آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود** ) باطنة ( **لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات، فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى، وذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد** ) والمعونة، ( **كما أن نور الهداية أيضاً يختلف في الخلق اختلافاً لا ينحصر، فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثاً دينياً** )، لكون تلك القوة تبعث إلى أمور الدين ( **ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى** )، لكونها تبعث إلى هوى النفس ( **وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال** )، أي متوال لا ينقطع ( **ومعركة هذا القتال** ) أي ميدانه ومحله ( **قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله** )، ومعرفة هذا من الإيمان لله تعالى وهو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من عداوة النفس والشيطان والشهوات للعقل والمعرفة، والملك الملهم للخير، وأن الشهوات والنفس من حزب الشيطان والمعرفة والعقل والملائكة من جند الله وحزبه وهذا الإيمان واجب لا يستغني عنه سالك لطريق الله تعالى. ( **فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة، فإن ثبت** ) هذا الباعث ( **حتى قهره** ) أي باعث الشهوة ( **واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين** ) وأنزله الله في ...

وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين. فإذن ترك الأفعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى: الصبر، وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة. فإذا قوي يقينه أعني المعرفة التي تسمى إيماناً وهو اليقين لكون الشهوة عدواً قاطعاً لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين، وإذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة، فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة، وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين. وإذا عرفت أن رتبة

---

ومتعه بالنظر إلى وجهه، **( وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين )** ووسم عليه بميسم الإبعاد عن حضرة رب العالمين. **( فإذاً ترك الأفعال المشتهاة عمل يثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة، فإذا قوي يقينه أعني المعرفة التي تسمى إيماناً وهو اليقين بكون الشهوة عدواً قاطعاً لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين وإذا قوي ثباته تمت الأفعال )** الصادرة عنه، **( على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة، وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها )** والقدر الواجب من ثبات باعث الدين تقويته بالوعد والوعيد وسائر البواعث الحادثة المقوية له، إلى أن يغلب وينتصر ويفوز بالخلع السنية الموعودة له ولو لم يكن إلا قوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [ الزمر: ٢٠ ] وإن تغافل وتلاشى في أمره ولم يستمد بمزايا من الملك خذل وغلب وحق عليه كلمة العذاب بقضاء الله وقدره، قال الله تعالى: ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ [ الأنعام: ١٠٧ ] ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ [ البقرة: ٢٥٣ ] ولذلك خلقهم ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [ هود: ١١٩ ].

**( وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما وهما من )** جملة **( الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين )** قال الله عز وجل: ﴿كلا بل تكذبون بالدين ★ وإن عليكم لحافظين ★ كراماً كاتبين ★ يعلمون ما تفعلون﴾ [ الانفطار: ٩ ـ ١٢ ] روى ابن جرير عن ابن عباس قال: « جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل وحافظين في النهار يحفظان عمله ويكتبان أثره ». وروى البزار من حديث ابن عباس « أن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين منهم الكرام الكاتبون الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل، فإن اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بخرم حائط أو بغيره » وفيه حفص بن سليمان لين الحديث وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس قال:

الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوّي لم يخف عليك أنّ جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست، ينبغي أن يكون مسلماً له؛ فهو إذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال. وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة. فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء إليه فيكتب إعراضه سيئة، وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب إقباله له حسنة وكذا بالإسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء إليه فيثبت عليه سيئة، وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة. وإنما ثبتت هذه الحسنات والسيئات بإثباتها فلذلك سميا كراما كاتبين. أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمها ولأن الملائكة كلهم كرام بررة، وأما الكاتبين فلإثباتها الحسنات والسيئات، وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فإنها وكتبتها وخطها وصحائفها وجملة ما تعلق بها من جملة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة، وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم، ثم تنشر هذه الصحائف المطوية

---

خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة فرأى رجلاً يغتسل بفلاة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فاتقوا الله واكرموا الكرام الكاتبين الذين معكم ليس يفارقونكم إلا عند إحدى منزلتين حيث يكون الرجل عند خلائه أو يكون مع أهله لإنهم كرام كما سماهم الله فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بجزم حائط أو بغيره فإنهم لا ينظرون إليه». (**وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف عليك أن جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست، ينبغي أن يكون مسلماً له**). موكولا إليه. (**فهو إذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال، وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الإسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء إليه فيكتب إعراضه**) عنه (**سيئة، وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له إقباله به حسنة، وكذا بالإسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار تارك للإستمداد منه فهو به مسيء إليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة، وإنما تثبت**) وفي نسخة ثبتت (**هذه الحسنات والسيئات بإثباتها فلذلك سميا كراماً كاتبين أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولأن الملائكة كلهم كرام بررة**) كما وصفهم الله تعالى بذلك وهم كما وصفوا. (**وأما الكاتبين فلإثباتها الحسنات والسيئات**)، في صحائف أعمال العباد، (**وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب**) أي باطنه (**ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فإنها وكتبتها وخطها وصحائفها وجملة ما يتعلق بها من جملة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة**) والملك، (**وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم**)، وإنما

عنه مرتين: مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى. وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال ﷺ: « من مات فقد قامت قيامته » وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [ الأنعام: ٩٤ ] وفيها يقال: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [ الاسراء: ١٤ ] أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق، وفيها يساق المتقون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمراً لا آحاداً. والهول الأول هو هول القيامة الصغرى. ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى، مثل زلزلة الأرض

---

تدركه البصائر الصافية المصقولة بأنوار العرفان، ( **ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى، وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال ﷺ: « من مات فقد قامت قيامته »** ).

قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت: وعند ابن لال في مكارم الأخلاق والديلمي من حديث أنس: « إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته واعبدوا الله كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة » وروى العسكري في الأمثال من حديث أنس: « أكثروا ذكر الموت فإنكم إن ذكرتموه في غنى كدره عليكم وإن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم الموت القيامة إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته يرى ماله من خير وشر ». وفيه داود بن المحبر كذاب، عن عنبسة بن عبد الرحمن متروك متهم، عن محمد بن زازان قال البخاري: لا يكتب حديثه ورواه ابن لال في المكارم بلفظ: « أكثروا ذكر الموت فإن ذلك تمحيص للذنوب وتزهيد في الدنيا الموت القيامة » وعند ابن أبي الدنيا: « فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا ». وسنده ضعيف جداً وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون القيامة القيامة وإنما قيامة الرجل موته. ومن رواية سفيان عن أبي قيس قال: شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال: أما هذا فقد قامت قيامته. ( **وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال: ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾** ) أي إفراداً ( **﴿كما خلقناكم أول مرة﴾** ) [ الأنعام: ٩٤ ] أي في وقت الولادة ( **وفيها يقال: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾** ) [ الأسراء: ١٤ ] أي حاسباً ( **أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق** ) من الأول إلى الآخر ( **فلا يكون وحده، بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق** ) ورؤوس الأشهاد ( **وفيها يساق المتقون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمراً لا آحاداً** )، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ [ الزمر: ٧١ ] الآية. ( **والهول الأول وهو هول القيامة الصغرى** ) يعني به هول ( **الموت ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير، فإن للقيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلاً** ) الموعود بها في القيامة الكبرى في قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ [ الزلزلة: ١ ]

مثلاً ، فإن أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت ، فإنك تعلم أن الزلزلة إذا نزلت ببلدة صدق أن يقال : قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها ، بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه ، لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره ، فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان. واعلم انك أرضي مخلوق من التراب ، وحظك الخاص من التراب بدنك فقط ، فأما بدن غيرك فليس بحظك . والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان وإنما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه ، وإلا فالهواء أبداً متزلزل وأنت لا تخشاه إذ ليس يتزلزل به بدنك ؛ فحظك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط ، فهي أرضك وترابك الخاص بك ، وعظامك جبال أرضك ، ورأسك سماء أرضك ، وقلبك شمس أرضك ، وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ، ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك ، وشعورك نبات أرضك ، وأطرافك أشجار أرضك ، وهكذا إلى جميع أجزائك ، فإذا انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها فإذا

---

**( فإن أرضك الخاصة بك بدنك تزلزل في الموت )** أي تضطرب وترتج ، **( فإنك تعلم أن الزلزلة إذا أنزلت ببلدة صدق أن يقال : قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه ، لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره ، فحصته من الزلزلة قد توفرت عليه من غير نقصان . واعلم أنك أرضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فأما بدن غيرك فليس بحظك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان )** لحلولك فيه . **( وإنما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه وإلا فالهواء أبداً متزلزل وأنت لا تخشاه )** ولا تعني به ، **( إذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط ، فهي أرضك وترابك الخاص بك ، وعظامك جبال أرضك )** أي بمنزلتها لصلابتها بالإضافة إلى سائر أجزاء البدن **( وأطرافك أشجار أرضك )** ، أي بمنزلتها في السماء في تنويرها **( وسمعك وبصرك وسائر حواسك الظاهرة نجوم سمائك )** أي بمنزلتها **( ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك )** ، أي بمنزلته في إسالة الفوهات ، **( وشعورك )** النابتة في البدن **( نبات أرضك )** ، أي بمنزلته في النمو ، **( وهكذا إلى جميع أجزائك )** ، وقد أشار إليه المصنف في كيمياء السعادة فقال إن نفس ابن آدم مختصرة من العالم وفيها من كل صورة في العالم أثر منه لأن هذه العظام كالجبال ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ورأسه مثل السماء وحواسه مثل الكواكب . **( فإذا انهدمت بالموت أركان بدنك فقد زلزلت زلزالها )** أي اضطرابها المقدر لها

انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفاً، فإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كوّرت الشمس تكويراً، فإذا أبطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكداراً، فإذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقاً، فإذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيراً، فإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلاً، فإذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدّت حتى ألقت ما فيها وتخلّت، ولست أطول بجميع موازنة الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى، ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك، فإن بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب، والأعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنها قد كسفت في حقه دفعة واحدة، وهو حصته منها فالانجلاء بعد

---

( **فإذا انفصل العظام واللحوم** ) من بعضها، ( **فقد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فإذا أرمت العظام** ) أي بليت وتخربت، ( **فقد نسفت الجبال نسفاً** ) يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ [ طه: ١٠٥ ] وفي نسخة فقد بست الجبال بساً ( **فإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويراً** )، أي لفت من كورت العمامة إذا لففتها بمعنى رفعت، لأن الثوب إذا أريد رفعه لف أو لف ضوءها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره، ( **فإذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكداراً** ) أي أظلمت وانقضت، ( **فإذا تشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقاً** ) أي صارت شقة شقة أو انشقت بالغمام، ( **فإذا انفجر من هول الموت عرق جبينك** ) وذلك عند الموت، فإن الجبين لا تعرق إلا عند معاينة الأهوال ولا هول أعظم من الموت ( **فقد فجرت البحار تفجيراً، فإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلاً** )، أي تركت مهملة والعشار هي النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشراء ( **فإذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدت** ) أي بسطت بأن تزال جبالها وآكامها ( **حتى ألقت ما فيها** ) أي في جوفها ( **وتخلت** ) أي تكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في بطنها، ( **ولست أطول بجميع موازنة الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى** ) وتعاين أهوالها ( **ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء ما يخصك بل ما يخص غيرك** ) أيضاً. ( **فإن بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب والأعمى** ) الذي ذهب بصره ( **يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنها قد كسفت في حقه دفعة واحدة، فهو**

ذلك حصة غيره، ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره؟ فهذه هي القيامة الصغرى. والخوف بعد أسفل والهول بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال وتمت الأهوال، واعلم أن هذه الصغرى وإن طوّلنا في وصفها فإنا لم نذكر عشر عشير أوصافها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى، فإن للإنسان ولادتين.

إحداهما الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام فهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم، وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة [illegible] مضيق الرحم [illegible] فضاء العالم. فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى [illegible]

الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا إلى الرحم، بل أوسع وأعظم، فقس الآخرة بالأولى ﴿ما خَلَقكم ولا بَعْثكم إلا كنفس واحدة﴾

---

**حصته منها فالإنجلاء بعد ذلك حصة غيره)** ممن يراه، **(ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس)** لسموه أي علوه وارتفاعه ولذا سمي السحاب سماء بهذا الإعتبار **(فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره؟. فهذه هي القيامة الصغرى)** المشار إليها في الحديث المذكور **(والخوف بعد أسفل والهول بعد مدخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى)** أي المصيبة العظمى تطم على الكل وتعم **(وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض)** ومحيت آثارها **(ونسفت الجبال)** نسفاً فصارت هباء منبثاً **(وتمت الأهوال. واعلم أن هذه الصغرى وإن طولنا في وصفها فإنا لم نذكر عشر عشير أوصافها بالنسبة إلى القيامة الكبرى)** وهي **(كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين)**.

**(أحداهما الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام فهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم)** كما أخبر عنه سبحانه في كتابه العزيز **(وله في سلوكه إلى الكمال منازل)** يسلكها **(وأطوار)** ينتقل إليها **(من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم)** وسعته، **(فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم، ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضاً إلى الرحم، بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالأولى)** قال الله تعالى: **(﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾**

[ لقمان: ٢٨ ]. وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فيمَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [ الواقعة: ٦١ ] فالمقرّ بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت. والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور الدجال. فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى؟ أو ما سمعت قول سيد الأنبياء: « كفى بالموت واعظاً » أو ما سمعت بكربه عليه السلام عند الموت حتى قال ﷺ: « اللهم هوّن على محمد

---

**[ لقمان: ٢٨ ] وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في النشأتين )** الأولى والثانية، **( وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ فالمقر بالقيامتين )** الصغرى والكبرى **( مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت. والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبر ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين )** عالم الملك فقط، **( وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور الدجال )** إذ هو ممسوخ العين اليمنى كما ورد ذلك في الأخبار **( فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين )**، قد ضربت الغفلة على بصائرنا حجباً **( وكيف تغفل وبين يديك هذه الأهوال )** والمصائب والأوحال، **( فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال )** واغواء العدو الحيال، **( فلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الأنبياء )** ﷺ: **( « كفى بالموت واعظاً » )** قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر وهو ضعيف، ورواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض، رواه البيهقي في الزهد انتهى هكذا، هو في نسخة كتاب العراقي عقبة بن عامر والصواب عمار بن ياسر فقد رواه الطبراني والبيهقي في الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والعسكري في الأمثال من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن عمار بن ياسر مرفوعاً ولفظه « كفى بالموت واعظاً وكفى بالموت غنى وكفى بالعبادة شغلاً » وعند الطبراني وحده أيضاً بلفظ « كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين غنى » وروى العسكري في الأمثال من طريق يحي بن إسحاق عن ابن لهيعة عن جبر بن أبي حكيم عن أنس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلاناً جاري يؤذيني فقال: « اصبر على أذاه وكف عنه أذاك » قال: فما لبث إلا يسيرا إذ جاء فقال: يا رسول الله ان جاري ذاك مات، فقال النبي ﷺ: « كفى بالدهر واعظاً وبالموت مفرقاً » ورواه كذلك ابن السني في عمل يوم وليلة، وروى ابن أبي الدنيا في كتاب البر والصلة من رواية عبد الرحمن الحبلي مرسلاً « كفي بالموت مفرقاً » وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسلاً « كفي بالموت مزهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة » **( أو ما سمعت بكربه ﷺ عند**

سكرات الموت »، أو ما تستحـي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون؟ فيأتيهم المرض نذيراً من الموت فلا ينزجرون، ويأتيهم الشيب رسولاً منه فما يعتبرون ﴿فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون ﴿أو لم يَرَوا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ القُرُون أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١] أم يحسبون أنَّ الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ﴿وإن كُلّ لَمَّـا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] ولكن ﴿ما تَأْتِيهِم مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦] وذلك لأنا ﴿جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُم لاَ يُبْصِرُونَ * وَسَواءٌ

---

**الموت)** وقوله: « إن للموت سكرات وإن للموت فزعاً » **(حتى قال ﷺ: « اللهم هوّن على محمد سكرات الموت »)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب، والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ « اللهم أعني على سكرات الموت ».

**(أوما تستحي من استبطائك هجوم الموت)** والساعة **(اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون)** ولفظ التنزيل ﴿ما ينظرون﴾ أي لا ينتظرون **(إلاَّ صيحةً واحدةً)** هي النفخة الأولى **(تأخُذُهُم وهم يخصمون﴾ [يس: ٤٩]** أي يختصمـون في معـاملاتهم ولا يخطـر ببـالهم أمرها، لقوله تعالى: ﴿فأخـذتهم السـاعـةِ بغتـة وهـم لا يشعـرون﴾ [يـوسـف: ١٠٧] **(﴿فلا يستطيعون توصية﴾)** من شيء من أمورهم **(﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾)** [يس: ٥٠] فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم **(فيأتيهم المرض نذيراً من الموت)** أي مخوفاً منه، **(فلا ينزجرون)** ولا يتعظون **(ويأتيهم الشيب رسولاً منه)** بدنوّ أجلهم **(فما يعتبرون)** ولا ينتبهون **(﴿فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن﴾)** [يس: ٣٠] فإن المستهزيء بالناصح المخلص المنوط بنصحه خير الدارين أحق بأن يتحسر ويتحسر عليه **(﴿أفيظنون انهم في الدنيا خالدون ﴿ألم يروا﴾)** أي ألم يعلموا **(﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾)** أي ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم وكونهم غير راجعين إليهم، **(أم يحسبون أن الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا)** حرف ردع وزجر **(﴿إن كل لمّا جيع لدينا محضرون﴾)** يوم القيام للجزاء **(ولكن ﴿ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾)** لاعتيادهم على العناد وتمرنهم عليه، **(وذلك لأنا ﴿جعلنـا مـن بين أيـديهم سـداً ومـن خلفهـم سـداً﴾)** أي قـد أحـاط بهم سـدان **(﴿فأغشيناهم﴾)** أي غطّينا على أبصارهم **(﴿فهم لا يبصرون﴾)** قدامهم ووراءهم فهم

---

(١) لفظ الاية: ﴿تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾.

**عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [ يس: ٩ ، ١٠ ] ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم المعاملة فنقول: قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى، وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئاً على الصبيان والمجانين، إذ قد ذكرنا أن الحسنة في الإقبال على الاستفادة منها والسيئة في الإعراض عنها، وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصور منهما إقبال وإعراض، وهما لا يكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض. ولعمري انه قد تظهر مبادىء اشراق نور الهداية عند سنّ التمييز وتنمو على التدريج إلى سنّ البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى** [illegible]

**يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة، بل على القيم العدل والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على سِمَتِ الكرام الكاتبين البررة الأخيار أن يكتب على الصبي**

---

محبوسون في مطمورة الجهالة، ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل، ( **﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور** ) من علوم المكاشفة ( **هي أعلى من علوم المعاملة فنقول: قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة** ) بين الباعثين ( **من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين** ) وهما الملكان الموكلان بكل شخص منهم فيكتبان الآثار ويحفظان الأعمال ( **ولا يكتبان شيئاً على الصبيان والمجانين** )، ففي الخبر « رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يعقل » ( **اذ قد ذكرنا أن الحسنة في الإقبال على الإستفادة منها والسيئة في الإعراض عنها، وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الإستفادة فلا يتصوّر منهما إقبال وإعراض، وهما لا يكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض،** [illegible] ( **سن التمييز. وتنمو** [illegible] **التدريج** ) شيئاً فشيئاً ( **إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح** ) في أول ظهوره ( **إلى أن يطلع قرص الشمس** ) بارزاً للعيون، ( **ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة، بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزاً** )، فروى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث ابن عمر « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين » الحديث ( **ولا يعاقب في الآخرة ولا يكتب عليه في الصحائف ما ينشر في الآخرة، بل على القيم العدل** ) إن كان يتيماً ( **والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على سمت الكرام الكاتبين البررة الاخيار أن يكتب على الصبي سيئة وحسنته على صحيفة قلبه ،فيكتبه عليه** )

**سيئته وحسنته على صحيفة قلبه، فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب. فكل ولي هذا سمته في حق الصبي، فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي. فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقرّبين والصدّيقين وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» وأشار إلى أصبعيه الكريمتين ﷺ.**

## بيان كون الصبر نصف الإيمان:

**اعلم أنّ الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعاً، وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفاً وسبعين باباً. وباختلاف هذه**

---

**بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب)**، كما في مضمون الخبر السابق. **(فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي، فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين)** من عباده الصالحين، **(وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين» وأشار إلى أصبعيه الكريمتين ﷺ)**، رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن حبان من حديث سهل بن سعد بلفظ «أنا وكافل اليتيم في الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى وقد تقدم ورواه أيضاً الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وروى أبو يعلى من حديث عائشة «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» وجمع بين السبابة والوسطى الحديث وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه وروى عبد الرزاق والحكيم والطبراني والبيهقي والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عساكر من رواية بنت مرة البهزية عن أبيها «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره إذا اتقى الله في الجنة كهاتين» وأشار باصبعه المسبحة والوسطى.

**بيان كون الصبر نصف الإيمان:**

**(اعلم)** وفقك الله تعالى **(أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين)** وهي المعارف، **(وتارة)** يختص في اطلاقه **(بالأعمال الصالحة الصادرة عنها)** أي عن تلك التصديقات، **(وتارة يطلق عليهما جميعاً وللمعارف والأعمال أبواب)** كثيرة، **(ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها)** بالإطلاق الثالث، **(كان الإيمان نيفاً وسبعين باباً)** كما في خبر أبي هريرة عند الترمذي «الإيمان بضع وسبعون باباً فأدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله» وقال: حسن صحيح. وعند ابن حبان «الإيمان سبعون أو اثنان وسبعون باباً أرفعه لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» وقد تقدم. **(واختلاف هذه**

الإطلاقات ذكرناها في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات، ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين.

**أحدهما:** أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعاً. فيكون للإيمان ركنان:

أحدهما: اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل. فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الإعتبار ولهذا جمع رسول الله ﷺ بينهما فقال: «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث» إلى آخره.

---

**الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات)** فليراجع هناك. **(ولكن الصبر نصف الإيمان)** كما ورد في الخبر **(باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين أحدهما أن يطلق)** الإيمان **(على التصديقات والأعمال جميعاً، فيكون للايمان ركنان)**:

**(أحدهما اليقين، والآخر الصبر، والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل. فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الإعتبار ولهذا جمع رسول الله ﷺ بينهما)** أي اليقين والصبر **(فقال: «ان من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر» الحديث)** الخ. من رواية شهر بن حوشب عن أبي أمامة مرفوعاً وقد تقدم قريباً وبهذا الإعتبار أيضاً يكون اليقين نصف الإيمان لأنه أحد ركنيه ويقرر كون الصبر نصف الإيمان بوجه آخر، وهو أنه كما سيأتي أن الصبر عن المعاصي أشرف من الصبر على الطاعات، لأن الآفات الداخلة على الطاعات من جملة المعاصي لأن للعدوّ حظاً في دخول الآفات عليها وكل أحد يقدر على القيام بالطاعة ولا يقدر على تلك المعصية إلا الصديقون، والصبر على المصائب أشرف من الصبر على المعاصي إذ لا ألم في ترك المعاصي والمصائب محك الإيمان، ولأن الصبر عن المعاصي يكون في الغالب من مشاهدة الوعد والوعيد، والصبر على المصائب في الغالب لا يكون إلا عن مشاهدة القضاء والقدر والقضاء والقدر من الإيمان بالله، والوعد والوعيد من الايمان بالله، وما نشأ عن الايمان بالله تعالى كان أفضل ويشرف الصبر بشرف المصبور فيه والمصبور لأجله وبه يعرف سر قوله «الصبر نصف الإيمان» لأن النصف الأول هو العلم والنصف الثاني هو العمل.

**الاعتبار الثاني:** أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف، وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما، وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر. فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالإعتبار الأول.

وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر» وقد يرفع أيضاً إلى رسول الله ﷺ ولما كان الصبر صبراً عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة، وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم، وكان الصوم صبراً عن مقتضى الشهوة فقط هي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب. قال ﷺ بهذا الاعتبار: «الصوم نصف الصبر» لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعاً فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان. فهكذا ينبغي أن تفهم تقديرات

---

**(الأعتبار الثاني: أن يطلق)** الإيمان **(على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف، وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما، وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر. فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الإعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول)**.

**(وبهذا النظر قال ابن مسعود)** رضي الله عنه **(«الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر»)** كذا في القوت وقد رواه البيهقي بنحوه **(وقد يرفع أيضاً إلى رسول الله ﷺ)** كما رواه البيهقي والديلمي من حديث أنس وقد تقدم. **(ولما كان الصبر صبراً عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبراً عن مقتضى الشهوات فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال ﷺ بهذا الإعتبار: «الصوم نصف الصبر»)** كما رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وتقدم: **(لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعاً، فيكون الصوم بهذا الإعتبار ربع الإيمان)**. وباعتبار أن الصبر لا يتم إلا بعمل يثمره وعمل هو ثمرته يكون الصبر الإيمان كله كما في الحديث وباعتبار أن مدار اليقين على الإيمان بالله وبقضائه وقدره وما جاء به رسله مع الثقة بوعده ووعيده، فهو متضمن لكل ما يجب الإيمان به، يكون اليقين الإيمان كله كما في تتمة خبر ابن مسعود السابق، ولما كان الرضا بالقضاء نظام التوحيد ومنتهى درجة الزاهدين يكون الصبر الرضا كما في خبر أبي موسى الأشعري عند الحكيم وابن عساكر ومن ثم قالوا: اليقين الإيمان بالقدر

الشرع بحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان، والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة.

## بيان الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر:

اعلم أن الصبر ضربان أحدهما ضرب بدني، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتمال: كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة. وذلك قد يكون محموداً إذا وافق الشرع. ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر: وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى. ثم هذا الضرب إن كان صبراً عن شهوة البطن

---

والسكون إليه. ( **فهكذا ينبغي أن يفهم تقديرات الشرع لحدود الأعمال والأحوال ولنسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان وأن إسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة** ) واعتبارات شتى.

**بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة الى ما عنه الصبر:**

( **إعلم** ) أرشدك الله تعالى، ( **أن الصبر** ) في اللغة الحبس والكف في ضيق ومنه قتل فلان صبراً إذا أمسك وحبس للقتل قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾ [ الكهف: ٢٨ ] الآية، أي احبس نفسك معهم وهو ( **ضربان ضرب بدني** ): ويقال له: الجسمي أيضاً وذلك ( **كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها** ) على قدر قوّة البدن ونهايته معلومة وأكثرها لذوي الجسوم الخشنة وليس ذلك بفضيلة تامة ولهذا قال الشاعر:

والصبر بالأرواح يعرف فضله     صبر الملوك وليس بالأجسام

( **وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة، إما من العبادات** ) كان يصلي حتى ترم رجلاه أو يصوم مواصلا -حتى تسقط قوته ( **أو من غيرها** ). كالمشي الكثير ورفع الحجر الثقيل، ( **وإما بالإحتمال** ) وهو الأنفعالي، ( **كالصبر على الضرب الشديد** ) بالمقارع ( **والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك يكون محموداً إذا وافق الشرع** ) نصاً أو قياساً أو استحباباً، ( **ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي** )، وذلك بأن يكف النفس ( **عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى** )، وبه تتعلق الفضيلة. ( **ثم هذا الصبر** ) ضربان: ( **إن كان صبرا عن** ) تناول ( **شهوة البطن والفرج سمي عفة** ) فالعفة لا تتعلق إلا بالقوى الشهوية ولا تتعلق من القوى الشهوية إلا بالملاذ الحيوانية، وهي المعلقة بالغارين البطن والفرج دون الألوان الحسنة والألحان الطيبة والأشكال المنتظمة، والعفة، أس الفضائل، وإنما تتعلق بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية ومن اعتقاد ما يكون جالباً للبغي والعدوان وتمامها يتعلق بحفظ الجوارح،

والفرج سمي عفة وإن كان عن إحتمال مكروه واختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر . فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر ، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها ، وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن. وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده التذمر . وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر . وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوماً ، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص. وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره، فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال: « هو الصبر » لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال: « الحج عرفة » وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمي الكل صبراً فقال تعالى: ﴿والصَّابِرِينَ في البَأْسَاء﴾ أي المصيبة ﴿والضَّرَّاء﴾ أي الفقر

---

( وإن كان عن احتمال مكروه ) وهو الضرب الثاني: وهذا قد ( اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر ) وأخصر ( من ذلك اختلفت أساميه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان ) ذلك ( في ) نزول ( مصيبة اقتصر ) به ( على اسم الصبر ) ولم يتعد به هذا الأسم ( وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع ) والحزن ( وهو إطلاق دواعي الهوى يسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود ) ولدم الصدور ( وشق الجيوب وغيرها ) مما يشاكلها ، ( وإن كان ) ذلك ( في احتمال الغنى ) فقد ( سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر ) ، وقال بعضهم: ضبط النفس في الأشياء الملذة والصبر يقال في الأشياء المحزنة وقال بعضهم: بل هما في الأسماء المترادفة على معنى واحد ، ( وإن كان ) ذلك ( في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن. وإن كان في كظم و ) هو إمساك النفس عن قضاء وطر ( الغضب سمي حلماً ويضاده التذمر ) بالذال المعجمة . ( وإن كان في بذل المال وإنفاقه سمي سخاء ويضاده التبذير، وإن كان ) ذلك ( في نائبة من نوائب الزمان منجرة ) أي مقلقة ( سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر، وإن كان في اخفاء كلام ) وإمساكه في الضمير ( سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوماً ) ويضاده الإفشاء ، ( وان كان من فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره ) محركة ( فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل ﷺ عن الإيمان قال: « هو الصبر » ) كما تقدم قريباً لأنه أكثر اعماله وأعزها ( كما قال ) ﷺ : « ( الحج عرفة ) » تقدم في كتاب التوبة وفي كتاب الحج ( وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمي الكل صبراً ) في آية واحدة ( فقال ﴿والصابرين في البأساء ) أي: المصيبة ﴿والضراء﴾

﴿وحِينَ البَأْس﴾ أي المحاربة ﴿اولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وأولَئِكَ هُمْ المتَّقُونَ﴾ [ البقرة : ١٧٧ ] فإذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفة . والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي فإنها دالة على المعاني . فالمعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع . ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد وأن يزل . وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكبًّا عَلَى وَجْهِهِ أهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِياً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمْ﴾ [ الملك : ٢٢ ] فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الإنعكاسات ، نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه .

## بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوّة والضعف:

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال:

**أحدها :** أن يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوّة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر

---

أي الفقر ( ﴿**وحين البأس**﴾ **أي المحاربة** ) فهذا صبر عام ، ولما كان أشق شيء على النفوس وأصعبه على الطباع وفيه عزائم الأمور اشترط الله على المتقين والصادقين والصابرين الصبر على الشدائد والمكاره ، وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم وأكمل به وصفهم وأعمال برهم فقال ( ﴿**أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾ **فإذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها** ) فاختلفت الأسامي لذلك واستدلوا بذلك على فضيلته في نفسه وأنه مقصود لذاته . ( **ومن يأخذ المعاني من الأسامي يظن أن هذه أحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفة** ) وهذا نظر قاصر ، ( **والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله** ) مما أفيض به على بصيرته ( **يلحظ المعاني أولاً فيطلع على حقائقها** ) الأصلية ، ( **ثم يلاحظ الأسامي فإنها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع ، ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد وأن يزل** ) قدمه ، ( **وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى :** ﴿**أفمن يمشي مكباً**﴾ ) يعثر كل ساعة ويخر ( ﴿**على وجهه أهدى**﴾ ) لوعرة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قابله بقوله : ( ﴿**أم من يمشي سوياً**﴾ ) قائماً سالماً من العثار ( ﴿**على صراط مستقيم**﴾ ) مستوي الأجزاء والجهة . ( **فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الانعكاسات** ) فكان سبباً لعثارهم ( **نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه آمين** ) .

**بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوّة والضعف:**

( **اعلم** ) هداك الله تعالى ( **أن باعث الدين بالاضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال إحداها أن يقهر داعي الهوى** ) ويصدمه مرة ( **فلا تبقى له قوة المنازعة** ) مع باعث الدين

**وعند هذا يقال من صبر ظفر. والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠] فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وإياهم ينادي المنادي: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].**

**الحالة الثانية: أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين، ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة، وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون، وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله. وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت**

---

أصلاً، **(ويتوصل إليه بدوام الصبر)** في أحواله كلها **(وعند هذا يقال من صبر ظفر)** أي نال الفوز والفلاح أو المراد من صبر على مخاتلة عدوّه ظفر به، **(والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون)** لصعوبة القيام بالدوام، **(فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين)** وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال: ﴿الذين **(قالوا ربنا الله﴾)** أقروا بربوبية المعبود وقيامه بهوإحاطته عليه وذلك خلاصة التوحيد **(﴿ثم استقاموا﴾)** على هذا الإقرار تتنزل عليهم الملائكة الآية. **(فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم)** في التوحيد **(واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين وإياهم ينادي: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربّك راضية مرضية﴾)** وهؤلاء هم السابقون.

**(الحالة الثانية: أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشيطان)** فيستولي عليها **(ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون)** الظالمون لأنفسهم، **(وهم الأكثرون وهم الذين استرقتهم شهوتهم)**. أي تملكتهم وجعلتهم كالأرقاء، **(وغلبت عليهم شقوتهم)** وسوء حظهم، **(فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى)** والمراد بها اللطيفة الربانية لا المضغة اللحمانية بدليل قوله: **(وأمر من أوامره وإليهم الإشارة بقوله تعالى ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حقّ القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾)** وكذلك قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ [الأنعام: ١٠٧] وقوله: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقوله: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] **(وهؤلاء هم الذين اشتروا**

صفقتهم، وقيل لمن قصد إرشادهم ﴿فأعْرِضْ عَمَّنْ تولَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدِ إلاَّ الحيَاةَ الدُّنْيَا ★ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْـمِ﴾ [ السجـدة: ١٣ ] وهـذه الحالـة علامتهـا اليـأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية الحمق كما قال ﷺ: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أنا مشتاق إلى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست أطمع فيها، أو لم يكن مشتاقاً إلى التوبة ولكن قال: إن الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقاً لشهوته، فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته، فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها، ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً ويسلمه إلى الكفار ويجعله أسيراً عندهم، لأنه بفاحش جنايته يشبه أنه سخر ما كان حقه أن لا يستسخر، وسلط ما حقه أن يتسلط عليه وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه.

---

الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم) وبارت تجارتهم. (**وقيل: لمن قصد ارشادهم**) بلسان الوحي (**﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغهم من العلم﴾ وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية الحمق**) ونهاية الجهل، (**كما قال ﷺ « الكيّس من دان نفسه**) أي ملكها (**وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله**) الأماني» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم في ذم الغرور. (**وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال: أنا مشتاق إلى التوبة ولكنها قد تعذرت عليَّ فلست أطمع فيها أو لم يكن مشتاقاً إلى التوبة، ولكن قال: ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقاً**) أي مملوكاً (**لشهوته فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته، فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه**) أي يستخدمونه (**في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها**) من موضع إلى موضع، (**ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً أو يسلمه إلى الكفار ويجعله أسيراً عندهم، لأن تفاحش جنايته سببه أن سخر ما كان حقه ان لا يستسخره، وسلط من كان حقه أن يتسلط عليه وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما يستحق الكافر أن يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه**). فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة

فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً لكافر، بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى أبغض أعدائه، فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته؛ لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى والعقل أعز موجود خلق على وجه الأرض.

**الحالة الثالثة:** أن يكون الحرب سجالاً بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه، وهذا من المجاهدين يعد مثله لا من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه: فإنه إما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئاً منها، أو يغلب بعضها دون بعض. وتنزيل قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾ على من عجز من بعض الشهوات دون بعض أولى. والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأنعام بل هم أضل

---

**للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً لكافر)** أي جعله رقيقاً له، **(بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه)** المحسن له **(فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى)** يد **(بعض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه)** أي استحقاقه **(لنقمته لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى)** وقد روي ذلك من حديث أبي امامة بلفظ «ابغض إله عبد عند الله في الأرض هو الهوى» هكذا رواه الطبراني في الكبير بإسناد ضعيف. **(والعقل أعز موجود خلق في الأرض)** وقد وردت فيه أخبار تقدم ذكرها في آخر كتاب العلم.

**(الحالة الثالثة: أن يكون الحرب سجالاً)** ودولاً **(بين الحندين فتارة له اليد)** أي الغلبة والقهر **(عليها وتارة لها عليه، وهذا من المجاهدين يعدّ لا من الظافرين، اوأهل هذه الحالة هم الذين)** قال الله تعالى فيهم: ﴿وآخرون **(اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم)** ان الله غفور رحيم﴾ **(هذا باعتبار القوة والضعف وتتطرق إليه ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه، فإنه)** لا يخلو **(إما أن يغلب جميع الشهوات، أو لا يغلب شيئاً منها، أو يغلب بعضها دون بعض)**. فالحالة الأولى للسابقين، والثانية للظالمين، والثالثة للمقتصدين **(وتنزيل قوله تعالى)** ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم **(خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً)** عسى أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ **(على من غلب بعض الشهوات دون بعض أولى)** من تنزيله على الحالة الثانية. **(والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأنعام بل هم أضل، إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى**

**سبيلاً ، إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات ، وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقاً المدبر يقيناً ، ولذلك قيل :**

**ولم أر في عيـوب النـاس عيبـا  كنقـص القـادريـن على التمام**

**وينقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبراً ، وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر . وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى : ﴿فأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى★ وَصَدَّق بالْحُسْنَى★ فَسَنُيَسِّرُهُ للْيُسْرَى﴾ [ الليل : ٥ ـ ٧ ] ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره ، فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته أعياء ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينبهر . ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا**

---

**الشهوات، وهذا قد خلق له وعطله )** أي أهمله **( فهو الناقص حقاً المدبر يقيناً ، ولذلك قيل )** :

**( ولم أر في عيـوب النـاس شيئـاً  كنقـص القـادريـن على التمام )**

وفي نسخة نقصاً بدل شيئاً فإنه قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة ، وقد أمكنه أن يكون إنساناً أو إنساناً وقد أمكنه أن يكون ملكاً ، وأن يرضى بقنية معارة وحياة مستردة ، وله أن يتخذ قنية مخلدة وحياة مؤبدة **( وينقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس، فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبراً )** وصاحبه متصبر أي متكلف الصبر وحامل نفسه عليه ، **( وإلى ما يكون من غير شدة تعب، بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر )** وإلى ما يكتسب الصبر ويبتلي به ويخص ذلك باسم الإصطبار فالمراتب ثلاثة وهي في الوصف والكيف ، وهناك مرتبتان أخريان في القدر والكم وهما الصبور والصبار ، فالصبور العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره. والصبار الشديد الصبر فكملت المراتب خمسة وأعمها الصابر **( وإذا دامت التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر )** وسهل عليه ، **( ولذلك قال تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى★ وصدق بالحسنى★ فسنيسره لليسرى﴾ )** فتيسيره للحالة اليسرى هو إدامته على الصبر على طاعته وتسهيله عليه . **( ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره، فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة عليه وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته )** إياه **( إعياء ولا لغوب )** أي تعب ، **( ولا تضطرب في نفسه ولا ينبهر )** أي لا ينقطع نفسه من الضعف ، **( ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين )** وهو كناية عن

**تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين. ومهما أذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا ـ كما سيأتي في كتاب الرضا ـ فالرضا أعلى من الصبر ولذلك قال ﷺ: «اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير».**

**وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات:**

**أولها: ترك الشهوة وهذه درجة التائبين.**

**وثانيها: الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين.**

**وثالثها: المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين.**

**وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى**

---

الشدة، ( **فهكذا تكون المصادمة بين باعث الدين وباعث الهوى، فإنه على الحقيقة صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين. ومهما اندفعت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى** ) أي غلب وقهر ( **وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا** ) وباعتبار ذلك يكون الصبر الرضا أي ينفتح له بابه ( **كما سيأتي في آخر كتاب الرضا** ) إن شاء الله تعالى ( **فالرضا أعلى مقاماً من الصبر، ولذلك قال ﷺ: «اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر خير كثير»** ) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن عباس.

( **وقال بعض العارفين: أهل الصبر على ثلاث مقامات** ).

( **أولها: ترك الشكوى وهذه درجة التائبين** ).

( **والثانية: الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين** ).

( **والثالثة: المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين** ) وهذه المراتب كما تراها على طريق الترقي، فالتحقق بالصبر يفتح باب الوصول إلى التلذذ بالبلوى، وهذه حالة التائبين، ثم إلى مقام الرضا ثم إلى مقام المحبة. ( **وسنبين في كتاب المحبة** ) إن شاء الله تعالى ( **أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا، كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر** ) أعلم أن متعلقات الرضا والصبر والشكر والمحبة متحدة لا اختلاف فيها، فإذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها إلا بأسبابها وأحوالها التي هي[1] حداث على الأعمال، فانظر فليس الخبر كالعيان إن السالك لا يدعى باسم عمله إنما يدعى باسم حاله فتقول: هذا حاله الصبر وهذا حاله الرضا وهذا حاله

---

(١) هكذا في الأصل.

**من مقام الصبر ، وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا .**

**واعلم أن الصبر أيضاً ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم . فالصبر عن المحظورات فرض . وعلى المكاره نفل . والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتاً . وكمن يقصد حريمه بشهوة محذورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم . والصبر المكروه وهو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يخيل إليك أنّ جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة .**

---

الشكر وهذا حاله المحبة ، لأن حال الصبر تصدر عنه الطاعة بعد ألم ومدافعة العدو والداعي إلى المعصية وبعد مشقة ومقاساة ، وحال الرضا تصدر عنه الطاعة باستسلام وانقياد وإذعان بلا منازع ، وحال الشكر تصدر عنه الطاعة بفرح وسرور واهتمام ، وحال المحبة تصدر عنه الطاعة بحلاوة وطلاوة ولو بذل روحه ما أحس بالملل ولهذا الكلام بقية يأتي ذكرها بعد ، **( وكان هذا الإنقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا )** لا في صبر عام شامل لجميع أفراده ، فقد روي عن الحسن وغيره : الصبر على ثلاثة معان : صبر عن المعصية وهو أفضلها ، وصبر على الطاعة ، وصبر على المصائب . وقد روي ذلك من حديث ابن عباس : « الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية » الحديث . فهذه التقاسيم باعتبار متعلق الصبر .

**( واعلم أن الصبر أيضاً ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم . فالصبر عن المحظورات فرض . وعلى المكاره نفل والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتاً ، وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم . والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع )** وهذا يدلك أن الصبر لا يراد لذاته . ولفظ القوت : الصبر فرض ونفل يعرف ذلك بمعرفة الأحكام فما كان أمراً وإيجاباً فالصبر عليه أو عنه فرض ، وما كان حثاً وندباً فالصبر عليه أو عنه ندب وفضل . **( فليكن الشرع محك الصبر )** فما كان المصبور عليه أو عنه من المأمورات فهو فرض أو من المندوبات فهو فضل ، **( فيكون الصبر نصف الإيمان . ولا ينبغي أن يخيل إليك أن جميعه محمود ، بل المراد منه )** أي من الصبر المحمود **( أنواع من الصبر مخصوصة )** وقال القطب الجيلاني قدس سره في فتوح الغيب : لا بد للعبد من أمر يفعله ونهي يجتنبه وقد يصبر عليه ، وذلك متعلق بطرفين : طرف من جهة الرب ، وطرف من جهة العبد .

## بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال:

**اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين: أحدهما هو الذي يوافق هواه. والآخر: هو الذي لا يوافقه بل يكرهه. وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو إذاً لا يستغني قط عن الصبر.**

**النوع الأول: ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا. وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان، فإن الإنسان ليطغى أن رآه**

---

**فالأول:** هو أن له سبحانه على عبده حكمين كوني قدري وشرعي ديني. فالكوني متعلق بخلقه والشرعي بأمره، فالأول يتوقف حصول الثواب فيه على الصبر، والثاني لا يتم إلا به فرجع الدين كله إلى هذه القواعد الثلاثة الصبر على المقدور، وترك المحظور، وفعل المأمور.

**وأما الطرف الثاني:** فإن العبد لا ينفك عن هذه الثلاثة أيضاً، ولا يسقط عنه ما بقي التكليف، فقيام عبودية القدر على ساق الصبر ولا يستوي إلا عليه كما لا تستوي السنبلة إلا على ساقها. وهذه الثلاثة قد وقعت الإشارة إليها بآية ﴿أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك﴾ [ لقمان: ١٧ ].

**بيان مظان الحاجة إلى استعمال الصبر في الطاعات وغيرها وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال:**

( **اعلم** ) وفقك الله تعالى ( **أن جميع ما يلقاه العبد في هذه الحياة** ) الدنيا ( **لا يخلو من نوعين أحدهما: هو الذي يوافق هواه، والآخر: هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما، وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما، فهو إذا لا يستغني قط عن الصبر** ).

( **النوع الأول: ما يوافق الهوى وهو الصحة** ) في البدن ( **والسلامة** ) من الآفات ( **والمال والجاه وكثرة العشيرة** ) من بنيه وبني عمه، ( **وإتساع الأسباب** ) المحصلة لذلك ( **وكثرة الإتباع** ) من المماليك والأجراء ( **والأنصار** ) والأعوان ( **وجميع ملاذ الدنيا، وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور، فإنه إن لم يضبط نفسه عن الإسترسال والركون إليها والإنهماك في ملاذها المباحة أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان، فإن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى** ) كما قال الله تعالى في كتابه العزيز ردعاً لمن كفر بنعمة الله لطغيانه: ﴿ كلا إن الإنسان

**استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن، والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق. وقال سهل: الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر، ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال. والزوج والولد فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُم فاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وقال ﷺ: «الولد مبخلة مجبنة محزنة». ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضي الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال: «صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْـوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] إني لما رأيت ابني يتعثر لم أملك نفسي أن أخذته» ففي ذلك**

---

ليطغى﴾ أي يتجاوز عن الحدود ﴿أن رآه استغنى﴾ [العلق: ٦، ٧] أي رأى نفسه. واستغنى مفعوله الثاني لأنه بمعنى علم، ولذا جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد قاله البيضاوي **(حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق)** ولفظ القوت: ويقال إن البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والباقي سواء. **(وقال سهل: الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء)** ولفظ القوت وكان سهل يقول: الصبر على العوافي أشد من الصبر على البلاء، **(و)** كذلك **(لما فتحت أموال الدنيا)** من سائر البلاد **(على الصحابة رضي الله عنهم)** وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه فنالوا من العيش واتسعوا **(قالوا: ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر)**، فعظموا الإختبار بالسراء وهو ما سر على الإختبار بالضراء وهو ما ضر. قال الطبراني: حدثنا عبد الرحمن بن جابر الطائي، حدثنا بشر بن شبيب بن أبي حمزة، عن أبيه، عن الزهري، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: قال عبد الرحمن بن عوف: بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر. **(وكذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾)** لأن فيها ما يسر فيشغل عن ذكر الله تعالى. **(وقال عز وجل: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾)** لأن في الأزواج والأولاد ما يفرح به فيوافق فيهم الهوى ويخالف بودهم المولى فصاروا أعداء في العقبى لما يؤل إليه من شأنهم **(وقال ﷺ: «الولد مبخلة مجبنة محزنة»)** رواه أبو يعلى الموصلي من حديث أبي سعيد بلفظ: «الولد ثمر القلب وأنه مبخلة مجبنة محزنة» وقد تقدم. ورواه أحمد، وابن سعد، والطبراني من حديث يعلى بن مرة العامري: «الولد مبخلة مجبنة وإن آخر وطأة وطئها فوج» وتقدم أيضاً. **(ولما نظر ﷺ إلى ولده الحسن)** رضي الله عنه **(يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه وقال: صدق الله: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ إني لما رأيت ابني)** هذا **(يتعثر)** في قميصه **(لم أملك نفسي**

**عبرة لأولي الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية، ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع إلى القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب، وأن يرعى حقوق الله في ماله بالإنفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق، وكذلك في**

---

**أن أخذته»)** قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذي: حسن غريب انتهى.

قلت: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأبو يعلى، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء كلهم من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه رفعه قال: «صدق الله ورسوله ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتها».

وروى ابن ماجه من حديث يوسف بن عبدالله بن سلام قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى النبي ﷺ فضمهما إليه وقال: «الولد مبخلة مجبنة».

وروى العسكري في الأمثال، والحاكم في صحيحه من طريق معمر، عن ابن خثيم، عن محمد بن الأسود بن خلف، عن أبيه، أن النبي ﷺ أخذ حسناً فقبله ثم أقبل عليهم فقال: «إن الولد مجبنة مبخلة» وأحسبه قال: «مجهلة» وتقدم. وروى العسكري من حديث عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ خرج وهو محتضن حسناً وحسيناً وهو يقول: إنكم لتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله».

**(ففي ذلك عبرة لأولى الأبصار وقد جمع الله بين ما سرّ وضرّ)** وجعلهما من وصف المتقين ومدحهما بالإحسان معهما، فقال تعالى: ﴿أعدت للمتقين★ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤] **(فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية، ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده أي بمنزلة الوديعة، وعسى أن يسترجع على القرب)** إلى المودع **(وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها)** والركون إليها، **(ولا ينهمك في التنعيم واللذة واللهو واللعب، وأن يؤد حقوق الله تعالى في ماله بالإنفاق منه)** في المواضع اللائقة، **(وفي بدنه ببذل المعونة للخلق)** على قدر استطاعته، **(وفي لسانه ببذل الصدق، وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه)**. وقال صاحب القوت: ومن الصبر صبر على العوافي أن لا يجريها في مخالفة، والصبر على الغنى أن لا يبذل في الهوى، والصبر على النعمة أن لا يستعين بها على معصية، فحاجة المؤمن على الصبر في هذه المعاني ومطالبته بالصبر عليها لحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر والصبر على الشدائد والضر اهـ.

سائر ما أنعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر، والصبر على الحجامة والفصد إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك، والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها، فلهذا عظمت فتنة السراء.

**النوع الثاني:** ما لا يوافق الهوى والطبع، وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي، أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أو لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان:

**الضرب الأول:** الطاعة، والعبد يحتاج إلى الصبر عليها، فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية، ولذلك قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾

---

( **وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي** ) إن شاء الله تعالى، ( **وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة** ) والتمكن ( **ومن العصمة أن لا تقدر** ) هو من قول علي رضي الله عنه كما تقدم، والمشهور على الألسنة أن لا تجد. ( **والصبر على الحجامة والفصد إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك، والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة** ) المشتهاة ( **وقدر عليها** ) من غير مانع حقيقي أو حكمي، ( **فلهذا عظمت فتنة السراء** ).

( **النوع الثاني: ما لا يوافق الهوى والطبع** ) ولا يلائمه، ( **وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي، أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أو لا يرتبط** ) أوله. ( **باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي بالإنتقام منه. فهذه ثلاثة أقسام** ).

( **القسم الأول: ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونه طاعة أو معصية وهما ضربان** ).

( **الضرب الأول: الطاعة. والعبد يحتاج إلى الصبر فالصبر على الطاعة شديد** ) وفيه مشقة، ( **لأن النفس بطبعها تنفر عن** ) ذل ( **العبودية وتشتهي** ) عز ( **الربوبية، ولذلك قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله: ﴿أنا ربكم**

**[ النازعات: ٢٤ ] ولكن فرعون وجد له مجالاً وقبولاً فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه، وما من أحد إلا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته، وإن كان ممتنعاً من إظهاره فإن استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء.**

**فإذاً العبودية شاقة على النفس مطلقاً. ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة. ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة. ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد. فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد. ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال:**

**الأولى: قبل الطاعة، وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعند العزم على الإخلاص والوفاء. وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس. وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال: « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ**

---

**الأعلى﴾ ولكن فرعون وجد له مجالاً وقبولاً فاظهر )** ما كان مضمراً في قلبه **( إذ استخف قومه )** أي وجدهم أخِفَّاء العقول **( فأطاعوه )** وامتثلوا له، **( وما من أحد إلا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته، وإن كان ممتنعاً من إظهاره )** بلسانه **( فإن امتعاضه )** أي احتقاره **( وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء )** يشير إلى الحديث القدسي المتقدم بذكر: « من نازعني رداء الكبرياء قصمته ».

**( فإذاً العبودية شاقة على النفس مطلقاً، ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة. ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة. ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد )** فإنهما عبادتان مشتركتان في المال والبدن، **( فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد، ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال ).**

**( الأولى: قبل الطاعة )** أي قبل الشروع فيها، **( وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات، وعند العزم على الإخلاص، وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص )** على ما سيأتي بيانه في كتاب الإخلاص، **( وآفات الرياء ومكائد النفس )** على ما تقدم في كتاب ذم الرياء **( وقد نبه عليه ﷺ إذ قال: « إنما الأعمال بالنية ولكل امرىء ما نوى » )** متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم. **( وقال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ ولهذا المعنى قدم الله تعالى**

**لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [ البينة : ٥ ] ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى : ﴿ إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [ هود : ١١ ] .**

**الحالة الثانية : حالة العمل : كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ ، وهذا أيضاً من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى : ﴿نِعمَ أَجْرُ العَامِلِينَ★ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [ العنكبوت : ٥٨ ، ٥٩ ] أي صبروا إلى تمام العمل .**

**الحالة الثالثة : بعد الفراغ من العمل ، إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى : ﴿وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [ محمد : ٣٣ ] وكما قال تعالى : ﴿لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنِّ والأَذَى﴾ [ البقرة : ٢٦٤ ] فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله .**

**والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليها جميعاً وقد جمعهما الله**

---

**الصبر على العمل فقال )** جل ذكره : ( **﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾** ) أشار إليه صاحب القوت وهذا يسمى الصبر لله .

**( الحالة الثانية : حالة العمل كيلا يغفل عن الله تعالى في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ، ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ )** منه ، ويتأنى ويترك العجلة حتى ينقضي صحيح الأركان كامل السنن والهيئات . **( وهذا أيضاً من شدائد الصبر ، ولعله المراد بقوله تعالى : ﴿نعم أجر العاملين الذين صبروا﴾ أي صبروا إلى تمام العمل )** وهذا يسمى الصبر مع الله .

**( الحالة الثالثة : الصبر بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه )** لغيره **( و )** عن **( التظاهر به للسمعة والرياء ، والصبر عن النظر إليه بعين العجب ومن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره ، كما قال تعالى : ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ وكما قال تعالى : ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ فمن لم يصبر بعد الصدقة على المن والأذى فقد أبطل عمله )** وأحبط أجره . وقال بعض السلف : لا يتم المعروف إلا بثلاث : تعجيله وتصغيره وكتمه وكذلك الصبر بترك التكبر به على أحد من العباد والإدلال به على الله ، بل رؤية المنة والفضل وما أحوج العبادة إلى الصبر في عدم دخول هذه الآفات عليها ، وهذا القسم يسمى الصبر بالله وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ .

**( والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليها جميعاً وقد جمعهما الله**

تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى﴾ [ النحل: ٩٠ ]. فالعدل هو الفرض والإحسان هو النفل، وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم. وكل ذلك يحتاج إلى صبر.

**الضرب الثاني**: المعاصي. فما أحوج العبد إلى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنْ الفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغْيِ﴾ [ النحل: ٩٠ ]. وقال ﷺ: «المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه» والمعاصي مقتضى باعث الهوى.

وأشد أنواع الصبر عن المعاصي: الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة، فإنّ العادة طبيعة خامسة، فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشياطين

---

**تعالى في قوله: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ فالعدل هو الفرض، والإحسان هو النفل وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم، وكل ذلك يحتاج إلى صبر )**.

**( الضرب الثاني: المعاصي. فما أحوج العبد إلى الصبر عنها، وقد جمع الله أنواع المعاصي في قوله: ﴿وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ )** وقال صاحب القوت: ومن الصبر كف الأذى عن الخلق وهو مقام العادلين يدخل في قوله: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ ثم احتمال الأذى من الخلق وهو مقام المحسنين يدخل في قوله تعالى: ﴿والإحسان﴾ ومن الصبر الصبر على الإنفاق وإعطاء أهل الحقوق حقوقهم الأقرب فالأقرب وهذا مقام المقربين يدخل في قوله تعالى: ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ ومنه الصبر عن الفحشاء وهو الأمر الفاحش في العلم والإيمان، والصبر على المنكر وهو ما أنكره العلماء، والصبر عن البغي وهو التطاول والعلو ومجاوزة الحد بالكبر والإسراف في أمور الدنيا. فهذه الآية جامعة لمعنى الصبر وهو قطب القرآن. ثلاث منها الصبر على العدل والإحسان والإعطاء، وثلاث منها الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغي، وكان ابن مسعود يقول: هذه الآية أجمع آية في كتاب الله لأمر ونهي.

**( وقال ﷺ: «المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه» )** قال العراقي: رواه ابن ماجه بالشطر الأول، والنسائي في الكبرى بالشطر الثاني كلاهما من حديث فضالة بن عبيد بإسنادين جيدين وقد تقدما. **( والمعاصي مقتضى باعث الهوى )** وفي نسخة بواعث الهوى.

**( وأشد أنواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة )** للطبع **( بالعادة )** واعتاد عليها وأنس بها، **( فإن العادة )** كما قالوا **( طبيعة خامسة )** زائدة على الطباع الأربعة، **( فإذا انضافت إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى**

على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها، ثم إن كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس، كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس، تعريضاً وتصريحاً. وأنواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم، فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس. فللنفس فيه شهوتان: إحداهما نفي الغير، والأخرى إثبات نفسه. وبها تتم له الربوبية التي هي في طبعه، وهي ضد ما أمر به من العبودية. ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتاداً في المحاورات يعسر الصبر عنها، وهي أكثر الموبقات حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأنس بها فترى الإنسان يلبس حريراً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من أن الغيبة أشد من الزنا، ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر على ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره، فالصبر على

---

**فلا يقوى باعث الدين على قمعها )** وإزالتها، **( ثم إن كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس )** وأشد **( كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً، وأنواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الإزراء والإستحقار، و )** من ذلك **( ذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم )** وأحوالهم **( ومناصبهم، فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس )** ومدح لها، **( فللنفس فيه شهوتان. إحداهما: نفي الغير، والأخرى: إثبات نفسه وبها )** أي بهذه الشهوة وفي نسخة بهما **( تتم له الربوبية التي هي )** في طبعه وهي ضد ما أمر به من العبودية في قوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [ الذاريات: ٥٦ ] **( ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتاداً في المحاورات يعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب )** وذلك **( لكثرة تكريرها وعموم الإنس بها، فترى الإنسان يلبس حريراً مثلاً فيستبعد غاية الإستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من «أن الغيبة أشد من الزنا» )**. رواه ابن النجار من حديث جابر، والديلمي من حديث أبي سعيد، وتمام الحديث: «وإن الرجل يزني فيتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه» وقد تقدم في آفات اللسان. **( ومن لم يملك لسانه )** وفي نسخة نفسه **( في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والإنفراد )** عن الناس **( فلا ينجيه )** من ذلك **( غيره، فالصبر على**

الإنفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة، وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوّتها وضعفها. وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يغلب على القلب هَمٌّ آخر في الدين يستغرقه، كمن أصبح وهمومه هم واحد، وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه.

**القسم الثاني:** ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه، كما لو أوذي بفعل أو قول وجني عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة. قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى. وقال تعالى: ﴿وَلَنَصبرَنَّ عَلَى ما آذَيْتُمونَا وعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

**الإنفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة** ) معهم، ( **وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر** ) من الباطن ( **باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه** ) ويستولي عليه ( **كمن أصبح وهمومه هم واحد** ) أي اجتمعت في هم واحد ولم تتشعب به، ( **وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه** ) أبداً.

( **القسم الثاني: ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه، كما لو أوذي بفعل أو قول وجني عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة. قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم: ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى** ) ولفظ القوت قال بعض العلماء: ما كنا نعد إيمان من لم يؤذ فيحتمل الأذى ويصبر عليه إيماناً، وقد فعل الله ذلك قالاختباراً. وأخبر أن ذلك ليس منه عذاباً وإنما هو فتنة وبلاء من الناس، فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم، فصار رحمة للمؤذي وخيراً في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [ العنكبوت: ١٠ ] أي ليس ذلك عذاباً إنما هو رحمة باطنة كقوله تعالى: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ★ كلا﴾ [ الفجر: ١٦ ، ١٧ ] أي لم أهنك بالفقر كما لم أكرم الآخر بالنعم إكراماً، وعلى هذا خاطب نبيه محمداً ﷺ بالصبر الذي أمره به فقال: ﴿فاصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود﴾ [ ص: ١٧ ] فسلاه به وفضله عليه، ومن الصبر حبس النفس عن المكافأة على الأذى توكلاً على المولى ( **قال** ) الله ( **عز وجل: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾** ) وهذا صبر أهل الخصوص، وقد قال بعض أهل المعرفة: لا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يؤذى ويصبر على الأذى، وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ولنصبرن على ما

الْمُتَوَكِّلُون﴾ [ ابراهيم: ١٢ ] وقسّم رسول الله ﷺ مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر به رسول الله ﷺ فاحمرّت وجنتاه ثم قال: « يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر ». وقال تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [ الأحزاب: ٤٨ ] وقال تعالى: ﴿واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ [ المزمل: ١٠ ] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [ الحجر: ٩٧ ، ٩٨ ] الآية. وقال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [ آل عمران: ١٨٦ ] أي تصبروا عن المكافأة. ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ﴾

---

آذيتمونا﴾ الآية. ( **وقسم رسول الله ﷺ مرة مالاً فقال بعض الأعراب من المسلمين: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله** فأخبر به رسول الله ﷺ **فاحمرت وجنتاه ثم قال: « رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر »** ) قال ذلك يوم حنين إذ أعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل وأعطى غيرهم أقل من ذلك فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله فقاله ﷺ رواه أحمد والشيخان من حديث ابن مسعود وقد تقدم ( **وقال تعالى** ) لحبيبه ﷺ: ( **﴿فدع أذاهم وتوكل على الله﴾ وقال تعالى: ﴿فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾** ) بعد قوله: ﴿فاتخذه وكيلاً﴾ ففيها أن مقام التوكل لا يثبت حتى يصبر على الاذى وهو أول مقام الرضا. ( **وقال** ) تعالى: ( **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك﴾ الآية. وقال** ) تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ( **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾** ) ففي أول الآية إشارة إلى المقام الثاني من مقامات الرضا وهو صبر النفس على أحكام البلاء، وفي السياق الذي يليه إشارة إلى أول مقام الرضا وهو الصبر على الأذى وفي آخره قرن التقوى بالصبر. والتقوى جمع كل خير كما أن الصبر داخل في كل خير وبرّ، فمن جمعها أوتي عزائم الأمور وكان من المحسنين ( **أي إن تصبروا عن** ) الأذى ( **والمكافأة** ) وتتقوا عند الإبتلاء والمكاره، وكذلك قوله تعالى: ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [ يوسف: ٩٠ ] ( **ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾** ) وقال تعالى: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمة فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ [ الشورى: ٤١ ] الآية ثم قال: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [ الشورى: ٤٣ ] فالأول عني به المكافأة والإنتصار بالحق من العدل والعدل حسن، والثاني: هو الصبر والعفو من الإحسان والفضل وهو أحسن ومن

[ النحل : ١٢٦ ] . وقال ﷺ : « صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك » . ورأيت في الانجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف ، وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فاعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين . وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعاً » .

**القسم الثالث :** ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوّله وآخره ؛ كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء . وبالجملة سائر أنواع البلاء ، فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس رضي الله عنهما : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة

---

ذلك قوله تعالى : ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ [ الزمر : ١٨ ] الآية . فاستماع القول هو العدل وإتباع الأحسن هو العفو وفيه المدح بالهداية والعقل وهذا مقام المحسنين . قيل : هم الذين لا يظلمون فإذا ظلموا لم ينتصروا ، فالمدح بالوصف لأهل هذا المقام هو بالإخبات وهو الخشوع والطمأنينة إلى الجزاء من الله في الآخرة لقرب اللقاء وسرعة فناء الدنيا . **( وقال ﷺ : « صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك » )** رواه ابن النجار من حديث علي بلفظ : « صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك » . وقد تقدم . **( ورأيت في الإنجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام : لقد قيل لكم )** يعني في التوراة وغيره من كتب السماء **( من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف ، وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول إليه الخد الأيسر ، ومن أخذ رداءك فاعطه إزارك ، ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين ، وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى ، فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر )** ، وقد تقدم أنه أول مقام من مقامات الرضا ، **( لأنه يتعاون فيه على باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعاً .**

**( القسم الثالث : ما لا يدخل تحت حصر الإختيار أوله وآخره كالمصائب مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء . وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر )** ، وهو ثاني مقام من مقامات الرضا المقرب التام لقوله ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء أكثر الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل » . ولقوله سبحانه في المجمل : ﴿ولربك فاصبر﴾ [ المدثر : ٧ ] ثم فسره في الكلام المفسر فقال : ﴿فاصبر لحكم ربك فإنك باعيننا﴾ [ الطور : ٤٨ ] **( وقال ابن عباس )** رضي الله عنهما . **( الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه )** باعتبار متعلقه : **( صبر على إداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة )** أي

**درجة، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة. وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم.**

---

منزلة عالية في الجنة، **( وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة )** ولفظ القوت: وروينا عن ابن عباس الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه: صبر على أداء فرائض الله، وصبر على محارم الله، وصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى، فمن صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة، ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة، ومن صبر في المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة اهـ.

قلت: وهذا قد روي مرفوعاً من حديث علي رضي الله عنه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر، وأبو الشيخ في كتاب الثواب، والديلمي في مسند الفردوس كلهم من طريق عبدالله بن محمد بن زيرك، عن عمر بن علي، عن عمر بن يونس اليماني، عن مدرك بن محمد السدوسي، عن رجل يقال له علي، عن علي رضي الله عنه رفعه « الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى الأرضين، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين ». وهذا صريح في أن الصبر على المقدور أدنى المراتب، ثم الصبر على المأمور ثم عن المحظور، وله وجه وذلك لأن الصبر على مجرد القدر يأتي به البر والفاجر والمؤمن والكافر، فلا بد لكل منهم الصبر عليه اختياراً أو إضطراراً، والصبر على الأوامر فوقه ودون الصبر عن المحرمات، فإن الأوامر أكثرها محبوب، للنفس لما فيها من العدل والإحسان والإخلاص والبر، والصبر على المخالفات صبر على مخالفة هوى النفس وحملها على خير طبعها وهو أشق شيء وأصعبه، والصبر عن المعاصي التي أكثرها محاب للنفوس فقد ترك المحبوب العاجل في هذه الدار لمحبوب آجل في دار أخرى، ولا يصبر على ذلك إلا الصديقون. وهذه الثلاثة محاب النفوس الزكية الفاضلة قالوا: والناس من باب جهة النفس عن لذاتها وحميتها مع قيام داعي التناول وقوله خطب مهول، ولهذا كان باب قربان النهي مسدوداً وباب الأمر مقيداً بالمستطاع، ومن ثم كانت عامة العقوبات على المنهيات. وأما ترك المأمور فلم يرتب الله عليه حداً معيناً، وأعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف هل فيه حد أم لا ؟ وبهذا استبان سر الترتيب الواقع في حديث علي رضي الله عنه. وأما الترتيب الواقع في خبر ابن عباس على ما ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت فله أيضاً وجه، وقد أشار إليه المصنف بقوله: **( وإنما فضلت هذه المرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض، لأن كل مؤمن يقدر على الصبر على المحارم )**.

**فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك شديد على النفس. ولذلك قال ﷺ: «اسألك من اليقين ما تهوّن علي به مصائب الدنيا»، فهذا صبر مستنده حسن اليقين.**

---

( **فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك شديد على النفس** )، وذكر صاحب القوت عقب قول ابن عباس السابق ما نصه: وهذا يحتاج إلى تفسير لم يقصد ابن عباس أن الصبر على المصيبة أفضل من الصبر على المحارم ومن الصبر على أداء الفرائض، لأن الصبر في ذلك من مزيد أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين، فإنما فضل المقام في اليقين على المقام في الإسلام، ( **ولذلك قال ﷺ: «اللهم إني أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا»** ) رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذي، وقد تقدم في كتاب الدعوات، ( **فهذا صبر مستنده حسن اليقين** ). وأحسن الناس صبراً عند المصائب أكثرهم يقيناً، وأكثر الناس جزعاً وسخطاً في المصائب أقلهم يقيناً وأكثرهم حباً للدنيا. ومثله ما رواه سلمة بن وردان عن أنس رفعه: «من ترك المراء وهو محق بنى الله له في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له في وسط الجنة، ومن ترك الكذب بنى له في ربض الجنة». فقد علمت أن ترك الكذب والمراء مبطلاً فرض وواجب، فينبغي أن يكون أفضل ولكن المعنى فيه أن الكذب باطل يتركه المسلمون والمراء والعبد محق صادق، ثم لا يماري زهداً في التظاهر ورغبة في الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا إلا المتقون وهم خصوص المؤمنين، فمقامه من اليقين والزهد وإيثار الصمت والخمول على الكلام والشهرة أفضل اليقين، فصار هذا الموقن مقامه أفضل من عموم المؤمنين الذي يتركون الكذب والمماراة وإن كان أفرض وأوجب، فهذا بيان ذلك ومعناه. ويقال: من علامة التسليم للقضاء حسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين، فأما إشتراط الصبر في المصيبة الأولى فكأنه يقال كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر، فاشترط الثواب لها عند أول كبرها قبل صغرها، وفي صدقة القلب أول ما يبعثه الشيء فينظر إلى نظر الله عز وجل فيستحي فيحسن الصبر كما قال تعالى: ﴿فإنك باعيننا﴾ [ الطور: ٤٨ ] وهذا مقام المتوكلين على الله تعالى. كل هذا السياق في كتاب القوت.

وقال بعض من اختصر الإحياء وزاد عليه ما نصه: أما آداب الصبر فقد تقدم أن حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في محاربة باعث الهوى ومقابلته، فليبدأ في ذلك بالأهم فالأهم فالمجاهدة الباطنة كالمجاهدة الظاهرة. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذي آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ [ التوبة: ١٢٣ ] فالبداية بترك المحظورات وهو واجب، ثم بالمكروهات وهو مستحب، ثم بفضول المباحات الشاغلة عن رب الأرض والسموات وهي قربة.

وقال أبو سليمان: والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال النبي ﷺ: «قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن انصب له ميزاناً أو أنشر

---

فإن قيل: لم فرقت بين المستحب والقربة وهما واحد؟ فأقول: بينهما عند التحقيق فرق، وذلك أن الله تعالى بمنه وفضله أثابنا على كل حسنة ثواباً عاجلاً وثواباً آجلاً، ومن جملة الثواب العاجل أن يثيبك على تلك الحسنة حسنة تناسبها وتليها في الدرجة فإذا تركت مكروهاً لله أثابك الله عليه بترك مكروه هو أدق منه في الرتبة، وإذا تركت مباحاً شاغلاً فتح لقلبك بسببه باباً إليه، فحقيقة القربة نفحة من نفحات الرحمة تكشف لقلب العبد وجود الله وجماله فيترك فضول المباحات بسبب ذلك ويعرف هذا من يفرق بين حق النفس وحظها، فإن كنت من أهل الذوق وإلا فالتصديق به واجب تقليداً، ثم البداءة بالواجب من الطاعات ويقدم الأوجب على الواجب وما يفوت على ما لا يفوت وهذا واجب، ثم يقدم الفضائل فأفضلها ويترك الفاضل للأفضل إذا لم يمكن الجمع بينهما والدعاء للظالم والشفقة عليه من هذا النوع وهو من مقامات المحسنين، ثم الصبر على المصائب بالثبت عند الصدمة الأولى لأن كل شيء يوجد صغيراً ثم يأخذ في النماء والزيادة إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر وتأخذ في النقصان وهذا واجب، فإن غفل وجزع ثم رجع عن غفلته وندم واسترجع كان ندمه واسترجاعه توبة له. وقد قلنا إن التوبة تصح من كل ذنب ويدخل في هذا النوع الصبر على اللعن ومكافأة الجاني بما هو معصية حرام ومكافأته بما هو مباح مكروه لذهاب الملائكة وعدم إجابتها عنه وإن تألم في باطنه، ولكن ترك المكافأة عليه في الظاهر فهو أحسن حالاً من الأول ولا يدخل في نهي التحريم، لأن الألم لم يدخل تحت اختيار العبد والرب تعالى لا يكلف العباد ولا يؤاخذهم إلا بما يدخل تحت اختيارهم، ويستحب علاج الألم وتكسبه إلى أن يستوي عند القلب وجود الأذى وعدمه كما تكتسب الطاعة والمشقة ويجتنب المعاصي، فإن فرح بالجناية ودعا للجاني فهذه هي القربة الصديقية ولا يحصل هذا إلا لعبد فتح نوراً لتوحيد قلبه فارتفعت عن قلبه رؤية الوسائط وشاهد المتوحد بالأفعال، ويعرفه إيمانه أن سيده اختار له ذلك ليزكي قلبه وينمي له نوره. إلى هنا كلامه.

**(وكان أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى: **(يقول: والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره)**؟ نقله صاحب الرسالة، قال: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت عباساً يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سألت أبا سليمان عن الصبر فقال: فذكره. **(وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن انصب له ميزاناً أو انشر له ديواناً»)** قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر، والديلمي في مسند الفردوس.

له ديواناً » ، وقال ﷺ : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » ، وقال ﷺ : « ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي وأعقبني خيراً منها إلا فعل الله به ذلك » ، وقال أنس : حدثني رسول الله ﷺ : « إن الله

---

**( وقال ﷺ : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » )** رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة من حديث ابن عمر دون قوله بالصبر ، وكذا رواه أبو سعيد الماليني في مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة ، وللترمذي من حديث ابن مسعود : « أفضل العبادة انتظار الفرج » وتقدم في الدعوات انتهى.

قلت : وممن رواه دون قوله بالصبر ابن عدي والخطيب من حديث أنس بسند ضعيف ، ورواه الترمذي وحسنه من حديث ابن مسعود في أثناء حديث ، وقد روي من حديث علي بمثل لفظ القضاعي رواه ابن عبد البر والبيهقي ، وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر من حديث علي بلفظ : « انتظار الفرج عبادة ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل ».

**( وقال ﷺ : « ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم آجرني )** بالمد **( في مصيبتي واعقبني خيراً منها إلا فعل الله به ذلك » )** قال العراقي : رواه مسلم من حديث أم سلمة انتهى.

قلت : لفظ مسلم : « ما من عبد يصيب مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم آجرني في مصيبتي واخلف خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته واخلف له خيراً منها » قالت : فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله خيراً منه رسول الله ﷺ .

وروى أحمد عن أم سلمة قالت : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به . قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول : اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا فعل ذلك به » قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منه ثم رجعت إلى نفسي وقلت : من أين لي خيراً من أبي سلمة فأبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ .

ورواه الطيالسي ، وأبو نعيم في الحلية بلفظ : « ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم عندك احتسبت مصيبتي فآجرني منها واعقبني منها خيراً إلا أعطاه الله ذلك ».

وروى ابن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة : « ما من عبد يصاب بمصيبة فيفرح إلى ما أمره الله به من قول إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم آجرني في مصيبتي هذه وعوضني خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وكان قمناً أن يعوضه الله منها خيراً منها ».

وروى أحمد وابن ماجه من حديث الحسين بن علي : « ما من مسلم ولا مسلمة يصاب مصيبة

**عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه؟ قال: سبحانك لا علم لنا، إلا ما علمتنا. قال تعالى: جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي» وقال ﷺ: «يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عوّاده أبدلته لحماً خيراً من لحمه**

---

فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلا جعله الله له عند ذلك فاعطاه مثل أجرها يوم أصيب».

**(وقال أنس)** رضي الله عنه. **(حدثني رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه؟)** أي عينيه ويقال للعين كريمة لكونها مكرمة عند صاحبها **(قال)** جبريل: **(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. قال)** الله عز وجل: **(جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي»)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من رواية أبي ظلال القسملي واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس. ورواه البخاري بلفظ: «إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عـوضته منهما الجنة». ورواه ابن عدي وأبو يعلى بلفظ: «إذا أخذت كريمتي عبد لم أرض له ثواباً دون الجنة». قلت: يا رسول الله وإن كانت واحدة؟ قال: «وإن كانت واحدة». وفيه سعد بن سليم. قال ابن عدي: ضعيف انتهى.

قلت: وروى الترمذي من حديث أنس وقال: حسن غريب بلفظ: «إن الله تعالى يقول إذا أخذت كريمتي عبد في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة». ورواه من حديث أبي هريرة. وقال: حسن صحيح بلفظ: «يقول الله عز وجل من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة». ورواه هناد كذلك. وروى الطبراني في الكبير، وابن السني في عمل يوم وليلة، وابن عساكر من حديث أبي أمامة: «إن الله تعالى يقول يا ابن آدم إذا أخذت منك كريمتيك فصبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثواباً دون الجنة». ورواه أحمد وابن ماجه بلفظ: «يقول الله تعالى يا ابن آدم» وروى عبد بن حميد، وسمويه، وابن عساكر من حديث أنس: «قال الله عز وجل وعزتي لا أقبض كريمتي عبد فيصبر لحكمي ويرضى بقضائي فارضى له بثواب دون الجنة». وحديث أنس عند البخاري رواه أيضاً أحمد وزاد يعني عينيه. ورواه كذلك الطبراني في الكبير من حديث جرير وفي لفظ له من حديثه: «قال الله عز وجل من سلبت كريمتيه عوّضته منهما الجنة». وروى ابن حبان، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر من حديث العرباض بن سارية: «قال الله عز وجل إذا سلبت من عبدي كريمتيه وهو بهما ضنين لم أرض له بهما ثواباً دون الجنة إذا حمدني عليهما». ورواه الطبراني وحده من حديث أبي أمامة نحوه بلفظ: «قال ربكم» وروى أحمد وأبو يعلى من حديث أنس: «قال ربكم من أذهبت كريمتيه ثم صبر واحتسب كان ثوابه الجنة». وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس بلفظ: «يقول الله لا أذهب بصفيتي عبد فارضى له ثواباً دون الجنة».

**(وقال ﷺ: «يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عوّاده**

ودماً خيراً من دمه فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي »، **وقال داود** عليه السلام : يا رب ما جزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك **قال جزاؤه** أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبداً . وقال عمر بن عبد العزيز **رحمه الله في** خطبته : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوّضه منها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ الزمر :

---

**أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي » )** قال العراقي : رواه مالك في الموطأ من حديث عطاء بن يسار مرسلاً . وقال ابن عبد البر في التمهيد : رواه عباد بن كثير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد انتهى وعباد ابن كثير ضعيف ورواه البيهقي موقوفاً على أبي هريرة انتهى .

قلت : وقد رواه الحاكم مرفوعاً من حديث أبي هريرة بلفظ : « قال الله تعالى إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عوّاده أطلقته من إساري ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ثم يستأنف العمل » . وقد رواه البيهقي كذلك .

ورواه الطبراني وابن عساكر من حديث أنس بلفظ : « ثلاث من كنوز البر إخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى يقول الله تعالى إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر لم يشكني إلى عوّاده ثم أبرأته أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وإن أرسلته أرسلته ولا ذنب عليه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي » .

**( وقال داود عليه السلام )** في بعض مخاطباته مع الله عز وجل : **( يا رب ما جزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبداً )** رواه الديلمي ، وابن عساكر من حديث ابن مسعود ، وفيه جسر بن فرقد ضعيف ولفظه : قال داود عليه السلام : إلهي ما جزاء من شيع ميتاً إلى قبره ابتغاء مرضاتك ؟ قال : جزاؤه تشيعه ملائكتي فتصلي على روحه في الأرواح. قال: اللهم فما جزاء من يعزي حزيناً ابتغاء مرضاتك ؟ قال : أن ألبسه لباس التقوى واستره به من النار فأدخله الجنة . الحديث .

**( وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوّض منها الصبر إلا كان ما عوّضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ قوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ )** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا سعيد بن غانم عن محمد بن عمرو قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب فقال : ما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فعاضه مما انتزع منه الصبر إلا ما كان عاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ وقد نقله كذلك صاحب العوارف .

١٠ ] وسئل فضيل عن الصبر فقال: هو الرضا بقضاء الله، قيل: وكيف ذلك؟ قال: الراضي لا يتمنى فوق منزلته. وقيل حبس الشبلي رحمه الله في المارستان فدخل عليه جماعة فقال: من أنتم؟ قالوا: أحباؤك جاؤوك زائرين، فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال: لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي. وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها ﴿فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِكَ فَإِنَّكَ بأعْيُنِنَا﴾ [ الطور: ٤٨ ] ويقال ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها: أما تجدين الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه. وقال داود لسليمان عليهما

---

( وسئل فضيل ) بن عياض رحمه الله تعالى ( عن الصبر. فقال: هو الرضا بقضاء الله. قيل: وكيف ذلك؟ قال: الراضي لا يتمنى فوق منزلته ) وكأنه يشير إلى ثاني مقام من مقامات الصبر الذي هو درجة الزاهدين، وإليه يشير ما رواه الحكيم والديلمي وابن عساكر من حديث أبي موسى الأشعري: الصبر الرضا. وفي لفظ: الصبر رضا يعني أن التحقق بالصبر هو الذي يفتح الوصول إلى مقام الرضا.

( وقيل: حبس الشبلي رحمه الله تعالى ) وقتاً ( في المارستان ) هو دار المرضى ( فدخل عليه جماعة فقال ) لهم: ( من أنتم؟ قالوا: أحباؤك جاءوك زائرين، فأخذ يرميهم بالحجارة ) اختباراً لمحبتهم له، ( فأخذوا يهربون منه. فقال ) لهم: ( لو كنتم أحبائي ) صادقين ( لصبرتم على بلائي ) اعتباراً بنفسه فيما هو فيه من بلاء السجن في المارستان ونسبته إلى الجنون وليس بمجنون نقله القشيري في الرسالة.

( وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها ) أي يقرأ ما فيها ( وكان فيها ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ ) ولفظ القشيري في الرسالة. وقال بعضهم: كنت بمكة فرأيت فقيراً طاف بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومرّ، ولما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياماً وهو يفعل مثل ذلك فيوماً من الأيام طاف ونظر في الرقعة وتباعد قليلاً وسقط ميتاً فأخرجت الرقعة من جيبه فإذا فيها ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾.

( وقيل: إن امرأة فتح ) بن شخرف ( الموصلي ) وكانت من العارفات ( عثرت ) أي وقعت برجلها ( فانقطع ظفرها فضحكت، فقيل لها: أما تجدين ألم الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه ). أورد المصنف هذه القصة هنا استدلالاً بها على الصبر على البلايا، ومعلوم أن المستلذ بالبلية لا يعد صابراً حقيقة، ولذلك لم يوصف سيدنا أيوب عليه السلام بالصبار فقال تعالى: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ [ ص: ٤٤ ] ولم يقل صباراً لكونه كان يستلذ ما نزل به في بعض أحيانه.

( وقال داود لسليمان عليهما السلام ) يختبره بم يستدل على تقوى المؤمن؟ فقال: ( يستدل

السلام: يستدل على تقوى المؤمن بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات. وقال نبينا ﷺ: «من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك»، ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوماً وفي كمه صرة فافتقدها فإذا هي قد أخذت من كمه فقال: بارك الله له فيها لعله أحوج إليها مني. وروي عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له أسقيك ماء؟ فقال: جرني قليلاً إلى العدو واجعل الماء في الترس فإني صائم فإن عشت إلى الليل شربته. فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى.

فإن قلت: فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الأمر إلى اختياره، فهو مضطر

---

**على تقوى المؤمن بثلاث)** خصال: الأولى: **(حسن التوكل فيما لم ينل، و)** الثانية: **(حسن الرضا فيما قد نال، و)** الثالثة: **(حسن الصبر فيما قد فات. وقال نبينا ﷺ: «من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك»)** قال العراقي: لم أجده مرفوعاً، وإنما رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء. قال: «من الصبر أن لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزكي نفسك» انتهى.

قلت: وقال صاحب القوت: وقد روينا عن النبي ﷺ حديثاً مقطوعاً: «الصبر في ثلاث: الصبر عن تزكية النفس، والصبر عن شكوى المصيبة، والصبر على الرضا بقضاء الله خيره وشره».

**(ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوماً)** إلى السوق فساوم شيئاً من الطعام **(و)** كانت **(في كمه صرة)** فيها دراهم فأراد أن يدفع لصاحب الطعام منها فضرب بيده عليها **(فافتقدها فإذا هي قد أخذت من كمه)** أي اختلست أو انحلت الصرة فوقعت الدراهم، **(فقال: بارك الله له فيها لعله أحوج إليها مني)** فهذا من الصبر على المصيبة وعدم إظهار الجزع، وقد دفع مثل هذا لابن مسعود رضي الله عنه.

**(وروي عن بعضهم أنه قال: مررت على سالم مولى أبي حذيفة)** بن عتبة بن ربيعة بن عتبة بن عبد شمس أحد السابقين الأولين وكان من أكثرهم قرآناً **(في القتلى)** وكان معه لواء المهاجرين. روى ابن المبارك في كتاب الجهاد له أنه قال حينئذ: بئس حامل القرآن أنا يعني إن فررت فقطعت يمينه فأخذه بيساره فاعتنقه إلى أن صرع فقال لأصحابه: ما فعل أبو حذيفة يعني مولاه؟ قيل: قتل. قال: فاضجعوني بجنبه **(وبه رمق)** أي بقية الروح **(فقلت: أسقيك ماء؟ فقال: جرني قليلاً إلى)** جهة **(العدو واجعل الماء في الترس فإني صائم فإن عشت إلى الليل شربته)** ومات على حالته ولم يشرب الماء، فارسل عمر ميراثه إلى مولاته ثبيتة. **(فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى)**.

**(فإن قلت: فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر**

شاء أم أبى فإن كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة، فذلك غير داخل في الاختيار؟ فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم، وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمراً على عادته، ويعتقد أن ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روي عن الرميصاء أم سليم رحمها الله انها قالت: توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت له افطاره فجعل يأكل، فقال: كيف الصبي؟ فقلت: بأحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة، ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته، ثم قلت: ألا تعجب من جيراننا قال: ما هم؟ قلت: أعيروا عارية فلما طلبت منهم

---

**شاء أم أبى، فإن كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار؟ فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود )** والهلع والتسخط ( **والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة** ) أي الحزن ( **وتغير العادة في الملبس والمفرش والمطعم، وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها** ) فإنه يفسد واجب الصبر ويحبط عمله في أجر المصيبة، بل يأثم على فعله ( **و** ) عليه ( **أن يظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمراً على عادته** ) في سائر أحواله، ومن فعل شيئاً مما تقدم ذكره فلا ثواب له على مصيبة لأن نفس المصيبة لا ثواب عليها، لأن الله لا يثيب العباد إلا على ما يدخل تحت إختيارهم، وإنما الثواب على الصبر لا على المصيبة بل هو آثم في تسخطه على قضاء ربه، ( **و** ) عليه أن ( **يعتقد أن ذلك كان وديعة** ) عنده ( **فاسترجعت، كما روي عن الرميصاء أم سليم رضي الله عنها** ) هي ابنة ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية وهي أم أنس خادم رسول الله ﷺ. اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها على أقوال: سهلة، أو رميلة، أو رميثة، أو مليكة أو الرميصاء، أو العميصاء. وقيل: بل هما لقبان لها ( **أنها قالت: توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة** ) زيد بن سهل ( **غائب** ) وكانت قد أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار فغضب زوجها مالك بن النضر وخرج إلى الشام فمات بها، فتزوجت بعده أبا طلحة وكان صداقها الإسلام ( **فقمت فسجيته** ) أي غطيته ( **في ناحية البيت، فقدم أبو طلحة** ) من غيبته ( **فقمت فهيأت له إفطاره فجعل يأكل. فقال: كيف الصبي؟** ) وكان مريضاً ( **فقلت: بأحسن حال بحمد الله، فإنه لم يكن منذ اشتكى خيراً منه الليلة، ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته** ) يعني خالطها ( **فقلت: ألا تعجب من جيراننا؟ قال: ما هم؟ قلت: أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا. فقال:**

واسترجعت جزعوا، فقال: بئس ما صنعوا فقلت: هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه، فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «اللهم بارك لهما في ليلتهما» قال الراوي: فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأوا القرآن. وروى جابر أنه عليه السلام قال: «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة» وقد قيل: الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره، ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع، إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء، ولأن البكاء توجع القلب على الميت فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى الموت، ولذلك لما مات ابراهيم ولد النبي ﷺ

---

**بئس ما صنعوا . فقلت: هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وأن الله تعالى قبضه إليه فحمد الله واسترجع، ثم غدا على رسول الله ﷺ فاخبره فقال: «اللهم بارك لهما في ليلتهما» . قال الراوي: فلقد رأيت لهما بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأوا القرآن)** قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية، والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف انتهى.

قلت: قصتها في الصحيح: لما مات ولدها من أبي طلحة فقالت لما دخل: لا يذكر أحد ذلك لأبي طلحة قبل، فلما جاء وسأل عن ولده قالت: هو أسكن ما كان فظن أنه عوفي وقام وأكل، ثم تزينت له وتطيبت فنام معها وأصاب معها، فلما أصبحت قالت له: احتسب ولدك فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «بارك الله لكما في ليلتكما» فجاءت بولد وهو عبدالله بن أبي طلحة فأنجب ورزق أولاداً قرأوا القرآن منهم عشرة كملاً.

**(وروى جابر)** بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه **(أنه ﷺ قال: «رأيتني دخلت الجنة فإذا بالرميصاء امرأة أبي طلحة»)** قال العراقي: رواه النسائي في الكبرى بإسناد صحيح انتهى.

قلت: رواه من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر عن جابر، وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا محمد بن عبدالله الأنصاري، حدثنا حميد عن أنس قال: قال نبي الله ﷺ: «دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان». ومن طريق حماد بن ثابت عن أنس نحوه، لكن قال: الرميصاء. أوردهما في ترجمة أم سليم، وقد رواه أيضاً أحمد ومسلم والنسائي وأبو يعلى وابن حبان كلهم من حديث أنس بالروايتين.

**(وقد قيل)** في قوله تعالى: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ [المعارج: ٥] **(الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة إذ يشبه غيره)** ولفظ القشيري في الرسالة: هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري من هو، **(ولا يخرجه من حدّ الصابرين توجع القلب)** ورقته **(ولا فيضان العين بالدمع على الميت، فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان إلى الموت،**

فاضت عيناه فقيل له: أما نهيتنا عن هذا فقال: « إن هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » بل ذلك أيضاً لا يخرج عن مقام الرضا، فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه وسيأتي ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى. وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض الخلفاء: إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه له؛ واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك -هو المأجور فيك. واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه. فإذا مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين. نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب. وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة. فقد

---

**ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبي ﷺ** ) من مارية القبطية ( **فاضت عيناه** ) بالدموع ( **فقيل له: أما نهيتنا عن هذا؟ فقال: « إن هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء »** ) قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس باختلاف، ( **بل ذلك أيضاً لا يخرج عن مقام الرضا، فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه** ) بالدمع ( **إذ عظم ألمه- وسيأتي في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى-** ) ومما لا يخرجه من حد الصابرين أيضاً حكاية المصيبة للتداوي، وللعالم يتعلم منه الصبر والرضا والصديق ليعرف الحال لا على قصد الشكوى لأن هذا مما تعم به البلوى.

( وكتب **ابن أبي نجيح** ) هكذا هو في النسخ أبو يسار المكي الثقفي مولاهم وأبو نجيح كعظيم اسمه يسار، روى له الجماعة. وفي نسخة القوت ابن أبي يحي وهو عبد الله بن محمد بن أبي يحي الأسلمي لقبه سحبل وقد ينسب إلى جده روى له أبو داود( **يعزي بعض الخلفاء، فكتب: إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه، واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك، واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه** ) والحمد لله رب العالمين، كذا نقله صاحب القوت، ( **فإذا دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين. نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصيبات، وقد قيل: من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة** ) ففي إظهار المصيبة والوجع والتحدث بها قدح في الصبر مفوّت للأجر، وكتمانها رأس الصبر، وقد شكا الأحنف بن قيس إلى عمه وجع ضرسه وكدره فقال: مه لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة فما شكوتها لأحد، فكتمان هؤلاء الثلاثة كنز يذخر لصاحبه ليوم فاقته لا يطلع على ثوابه ملك ولا يدفع إلى خصمائه، بل يعوّضهم الله من باقي أعماله أو خزائن فضله ليبقى له كنزه،وذلك إذا كان صبراً منه ورضا عن ربه وحياء منه أن يشكو أو

ظهر لك بهذه التقسيمات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال، فإن الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهراً، وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطناً، فإن اختلاج الخواطر لا يسكن. وأكثر جولان الخواطر إنما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بدّ وأن يحصل منه ما هو مقدر، فهو كيفما كان تضييع زمان. وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فإذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنساً بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى فهو مغبون، هذا إن كان فكره ووسواسه في المباحات

---

يستغني بأحد من خلقه، وهذا قد روي مرفوعاً. وإنما تبع المصنف فيه صاحب القوت حيث لم يصرح برفعه، فقد رواه أبو نعيم في الحلية، وكذا البيهقي من حديث زافر بن سليمان، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع عن ابن عمر رفعه. ثم قال أبو نعيم: غريب تفرد به زافر عن عبد العزيز انتهى.

وقال الذهبي: زافر بن سليمان قال ابن عدي: لا يتابع على حديثه، وعبد العزيز بن أبي رواد يروي عن نافع عن ابن عمر نسخة موضوعة. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

وروى الطبراني من حديث أنس «ثلاث من كنوز البر: كتمان الشكوى، وكتمان المصيبة، وكتمان الصدقة». ورواه الطبراني أيضاً، وابن عساكر من حديثه «ثلاث من كنوز البر: إخفاء الصدقة، وكتمان المصيبة، وكتمان الشكوى يقول الله تعالى: إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر» الحديث. وقد تقدم قريباً، وبهذا ظهر أن الحديث له أصل، وإيراد ابن الجوزي إياه في الموضوعات فيه نظر.

**( فقد ظهر لك بهذه التقسيمات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال )** لا يخص منها حال دون حال ولا فعل دون فعل، **( فإن الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والإنفراد ظاهراً، وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطناً، فإن اختلاج الخواطر لا يسكن )** أبداً، **( وأكثر جولان الخواطر إنما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بدّ وأن يحصل منه ما هو مقدر )** من الأزل **( فهو كيفما كان تضييع زمان )** فأي فائدة في شيء فات ولم يمكن تلافيه؟ أم أي فائدة في شيء هو غيب لا يدري كيف يكون؟ وإليه أشار القائل:

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

**( وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره )** وكل منهما نفيس، **( فإذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيده به أنساً بالله تعالى أو عن فكر يستفيده به معرفة الله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى )** ويحظى بمزيد القرب منه **( فهو مغبون )** أي خسر **( هذا إذا كان**

مقصوراً عليه، ولا يكون ذلك غالباً، بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات، إذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم انه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه، بل يقدر المخالفة من أخلص الناس في حبه حتى في أهله وولده، ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته، ولا يزال في شغل دائم، فللشيطان جندان: جند يطير وجند يسير، والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيّار، والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار. وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالفخار، والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين، والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة، فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها. وقد كلف الملعون المخلوق من النار أن يطمئن عن حركته ساجداً لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بأن قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ الأعراف: ١٢ ] فإذاً حيث لم يسجد الملعون لأبينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا

---

**فكره ووسواسه في المباحات)** الشرعية **(وكان ذلك مقصوراً عليه ولا يكون ذلك غالباً بل يتفكر في وجوه الحيل)** وأنواع الخداع **(لقضاء الشهوات)** النفسية، **(إذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم أنه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة)** أي علامة **(له منه)** تدل على ذلك، **(بل يقدر المخالفة من أخلص من حبه)** وأحبهم إليه **(حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له)** في أمره أو غرضه، **(ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته)** فيطول الحال ويكثر الاشتغال، **(ولا يزال في شغل دائم)** لا ينتهي إلى حدّ؛ **(فللشيطان جندان: جند يطير وجند يسير، والوسواس)** العارض منه **(عبارة عن حركة جنده الطيارة، والشهوة عبارة عن حركة جنده السيارة. وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالفخار)** كما هو نص الكتاب العزيز. **(والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين)** إذ لا يكون فخاراً يصلصل إلاّ بدخوله في النار، **(والطين طبيعته السكون)** والاستقرار والبرودة، **(والنار طبعها الحركة)** والإضطراب والحرارة. **(فلا يتصوّر نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها، وقد كلف الملعون المخلوق من النار أن يطمئن عن حركته ساجداً لما خلق من الطين فأبى)** أي امتنع **(واستكبر واستعصى، وعبّر عن سبب استعصائه بأن قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ )** وأن النار أشرف من الطين فكيف يسجد الشريف للمشروف؟ **(فإذاً حيث لم يسجد الملعون لأبينا آدم عليه السلام فلا ينبغي أن يطمع في سجوده لأولاده)** وقد وقع ذلك في مراجعته لبعض

ينبغي أن يطمع في سجوده لأولاده. ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده وإذعانه. وانقياده بالإذعان سجود منه فهو روح السجود وإنما وضع الجبهة على الأرض قالبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح. ولو جعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك، كما أن الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافاً بالعادة، فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب؛ فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالاً فيك، فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين.

ولا تظنن إنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه

---

الأنبياء حين قال له: ألا تطلب من الله أن يتوب علي؟ فقال: نعم فرفع يديه وسأله ذلك وراجعه في قبول توبة إبليس، فجاء الخطاب نعم أن أسجد لقبر آدم عليه السلام، فقال له ذلك النبي فقال: أنا لم أسجد له وهو حي فكيف أسجد له وهو ميت؟ **( ومهما كف عن القلب وسواسه وعداونه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده وإذعانه )** في الجملة، **( فانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود )** ومعناه في الباطن، **( وإنما وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك، كما أن الانكاح بين يدي )** الرجل **( المعظم المحترم يرى استخفافاً بالعادة، فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب، فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب )** والملكوت. **( وتحقق أن الشيطان من المنظرين )** أي من الذين قد أمهلوا **( فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبح وهمومك كلهاهم واحد لا تتشعب بك في الأودية فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالاً فيك )** ولا يتمكن منك ما دمت كذلك كأنك في حصن منيع، **( فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين )** ﴿ إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [ الاسراء: ٦٥ ] **( الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين )** كما في الكتاب العزيز.

**( ولا تظنن أنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم )** كما في الخبر «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» رواه أحمد والشيخان من حديث أنس وقد تقدم ذكره، ونقدم أيضاً الاختلاف فيه أنه هل هو على حقيقته بأن جعل له قوّة وقدرة على الجري في باطن الانسان في مجاري دمه أو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته؟ وانه لا يفارق

مثل الهواء في القدح فإنك إن أردت أن يخلو القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان وإلا فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] وقال ﷺ: «إن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ»، وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغاً. ولم يبق قلبه فارغاً، بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ، ثم تزدوج أفراخه أيضاً وتبيض مرة أخرى وتفرخ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار، وإذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده، فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئاً فشيئاً على الاتصال. فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار، وكما لا تبقى النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة،

---

الانسان كما لا يفارقه دمه. **(وسيلانه مثل الهواء في القدح فإنك إن أردت أن يخلو القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت في غير مطمع، بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة، فذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشياطين)** فيه، **(وإلاَّ فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان، ولذلك قال)** الله **(تعالى ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾ )** أي يغفل عنه ولم يهتد إلى طريقه **﴿نقيّض له شيطاناً فهو له قرين﴾** أي مقارن له لا يفارقه في أحواله **(وقال ﷺ: «إن الله يبغض الشاب الفارغ» )** قال العراقي: غريب لم أجده.

قلت: روى صاحب الحلية في ترجمة ابن مسعود أنه قال: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل دنيا ولا آخرة» وفي لفظه له «إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة». **(وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغاً ولم يبق قلبه فارغاً، بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج أفراخه أيضاً وتبيض مرة أخرى وتفرخ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار، وإذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا يزال تتولد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئاً فشيئاً )** وقليلاً فقليلاً **( على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار، وكما لا تبقى النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة)** ولذلك قالوا:

**فإذاً إذا تأملت علمت أن أعدى عدوّك شهوتك وهي صفة نفسك، ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوّف ما هو؟ فقال: هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك فإذاً حقيقة الصبر وكماله: الصبر عن كل حركة مذمومة، وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك، وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.**

## بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه:

**إعلم أن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء، فالصبر وإن كان شاقاً أو ممتنعاً فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل. فالعلم والعمل هما الأخلاط التي منها تركب الأدوية لأمراض القلوب كلها، ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر، وكما**

---

النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله، **( فإذاً إذا تأملت علمت ان اعدى عدوّك شهوتك وهي صفة نفسك )** ففي الخبر «اعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك» وفي رواية «زوجتك التي تضاجعك». وروى العسكري عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً ليس عدوّك الذي إن قتلته كان لك نوراً وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن أعدى الأعداء لك نفسك التي بين جنبيك. **( ولذلك قال )** أبو المغيث **( الحسين بن منصور )** بن أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن الليث بن أبي بكر بن أبي صالح بن عبد الله بن أبي أيوب الانصاري **( الحلاج )**. صحب الجنيد والثوري وغيرهما واختلف الناس فيه فأفتى كثير من العلماء بإباحة دمه، فقتل يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩. **( حين كان يصلب )** وذلك ببغداد. **( وقد سئل عن التصوّف فقيل )** له: ما هو؟ **( فقال: هو نفسك إن لم تشغلها )** بالذكر والفكر **( شغلتك )** بما يبعدك عن حضرة الله، **( فإذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة )** ذمها الشارع، **( وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك )** لما فيه من الوساوس والخطرات، **( وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت )** نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.

**بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه:**

**( اعلم )** هداك الله تعالى **( أن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء )**. روى أبو نعيم في الطلب من حديث أبي هريرة «إن الذي أنزل الداء أنزل معه الدواء» ورواه ابن السني والحاكم بلفظ «إن الذي أنزل الداء أنزل الشفاء». **( فالصبر وإن كان شاقاً )** على النفس **( أو ممتنعاً فتحصيله ممكن بمعجون )** مركب من **( العلم والعمل. فالعلم والعمل هما الأخلاط التي منها تركب الأدوية )** النافعة **( لأمراض القلوب كلها، ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر**

أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام العلل المانعة منه مختلفة، وإذا اختلفت العلل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها. وإستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الأمثلة.

فنقول: إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الوقاع مثلاً وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه، أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه، أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والأعمال الصالحة، فنقول: قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى، وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر، فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة.

فأما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور:

**أحدها:** أن ننظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث

---

**وعمل آخر، وكما أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام العلل المانعة منه مختلفة وإذا اختلفت العلل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها)** لأن النفس إن كانت زكية طاهرة مهذبة الأخلاق فينبغي أن يسعى لحفظها وجلب مزيد قوّة إليها واكتساب زيادة صفاء لها، فإن كانت ناقصة عادمة الكمال والصفاء وجب العلاج بضد العلة المطلوب زوالها، فيعالج مرض الجهل بالعلم، ومرض البخل بالسخاء، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفاً. **(واستيفاء ذلك مما يطول، ولكنا نعرف الطريق في بعض الأمثلة.**

**فنقول: إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الوقاع مثلاً وقد غلبت عليه بحيث لا يملك معها فرجه)** في حال يقظته ونومه، **(أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه)** بالتطلع، **(أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال تحدثه)** في سره **(بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر)** والمراقبة **(والأعمال الصالحة، فنقول)** في علاجه: **(قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى، وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا)** أي الغلبة **(وتضعيف الآخر، فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة، فأما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور)**.

**(أحدها: أن تنظر إلى مادة قوّتها وهي الأغذية الطيبة اللذيذة المحركة للشهوة من**

نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والأطعمة المهيجة للشهوة.

**الثاني:** قطع أسبابه المهيجة له في الحال فإنه إنما يهيج بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية، قال رسول الله ﷺ: « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس » وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه إلا تغميض الأجفان أو الهروب من صوب رميه. فإنه إنما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه.

**الثالث:** تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فإن كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عن المحظورات منه؛ وهذا هو العلاج

---

**حيث نوعها ومن حيث كثرتها، فلا بدّ من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الإفطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسة فيحترز عن)** تناول **(اللحم)** في المأكولات **(و)** عن **(الأطعمة المهيجة للشهوة)** في طبعها أو بملابسة الابازير.

**(الثاني: قطع أسبابه المهيجة له في الحال فإنه إنما يهيج بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة)**، ومن ذلك قولهم: من أدار ناظره اتعب خاطره، **(وهذا يحصل)** علاجه **(بالعزلة)** عن الناس مرة **(والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور)** الجميلة **(المشتهاة)** بالطبع، **(والفرار منها بالكلية قال رسول الله ﷺ « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس »)** رواه الحاكم والبيهقي من حديث حذيفة بلفظ « النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها من خوف الله أثابه إيماناً يجد حلاوته في قلبه ». وروى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث علي « النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس فمن صرف بصره عنها رزقه الله عبادة يجد حلاوتها ». وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر « نظر المؤمن في محاسن المرأة سهم من سهام إبابس مسموم من تركها من خشية الله ورجاء ما عنده آتاه الله بذلك عبادة تبلغه لذتها ». وقد تقدم ذكر هذا الحديث مراراً. **(وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه)** ويتترس به **(إلا تغميض الأجفان والهرب من صوب رميه)**، وقد روى الديلمي من حديث أبي هريرة: « يقول الله تعالى با ابن آدم إن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليه فقد اعنتك عليه بطبقين فاطبقهما عليه ». الحديث، **(فإنه يرمي هذا السهم عن قوس الصور، فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه)** وامنت من شره.

**(الثالث: تسلية النفس بالمباحات من الجنس الذي يشتهيه وذلك بالنكاح)** مع حليلته، **(فإن كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عن المحظور منه، وهذا هو**

الأنفع في حق الأكثر . فإن قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال ، ثم قد لا يقمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال ﷺ : « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم . فإن الصوم له وجاء » .

فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الأول وهو قطع الطعام : يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوّته والثاني : يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها . والثالث : يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل إليه طبعها حتى يبقى معها من القوّة ما تصبر به على التأديب .

وأما تقوية باعث الدين فإنما تكون بطريقين :

**أحدهما** : إطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا ، وذلك بأن يكثر فكره في الاخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة .

---

**العلاج الأنفع )** والدواء الأكبر **( في حق الأكثر ، فإن قطع الغذاء )** مطلقاً **( يضعف عن سائر الأعمال )** الصالحة التي تستدعي القوّة ، **( ثم قد لا تقمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال** ﷺ **)** : « يا أيها الناس **( عليكم بالباءة )** أي النكاح **( فإن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء )** » رواه الطبراني في الأوسط ، والضياء من حديث أنس ، وقد تقدم في كتاب النكاح .

**( فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الأول : وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح )** أي العاصية عن التأديب **( وعن الكلب الضاري )** أي اللهج يأكل لحم الصيد **( ليضعف فتسقط قوّته ، و )** العلاج **( الثاني : يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها )** بالعين والحس . **( و )** العلاج **( الثالث : يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل إليه طبعها حتى يبقى معها من القوّة ما تصبر على التأديب )** والرياضة .

**( وأما تقوية باعث الدين ؛ فإنما يكون بطريقين )** :

**( أحدهما : إطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا )** والقدر الواجب منه تقويته بالوعد والوعيد أو بما رأيته من البواعث الحادثة المقوية له إلى أن يغلب وينتصر ويفوز بالخلع السنية الموعودة له ، **( وذلك بأن يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة )** .

وفي الاثر إن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وإنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة، إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر. ومن أسلم خسيساً في نفيس فلا ينبغي أن يحزن لفوات الخسيس في الحال. وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان فتارة يضعف وتارة يقوى، فإن قوي قوّى باعث الدين وهيجه تهييجاً شديداً وإن ضعف ضعفه. وإنما قوّة الإيمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتي الناس الصبر وعزيمة اليقين.

**والثاني:** أن يعوّد هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجاً قليلاً قليلاً حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرىء عليها وتقوى منته في مصارعتها، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال، ولذلك تزيد قوّة الحالين والفلاحين والمقاتلين. وبالجملة فقوّة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوّة الخياطين

---

**( وفي الأثر: إن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وأنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر )** كأنه يشير إلى أثر ابن عباس المتقدم: إن من صبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة تبعاً لصاحب القوت، وقد تقدم الكلام عليه، وان المروي من حديثه على خلاف ذلك. **( ومن أسلم خسيساً في نفيس فلا ينبغي أن يحزن بفوات الخسيس في الحال. وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان )** بالترغيب والترهيب، وبالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى، والإيمان بهذا واجب والشريعة طافحة بهذا، والقرآن من فاتحته إلى خاتمته ترغيب وترهيب وتذكير يتذكر به اللبيب، فإذا قرأ العبد القرآن بالتدبر والإصغاء أحضر قلبه وتفكر فيما رتب الله تعالى على الطاعات من الجزاء والكرامات وعلى المخالفات قوى إيمانه ويقينه، وإليه أشار المصنف بقوله: **( فتارة يضعف وتارة يقوى، فإن قوي قوى باعث الدين وهيجه تهييجاً شديداً وإن ضعف ضعفه وإنما قوّة الإيمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر، وأقل ما أوتي الناس الصبر وعزيمة اليقين )** كما روي ذلك من حديث شهر بن حوشب عن أبي امامة رفعه، وقد تقدم ذكره، وإذا قوي يقينه انهزم كيد الشيطان وحزبه، وإذا قوي يقينه بالقضاء والقدر صبر على ما ابتلاه الله، وان اتسعت معرفته حتى يرى المصيبة نعمة حصل منه الشكر عوضاً عن الصبر وارتفع بذلك درجته عند الله تعالى.

**( والثاني: أن يعوّد هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجاً قليلاً حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجريء عليها وتقوى منته )** أي قوّته **( في مصارعتها، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة يؤكد القوى التي تصدر عنها تلك الأعمال، ولذلك تزيد قوّة الحمالين )** للأحمال الثقيلة، **( والفلاحين )** لمعاناة أعمال الاعراض، **( والمقاتلين )** في الحروب. **( وبالجملة**

والعطارين والفقهاء والصالحين، وذلك لأن قواهم لم تتأكد بالممارسة.

فالعلاج الأول: يضاهي إطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بأنواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه إياهم بموسى حيث قال: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢].

والثاني: يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأنس به ويستجرىء عليه وتقوى فيه منته. فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعفت، ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد.

فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه، وإنما أشدها كف الباطن عن حديث النفس، وإنما يشتد ذلك على من تفرغ له بأن قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر، فإن الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب إلى جانب. وهذا لا علاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهراً وباطناً بالفرار عن

---

**فقوّة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوّة الخياطين والعطارين)** وهم الصيادلة **(والفقهاء)** في المدارس **(والصالحين)** في الزوايا، **(وذلك لأن قواهم لم تتأكد بالممارسة)** والمزاولة.

**(فالعلاج الأول: يضاهي أطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بأنواع الكرامة)** والأنعام، **(كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه إياهم بموسى)** عليه السلام **(حيث قال: ﴿وإنّكم إذاً لمن المقربين﴾)**.

**(و)** العلاج **(الثاني أيضاً: يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك)** منذ زمن الصبا **(حتى يأنس به ويستجرىء عليه وتقوى فيه منته، فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعفت، ومن عوّد نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد.**

**فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه، وإنما أشدها كف الباطن عن حديث النفس)** وتوارد الهواجس على الخواطر، **(وإنما يشتد ذلك على من تفرغ له)** بهمته بالكلية **(بأن قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة)** والانفراد عن الخلق **(وجلس للمراقبة والذكر والفكر؛ فإن الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب إلى جانب)** وتحول بينه وبين شغله **(وهذا لا علاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهراً وباطناً بالفرار عن الأهل والولد**

الأهل والولد والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء، ثم الإعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به، ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هماً واحداً وهو الله تعالى. ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه، وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة: من القراءة والأذكار والصلوات، ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فإن الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة، ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها إذ لا يخلو في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطغيان من مخالط، إذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة فهذا أحد الأنواع الشاغلة.

**وأما النوع الثاني:** فهو ضروري أشد ضرورة من الأول وهو اشتغاله بالمطعم

---

**والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء)** والأقارب والمعارف، **(ثم الاعتزال)** عنهم **(إلى زاوية)** من زوايا البلد **(بعد إحراز قدر يسير من القوت)** يقيم به صلبه **(وبعد القناعة به)** واتخاذ رفيق صالح يعينه على أحواله، **(ثم ترك ذلك كله لا يكفي ما لم تصر الهموم هماً واحداً وهو الله تعالى)** فلا يكون له همّ إلا هو ولا شغل إلا به، **(ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله تعالى فيها، وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه)** وغلب **(دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه)** وما يغمر قلبه من همزاته، **(وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة المرتبة في كل لحظة)** أو في كل وقت مخصوص **(من القراءة والأذكار والصلوات، ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور)** إذ القراءة والأذكار من غير حضور القلب لا تجدي نفعاً، **(فإن الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة)** الجارية على اللسان في منزلة حديث النفس، **(ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم من الأوقات إلا بعضها)** أي بالشرط المذكور، **(إذ لا يخلو في جميع أوقاته من حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من اناس وطغيان من مخالط إذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة)** بحسب الضرورة الطارئة. **(فهذا أحد الأنواع الشاغلة)** عن الذكر والفكر.

**(وأما النوع الثاني: فهو ضروري أشد ضرورة من الأول وهو إشتغاله بالمطعم والملبس**

والملبس وأسباب المعاش، فإن تهيئة ذلك أيضاً تحوج إلى شغل إن تولاه بنفسه، وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب ممن يتولاه. ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات وإن لم تهجم به ملمة أو واقعة، وفي تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر، وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق. والانتهاء إلى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يراد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق. فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ. والمعوّل وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فإنها توازي أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا، فإن المجذوب إلى أسفل سافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين. وكل مهموم بالدنيا فهو

---

**وأسباب المعاش، فإن تهيئة ذلك أيضاً يحوج إلى شغل إن تولاه بنفسه)** يشغله عم هو بصدده، **(وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه)** في بعض الأحوال والأحيان ضرورة، **(ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم تهجم به ملمة وواقعة)** من ملمات الدهر ووقائعه، **(وفي تلك الأوقات يصفو القلب)** عن الكدر **(ويتيسر الفكر)** فيتوجه على قلبه بفكره وهو ذاكر ويراقب عليه، **(وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق)** وذلك الإنكشاف لا حدّ له فيقف عليه **(والإنتهاء إلى هذا)** المقام **(هو أقصى المقامات التي يمكن أن تنال بالإكتساب والجهد)** بقدر الطاقة البشرية **(فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يراد من لطف الله في الأعمال والأحوال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق)** المقسوم، **(فقد يقل الجهد ويجل الصيد)** أي يعظم ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [الحديد: ٢١] **(وقد يطول الجهد ويقل الحظ)** فلا ينال مقدار جهده، **(والمعوّل وراء هذا الإجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فإنها توازي أعمال الثقلين)**، وعلى هذا بناء سلوك الشيخ أبي علي الفارمدي قدس سره وهو شيخ المصنف، فالجذب عنده مقدم على السلوك، وإليه ذهب بعض الشيوخ في الطريقة العلية النقشبندية، ومن يتيسر له هذا الحال أولاً يأمرونه بمراقبة الجلالة ثم بذكر النفي والإثبات، وذهب بعضهم إلى أن السلوك مقدم على الجذب وأن الجذب نتيجة السلوك، فمن قال بذلك يأمر المريد أولاً بذكر النفي والإثبات ثم بمراقبة الجلالة، **(وليس ذلك باختيار العبد)** أي حصول الجذبة الإلهية لكونه من واردات الحق. **(نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا)** فيتخلى عنها فيكون حرياً بورود الجذبة الإلهية إليه، **(فإن المجذوب إلى أسفل السافلين لا ينجذب إلى**

منجذب إليها ، فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله ﷺ : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها » وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال الله تعالى : ﴿وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ﴾ [ الذاريات : ٢٢ ] وهذا من أعلى أنواع الرزق . والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله تعالى أسباب الرزق . فما علينا إلا تفريغ المحل والإنتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها ، وكل ذلك لا ينفعه إلا بمطر . ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه لا يخلي سنة عن مطر ، فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات . فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والإخلاص وعرّضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيم

---

**أعلى عليين وكل منهوم على الدنيا )** حريص على تحصيلها **( فهو منجذب إليها )** لا يلوي على غيرها **( فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله ﷺ : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » )** رواه الطبراني في الكبير ، وابن النجار من حديث محمد بن سلمة بلفظ : « فتعرضوا له لعله أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعده أبداً » وقد تقدم في الجمعة . والمراد بالنفحات هنا التجليات المقربات والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الأكدار والأخلاق الذميمة والطلب منه في كل وقت فإنه لا يدري في أي وقت يكون فتح خزائن المنى ، **( وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ )** والرزق رزقان: ظاهر وهي الأقوات والأطعمة وذلك الظواهر وهي الأبدان، وباطن وهي المعارف والمكاشفات وذلك القلوب والأسرار . **( وهذا من أعلى أنواع الرزق )** وأشرفها فإن ثمرته حياة الأبد . وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة الأمد ، والله تعالى هو المتولي بخلق الرزقين والمتفضل بالإيصال إلى كلا الفريقين، **( والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله تعالى أسباب الرزق )** المعنوي ، **( فما علينا إلا تفريغ المحل )** عن المشغلات **( والإنتظار لنزول الرحمة )** فيه **( وبلوغ الكتاب أجله )** أي منتهاه الذي قدر له ، **( كالذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويبث فيها البذر وكل ذلك لا ينفعه )** وفي نسخة لا ينفعها **( إلا بمطر ، ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أن لا يخلي سنة عن مطر )** كما جرت به سنته ، **( فكذلك قلما يخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات )** الإلهية **( ونفحة من النفحات )** الرحمانية ، **( فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيها بذر الإرادة والإخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة، وكما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى**

فيقوى انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان، فإن الهمم والأنفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى تستدرّ بها الأمطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من أقطار الجبال والبحار، بل الأحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك، وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجاباً بينك وبينها، فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب. وإظهار ماء الأرض بحفر القنى أسهل وأقرب من استنزال الماء إليها من مكان بعيد منخفض عنها. ولكونه حاضراً في القلب ومنسياً بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكراً فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [ الحجر: ٩ ] وقال تعالى: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [ ص: ٢٩ ]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [ القمر: ١٧ - ٢٢ - ٣٢ - ٤٠ ]، فهذا

---

**انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم، وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان)** فإن هذه أيام شريفة وأوقات منيفة تجتمع فيها الهموم وتتوجه القلوب بحضورها إلى الله تعالى، فانتظار النفحات الإلهية يكون قوياً **( فإن الهمم والأنفاس أسباب بحكم تقدير الله لاستدرار )** أخلاق **( رحمته )** وفيوضاته **( حتى )** أنه **( تستدر بها )** أي بالهمم والأنفاس **( الأمطار في أوقات الإستسقاء )** عند حصول الجدب **( وهي لاستدرار أمطار المكاشفات )** الإلهية **( ولطائف المعارف )** السبحانية **( من خزائن الملكوت )** الغيبة **( أشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء )** عن السماء **( واستجرار الغيوم من أقطار البحار والجبال، بل الأحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك، وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجاباً بينك وبينها فلا تحتاج )** إلى شيء من خارج **( إلا إلى أن تنكسر الشهوة )** والشبق **( ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف )** المتنوعة **( من باطن القلب )** مما يلي عالم الملكوت **( وإظهار ماء الأرض بحفر القنى أسهل وأقرب من استنزال الماء إليها من مكان بعيد منخفض عنها )** وأولى بوصف الدوام والثبات لحصول الإمدادات التي لا تنقطع إذ المستنزل من المكان الآخر قد ينقطع ولا يثبت، **( ولكونه حاضراً في القلب ومنسياً بالشغل عنه سمي الله تعالى جميع معارف الإيمان )** ذكراً **( وتذكراً )** وتذكرة وذكرى، **( فقال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ )** والمراد به القرآن لكونه يذكر باللسان وبالقلب. **( وقال تعالى: ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾ )** أي ليتعظوا. **( وقال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾ )** ولا يكون الذكر إلا

هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وإنما الصبر عن العلائق كلها مقدّم على الصبر عن الخواطر.

قال الجنيد رحمه الله: السير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد، والسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدّة الصبر عن شواغل القلب ثم شدّة هجران الخلق.

وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه، فإنّ لذة الرياسة والغلبة

---

بعد النسيان. وقال تعالى: ﴿إن في ذلك تذكرة﴾[1] [المزمل: ١٩] وقال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى﴾ [ق: ٣٧] (**فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل**) الجاذبة من طريق الحق (**وهو آخر درجات الصبر**) وأشدها على السالكين وفيها تزل أقدام الأقوياء فضلاً عن الضعفاء، (**وإنما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر**) فإذا فرغ منها استقبله هذا الباب العظيم الهائل فإن وجد شيخاً كاملاً فليعتصم به ولا يفارقه وهو بعد هذا المنزل إما هالك أو مالك لأنه يرى الخواطر تأتيه كأمواج البحر تبهر أبصار القلوب رؤيتها فكيف التوسط في لججها؟.

ومن أجل هذه (**قال الجنيد**) قدس سره: (**المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل**) هين (**على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد**) هكذا رواه القشيري في الرسالة سماعاً عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت الجنيد يقول فذكره، والمعنى أن المسير من الدنيا سهل وإن كان فيه صعوبة ما من حيث فراق محبوبه، وذلك لكمال الجزاء وهجران الخلق في طاعة الله شديد لمخالفته هوى النفس من حظوظها والمسير من النفس بعدم الإلتفات لهواها إلى الله تعالى بالعمل المحض أمره شديد للمخالفة المذكورة والصبر مع الله حتى لا يرجع الصابر إلى الإلتفات لهواها أشد مما ذكر، (**فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق**) فانظر فما أغزر علمه فإنه ليس في الطريق عائق رابع. إما العائق الأول للدنيا، والعائق الثاني إقبال الخلق على المريد، والعائق الثالث حوم الشياطين بين القلب وبين الملكوت وليس له علاج إلا الإعتماد على الله، ثم الإعتصام بالشيخ المفيد، ثم الإقبال على معاني الذكر بكنه الهمة، فمن كان لله كان الله له ثم تخفيفه العلائق ما استطاع فإنه لا مطمع في الورع قبل القناعة، ولا في الزهد قبل الورع، ولا في فراغ القلب قبل الزهد، ولا في الفكر قبل المعرفة، ولا في المعرفة قبل الفكر، ولا في المحبة قبل المعرفة.

(**وأشد العلائق على النفس علقة الخلق وحب الجاه فإن لذة الرئاسة والغلبة والإستعلاء**

---

(١) وتصوير الآية: «إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً».

والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء، وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية؟ والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمور الربوبية، وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٥٨] وليس القلب مذموماً على حبه ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر فأضله وأغواه، وكيف يكون مذموماً عليه وهو يطلب سعادة الآخرة؟ فليس يطلب إلا بقاء لا فناء فيه. وعزاً لا ذل فيه وأمناً لا خوف فيه وغنًى لا فقر فيه وكمالاً لا نقصان فيه؟ وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموماً على طلب ذلك بل حق كل عبد أن يطلب ملكاً عظيماً لا آخر له. وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة. ولكن الملك ملكان: ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل. وقد خلق الإنسان عجولاً راغباً في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة، وتوسل إليه بواسطة

---

**والإستتباع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون أعلى اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية، والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ وليس القلب مذموماً على حبه ذلك، وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد )** من رحمة الله تعالى **( عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر فأضله وأغواه )** عن طريق الرشد، **( وكيف يكون مذموماً عليه وهو يطلب سعادة الآخرة )** وهو أعلى النعم الموهوبة وأشرفها؟ **( ومن يطلب سعادة الآخرة ليس يطلب إلا بقاء لا فناء فيه. وعزاً لا ذل فيه وأمناً لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالاً لا نقصان فيه )**، أو قدرة لا عجز فيها، وعلماً لا جهل فيه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ الآية [هود: ١٠٨] ولا يمكن الوصول لذلك إلا باكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها. **( وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموماً على طلب ذلك، بل حق كل عبد أن يطلب ملكاً عظيماً لا آخر له، وطالب الملك طالب للعز والعلو والكمال لا محالة، ولكن الملك ملكان: ملك مشوب بأنواع الآلام )** والأكدار **( وملحوق بسرعة الإنصرام )** أي الإنقطاع **( ولكنه عاجل وهو في الدنيا، وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم )** أي لا يخالطه **( ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل )** أي متأخر **( وقد خلق الإنسان عجولاً راغباً العاجلة )** كما في نص القرآن، **( فجاء الشيطان وتوصل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه**

الحمق فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال ﷺ: « والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه. ولم يتدل الموفق بحبل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين بقوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ ★ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ [ القيامة: ٢٠، ٢١ ] وقال تعالى: ﴿إنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ ويَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ [ الإنسان: ٢٧ ]، وقال تعالى: ﴿فاعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يَرِدْ إلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ★ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ [ النجم: ٢٩، ٣٠ ] ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحوا إليهم ما تم على الخلق من إهلاك العدو وإغوائه، فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا أصل له إن سلم ولا دوام له أصلاً فنادوا فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا في سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ أرَضِيْتُمْ بالحياةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيلٌ﴾ [ التوبة: ٣٨ ]

---

**فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل إليه بواسطة الحمق )** وهو فساد جوهر العقل، **( فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال ﷺ: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق )** وفي رواية والفاجر **( من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله )** الأماني ». رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم. **( فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره )** ولم ينخدع **( إذ علم مداخل مكره )** ومطاوي خدعه **( فأعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين، وقيل )** وفي نسخة فعبر تعالى عن المخذولين وقال: **( ﴿كلا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة﴾ )** أي يدعونها **( وقال تعالى: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً )** وقال تعالى: **﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغهم من العلم﴾ )** في آيات كثيرة تشير إلى أحوال المخذولين ممن آثر الدنيا على الآخرة. **( ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق )** وانتشر خدعه إياهم **( أرسل الله الملائكة إلى الرسل )** عليهم السلام **( وأوحى )** وفي نسخة فأوحوا **( إليهم ما تم على الخلق من إهلاك العدو وإغوائه )** وإضلاله **( فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا أصل له إن سلم )** من الكدورات **( ولا دوام له أصلاً فنادوا فيهم )** بما حكى الله تعالى عنهم في كتابه العزيز: **( ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله )** أي في جهاد أعداء الله **( أثاقلتم إلى الأرض )** فامتنعتم من الخروج **( أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾ فالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن**

فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة الخلق إلى الملك الدائم المخلد ، والمراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ملوكاً في الآخرة أما ملك الدنيا ؛ فالزهد فيها والقناعة باليسير منها . وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لا فناء فيه وعزاً لا ذلّ فيه وقرة عين أخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس . والشيطان يدعوهم إلى ملك الدنيا لعلمه بأن ملك الآخرة يفوت إذ الدنيا والآخر ضرّتان ، ولعلمه بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضاً ، ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه . ثم مهما تسلم وتتم الأسباب ينقضي العمر ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُم قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصيداً كأن لَمْ تَغْنَ بالأَمْس﴾

---

**وصحف موسى )** عليه السلام **( وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة الخلق إلى الملك الدائم المخلد )** روى عبد بن حميد ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، وابن عساكر من حديث أبي ذر قال : قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب ؟ قال : « مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفة ، وعلى إدريس ثلاثين ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ،وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف ، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان » قلت : يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : « أمثال كلها » قلت : فما كانت صحف موسى ؟ قال : « كانت عبراً كلها » قلت ، فهل أنزل الله عليك شيئاً مما كان في صحف إبراهيم وموسى ؟ قال : « نعم : ﴿قد أفلح من تزكى★ وذكر اسم ربه فصلى★ بل تؤثرون الحياة الدنيا★ والآخرة خيرٌ وأبقى★ إن هذا لفي الصحف الأولى★ صحف إبراهيم وموسى﴾ » [ الأعلى : ١٤ - ١٩ ] **( والمراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ملوكاً في الآخرة أما ملك الدنيا ، فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها )** بقدر ما يبلغه إلى الآخرة **( وأما ملك الآخرة : فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لا فناء فيه وعزاً لا ذل فيه وقرة عين أخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس )** يشير إلى قوله تعالى : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾ [ السجدة : ١٧ ] **( والشيطان قد يدعوهم إلى ملك الدنيا لعلمه بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة ضرتان )** أي بمنزلتها إن أرضيت إحداهما سخطت الأخرى ، وهكذا مثلها علي رضي الله عنه ، وتقدم في كتاب العلم ، **( ولعلمه بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً )** لأنه يفارقها عن قرب ، **( ولو كانت تسلم لكان يحسده أيضاً ، ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات ، وكذلك سائر أسباب الجاه )** والرئاسات ، **( ثم مهما تسلم وتتم الأسباب )** لما يوافق راحته وهواه **( ينقضي العمر )** وينتهي **( ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً )** أي محصوداً منكسراً

[ يونس: ٢٤ ] فضرب الله تعالى لها مثلاً فقال تعالى: ﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحيَاةِ الدُّنْيَا كماءٍ أنزَلْنَاهُ مِنَ السَّماءِ فاخْتَلَطَ بـِهِ نَبَـاتُ الأرْضِ فـأَصْبَـحَ هَشِيماً تـذْرُوه الرِّيَـاح﴾ [ الكهف: ٤٥ ] والزهد في الدنيا لما أن كان ملكاً حاضراً حسده الشيطان عليه فصده عنه.

ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقـادان لباعث الدين وإشارة الإيمان، وهذا ملك بالإستحقاق إذ به يصير صاحبه حراً وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبداً لفرجه وبطنه وسائر أغراضه، فيكون مسخراً مثل البهيمة مملوكاً يستجره زمام الشهوة آخذاً بمختنقه إلى حيث يريد ويهوى. فما أعظم اغترار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكاً. وينال الربوبية بأن يصير عبداً. ومثل هذا هل يكون إلا معكوساً في الدنيا منكوساً في الآخرة؟ ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد: هل من حاجة؟ قال: كيف أطلب منك حاجة وملكي أعظم من ملكك؟ فقال كيف؟ قال: من أنت عبده فهو عبد لي! فقال كيف ذلك؟ قال: أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك، وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي، فهذا إذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في

---

**( كان لم تغن بالأمس﴾ فضرب الله تعالى لها مثلاً فقال: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيماً )** أي يابساً متكسراً **( تذروه الرياح )** وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ **( والزهد في الدنيا لما أن كان ملكاً حاضراً حسده الشيطان عليه فصدّه عنه )** أي منعه.

**( ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين ولإشارة الإيمان )** فلا يخالفان مقتضاهما، **( وهـذا ملـك بـالإستحقـاق إذ بـه يصير صـاحبـه حـراً )** كـاملاً **( وباستيـلاء الشهوة عليه يصير عبداً لفرجه وبطنه وسائر أغراضه )** ومهماته، **( فيكون مسخراً مثل البهيمة مملوكاً يستجره زمام الشهوة آخذاً بمختنقه )** أي حلقومه **( إلى حيث يريد ويهوى، فما أعظم اغترار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكاً! وينال الربوبية بأن يصير عبداً. ومثل هذا هل يكون إلا معكوساً في الدنيا منكوساً في الآخرة )** مكباً على وجهه، **( ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد: هل من حاجة )** لك إلينا؟ **( قال: كيف أطلب منك حاجة وملكي أعظم من ملكك؟ قال )**: كيف ذلك؟ **( قال: من أنت عبده فهو عبدي. فقال: كيف ذلك؟ قال: أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيدي، فهذا إذاً هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى**

الآخرة. فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعاً، والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعاً.

فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه يسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والإعراض عنه والصبر عند فواته! إذ تصير بتركه ملكاً في الحال وترجو به ملكاً في الآخرة ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف، بل لا بد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور:

**أحدها:** أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

**الثاني:** أن يكلف نفسه في أعماله أفعالاً تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي

---

**الملك في الآخرة، فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعاً والذين وفقوا للإشتداد على الصراط المستقيم)** فلم يفرطوا ولم يفرطوا **(فازوا بالدنيا والآخرة جميعاً)**.

**(فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط)** والإشتباه **(في ذلك وكيف تعمية الشيطان وتلبيسه)** وخدعه ومكره **(فيسهل عليك النزوع من الملك والجاه والإعراض عنهما والصبر عند فواته إذ تصير بتركه ملكاً في الحال وترجو به ملكاً في الآخرة، ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة أسبابه، فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف، بل لا بد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور.**

أحدها: **أن يهرب عن موضع الجاه حتى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور)** الحسان **(المحركة للشهوة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال الله تعالى: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾)**.

**(الثاني: أن يكلف نفسه في أعماله أفعالاً تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل)** وهو

الحشمة بزي التواضع، وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه، فينبغي أن يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياد ضده. فلا معنى للمعالجة إلا المضادة.

**الثالث:** أن يرعى في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل، فإن الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدريج، فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض، ثم إذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض، إلى أن يقنع بالبقية. وهكذا يفعل شيئاً فشيئاً إلى أن يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه. وإلى هذا التدريج الإشارة بقوله ﷺ: « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى »

---

خلاف التصوّن (**وزي الحشمة بزي التواضع، وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه، فينبغي أن يبدلها بما يناقضها**) وفي نسخة بنقائضها (**حتى يترسخ باعتياد ذلك ضد ما قد رسخ فيه من قبل باعتياد ضده. فلا معنى للمعالجة إلا المضادة**).

(**الثالث: أن يرعى في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل**) وترك التكلف، (**فإن الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض، ثم إذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض إلى أن يقنع بالبقية، وهكذا يفعل شيئاً فشيئاً إلى أن يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه، وإلى هذا التدريج الإشارة بقوله ﷺ: « إن هذا الدين متين**) أي صلب شديد (**فأوغل فيه برفق**) أي سر فيه من غير تحمل ما لا تطيق والإيغال: السير الشديد والوغول: الدخول في الشيء (**ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله تعالى فإن المنبت**) وهو من انقطع به في السفر وعطبت راحلته (**لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى »**) أي فلا هو قطع الأرض التي قصدها ولا هو أبقى ظهره ينتفع به. رواه أحمد والبزار والبيهقي والعسكري في الأمثال من حديث جابر وضعف، وقد روي مختصراً من حديث أنس: « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » رواه هكذا أحمد والضياء ويروى: « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباده فإن المنبت لا يقطع سفراً ولا يستبقي ظهراً » رواه البيهقي من حديث عائشة. ويروى أيضاً مثل سياق المصنف إلا أنه قال بعد قوله برفق: « ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك فإن المنبت لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى فاعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت أبداً واحذر حذر من يخشى أن يموت غداً ». وفي لفظ: « يظن أنه لن يموت إلا هرماً » رواه البيهقي والعسكري من حديث ابن عمر. وقال البيهقي: روي هذا الحديث من طرق موصولاً ومرسلاً ومرفوعاً وموقوفاً، وفيه اضطراب. ورجح البخاري في التاريخ أرساله وقد تقدم في كتاب ترتيب الأوراد. (**وبقوله**

وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «لاتشادّوا هذا الدين فإن من يشادّه يغلبه».

فإذاً ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات، فاتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل، فإن تفصيل الآحاد يطول. ومن راعى التدريج ترقى به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه، فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوباً عنده ممقوتاً وما كان مكروهاً عنده مشرباً هنيئاً لا يصبر عنه. وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات، فإن الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهراً. فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم، حتى إذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب. وإلى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين أنه سأل الشبلي عن الصبر أيه أشد؟ فقال: الصبر في الله تعالى، فقال: لا، فقال الصبر لله، فقال: لا، فقال: الصبر مع الله، فقال: لا، قال: فايش؟ قال: الصبر عن الله، فصرخ الشبلي

---

ﷺ: «**لا تشادوا هذا الدين فإن من يشاده يغلبه**») رواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ: «لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا» وقد تقدم أيضاً في كتاب ترتيب الأوراد.

**(فإذاً ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات، واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل، فإن تفصيل الآحاد يطول. ومن راعى التدريج)** والتلطف **(يرقى به الصبر إلى حالة لا يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوباً عنده ممقوتاً، وما كان مكروهاً عنده مشرباً هنيئاً لا يصبر عنه، وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والذوق)** الصحيح **(وله نظير في العادات، فإن الصبي يحمل على التعلم في الإبتداء قهراً)** عليه **(فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم، حتى إذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب، وإلى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين أنه سال)** أبا بكر **(الشبلي)** قدس سره **(في الصبر أيه أشد؟ فقال: الصبر في الله)** وهو الصبر على تغيير الأخلاق المذمومة والإتصاف بالمحمودة والإشتغال بأنواع الطاعات. **(فقال: لا. قال: الصبر لله)** تعالى وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله تعالى وهو متأدب معه في حمل ما يرد منه راض بذلك. **(قال لا. قال: الصبر مع الله)** وهو الصبر على ذلك مع التبرىء من الحول والقوة. **(قال: لا. قال: فايش)** أي أي شيء هو؟ **(قال الصبر**

صرخة كادت روحه تتلف. وقد قيل في معنى قوله تعالى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [ آل عمران: ٢٠٠ ] اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله، وقيل: الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء. وقد قيل في معناه:

والصبر عنك مذموم عواقبه ... والصبر في سائر الأشياء محمودُ

وقيل أيضاً:

---

**عن الله )** وهو أن يبعد الله العبد عنه بعد تقريبه إليه فيلازم الباب ويتمرغ في التراب، **( فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه )** أن **( تتلف )** لأن قلبه لم يحمل البعد ولا سماع ذكره، فهذا الصبر مذموم. وهذا قد أورده القشيري في الرسالة سماعاً عن محمد بن الحسين قال: سمعت علي بن عبدالله البصري يقول: وقف رجل على الشبلي فقال: أي صبر أشد على الصابرين فذكره. وقال بعضهم: الصبر لله ما كان في أول العبادات، والصبر مع الله ما كان في أثنائها، والصبر بالله ما كان بعد الفراغ منها. **( وقد قيل في معنى قوله تعالى: ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ أي اصبروا في الله )** تعالى أي في طاعته، **( وصابروا بالله )** تعالى أي بعونه، **( ورابطوا مع الله )** تعالى أي بالأدب معه ودوام تعظيمه نقله القشيري. وقيل: الصبر دون المصابرة، والمصابرة دون المرابطة. وقيل: اصبروا بنفوسكم على طاعة الله وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله. وقيل: حالك التي أنت فيها رباطك وما دون الله تعالى اعداؤك، فاحسن المرابطة في رباط حالك. وقيل: المصابرة هي الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر فيعجز الصبر عن الصبر كما قيل:

صابر الصبر فاستغاث به الصـ ... ـبر فصاح المحب بالصبر صبرا

كل ذلك نقله القشيري.

**( وقيل: الصبر لله عناء )** أي مشقة وكلفة، **( والصبر بالله بقاء )** أي عون منه، **( والصبر مع الله وفاء )** لما امتحن به، **( والصبر عن الله جفاء )** أي بعد وإعراض عنه نقله القشيري، وزاد بعد قوله بقاء، والصبر في الله بلاء أي اختبار وامتحان بما ينزل من القضاء **( وقد قيل في ذلك )** شعر:

**( والصبر عنك فمذموم عواقبه ... والصبر في سائر الأشياء محمود )**

نقله القشيري وأورد أيضاً:

وكيف الصبر عمن حل مني ... بمنزلة اليمين من الشمالِ

إذا لعب الرجال بكل شيء ... رأيت الحب يلعب بالرجالِ

**الصبر يجمل في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يجمل**

**هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره.**

---

**( وقيل أيضاً ):**

**( والصبر يحمد في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يحمد )**

أورده القشيري بعد قوله: وقال يحي بن معاذ الرازي: صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبرون وأنشد فذكره.

وقال الشيخ عبدالله الأنصاري: ومن أضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العامة، وفوقه الصبر بالله وهو صبر المريدين وفوقه الصبر على أحكام الله وهو صبر السالكين ومعنى كلامه: إن صبر العامة لله أي رجاء ثوابه وخوف عقابه، وصبر المريدين بالله أي بقوة الله ومعونته بهم لا يرون لأنفسهم صبراً ولا قوة عليه بل حالهم التحقق بلا حول ولا قوة إلا بالله علماً ومعرفة وحالا وفوقها الصبر على الله أي على أحكامه هذا تقرير كلامه.

قال صاحب البصائر. والصواب أن الصبر لله فوق الصبر بالله وأعلى درجة وأجل شأناً، فإن الصبر لله متعلق بالإلهية، والصبر به متعلق بربوبيته وما تعلق بالإلهية أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته، ولأن الصبر له عبادة والصبر به استعانة والإستعانة وسيلة والعبادة غاية والغاية مرادة لنفسها والوسيلة مرادة لغيرها، ولأن الصبر به مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر، فكل من شهد الحقيقة الكونية صبر به، وأما الصبر به فمنزلة الأنبياء والرسل والصديقين ولأن الصبر له صبر فيما هو حق له محبوب مرضي لديه، والصبر قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوط له وقد يكون في مكروه أو مباح، فأين هذا من هذا، وأما تسمية الصبر على أحكامه صبراً عليه فلا مشاحة في العبارة بعد معرفة المعنى والله أعلم.

**( هذا آخر ما أردنا شرحه في علوم الصبر وإسراره )** وقد بقي في الباب بعض مهمات لم يشر إليها المصنف مما هو في كتب الشيوخ. قال القشيري في الرسالة، قال أبو القاسم الحكيم: قوله تعالى: ﴿واصبر﴾ أمر بالعبادة وقوله: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ [ النحل: ١٢٧ ] عبودية فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك، فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية. قال ﷺ: « بك أحيا وبك أموت ». وقال ذو النون المصري: الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة. وقال ابن عطاء: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقيل: هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى. وقال أبو عثمان الصبار: الذي عوّد نفسه الهجوم على المكاره. وقيل: الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية. وقال عمرو بن عثمان: الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنّة. وقال رويم: الصبر ترك الشكوى. وقال ذو النون: الصبر هو الإستغاثة بالله. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: أنشدني أبو بكر الرازي قال: انشدني ابن عطاء لنفسه:

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة وحسبي أن ترضى ويتلفني صبري

وسمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول: الصبر كإسمه. وقال علي رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو. وقال أبو محمد الحريري: الصبر أن لا تفرق بين حال النعمة والمحبة مع سكون الخاطر فيهما، والصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة، وانشد بعضهم:

صبرت ولم اطلع هواك على صبري وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبرِ
مخافة أن يشكو ضميري صبابتي إلى دمعتي سراً فتجري ولا أدري

وقيل: تجرع الصبر فإن قتلك قتلك شهيداً وإن أحياك أحياك عزيزاً. وقيل: الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج. وفي بعض الأخبار: بعيني ما يتحمل المتحملون لأجلي. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت. وكان ابن شبرمة إذا نزل به بلاء قال سحابة ثم تنقشع. وسئل السري عن الصبر فجعل يتكلم فيه فدبّ على رجله عقرب وهي تضربه بابرتها ضربات كثيرة وهو ساكن، فقيل له: لم لم تنحها؟ فقال: استحييت من الله تعالى أن أتكلم في الصبر ولا لي صبر. وفي بعض الأخبار: الفقراء الصُبَّر هم جلساء الله يوم القيامة. وأوحى الله إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فماطلته بالإجابة فشكاني فقلت: عبدي كيف أرحمك من شيء به أرحمك. وسمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول: إن الصبر حدّه أن لا تعترض على التقدير فأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر. قال الله تعالى في قصة أيوب عليه السلام: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أوّاب﴾ [ ص: ٤٤ ] مع ما أخبر عنه أنه قال: ﴿مسّني الضرّ﴾ [ الأنبياء: ٨٣ ] وسمعته يقول استخرج منه هذه المقالة يعني قوله: مسنى الضر ليكون منفساً لضعفاء هذه الأمة، وسمعته يقول: حقيقة الصبر الخروج عن البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال في آخر بلائه ﴿مسني الضر﴾ الآية. فحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ ولم يصرح بقوله: ارحمني.

اعلم ان الصبر على ضربين: صبر العابدين وصبر المحبين، فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظاً، وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضاً وفي معناه أنشد:

تبين يوم البين ان اعتزامه على الصبر من إحدى الظنون الكواذب

وفي هذا المعنى سمعت الاستاذ أبا علي يقول: أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال: ﴿فصبر جميل﴾ [ يوسف: ٨٣ ] أي فشأني صبر جميل ثم لم يمس حتى قال ﴿يا أسَفَا على يوسف﴾ [ يوسف: ٨٤ ] إلى هنا كله كلام القشيري.

وقال صاحب العوارف: لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل، وجوهر العقل الصبر، فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين، والصبر جار في الصابر مجرى الأنفاس لأنه يحتاج إلى الصبر عن كل منهي ومكروه ومذموم ظاهراً وباطناً، والعلم يدل والصبر يقبل فلا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر، ومن كان العلم سياسته في الظاهر والباطن لا يتم له ذلك إلا إذا كان الصبر مستقره

ومسكنه، والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما وبالصبر تحامل على النفس وبالعلم ترقى إلى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والجسد ليستقر كل واحد منهما في مستقره، وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال، وبانفصال أحدهما عن الآخر ـ أعني العلم والصبر ميل أحدهما إلى الآخر أعني النفس والروح ـ وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿واصبروما صبرك إلا بالله﴾ [ النحل: ١٢٧ ] أضاف الصبر إلى نفسه لشريف مكانه وتكميل النعمة به، ثم نقل مراجعة الرجل مع الشبلي في أشد الصبر كما تقدم ذكره، ثم قال: وعندي في معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه، وذلك أن الصبر عن الله يكون في أخص معاملة المشاهدة، ثم يرجع العبد عن مولاه استحياء واجلالاً وتنطف بصيرته خجلاً وذوباناً ويتغير في مفاوز استكانته وتخفيه لإحساسه بعظيم أمر التجلي، وهذا من أشد الصبر لأنه يود استدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال، والروح تود أن تكتحل بصيرتها بأشعة نور الجمال، وكما أن النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة فاشتد الصبر عن الله تعالى لذلك وقال جعفر الصادق رحمه الله تعالى: أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأعلى للرسول ﷺ حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ إلى هنا كلام صاحب العوارف.

وقال صاحب القوت في شرح مقام الصبر، قال بعض الصحابة: ماذا جعل الله من الشفاء والفضل في التقوى والصبر؟ قلت: وهذا تصحيف من صاحب القوت أو من الكاتب نبه على ذلك أبو الحسن نصر بن أحمد الفارسي قال: إنما هو من قول النبي ﷺ ماذا في الامرين من الشفاء الثقاء، والصبر يعني بالثقاء حب الرشاد، والصبر هو المرثم. قال صاحب القوت: وكان سهل يقول: الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة الصبر عن المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال في معنى قوله تعالى ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾ [ الأعراف: ١٢٨ ] أي استعينوا بالله على أمر الله واصبروا على أدب الله، وكان يقول الصالحون في المؤمنين قليل والصابرون في الصالحين قليل، فجعل الصبر خاصية الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين، وكذلك الله سبحانه رفع الصابرين على الصادقين في ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاماً في الصدق في قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ [ الأحزاب: ٣٥ ] الآية على أن الواو للجمع. والصبر ينقسم إلى عملين: أحدهما: لا صلاح للدين إلا به، والثاني: هو أصل فساد الدين. ثم يتنوّع الصبر فيكون صابراً على الذي فيه صلاح الدين فيكمل به إيمانه، ويكون صابراً عن الذي فيه فساد الدين فيحسن به يقينه. وكان ميمون بن مهران يقول: الإيمان والتصديق والمعرفة والصبر شيء واحد، ثم قال: فمن صبر عن الطمع في الخلق أخرجه الصبر إلى الورع، ومن صبر على الورع في الدين أدخله الصبر في الزهد، ومن طمع في التصديق الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا، ومن استشعر حب الدنيا أخرجه حبها من حقيقة الدين. وقد روينا: يؤتى بأشكر أهل

الأرض فيجزيه جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال: أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول: نعم يا رب. فيقول الله: كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين. وجاء في الخبر: إن لأبواب الجنة مصراعين يأتي عليها زحام إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد لا يدخل منه إلا الصابرون أهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد، وللصبر معنيان: أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما إلا بصاحبه، فمن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الأحوال من حيث كان التقوى أفضل المقامات إذ الأتقى هو الاكرم عند الله، والأكرم عند الله هو الأفضل، وقيل لسفيان الثوري: ما أفضل الأعمال؟ قال: الصبر عند الابتلاء. وقال بعض العلماء: لا يطمئن طامع في مدح الله تعالى وحسن ثنائه عليه قبل أن يبتليه فيصبر له، ولا يطمعن أحد في حقيقة الإيمان وحسن اليقين قبل أن يمدحه الله تعالى ويثني عليه، ولو أظهر الله تعالى على جوارحه سائر الأعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة، وذلك من أخلاق الله تعالى انه إذا أحب عبداً أو رضي عمله مدحه ووصفه، فمن ابتلاه بكراهة ومشقة أو هوى أو شهوة فصبر لذلك أو صبر عن ذلك فإنه تعالى يمدحه ويثني عليه بكرمه وجوده، فيدخل هذا العبد في أسماء الموصوفين ويصير واحداً من الممدوحين، فعندها يثبت قدمه من الزلل ويختم له بما سبق له من صالح العمل، وأفضل الصبر الصبر على الله تعالى بالمجالسة والإصغاء إليه وعكوف الهمم عليه وقوّة الوجد به، وهذا لخصوص المقربين أو حياء منه أو حباً له أو تسليماً له أو تفويضاً إليه وهو السكون تحت جريان الاقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقتسام وشهود المشيئة له والحكمة فيها والقصد بالابتلاء بها وهو داخل في قوله تعالى: ﴿ولربك فاصبر﴾ [ المدثر: ٧ ] وفي قوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ [ الطور: ٤٨ ] وقال سهل في تأويل قول علي رضي الله عنه: ان الله يحب كل عبد نؤمة. قال: هو الساكن تحت جريان الأحكام عن الكراهة والاعتراض. وقال عمر بن عبد العزيز: أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القدر. ويقال: من علامات اليقين التسليم للقضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين، والصبر أيضاً على إظهار الكرامات وهي الأخبار بكشف القدرة والآيات داخل في حسن الأدب من المعاملات، وهذا في معنى الحياء من الله تعالى وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد. ومن فضائل الصبر حبس النفس عن حب الحمد والمدح والرئاسة، وقد روينا في خبر مقطوع: الصبر في ثلاث: الصبر عن تزكية النفس، والصبر عن شكوى المصيبة، والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى خيره وشره.

واعلم ان أكثر معاصي الخلق في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، أو قلة الصبر عما يكرهون، وقد قرن الله الكراهة بالخير والمحبة بالشر في قوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ [ البقرة: ٢١٦ ] وهو الصبر وهو أول فريضة مثل أول الاخلاص، والصبر أيضاً حيلة من لا حيلة له لأن الأمر إذا كان بيد غيرك لم يكن لك إلا

الصبر عليه ولأن الشيء إذا كان لا يأتيك إلا قليلاً قليلاً وأنت تحتاج إليه لم يكن لك إلا الصبر عليه، وإلا انقطع ذلك القليل. وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له لأنه لو قوي يقينه كان الآجل من الوعد عاجلاً إذا كان الواعد صادقاً، فحسن صبره لقوّة الثقة بالاعطاء ولا يصبر العبد إلا لأجل معنيين: مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام أصحاب اليمين، أو النظر إلى المعوّض وهو حال الموقنين ومقام المقربين، فمن شهد العوض غني بالصبر، ومن نظر إلى المعوّض حمله النظر، والتصبر على الصبر هو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه وهو التعمل للصبر بمنزلة التزهد وهو أن يعمل في أسباب الزهد لتحصيل الزهد والزهد والصبر هو التحقق بالوصف وذلك هو المقام. إلى هنا كلام صاحب القوت.

وقال صاحب البصائر نقلاً عن بعض المشايخ: كان صبر يوسف عليه السلام عن طاعة امرأة العزيز أكمل من صبره على إلقاء اخوته إياه في الجب وبيعهم وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ليس للعبد حيلة فيها عن الصبر، وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس، ولاسيما مع أسباب تقوى معها داعية الموافقة فإنه كان شاباً وداعية الشاب إليها قوية، وكان عزباً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه بين أصحابه وأهله، ويحسبونه مملوكاً والمملوك ليس وازعه كوازع الحر والمرأة جميلة وذات منصب وقد غاب الرقيب وهي الداعية له إلى نفسها والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته بالسجن إن لم يفعل، فمع هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيثاراً لما عند الله. وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه، والصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية.

واعلم أن الشكوى إلى الله عز وجل لا تنافي الصبر، فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل والنبي إذا وعد لا يخلف ثم قال: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦] وكذلك أيوب عليه السلام أخبر الله عنه انه وجد صابراً مع قوله: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣] وإنما ينافي الصبر شكوى الله لا الشكوى إلى الله، كما رؤي بعضهم يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال: يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ثم أنشد:

وإذا اعترتـك بليـة فـاصبر لها صبر الكـريم فـإنـه بـك أرحـمُ
وإذا شكـوت إلى ابـن آدم لا كما تشكـو الرحيم إلى الذي لا يـرحـمُ

والله أعلم.

# الشطر الثاني من الكتاب في الشكر

وله ثلاثة أركان:

**الأول: في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه.**
**الثاني: في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة.**
**الثالث: في بيان الأفضل من الشكر والصبر.**

## الركن الأول في نفس الشكر

**بيان فضيلة الشكر:**

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [ العنكبوت: ٤٥ ] فقال تعالى: ﴿فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ واشْكُرُوا لي وَلاَ تَكْفُرُون﴾

---

( **الشطر الثاني من الكتاب في الشكر** ) وهو المقام الثالث من مقامات اليقين ( **وله أركان ثلاثة** ):

( **الأول: في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه.**

**الثاني: في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة.**

**الثالث: في بيان الأفضل من الشكر والصبر** ).

**الركن الأول في نفس الشكر**، وفيه بيان فضيلته وحقيقته وأحكامه وأقسامه.

**بيان فضيلة الشكر:**

( **اعلم** ) وفقك الله تعالى ( **ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه** ) العزيز وأمر به ( **مع أنه** ) تعالى عظم الذكر حيث ( **قال﴿ولذكر الله أكبر﴾ فقال تعالى ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾** ) فصار الشكر أكبر لاقترانه به ورضى بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لأن قوله تعالى: ﴿فإذكروني أذكركم واشكروا لي﴾ خرج في لفظ المجازاة لتحقق الامر وتعظيم الشكر، لأن الفاء للشرط والجزاء والكاف المتقدمة للتمثيل فقوله تعالى: ﴿فاذكروني﴾ متصل بقوله: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم فاذكروني واشكروا لي﴾ والمعنى كمثل ما أرسلت فيكم رسولاً منكم فاشكروا وهم يكتفون عن مثل بالكاف كما يكتفون عن سوف بالسين، وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى: ( **وقال تعالى ﴿ما**

[ البقرة: ١٥٢ ]، وقال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ الله بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [ النساء: ١٤٣ ]، وقال تعالى: ﴿وسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [ آل عمران: ١٤٥ ]، وقال عز وجل اخباراً عن إبليس اللعين: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [ الأعراف: ١٦ ]، قيل هو طريق الشكر ولعلوّ رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال: ولا تجد أكثرهم شاكرين، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [ سبأ: ١٣ ]، وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن، فقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنَّكُم﴾ [ إبراهيم: ٧ ]، واستثنى في خمسة أشياء في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَغْنيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شَاءَ﴾ [ التوبة: ٢٨ ]، وقال: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تدعُونَ إليهِ إنْ شَاءَ﴾ [ الأنعام: ٤١ ]، وقال: ﴿وَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ آل عمران: ٣٧ ]، وقال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء﴾ [ النساء: ٤٨ ]، وقال: ﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [ التوبة: ١٥ ]، وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى: ﴿واللهُ شَكُورٌ رَحِيمٌ﴾ [ التغابن: ١٧ ]، وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل

---

**يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ )** فقرن الشكر بالإيمان ورفع بوجودهما العذاب. **( وقال تعالى: ﴿وسنجزي الشاكرين﴾ )** وقال أيضاً ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ [ آل عمران: ١٤٤ ] **( وقال عز وجل اخبارا عن إبليس اللعين ﴿لاقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ قيل: هو )** طريق **( الشكر )** هذا أحد الوجوه في الآية نقله صاحب القوت وقال: فلولا أن الشكر طريق قريب يوصل إلى الله تعالى لما عمل العدوّ في قطعه، **( ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال: ولا تجد أكثرهم شاكرين )** فلولا أن الشاكر حبيب رب العالمين ما قال ذلك، **( و )** كذلك **( قال تعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ )** كما قال تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ [ سبأ: ٢٠ ] وفي الآية تنبيه على أن توفية شكر الله صعب ولذلك لم يثن بالشكر من أوليائه الاعلى اثنين قال في وصف إبراهيم عليه السلام شاكراً لأنعمه. وقال في نوح عليه السلام: ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ **( وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن )** فيه **( فقال )** ﴿وإذ تأذن ربكم **( لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ )** ﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ **( واستثنى في خمسة أشياء في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى: ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ وقال )** تعالى: **( ﴿فيكشف ما تدعون إليه ان شاء﴾ وقال )** تعالى **( ﴿ويرزق من يشاء﴾ وقال )** تعالى **( ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ )** وقال أيضاً ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ [ التوبة: ٢٧ ] فالشاكر على مزيد والشكور في نهاية المزيد وهو الذي يكثر شكره على القليل من العطاء ويتكرر منه الشكر والثناء على الشيء الواحد من النعم **( وهو خلق من اخلاق الربوبية إذ قال تعالى: ﴿والله**

الجنة، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾[ الزمر: ٧٤ ]، وقال: ﴿وآخِرَ دَعْوَاهُمْ أن الحمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [ يونس: ١٠ ].

**وأما الأخبار:** فقد قال رسول الله ﷺ: « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »

---

**شكور حليم﴾ )** لأنه سماه باسم من أسمائه والمزيد هو إلى المنعم يجعله ما شاء، فافضل المزيد حسن اليقين ومشاهد الصفات وأول المزيد شهود النعمة انها من المنعم بها من غير حول ولا قوّة إلا بالله وأوسط المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والاستعمال وقد يكون المزيد اخلاقاً، وقد يكون علوماً، وقد يكون في الآخرة تثبيتاً عند فراق الدنيا. وقال صاحب البصائر: وإذا وصف الله بالشكر في قوله: ﴿إنه شكور حليم﴾ فإنما يعني به انعامه على عباده وجزاءه بما أقامه من العبادة، **( وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة )** وختام تمنيهم **( فقال تعالى ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ )** نتبوأ من الجنة حيث نشاء **( وقال: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ )** فلولا أنه أحب الاعمال إليه ما بقاهم عليه لديه، ومما يدل على فضيلة الشكر من الآيات قوله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ [ سبأ: ١٣ ] واختلف فيه، فقيل: هو منصوب على التمييز، والمعنى: اعملوا ما تعملونه شكرا لله، وقيل: هو مفعول لقوله اعملوا ولم يقل اشكروا لينبّه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح، وقال الله تعالى: ﴿واشكروا الله إن كنتم اياه تعبدون﴾ [ البقرة: ١٧٢ ] وقال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾ إلى قوله ﴿لعلكم تشكرون﴾ [ النحل: ٧٨ ] وقال تعالى: ﴿إنّ في ذلك لآية لكل صبار شكور﴾ [ إبراهيم: ٥ ] وقال تعالى: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [ الزمر: ٧ ] فجعل رضاه عن عباده مشروطاً بالشكر وهي منقبة عظيمة له.

**( وأما الاخبار فقد قال ﷺ: « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » )** قال العراقي: علقه البخاري وأسنده الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة. ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفي إسناده اختلاف اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة، ولفظ الترمذي حسن غريب، وأما لفظ ابن ماجه من حديث سنان بن سنة الأسلمي وله صحبة « الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر » وقد رواه كذلك أحمد والدارمي والبغوي والطبراني والضياء وسنة ضبطوه بالفتح على الصواب، وقد أشار الحافظ إلى الاختلاف الواقع في سنده في الإصابة فراجعه.

**تنبيه:**

قال الطيبي قد تقرر في علم المعاني أن التشبيه يستدعي جهة جامعة والشكر نتيجة النعماء، كما أن الصبر نتيجة البلاء فكيف شبه الشاكر بالصابر ؟

وجوابه: أنه ورد الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر فقد يتوهم أن ثواب شكر الطاعم يقصر عن ثواب صبر الصائم فأزيل توهمه به يعني هما سيان في الثواب، ولأن الشاكر لما رأى

وروي عن عطاء أنه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: وأي شأنه لم يكن عجباً؟ أتاني ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال: « يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي » قلت: قلت إني أحب قربك لكني أوثر هواك فأذنت له، فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة، فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: « أفلا أكون عبداً شكوراً » ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى علي ﴿ إنَّ في خَلْقِ السَّمَواتِ

---

النعمة من الله تعالى وحبس نفسه على محبة المنعم بالقلب وإظهارها باللسان نال درجة الصابر، فالتشبيه واقع في حبس النفس بالمحبة والجهة الجامعة حبس النفس مطلقاً.

( **وروي عن عطاء بن أبي رباح** ) فيما أخرجه أبو القاسم القشيري في الرسالة فقال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان الاهوازي، أخبرنا أبو الحسن الصفار، حدثنا الاسقاطي، حدثنا منجاب، حدثنا يعلى عن أبي جناب عن عطاء ( **قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها** ) مع عبيد بن عمير ( **فقلت:** ) يا أم المؤمنين ( **أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: وأي** ) شيء من ( **شأنه لم يكن عجباً؟** ) أنه ( **أتاني ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مسّ جلدي جلده ثم قال: « يا ابنة أبي بكر ذريني** ) أي اتركيني ( **أتعبد لربي » . قالت: قلت إني أحب قربك مني** ) ثم وافقته في مطلوبه ( **لكني أؤثر هواك فأذنت له** ) فيه ( **فقام إلى قربة** ) من ( **ماء** ) وكانت معلقة فحلّها ( **فتوضأ** ) منها ( **فلم يكثر صب الماء** ) أي توضأ وضوءاً خفيفاً. ولفظ الرسالة فأكثر صب الماء أي على أعضائه فأحسن وضوءه، ( **ثم قام يصلي فبكى** ) وهو قائم ( **حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى** ) وهو راكع، ( **ثم رفع رأسه فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه** ) بالمد أي أعلمه ( **بالصلاة** ) أي صلاة الفجر، ( **فقلت: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال « أفلا أكون عبداً شكوراً ولم لا أفعل ذلك** ) أي أبكي ( **وقد أنزل الله عليّ ﴿ إنَّ في خلق السموات والأرض﴾ الآية »** ). قال العراقي: رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ، ومن طريقه ابن الجوزي وفيه ابن جناب واسمه يحي بن أبي حية ضعفه الجمهور، ورواه ابن حبان في صحيحه وفي رواية عبد الملك بن سليمان عن عطاء دون قولها: وأي شأنه لم يكن عجباً، وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصراً على آخر الحديث اهـ.

قلت: لقد أبعد الشيخ النجعة، وهذا قد أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي الدنيا في التفكر، وابن حبان في صحيحه، وابن عساكر كلهم من طريق عطاء قال:

وَالأَرْضِ﴾ [ آل عمران: ١٩٠ ] الآية »؟، وهذا يدل على أنّ البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا السر يشير ما روي أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال: منذ سمعت قوله تعالى: ﴿وقُودُها النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾ [ البقرة: ٢٤ ـ التحريم: ٦ ]، فأنا أبكي من خوفه، فسأله أن يجيره من النار فأجاره، ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال: لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور! وقلب العبد كالحجارة أو أشدّ قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء

---

قلت لعائشة أخبريني الحديث وفي آخره ثم قال: « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ». ولفظ الصحيح أنه ﷺ قام حتى تورمت قدماه فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال « أفلا أكون عبداً شكوراً »، قال ابن حجر في شرح الشمائل: وقد ظن من سأله ﷺ في سبب تحمله المشقة في العبادة أن سببها إما خوف الذنب أو رجاء المغفرة، فأفادهم أن لها سبباً آخر أتم وأكمل هو الشكر على التأهل لها مع المغفرة وإجزال النعمة، وهو أعني الشكر الاعتراف بالنعمة والقيام في الخدمة ببذل المجهود، فمن أدام ذلك كان شكوراً وقليل ما هم، ولم يفز أحد بكمال هذه المرتبة غير نبينا ﷺ ثم سائر الأنبياء عليهم السلام، وإنما ألزموا بذلك في الجد في العبادة وعظيم الخشية لعلمهم بعظيم نعمة ربهم عليهم ابتداء بها فضلاً ومنة من غير سابقة توجب استحقاقها أداء لبعض الشكر، وإلاّ فحقوقه تعالى أعظم من أن يقوم بها أحد من خلقه.

( **وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا السر يشير ما روي** ) وفي بعض الأخبار ( **أنه مرَّ بعض الأنبياء** ) من بني إسرائيل ( **بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه** ) لمخالفته العادة ( **فأنطقه الله تعالى** ) معه فسأله عن سبب ذلك ( **فقال: منذ سمعت قوله** ) تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ( **وقودها الناس والحجارة**﴾ **فأنا أبكي من خوفه** ) أي من خوفي إياه أن يجعلني من تلك الحجارة. قال: ( **فسأله** ) تعالى ( **أن يجيره من النار فأجاره** ) بوحي منه إليه وعلم الحجر بذلك، ( **ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك** ) الحال ( **فقال: لم تبكي الآن** ) وقد غفر الله لك بدعائي ( **فقال: ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور** ) هكذا نقله القشيري في الرسالة وأنشدوا في المعنى:

هجم السرور عليَّ حتى أنني ... من فرط ما قد سرني أبكاني
يا عين صار الدمع عندي عادة ... تبكين في فرح وفي أحزان

ويقال: إن دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة، ( **وقلب العبد كالحجارة** ) أي في شدته ويبسه ( **أو أشد قسوة** ) منها وذلك بنص القرآن. ( **ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال**

في حال الخوف والشكر جميعاً. وروي عنه ﷺ أنه قال: «ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة، قيل: ومن الحمادون؟ قال: الذين يشكرون الله تعالى على كل حال» وفي لفظ آخر: «الذين يشكرون الله على السراء والضراء» وقال ﷺ: «الحمد رداء الرحمن» وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام إني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين: إن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام، وعند الشكر أستزيدهم، وبالنظر إليّ أزيدهم. ولما نـزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه: أي المال نتخذ؟ فقال عليه السلام: «ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً» فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلاً عن المال. وقال ابن مسعود: الشكر نصف الإيمان.

---

**الخوف والشكر جميعاً)** فإنه يلينه ويزيل صلابته. (**وروي عنه ﷺ أنه قال «ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون)** أي كثيرو الحمد لله تعالى على نعمه (**فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة» قيل)**: يا رسول الله (**ومن الحمادون» قال: «الذين يشكرون الله تعـالى على كل حال». وفي لفظ آخر: «الذين يشكرون الله على السراء والضراء»)** قال العراقي: رواه الطبراني، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ «أول من يدعى إلى الجنة الحمادون» الحديث. وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: لفظ الطبراني «أوّل من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء». ورواه كذلك أبو الشيخ والحاكم وابن مردويه.

(**وقال ﷺ «الحمد رداء الرحمن»)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً. وفي الصحيح: «الكبرياء رداؤه». وقد تقدم في العلم، (**وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام: إني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل)** هكذا هو في القوت. قال: وقد روينا في أخبار أيوب عليه السلام: إن الله سبحانه أوحى إليه فذكره. (**وأوحى الله إليـه أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام، وعند الشكر استزيدهم وبالنظر إليَّ أزيدهم)** نقله صاحب القوت فقال: وروينا في مناجاة أيوب عليه السلام إن الله تعالى أوحى إليه في صفة الصابرين فذكره وهذا غاية الفضل. (**ولما نزل في الكنوز ما نزل)** وهو قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ [التوبة: ٣٤] الآية (**قال عمر رضي الله عنه: فأي المال نتخذ؟ فقال ﷺ: «ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً» فأمر باقتناء القلب الشاكر)** واتخاذه مالاً في الآخرة (**بدلاً عن المال)** في الدنيا، وشكر القلب هو مشاهدة المنعم في النعمة وظهور المعطي عند العطاء حتى ترى النعمة عنده منه والعطاء عنه، لأن الشكر عند الشاكرين معرفة القلب ووصفه لا وصف اللسان. كذا في القوت، وقد عزاه إلى ثوبان وعمر رضي الله عنهما.

**بيان حد الشكر وحقيقته:**

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل، فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه. ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك

---

قلت: رواه أحمد، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، وأبو نعيم في الحلية من حديث ثوبان «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكرا وزوجة مؤمنة تعين على أمر الآخرة». وقد تقدم في كتاب النكاح.

**( وقال ابن مسعود )** رضي الله عنه: **( الشكر نصف الإيمان )**. وقد روي من حديث أنس مرفوعاً «الإيمان نصفان: نصف في الصبر ونصف في الشكر» رواه الديلمي، والبيهقي وقد تقدم قريباً.

ومن الأخبار الواردة في الشكر أنه ﷺ قال لمعاذ «إني أحبك فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك». وفي الترمذي من بعض دعائه المشهور: «رب اجعلني لك شكاراً لك ذكاراً لك رهاباً لك مطواعاً لك مخباباً إليك أوّاهاً منيباً، وفي حديث عمر: الحمد على النعمة أمان لزوالها. وفي حديث ابن عمر: والحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده.

**بيان حدّ الشكر وحقيقته:**

**( اعلم )** أنهم قد اختلفوا في الفرق بين الحمد والشكر أيها أفضل. وفي الحديث المتقدم: الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره، والفرق بينهما أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا أن الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناء واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً، ومتعلقه النعم دون الأوصاف الذاتية فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه وهو المحمود بها كما هو محمود على إحسانه وعدله والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس فإن الشكر يقع بالجوارح والحمد باللسان، فإذا عرفت ذلك فاعلم **( أن الشكر من جملة مقامات السالكين )** وهو الثالث من مقامات اليقين، **( وهو أيضاً )** كما تقدم **( ينتظم من علم وحال وعمل، فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل )** وبه يتضح الفرق بين المقامات والأحوال، وقد تقدم الكلام عليه في شرح كتاب التوبة. **( أما العلم؛ فهو معرفة النعمة من المنعم، وأما الحال فهو الفرح الحاصل بانعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه. ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بدّ من بيان ذلك ليحصل**

ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه.

**فالأصل الأول:** العلم وهو علم بثلاثة أمور بعين النعمة، ووجه كونها نعمة في حقه، وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه. فإنه لا بدّ من: نعمة، ومنعم، ومنعم عليه تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة، فهذه الأمور لا بد من معرفتها. هذا في حق غير الله تعالى، فأما في حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم، كلها من الله وهو المنعم، والوسائط مسخرون من جهته.

وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها. بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس. ثم إذا عرف ذاتاً مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس: وهو التوحيد. ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط، فالكل نعمة منه، فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد: كمال القدرة والإنفراد بالفعل. وعن هذا عبر رسول الله ﷺ حيث قال: « من قال سبحان الله فله عشر حسنات، ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة » وقال ﷺ: « أفضل الذكر لا إله إلا الله

---

**بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حدّ الشكر)** على ما سيأتي بيانه **(قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه).**

**(فالأصل الأول: العلم وهو العلم بثلاثة أمور بعين النعمة، ووجه كونها نعمة في حقه، وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الإنعام ويصدر الإنعام منه عليه، فإنه لا بد من: نعمة، ومنعم، ومنعم عليه تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة، فهذه الأمور لا بدّ من معرفتها، هذا في حق غير الله)** تعالى **(والوسائط مسخرون من جهته).**

**(وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها، بل الرتبة الاولى في معارف الإيمان التقديس)** وأعني به تنزيه الرب عن الجسمية وتوابعها، **(ثم إذا عرف ذاتاً مقدسةً فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد)** وهي الرتبة الثانية، **(ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط)** وأنه هو الذي أفاض الوجود عليه، **(بل الكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة)** من رتب الإيمان، **(إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل، وعن هذا عبّر رسول الله ﷺ قال: « من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة »)** تقدم في كتاب الأذكار

وأفضل الدعاء الحمد لله » وقال: « ليس شيء من الأذكار يضاعف مثل ما يضاعف الحمد لله » ، ولا تظنن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب « فسبحان الله » كلمة تدل على التقديس « ولا إله إلا الله » كلمة تدل على التوحيد « والحمد لله » كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق. فالحسنات بإزاء هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين.

واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال ، فمن أنعم عليك ملك من الملوك بشيء ، فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلاً في تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك به في النعمة ، فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه ، بل منه بوجه من غيره بوجه ، فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحداً في حق الملك نعم لا يغص من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وللكاغد الذي كتبه

---

والدعوات. قال صاحب القوت ليس لأن الحمد أعلى من التوحيد ولكن لفضل مقام الشكر ولان الله تعالى افتتح به كلامه في كتابه. **( وقال ﷺ « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله » )** قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي في اليوم والليلة ، وابن ماجه ، وابن حبان من حديث جابر انتهى.

قلت: ورواه كذلك الحاكم ، وعند البيهقي وابن النجار « أفضل الدعاء لا إله إلا الله وأفضل الذكر الحمد لله ».

**( وقال )** ﷺ : **( « ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله » )** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً ، وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن إبراهيم النخعي قال: يقال إن الحمد أكثر الكلام تضعيفاً ، **( ولا نظن أن هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب « فسبحان الله » كلمة تدل على التقديس )** إذ التسبيح لغة التقديس والتنزيه. يقال: سبحت الله أي نزهته عما يقوله الجاحدون **( « ولا إله إلا الله » كلمة تدل على التوحيد )** إذ معناها لا معبود بحق إلا الله **( « والحمد لله » كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق )** لا غيره وهو المنعم المطلق. **( فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين )** ومنها يدخل إليها.

**( واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأعمال ، فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلاً في تيسير ذلك وإيصاله )** إليه فهو إشراكه به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه ، **( فيتوزع )** أي ينقسم **( فرحه عليهما فلا يكون موحداً في حق الملك )** في الحقيقة. **( نعم لا يغص من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد**

عليه، فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما، لأنه لا يثبت لهما دخلاً من حيث هما موجودان بأنفسهما، بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك. وقد يعلم أن الوكيل الموصل والخازن أيضاً مضطرّان من جهة الملك في الإيصال، وإنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم إليه شيئاً، فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد، فلا يورث ذلك شركاً في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك. وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلاً في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها، فإن الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها ليفعل شاءت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلاً إلى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده. فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي! وألقى في نفسه أنّ خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك، وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به. وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلاً إلى تركه فهو إذاً إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك، ولو لم يعلم أن منفعته في منفعتك لما

---

**الذي كتبه عليه، فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما، لأنه لا يثبت لهما دخلاً من حيث هما موجودان بأنفسهما، بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك، وقد يعلم أن الوكيل الموصل أو الخازن أيضاً** مضطـران **من جهة الملك في الإيصال، فإنه لو ردّ الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبته)** لو خالفه **( لما سلم شيئاً )** من تلك النعمة، **( فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركاً في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك، وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلاً في يد الكاتب والحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها، فإن الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلاً إلى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما أعطاه ذرة مما في يده )** أي قليلاً من النعمة **( فهو مضطر )** لا محالة **( إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي )** والبواعث **( وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك، وأن الغرض المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به، وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلاً إلى تركه فهو إذاً إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك، ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولو لم يعلم أن منفعته في**

نفعك فهو إذاً إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعماً عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى هو يرجوها. وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والإرادات ما صار به مضطر إلى الإيصال. إليك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله، وكنت موحداً وقدرت على شكره، بل كنت بهذه المعرفة بمجرّدها شاكراً. ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك؟ فقال الله عز وجل: علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكراً. فإذاً لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه، فإن خالجك ريب في هذا لم تكن عارفاً لا بالنعمة ولا بالمنعم، فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك؛ فهذا بيان هذا الأصل.

**الأصل الثاني:** الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع، وهو أيضاً في نفسه شكر على تجرّده كما أن المعرفة شكر ولكن إنما يكون شكراً إذا كان حاوياً شرطه، وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام،

---

**منفعتك لما نفعك، فهو إذاً إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعماً عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى هو يرجوها )** في نفسه، **( وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والإرادات ما صار به مضطراً إلى الإيصال إليك، فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحداً وقدرت على شكره، بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكراً، ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك؟ فقال الله عز وجل: علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكراً )** نقله القشيري في الرسالة، ورواه الحكيم في النوادر عن الحسن مرسلاً بلفظ قال موسى: يا رب كيف شكرك؟ قال: علم أن ذلك مني فكان ذلك شكره، **( فإذاً لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه، فإن خالجك ريب )** أي داخلك شك **( في هذا لم تكن عارفاً بالنعمة ولا بالمنعم، فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك. فهذا بيان هذا الأصل )**.

**( الأصل الثاني: الحالةالمستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة التواضع والخشوع )** وفي نسخة مع هيئة الخضوع والتواضع، **( وهو أيضاً في نفسه شكر على تجرده )** أي بمفرده **( كما أن المعرفة شكر )** بمفردها، **( وإنما تكون )** تلك الحالة **( شكراً إذا كان جامعاً شروطه )** أي الشكر، **( وشروطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام، ولعل**

ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلاً فنقول: الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فانعم بفرس على إنسان يتصوّر أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه:

**أحدها:** أن يفرح بالفرس من حيث أنه فرس وإنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وإنه جواد نفيس، وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فأخذه لكان فرحة مثل ذلك الفرح.

**الوجه الثاني:** أن يفرح به لا من حيث أنه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه، حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلاً لاستغنائه عن الفرس أصلاً أو استحقاره له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك.

**الوجه الثالث:** أن يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه، وربما يرتقي إلى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرساً ويعتني به هذا القدر من العناية، بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته، ثم إنه ليس يريد من الوزارة

---

**هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلاً )** ليتضح لك به فهم المقصود **( فنقول: الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأنعم بفرس )** من أفراسه المتزينة **( على إنسان يتصوّر أن يفرح المنعم عليه بالفرس )** المذكور **( من ثلاثة أوجه )**.

**( أحدها: أن يفرح بالفرس من حيث أنه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس )** للكر والفر، **( وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء )** مجاناً **( فأخذه لكان مثل ذلك الفرح )**.

**( الوجه الثاني: أن يفرح به لا من حيث أنه فرس، بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء وأعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلاً لاستغنائه عن الفرس أو لاستحقاره له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل )** أي المنزلة **( في قلب الملك )**.

**( الوجه الثالث: أن يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحتمل المشقة في السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي إلى درجة الوزارة )** وهي درجة تتلو درجة الملك **( من حيث أنه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أو يعطيه فرساً يعتني به هذا القدر من العناية، بل هو طالب أن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته )** وعلى يده،

الوزارة أيضاً بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه، حتى لو خيّر بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب، فهذه ثلاث درجات، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي، وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث أنه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الإنعام في المستقبل، وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وإنما الشكر التام في الفرح الثالث، وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث أنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام، فهذا هو الرتبة العليا، وأمارته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصدّه عن سبيله، لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد ومهملج بل من حيث إنه يحمله في صحبة

---

( ثم أنه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضاً بل مشاهدة الملك ) في غالب أحواله ( والقرب منه ) في سائر أحيانه ( حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب ) منه ( لاختار القرب ) على الوزارة. ( فهذه ثلاث درجات ).

( الأولى: لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي، وهذا حال من فرح بنعمة من حيث أنها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر ) فإنه رؤية للنعمة لا للمنعم.

( والثانية: داخلة ) وفي نسخة والثاني داخل ( في معنى الشكر من حيث أنه فرح بالمنعم، ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الإنعام في المستقبل، وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه، وإنما الشكر التام في الفرح ).

( الثالث: وهو أن يكون فرح العبد بنعم الله تعالى من حيث أنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام ) من غير انقطاع ولا انصرام، ( فهذا هو الرتبة العليا ) التي إليها تنتهي الآمال والأماني ( وإمارته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة معينة عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه ) أي تشغله ( عن ذكر الله تعالى وتصده ) أي تمنعه ( عن سبيله، فإنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة ) وموافقة لطبعه ( كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد ) وأصيل ( ومهملج ) أي سريع السير في

الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه، ولذلك قال الشبلي رحمه الله: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة. وقال الخوّاص رحمه الله: شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب. وشكر الخاصة على واردات القلوب، وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب، فإن القلب لا يلتذ في حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه، وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة ويستحلي الأشياء المرة كما قيل:

ومن يكُ ذا فم مرٍّ مريض يجد مراً به الماء الزلالا

فإذاً هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فإن لم تكن إبل فمعزى، فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية، أما الأولى فخارجة عن كل حساب، فكم من فرق بين من يريد الملك

---

الركض، (**بل من حيث أنه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه**) ومكانته لديه، (**ولذلك قال الشبلي رحمه الله تعالى: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة**) نقله القشيري في الرسالة أي بأن يكون السابق منهما إلى القلب رؤية المنعم، وهذا كما قال بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله أي الغالب على القلب رؤية الله ومراقبته، فأي حدث فيه لا يكون مذكراً له رؤية الله فإنه ذاكر غير غافل عنه.

(**وقال الخوّاص**) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد من اقران الجنيد: (**شكر العامة**) يكون (**على المطعم والملبس والمشرب**) ونحوها من النعم الظاهرة، (**وشكر الخاصة**) يكون (**على واردات القلوب**) مما يرد عليها من المعاني التي يعرفها الأولياء تصرف الغفلات عن القلوب بالورع والزهد وغيرهما، وهذا القول نسبه القشيري في الرسالة إلى أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الجبري تلميذ أبي حفص الحداد، ولفظه وقال أبو عثمان: شكر العامة على المطعم والملبس، وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني. (**وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الخواص**) الظاهرة (**من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب، فإن القلب لا يلتذ في حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه**) وهي اللذة المعنوية، (**وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات**) وتمكنت منه (**كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين**) وذلك لفساد مزاجه، (**وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة**) ويستكرهها (**ويستحلي الأشياء المرة**) البشعة (**حتى قيل**) قائله المتنبي:

(**ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مراً به الماء الزلالا**)

(**فإذاً هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى، فإن لم تكن إبل فمعزى**) وهو جار مجرى الأمثال، (**فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية**) بأن يفرح بالنعمة لا من حيث انها نعمة، بل من حيث أنه يستدل بها على عناية المنعم به. (**أما**) الدرجة (**الأولى فخارجة عن كل حساب**)

للفرس ومن يريد الفرس للملك، وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه.

**الأصل الثالث:** العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم. وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق. وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه، وأما بالجوارح؛ فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، حتى أن شكر العينين: أن تستر كل عيب تراه لمسلم، وشكر الأذنين: أن تستر كل عيب تسمعه فيه، فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان: لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به؛ فقد قال ﷺ لرجل: «كيف أصبحت» قال: بخير، فأعاده ﷺ السؤال

---

وذلك بأن يفرح بالنعمة من حيث أنها نعمة فقط ويكون نظره مقصوراً عليها، (**فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك، وكم من فرق بين من يريد الله فينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها إليه**).

(**الأصل الثالث: العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم، وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح. أما بالقلب فقصد الخير**) والصلاح (**وإضماره لكافة الخلق**) أي عامتهم، (**وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه**) بأي صيغة كانت، (**وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته**) قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت الاستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت الجنيد يقول: كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ فقلت: أن لا تعصي الله تعالى بنعمه. فقال: يوشك ان يكون حظك من الله لسانك. قال الجنيدي فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري (**حتى أن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم، وشكر الأذنين ان تستر كل عيب تسمعه**) ولفظ الرسالة وقيل: شكر العينين أن تستر عيباً تراه بصاحبك، وشكر الأذنين أن تستر عيباً تسمعه فيه، (**فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الأعضاء**) وهو بيان لشكر هذه الأفعال. وقال صاحب القوت: وأما شكر الجوارح للمنعم المفضل فهو أن لا يعصيه بنعمة من نعمه وأن يستعين بنعمته على طاعته ولا يستعين بها على معاصيه، فيكون قد كفرها كما قال تعالى ﴿بدلوا نعمة الله كفرا﴾ [إبراهيم: ٢٨] قيل: استعانوا بنعمه على معاصيه فيكون قد كفرها، فالخلق لا يقدرون على تبديل نعمة الله، ولكن معناه بدلوا شكر نعمة الله كفراً وهذا من المضمر معناه لظهور دليله عليه لأنه أمرهم بالطاعة بالنعم فخالفوه فعصوه بها فكان ذلك تبديلها لما أمر، (**والشكرُ باللسان لإظهار الرضا على الله تعالى وهو مأمور به، فقد قال ﷺ لرجل «كيف أصبحت»؟ فقال: بخير، فأعاد**) عليه (**السؤال**) ثانية كيف أنت فقال: بخير (**حتى**

حتى قال: في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره، فقال ﷺ: «هذا الذي أردت منك»، وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعاً والمستنطق له به مطيعاً وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق، وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت، فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء؛ فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى، فهو المبلي والقادر على إزالة البلاء. وذل العبد لمولاه عز، والشكوى إلى غيره ذل، وإظهار الذل للعبد مع كونه عبداً مثله ذل قبيح. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ

---

**قال)** الرجل **(في)** المرة **(الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال) ﷺ («هذا الذي أردت منك»)** يعني إظهار الحمد والشكر والثناء. **قال العراقي:** رواه الطبراني في الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعاً نحوه. قال في الثالثة: بخير أحمد الله وهذا معضل. ورواه في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو وليس فيه تكرار السؤال وقال: أحمد الله إليك وفيه رشدين ابن سعد ضعفه الجمهور لسوء حفظه، ورواه مالك في الموطأ موقوفاً على عمر بإسناد صحيح. **(وكان السلف يتساءلون)** إذا التقوا **(عن أحوالهم ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعاً)** بشكره **(والمستنطق له به مطيعاً)** باستخراجه إياه منه فيكون شريكه في ذلك لأنه سبب ذكره تعالى، **(وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق، وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر الله)** تعالى **(أو يشكو أو يسكت، فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين)** فمن علمت أنه يشكو مولاه ويتكره عندك قضاء إذا سألته عن حاله فلا تسأله فتكون أنت سبباً لشكواه وشريكاً في جهله وما أقبح بالعبد أن يشكو مولاه، **(وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك)** الذي ليس كمثله شيء **(وبيده)** ملكوت **(كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء)** ومثله كل شيء، **(والأحرى بالعبد إذا لم يحسن الصبر إلى القضاء والبلاء وأفضى به الضعف)** أي ضعف اليقين **(إلى الشكوى)** ولا بدّ **(أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلي والقادر على إزالة البلاء، ولذا قال يعقوب عليه السلام: إنما أشكو بثي)** وحزني إلى الله **(وذل العبد لمولاه عز والشكوى ذل وإظهار الذل للعبيد مع كونهم أذلاء قبيح)** ولفظ القوت: ويعلم أن الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والشرف بهم، وأن الطمع التذلل إليهم والاستشراف إلى عبد مملوك مثلك ذل ذليل وحسن الذل للعزيز كحسن الذل للحبيب وقبح الذل للذليل كقبح الذل للعدوّ، وقد **(قال تعالى: ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله**

الرِّزقَ وَاعبُدُوه واشْكُرُوا لَهُ﴾ [ العنكبوت: ١٧ ] ، وقال تعالى: ﴿إنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [ الأعراف: ١٩٤ ] ، فالشكر باللسان من جملة الشكر. وقد روي أن وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقام شاب ليتكلم ، فقال عمر : الكبر الكبر ! فقال: يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك ! فقال: تكلم ، فقال: لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة ، أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك ، وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك ، وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف. فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته.

فأما قول من قال: إن الشكر هو الإعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر

---

**الرزق﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين تدعوهم من دون الله عباد أمثالكم﴾ )** والعبادة هي الخدمة ، والطاعة بذل ولا يحسن بالعبد المقبل أن يظهر فقره وفاقته إلى غير مولاه الذي يلي تدبيره ويتولاه لأنه عليم خبير بحاله يسمعه ويراه وهو أعلم بما يصلحه منه ، **( فالشكر باللسان )** وحسن الثناء وجميل البشر للنعماء وتعديد النعم والآلاء **( من جملة الشكر )** لأن معنى الشكر في اللغة هو الكشف والإظهار. يقال: كثر وشكر بمعنى إذا كشف عن ثغره وأظهر فيكون إظهار الشكر وكشفه باللسان ما ذكرناه ، **( وقد روي أن وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز )** رحمه الله تعالى في أيام خلافته **( فقام شاب )** من الوفد **( ليتكلم فقال عمر: الكبـر الكبر )** بضم الكاف فيهما أي قدموا للتكلم الأكبر فالاكبر ، وهذا اللفظ قد روي مرفوعاً في حديث سهل بن أبي حثمة رواه الشيخان، وأبو داود ، **( فقال: يا أمير المؤمنين لو كان الأمر )** أي التقدم ههنا **( بالسن لكان )** غيرك مقدماً عليك إذ **( في المسلمين من هو أسن منك )** لعرف فضله ورفعته على من معه ، **( فقال: تكلم . فقال )** : يا أمير المؤمنين **( لسنا وفد الرغبة )** أي لطلب شيء منك **( ولا وفد الرهبة )** أي الخوف لشيء نطلب منك خلاصه ، **( أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك )** ونحن ببلادنا ، **( وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك )** ونحن كذلك ببلادنا ، **( وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف )** على ما نحن عليه من فضلك وأمنك نقله القشيري في الرسالة ، ولفظه: وقيل قدم وفد على عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب فأخذ يخطب فقال عمر: الكبر الكبر . فقال الشاب: يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن فذكره ، وفائدة ذلك التأكيد في طلب تبليغ الشكر لمن يستحقه ، فإذا كان المنعم حاضراً والنعم متوالية والقلب واللسان صامت عن الشكر كان من أقبـح القبائح عادة وشرعاً **( فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته )**.

**( فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع )** نقله القشيري في الرسالة ولفظه: وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق فذكره ، **( فهو نظر إلى فعل**

إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب. وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان. وقول القائل: إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان. وقول حمدون القصار شكر النعمة: أن ترى نفسك في الشكر طفيلياً، إشارة إلى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر: أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم؛ فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق، ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين

---

**اللسان مع بعض أحوال القلب)** فالاعتراف من جلة أحوال القلب والخضوع ظهوره على اللسان، وهو أيضاً سبب للشكر لا نفسه، وقد ذكر القشيري أيضاً ان الشكر ينقسم إلى ثلاثة أقسام: شكر باللسان فهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة، وسيأتي ذكر القسم الثالث. **(وقول من قال: إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه)** ولفظ الرسالة: ويحتمل أن يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه إليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه له **(نظر إلى مجرد عمل اللسان)** لأن الثناء والمدح من عمل اللسان خاصة، **(وقول القائل: إن الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود )** أي حضور الفضل ورؤيته **( بإدامة حفظ الحرمة )**، وهذا هو القسم الثالث من أقسام الشكر وهو شكر القلب كما في الرسالة، وحقيقة الشكر إنما تحصل باجتماع هذه الثلاثة مع الإمكان وهو **( جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان )** الذي هو الاعتراف بالنعمة بنعت الخضوع وقريب منه قول أبي بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة، ولكن هذا سبب للشكر لا نفسه وليس بجامع كالقول السابق، **( وقول حمدون القصار )** وهو أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة النيسابوري منه انتشر مذهب الملامتية بنيسابور صحب أبا تراب النخشبي، ومسلم الباروسي مات سنة احدى وتسعين ومائتين **( شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طفيلياً )** نقله القشيري أي تضيف النعمة إلى فاعلها وتبرأ من إضافتها إليك، وهو **( إشارة إلى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط )** كأنه يرجع إلى الاعتراف بالنعمة وإضافتها للمنعم، ويقرب منه قول بعضهم: الشكر إضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة، هذا أيضاً يرجع إلى معنى الاعتراف وليس بجامع حقيقة الشكر. **( وقول الجنيد )** قدس سره: **( إن الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة )** نقله القشيري أي لأن من لم ير ذلك ورأى أن النعمة فضل من الله تعالى استحيا من الله أن يكون شكره جزاء عليها لأنه إذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج إلى شكر فهو يتبرأ من أن يكون شاكراً أبداً، وهو **( إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص )**، ويقرب منه قول يحيى بن معاذ لست بشاكر ما دمت تشكر وغاية الشكر التحير. **( وهؤلاء )** السادة **( أقوالهم تعرب )** أي تفصح **( عن أحوالهم )** التي هي ثمرات أعمالهم، **( فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق، ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالين )**

لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالاً بما يهمهم عما لا يهمهم، أو يتكلمون بما يرونه لائقاً بحائل السائل، اقتصاراً على ذكر القدر الذي يحتاج إليه، وإعراضاً عما لا يحتاج إليه؛ فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل أصلاً إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني، أم يتناول بعضها مقصوداً وبقية المعاني تكون من توابعه ولوازمه؟ ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء، والله الموفق برحمته.

**بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى:**

لعلك يخطر ببالك أنّ الشكر إنما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر، فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم، أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم

---

مختلفتين ( **لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة** ) أي الثابتة في الحال ( **الغالبة عليهم** ) في الوقت ( **اشتغالاً بما يهمهم عما لا يهمهم، أو يتكلمون بما يرونه لائقاً بحال السائل اقتصاراً** ) منهم ( **على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعراضاً عما لا يحتاج إليه** ) فمن ذلك قول بعضهم: حقيقة الشكر نطق القلب وإقراره بإنعام الرب، وقيل: هو الاستقامة في عموم الأحوال. وقال أبو عثمان: الشكر معرفة العجز عن الشكر، وقال رويم: الشكر استفراغ الطاعة. وقيل: الشكر التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه من عطائه. وقيل: هو قيد موجود وصيد مفقود. وقيل: هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم، ( **فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل أصلاً إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن إسم الشكر في وضع اللسان** ) الذي هو الكشف والإظهار. ( **هل يشمل جميع المعاني** ) المذكورة ( **أو يتناول بعضاً مقصوداً** ) بالذات ( **وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها؟ ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء** ) والله الموفق برحمته.

**بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى:**

أعلم أنه ( **لعلك يخطر ببالك** ) ويسبق إلى ذهنك ( **أن الشكر إنما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر** ) ينتفع به، ( **فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فتزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على**

في صورة الخدم ، وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم ، فلا يكونون شاكرين لهم إلا بشيء من ذلك ، وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين :

**أحدهما :** أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة ، وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والإطراء ، وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعاً سجداً ؛ فشكرنا إياه بما لاحظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع ، إذ لاحظ للملك فيه وهو غائب لا علم له ، ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها .

**الوجه الثاني :** أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا ، إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ، ولو أعطانا الملك مركوباً فأخذنا مركوباً آخر له وركبناه ، وأعطانا الملك مركوباً آخر لم يكن الثاني شكراً للأوّل منا بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأوّل ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى من هذين الوجهين . ولسنا

---

**بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم في صورة الخدم، وذلك تكثير لسوادهم)** أي جماعتهم ، **(وسبب لزيادة جاههم فلا نكون شاكرين لهم إلا بشيء من ذلك، وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين)** .

**( أحدهما: أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والإطراء )** في المدح ، **( ومن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه راكعاً وساجداً فشكرنا إياه بما لاحظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع إذ لاحظ للملك فيه ولاحظ لله تعالى في أعمالنا كلها )** لغناه عنها .

**( والوجه الثاني: أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا ودواعينا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته، فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مركوباً فأخذنا مركوباً آخر له وركبناه وأعطانا مركوباً آخر لم يكن الثاني شكراً للأول منا بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول، ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى من هذين الوجهين )** . أما الوجه الأول فظاهر ، وأما

نشك في الأمرين جميعاً »، والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع ؟ فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال: يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك ؟ وفي لفظ آخر : وشكري لك نعمة أخرى منك توجب علي الشكر لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه : إذا عرفت هذا فقد شكرتني . وفي خبر آخر : إذا عرفت أن النعمة مني رضيت منك بذلك شكراً .

فإن قلت : فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم ، فإني أعلم استحالة الشكر لله تعالى ، فأما كون العلم باستحالة الشكر شكراً فلا أفهمه ، فإنّ هذا العلم أيضاً نعمة منه فكيف صار شكراً ؟ وكأن الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر ، وأن قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى ، والفهم قاصر عن درك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهومهم في نفسه .

فاعلم أن هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها إلى

---

الثاني فلأنه يستلزم أن لا يتناهى . **( ولسنا نشك في الأمرين جميعاً والشرع قد ورد به )** فإنه قد ثبت كلاً من تقديس الله تعالى عن الحظوظ والأغراض وتنزيهه عن الإحتياج إلى الإعانة وتكثير السواد ، وأن جميع حركاتنا وسكناتنا من خلق الله تعالى ومن نعمه علينا ، **( فكيف السبيل إلى الجمع؟ فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام، وكذلك لموسى عليه السلام فقال: يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك )** وفي القوت وفي أخبار موسى وداود عليهما السلام: يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع شكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك؟ **( وفي لفظ آخر: وشكرك نعمة أخرى منك توجب علي الشكر لك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني، وفي لفظ آخر: إذا عرفت أن النعم مني )** فقد **( رضيت منك بذلك شكراً )** هذا كله لفظ القوت ولفظ الرسالة وقيل: قال داود عليه السلام: الهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك توجب شكراً فأوحى الله إليه الآن قد شكرتني .

**( فإن قلت: فقد فهمت السؤال )** أي سؤال موسى عليه السلام **( وفهمي قاصر عن إدراك معنى ما أوحى )** إليه جواباً لسؤالهم **( فإني أعلم استحالة الشكر لله تعالى، فأما كون العلم باستحالة الشكر شكراً فلا أفهمه فإن هذا العلم أيضاً نعمة منه، فكيف صار شكراً، وكان الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر )** وهو غير ظاهر **( وأن قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى، والفهم قاصر عن درك السر فيه )** لدقته وغموضه **( فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه؟ )** .

**( فاعلم أن هذا قرع باب من )** أبواب **( المعارف )** الذوقية **( وهي أعلى علوم المعاملة )**

ملامح ونقول: ههنا نظران: نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعاً أنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب، وهذا نظر من عرف أنه ليس من الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلاً وأبداً، لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام، ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد، إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه، وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره؛ فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة، وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدّر عدم غيره بقي موجوداً، فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم، ولا

---

لتعلقها بعالم الغيب ولا يليق بكشف أسرارها، **( ولكنا نشير إلى ملامح )** وإشارات **( ونقول: ههنا نظر أن نظر بعين التوحيد المحض وهو النظر يعرفك قطعاً أنه الشاكر وأنه المشكور )** فأما المشكور فظاهر، وأما كونه الشاكر فإنه هو الموفق لعبيده لأن يشكروا وهو الذي ألهم على ألسنتهم وقلوبهم الثناء له، فبهذا الإعتبار يسمى شاكراً **( فإنه المحب وأنه المحبوب )** كما يشير لذلك قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [ المائدة: ٥٤ ] **( وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلاً وأبداً )** وهذا النظر لمن ترقى من حضيض المجاز إلى ذروة الحقيقة واستكمل معراجه، فرأى بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله وأن كل شيء هالك أزلاً وأبداً لا يتصور إلا كذلك، **( لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير )** ان اعتبر في ذاته من حيث ذاته **( فلا وجود له بل هو )** عدم محض و**( محال أن يوجد )** وإذا اعتبر من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول رؤي موجوداً في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجوده، فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شيء وجهان: وجه إلى نفسه ووجه إلى ربه، فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله موجود، فإذاً لا موجود إلا الله ووجهه، فإذا كل شيء هالك إلا وجهه ازلاً وأبداً، وقد أشار إليه المصنف بقوله: **( إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه )** أو بذاته **( وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره، فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة، وإنما الموجود هو القائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره يعني موجوداً فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده ووجود غيره فهو قيوم )**، وبيان ذلك أن الأشياء تنقسم إلى ما لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى محل كالاعراض والأوصاف فيقال فيها إنها ليست قائمة بأنفسها وإلى ما لا يحتاج إلى محل، فيقال قائم بنفسه كالجواهر إلا أن الجوهر وإن استغنى عن محل يقوم به فليس مستغنياً عن أمور لا بدّ منها لوجوده، ويكون شرطاً في وجوده فلا يكون قائماً بنفسه لأنه محتاج في قوامه إلى وجود غيره، وإن لم يحتج مع ذلك إلى محل فإن كان موجوداً يكفي ذاته بذاته ولا قوام له بغيره، ولا يشترط في

قيوم إلا واحد، ولا يتصور أن يكون غير ذلك؛ فإذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد، فإن نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه، فهو الشاكر وهو المشكور، وهو المحب وهو المحبوب، ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ العَبدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، فقال واعجباه أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى، فهو المثني وهو المثنى عليه، ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني حيث قرىء بين يديه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، فقال: لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه، أشار به إلى أنه المحب وانه المحبوب، وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك أنّ المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه، والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه، والوالد إذا أحب ولده من حيث أنه ولده

---

دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقاً فإن كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للأشياء وجود ولا دوام وجود إلا به فهو القيوم لأن قوامه بذاته وقوام كل شيء به، **(ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك، فإذاً ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد)** الفرد الأحد جلّ شأنه، **(فإن نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب)** فإنك إن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل مثن على فعل غيره والله تعالى إذا اثنى على أعمال عباده، فقد أثنى على فعل نفسه لأن أعمالهم من خلقه قال الله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] وإن كان الذي أعطى فأثنى شكوراً فالذي أعطى وأثنى على المعطي أحق أن يكون شكوراً. **(ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب)** البجلي البصري أبو عمر نزيل الكوفة تقدم ذكره **(حيث قرأ)** قوله تعالى: **(﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ فقال: واعجباه أعطى وأثنى)** فهذا ثناء الله على عباده وهو **(إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد)** الفضل بن أحمد بن محمد المعروف بابن أبي الحسن **(الميهني)** صاحب كرامات حدث عن أبي علي زاهر بن أحمد السرخسي، وعنه أبو القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري مات بميهنة وهي بكسر الميم وسكون المثناة التحتية وهاء مفتوحة ونون. قرية بخابران بين سرخس وأبيورد سنة ٣٣٠ **(حيث قرىء بين يديه)** قوله تعالى: **(﴿يحبهم ويحبونه﴾ فقال: لعمري يحبهم ودعه يحبهم ودعهم يحبونه فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه)**، فهو قد **(أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب)** وفي تقديم يحبهم إشارة إلى أنه لولا سبق محبته لنا لما أحببناه، **(وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حدّ عقلك فلا يخفى عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه، والوالد إذا أحب ولده من حيث أنه ولده فقد أحب نفسه،)**

فقد أحب نفسه، وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته؛ فإن أحبه فما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد، وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى، فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول: كيف فني وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل في كل يوم أرطالاً من الخبز، فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم، وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون وإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ★ وَإِذَا انْقَلَبُوا إلى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَاكِهِينَ ★ وإِذَا رَأَوهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [ المطففين: ٢٩ ـ ٣٣ ] ثم بين إن ضحك العارفين عليهم غدا أعظم، إذ قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ★ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [ المطففين: ٣٤، ٣٥ ] وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله

---

**وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنعته )** بيد قدرته وبديع حكمته، **( فإن أحبه فما أحب إلا نفسه )** بهذا الإعتبار، **( فإذاً لا يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب )** وهو يفتح باباً عظيماً من علوم المكاشفة، **( وهذا كله نظر بعين التوحيد )** المحض وهو الذي أشار إليه حبيب بن أبي حبيب وأبو سعيد الميهني **( وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى )** وذلك عند استيلاء أمر الحق سبحانه عليه، فيغلب كون الحق على كونه فيسلب عنه اختياره وإرادته فلا يرى للغير وجوداً إلا بالحق، **( فمن لا يفهم هذا )** ولا يذوقه **( ينكر عليهم )** بجمود ذهنه **( ويقول: كيف فني وطول ظله أربعة أذرع، ولعله يأكل في كل يوم عدة أرطال من الخبز )** ويشرب كذا وكذا من الماء **( فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم )** وغفلتهم عن أحوالهم. **( وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين )** أي يكونوا ممن يضحك عليهم، **( وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون★ )** أي يستهزؤن **( وإذا مرّوا بهم يتغامزون★ )** أي يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون باعينهم **( وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين★ )** أي ملتذين بالسخرية **( وإذ رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون★ )** فنسبوهم إلى الضلال **( وما أرسلوا عليهم )** أي على المؤمنين **( حافظين )** يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم، **( ثم بيّن أن ضحك العارفين عليهم أعظم إذ قال تعالى: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾** حين يرونهم أذلاء مغلولين في النار، وقيل يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم: أخرجوا إليها فإذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم حال كونهم **( ﴿على الأرائك ينظرون﴾ )** هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون، **( وكذلك أمة نوح عليه السلام )** لما أراد الله إهلاكهم بالغرق وأمر نوح عليه السلام بعمل السفينة **( كانوا**

بعمل السفينة فقال: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَا فإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [ هود : ٣٨ ] فهذا أحد النظرين.

**النظر الثاني:** نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان: قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعما هم في كلتا العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقاً وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به، ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم، ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا، وفرق بين الموجود وبين الموجد، وليس في الوجود إلا موجود واحد وموجد، فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو، والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان، وإذا كان كل من عليها فان، فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

**الفريق الثاني:** ليس بهم عمى ولكن بهم عور، لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه، والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق؛ فأثبت موجوداً آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقاً كما أن الذي قبله جاحد

---

**يضحكون عليه عند إشتغاله بعمل السفينة)** ويستهزؤن به **(فقال)** عليه السلام: **(﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ فهذا أحد النظرين)** المذكورين.

**(النظر الثاني: نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه، وهؤلاء قسمان: قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون)** المحجوبون بمحض الظلمة، **(وعماهم في كلتي العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقاً وهو القيوم)** المطلق **(الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت، وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم)** ولا دوام لوجودهم، بل **(ولا وجود لهم وإنما وجودهم من حيث أوجدوا)** من الوجه الذي يلي الموجد **(لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود)** بنفسه **(وبين الموجد)** بإيجاد غيره، **(وليس في الوجود إلا موجود واحد وموجد، فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان، وإذا كان كل من عليها فان)** وزائل مضمحل أزلاً وأبداً، **(فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام)**.

**(الفريق الثاني: ليس بهم عمى ولكن بهم عور، لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه، والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فأثبت موجوداً آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقاً)** لأنه أشرك مع الله تعالى موجوداً

تحقيقاً ، فإن جاوز حد العمى إلى العمش أدرك تفاوتاً بين الموجودين ، فأثبت عبداً ورباً فبهذا القدر من اثبات التفاوت والبعض من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد ، ثم ان كحل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبته سوى الله تعالى ؛ فإن بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان إلى المحو ، فينمحي عن رؤية ما سوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد ، وحيث أدرك نقصاً في وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد ، وبينهما درجات لا تحصى، فبهذا تتفاوت درجات الموحدين ، وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هي الكحل الذي به يحصل أنوار الأبصار ، والأنبياء هم الكحالون ، وقد جاؤوا داعين إلى التوحيد المحض ، وترجمته قول « لا إله إلا الله » ومعناه أن لا يرى إلا الواحد الحق ، والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقلون ، والجاحدون والمشركون أيضاً قليلون ، وهم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد ، إذ عبدة الأوثان قالوا : ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلى اللهِ زُلْفَى﴾ [ الزمر : ٣ ] فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولاً ضعيفاً

---

آخر ، ( **كما كان الذي قبله جاحداً تحقيقاً** ) لأنه جحد ما هو الحق الثابت ، ( **فإن جاوز حد العمى إلى العمش** ) وهو ضعف البصر بسيلان الدمع ( **أدرك تفاوتاً بين الموجودين فأثبت عبداً ورباً** ) وقسم الموجود إلى واجب وممكن ( **فبهذا القدر من إثبات التفاوت** ) بين الموجودين ( **والبعض من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد** ) أي أوائله ، ( **ثم إن كحل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه** ) وسيلان دمعه ( **وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبته سوى الله تعالى ، فإن بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان إلى المحو فينمحي عن رؤية ما سوى الله تعالى فلا يرى** ) في الوجود ( **إلا الله تعالى فيكون** ) بذلك ( **قد بلغ كمال التوحيد** ) فإذا كمال التوحيد المحو عن رؤية ما سوى الله تعالى ذاتاً وفعلاً ( **وحيث أدرك نقصاً في وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى ، فبهذا تتفاوت درجات الموحدين** ) وتختلف مشاربهم وأذواقهم ( **وكتب الله المنزلة على رسله هي الكحل الذي تحصل به أنوار الأبصار** ) وبهذا الإعتبار سميت أنواراً ( **والأنبياء** ) عليهم السلام ( **هم الكحالون وقد جاؤوا داعين إلى التوحيد المحض وترجمته قول لا إله إلا الله** ) الدالة على التوحيد ( **ومعناه** ) في الحقيقة ( **أن لا يرى إلا الواحد الحق** ) ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [ الأنعام : ٩١ ] ( **والواصلون إلى كمال التوحيد الأقلون والجاحدون والمشركون أيضاً قليلون وهم على الطرف الأقصى لطرف التوحيد ، إذ عبدة الأوثان قالوا : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولاً ضعيفاً** ) بهذا الخيال القائم في أذهانهم ( **والمتوسطون هم الأكثرون ،**

والمتوسطون هم الأكثرون، وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زماناً ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز.

لكل إلى شأو العلا حركاتُ ولكن عزيز في الرجال ثباتُ

ولما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بطلب القرب فقيل له: ﴿واسْجُدْ واقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] قال في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، فقوله ﷺ: «أعوذ بعفوك من عقابك» كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله، فاستعاذ بفعله من فعله، ثم اقترب ففني عن مشاهدة الأفعال، وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال: «أعوذ برضاك من سخطك» وهما صفتان، ثم رأى ذلك نقصاناً في التوحيد فاقترب ورقي من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال: «أعوذ بك منك» وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة، ولكنه رأى نفسه فاراً منه إليه ومستعيذاً

---

**وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال)** والأحيان (**فتلوح له حقائق التوحيد، ولكن كالبرق الخاطف**) يذهب سريعاً و(**لا يثبت**) فهو أشبه شيء بالأحوال (**وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زماناً**) فيكون أشبه شيء بالمقامات، (**ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز**) كما قيل:

**(لكل إلى شأو العلا حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات)**

(**ولما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بطلب القرب فقيل له:**) كلا لا تطعه و(**﴿اسجد واقترب﴾**) أي دم على سجودك وتقرب من ربك. وقال مجاهد: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ألا تسمعون يقول: ﴿اسجد واقترب﴾ أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر ولما سجد (**قال في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**) رواه مسلم من حديث عائشة بلفظ: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك» والباقي سواء وقد تقدم (**فقوله: أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله عن فعله**) وهذا قسم من الفناء المطلق، وهو أن يتجلى الحق لعبده بطريق الأفعال ويسلب عنه اختياره وإرادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلاً إلا بالحق (**ثم اقترب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال «أعوذ برضاك من سخطك» وهما**) أي الرضا والسخط (**صفتان**) من صفات الله (**ثم رأى نقصاناً في التوحيد فاقترب من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال: «أعوذ بك منك» وهذا فرار منه إليه في غير رؤية فعل وصفة،**)

ومثنياً ، ففني عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك نقصاناً واقترب فقال: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فقوله ﷺ : « لا أحصي » خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها ، وقوله : « أنت كما أثنيت على نفسك » بيان أنه المثني والمثنى عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن كل شيء هالك إلا وجهه ؛ فكان أول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو أن لا يرى إلا الله تعالى وأفعاله ، فيستعيذ بفعل من فعل: فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواجد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ، ولقد كان ﷺ لا يرقِي من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى بعداً بالإضافة إلى الثانية ، فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك نقصاً في سلوكه وتقصيراً في مقامه وإليه الإشارة بقوله ﷺ : « إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة » فكانْ ذلك لترقيه إلى سبعين مقاماً بعضها فوق البعض: أولها وإن كان مجاوزاً أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصاناً بالإضافة إلى آخرها ، فكان استغفاره لذلك. ولما قالت عائشة رضي الله عنها : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما

---

**ولكن رأى نفسه فاراً منه إليه ومستعيذاً ومثنياً ففني عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك نقصاناً واقترب فقال: «أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصي ثناء عليك»** ) أي إني لا أطيق بمحامدك وصفات إلهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك ( **فقوله: لا أحصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها . وقوله: أنت كما أثنيت على نفسك بيان أنه المثني وهو المثني عليه** ) وهو الذي أشار إليه الصديق رضي الله عنه حيث قال: العجز عن درك الإدراك إدراك ( **وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن كل شيء هالك إلا وجهه** ) وأنه لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة ( **فكان أول مقامه** ) ﷺ ( **نهاية مقام الموحدين وهو أن لا يرى** ) في الوجود ( **إلا الله وأفعاله فيستعيذ بفعل من فعل، فانظر إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق** ) وهذا المقام غاية ما ينتهي إليه من تم له مقام الفناء المطلق، ( **ولقد كان ﷺ لا يرقي من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى بعداً** ) من الله تعالى ( **بالإضافة إلى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الأولى، ويرى ذلك نقصاً في سلوكه وتقصيراً في مقامه** ) وهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، ( **وإليه الإشارة بقوله ﷺ: « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة »** ) رواه أحمد ، ومسلم، وأبو داود ، والنسائي، وابن حبان من حديث الأغر بن بشار المزني بلفظ: « إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة ». وقد تقدم في كتاب التوبة وقبله في كتاب الدعوات، ( **فكان ذلك لترقيه إلى سبعين مقاماً بعضها فوق البعض أوائلها وإن كان مجاوراً أقصى غايات الخلق، ولكن كان نقصاً بالإضافة إلى أواخرها فكان استغفاره لذلك** ) وقد تقدم الكلام عليه. ( **ولما قالت عائشة رضي الله عنها** ) للنبي ﷺ : ( **قد غفر الله لك ما تقدم من**

تأخر فما هذا البكاء في السجود. وما هذا الجهد الشديد قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» معناه أفلا أكون طالباً للمزيد في المقامات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ﴾ [ ابراهيم: ٧ ]. وإذ تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان، ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة؛ فنقول: الأنبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه، ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وإنما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالإضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور، ولا يعرف ذلك إلا بمثال فأقول: يمكنك أن تفهم أنَّ ملكاً من الملوك أرسل إلى عبد قد بعد منه مركوباً وملبوساً ونقداً لأجل

---

**ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»** ) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب أخلاق النبي ﷺ وهو بقية حديث عطاء عنها المتقدم قبل هذا بتسعة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصراً، وهو كذلك في الصحيحين مختصراً من حديث المغيرة بن شعبة. وقوله: «أفلا» الفاء للسببية من محذوف أي أأترك تلك الكلفة نظراً إلى تلك المغفرة فلا أكون عبداً شكوراً لا بل ألزمها وإن غفر لي لأكون عبداً شكوراً، فالمعنى أن المغفرة سبب ذلك التكلف شكراً، فكيف أتركه بل أفعله لأكون مبالغاً في الشكر بحسب الإمكان البشري ومن ثم أتى بلفظ العبودية لأنها أخص أوصافه ﷺ، ولذا ذكرها في أعلى المقامات وأفضل الأحوال إذ هي مقتضى النسبة المستلزمة للقيام بأعلى الخدمة وهو الشكر إذ العبد إذا لاحظ كونه عبداً وأن مالكه مع ذلك أنعم عليه بما لم يكن في حسابه علم تأكد وجوب الشكر والمبالغة فيه عليه أو ( **معناه. أفلا أكون طالباً للمزيد في المقامات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾** ) وقد تقدم قريباً. وقيل: تقدير الكلام إذا أنعم علي بالأنعام الواسع أفلا أكون عبداً شكوراً أي أيصير هذا الإنعام سبباً لخروجي عن دائرة المبالغين في الشكر والإستفهام لإنكار سببية مثل هذا الإنعام لعدم كونه عبداً شكوراً ولا يخفي تكلفه، ويصح أن يكون التقدير غفر لي ما تقدم وما تأخر لعلمه بأني أكون مبالغاً في عبادته فأكون عبداً شكوراً فلا أكون كذلك وهذا قريب من الأول ( **وإذ** ) قد ( **تغلغلنا في بحار** ) علوم ( **المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول: الأنبياء** ) عليهم السلام ( **بعثوا لدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه** ) آنفاً ( **ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة، وإنما الشرع كله** ) من أوله إلى آخره ( **تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالإضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا تعرف ذلك إلا بمثال** ) يضرب لك. ( **فأقول: يمكنك أن تفهم أن ملكاً من الملوك أرسل إلى**

زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ، ثم يكون له حالتان :

**إحداهما :** أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته .

**والثانية :** أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تغني فيه غناء ، وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الإنعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به ، فمنزل العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لا في المنزلة الأولى فإن الأولى محال على الله تعالى ، والثانية غير محال ، ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكراً في الحالة الأولى بمجرد الركوب والوصول إلى حضرته ما لم يقم بخدمته التي أرادها الملك منه . وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلاً ومع ذلك يتصور أن يكون شاكراً وكافراً ويكون شكره بأن يستعمل ما أنفذه إليه مولاه فيما أحبه لأجله لا لأجل نفسه ، وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطله أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه ؛ فمهما لبس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد إلا في الطريق فقد شكر

---

**عبد قد بعد منه مركوباً أو ملبوساً ونقداً )** من المال **( لأجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم تكون له حالتان ) .**

**( إحداهما : أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم )** ذلك العبد **( ببعض مهماته ويكون له غناء في خدمته ) .**

**( الثانية : أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تغني فيه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الإنعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع به وبانتفاعه ، فمنزلة العباد من الله تعالى المنزلة الثانية لا في المنزلة الأولى ، فإن الأولى محال على الله تعالى )** لتنزيهه عن الإفتقار والإحتياج إلى معين ، **( والثانية غير محال ثم أعلم أن العبد لا يكون شاكراً في الحالة الأولى بمجرد الركوب والوصول إلى حضرته ما لم يقم بخدمته التي أرادها الملك منه . وأما الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلاً ومع ذلك يتصور أن يكون شاكراً أو كافراً ويكون شكره بأن يستعمل ما أنفذه إليه مولاه فيما أحبه لأجله لا لأجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطله )** أي يهمله **( أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه ، فمهما لبس العبد الثوب وركب**

مولاه إذ استعمل نعمته في محبته: أي فيما أحبه لعبده لا لنفسه، وإن ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته: أي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه، وإن جلس ولم يركب إلا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضاً نعمته إذ أهملها وعطلها وإن كان هذا دون ما لو بعد منه، فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته، وإنما سعادتهم في القرب منه فأعدّ لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب، وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى إذ قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ★ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ★ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التين: ٤، ٥، ٦] الآية، فإذاً نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين، خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب، والله تعالى غني عنه قرب أم بعد، والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكره لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له، فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية، وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضاً كفران للنعمة بالتضييع، وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل

---

**الفرس ولم ينفق الزاد إلا في الطريق)** الذي يوصله إليه **(فقد شكر مولاه إذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لعبده لا لنفسه وإن ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وإن جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضاً نعمته)** في هذه الصورة **(إذ أهملها وعطلها، وإن كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى الشهوات)** أي استعمالها **(لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها من حضرته، وإنما سعادتهم في القرب منها فأعدّ لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر تعالى إذ قال: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم★ ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا﴾ [التين: ٤، ٥] الآية. فإذا نعم الله)** تعالى **(آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب أم بعد، والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكره لموافقته محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفره لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له، فإن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر والمعصية)** كما هو بنص القرآن، **(وإن عطلها)** وأهملها **(ولم يستعملها في طاعته ولا معصيته فهو أيضاً كفران للنعمة بالتضييع، وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل**

القرب من الله تعالى، فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة، وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى؛ فالمعصية والطاعة تشملها المشيئة ولكن لا تشملها المحبة والكراهة، بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه. ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من إفشائه، وقد انحل بهذا الاشكال الأول: وهو أنه إذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر؛ وبهذا أيضاً ينحل الثاني؛ فإنا لم نعن بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد، وفعلك عطاء من الله تعالى، ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك، وثناؤه نعمة أخرى منه إليك فهو الذي أعطى وهو الذي أثنى وصار أحد فعليه سبباً لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبته، فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجد له، كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعلم وموجده، ولكن بمعنى أنك محل له وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك؛ فوصفك بأنك شاكر إثبات شيئية لك وأنت شيء، إذ جعلك

---

**القرب من الله تعالى، فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الإستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد )** عن حضرة الله تعالى ( **فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى، فالمعصية والطاعة تشملها المشيئة )** الأزلية ( **ولكن لا** تشملها المحبة والكراهة، **بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه )** وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب قواعد العقائد ( **ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من إفشائه )** وإظهاره، وروى الطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر القدر فامسكوا وسيأتي قريباً ( **وقد انحل بهذا )** الذي أوردناه ( **الإشكال الأول وهو أنه إذا لم يكن للمشكور )** حظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضاً ينحل الإشكال ( **الثاني، فإنا لم نعن بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله )** تعالى ( **فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله )** تعالى ( **فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه إليك فهو الذي أعطى وهو الذي أثنى )** كما بينه قول حبيب بن أبي حبيب السابق ذكره، ( **وصار أحد فعليه سبباً لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبته، فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجد له، كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له )** ومظهر لتجليه، ( **وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك فوصفك بأنك شاكر إثبات شيئية لك وأنت شيء )** لثبوتك في الأعيان ( **إذ جعلك خالق**

خالق الأشياء شيئاً وإنما أنت لا شيء إذ كنت أنت ظاناً لنفسك شيئاً من ذاتك ؛ فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء أشياء فأنت شيء إذ جعلك شيئاً ، فإن قطع النظر عن جعله كنت لا شيء تحقيقاً ، وإلى هذا أشار ﷺ حيث قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » لما قيل له : يا رسول الله ففيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل ؟ فتبين أن الخلق مجاري قدرة الله تعالى ومحل أفعاله وإن كانوا هم أيضاً من أفعاله ، ولكن بعض أفعاله محل للبعض . وقوله : اعملوا » وإن كان جارياً على لسان الرسول ﷺ فهو فعل من أفعاله ، وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى ، والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة ، وانبعاث الداعية أيضاً من أفعال

---

**الأشياء شيئاً وإنما أنت لا شيء )** في الحقيقة **( إذ كنت أنت أنت )** في الأزل **( ظاناً لنفسك شيئية من ذلك فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء أشياء )** أي موجدة في الأعيان، **( فأنت شيء إذ جعلك شيئاً فإن قطع النظر عن جعله شيئاً كنت لا شيء تحقيقاً وإلى هذا أشار ﷺ حيث قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » )** أي اعملوا بظاهر ما أمرتم فكل من خلق مهيء ومصروف لأمر خلق ذلك الأمر له فلا يقدر ألبتة على عمل غيره، وهذا القول قاله **( لما قيل له ففيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل )** ؟ رواه الطبراني من حديث ابن عباس وعمران بن حصين بلفظ : قال رجل يا رسول الله أنعمل فيما جرت به المقادير وجف به القلم أو شيء نستأنفه ؟ فقال : « بل بما جرت به المقادير وجف به القلم » قال : ففيم العمل ؟ قال « اعملوا » الخ. ورجاله ثقات وروى الشيخان من حديث علي قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال : « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة » فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل على ما كتب ؟ فقال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ». **( فبيّن )** ﷺ **( أن الخلق مجاري قدر الله ومحل أفعاله وإن كانوا هم أيضاً من أفعاله، ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله : « اعملوا » )** من الأسلوب الحكيم منعهم عن الإتكال وترك العمل وأمرهم بإمساك ما يجب على العبد من امتثال أمر ربه وعبوديته عاجلاً وتفويض الأمر إليه آجلاً يعني أنتم عبيد ولا بدّ لكم من العبودية فعليكم بما أمرتم به وإياكم والتصرف في الأمور الإلهية لآية : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [ الذاريات : ٥٦ ] فلا تجعلوا العبادة وتركها سبباً مستقلاً لدخول الجنة والنار ، بل هو أمارات وعلامات ولا بد في الإيجاب من لطف الله وخذلانه ، وهذا القول **( وإن كان جارياً على لسان رسول الله ﷺ فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق بأن العلم نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية أيضاً من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضاً من أفعال الله تعالى**

الله تعالى، وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضاً من أفعال الله تعالى، ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أي الأول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سبباً لخلق العرض إذ لا يخلق العرض قبله، وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض: أي هو شرط، ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستعدّ لقبول فعل الحياة إلا جوهر ولا يستعدّ لقبول العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم. فيكون بعض أفعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره، وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذي ذكرناه.

فإن قلت: فلم قال الله تعالى اعملوا وإلا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان، وما إلينا شيء فكيف نذم وإنما الكل إلى الله تعالى؟ فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا، والاعتقاد سبب لهيجان الخوف، وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله، والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها، فمن سبق له في الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى

---

**ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أي الأول شرط للثاني كما كان خلق جوهر الجسم سبباً لخلق العرض)** لأجل أن يقوم به **(إذ لا يخلق العرض قبله)** لعدم استقلاله بالقيام **(و)** كما كان **(خلق الحياة شرطاً لخلق العلم وخلق العلم شرطاً لخلق الإرادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أي هي شرط، ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة إلا جوهر ولا يستعد لقبول)** صفة **(العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم فيكون بعض أفعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره)** كما يقوله من قال بالتولد ويرد عليهم قوله تعالى: ﴿تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ [إبراهيم: ٢٥] ففيه دليل على أن لا يصدر منا فعل من أفعالنا إلا وهو موجود بقدرته على ما قدرته مشيئته، **(بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذي ذكرناه)** وهو توحيد الأفعال.

**(فإن قلت: فلم قال الله تعالى)** على لسان رسوله ﷺ **(اعملوا وإلا فأنتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما إلينا شيء فكيف نذم وإنما الكل إلى الله تعالى؟ فاعلم أن هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والإعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي)** أي التباعد **(عن دار الغرور، وذلك سبب الوصول إلي جوار الله)** تعالى في دار كرامته **(والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها)** على أبدع نظام **(فمن سبق له**

يقوده بسلسلتها إلى الجنة، ويعبر عن مثله بأن كلا ميسر لما خلق له، ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ وكلام العلماء؛ فإذا لم يسمع لم يعلم وإذا لم يعلم لم يخف، وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا، وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا بقي في حزب الشيطان، وإن جهنم لموعدهم أجمعين، فإذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل؛ فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب، وهو تسليط العلم والخوف عليه. وما من مخذول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه، فالمتقون يساقون إلى الجنة قهراً، والمجرمون يقادون إلى النار قهراً ولا قاهر إلا الله الواحد القهار، ولا قادر إلا الملك الجبار، وإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فشاهدوا الأمر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [ المؤمن: ١٦ ] ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص، ولكن الغافلين لا يسمعون

---

**في الأزل السعادة )** الموعودة **( يسر له هذه الأسباب حتى تقوده بسلسلتها إلى الجنة )** وفي نسخة إلى الخير **( ويعبر عن مثله بأن كلا ميسر لما خلق له ومن لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام العلماء، فإذا لم يسمع لم يعلم فإذا لم يعلم لم يخف، وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا، وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا بقي في حزب الشيطان )** فإذا صار في ذلك الحزب شمله قوله تعالى: **( ﴿وإنَّ جهنم لموعدهم أجمعين﴾ [ الحجر: ٤٣ ] فإذا عرفت هذا تعجبت من أقوام يقادون إلى الجنة بالسلاسل )** يشير إلى ما رواه أحمد، وأبو داود من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل، وعند البخاري عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل، وعند أبي نعيم في الحلية: عجبت لأقوام يقادون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون، ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة بهذا اللفظ إلا أنه قال يساقون، **( فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه فالمتقون يساقون إلى الجنة قهراً والمجرمون يقادون إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه فالمتقون يساقون إلى الجنة قهراً والمجرمون يقادون إلى النار قهراً ولا قاهر إلا الواحد القهار ولا قادر إلا الملك الجبار )** جلّ شأنه، **( فإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين وشاهدوا الأمر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لاذلك اليوم على الخصوص )** وقال في مشكاة الأنوار عند ذكر حقيقة الحقائق: إن أهل المشاهدة العيانية لا يفتقرون إلى قيام القيامة ليسمعوا نداء الباري ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً، **( ولكن الغافلين لا يسمعون**

هذا النداء إلا ذلك اليوم، فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الأحوال حيث لا ينفعهم الكشف؛ فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فإنه أصل أسباب الهلاك.

## بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه:

اعلم أنّ فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه، إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى في محابه، ومعنى الكفر نقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها في مكارهه. ولتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدركان.

**أحدهما:** السمع ومستنده الآيات والأخبار.

**والثاني:** بصيرة القلب، وهو النظر بعين الاعتبار، وهذا الأخير عسير، وهو لأجل ذلك عزيز. فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق، ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد، فمن لا يطلع على أحكام الشرع في

---

**هذا النداء إلا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتحدد للغافلين من كشف الأحوال حيث لا ينفعهم الكشف، فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعماء فإنه أصل أسباب الهلاك)** الأبدي والله الموفق بفضله.

**بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه:**

**(اعلم)** أرشدك الله تعالى **(أن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه)** الله **(تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر استعماله نعمه في محابه)** ومراضيه. قال القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن يحيي يقول: سمعت جعفر بن نضير يقول: سمعت الجند يقول: كان السري إذا أراد أن ينفعني سألني فقال لي يوماً: يا أبا القاسم إيش الشكر؟ فقلت: أن لا يستعان بشيء من نعم الله تعالى على معاصيه. فقال: من أي لك هذا فقلت: من مجالستك. **(ومعنى الكفر نقيض ذلك)** إذ حقيقته ستر نعمة المنعم، فترك أداء شكرها **(إما بترك الإستعمال)** فيدعها معطلة **(أو باستعماله)** إياها **(في مكارهه)** ومساخطه **(ولتمييز ما يحبه الله)** تعالى **(عما يكرهه مدركان)**.

**(أحدهما: السمع ومستنده الآيات والأخبار)** من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

**(والثاني: بصيرة القلب وهو النظر بعين الإعتبار وهذا الأخير عسير)** صعب المنال **(وهو لأجل ذلك عزيز)** الوجود، **(فلذلك أرسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق، ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد، فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً)** لعدم إحاطته بجميع

جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً. وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه، إذ ما خلق شيئاً في العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب، وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية. أما الجلية فكالعلم بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار، فيكون النهار معاشاً والليل لباساً فتتيسر الحركة عند الإبصار، والسكون عند الاستتار، فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة، وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الأرض، بأنواع النبات مطعماً للخلق ومرعى للأنعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه، إذ قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الماءَ صَبًّا ⋆ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ⋆ فأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وعِنَباً﴾ [ عبس: ٢٥، ٢٨ ] الآية.

وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة

---

الأحكام. ( **وأما الثاني وهو النظر بعين الإعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه إذ ما خلق شيئاً في العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود، وذلك المقصود هو المحبوب، وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية. أما الجلية فكالعلم بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل به الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً** ) أي ظرفاً للحركة في المعيشة أي وقت معاش ينقلبون لتحصيل المعيشة أو حياة يبعثون فيها عن النوم، ( **والليل لباساً** ) أي غطاء يستر بظلمته من أراد الإختفاء، ( **فتتيسر الحركة عند الأبصار** ) بنور النهار ( **والسكون عند الإستتار** ) بظلمة الليل، ( **فهذا من جملة حكمة الشمس لا كل الحكم فيها، بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة** ) لا يطلع عليها إلا أهل البصيرة، ( **وكذلك معرفة الحكمة في الغيم** ) وهو السحاب المسخر بين السماء والأرض ( **ونزول الأمطار** ) منه، وذلك ( **كانشقاق الأرض بأنواع النبات مطعماً للخلق ومرعى للأنعام، وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه إذ قال تعالى** ) في تعداد النعم الخارجية ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه ( **أنَّا صببنا الماء صباً ⋆** ) أي من السحب ( **ثم شققنا الأرض شقاً ⋆** ) أي بالنبات أو بالكرات وأسند الشق إلى نفسه وهو من إسناد الفعل إلى السبب ( **فأنبتنا فيها حباً ⋆** ) كالحنطة والشعير ( **وعنبا وقضبا** ) يعني الرطبة ( **وزيتونا ونخلاً﴾ الآية** ) وتمامها ﴿وحدائق غلبا ⋆ وفاكهة وأبا ⋆ متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ **أي** فإن الأنواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف.

( **وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها** ) وهي السبعة التي تقطع الفلك

الخلق، والقدر الذي يحتمله فهم الخلق انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر إليها، وأشار إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦] فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرّة من ذرّاته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف، وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يعرف حكمته كالعلم بأن العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي، لا للشم، فأما الأعضاء الباطنة من الأمعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس، والذين يعرفونها لا يعرفون منها إلا قدراً يسيراً بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ [الاسراء: ٥٨] فإذاً كل من استعمل شيئاً في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر نعمة الله تعالى، فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره، ومن نظر إلى وجه غير

---

( **والثوابت** ) التي لا تسير ( **فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة السماء لتستلذ العين بالنظر إليها، وأشار إليه بقوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا** ) أي القربى منكم ( **بزينة الكواكب﴾** ) أي زينة الكواكب والإضافة للبيان ويعضده قراءة من قرأ بتنوين زينة وجر الكواكب على إبدالها منه وفي الآية وجوه أخر. ( **فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف** ) وفي نسخة من حكمة واحدة إلى عشرة آلاف، ( **وكذلك أعضاء الحيوان** ) وفي نسخة الحيوانات ( **تنقسم إلى ما يعرف حكمته كالعلم بأن العين للإبصار لا للبطش، واليد للبطش لا للمشي، والرجل للمشي لا للشم، فأما الأعضاء الباطنة من الأمعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق** ) المختلفة والأعصاب والعضلات ( **وما فيها من التجاويف والإلتفات والإشتباك والإنحراف** ) والإلتواء ( **والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها** ) كأهل التشريح ( **لا يعرفون منها إلا قدراً يسيراً بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى: ﴿فما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فإذاً كل من استعمل شيئاً في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره، ومن نظر إلى وجه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس إذ**

المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس، إذ الأبصار يتم بهما وإنما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما، فقد استعملهما في غير ما أريدتا به، وهذا لأن المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا، ولا أنس إلا بدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر، ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن، ولا يبقى البدن إلا بالغذاء، ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والماء والهواء، ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهراً وباطناً، فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس، والراجع إلى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة، فلذلك قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون * ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] الآية، فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بدّ منها لإقدامه على تلك المعصية، ولنذكر مثالاً واحداً للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على المنعم، فنقول: من نعم الله تعالى خلق الدراهم

---

**الإبصار يتم بها، وإنما** خلقتا **ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملها في غير ما أريدا له، وهذا لأن المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي)** أي التباعد **(عن غرور الدنيا ولا أنس إلا بدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر)** والمراقبة لجلاله وكماله، **(ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن)** الذي هو بمنزلة المركب له **(ولا يبقى البدن إلا بالأرض)** في استقراره عليها **(والماء والهواء والغذاء)** في انتعاشه بها **(ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهراً وباطناً فكل ذلك لأجل)** بقاء **(البدن والبدن مطية النفس)** تركب عليه وتستعين به إلى الوصول إلى الآخرة **(والراجع إلى الله تعال هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة)** كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] في أحد وجوه التفسير **(فلذلك قال الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾)** أي ليدوموا على العبادة والمعرفة **(فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله)** تعالى **(في جميع الأسباب التي لا بد منها لإقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالاً واحداً للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى يعتبر بها ويعلم طريق الشكر والكفران على المنعم فنقول: من)** جلة **(نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا)** وملاكها **(وهما حجران)** كسائر الحجارة **(لا منفعة في**

والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في أعيانهما ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث أن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته، وقد يعجز عما يحتاج إليه ويملك ما يستغني عنه. كمن يملك الزعفران مثلاً وهو محتاج إلى جمل يركبه، ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج إلى الزعفران، فلا بدّ بينهما من معاوضة ولا بدّ في مقدار العوض من تقدير، إذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران، ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطي منه مثله في الوزن أو الصورة. وكذا من يشتري داراً بثياب أو عبداً بخف أو دقيقاً بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها، فلا يدري أن الجمل كم يسوي بالزعفران فتتعذر المعاملات جداً فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة إلى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى إذا تقرّرت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي، فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدّر الأموال بهما، فيقال: هذا الجمل يسوي مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة، فهما من حيث إنهما مساويان بشيء واحد إذاً متساويان، وإنما أمكن التعديل بالنقدين إذ لا غرض في أعيانهما ولو كان في أعيانهما غرض ربما اقتضى

---

**أعيانهما ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث أن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه )** ومسكنه **( وسائر حاجاته )** اللازمة، **( وقد يعجز عما يحتاج إليه ويملك ما يستغني عنه، كمن يملك الزعفران مثلاً وهو محتاج إلى جمل يركبه، ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه )** في بعض الأحيان **( ويحتاج إلى الزعفران )** لحاجة دعته إليه، **( فلا بد بينهما من معاوضة ولا بدّ في مقدار العوض من تقدير )** يرجع إليه، **( إذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران. ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يعطي منه مثله في الوزن أو الصورة. وكذا من يشتري داراً بثياب أو عبداً بخف أو دقيقاً بحمار فهذه أشياء لا تناسب فيها، فلا يدري أن الجمل كم يسوي بالزعفران فتتعذر المعاملات جداً )** ويشتبه أمرها **( فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة إلى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل )** وسط **( فيعرف عن كل واحد رتبته ومنزلته، حتى إذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي، فخلق الله الدنانير والدراهم حاكمين متوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بهما )** في المعاملات **( فيقال: هذا الجمل يسوي مائة مثلاً، وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة فهما من حيث أنهما متساويان بشيء واحد إذا متساويان، وإنما أمكن التعديل بالتقدير )** والتخمين **( إذ لا غرض في أعيانهما ولو كان في أعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض**

خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر ، فإذاً خلقهما الله تعالى لتتداولهما الأيدي ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل ولحكمة أخرى وهي التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانهما ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما ، فكأنه ملك كل شيء ، لا كمن ملك ثوباً فإنه لم يملك إلا الثوب ، فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلاً فاحتيج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الأشياء ، والشيء إنما تستوي نسبته إلى المختلفات إذ لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها ، كالمرآة لا لون لها ، وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض ، وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية ، وفيهما أيضاً حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما ، فإذاً من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه ، لأنه إذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل

---

**ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر ، فإذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما الأيدي ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل )** والسوية **( ولحكمة أخرى وهي التوصل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما شيئان عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانهما ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة ، فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوباً فإنه لا يملك إلا الثوب )** فقط ، **( فلو احتاج إلى طعام ربما يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في ذاته مثلاً فاحتيج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الأشياء )** وإليه يشير قول الشاعر :

وإذا صحّ كاف الكيس فالكل حاصل

**( والشيء إنما تستوي نسبته إلى المختلفات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون )** عند مقابلتها ، **( فكذلك النقد لا عرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض وكالحرف )** الذي هو أحد أقسام الكلمة الثلاثة **( لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره ، فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضاً حكم )** خفية **( يطول ذكرها ، فكل من عمل فيهما عملاً لا يليق بالحكام بل يخالف الغرض المقصود بالحكام فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فإذاً من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما ، وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كنز فقد ضيع ولا يحصل**

الغرض المقصود به، وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للآحاد في أعيانها فإنها حجران، وإنما خلقا لتتداولها الأيدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة المقادير مقوّمة للمراتب، فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط إلهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسول الله ﷺ حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت المعني الذي عجزوا عن إدراكه، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرهُمْ بِعَذَابٍ أليم﴾ [التوبة: ٣٤]، وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالاً ممن كنز لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والمكس والأعمال التي يقوم بها أخساء الناس، والحبس أهون منه، وذلك أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تتبدّد، وإنما الأواني لحفظ المائعات، ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود فمن لم ينكشف هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له:

---

**الغرض المقصود به، وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للآحاد في أعيانها فإنها حجران، وإنما خلقا لتتداولها الأيدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب، فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط إلهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر )** الظاهر **( بل بعين البصيرة )** الباطنة **( أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله )** المرسل إليهم **( حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن إدراكه )** وفهم معناه، **( فقال: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ )** وقد تقدم الكلام على الآية في كتاب الزكاة. **( وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالاً ممن كنز )** ولم ينفق **( لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس و )** غيرها من **( الأعمال التي يقوم بها أخساء الناس )** وأرديائهم، **( والحبس أهون منه وذلك أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس )** وغيرها من المتطرقات **( ينوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات أن تتبدد )** أي تتفرق **( وإنما )** تتخذ **( الأواني لحفظ المائعات )** والحفظ يحصل بغيرها **( ولا يكفي الخزف والحديد )** والرصاص **( في المقصود الذي أريد به النقود )** في الغالب وإن كان يتعامل ببعضها في بعض الأقطار لكن على سبيل التبعية لها **( فمن لم ينكشف له هذا )** المعنى **( كشف له بالترجمة الإلهية، وقيل: إنه من شربَ في آنية من ذهب أو فضة**

من شرب من آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم، وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما إذ لا غرض في عينهما، فإذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصوداً على خلاف وضع الحكمة، إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاماً ودابة، إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب، فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فإنهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانهما، وموقعهما في الأموال كموقع الحرف من الكلام، كما قال النحويون: إن الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره، وكموقع المرآة من الألوان؛ فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد متقيداً عنده وينزل منزلة المكنوز، وتقييد الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم، كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصوداً للادخار وهو ظلم.

فإن قلت: فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر؛ ولم جاز بيع الدرهم بمثله؛ فاعلم أن

---

**فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم)** لم يصرح المصنف بكونه حديثاً وهو متفق عليه من حديث أم سلمة كما قاله العراقي، ولفظ مسلم: من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم. وروى البيهقي في المعرفة، والخطيب، وابن عساكر من حديث ابن عمر: من شرب في إناء ذهب أو فضة أو إناء فيه شيء من ذلك إنما يجرجر في بطنه نار جهنم. وروى ابن ماجه من حديث عائشة: من شرب في إناء فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم. **(وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم)** أي تعدى، ووضع الشيء في غير موضعه **(لأنهما خلقا لغيرهما لا لأنفسهما إذ لا غرض في عينهما فإذا اتَّجر في عينهما فقد اتخذهما مقصوداً على خلاف وضع الحكمة)** الإلهية **(إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم، ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاماً ودابة إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده، فإنهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانهما وموقعهما في الأموال كموقع الحرف في الكلام كما قاله النحويون: إن الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره)** كما عرفه ابن الحاجب في كافيته، **(وكموقع من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد متقيداً عنده ويتنزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصود للإدخار وهو ظلم.**

**(فإن قلت: فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر)** أي بيعِ الذهب بالفضة والفضة بالذهب

أحد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوسل إذ قد تيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلاً قليلاً، ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به؛ وهو تيسر التوسل به إلى غيره. وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث إن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فإنه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه، ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه، فلا نمنع مما لا تتشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر، وذلك أيضاً لا يتصوّر جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد؛ وإن طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بأن جيدها ورديئها سواء لأن الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه، وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد. وأما إذا باع درهماً بدرهم مثله نسيئة فإنما لم يجز ذلك لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد للإحسان ففي القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد وأجر. والمعاوضة لا حمد فيها

---

متفاضلين يداً بيد وهو بالاتفاق لا بيع الذهب بالذهب منفرداً والورق بالورق منفرداً أو تبرهما ومضروبهما وحليهما إلا مثلاً وزناً بوزن يداً بيد **(ولم جاز بيع الدراهم بمثله؛ فاعلم أن أحد النقدين يخالف الآخـر في مقصود التوسل إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم فتفرق في الحاجات قليلاً قليلاً، ففي المنع منه ما يشوّش المقصود الخاص به وهو سر التوسل به إلى غيره، وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث أن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا)** في أوصافهما **(ولا يشتغل به تاجر فإنه حيث جرى مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه عبثاً ولعباً ونحن لا نخاف على العقلاء بأن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدراهم على الأرض وأخذها فلا نمنع مما لا تتشوّف النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود)** من الآخر، **(وذلك أيضاً لا يتصوّر جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء)** الدون **(فلا ينتظم العقد وإن طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته، وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد، وأما إذا باع درهماً بدرهم مثله نسيئة فإنما لم يجز ذلك)** من طريق الزيادة والنساء جميعاً **(لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد للإحسان، ففي القرض وهو مكرمة)** قد حث عليه الشارع ووردت في فضله أخبار **(مندوحة عنه)** أي متسع **(لتبقى**

ولا أجر ، فهو أيضاً ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها في معرض المعاوضة ، وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الأيدي ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له ، فما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغني عنها إلى المحتاج ولا يعامل على الأطعمة إلا مستغن عنها ؛ إذ من معه طعام فلم لا يأكله إن كان محتاجاً ولم يجعله بضاعة تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجاً إليه ، فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضاً مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر ، وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب ؛ نعم بائع البر بالتمر معذور ؛ إذ أحدهما لا يسدّ مسدّ الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور . ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ؛ ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد .

---

**صورة المسامحة فيكون له حمد وأجر )** معاً ، **( والمعاوضة لا حمد فيها ولا أجر فهو أيضاً ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها في معرض المعاوضة ، وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها )** التي خلقت لها ، **( فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تغييرها في الأيدي ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له فما خلق الطعام إلا ليؤكل ، والحاجة إلى الاطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغني عنها إلى المحتاج )** إليها **( ولا يتعامل على الأطعمة أي فيستغنى عنها إذ من معه الطعام فلم لا يأكله إن كان محتاجاً ولم يجعله بضاعة تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجاً إليه ، فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضاً مستغن عنه ، ولهذا ورد في الشرع « لعن المحتكر » وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب )** والمعاش . من ذلك حديث ابن عمر « المحتكر ملعون » رواه الحاكم ، ومنها حديث أبي هريرة « من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطىء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله » رواه أحمد . **( نعم بائع البر بالتمر معذور إذ أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع )** منه **( غير معذور )** لأنهما جنس واحد ، **( ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة )** وبيع صاع من البر بصاع من شعير مبني على اختلافهم هل هو جنس واحد أو جنسان ، فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد في أظهر روايتيه هما جنسان ، فعلى هذا يجوز بالمفاضلة والمماثلة لأن أحدهما لا يسد مسد الآخرة ، وقال مالك وأحمد في الرواية الأخرى : هما جنس واحد فلا يجوز بيع بعضهما ببعض إلا مثلاً بمثل

وأما جيد برديئين فقد يقصد، ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام، فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا، وقد انكشف لنا هذا بعد الإعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات، فإنه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافيات، وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات، إذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول؛ ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه إذ خصصه بالأقوات، ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد

---

يداً بيد ومع جوازه يكون عابثاً. **(ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى به صاحب الجيد)**.

**(وأما جيد برديئين فقد يقصد، ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات يضطر إليها الإنسان أبداً والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة)** الذي هو الغذاء **(ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام، فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا)** وقد أشار إلى نحو ذلك القفال في محاسن الشريعة، **(وقد انكشف لنا هذا بعض الإعراض عن)** الاشتغال في **(فن الفقه)** وذلك عند خروجه من دار السلام ببغداد، **(فلنلحق هذا بفن الفقهيات فإنه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافيات، وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله تعالى)** على غيره **(في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات، إذ لو دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب أولى بالدخول فيه، ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله تعالى أقوى المذاهب فيه إذ خصصه بالأقوات)** وتفصيل ذلك أنهم اختلفوا في علة جريان الربا المحرم في غير الأعيان الستة المنصوص عليها، فقال أبو حنيفة وأحمد: العلة في الذهب والفضة والوزن والجنس وكل ما جمعه الوزن والجنس فالتحريم ثابت فيه إذا باعه متفاضلاً لاالذهب والفضة، ثم يتعدى منها إلى الحديد والرصاص والنحاس وما أشبهه. وقال مالك والشافعي: العلة في الذهب والفضة الثمينة فلا يجري الربا عندهما في الحديد والنحاس وما أشبههما، وقال أبو حنيفة في أظهر الروايات عنه وهي اختيار الخرقي من الحنابلة وشيوخ أصحابه العلة في الأعيان الأربعة الباقية الكيل والجنس، فكل ما جمعه الكيل والجنس فالتحريم فيه ثابت إذا بيع متفاضلاً كالحنطة والشعير والنورة والجص والأشنان وما أشبهه، وعن أحمد رواية ثانية في علية الأعيان الأربعة انها مأكول مكيل أو مأكول موزون، فعلى هذه الرواية لا ربا فيما يؤكل وليس بمكيل ولا موزون مثل الرمان والسفرجل والبطيخ والخيار ولا في غير المأكول مما يكال ويوزن كالنورة والجص والاشنان، وعنه رواية ثالثة في علة الأعيان الأربعة أنه مأكول جنس، فعلى هذه الرواية يحرم ما كان مأكولاً خاصة ويدخل في التحريم سائر المأكولات ويخرج منه ما ليس مأكولاً. وقال مالك: العلة في الأعيان الأربعة كونها مقتاتة وما يصلح للقوت في جنس مدخر فيدخل تحريم الربا في ذلك كله

أن يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكناً بالقوت وكان ممكناً بالمطعوم. فرأي الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى لكل ما هو ضرورة البقاء ؛ وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم، ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحدّ لتحير الخلق في إتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص. فعين المعنى بكمال قوّته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. فيكون الحد ضرورياً ، فلذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَم نَفْسَهُ﴾ [ الطلاق: ١ ] ، ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد ، كما يحدّ شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر ، وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر ؛ لأن قليله يدعو إلى كثيره ، والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالجملة الأصلية ، فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين ، فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها ، ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ

---

كالأقوات المدخرة واللحوم والألبان والخلول والزيوت والعنب والزبيب والزيتون والعسل والسكر. وقال الشافعي في الجديد: إن العلة في الأعيان الأربعة أنها مطعومة جنس، فعلى هذا يجري الربا عنده في الرمان والسفرجل والبيض ونحوه كالرواية الثالثة عن أحمد. وقال في القديم: مطعومة مكيلة أو موزونة فعلى هذا لا يجري الربا بمجرد الطعم في المطعومات ذكر ذلك كله الوزير في الإفصاح وتقدم في كتاب آداب الكسب ، **( ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بدّ وأن يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكناً بالقوت )** كما ذهب إليه مالك ، **( وكان ممكناً بالمطعوم )** كما ذهب إليه الشافعي **( فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى )** أي أشمل **( لكل ما هو ضرورة البقاء )** ودوام العيش ، **( وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم، ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع )** وفي نسخة في تتبع **( جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والاشخاص ، فعين المعنى بكمال قوته يختلف بالأحوال والأشخاص فيكون الحد ضرورياً ، فلذلك قال )** الله **( تعالى ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حدّه شرعنا بكونه من جنس المسكر لأن قليله يدعو إلى كثيره ، والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس )** وفي نسخة بحكمة الجسم لها **( كما دخل أصل المعنى بالحكمة الأصلية ، فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين ، فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها ، ولا يعرف هذا ، إلا**

﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [ البقرة: ٢٦٩ ]، ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين، بل لا يتذكر إلا أولو الألباب ولذلك قال ﷺ: « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك، وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصوّر أن ينفك عنهما، وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر، فأقول مثلاً: لو استنجيت باليمنى فقد كفرت نعمة اليدين: إذ خلق الله لك اليدين، وجعل إحداهما أقوى من الأخرى، فاستحق الأقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل، وتفضيل الناقص عدول عن العدل، والله لا يأمر إلا بالعدل، ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال: بعضها شريف كأخذ المصحف، وبعضها خسيس كإزالة النجاسة، فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل،

---

**من قد عرف الحكمة )** وأتى من بابها **( ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً )** يشير إلى قوله تعالى: **﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ ( ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات )** ومقارها **( وملاعب الشياطين )** ومحال وساوسها **( بل لا يذكر إلا أولو الألباب )** أشار به إلى تمام الآية المذكورة، **( ولذلك قال ﷺ « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » )** رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في كتاب أسرار الصوم، **( وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فإنه )** لا يخلو **( إما شكر وإما كفر إذ لا يتصوّر أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس )** وهم المشتغلون بالعلوم الظاهرة **( بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب )** وهم المشتغلون بعلوم الآخرة **( موصوف بالحظر. فأقول مثلاً: لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين إذ خلق الله لك اليدين وجعل إحداهما أقوى من الأخرى )** وهي اليمنى، وهذا هو الأغلب فلا يناقضه الأعسر، وهو الذي يسراه أقوى من اليمنى لندوره **( فاستحق الأقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن )** منهج **( العدل والله )** تعالى **( لا يأمر إلا بالعدل )** لقوله تعالى: ﴿إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [ النحل: ٩٠ ] **( ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ المصحف وبعضها خسيس كإزالة النجاسة، فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه )** أي نقصت **( وظلمته وعدلت عن**

وكذلك إذا بصقت مثلاً في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات إلى ما لم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتاً أضافه إلى نفسه استمالة لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك، وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البصاق. فإذا رميت بصاقك إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك، وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت؛ لأن الخف وقاية للرجل، فللرجل فيه حظ، والبداءة في الحظوظ ينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل، وهذا عند العارفين كبيرة وإن سماه الفقيه مكروهاً حتى أن بعضهم كان قد جمع إكراراً من الحنطة وكان يتصدّق بها، فسئل عن سببه فقال: لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً فأريد أن أكفره بالصدقة، نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين، بلي بإصلاح العوام الذين

---

**العدل، وكذلك إذا بصقت مثلاً في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات إلى ما لم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتاً أضافه إلى نفسه)** تشريفاً له بذلك **(واستمالة لقلبك إليه ليتقيد به قلبك)** ويحترمه **(فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البصاق، فإذا رميت بصاقك إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي يوضعها كمال عبادتك، وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن يكون بالأشرفية فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف، وهذا عند العارفين كبيرة)** لما فيه من مناقضة مقام العدل والوفاء، **(وإنما سماه الفقيه مكروهاً)** وخفف أمره على العامة **(حتى أن بعضهم)** أي من العارفين **(كان قد جمع إكراراً)** جمع كر بالضم أي احمالاً **(من الحنطة وكان يتصدق بها)** الى المحتاجين، **(فسئل عن سببه فقال: لبست المداس)** أي النعل **(مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً)** من غير اختيار **(فأريد أن أكفره بالصدقة)** ولعله وجد الحنطة عزيزة، فلذلك اختار التصدق بها أو لكونها مما يعم النفع بها أكثر من غيرها. **(نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين** بلي**)** أي امتحن **(باصلاح العوام**

تقرب درجتهم من درجة الإنعام وهم مغموسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها؛ فقبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدح بيساره فقد تعدّى من وجهين: أحدهما: الشرب والآخر الأخذ باليسار، ومن باع خمراً في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خان من وجهين: أحدهما: بيع الخمر، والآخر البيع في وقت النداء. ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث أنه لم يجعل القبلة عن يمينه، فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض، فينمحق بعضها في جنب البعض، فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه، ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية في نفسه، فكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة، وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب، نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين،

---

**الذين تقرب درجتهم من درجة الإنعام)** في بلادتهم وحرصهم **(وهم منغمسون)** وفي نسخة مغموسون **(في ظلمات)** وهمية **(أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها، فقبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدح بيساره فقد تعدى)** الحد الشرعي **(من وجهين أحدهما: الشرب والآخر الأخذ باليسار، ومن باع حرا)** وفي نسخة خمراً **(في وقت النداء)** وهو الأذان الثاني **(يوم الجمعة فقبيح أن يقال خالف من وجهين أحدهما بيع الحر)** وفي نسخة الخمر، **(والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى** حاجته **في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث لم يجلّ القبـلة عن يمينه، فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض)** في القبح، **(فينمحق بعضها)** ويضمحل **(في جنب البعض، فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه، ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق)** وفي نسخة لم يكن **(لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية في نفسه، فكل ما راعاه الأنبياء الأولياء من الآداب)** الظاهرة **(وتسامحنا فيه في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة، وإلاّ فكل هذه المكاره عدول من العدل)** المأمور به **(وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب. نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين كما)** أن عالم القرب هو مستقر الملائكة، **(وكذلك من**

وكذلك من كسر غصناً من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد أما اليد فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة والأعمال المعينة على الطاعة. وأما الشجر فإنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوّة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه، فينتفع به عباده، فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل، فإن كان له غرض صحيح فله ذلك، إذ الشجر والحيوان جعلا فداء لأغراض الإنسان، فإنهما جميعاً فانيان هالكان. ففناء الأخس في بقاء الأشرف مدّة ما أقرب إلى العدل من تضييعهما جميعاً وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾ [ الجاثية: ١٣ ] نعم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضاً وإن كان محتاجاً لأنّ كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحدة، ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلماً، فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجح جانبه بذلك، فإن نبت ذلك في موات الأرض لا بسقي آدمي اختص بمغرسه أو بغرسه، فلا بدّ من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه،

---

**كسر غصناً من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة من غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الأشجار وخلق اليد . أما اليد فإنها لم تخلق للعبث )** بها **( بل للطاعة والأعمال المعينة على الطاعة، وأما الشجر فإنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليها )** أي إلى عروقها **( الماء )** من باطن الأرض **( وخلق فيها قوّة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده )** بظله وثمره **( فكسره قبل منتهى نشوّه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل، فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذ الشجر والحيوان جعل )** كل منهما **( فداء لأغراض الإنسان فإنهما جميعاً فانيان هالكان وافناء الأخس )** رتبة **( في بقاء الأشرف مدة ما أقرب إلى العدول من تضييعهما جميعاً وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿وسخَّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ نعم إن كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضاً وإن كان محتاجاً )** إليه **( لأن كل شجرة بعينها فلا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد، ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلماً فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد )** والخدمة في نموّه ونشأته **( فهو أولى به من غيره فترجح جانبه بذلك، فإن نبت في موات الأرض )** من نفسه **( لا بسقي آدمي اختص بمغرسه )** أي منبته بالملكية **( أو بغرسه )** بأن وضع بذره في تلك الأرض وتعهده بالسقي، **( فلا بدّ من طلب اختصاص آخر وهو السبق**

فللسابق خاصية السبق، فالعدل هو أن يكون أولى به وعبَّر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك، وهو مجاز محض، إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذي له ما في السموات والأرض، وكيف يكون العبد مالكاً وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره، نعم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم، كالملك ينصب مائدة لعبيده، فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليه براجمه فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت ملكاً له بالأخذ باليد، فإن اليد وصاحب اليد أيضاً مملوك ولكن إذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والإختصاص، والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي بذلك الإختصاص عن مزاحمته، فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في عباده، ولذلك نقول: من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم، وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته

---

إلى أخذه **فللسابق خاصية السبق، فالعدل أن يكون هو أولى به)** وهو ترجيح في حقه **(وعبّر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو)** في الحقيقة **(مجاز محض)** أي خالص لا شوب للحقيقة فيه، **(إذ لا ملك)** حقيقة **(إلا لملك الملوك)** جل شأنه **(الذي له ما في السموات والأرض)** وما في يد العبد فهو مستعار مردود، **(وكيف يكون العبد مالكاً و)** هو **(في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره)** لأن وجوده مستعار من وجود غيره وماله الوجود من غيره موجود مستعار لا قوام له بنفسه، بل إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإنما وجوده من حيث نسبته إلى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي ونسبة المستعار إلى المستعير مجاز محض. **(نعم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله)** المفروشة، **(وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدته لعبيده)** فهم شركاء فيها، **(فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه)** أي مفاصل أصابعه **(فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت ملكاً له بالأخذ باليد، فإن اليد وصاحب اليد أيضاً مملوك، ولكن إذا كانت لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد، فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي)** أي لا يتقرب **(بذلك الاختصاص عن مزاحمته)** وانتزاع اللقمة منه. **(فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في عباده، ولذلك نقول: من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه)** ولم ينفقه، **(وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم)** ولو أدى زكاة ما كنزه وهو أحد الوجوه في الآية **(وهو من الذين)** قال الله تعالى في حقهم: ﴿والذين **(يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله)** فبشرهم بعذاب أليم﴾ **(وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق**

أموال الدنيا، إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم، نعم لا يدخل هذا في حد فتاوي الفقه لأن مقادير الحاجات خفيفة والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة، وأواخر الأعمار غير معلومة، فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم، وهو بحكم نقصانهم لا يطيقونه، فتركنا الإعتراض عليهم في اللعب واللهو وإباحتنا ذلك إياهم لا يدل على أن اللهو واللعب حق، فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والإقتصار في الإنفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق وقد أشار القرآن إليه، إذ قال تعالى: ﴿إنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحِفكُم تبْخَلُوا﴾ [ محمد : ٣٧ ] بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الراكب، فكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان، فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى

---

**في الطاعة)** وفي نسخة في طاعته **(أموال الدنيا إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم. نعم هذا لا يدخل في حدّ فتاوى الفقه لأن مقادير الحاجات خفية)** لا تدرك **(والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة وأواخر الأعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهو بحكم نقصانهم)** في عقولهم **(لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا ذلك إياهم لا يدل على أن اللهو واللعب حق، فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق)** وإلى هذا يشير ما ورد كل مال أدى زكاته فليس بكنز، **(وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى: ﴿إنْ يسألكموها فيحفكم﴾)** أي يبالغ في سؤالكم حتى لا تبقوا منها شيئاً إلا وقد صرفتموه في سبيل الحق **(﴿تبخلوا﴾)** وذلك بمقتضى الجبلية **(بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الراكب)** كما ورد ذلك في الخبر بلفظ «وليكن زاد أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب» فإن الراكب لا يحمل من الزاد إلا قدر كفايته فقط، **(فكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان)** وسنوهم منازلهم، **(فمتى أخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل خارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا**

في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر، واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا تفي إلا بالقليل، وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ﴾ [ سبأ: ١٣ ] وفرح إبليس لعنه الله بقوله: ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [ الأعراف: ١٧ ] فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأموراً أخر وراء ذلك تنقضي الأعمار دون استقصاء مباديها؛ فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير.

فإن قلت: فقد رجع حاصل هذا الكلام إلى أن لله تعالى حكمة في كل شيء وإنه جعل بعض أفعال العباد سبباً لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعاً من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران، وهذا كله مفهوم، ولكن الإشكال باق: وهو أن فعل العبد المنقسم إلى ما يتمم الحكمة وإلى ما يرفعها هو أيضاً من فعل الله تعالى، فأين العبد في البيّن حتى يكون شاكراً مرة وكافراً أخرى؟ فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من

---

**والآخرة فمن فهم حكمة الله )** تعالى **( في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر، واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا تفي إلا بالقليل )** لكثر أنواع الموجودات فتكثر الحكم **( وإنما أوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق في قوله تعالى: ﴿وقليلٌ من عبادي الشكور﴾ و )** تعلم ( فرح إبليس لعنه الله بقوله: **﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا )** الذي أوردناه **( كله وأموراً أخر وراء هذا تنقضي الأعمار دون استقصاء مبادئها، فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة )** وهي لسان العرب، **( وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير )** فإن التفسير بيان لظاهر اللفظ والمعنى هو ما يكون بياناً لباطنه.

**( فإن قلت: رجع حاصل الكلام إلى أن لله تعالى حكمة في كل شيء وأنه جعل بعض أفعال العباد سبباً لتام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعاً من تمام الحكمة، فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو أن فعل العبد ينقسم إلى ما يتمم الحكمة وإلى ما يدفعها هو أيضاً من فعل الله تعالى فأين العبد في البين حتى يكون شاكراً مرة وكافراً أخرى؟ فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما**

علوم المكاشفات، وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمباديها، ونحن الآن نعبّر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الإيضاع في السير فضلاً عن أن يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول: إن لله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبّر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها، فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبادىء إشراقها، فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس، ولكن لضعف في أبصار الخفافيش، فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادىء حقائقها شيئاً ضعيفاً جداً، فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق، والإختراع، ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات، ومصدر انقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة، فهي توهم منها أمراً مجملاً عند المتناطقين باللغات التي

---

**سبق إلى تلويحات** ) أي إشارات ( **بمبادئها** ) أي أوائلها، ( **ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة** ) مختصرة ( **عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الإيضاع** ) أي الإسراع ( **في السير فضلاً عن أن يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول: إن لله تعالى في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع، وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها** ) التي هي هي من حيث هي هي، ( **فلم تكن لها عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات من أن يمتد طرفهم إلى مبادىء إشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش** ) جمع طائر معروف ( **عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس، ولكن لضعف أبصار الخفافيش** ) فإنها لا تحتمل نورها، ( **فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادىء حقائقها شيئاً ضعيفاً جداً فاستعاروا لها إسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع، ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر إنقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة** )وهي معنى يكون الفعل مراداً وهي أهم من وجه من الارادة وقد يستعمل كل منهما مقام الآخر ( **فهي توهم امراً مجملاً** ) في إيجاد معدوم أو إعدام موجود ( **عند المتناطقين باللغات التي هي حروف**

هي حروف وأصوات المتفاهمين بها، وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما يقف دون الغاية، وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلافات، فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة، واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة، وقيل: إنهما جميعاً داخلان في وصف المشيئة، ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمراً مجملاً عند طالبي الفهم من الألفاظ واللغات، ثم انقسم عباده الذين هم أيضاً من خلقه واختراعه إلى من سبقت له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها، ويكون ذلك قهراً في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور، فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة، فاستعير لنسبة المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا، واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب، فظهر على من غضب عليه في الأزل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها، فاستعير له الكفران، وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في

---

وأصوات للمتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة، ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما [illegible] إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلاف، واستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة، واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة، وقيل انهما جميعاً داخلان في وصف المشيئة، ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوهم) وفي نسخة يفهم (لفظ المحبة والكراهة منها أمر مجملاً عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات، ثم انقسم عباده الذين هم أيضاً من خلقه واختراعه إلى من سبقت له في المشيئة الازلية ان يستعمله لاستيعاب حكمته دون غايتها، ويكون ذلك قهراً في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم، وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فإن لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب، فظهر على من غضب عليه في الأزل بحكم مشيئته فعل وقفت الحكمة به دون غايتها، فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال) أي العذاب، (وظهر على من

النكال، وظهر على من ارتضاه في الأزل فعل انساقت بسببه الحكمة إلى غايتها، فاستعير له عبارة الشكر وأردف بخلعة الثناء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى، وأعطى النكال ثم قبح وأردى، وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه، فإذا تمم زينته قال يا جميل ما أجملك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال، وكأنه لم يثن من حيث المعنى إلا على نفسه، وإنما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة، فهكذا كانت الأمور في أزل الأزل، وهكذا تتسلسل الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب، ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحث بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء، وقيل انه كلمح بالبصر أو هو أقرب، ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير، فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلي، ولفظ القدر بإزاء التفصيل المتمادي إلى غير نهاية. وقيل إنَّ شيئاً من ذلك ليس خارجاً عن القضاء والقدر، فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا

---

**ارتضاه في الأزل )** بحكم مشيئته **( فعل انساقت بسببه الحكمة إلى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف )** ذلك **( بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال، فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى )** عليه **( وأعطى النكال ثم قبح وأزرى )** عليه **( وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ من أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه، فإذا تمم زينته قال )** له **( يا جميل ما أجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك، فيكون بالحقيقة هو المجمل )** أي معطي الجمال **( وهو المثني على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث المعنى )** إذ أثنى **( إلاّ على نفسه، وإنما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة، فهكذا كانت الأمور في أزل الأزل، وهكذا تسلسلت الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب، ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء )** وهو فصل الأمر قولاً أو فعلاً، **( وقيل إنه كلمح البصر أو هو أقرب )** وإليه الاشارة بقوله تعالى ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ **( ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم وبما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر )** محركة، **( فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلي )** الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية من الازل إلى الأبد **( ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي إلى غير نهاية )** فالقضاء أخص من القدر **( وقيل إن شيئاً من ذلك ليس خارجاً عن القضاء والقدر )** وقال المصنف في المقصد الأسنى: معنى الحكمة ترتيب

اقتضت هذا التفصيل، وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل، وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الأمر والإحتواء على مجامعه، فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [ الأنبياء: ٢٣ ] وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى في السموات والأرض وكان زيتهم أولاً صافياً يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، فمسته نار فاشتعل نوراً على نور، فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هي عليه فقيل لهم: تأدبوا بآداب الله تعالى واسكتوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا

---

الأسباب وتوجيهها إلى المسببات، وهو تعالى الحكيم المطلق لأنه سبب كل الأسباب جملتها وتفصيلها ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره أصل وضع الأسباب لتتوجه إلى المسببات هو حكمه وايجاده للأسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التي لا تحول ولا تزول إلى وقت معلوم ووضعه إياها ونصبه لها هو قضاؤه وتوجيه هذه الأسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة إلى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة هو قدره، فالحكم هو التدبير الأولى الكلي والأمر الأزلي الذي هو كلمح البصر والقضاء هو الوضع الكلي للأسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص، ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره ( **فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل، وكان بعضهم لقصوره** ) في العرفان ( **لا يطيق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء** ) أي الاشتمال وفي نسخة الاحتراز من الحوز والمعنى واحد ( **على مجامعه، فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته** ) وهي معظم الماء ( **بلجام المنع، وقيل لهم** ) بلسان الحال: ( اسكتوا **فما لهذا خلقتم** ) فلا تخوضوا فيه قال الله تعالى: ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ ففيه اشارة إلى هذا الالجام، ( **وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى** ) المنتشر ضياؤه ( **في السموات والأرض** ) يشير إلى قوله تعالى ﴿الله نور السموات الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [ النور: ٣٥ ] الآية والمشكاة هي الكوة في الحائط يوضع فيها المصباح، ( **وكان زيتهم** ) وهو الاستعداد ( **أولا صافياً** ) من كدورات الأوهام ﴿يكاد يضيء﴾ أي يشعل لكمال صفائه ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ بعد ( **فمسته نار فاشتعل نوراً على نور فأشرقت أقطار الملكوت** ) وهو عالم الغيب المختص ( **بين أيديهم بنور ربها** ) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ [ الزمر: ٦٩ ] **فأدركوا الأمور كلها كما هي عليها** ) بكنهها وحقيقتها ( **فقيل لهم: تأدبوا بآداب الله واسكنوا وإذا ذكر القدر فامسكوا** ) وهو بعض حديث ابي مسعود رواه الطبراني، وأبو نعيم، وابن صصري في أماليه وحسنه بلفظ « إذا ذكر أصحابي فامسكوا، وإذا ذكرت النجوم فامسكوا، وإذا ذكر القدر فامسكوا ». ورواه الطبراني أيضاً من حديث ثوبان، وابن عدي من

**فإن للحيطان آذاناً وحواليكم ضعفاء الأبصار، فسيروا بسير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم، فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وانزلوا إلى سماء الدنيا من منتهى علوّكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل، فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وإن كان لا يحيا به حياة المترددين في كمال نور الشمس، وكونوا كمن قيل لهم:**

| | |
|---|---|
| شربنا شراباً طيباً عند طيب | كذاك شراب الطيبين يطيبُ |
| شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة | وللأرض من كأس الكرام نصيبُ |

**فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره، ولا تفهمه إلا إذا كنت أهلاً له، وإذا كنت أهلاً له فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يقودك، والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حد ما؛ فإذا ضاق الطريق وصار أحدّ من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجرّ وراءه أعمى، وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلاً ولم يمكن العبور إلا بالسباحة، فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه**

---

حديث عمر ولم يصرح المصنف بكونه حديثاً وقد تقدم في كتاب العلم، ( **فإن للحيطان آذاناً** ) وهو مثل مشهور ( **وحواليكم ضعفاء الأبصار فسيروا بسير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش** ) فإنهم لا يطيقون، ( **فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى** ) وتحلوا بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقكم، ( **وانزلوا إلى السماء الدنيا منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم، كما تقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل** ) وهو ظلامه واختلاطه ( **فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله، وإن كان لا يحيا به حياة المترددين في كمال نور الشمس فكانوا** ) وفي نسخة كانوا ( **كما قيل** ):

( **شربنا شراباً عند طيب     كذاك شراب الطيبين يطيب** )

( **شربنا وأهرقنا على الأرض** فضلة )     أي سكبنا عليها ما فضل منها

**وللارض من كاس الكرام نصيب** )

**فهكذا كان أول الامر وآخره فلا تفهمه إلا إذا كنت أهلاً له وإذا كنت أهلاً له** ) وساعدتك العناية ( **فتحت العين وأبصرت** ) الطريق ( **فلا تحتاج إلى قائد يقودك** ) وهو المرشد ( **والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حد ما فإذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه و** ) لكن لم يقدر على أن يستجر وراءه أعمى لضيق الطريق، ( **وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلاً ولم يمكن العبور إلا بالسباحة فقد يقدر**

وربما لم يقدر على أن يستجرّ وراءه آخر ، فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء إلى المشي على الأرض ، والسباحة يمكن أن تتعلم؛ فأما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعليم بل ينال بقوّة اليقين ، ولذلك قيل للنبي ﷺ : إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء ! فقال ﷺ : « لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء » ، فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران ، لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها ، وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريباً إلى أفهام الخلق إذ عرّف أنه ما خلق الجن والأنس إلا ليعبدوه ، فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ، ثم أخبر أن له عبدين يحب أحدهما وإسمه جبريل وروح القدس

---

**الماهـر بصنعـــة السبـاحـــة أن يعبر بنفســه وبما لم يقـــدر على أن يستجــر وراءه)** رجلاً **(آخر)** لعدم قوته أو خوفه من الهلاك ، **(فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء إلى المشي على الأرض والسباحة)** على الماء **(يمكن أن تتعلم ، فأما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ، ولذلك قيل للنبي ﷺ : إن عيسى عليه السلام يقال أنه مشى على الماء فقال: لوازداد يقيناً لمشى على الهواء)** قال العراقي : هذا حديث منكر لا يعرف هكذا ، والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبدالله المزني قال: فقد الحواريون نبيهم فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه ، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشي على الماء فذكر حديثاً فيه أن عيسى قال: لو أن لابن آدم اليقين قدر شعيرة مشى على الماء وروى الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل: لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال انتهى .

قلت : روى ابن أبي الدنيا أيضاً ، وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال: قيل لعيسى بن مريم بأي شيء تمشي على الماء ؟ قال: بالايمان واليقين ، قالوا : فإنا آمنا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت ، قال: فامشوا إذاً فمشوا معه فجاء الموج فغرقوا فقال لهم عيسى: مالكم؟ فقالوا : خفنا الموج قال: ألا خفتم رب الموج ؟ فأخرجهم ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض منها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر فقال: أيهما أحلى في قلوبكم ؟ قالوا : الذهب قال: فإنهما عندي سواء .

**(فهذه رموز واشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها ، وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريباً إلى افهام الخلق إذ عرف)** على لسان رسوله ﷺ ﴿أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه﴾ وذلك في قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ [ الذاريات: ٥٦ ] **(فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ، ثم أخبر)** تعالى **(أن له عبدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين)** وقد ذكر بهذه الاسماء في القرآن فجبريل سريانية معناه عبدالله وسمي روح القدس لأن الروح ما به

والأمين، وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين: ويبغض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين المنظر إلى يوم الدين، ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى: ﴿قُلْ نزلهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿يُلْقِي الرُوحَ مِنْ أَمْرِه عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥] وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى: ﴿ليضلَّ عَنْ سَبِيلِه﴾ [الزمر: ٨] والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي غضب عليه، والإرشاد سياقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي أحبه، وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف إلا أقبحها وأخسها ولا يفوّض حمل الشراب الطيّب إلا إلى أحسنها وأكملها وأحبها إليه ولا ينبغي أن تقول: «هذا فعلي»، ولم يكون فعله دون فعلي؟». فإنك أخطأت إذ أضفت ذلك إلى نفسك، بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماماً للعدل، فإن عدله تارة يتم بأمور لا مدخل لك فيها، وتارة يتم فيك فإنك أيضاً من أفعاله، فداعيتك وقدرتك

---

حياة الأنفس، وأضيف إلى القدس لنزاهته وصفاء إشراقه وسمي الأمين لأمانته في تبليغ وحي الله تعالى إلى رسله (**وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين**) قال تعالى: ﴿مطاع ثم أمين﴾ [التكوير: ٢١] (**ويبغض الآخر واسمه ابليس**) إفعيل من البلس وهو التحير (**وهو اللعين المنظر**) أي المطرود الممهل (**إلى يوم الدين، ثم أحال الارشاد إلى جبريل فقال: ﴿قل**) يا محمد (**نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ وقال تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾**) قال تعالى ﴿نزل به الروح الامين﴾ ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ (**وأحال الاغواء إلى ابليس فقال: ﴿ليضلهم عن سبيله﴾ والاغواء هو استيقاف العبادة دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي أبغضه**) وفي نسخة غضب عليه (**والارشاد**) هو (**سياقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات**) والأوساخ (**وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف إلا أقبحها وأخسها ولا يفوض حمل الشراب الطيب إلا إلى أحسنها**) وجهاً (**وأكملها**) عقلاً (**وأحبها إليه فلا ينبغي أن تقول هذا فعلي ولن يكون فعله دون فعلي فإنك أخطأت إذا أضفت ذلك إلى نفسك**) جهلاً منك، (**بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماماً للعدل، فإنه تارة يتم بأمور لا مدخل لك فيها، وتارة يتم بك فإنك أيضاً من أفعاله**) بل كل ما في الوجود هو من أفعال الله تعالى (**فداعيتك**

وعلمك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيباً تصدر منه الأفعال المعتدلة، إلا أنك لا ترى إلا نفسك فتظن أنّ ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت، فلذلك تضيفه إلى نفسك، وإنما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلاً إلى لعب المشعبذ الذي يخرج صوراً من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بأنفسها وإنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان، فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد. وأما العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك، ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصيله، والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي الأمر إليه والجاذبة بيده، فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء، ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها، والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون، إلا العارفون والعلماء الراسخون فإنهم

---

**وقدرتك وعلمك وسائر أسباب حركاتك في التعيين هو الذي رتبه بالعدل ترتيباً تصدر منه الأفعال المعتدلة)** ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله، فمن أراد فهم ذلك فليحط علماً بأفعال الله تعالى كلها، وليتك تفي بمعرفة عجائب نفسك فتتفرغ للتأمل فيها وفيما يكتنفها من الاجسام (**إلا أنك لا ترى إلا نفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت، فلذلك تضيفه إلى نفسك)** وتنسى ترتيب الأسباب وتوجهها إلى المسببات بأقصى وجوه العدل، (**وإنما** أنـت**مثل الصبي الذي ينظر ليلاً إلى لعب المشعبذ )** ويقال المشعوذ من الشعبذة والشعوذة وهو أن يرى الانسان منه ما ليس له حقيقة و قد بينه بقوله: (**الذي يخرج صوراً )** مختلفة الأشكال (**من وراء حجاب)** رفيع (**ترقص وتزعق وتقوم وتقعد )** وتمشي وتقف (**وهي مؤلفة من صور لا تتحرك بأنفسها، وإنما تحركها خيوط شعريه دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعبذ وهو محتجب)** وراء حجاب (**عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلـك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد، وأما العقلاء )** المميزون (**فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحـرك، ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي الأمر إليه والجاذبة بيديه، فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان إلا العلماء )** وفي نسخة بالنسبة إلى العلماء (**ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعرفون أنهم محركون إلا أنهم لا يعلمون كيفية التحريـك وهـم الاكثرون )** فيكتفـون بـالعلم الإجمالي (**إلا العـارفـون )** منهـم (**والعلماء الراسخون فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير**

أدركوا بحدة أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة، ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها، وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات، وشاهدوا أيضاً ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [ الذاريات: ٢٢ ] وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من القدر والأمر فقيل: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [ الطلاق: ١٢ ] وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم، وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [ الطلاق: ١٢ ] فقال: لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني، وفي لفظ آخر: لقلتم انه كافر.

---

**معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه** الأبصار الظاهرة، ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا **لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات، وشاهدوا أيضاً أبصار ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من** حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ) فهم مسخرون لذلك ( وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقال ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ وقال ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [ الحجر: ٢١ ] ( وعبر عن انتظار ملائكة السموات لماينزل **عليهم من الأمر والقدر فقال ﴿خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله أحاط بكل شيء علماً﴾ وقال تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ وأوحى في كل سماء أمرها، ( وهذه أمور )** الهية **( لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم )** بتعليم الله إياهم وتفهيم الأمور الالهية بالأمور العرفية عسير جداً، وإنما نذكر الأمثلة لأجل التنبيه عليها، **( وعبر ابن عباس )** رضي الله عنه **( عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحملها أفهام الخلق حيث قرأ تعالى: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ فقال: لو ذكرت ما أعرفه )** وفي نسخة ما عرفت فيه **( من معنى هذه الآية لرجمتموني، وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر )** وذلك لأن أفهامهم قاصرة لا تحتمل المعاني الدقيقة من أسرار الربوبية، وإليه يشير ما ورد إفشاء سر الربوبية كفر.

ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول:

إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملاً في إتمام حكمة الله تعالى، فأشكر العباد أحبهم إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله الملائكة ولهم أيضاً ترتيب، وما منهم إلا وله مقام معلوم، وأعلاهم في رتبة القرب ملك إسمه إسرافيل عليه السلام، وإنما علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام بررة، وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام، وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض، ويلي درجتهم درجة الأنبياء فإنهم في أنفسهم أخيار، وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته، وأعلاهم رتبة نبينا ﷺ إذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين، ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم في

---

( **ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار، وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول: إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملاً في إتمام حكمة الله تعالى فأشكر العباد** ) أي أكثرهم شكراً ( **أحبهم إلى الله تعالى وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله تعالى الملائكة** ) وذلك بالسعي في اكتساب الممكن من هذه الصفة والمتخلق بها يصير رفيقاً للملأ الاعلى من الملائكة فإنهم على بساط القرب، فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الله تعالى، ( **ولهم** ) أي للملائكة ( **أيضاً ترتيب وما منهم إلا وله مقام معلوم** ) في بساط القرب وكلهم مقربون ودرجات قربهم متفاوتة ( **وأعلاهم في رتبة القرب إسرافيل عليه السلام** ) وهو صاحب الصور وقال المصنف في مشكاة الانوار: قد انكشف لأرباب البصائر أن الانوار الملكوتية إنما وجدت على الترتيب بحيث يقتبس بعضها من بعض، وأن المقرب هو الأقرب إلى النور الأقصى، فلا يبعد أن يكون رتبة إسرافيل فوق رتبة جبريل، فإن فيهم الأقرب بقرب درجة من حضرة الربوبية التي هي منبع الأنوار كلها وأن فيهم الأدنى، وبينهما درجات تستعصي على الإحصاء، وإنما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم في صفوفهم وأنهم كما وصفوا به انفسهم إذ قالوا: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون﴾ [ الصافات: ١٦٤ - ١٦٦ ] ( **وإنما علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام بررة وقد أصلح الله بهم الانبياء** ) بايصال الوحي إليهم ( **وهم** ) أي الأنبياء ( **أشرف مخلوق على وجه الأرض ويلي درجتهم درجة الانبياء فإنهم في أنفسهم أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق** ) إلى ما فيه نجاتهم وعصمتهم ( **وتمم بهم حكمته** ) في الخلق، ( **وأعلاهم رتبة نبينا محمد ﷺ وعليهم إذ أكمل به الدين** ) الذي ارتضاه ( **وختم به النبيين** ) والمرسلين كما يشير إلى كل منهما قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [ المائدة: ٣ ] وقوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾ [ الأحزاب: ٤٠ ] ( **ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء** ) ورثوا منهم علما وحكمة ( **فإنهم في أنفسهم**

أنفسهم صالحون، وقد أصلح الله بهم سائر الخلق، ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره، ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم، ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد ﷺ كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء، ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط، فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فهمج رعاع.

واعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحقر وإن كان ظالماً فاسقاً قال عمرو بن العاص رحمه الله: إمام غشوم خير من فتنة تدوم. وقال النبي ﷺ: « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر، فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر » وقال سهل: من

---

**صالحون، وقد أصلح الله بهم سائر الخلق )** بإرشادهم إياهم إلى طريق الحق **( ودرجة كل واحد بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره، ثم يليهم )** أي يلي درجة الأنبياء **( السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم )** فكل من العلماء والسلاطين في درجة واحدة ولكن مع اعتبارين مختلفين، **( ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا ﷺ كان أفضل من سائر الأنبياء )** عليهم السلام **( فإنه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم )** ومعاشهم ومعادهم، **( ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء )** فقد روى أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبدالله وحده لا شريك له وجعل رزقي في ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري » الحديث، **( ثم يلي العلماء الصالحون الذين أصلحوا دينهم )** وفي نسخة أنفسهم **( فقط، فلم تتم حكمة الله بهم إلا فيهم )** فهؤلاء كذلك لهم درجة ما في القرب **( ومن عدا هؤلاء فهمج رعاع )** لايعبأ بهم.

**( واعلم أن السلطان )** المتولي لأمور المملكة أهم من أن يكون خليفة أو ملكاً وإن كان في مصطلح أهل الفن فرق بين الثلاثة تقدمت الإشارة إليه في كتاب العلم **( به قوام الدين )** ونظامه وملاكه، **( فلا ينبغي أن يستحقر )** أو يهان **( وإن كان ظالماً )** غشوماً **( فاسقاً )** متعدياً للحدود الشرعية، **( قال عمرو بن العاص رحمه الله تعالى: إمام غشوم خير من فتنة تدوم )** والغشوم هو الظالم، **( وقال النبي ﷺ « سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر » )** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أم سلمة « تستعمل عليكم أمراء فيعرفون وينكرون » ورواه الترمذي بلفظ « سيكون أمراء » وقال: حسن صحيح، وللبزار بسند ضعيف من حديث ابن عمر: « السلطان ظل الله في الارض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر، وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر ». وأما قوله « وما يصلح الله

**أنكر إمامة السلطان فهو زنديق، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع. ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل. وسئل: أي الناس خير؟ فقال: السلطان، فقيل: كنا نرى أن شر الناس السلطان! فقال: مهلاً إن لله تعالى كل يوم نظرتين: نظرة إلى سلامة أموال المسلمين، ونظرة إلى سلامة أبدانهم، فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه، وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصاً يقصون.**

---

بهم أكثر» فلم أجده بهذا اللفظ إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع إليه الناس لما أنكر واسيرة الوليد بن عقبة، فقال عبدالله اصبروا فإن جور إمامكم خمسين سنة خير من هرج سنة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكر حديثاً فيه «والامارة الفاجرة خير من الهرج» رواه الطبراني في الكبير باسناد لا بأس به انتهى.

قلت: بل هو في حديث الربيع بن عميلة عن ابن مسعود رفعه «سيليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فمن عمل منهم بطاعة الله فلهم الأجر وعليكم الشكر ومن عمل منهم بمعصية الله فعليهم الوزر وعليكم الصبر». رواه هكذا البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في العادلين، وإبن النجار في التاريخ، وقد نبه على ذلك الحافظ السخاوي، في هامش المغني مختصراً، ووجدت بعض سياق المصيف في حديث أبي هريرة «سيليكم بعدي ولاة فيليكم البرّ ببرّه ويليكم الفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق وصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساؤا فلكم وعليهم» رواه إبن جرير، والدارقطني، وابن النجار باسناد ضعيف، وفي خبر آخر «سيكون من بعدي أمراء فأدوا إليهم طاعتهم فإن الامير مثل المجن يتقى به فإن صلحوا واتقوا وأمروكم بخير فلكم، ولهم وإن أساؤا وأمروكم به فعليهم وأنتم منه براء وأن الامير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم» رواه الطبراني في الكبير عن شريح بن عبيد قال أخبرني جبير بن نفير، وكثير بن مرة، وعمر بن الأسود، والمقدام بن معدي كرب وأبو امامة.

**(وقال سهل)** التستري رحمه الله تعالى: **(من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل، وسئل)** أيضاً: **(أي الناس خير؟ فقال: السلطان فقيل)** له: **(إنا كنا نرى أن شر الناس السلطان فقال: مهلاً إن لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه، وكان)** أيضاً **(يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصاً يقص)** وفي نسخة قاصاً يقصون وروى صاحب الحلية في ترجمة عبدالله بن المبارك من قوله:

الله يدفع بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الائمة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

# الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر

وهو النعمة، فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تَحْصُوهَا﴾ [ ابراهيم: ٣٤ ] فنقدم أموراً كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم. ثم نشتغل بذكر الآحاد، والله الموفق للصواب.

## بيان حقيقة النعمة وأقسامها:

اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة، ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية، وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز، كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض، وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقاً ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات المسماة

---

**الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر:**

**وهـو النعمة، فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأوصافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن إحصاء نعم الله تعالى )** الموهوبة والمكتسبة **( على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فنقدم أموراً كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم، ثم نشتغل بذكر الآحاد والله الموفق للصواب ) .**

**بيان حقيقة النعمة وأقسامها:**

**( اعلم )** وفقك الله تعالى **( أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر )** أي مختار **( فإنه يسمى نعمة، ولكن النعمة هي السعادة الأخروية )** وإليها الاشارة بقوله تعالى ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ [ هود: ١٠٨ ] الآية وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصدق وهو أربعة أشياء بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر. **( وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز )** إما لكونه معاوناً في بلوغ ذلك أو قائماً فيه **( كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط )** محض **( وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقاً )** في حد ذاته، **( ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط )** متعددة **( فإن تسميته نعمة صحيح وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية )** وكل ما أفضى إلى

نعمة نشرحها بتقسيمات:

**القسمة الأولى:** إن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعاً: كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيهما جميعاً كالجهل وسوء الخلق، وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المآل: كالتلذذ باتباع الشهوات، وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس، فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقاً كالعلم وحسن الخلق والضارّ فيهما هو البلاء تحقيقاً وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلاً فيه سم فإنه يعدّه نعمة إن كان جاهلاً، وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه. والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال: ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة، فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعدّه نعمة ويتقلد المنة ممن

---

النعمة نعمة، كما أن كل ما أعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة ( **والأسباب المعينة** ) على الخير ( **واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات** ).

( **القسمة الأولى:**

( **إن الأمور** ) التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الأخروية ( **كلها بالاضافة إلينا** ) متفاوتة الأحوال وهي ( **تنقسم إلى ما هو نافع** ) في جميع الأحوال على كل وجه ( **في الدنيا والآخرة جميعاً كالعلم وحسن الخلق، وإلى ما هو ضار فيهما جميعاً** ) في سائر الأحوال وعلى كل وجه ( **كالجهل وسوء الخلق، وإلى ما ينفع في الحال و** ) ولكن ( **يضر في المآل** ) فهو نفع في حال دونٌ حال وعلى وجه دون وجه، وذلك ( **كالتلذذ باتباع الشهوات** ) والإخلاد إليها ( **وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل** )-فهو ضرر في حال دون حال وعلى وجه دون وجه، وذلك ( **كقمع الشهوات ومخالفة النفس** ) فالأقسام أربعة، ( **فالنافع في الحال وفي المآل هو النعمة تحقيقاً كالعلم وحسن الخلق، والضار منها هو البلاء تحقيقاً وهو ضدها** ) كالجهل وسوء الخلق، ( **والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الأبصار ويظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلاً فيه سم** ) ساعة ( **فإنه يعده نعمة إن كان جاهلاً** ) به، ( **وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه** ) فيجتنبه ( **والضار في الحال النافع في المآل نعمة، عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال، ومثاله الدواء البشع** ) أي الكريه ( **في الحال المر مذاقه** ) أي طعمه ( **إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة، فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء** ) سيق إليه ( **والعاقل** ) الكامل ( **يعده**

يهديه إليه ويقربه منه ويهيء له أسبابه، **فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها فإن الأب لكمال عقله يلمح العاقبة، والأم لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال، والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدواً له، ولو عقل لعلم أن الأم عدواً باطناً في صورة صديق، لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشدّ من الحجامة، ولكن الصديق الجاهل شر من العدوّ العاقل. وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل، فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدوّ.**

**قسمة ثانية: اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها، فقلما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب، ولكن تنقسم إلى ما نفعه**

---

نعمة ويتقلد المنّة **ممن يهديه إليه ويقربه منه ويهيء له أسبابه)** ويمكنه منه، **(فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة)** في البلاد الحارة **(والأب يدعوه إليها فإن الأب لكمال عقله يلمح العاقبة)** أي المآل **(والأم لفرط حبها)** له **(وقصورها)** في عقلها **(تلحظ الحال)** دون المآل **(والصبي لجهله يتقلد منة أمه دون أبيه ويأنس إليها و)** يميل **(إلى شفقتها ويقدر الأب عدواً له، ولو عقل لعلم أن الأم عدو باطن في صورة صديق)** فهي كما قال القائل:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

**(لأن منعها إياه)** اي ولدها **(من الحجامة)** في الوقت المحتاج **(يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة)** فيما بعد، **(ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل)** فإن عقل العدو ربما يصده عن كثير مما يعادي به، **(وكل إنسان فإنه صديق نفسه، ولكنه صديق جاهل، فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو)** فحق العاقل أن يعرف تلك الأمور بحقائقها حتى لا يقع الخطأ عليه في إختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس والناس في مُتحريّاتها طالب خير وهارب من شر كما قال الشاعر:

كل يحاول حيلة يرجو بها ... دفع المضرة واجتلاب المنفعة
والمرء يغلط في تصرف حاله ... فلربما اختار العناء على الدعة

لكن يحسب الشحم فيمن شحمه ورم ويقدر في الشيء أنه رزق نافع وحشوه سم ناقع، فلذلك يحق على العاقل أن يجلي بصيرته ويعرف من كل ما يطلب حقيقته لئلا يكون كمن يريد حبلاً ينتطق به، فرأى حية فظنّها مبتغاه فأخذها فلدغته.

**(قسمة ثانية):**

**(اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها)** لشدة الاختلاط، وذلك **(كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب، ولكن ينقسم)**

أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب، وإلى ما ضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع، وإلى ما يكافىء ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص، فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات، فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه، ورب إنسان يستضر بالقليل أيضاً إذ لا يزال مستصغراً له شاكياً من ربه طالباً للزيادة عليه، فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه.

**قسمة ثالثة:** اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته لا لغيره وإلى مؤثر لغيره، وإلى مؤثر لذاته ولغيره.

**فالأول:** ما يؤثر لذاته لا لغيره: كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه، وبالجملة سعادة الأخرى التي لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها.

**الثاني:** ما يقصد لغيره ولا غرض أصلاً في ذاته كالدراهم والدنانير فإن الحاجة لو

---

ذلك ( **إلى ما نفعه أكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب وإلى ما ضرره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير** ) الزائد في الكفاية ( **والجاه الواسع** ) عند ذوي الأموال ( **وإلى ما يكافىء** ) أي يقابل ( **ضرره نفعه، وهذه أمور تختلف باختلاف الأشخاص فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه** ) إذ لم يطغه، ( **ورب إنسان يستتر بالقليل** ) من المال ( **أيضاً إذ لا يزال مستصغراً له** )أي مستحقراً ( **شاكياً من ربه** ) في خلوته وجلوته غير راض عنه فيما قسمه له ( **طالباً للزيادة عليه فيكون ذلك مع الخذلان** ) وقلة التوفيق ( **بلاء في حقه** ) فحق العاقل أن يتحرى في تلك الأمور ويعطي النعم استحقاقها.

( **قسمة ثالثة** ):

( **اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته وإلى** ) ما هو ( **مؤثر لغيره** ) لا لذاته ( **وإلى** ) ما هو ( **مؤثر لذاته ولغيره** ) معاً.

( **فالأول** ) من الأقسام ( **ما يؤثر لذاته لا لغيره** ) وهو ( **كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه** ) وكذلك السعادة النفسية ( **وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها** ).

( **الثاني** ) من الأقسام ( **ما يقصد لغيره ولا غرض أيضاً في ذاته** ) وهذا ( **كالدراهم**

كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصباء بمثابة واحدة، ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى يجمعوها ويكنزوها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة، ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصاً فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولاً بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده، وهو غاية الجهل والضلال.

**الثالث:** ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى، أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا، وتقصد أيضاً لذاتها فإن الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضاً سلامة الرجل من حيث أنها سلامة، فإذاً المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثر لذاته ولغيره أيضاً فهو نعمة ولكن دون الأوّل، فأما ما لا يؤثر إلا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنهما جوهران فأنهما نعمة، بل من

---

**والدنانير، فإن الحاجات)** الضرورية **(لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصباء بمثابة واحدة)** أي بمنزلة سواء، **(ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها)** كما قال القائل:

إذا كنت في حاجة مرسلاً  فارسل رسولاً هو الدرهم

**(صارت عند الجهال محبوبة في أنفسها حتى)** أنهم **(يجمعونها ويكنزونها)** ويتقاتلون عندها **(ويتصارفون عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة)** لذاتها، **(ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصاً فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول)** الذي هو الواسطة **(محبة الأصل)** الذي هو المحبوب، **(فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولاً بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال)**.

**(الثالث)** من الأقسام: **(ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى)** وهو قصد العارفين، **(أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات)** الدنيا وهو قصد الجاهلين **(وتقصد أيضاً لذاتها، فإن الاسان وإن استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضاً سلامة الرجل)** وصحتها **(من حيث أنها سلامة، فإذاً المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثر لذاته ولغيره أيضاً فهو نعمة ولكن دون الأولى)** في الرتبة، **(فأما مالا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث أنهما جوهران بأنهما نعمة، بل من حيث هما وسيلتان**

حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمراً ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما، فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته، استوى عنده الذهب والمدر، فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة، بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة.

**قسمة رابعة:** اعلم أنّ الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل، فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال، والنافع هو الذي يفيد في المآل، والجميل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال: والشرور أيضاً تنقسم إلى ضارّ وقبيح ومؤلم، وكل واحد من القسمين ضربان: مطلق ومقيد، فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فإنها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة، وأما في الشر فكالجهل فإنه ضارّ وقبيح ومؤلم، وإنما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل، وذلك بأن يرى غيره عالماً ويرى نفسه جاهلاً فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة، ثم قد يمنعه الحسد، والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادّان فيعظم ألمه، فإنه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان، وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك

---

**فيكونان نعمة في حق من يقصد أمراً ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما، فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر، فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة، بل ربما شغله وجودهما )** عنده **( عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة )** فحق العاقل أن يكتفي بالقدر الضروري منهما.

**( قسمة رابعة ):**

**( اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل، فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال، والنافع هو الذي يفيد في المآل، والجميل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال، والشرور أيضاً تنقسم إلى ضار ونافع وقبيح ومؤلم، وكل واحد من القسمين ضربان: مطلق ومقيد، والمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة. أما في الخير فكالعلم والحكمة فإنها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة، وأما في الشر فكالجهل فإنه ضار وقبيح ومؤلم وإنما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل )** وذلك **( بأن يرى غيره عالماً ويرى نفسه جاهلاً، فيدرك ألم النقص فتنبعث** منه شهوة العلم **اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر )** وإيثار الراحة والدعة وغيرها من **( الشهوات البدنية من التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه، فإنه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وإن اشتغل بالتعلم تألم**

الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم، ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة.
والضرب الثاني: المقيد، وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض، فرب نافع مؤلم كقطع الأصبع المتأكلة والسلعة الخارجة من البدن، ورب نافع قبيح كالحمق فإنه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع، فقد قيل: استراح من لا عقل له فإنه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال إلى أن يحين وقت هلاكه، ورب نافع من وجه ضارّ من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق، فإنه ضارّ للمال نافع للنفس في نجاتها. والنافع قسمان: ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال إلى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما ألبتة غيرهما، وإلى ما لا يكون ضرورياً كالسكنجبين مثلاً في تسكين

---

**بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم، ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة).**

**(والضرب الثاني مقيد؛ وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض)** أي شيئاً من أوصاف الخيرات وشيئاً من أوصاف الشرور، **(فرب نافع)** مؤذ **(مؤلم كقطع الاصبع الزائدة)** وفي نسخة المتأكلة **(والسلعة الخارجة من البدن)** كجدع قصير أنفه، فإنه وإن نفعه في إدراك الثأر فقد آذاه، **(ورب نافع قبيح كالحمق)** وهو فساد جوهر العقل، **(فإنه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع، وقد قيل: استراح من لا عقل له فإنه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال إلى أن يحين وقت هلاكه)**، فهذا وإن نفعه باعتبار ذلك فهو جداً قبيح، **(ورب نافع من وجه آخر كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق)** أي كمن في سفينة فخاف الغرق فألقى متاعه في الماء فتخلصت السفينة، **(فإنه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها)**، والوجهان مختلفان وكل ما نفعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو أفضل.

فإن قيل: ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع؟ فاعلم أن الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لأجله هو الذي يتشوفه كل عاقل بل الكل بلا شهوية ويضاده الشر وهو المحترز من أجل نفسه والمحترز غيره من أجله، والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الأربع التي تقدم ذكرها، وقد يقال لما يتوصل به إلى هذه الأربع سعادة ويضادها الشقاوة. وأما الفضيلة، فإسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بأن يتوصل به إلى السعادة ويضادها الرذيلة. وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير، **(و)** إذا علمت ذلك فاعلم أن **(النافع قسمان ضروري)** وهو مالا يمكن الوصول أي المطلوب إلا به **(كالايمان وحسن الخلق في الايصال إلى سعادة الآخرة، وأعني بهما العلم والعمل)** الصالح للمكلفين **(إذ لا يقوم مقامهما ألبتة غيرهما مالا يكون ضرورياً)** وهو الذي قد يسد غيره مسده **(كالسكنجبين مثلاً في**

الصفراء فإنه قد يمكن تسكينها أيضاً بما يقوم مقامه.

**قسمة خامسة:** اعلم أن النعمة يعبر بها عن كل لذيذ، واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع: عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات، وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات.

أما العقلية فكلذة العلم والحكمة إذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج، وإنما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل، وهذه أقل اللذات وجوداً وهي أشرفها، أما قلتها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذها إلا حكيم، وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم. وأما شرفها فلأنها لازمة لا تزول أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة، ودائمة لا تمل، فالطعام يشبع منه فيمل، وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل، والعلم والحكمة قط لا يتصوّر أن تمل وتستثقل ومن قدر على الشريف الباقي أبد الآباد إذا رضي بالخسيس

---

**تسكين الصفراء فإنه قد يمكن تسكينها أيضاً بما يقوم مقامه)**، وكل نافع فقد يسمى فضيلة وسعادة وخيراً لكونه مبلغاً إلى ذلك، والله أعلم.

**(قسمة خامسة):**

**(اعلم أن النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالإضافة إلى الانسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع)** لذة **(عقلية، و)** لذة **(بدنية)** وهي على قسمين: إما **(مشتركة مع بعض الحيوانات و)** إما **(بدنية مشتركة)** مع جميع الحيوانات.

**(أما)** اللذة **(العقلية فكلذة العلم والحكمة إذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وإنما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل، وهذه أقل اللذات وجوداً وهي أشرفها. أما قلتها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذها إلا حكيم، وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسمهم. وأما شرفها فلأنها لازمة لا تزول أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل، فالطعام يشبع منه فيمل، وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل)** ولو أنه لا يمل منها. **(والعلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستثقل)** فحق العاقل أن يرغب إلى الله في أن يعطيه ما فيه مصلحة مما لا سبيل له بنفسه إلى اكتسابه، وأن يبذل جهده مستعيناً بالله في اكتساب ماله كسبه وبلوغ الأعلى فالأعلى منه على الترتيب فبذلك يشرف، **(ومن قدر على الشريف الباقي أبد الآباد إذا رضي بالخسيس الفاني في أقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم في عقله محروم بشقاوته وإدباره)**، ومن ضيع أنفس المقتنيات مع التمكن من تحصيلة فهو دنيء الهمة راض بخسيس الحال،

الفاني في أقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وأدباره وأقل أمر فيه: أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحفظة بخلاف المال، إذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزيد بالإنفاق والمال ينقص بالإنفاق، والمال يسرق والولاية يعزل عنها، والعلم لا تمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أيدي السلاطين بالعزل، فيكون صاحبه في روح الأمن أبداً، وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبداً، ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال أبداً، والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة، ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن سماه خيراً في مواضع. وأما قصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم،فإما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق، إذ الشوق تبع الذوق، وأما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب أتباع الشهوات، كالمريض الذي لا

---

( **وأقل أمر فيه أن** ) كلاً من ( **العلم والعقل** ) إذا حصل لا يغيب و ( **لا يحتاج** ) في حفظه ( **إلى أعوان وحفظه بخلاف المال** ) وغيره من المقتنيات الحالية، ( **إذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالإنفاق والمال يصرف والولاية يعزل عنها، والعلم لا تمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أيدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الأمن أبداً، وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبداً** ) وتقدم الكلام على ضده المجمل تفضيلاً في كتاب العلم. ( **ثم العلم نافع ولذيذ وجميل** ) عاجلاً وآجلاً ومطلقاً ( **في كل حال أبداً** ) أي في كل زمان وكل مكان، ولذا كان أفضل الفضائل النفسية، ( **والمال** ) وكذا الجاه وهما من الخيرات المتوسطة ( **تارة يجذب إلى الهلاك** ) إذا كان مع الجهل، ( **وتارة يجذب إلى النجاة** ) إذا كان مع العلم، ( **ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع** ) كثيرة ونبه على كونه سبباً للشر فقال ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [ التغابن: ١٥ ] وقال تعالى ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ [ التوبة: ٨٥ ] الآية ولذلك قيل: السعيد هو الخير العاقل غنياً كان أو فقيراً قوياً كان أو ضعيفاً، ( **وإن سماه خيراً في مواضع** ) كقوله تعالى ﴿إن ترك خيراً﴾ [ البقرة: ١٨٠ ] ولكنه قد يكون خيراً لبعض الناس وشرا لبعضهم، فمعلوم أنه كان شراً لمن قال تعالى فيه: ﴿الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده﴾ [ الهمزة: ٢، ٣ ] ( **وأما قصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم** ) والحكمة ( **فإما لعدم الذوق** ) وهو تناول الشيء بالفم لادراك الطعم هذا هو الأصل ( **ومن لم يذق لم يعرف ولم يشتق إذ الشوق تبع للذوق** ) وإليه الاشارة بقول القائل:

ولو يذوق عاذلي صبابتي ... صبا معي لكنه ما ذاقها

( **وإما لفساد أمزجتهم وتمرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات** ) فإن لها تأثيراً ظاهراً في تغيير الأمزجة ( **كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مراً** ) كما قال المتنبي:

ومن يكن ذا فم مر مريض ... يجد مراً به الماء الزلالا

يدرك حلاوة العسل ويراه مراً ، وإما لقصور فطنتهم إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم ، كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ إلا اللبن ، وذلك لا يدل على أنها ليست لذيذة ولا استطابته للبن تدل على أنه ألذ الأشياء ، فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة ، إما من لم يحي باطنه كالطفل وإما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات ، وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات : وقوله تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [ البقرة: ١٠ ] إشارة إلى مرض العقول. وقوله عز وجل: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [ يس: ٧٠ ] إشارة إلى من لم يحي حياة باطنة ، وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وإن كان عند الجهال من الأحياء ، ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان.

الثانية : لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرئاسة والغلبة والإستيلاء ، وذلك موجود في الأسد والنمر وبعض الحيوانات.

الثالثة : ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج ، وهذه أكثرها وجوداً وهي أخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ، ومن

---

**( وإما لقصور فطرتهم )** التي فطروا عليها **( إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ إلا اللبن ، وذلك لا يدل على أنها ليست لذيذة ولا استطابته اللبن يدل على أنه ألذ الأشياء ، فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة إما من لم يحي بعد باطنه كالطفل )** فإنه غير متهيء لذلك ، **( وأما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات )** فإنها تميت القلوب **( وأما من مرض بسبب اتباع الشهوات )** ولم يمت بعد ، فكل هؤلاء قاصرون عن درك اللذة المعنوية **( وقوله تعالى )** في حق المنافقين ، ﴿ **في قلوبهم مرض** ﴾ اشارة إلى مرض العقول وقوله تعالى : ( ﴿ **لينذر من كان حياً** ﴾ **إشارة الى من حي حياة باطنة** ) وليس المراد به الحياة الظاهرة ، **( وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى )** أي يعد منهم **( وإن كان )** هو **( عند الجهال )** يعد **( من الاحياء ، ولذلك كان الشهداء )** في سبيل الله **( أحياء عند ربهم يرزقون فرحين )** كما أخبر بذلك عنهم الله تعالى . **( وإن كانوا موتى بالأبدان )** .

**( الثانية :لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرئاسة والغلبة والاستيلاء )** والقهر ، **( وذلك موجود في الأسد والنمر وبعض الحيوانات )** من السباع والوحوش.

**( الثالثة : ما يشاركه بها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج ، وهذه أكثرها وجوداً وهي أخسها )** رتبة ، **( ولذلك اشترك فيها كل ما دب )** على الأرض **( ودرج حتى الديدان**

جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة ، وهو أشدّها التصاقاً بالمتغافلين ، فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة ، لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله ، وهذه رتبة الصدّيقين ، ولا ينال تمامها إلا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب ، وآخر ما يخرج من رؤوس الصدّيقين حب الرئاسة ، وأما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرئاسة لا يقوى على كسرها إلا الصدّيقون. فأما قمعها بالكلية ، حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجاً عن مقدور البشر ، نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الإحساس بلذة الرئاسة والغلبة ، ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود إليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل ، وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعةأقسام : قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه ، وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرئاسة والمال وسائر الشهوات البدنية ،وقلبأغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية. وقلب أغلب أحواله التلذذ

---

**والحشرات ، ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة وهي أشدها التصاقاً بالمتغافلين ، فإن جاوز ذلك إرتقى إلى الثالث فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيا لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين )** وخرج العارفون من الدنيا ولم يذوقوا أطيب من هذا ، **( ولا ينال تمامها إلا لخروج استيلاء حب الرئاسة من القلب وآخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرئاسة )** كما قاله سهل رحمه الله تعالى ، **( وأما شره البطن والفرج فكسره )** وقهره **( مما يقوى عليه الصالحون )** من عباد الله تعالى ، **( وشهوة الرئاسة لا يقوى على كسرها )** وفي نسخة قهرها **( إلا الصديقون فأما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجاً عن مقدور البشر )** إذ لا بد من معاودة في بعض الأحوال بمقتضى ما جبل عليه البشر ، **( ثم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرئاسة والغلبة ، ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود إليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة )** بالعقل **( لا تقوى على حمل النفوس على العدول عن )** منهج **( العدل )** المأثور به ، **( وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام: قلب لا يحب إلا الله ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه ، وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرئاسة والمال وسائر الشهوات البدنية ، وقلب أغلب أحواله الإنس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فنه ، ولكن قد يعتريه في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية ، وقلب أغلب**

بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة. أما الأول فإن كان ممكناً في الوجود فهو في غاية البعد وأما الثاني فالدنيا طافحة به. وأما الثالث والرابع فموجودان ولكن على غاية الندور، ولا يتصوّر أن يكون ذلك إلا نادراً شاذاً، وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة، وإنما تكون كثرته في الأعصار القريبة من أعصار الأنبياء عليهم السلام، فلا يزال يزداد العهد طولاً وتزداد مثل هذه القلوب قلة، إلى أن تقرب الساعة ويقضي الله أمراً كان مفعولاً، وإنما وجب أن يكون هذا نادراً لأنه مبادىء ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون، فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال إلا نادراً وأكثر الناس من دونهم، فكذا في ملك الآخرة، فإن الدنيا مرآة الآخرة، فإنها عبارة عن عالم الشهادة، والآخرة عبارة عن عالم الغيب، وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب، كما أنّ الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة، والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أولى في حق رؤيتك، فإنك لا ترى نفسك، وترى صورتك في المرآة أولاً فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانياً على سبيل المحاكاة؛ فانقلب التابع في الوجود متبوعاً في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدماً؛ وهذا نوع من الإنعكاس ولكن الإنعكاس والإنتكاس ضرورة هذا العالم، فكذلك عالم الملك

---

**أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة. أما الأول وإن كان ممكناً في الوجود )** لا يستحيله العقل **( فهو في غاية البعد، وأما الثاني: فالدنيا طافحة به )** أي ممتلئة **( وأما الثالث والرابع، فموجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور أن يكون إلا نادراً شاذاً )** قليل الوجود، **( وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة، وإنما تكون كثرته في الأعصار القريبة من أعصار الأنبياء عليهم السلام )** لكثرة الأنوار فيها، **( فلا يزال يزداد العهد طولاً وتزداد مثل هذه القلوب قلة إلى أن تقرب الساعة ويقضي الله أمراً كان مفعولاً، وإنما وجب أن يكون هذا نادراً لأنه مبادىء ملك الآخرة والملك عزيز والملوك )** يقلون و **( لا يكثرون، فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال )** في الدنيا **( إلا نادراً وأكثر الناس من دونهم، فكذا في ملك الآخرة فإن الدنيا مرآة الآخرة )** بها يتراءى ما في الآخرة، **( فإنها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب )** المختص، **( وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب، كما إن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أول في حق رؤيتك فإنك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولاً فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانياً على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعاً في المعرفة، وانقلب المتأخر متقدماً وهذا نوع من الانعكاس )** غريب المعنى، **( ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم، فكذلك عالم الملك والشهادة**

والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت، فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمي عبوره عبرة، وقد أمر الحق به تعالى فقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارَ﴾ [ الحشر : ٢ ] ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسينفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء ناراً من شأنها أن تطلع على الأفئدة إلا أن بينه وبين إدراك ألمها حجاباً، فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك، وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان، ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين، ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين، وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة، وعلم اليقين قد

---

**محاك لعالم الغيب والملكوت)** وفي هذا العـالم عجائب تستحقر إليها بالاضافة إلى عالم الشهادة وهو بالاضافة إلى عالم الملكوت كالقشرة بالاضافة إلى اللب، وكالصورة والقالب بالإضافة إلى الروح، وكالظلمة بالاضافة الى النور ،وكالسفل بالاضافة إلى العلو، ولذلك يسمى العالم العلوي والروحاني والنوراني في مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني قال الله تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ [ الأنعام : ٥٩ ]أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم الشهادة إذ عالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة إلى الشخص، ومجرى الثمر بالإضافة إلى المثمر، والمسبب بالاضافة إلى السبب ومفاتيح معرفة المسببات لا تؤثر من الاسباب، ولذلك كان عالم الشهادة مثالاً لعالم الملكوت والمشبه لا يخلو من مؤازاة الشبه ومحاكاته نوعاً من المحاكاة على قرب أو على بعد فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من أحدهما إلـى الآخر فجعلت الرحمة الإلهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء من هذا العالم إلا وهو مثال شيء من ذلك العالم، وربما كان الشيء الواحد مثالاً من الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وإنما يكون مثالاً إذا ماثله نوعاً من المطابقة، **( فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك )** والشهادة **( إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فسمى عبوره )** ذلك **( عبرة )** وهو بالكسر من الاعتبار، **( وقد أمر الخلق به فقال ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [ الحشر : ٢ ] ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس ممتلىء ناراً )** أوقدها الله تعالى **( شأنها أن تطلع على الافئدة )** أي تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليه **( إلا أن بينه وبين إدراك ألمها حجاباً، فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك )** الألم، **( وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم )** من أهل السنة والجماعة **( استنطقهم بالحق، فقالوا الجنة والنار مخلوقتان )** وهما موجودتان الآن، فالجنة فوق السموات والنار تحت الارضين، **( ولكن الجحيم تدرك مرة بادراك يسمى علم اليقين )** وهو ما أعطاه الدليل مقصور الأمر على ما هو عليه، **( ومرة بادراك آخر يسمى عين اليقين )** وهو ما اعطته المشاهدة والكشف، **( وعين اليقين لا**

يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين، فلذلك قال الله تعالى: ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ ★ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ [ التكاثر: ٥، ٦ ] أي في الدنيا ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليَقِينِ ﴾ أي في الآخرة، فإذاً قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون إلا عزيزاً كالشخص الصالح لملك الدنيا.

**قسمة سادسة:** حاوية لمجامع النعم: اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية؛ أما الغاية فإنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور: بقاء لا فناء له، وسرور لا غم فيه، وعلم لا جهل معه، وغنى لا فقر بعده، وهي النعمة الحقيقية، ولذلك قال رسول الله ﷺ: « لا عيش إلا عيش الآخرة » وقال ذلك مرّة في الشدة تسلية للنفس، وذلك في وقت حفر الخندق في شدّة الضر؛ وقال ذلك مرة في السرور منعاً للنفس من الركون إلى سرور الدنيا؛ وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع. وقال رجل: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال النبي ﷺ:

---

**يكون إلا في الآخرة )** لأنها محل الشهود والكشف، **( وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين )** وهو مشاهدة الغيوب بصفات القلوب وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار، **( فلذلك قال تعالى ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ﴾ أي في الدنيا ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ أي في الآخرة، فإذا قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون إلا عزيزاً كالشخص الصالح لملك الدنيا )** .

**قسمة سادسة حاوية لجميع النعم الموهوبة والمكتسبة:**

**( اعلم ان النعم )** وإن كانت لا تحصى مفصلة فإنها بالقول المجمل خمسة أنواع، وبيان ذلك أنها **( تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية، أما الغاية فإنها سعادة الآخرة )** وهي أعلاها وأشرفها وإياها قصد بقوله تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ [ هود: ١٠٨ ] الآية **( ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور: بقاء لا فناء له، وسرور لا غم فيه، وعلم لا جهل معه، وغنى لا فقر بعده )** ومنهم من ذكر بدل الجملة الثانية وقدرة لا عجز عنها **( وهي الخير )** المحض والفضيلة الصرف **( والنعمة الحقيقية، ولذلك قال ﷺ )** « اللهم **( لا عيش إلا عيش الآخرة» وقال ذلك )** مرتين **( مرة في )** حال **( الشدة تسلية للنفس وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر )** وهذا قد رواه الطيالسي وأحمد والشيخان والثلاثة من حديث أنس، ورواه أيضاً أحمد والشيخان من حديث سهل بن سعد، وفي لفظ « اللهم لا خير إلا خير الآخرة » روى الحاكم من حديث أنس « اللهم لا خير إلا خير الآخرة » فبارك في الأنصار والمهاجرة. **( وقال ذلك مرة في )** حال **( السرور منعاً للنفس من الركون إلى سرور الدنيا، وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع )** يروى ذلك مرسلاً، ورواه الحاكم متصلاً

« وهل تعلم ما تمام النعمة؟ » قال: لا. قال: « تمام النعمة دخول الجنة ».

وأما الوسائل؛ فتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس: وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني، وإلى ما يليه في القرب. ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب المطيفة بالبدن من المال والأهل والعشيرة، وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية، فهي إذا أربعة أنواع:

**النوع الأول وهو الأخص:** الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله، وإلى علوم المعاملة، وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين: ترك مقتضى الشهوات والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والإقدام

---

وصححه وتقدم في كتاب الحج، وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس: « لبيك اللهم لبيك إنما الخير خير الآخرة »، **( وقال رجل: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال ﷺ: « وهل تعلم ما تمام النعمة » ؟ قال: لا قال: « دخول الجنة » )** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث معاذ بسند حسن انتهى.

قلت: ورواه الطبراني بلفظ « أتدري ما تمام النعمة تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار » **( وأما الوسائل )** التي يتوصل بها إلى الغاية **( فتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس )** وهو الأول **( وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن )** وهو الثاني، **( وإلى ما يليه في القرب ويجاوز إلى غير البدن )** كالأسباب المطيفة بالبدن من المال **( والأهل والعشيرة )** وهو الثالث، **( وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية )** وهو الرابع، **( فهي إذاً أربعة أنواع )** النفسية والبدنية والخارجية والتوفيقية وهي مع السعادة الآخروية خمسة أنواع.

**( النوع الأول: وهو الأخص )** الأقرب **( الفضائل النفسية )** ولا يمكن الوصول إلى السعادة الآخروية إلا باكتسابها واستعمالها كما قال تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ [ الإسراء: ١٩ ] الآية وأصول ذلك أربعة أشياء: العقل وكماله العلم، والعفة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الانصاف، وقد فصله المصنف بقوله: **( ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى )** أصلين عظيمين: **( الايمان وحسن الخلق، وينقسم الايمان إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته و ملائكته ورسله، وإلى علم المعاملة )** وهو مجاهدة البدن في الطاعات. **(وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين )**: أحدهما ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه **( العفة، و )** الثاني **( مراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء، بل يكون**

حتى لا يمتنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء ، بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزله الله تعالى على لسان رسوله ﷺ ، إذ قال تعالى : ﴿ألاَّ تَطْغَوا في المِيزَان ★ وأقيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ وَلاَ تُخسِرُوا المِيزَانَ﴾ [ الرحمن : ٨ ، ٩ ] فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح ، أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان . ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان ، وإنما العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان ، فإذاً الفضائل الخاصة بالنفس المقرّبة إلى الله تعالى أربعة : علم مكاشفة ، وعلم معاملة ، وعفة ، وعدالة ، ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني : وهو الفضائل البدنية وهي أربعة : الصحة ، والقوة ، والجمال ، وطول العمر ، ولا تتهيأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة : المال ، والأهل ، والجاه ، وكرم العشيرة ، ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة : هداية الله ، ورشده ، وتسديده ، وتأييده ، فمجموع هذه النعم ست عشرة إذ قسمناها إلى

---

**إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزل الله على لسان رسوله ﷺ إذ قال تعالى )** ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ★ **( ألا تطغوا في الميزان ★ )** أي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانفاق **( وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ )** أي لا تنقصوه **( فمن خصى نفسه لترك شهوة النكاح ، أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان )** فإن كل ذلك غير مناسب لميزان العدالة . **( ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان )** واعتدى **( وإنما العدل )** الحقيقي الذي به قامت السموات والأرض **( أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان )** على السواء ، **( فاذاً الفضائل الخاصة بالنفس المقربة إلى الله تعالى أربعة : علم مكاشفة ، وعلم معاملة ، وعفة ، وعدالة )** فكمال علم المكاشفة العلم ، وكمال علم المعاملة المجاهدة ، وكمال العفة الورع ، وكمال العدالة الإنصاف وهي المعبر عنه بالدين **( ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية وهي أربعة )** أشياء **( الصحة والقوة والجمال وطول العمر ، ولا تهيأ هذه الامور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة )** أشياء : **( المال والأهل والجاه )** ومنهم من ذكر العز بدله **( وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية )** ولا سبيل إلى تحصيلها **( إلا بالنوع الرابع )** الذي هو توفيق الله عز وجل **( وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة )** أشياء : **( هداية الله رشده وتسديده وتأييده ، فمجموع**

أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة، **وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة. أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة ألبتة إلا بهما، فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزوّد من الدنيا، فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب هذه العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضروري. وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل، فإن ذلك لو عدم ربما تطرّق الخلل إلى بعض النعم الداخلة.**

فإن قلت: فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من المال والأهل والجاه والعشيرة؟ فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود. أما

---

**هذه النعم ست عشرة إذ قسمناها إلى أربعة، وقسمنا كل واحد من الأربعة إلى أربعة)** ويجمع ذلك خمسة أنواع هي عشرون ضرباً ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا فيما هو نفسي فقط. ثم أشار المصنف إلى حاجة بعض هذه الفضائل إلى بعض فقال: **(وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى بعض إما حاجة ضرورية)** بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر، **(أو)** حاجة **(نافعة)** بحيث لو لم توجد لاختل حال الآخر.

**(أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق)** وهي الفضائل النفسية **(إذ لا سبيل الى الوصول إلى سعادة الآخرة)** الحقيقة **(ألبتة إلا بهما)** أي باكتسابهما، **(﴿فليس للإنسان إلا ما سعى﴾ )** وان سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفى﴾ **(وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا)** ولذلك قال الله تعالى ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ [الإسراء: ١٩] الآية فبين أن لا مطمع لمن أراد الوصول إليها إلا بالسعي، **(فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب العلوم)** النافعة، **(وتهذيب الاخلاق)** وتصفيتها من الرذائل **(إلى صحة البدن وقوته ضروري)** لأنه لا سبيل إلى تحصيلها إلا بها. **(وأما الحاجة النافعة؛ على الجملةفكحاجة هذه النعم)** والفضائل **(النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة)** المطيفة بالإنسان **(مثل المال والعز والأهل)** وكرم العشيرة فإنها لا تغني عنها، **(فإن ذلك لو عدم)** وأمكن ان يتصور حصولها لمن ليس له ذلك **(ربما تطرق الخلل إلى بعض النعم الداخلة)**.

**فإن قلت: فما وجه الحاجة لطريق الآخرة)** وحصول سعادتها **(إلى النعم الخارجة)** المطيفة بالبدن **(من المال والأهل والجاه والعشيرة)** وما نفعها في بلوغها؟ **(فاعلم أن الاسباب جارية مجرى الجناح)** للطائر **(المبلغ)** لحاجته **(و)** بمنزلة **(الآلة المسهلة للمقصود)**، وإن لم تكن

المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية كساع إلى الهيجا بغير سلاح، وكبازي يروم الصيد بلا جناح، ولذلك قال ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» وقال ﷺ: «نعم العون على تقوى الله، المال»، وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب الأقوات وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة، ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع إلا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات.

وقال بعض الحكماء: وقد قيل له ما النعيم؟ فقال: الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له. قيل: زدنا، قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا عيش له. قيل: زدنا! قال: العافية،

---

الحاجة إليها في بلوغ ذلك ضرورية. ( **فأما المال فالفقير** ) المعدم ( **في طلب العلم والكمال** ) وتحرى المكارم ( **وليس له كفاية** ) هو ( **كساع إلى الهيجاء بغير سلاح** )، والهيجاء: ميدان الحرب فمن سعى إليها بغير سلاح فأحرى به أن يخفق سعيه وهو مصراع بيت ( وكبازٍ **يروم الصيد بلا جناح** )، فكيف يصطاد وفضله مغطى كماء تحت أرض ونار كامنة في صخر، وما أصدق ما قال الشاعر:

والمرء يـــرفعـــه الغنـــى والفقـــر منقصـــة وذل

وقال آخر:

فلا مجد في الدنيـا لمن قـلّ مـالـه ولا مـال في الدنيـا لمن قـل مجده

( **ولذلك قال ﷺ «نعم المال الصالح للرجل الصالح»** ) رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند حسن وقد تقدم. ( **وقال** ) ﷺ ( **نعم العون على تقوى الله المال»** ). قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر، ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر مرسلاً، ومن طريقه رواه القضاعي في مسند الشهاب هكـذا مـرسلا انتهـى.

قلـت رواه أيضـاً ابـن لال في مكـارم الأخلاق مـن حـديـث جابر.

( **كيف ومن عدم المال صار مستغرق الأوقـات في طلـب القـوت وفي تهيئـة اللبـاس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض** ) بسبب قلة المال ( **لأنواع الأذى تشغله عن الذكر والفكر** ) والمراقبة ( **ولا تندفع إلا بسلاح المال ثم مع ذلك** ) بفقدان المال بشكل بلوغ الفضائل، فمن ذلك أنه ( **يحرم فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات** ) وكثيراً من القرب.

( **وقال بعض الحكماء: و** ) قد ( **قيـل لـه مـا النعيم؟ فقـال: الغنى فـإني رأيـت الفقير لا عيش له قيل: زدنا، قال: العافية فإني رأيت المريض لا عيش له، قيل: زدنا، قال:** )

فإني رأيت المريض لا عيش له ، قيل : زدنا ! قال : الشباب ، فإني رأيت الهرم لا عيش له . وكأنّ ما ذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكن من حيث أنه معين على الآخرة فهو نعمة ، ولذلك قال ﷺ : « من أصبح معافى في بدنه آمناً في سربه عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » . وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال ﷺ : « نعم العون على الدين المرأة الصالحة » وقال ﷺ في الولد : « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له » . الحديث . وقد ذكرنا فوائد الأهل

---

**الشباب، فاني، رأيت الهرم لا عيش له )** نقله صاحب القوت، إلا أنه زاد بعد العافية قيل :زدنا ، قال : الأمن ، فإني رأيت الخائف لا عيش له ، ويقال في آخره قيل : زدنا ، قال لا أجد مزيداً ثم قال وبعض ما ذكره هو أحد الوجوه في قوله تعالى : ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ [الأحقاف: ٢٠ ] قيل الشباب ، وقيل الفراغ ،ويقال :الامن والصحة . **( وكان ما ذكر اشارة إلى نعيم الدنيا ولكنه من حيث أنه معين على الآخرة فهو نعمة، ولذلك قال ﷺ « من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » )** هكذا أورده صاحب القوت ، وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بهذا السياق ، ولم يقل بحذافيرها وفي آخره زيادة . ورواه البخاري في الأدب المفرد ، والترمذي وقال : حسن غريب ، وابن ماجه ، والطبراني من رواية سلمة بن عبيدالله بن محيص الخطمى عن أبيه رفعه « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » وقد تقدم في كتاب الكسب والمعاش .

**( وأما الأهل )** كالزوجة والأقارب **( والولد الصالح )** وتقييده به موافقة لما في الحديث **( فلا يخفى وجه الحاجة إليها )** فالمرأة مزرعة الرجل قيضها الله ليزرع فيها زرعه كما قال تعالى : ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ [ البقرة : ٢٢٣ ] **( إذ قال ﷺ « نعم العون على الدين المرأة الصالحة » )** قال العراقي : لم أجدله اسناداً ، ولمسلم من حديث عبدالله بن عمر « والدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » اهـ .

قلت : ورواه كذلك أحمد وهناد والنسائي ، ورواه أبو نعيم وابن عساكر من حديث جابر . وروى أيضاً أحمد ومسلم وأبو يعلى والحارث بن أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمر بلفظ « وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة » .

**( وقال ﷺ في الولد )** أي في نفعه **( إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له » الحديث )** رواه أحمد ، والبخاري في الأدب المفرد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة « إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاثة من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » وقد تقدم في كتاب النكاح . **( وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح )** فلتراجع هناك .

والولد في كتاب النكاح. وأما الأقارب فمهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدي فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله، وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين، فهو إذا نعمة. وأما العز والجاه، فبه يدفع الإنسان عن نفسه الذل والضيم، ولا يستغني عنه مسلم فإنه لا ينفك عن عدوّ يـؤذيه وظالم يشوّش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه، وقلبه رأس ماله. وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه، ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان. قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ولا معنى للجاه إلا ملك القلوب، كما لا معنى للغنى إلا ملك الدراهم، ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه المطر، وجبة تدفع عنه البرد، وكلب يدفع الذئب عن ماشيته، فيحتاج أيضاً إلى من يدفع الشر به عن نفسه، وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة

---

(**وأما الأقارب**) فنعم العون على بلوغ السعادة (**فمهما كثر أولاد الرجل وأقاربه**) وخالصوه (**كانوا له مثل الأعين**) والآذان (**والأيدي فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله**) وقد قال تعالى حاكياً عن لوط عليه السلام ﴿ولو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود: ٨٠] قال الشاعر:

ألم تـر أن جمع القـوم يخشى وأن حريم واحـدهـم مبـاح

(**وأما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم**) ويتأبى عن تحملها ومن لا عز له لا يمكنه أن يذود عن حريمه (**ولا يستغني عنه مسلم، فإنه لا ينفك**) في دهره (**عن عدو يؤذيه و**) إن لم يكن له عدو فلا يخلو عن (**ظالم**) غشوم (**يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه، و**) من المعلوم أن (**قلبه رأس ماله**) الذي يتجر به، (**وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه، ولذلك قيل: الدين والسلطان**) اخوان (**توأمان**) وقريبان مؤتلفان ومؤديان إلى عمارة البلاد وصلاح العباد، وقيل أيضاً: الدين أس والسلطان حارس ومالا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع، وسمى الله تعالى الحجة سلطاناً لقهرها أولي البصائر (**قال الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ ولا معنى للجاه إلا ملك القلوب**) كما تقدم في كتاب ذم الجاه، (**كما لا معنى للغنى إلا ملك الدراهم، ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه**) فاذاً الجاه تبع للمال، (**فكما يحتاج الانسان**) في تعيشه (**إلى سقف**) يظله من حر الشمس و (**يدفع عنه المطر، و**) إلى (**جبة و**) هي المقطعة من الصوف (**تدفع عنه البرد**) إذا لبسها، (**وكلب يدفع الذئب**) العادي (**عن ماشيته**) ان كان من أصحاب المواشي، (**فيحتاج أيضاً إلى من يدفع الشر به عن نفسه**).

**ويحكى أن الشافعي رحمه الله تعالى لما ودعه مالك رحمه الله تعالى أوصاه بكلمات منها: واتخذ**

يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه، وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم أو الاستئثار والاستكثار في الدنيا بمتابعتهم، ولا تظنن أن نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة.

فإن قلت: كرم العشيرة وشرف الأهل هو من النعم أم لا؟ فأقول: نعم ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الأئمة من قريش»، ولذلك كان ﷺ من أكرم الناس أرومة في

---

لنفسك جاها لئلا تطاك الأراذل. **(وعلى هذا القصد كان الأنبياء)** عليهم السلام **(الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه)** لتمشية أمورهم الدينية، **(وكذلك علماء الدين)** سلفاً وخلفاً **(لا على قصد التناول من خزائنهم أو الاستئثار والاستكثار في الدنيا بمتابعتهم)** حاشاهم الله عن ذلك، **(ولا تظن أن نعمة الله)** تعالى **(على رسوله)** ﷺ **(حيث نصره وأكمل دينه)** وأتم عليه نعمته **(وأظهره على جميع أعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت)** تلك **(أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة)** من محل مولده. قال العراقي: رواه الشيخان من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من أحد؟ قال «لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يالـيل». الحديث وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أنس «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتى علي ثلاثون ما بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه ابط بلال». قال الترمذي: يعني هذا حين خرج النبي ﷺ من مكة ومعه بلال، وللبخاري عن عروة قال: سألت عبدالله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ. قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث. وللبزار وأبي يعلى من حديث أنس قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه، فقام أبو بكر ينادي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. وإسناده صحيح على شرط مسلم.

**(فان قلت: فكرم العشيرة وشرف الآباء من النعم أم لا؟ فاقول: نعم)** والمراد بكرم العشيرة الحسب والشرف، والشرف أخص مآثر الآباء والعشيرة، ولذلك قيل للعلوية أشراف. **(ولذلك قال ﷺ «الائمة من قريش»)** قال العراقي: رواه النسائي والحاكم من حديث أنس باسناد صحيح ا ه. قلت: ورواه كذلك ابن أبي شيبة والبيهقي، ورويـاه أيضاً من حديث علي، ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث أبي برزة بزيادة في آخره، ورواه الطيالسي وأحمد والنسائي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياء من حديث أنس أيضاً بزيادة في آخره، ورواه الحاكم من حديث علي بزيادة في آخره.

نسب آدم عليه السلام وقال ﷺ : « تخيروا لنطفكم الأكفاء »، وقال ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن » فقيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسناء في المنبت السوء » فهذا أيضاً من النعم ولست أعني به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا ، بل الانتساب إلى شجرة رسول الله ﷺ وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار المتوسمين بالعلم والعمل. فإن

---

**( ولذلك كان ﷺ من أكرم الناس أرومة في نسب آدم )** الأرومة بالضم الأصل. قال العراقي : وهذا معلوم فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » وفي رواية الترمذي « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم إسماعيل » وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب بن ربيعة وصححه والمطلب بن أبي وداعة وحسنه « إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم » وفي حديث بن عباس « إن الله خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً » وللبزار من حديث ابن عباس « ما بال أقوام يبتذلون أصلي فوالله أنا أفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً ».

واعلم ان الأخلاق نتائج الأمزجة ومزاج الأب كثيراً ما يتأدى إلى الابن كالألوان والخلق والصور ، **( ولذلك قال ﷺ « تخيروا لنطفكم )** وانكحوا **( الأكفاء )** وانكحوا إليهم » رواه ابن ماجه من حديث عائشة ، وقد تقدم في كتاب النكاح ، وفي لفظ « اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم فإن الرجل ربما أشبه أخواله ». **( وقال ) ﷺ ( إياكم وخضراء الدمن » فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: « المرأة الحسناء في المنبت السوء » )** رواه الدارقطني في الأفراد ، والرامهرمزي ، والعسكري في الأمثال ، وابن عدي والقضاعي والخطيب في إيضاح الملتبس ، والديلمى من حديث أبي سعيد وقد تقدم أيضاً في كتاب النكاح. **( فهذا أيضاً من النعم ولست أعني به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا ، بل الانتساب إلى شجرة رسول الله ﷺ وإلى أئمة العلماء الصالحين الأبرار المتوسمين بالعلم والعمل )** ، ومن الناس لا يعد شرف الأصل فضيلة وقال: كما يأتي للمصنف يعد المرء بنفسه لا بأبيه ، واستدل بقول علي رضي الله عنه : الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرىء ما يحسنه ، وقول الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً — يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا — ليس الفتى من يقول كان أبي

وقول الآخر :

بجد كل جد لا بمجد — وهل جد بلا جد بمجد

وقول الحكيم : الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس كما ظن ، لأن كرم الاعمام والأخوال مخيلة لكرم المرء ومظنة له ، فالفرع وإن كان قد يفسد أحياناً فمعلوم ، أن أصله يورثه الفضيلة والرذيلة وأنه لا يكون من النخل الحنظل ولا من الحنظل النخل ، ولذلك قال الشاعر :

قلت: فما معنى الفضائل البدنية؟ فأقول: لا خفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى طول العمر أو لا يتم علم وعمل إلا بها، ولذلك قال ﷺ: «أفضل السعادات طول العمر في طاعة

---

وما يك من خير أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطمي إلا وشيجه ... وتغرس إلا في منابتها النخل

وقيل:

إن السرى إذا سرى فبنفسه ... وابن السرى إذا سرى اسراهما

وما ذكر من نحو قول علي رضي الله عنه: الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرىء ما يحسنه، فحث للناس على اقتباس العلم ونهي عن الاقتصار على مآثر الآباء، فان المآثر الموروثة قليلة الغناء ما لم يضامها فضيلة النفس لأن ذلك إنما يحمد لكي يوجد الفرع مثله، ومتى اختلف الفرع وتخلف فإنه يخبر بأحد شيئين: امابتكذيب من يدعي الشرف لعنصره أو بتكذيبه في انتسابه إلى ذلك العنصر، وما فيهما حظ لمختار فالمحمود أن يكون الأصل في الفصل راسخاً والفرع به شامخاً كما قال الشاعر:

زانوا قديمهم بحسن حديثهم ... وكريم اخلاق وحسن خصال

ومن لم يجتمع له الأمران فلان يكون المرء شريف النفس دنيء الأصل أولى من أن يكون دنيء النفس شريف الأصل قال الشاعر:

فما الشرف الموروث لا در دره ... بمحتسب الا بآخر مكتسب
اذا الغصن لم يثمر وإن كان شعبه ... من المثمرات اعتده الناس في الحطب

ومتى كان عنصره في الحقيقة سنيا وهو في نفسه دنيا، فذلك آت إما من إهماله نفسه وشؤمها وإما لتعوده عادات قبيحة وصحبة أشرار وغير ذلك من العوارض المفسدة للعناصر الكريمة فليس سبب الرذيلة شيئاً واحداً.

**(فان قلت: فما غناء الفضائل البدنية)** وهي الصحة والقوة والجمال وطول العمر وقد ذكرت أنه لا سبيل إلى تحصيل الفضائل النفسية إلا بها وأنها لا تغني عنها فما غناؤها؟ **(فأقول: لاخفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والى القوة وإلى طول العمر إذ لا يتم علم ولا عمل إلا بها)** أي بهذه الثلاثة: فأما الحاجة إلى الأولين فواضح، وأما طول العمر فلولاه لقل حظ الانسان من السعادات الدنيوية التي لولاها لما نيلت السعادات الاخروية. **(ولذلك قال ﷺ «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله»)** وفي النسخ: «أفضل السعادة طول العمر في عبادة الله» قال العراقي: غريب بهذا اللفظ، وللترمذي من حديث أبي بكر: إن رجلاً قال يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله» وقال: حسن صحيح اهـ.

الله تعالى »، وإنما يستحقر من جملته أمر الجمال، فيقال يكفي أن يكون البدن سليماً من الأمراض الشاغلة عن تحرّي الخيرات، ولعمري الجمال قليل الغناء، ولكنه من الخيرات أيضاً. أما في الدنيا فلا يخفي نفعه فيها، وأما في الآخرة فمن وجهين:

**أحدهما:** أن القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الإجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع، فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه، إذ هونوع قدرة، إذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح، وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها.

**والثاني:** أن الجمال في الأكثر يدل على فضيلة النفس، لأن نور النفس إذا تم إشراقه

---

قلت ورواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي وفي آخره زيادة « وشر الناس من طال عمره وساء عمله». والجملة الاولى فقط رواها أيضاً عبدالله بن بسر مرفوعاً أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال: حسن غريب، والطبراني والبيهقي والضياء، واعلم أنه قد استهان قوم بذلك وقالوا: كفى أن يكون صحيح البدن بريئاً عن الأمراض الشاغلة عن تحري الفضائل العقلية وليس كذلك، فالبدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع والسفينة للربان اللتين بهما صار صانعاً ورباناً، وجميع أجزاء البدن بالقول المجمل أربعة: العظام التي تجري للبدن مجرى الألواح للسفينة، والعصب الذي يجري مجرى الرباط الذي تشد به الألواح، واللحم الذي يجري مجرى الحشو للرباطات، والجلد الذي يجري مجرى الغشاء لجميعها، فإذا اعتدلت هذه الأربعة بأن تعتدل فيها القوى الأربع وهي الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة سمى ذلك الصحة، ولولا صحة البدن لما حصل انتفاع به، وأما القوة فهي جودة تركيب هذه الأركان الأربعة وهي العظام والعصب واللحم والجلد وما يتبعها وبها يصلح البدن للسعي والتصرف في أمور الدنيا والآخرة.

**( وإنما يستحقر من جملته)** أي من جملة هذا النوع ( أمر **الجمال فيقال: يكفي أن يكون البدن**) صحيحاً قوياً ( **سليماً من الأمراض الشاغلة عن تحري الخيرات**) والفضائل النفسية، ( **ولعمري الجمال قليل الغنى ولكنه من الخيرات أيضاً أما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين.**

**أحدهما: ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الاجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات**) أي تيسيرها ( **لا يقدر عليها القبيح، وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فهو معين الآخرة بواسطتها**)، فبهذا الاعتبار صار الجمال ينتفع به في أمور الآخرة.

**( والثاني: أن الجمال في الأكثر يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم اشراقه )**

تأدى إلى البدن، فالمنظر والمخبر كثيراً ما يتلازمان، ولذلك عوّل أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن فقالوا: الوجه والعين مرآة الباطن. ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم، ولذلك قيل: طلاقة الوجه عنوان ما في النفس. وقيل: ما في الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن ما فيه. واستعرض المأمون جيشاً فعرض عليه رجل قبيح، فاستنطقه فإذا هو ألكن، فأسقط اسمه من الديوان وقال: الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحة، أو على الباطن ففصاحة، وهذا ليس له ظاهر ولا باطن، وقد قال ﷺ: «اطلبوا الخير عند صباح الوجوه» وقال عمر رضي الله تعالى عنه: إذا

---

بالايمان (**تأدى إلى البدن**) إشراقها، وكل شخص فله حكمان: أحدهما من قبل جسمه وهو منظره، والآخر من قبل نفسه وهو مخبره، (**فالمخبر والمنظر كثيراً ما يتلازمان، ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس**) وأحوالها الباطنة (**على هيئات البدن**) وفزعوا إليها (**أولاً فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن**) أي تظهر فيها آثار النفس كالمرآة يستدل بها عليها، (**ولذلك يظهر فيه**) أي في كل من الوجه والعين. والاولى فيهما ليرجع الضمير إليهما (**أثر الغضب والسرور والغم**) والرضا والسخط، ولذلك عبر بالوجه عن الجملةوعن أنفس القوم فقيل: فلان وجه القوم وعينهم، وحتى قال الله تعالى ﴿كل شيء هالك الاوجهه﴾ [القصص: ٨٨] وكون الوجه المقبول في دلالته على فضيلة النفس وان لم يكن حكماً لازماً فهو على الاعم والاكثر، (**ولذلك قيل: طلاقة الوجة عنوان ما في النفس**) وقل صورة حسنة تتبعها نفس رديئة فنقش الخواتيم تبدو من الطين (**وقيل: ما في الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن ما فيه، و**) حكي أنه (**استعرض المأمون**) هو عبدالله ابن هارون العباسي (**جيشاً فعرض عليه رجل قبيح**) الوجه (**فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه**) أي أمر باسقاطه (**من الديوان**) اي جريدة الخراج (**وقال: إن الروح إن أشرقت على الظاهر فصباحة أو على الباطن ففصاحة، وهذا**) أراه (**ليس له ظاهر ولا باطن، وقد قال ﷺ «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه»**) قال العراقي: رواه أبو يعلى من رواية اسماعيل بن عياش عن جبرة بنت محمد ابن سباع عن أمها عن عائشة، وجبرة وأمها لا أعرف حالهما. ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء من حديثها، ورواه البزار والطبراني وابن عدي وابن حبان في الضعفاء، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة اهـ.

قلت وجدت بخط تلميذه الحافظ ابن حجر في هامش الكتاب ما لفظه: جبرة بفتح الجيم وسكون الموحدة قاله الذهبي وقال مشهورة وهي من أتباع التابعين، والحديث المذكور أخرجه أبو يعلى والدارقطني في المؤتلف في ترجمة جبرة في حرف الجيم من طريق إسماعيل بن عياش عنها عن أبيها محمد بن ثابت وليس لأمها في هذا الحديث رواية وكأنه وقع في النسخة التي نقل منها شيخنا تصحيف أبيها فصار عن أمها و أمها غير معروفة كما قال شيخنا، وقول الذهبي: إن جبرة مشهورة يريد برواية الحديث لأنها معروفة بالتوثيق اهـ.

**بعثتم رسولاً فاطلبوا حسن الوجه حسن الإسم. وقال الفقهاء: إذا تساوت درجات**

---

قلت: ورواه البخاري في التاريخ فقال: حدثني إبراهيم هو المنذر، حدثنا عبد الرحمن ابن أبي بكر المليكي عن امرأته جبرة ابنة محمد بن ثابت بن سباع عن أبيها عن عائشة، والمليكي صدوق لكنه ينفرد بما لا يتابع عليه مما لا يحتمل حتى قيل أنه متروك، ولكنه لم يتهم بالكذب بل توبع، فرواه أبو يعلى في مسنده فقال: حدثنا داود بن رشيد، حدثنا إسماعيل عن جبرة به.

ومن طرق هذا الحديث ما رواه تمام والطبراني والبيهقي والخطيب من طريق سفيان الثوري، عن طلحة بن عمر، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رفعه «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» ولفظ تمام إلتمسوا وطلحة متروك الحديث إلا أنه لم يتهم بكذب، وقيل عنه عن عطاء عن أبي هريرة بدل ابن عباس الا أن ذلك أثبت، وأخرج الطبراني حديث ابن عباس من طريق مجاهد عنه وقال: أراه رفعه ورجاله موثقون إلا عبدالله بن خراش بن حوشب مع ان ابن حبان وثقه، ولكنه ربما أخطأ وضعفه غيره، وبما ذكرنا ظهر أنه لا يتهيأ الحكم على المتن بالوضع كما أشار إليه الحافظ بن حجر.

ومن طرق هذا الحديث ما رواه الطبراني من طريق يزيد بن خصيفة عن أبيه عن جده مرفوعاً بلفظ «التمسوا» وكذا هو عند أبي يعلى، وله طرق عن أنس وجابر وبن عمر ويزيد المستملي وأبي بكرة وأبي هريرة ولفظ اكثرهم: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» ولفظ «المستملي» اذا طلبتم الحاجات فاطلبوها إلى الحسان الوجوه» فحديث أنس أخرجه ابن عساكر، وحديث جابر أخرجه الطبراني في الاوسط، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر. وحديث ابن عمر رواه ابن عدي، وحديث أبي بكرة رواه تمام في فوائده، وحديث أبي هريرة رواه تمام والخطيب في رواة مالك، وفي لفظ «اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه» رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمرو، ورواه الخرائطي في إعتلال القلوب وتمام عن جابر، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة، ورواه الخرائطي من حديث عائشة، ويروى من الزيادة على لفظ الباب «وتسموا بخياركم وإذا أتاكم كريم قوم فاكرموه» رواه ابن عساكر من حديث عائشة بسند ضعيف. وعن ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن عمرو بن دينار مرسلاً: اطلبوا حوائجكم عند حسان الوجوه فإن قضى حاجتك قضاها بوجه طليق وإن ردك ردك بوجه طليق، فرب حسن الوجه ذميمه عند طلب الحاجة ورب ذميم الوجه حسنه عند طلب الحاجة، ونحوه قيل لابن عباس: كم رجل قبيح الوجه قضاء للحوائج. قال: إنما نعني حسن الوجه عند الطلب.

**(وقال عمر رضي الله عنه: إذا بعثتم رسولاً فاطلبوا حسن الوجه حسن الإسم)** وقد روي معنى ذلك مرفوعاً. رواه البزار من حديث قتادة، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه رفعه «إذا أبردتم إلي بريداً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» وقال: لا نعلم رواه بهذا الاسناد إلا قتادة وله أيضاً من حديث عمر بن أبي خثعم عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه «إذا بعثتم إلي رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» ومن الأشعار القديمة في معنى الحديث السابق ما

**المصلين فأحسنهم وجهاً أولاهم بالإمامة، وقال تعالى ممتناً بذلك: ﴿وَزَادَه بَسْطَةً في العِلْمِ والجِسْمِ﴾ [ البقرة: ٢٤٧ ] ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فإن ذلك أنوثة، وإنما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر إليه.**

---

يروى عن ابن عباس أنه أنشد قول الشاعر:

ايـن شرط النبي إذ قـال يـومـاً     اطلبـوا الخير في صبـاح الوجـوه

ولابن رواحة أو حسان كما رواه العسكري في الأمثال:

قـد سمعنـا نبينـا قـال قـولاً     هـو لمن يطلـب الحوائـج راحـه

اغتـدوا واطلبـوا الحوائـج ممن     زيـن الله وجهـه بصبـاحـه

وأنشد ابن عائشة أبياتاً منها:

دل على معـروفـه وجهـه     يـدرك هـذا هـاديـاً مـن دليـل

ومنها:

يـدل على معـروفـه حسـن وجهـه     وما زال حسن الوجه احـدى الشـواهـد

**( وقال الفقهاء: إذا تساوت درجات المصلين )** في الأقرأ والأعلم والأصلح **( فأحسنهم وجهاً أولاهم بالإمامة )**، فكل من كان أكمل فهو أفضل، لأن المقصود كثرة الجماعة ورغبة الناس فيه أكثر واجتماعهم أوفر وفي سياق كتب أصحابنا: الأحق بالإمامة الأعلم بالسنة ثم الاقرأ ثم الأورع ثم الأسن، فإن استووا في السن فاحسنهم خلقاً فإن استووا فأصبحهم وجهاً. **( وقال تعالى ممتنا بذلك )** ﴿إن الله اصطفاه عليكم﴾ **( وزاده بسطة في العلم والجسم )** [ البقرة: ٢٤٧ ] وقال وزاده في الخلق بسطة فكفاك هذا من البيان في فضل كمال الجسم، **( ولسنا نعني بالجمال )** ههنا **( مايحرك الشهوة )** أي ما يتعلق به شهوة الرجال والنساء **( فإن ذلك أنوثة )** وفي بعض النسخ أنثوية، **( وإنما تعنى به )** معنيين أخريين.

أحدهما: **( ارتفاع القامة )**، وامتدادها **( على الاستقامة )** الذي يكون من الحرارة الغريزية فإن الحرارة إذا حصلت رفعت اجزاء الجسم إلى العلو كالنبات إذا نجم كلما كان أطلب للعلو في منبته كان أشرق في جنسه، ولذلك كثر المدح بطول القامة نحو قوله:

كـان درور القنطـريـة علقـت     علائقهـا فيـه بجذع مقـوم

وقول الآخر:

أشم طـويـل السـاعـديـن كـأنما     نيـاط نجادا سيفـه بلـواء

**والثاني:** أن يكون مقدداً قوي العصب طويل الأطراف الذراع ممتدها رحب **( مع الاعتدال في اللحم )** والشحم بأن لا يكون مثقلاً بهما ولا فارغاً عنهما، **( وتناسب الاعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر إليه )** كما قال الشاعر:

**فإن قلت: فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم، وقد ذم الله تعالى المال والجاه، وكذا رسول الله ﷺ وكذا العلماء. قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾، [التغابن: ١٤]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] وقال علي كرّم الله وجهه في ذم النسب: الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرىء ما يحسنه. وقيل: المرء بنفسه لا بأبيه. فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعاً؟ فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ المنقولة المؤوّلة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه، ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى، فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جحده إلا أنّ فيها فتناً ومخاوف، فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع، فإن أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة، وإن**

---

فتى قد قدّ السيف لا متضائل ولا دهل لباته ومبادنه

(**فان قلت. فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم**) وجعلتها من الخيرات والفضائل، (**وقد ذم الله تعالى المال والجاه، وكذا رسوله ﷺ، وكذا العلماء قال تعالى ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ وقال تعالى ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾**) وقال ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، والدارمي والطبراني من حديث كعب بن مالك، وقد تقدم في كتاب ذم الجاه والبخل. (**وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب: الناس أبناء ما يحسنون، و**) قال أيضاً: (**قيمة كل إمرىء ما يحسنه**) رواهما الشريف الموسوي في نهج البلاغة وهما من جوامع كلمه، (**وقيل: المرء بنفسه لا بأبيه**) ومثله قول الآخر: الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية ومثله من أسجاع الحريري:

تبا لمفتخر بعظم نخر

(**فما معنى كونها نعمة مع كونه مذمومةشرعاً؟ فاعلم أن من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك الأمور على ما هي عليه، ثم تنزيل النقل على وفق ما ظهر له بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى، فهذه**) المذكورات (**نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جحدها**) وإنكارها (**إلا أن فيها فتناً ومخاوف، فمثال المال**) إذا نظرت إليه (**مثال الحية التي فيها ترياق نافع**) وذلك في لحمها ماعدا رأسها وذنبها (**وسم ناقع**) وذلك في أطرافها، (**فإن أصابها المعزم**) أي صاحب العزيمة (**الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها**) ويتقيه (**و**) يعرف (**طريق استخراج ترياقها النافع**) بأن يمسكها من محل رقبتها فيجمع بينه وبين

أصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء وهلاك، وهو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر واللآلىء، فمن ظفر بالبحر فإن كان عالماً بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه، وإن خاضه جاهلاً بذلك فقد هلك، فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيراً، ومدحه رسول الله ﷺ وقال: «نعم العون على تقوى الله تعالى المال» وكذلك مدح الجاه والعز، إذ منّ الله تعالى على رسوله ﷺ بأن أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق، وهو المعنى بالجاه، ولكن المنقول في مدحها قليل، والمنقول في ذم المال والجاه كثير، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب. ومعنى الجاه ملك القلوب، وإنما كثر هذا وقل ذاك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه، فوجب تحذيرهم فإنهم يهلكون باسم المال قبل الوصول إلى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره، ولو كانا في أعيانهما مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما تصوّر أن ينضاف إلى النبوّة الملك كما

---

ذنبها فيقطعها بسكين حادة في ضربة واحدة، ثم يستقطر ما بقي من لحمها فهذا هو الذي يدخل في الترياق (**كانت نعمة**) في حقه لأنه يقاوم المسمومات كلها، (**وإن أصابها السوادي الغر**) بكسر الغين المعجمة أي الغبي الجاهل بطرق عزائمها وإمساكها (**فهي عليه بلاء وهلاك**) فإنه لا يأمن من أن تنطوي عليه فتنهشه (**وهو**) أيضاً (**مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر واللآلىء، فمن ظفر بالبحر فإن كان عالماً بالسباحة وطريق الغوص**) فيه (**وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر**) من حيوان وغيره (**فقد ظفر بنعمه**) وهي حوز الجواهر واللآلىء، (**وإن خاضه جاهلاً بذلك فقد هلك**) أي عرض نفسه للهلاك، (**فلذلك مدح الله تعالى المال**) في مواضع من كتابه العزيز (**وسماه خيراً**) وذلك قوله تعالى ﴿إن ترك خيراً﴾ [البقرة: ١٨٠] وقد ذكر المفسرون أن المراد به المال (**ومدحه رسول الله ﷺ وقال: «نعم العون على تقوى الله المال»**) وقد تقدم قريباً، (**وكذلك مدح الجاه والعزّ إذ من الله تعالى على رسوله ﷺ بأن أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق**) أجمعين، (**و**) هذا (**هو المعنى**) أي المقصود (**بالجاه ولكن المنقول في مدحها**) أي العز والجاه (**قليل والمنقول في ذم الجاه والمال كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب**) والاجتلاب والملك قريبان، (**وإنما كثر هذا**) يعني ذم المال والجاه (**وقل ذاك**) يعني مدح العز والجاه، (**لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه، فوجب تحذيرهم فإنهم يهلكون باسم المال قبل الوصول إلى ترياقه، ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره**) أي الاطلاع والأخذ، (**ولو كانا في أعيانهما مذمومين بالاضافة إلى كل أحد لما تصور أن ينضاف إلى النبوة الملك**)

كان لرسولنا ﷺ، ولا أن ينضاف إليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام؛ فالناس كلهم صبيان والأموال حيات الأنبياء والعارفون معزمون، فقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم. نعم المعـزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك، فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد، فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد، فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضرراً كثيراً، ولو أخذها لأخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها، ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرّفه أن فيها سماً قاتلاً لا ينجو منه أحد ولا يحدّثه أصلاً بما فيها من نفع الترياق، فإن ذلك ربما يغرّه فيقدم عليه من غير تمام المعرفة. وكذلك الغوّاص إذا علم أنه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك. فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر. فإن كان لا

---

الذي لا يتم إلا بالمال والجاه **( كما كان لرسولنا ﷺ أن ينضاف إليها )** أي إلى النبوة **( الغنى )** فإنه كناية عن وفر المال **( كما كان لسليمان عليه السلام، فالناس كلهم )** في هذه الدار **( صبيان )** مغفلون **( والأموال حيات )** أي بمنزلتها **( والانبياء )** عليهم السلام **( والعارفون )** من علماء الآخرة **( معزمون )** أي أصحاب عزائم ورقى **( فقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم )** لمعرفة ماله وعليه، فهؤلاء إذا تناولوا المال جرى مجرى راق يتناول الحية قد عرف نفعها وضررها وأمن سمها وشرها فيتحرون الوجه الذي ينتفعون به وينفع غيرهم وغيرهم ليس كذلك، فما أسرع الهلاك إليه. فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية أن يقتدي بالراقي في تناول الحية والتصرف فيها، كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدي بالعارفين في تناول أعراض الدنيا. **( نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وإصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك، وله غرض في )** تحصيل **( الترياق، وله غرض في حفظ الولد، فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد، فإذا كان يقدر على الصبر من الترياق ولا يستضر به ضرراً كثيراً ولو أخذها لأخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه، فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها )** ويرى ذلك الصبي **( ويشير على الصبي بالهرب )** من بين يديها **( ويقبّح صورتها في عينه ويعرفه )** أنها عدوة ابن آدم **( أن فيها سماً قاتلاً لا ينجو منه أحد )** ولا يقبل دواء **( ولا يحدثه أصلاً بما فيها من نفع الترياق، فإن ذلك ربما يغره )** أي يوقعه في الغرور **( فيقدم عليه من غير تمام المعرفة، وكذلك الغواص إذا علم أنه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه )** وسلك طريقه **( أو هلك، فوجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر )** ويعرفه ان السلامة في

ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل. فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه. فكذلك الأمة في حجر الأنبياء عليهم السلام كالصبيان الأغبياء. ولذلك قال ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده». وقال ﷺ: «إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم» وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن المهالك، فإنهم لم يبعثوا إلا لذلك وليس لهم في المال حظ إلا بقدر القوت، فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل أنفقوه، فإن الإنفاق فيه الترياق، وفي الإمساك السم، ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا إلى سم الإمساك ورغبوا عن ترياق الأنفاق، فلذلك قبحت الأموال والمعنى به تقبيح إمساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولذاتها؛ فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل إلى الخيرات فليس بمذموم،

---

الساحل، ( **فإن كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل، فواجب عليه أن يبعد عن الساحل مع الصبي فلا يقرب منه بين يديه** ) أصلاً فيكون زجراً له كلياً، ( **فكذلك الأمة في حجر الأنبياء عليهم السلام كالصبيان والاغبياء، ولذلك قال ﷺ «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده»** ) أي في الشفقة والرحمة وارادة الخير، رواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم، ( **وقال ﷺ «إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم»** ) قال العراقي متقف عليه من حديث أبي هريرة بلفظ «مثلي ومثل الناس» ولفظ مسلم «ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه» ولمسلم من حديث جابر «وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدي» اهـ.

قلت: حديث أبي هريرة رواه أيضاً أحمد والترمذي وفي لفظ بعضهم «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما اضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها» وحديث جابر رواه أيضاً الطيالسي وأحمد وأوله: «مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها».

( **وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم من المهالك فإنهم لم يبعثوا إلا لذلك وليس لهم في المال حظ إلا بقدر القوت، فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل** ) عنه ( **فلم يمسكوه بل انفقوه** ) في سبيله، ( **فإن الانفاق فيه هو الترياق** ) وفيه الشفاء ( **وفي الإمساك السم** ) وفيه الهلاك، ( **ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا إلى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق، ولذلك قبحت الأموال والمعنى به تقبيح إمساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا** ) والميل إلى اعراضها ( **ولذاتها** ) الحاصلة، ( **فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل** ) منها ( **إلى الخيرات** )

**وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا بقدر زاده في السفر إذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله، فأما إذا سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار. وقوله عليه السلام: « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » معناه**

---

الدينية ( **فليس بمذموم وحق كل مسافر** ) في طريق بعيدة ( **أن يحمل إلا بقدر** ) ما يكفيه من ( **زاده في السفر إذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله** ) لا يشاركه فيه غيره، ( **فأما إن سمحت نفسه بالطعام يطعمه** ) الغير ( **وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار** ) منه، ( **وقوله ﷺ « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب »** ) قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال: بلغة ومال مثل زاد الراكب وقال: صحيح الاسناد.

قلت: هو من رواية سفيان عن أشياخه غير مسمين، وقال ابن ماجه: عهد الى أن يكفي أحدكم مثل زاد الراكب اهـ.

ورواه كذلك أحمد وابن سعد وهناد وأبو يعلى وابن أبي الدنيا والروياني والبغوي والطبراني وابن حبان والبيهقي وابن عساكر والضياء كلهم من حديث سلمان زادوا « حتى يلقاني ». ورواه ابن عساكر من حديث عمر وأبي الدرداء، وفي لفظ لابن ماجه وابن حبان والطبراني من حديث سلمان « ليكف الرجل منكم زاد الراكب » وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية، ونوع طرقه قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن شعيب التاجر، حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني، حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: دخل سعد على سلمان يعوده فقال: ابشر أبا عبدالله توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنك، قال: كيف يا سعد وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب ». كذا رواه الدامغاني عن جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

وقال أبو معاوية وغيره، عن الاعمش، عن أبي سفيان، عن أشياخه، حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد، حدثنا عبدالله بن شيرويه، حدثنا اسحاق بن راهويه، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبن سفيان عن أشياخه أن سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان يعوده، فبكى سلمان فقال له سعد: ما يبكيك تلقى أصحابك، وترد على رسول الله ﷺ الحوض، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، فقال: ما أبكي جرعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال « ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب » وهذه الأساور حولي وإنما حوله مطهرة أو اجانة ونحوها، فقال له سعد: عهد علينا عهداً نأخذ به بعدك فقال له: أذكر ربك عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت. رواه مورق العجلي، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وعامر بن عبدالله عن سلمان حدثنا أبي، حدثنا زكريا الساجي، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حبيب عن الحسن. وحميد عن مورق العجلي أن سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: عهد عهده إلينا رسول الله

**لأنفسكم خاصة وإلا فقد كان فيمن يروي هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة. ولما ذكر رسول الله**

---

ﷺ فقال « ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب » قالا : فلما مات نظروا في بيته فلم يروا في بيته إلا اكافاً ووطاء ومتاعاً قوم نحواً من عشرين درهماً.

وممن رواه عن الحسن السري بن يحي، والربيع بن صبيح، والفضل بن دلهم، ومنصور بن زاذان وغيرهم عن الحسن، حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا عبد الصمد بن حسان، حدثنا السري بن يحي عن الحسن قال: لما حضر سلمان الوفاة جعل يبكي فقيل له: يا أبا عبدالله ما يبكيك؟ أليس فارقت رسول الله وهو عنك راض؟ فقال: والله ما بي جزع ولكن رسول الله عهد إلينا عهداً فقال « ليكن متاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ».

وحديث سعيد بن المسيب حدثناه أبي قال: حدثنا زكريا الساجي ،حدثنا هدبة بن خالد، حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب أن سعد بن مالك وعبدالله بن مسعود دخلا على سلمان يعودانه فبكى فقالا : ما يبكيك أبا عبدالله؟ فقال عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ فلم يحفظه أحد منا قال « ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب ».

وحديث عامر بن عبدالله حدثناه أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسي بن سفيان، حدثنا حرملة بن يحي، حدثنا ابن وهب قال: أخبرني أبو هانىء عن أبي عبد الرحمن الفيلي، عن عامر بن عبدالله، عن سلمان الخير أنه حين حضره الموت عرفنا به بعض الجزع فقالوا : ما يجزعك أبا عبدالله وقد كان لك سابقة في الخير شهدت مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة وفتوحاً عظاماً؟ فقال: يحزنني أن حبيبي محمداً ﷺ عهد إلينا حين فارقنا فقال « ليكف المؤمن كزاد الراكب » فهذا الذي أحزنني، قال: فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر ديناراً ،قال عامر بن عبدالله: ديناراً واتفق الباقون على بضعة عشر درهماً.

ورواه أنس بن مالك، عن سلمان، حدثناه عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن عمرو البزاز، حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: دخلت على سلمان فقلت له: لم تبكي؟ فقال: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً أن يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب » حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثني محمد بن عبيد بن ميمون الجدعاني، حدثنا عتاب بن بشير، عن علي بن بذيمة قال: بيع متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهماً.

**( معناه لأنفسكم خاصة وإلا فقد كان فيمن يروي هذا الحديث ويعمل به يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منه حبة )** وكأنه يشير إلى ما رواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا هشام، حدثنا الحسن قال: كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم

ﷺ أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدّة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه، فأذن له فنزل جبريل عليه السلام، وقال: مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف. الحديث. فإذاً النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوّها بمخوفها ونفعها بضرها؛ فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقياً داءها ومستخرجاً دوائها ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظانّ الأخطار، فلا تعدل بالسلامة شيئاً في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه.

---

وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، وإذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده. وروى أحمد في الزهد من طريق عبدالله بن بريدة قال: كان سلمان يعمل بيديه، فإذا أصاب شيئاً اشترى به لحماً أو سمكاً ثم يدعو المجذمين فيأكلونه معه.

**( ولما ذكر رسول الله ﷺ أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه )** وكان من أغنياء الصحابة **( في أن يخرج من جميع ما يملكه، فأذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال: مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث )**. قال العراقي: رواه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد. قلت: كلا فيه خالد بن أبي ضعيف جداً اهـ.

قلت أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن علي بن حبش، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً فاقرض الله يطلق لك قدميك». قال ابن عوف: وما الذي أقرض الله قال: تتبرأ مما أمسيت فيه». قال: من كله أجمع يا رسول الله؟ قال «نعم». خرج ابن عوف وهو يهم بذلك، فأتاه جبريل فقال: مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم لسكين وليعط السائل فإذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه.

**( فاذاً النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها، فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقياً داءها ومستخرجاً دواءها، ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار فلا تعدل بالسلامة شيئاً في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه الطريقة.**

فإن قلت: فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد؟ فاعلم أن التوفيق لا يستغني عنه أحد: وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة العبد وبين قضاء الله وقدره، وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة، ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره، كما أن الإلحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد، ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل:

إذا لم يكن عـون مـن الله للفتى ... فأكثر ما يجنـي عليـه اجتهـاده

فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها، لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحاً فمن أين ينفعه مجرد الإرادة؟ فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية، ولذلك قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أبداً

---

**فإن قلت: فما معنى النعم التوفيقية)** التي لا تتحصل الفضائل الخارجية إلا بها **(وهي الراجعة إلى)** أربعة أشياء **(الهداية والرشد والتأييد والتسديد؟ فاعلم أن التوفيق لا يستغني عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة العبد)** وفعله **(وبين قضاء الله وقدره)** والاتفاق ومطاوعة التوفيق يقال: وفقه فاتفق **(و)** لكن **(هذا يشمل الخير والشر)** جميعاً **(وما هو سعادة وما هو شقاوة)** فيقال: اتفاق جيد واتفاق رديء، فالتوفيق وإن كان في الأصل موضوعاً على وجه يصلح استعماله فيهما جميعاً، **(ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة)** فقط **(من جملة قضاء الله وقدره كما أن الإلحاد)** في الأصل **(عبارة عن الجميل)** ومنه اللحد في القبر، **(فخصص بمن يميل إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد)** وأشباههما، **(ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق)** كما قال الحكيم الذي لا يستغني الإنسان عنه في كل حال التوفيق **(ولذلك قيل)**:

**(إذا لم يكن عـون مـن الله للفتى ... فأكثر ما يجنـي عليـه اجتهـاده)**

**(وأما الهداية فلا سبب لأحد إلى طلب السعادة)** ولا إلى شيء من الفضائل **(إلا بها)** أي بهداية الله ورحمته ويجب على كل إنسان أن يعلم ذلك **(لأن داعية الانسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته، ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحاً فمن أين ينفعه مجرد الارادة؟ فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية)** فهي مبدأ الخيرات ومنتهاها، كما **(قال)** الله **(تعالى ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ وقال تعالى)** مخاطباً للناس: **(﴿ولولا فضل الله عليكم و رحمته ما زكا منكم من أحد أبداً**

وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [ النور : ٢١ ] ، وقال ﷺ : « ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى » أي بهدايته فقيل ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « ولا أنا » .

**وللهداية ثلاث منازل:**

**الأولى:** معرفة طريق الخير والشر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [ البلد : ١٠ ] وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ،ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الْهُدَى﴾

---

**ولكن الله يزكي من يشاء﴾ وقال ﷺ : « ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أي بهدايته » فقيل: ولا أنت يارسول الله: قال « ولا أنا » )** تنبيهاً على أنه لو توهمت رحمته مرتفعة ابتداء وانتهاء ما كان لنا سبيل إلى ذلك . قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة « لن يدخل أحدكم عمله الجنة » قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال « و لا أنا إلا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة » . وفي رواية لمسلم « ما من أحد يدخله عمله الجنة » الحديث . واتفقا عليه من حديث عائشة وانفرد به مسلم من حديث جابر وقد تقدم انتهى .

قلت: وتمام حديث أبي هريرة عند الشيخين « فسددوا وقاربوا ولا يتمن أحدكم الموت اما محسن فلعله يزداد خيراً وإما مسيء فلعله يستعتب » . وفي لفظ لهما « لن ينجي أحداً منكم عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله . قال: « و لا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ولكن سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد تبلغوا » .

وروى ابن قانع والطبراني والضياء من حديث شريك بن طارق « لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله » قالوا : و لا أنت يا رسول الله . قال « و لا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل » وفي لفظ للطبراني « ما من أحد يدخل الجنة بعمل وقال إلا برحمة منه » وروى أحمد وعبد بن حميد من حديث أبي سعيد « لن يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله » . قالوا ولا أنت يارسول الله . قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله » .

**( وللهداية ثلاث منازل )** في الدنيا .

**( الأولى: معرفة طريق الخير والشر المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾ )** هذا هو المشهور في التفسير . وقيل: طريق الثواب والعقاب، وقيل: طريق العقل والشرع . وقال مجاهد : الثديين، وكذلك قوله تعالى ﴿إنا هديناه السبيل﴾ [ الإنسان : ٣ ] وقوله تعالى: ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ ) [ الصافات: ١١٨ ] **( وقد أنعم الله به على كافة عباده )** المكلفين **( بعضه بالعقل )** والفطنة والمعارف الضرورية فعم به كل مكلف بل كل شيء حسب احتماله كما قال تعالى: ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [ طه : ٥٠ ] فهذا القسم الأول من المنزلة الأولى ، وأشار إلى القسم الثاني بقوله : **( وبعضه على لسان الرسل )** أي الهداية التي جعلت للناس بدعائه إياهم على ألسنة الانبياء والرسل وانزال القرآن ، **( ولذلك قال الله تعالى )** ﴿وجعلناهم

[ فصلت : ١٧ ] ، فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول ، وهي مبذولة ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا والأسباب التي تعمي القلوب وإن كانت لا تعمي الأبصار . قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [ الحج : ٤٦ ] ومن جملة المعميات : الإلف والعادة وحب استصحابها ، وعنه العبارة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ [ الزخرف : ٢٢ ] الآية . وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [ الزخرف : ٣١ ] وقوله تعالى : ﴿ أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ ﴾ [ القمر : ٢٤ ] فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء .

**والهداية الثانية :** وراء هذه الهداية العامة ، وهي التي يمدّ الله تعالى بها العبد حالاً بعد حال ، وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

---

أئمة يهدون بأمرنا ﴾ [ الأنبياء : ٧٣ ] ولما كانت الهداية والتعليم يقتضي شيئين تعريفاً من المعرف وتعرفاً في المعرف وبهما تتم الهداية والتعليم ، فإنه متى حصل البذل من الهادي والمعلم ولم يصح القبول صح أن يقال : لم يهتد ولم يعلم اعتباراً بعدم القبول ، وصح أن يقال هدى وعلم اعتباراً ببذله ، وعلى الاعتبار الثاني ينزل قوله تعالى : ( ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾ **فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول** ) التي هي ميدأ الهداية ( **وهي مبذولة** ) لهم ، ( **ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا والأسباب التي تعمي القلوب** ) أي تعطى على بصيرتها ( **وإن كانت لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ) وعمى عين القلب الباطنة أشد من عمى العين الظاهرة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ أم على قلوب اقفالها ﴾ [ محمد ﷺ : ٢٤ ] ( **ومن جملة المعميات الإلف والعادة** ) بالشيء ( **وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى :** ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة** ) وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ وكذا قوله ﷺ « حبك للشيء يعمي ويصم » ( **وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى** ﴿ **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ ) وقد تقدم الكلام عليه ( **وقوله تعالى** ﴿ **أبشراً منا واحداً نتبعه** ) إنا إذاً لفي ضلال وسعر ﴾ فكل ذلك منشؤه التكبر على المؤمنين والتحاسد على ما أعطاهم الله تعالى ، ( **فهذه المعميات التي منعت الاهتداء** ) وأشدها حب الدنيا فإنه رأس كل خطيئة .

( **والهداية الثانية : وراءها هذه الهداية العامة** ) التي هي الأولى ( **وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالاً بعد بحسب استزادته** ) من العلم والعمل الصالح وهو التوفيق الذي يختص به من اهتدى ( **وهي ثمرة المجاهدة قال تعالى :** ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ **[ التغابن :**

[ العنكبوت : ٦٩ ] وهو المراد بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُم هُدًى﴾ [ محمد : ١٧ ] .

**والهداية الثالثة وراء الثانية؛ وهو النور الذي يشرق في عالم النبوّة والولاية بعد كمال المجاهدة، فيهتدي بها إلى ما لا يهتدي إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدّمات، وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى، فقال تعالى : ﴿قُل إنَّ هُدَى الله هُوَ الْهُدَى﴾ [ الأنعام : ٧١ ] وهو المسمى حياة في قوله تعالى : ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيتاً فأحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ في النَّاسِ﴾ [ الأنعام : ١٢٢ ] ، والمعنى بقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [ الزمر : ٢٢ ] .**

---

١١] **وهو المراد بقوله تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾** ) وآتاهم تقواهم. وقوله تعالى ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ .

( **والهداية الثالثة: وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدي إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم به** ) وعبر بعضهم عن هذه الهداية بنور الولاية التي هي في أفق نور النبوة، ولعل هذا التعبير أوفق للمقام من تعبير المصنف.( **وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات، وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى فقال تعالى: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾** ) فأضاف ذلك إلى لفظ الله تعظيما له كقوله: بيت الله، ثم قال: هو الهدى فجعله الهدى المطلق، وكذلك قوله تعالى ﴿هدى للمتقين﴾ [ البقرة : ٢ ] فالهدى والهداية في موضوع اللغة واحد ، ولكن قد خص الله لفظ الهدى بما تولاه وأعطاه واختص هو بـه دون ما هو إلى الانسان ( **وهو المسمى حياة في قوله تعالى ﴿أومن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾ و** ) نوراً ( **بقوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه﴾** ) وبقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [ الأنفال: ٢٩ ] أي نوراً تفرقون به بين الحق والباطل وبتحري هذه المنازل الثلاثة يتوصل إلى الهداية للجنة في الآخرة وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [ الأعراف: ٤٣ ] الآية. وهذه الهدايات الأربع مرتبة، فمن لم يحصل له الأولى لا يحصل له الثانية، بل لا يصح تكليفه. ومن لم يحصل له الثانية لا يحصل له الثالثة والرابعة، والانسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء أو تعريف الطرق دون سائر الهدايات، وإلى سائر الهدايات أشار بقوله ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [ القصص: ٥٦ ] وكل هداية ذكر الله فيها. أنه منع الكافرين والظالمين فهي الهداية الثالثة التي هي التوفيق الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وإدخال الجنة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قوماً

وأما الرشـد فنعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده، ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [ الأنبياء : ٥١ ]، فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها، فالصبي إذا بلغ خبيراً بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيداً لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته، فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد أعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطى

---

كفروا بعد إيمانهم﴾ إلى قوله ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [ آل عمران: ٨٦ ] وكل هداية نفاها عن النبي ﷺ وعن البشر وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص به من الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كاعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنة، وإلى هذا المعنى أشار بقوله ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [ يونس: ٩٩ ] وقوله: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾ [ الاسراء: ٩٧ ] أي طالب الهدى ومتحريه هو الذي يوفقه ويهديه إلى طريق الجنة لا من ضاده فتحرى طريق الضلالة والكفر كقوله ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [ التوبة: ٣٧ ] وقوله ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ [ الزمر: ٣ ] الكاذب الكفار هو الذي لا يقبل هدايته، فان ذلك راجع إلى هذا وإن لم يكن موضوعاً لذلك ومن لم يقبل هدايته لم يهتد وأما قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [ الفاتحة: ٦ ] فقد قيل عنى به الهداية العامة التي هي العقل وألسنة الانبياء، وأمرنا بأن نقول ولكن بألسنتنا وإن كان قد فعل ليعطينا ثواباً كما أمرنا أن نقول: اللهم صل على محمد وإن كان قد صلى عليه بقوله ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [ الأحزاب: ٥٦ ] وقيل إن ذلك دعاء يحفظنا من استغواء الغواة واستهواء الشهوات، وقيل: هو سؤال للتوفيق الموعود في قوله ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ [ محمد: ١٧ ]

( **وأما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان** ) في أموره ( **عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه** ) كذا في النسخ ونص الذريعة فتقربه مما فيه ( **صلاحه وتفتره** ) أي تكسله ( **عما فيه فساده و** ) أكثر ما ( **يكون ذلك من الباطن كما قال تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين﴾** ) وكثيراً ما يكون ذلك بتقوية العزم أو فسخه، وإليه يوجه قوله تعالى ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ [ الأنفال: ٢٤ ] ( **فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها، فالصبي إذا بلغ خبيراً بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء** ) أي كيفية نمو المال، ( **ولكنه مع ذلك يبذر فيه تبذيراً و لا يريد الاستنماء لا يسمى رشيداً لا لعدم هدايته، بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته، فكم من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره وأعطي الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره،**

الرشد، فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرّد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة.

وأما التسديد، فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليشتدّ في صوب الصواب في أسرع وقت، فإن الهداية بمجرّدها لا تكفي، بل لا بدّ من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي، بل لا بدّ من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف، والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك، والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد، وأما التأييد فكأنه جامع للكل، وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل: ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [المائدة: ١١٠] وتقرب منه العصمة، وهي عبارة عن جود إلهي

---

**ولكن ما أعطي الرشد فالرشد أكمل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة** )عظيمة من النعم التوفيقية.

( **وأما التسديد: فهو توجيه حركاته إلى صوب**) الغرض (**المطلوب وتيسيرها عليه**) بأن تقوم إرادته وحركته نحوه (**ليستدفي صوب الصواب**) ويهجم عليه (**في أسرع وقت**)يمكن الوصول اليه وهو المراد بقوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ في أحد الوجوه، ( **فإن الهداية بمجردها لا تكفي، بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد، والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد، فما انبعثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف**) ) والدلالة بلطف، ( **والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك، والتسديد إعانة ونصرة وتحريك الأعضاء في صوب السداد** )، والنصرة من الله تعالى معونة للأنبياء والأولياء وصالحي العباد بما يؤدي إلى صلاحهم عاجلاً وآجلا، وذلك تارة يكون من خارج بمن يقيضه الله تعالى فيعينه، وتارة من داخل بأن يقوي قلوب الأولياء أو يلقي رعباً في قلوب الأعداء وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ [ غافر: ٥١ ] الآية وقوله تعالى ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين★ إنهم لهم المنصورون★ وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [ الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣ ] وأما ما يختص بسعادة الدنيا ولا يعتبر فيه العاقبة فيقال لها الدول والدولة، وعلى هذا قوله تعالى ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ [ آل عمران: ١٤٠ ]وقوله في وصف الفيء ﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ [ الحشر: ٧ ].

( **وأما التأييد، فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى ﴿ إذ أيدتك بروح القدس﴾** ) وهو مثال للأول ( **وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن وجود إلهي** ) أي فيض من فيوضاته

يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [ يوسف: ٢٤ ]، فهذه هي مجامع النعم، ولن تتثبت إلا بما يخوّله الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء، ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسباباً، وتستدعي تلك الأسباب أسباباً إلى أن تنتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب، وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجاً ليعلم به معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [ النحل: ١٨ ] وبالله التوفيق.

---

( **يسنح في الباطن** ) أي يعرض فيه ( **يقوي به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع** ) له ( **من باطنه غير محسوس** ) أي وإن لم يكن منعاً محسوساً ( **وإياه عنى بقوله تعالى ﴿لقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾** ) وقد روي ان يوسف عليه السلام رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو عاض على إبهامه، فأحجم وليس ذلك بمانع ينافي التكليف كما توهمه بعض المتكلمين فإن ذلك كان تصوراً منه وتذكراً لما كان قد حذره منه، وعلى هذا قال: ﴿لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ [ يوسف: ٢٤ ] الآية ومن عصمته تعالى ان يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة عن مراعاة نفسه كقوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل★ لأخذنا منه باليمين★ ثم لقطعنا منه الوتين﴾ [ الحاقة: ٤٤ - ٤٦ ] ( **فهذه هي مجامع النعم ولن تستثبت إلا بما يخوله الله** ) أي بنعمه ( **من الفهم الصافي الثابت والسمع الواعي** ) لما يحفظه، **والقلب البصير المتواضع المراعي و** ) تقييض ( **المعلم الناصح** ) له والتوفيق الموافق ( **و** ) امداد من ( **المال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته** ) وهكذا في النسخ، ولفظ الذريعة وامداده من المال بما لا يقعد به عن مغزاه قلته و لا يشغله عنه كثرته، ( **و** ) من العشيرة و ( **العز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء** ) وعن الغض منه من جهة الاغنياء، وأن يخوله من كبر الهمة وقوة العزيمة ما يحفظه عن التشوق للمنازل الدنية والتأخر عن بلوغ كل منزلة سنية، ( **ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسباباً، و تستدعي تلك الأسباب أسباباً إلى أن تنتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين، وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب** ) جل جلاله وعم نواله، ( **وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها** ) أي طلب نهايتها، ( **فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ وبالله التوفيق** ) وهو حسبي ونعم الوكيل.

## بيان وجه الأنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء:

اعلم أنا جمعنا النعم في ستة عشر ضرباً، وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة، فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها، ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل، فلا يخفى أن الأكل فعل، وكل فعل من هذا النوع فهو حركة، وكل حركة لا بدّ لها من جسم متحرّك هو آلتها، ولا بدّ لها من قدرة على الحركة، ولا بدّ من إرادة للحركة، ولا بدّ من علم بالمراد وادراك له، ولا بدّ للأكل من مأكول، ولا بدّ للمأكول من أصل منه يحصل، ولا بدّ له من صانع يصلحه، فلنذكر أسباب الادراك، ثم أسباب الإرادات، ثم أسباب القدرة، ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء.

**الطرف الأول: في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك:** اعلم أنّ الله تعالى

---

**بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن حد الحصر والاحصاء:**

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أنا جمعنا**) فيما تقدم (**النعم**) الموهوبة والمكتسبة (**في ستة عشر ضرباً**) من ضرب أربعة في أربعة، فالأربعة أصول ولكل أصل أربعة، (**وجعلنا صحة البدن**) وسلامته من الأسقام (**نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة**) لأنها من جملة الفضائل البدنية المكملة للفضائل النفسية، (**فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي بها تمت هذه النعمة**) أي نطلب نهايتها (**لم نقدر عليها، ولكن الأكل أحد أسباب الصحة، فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل ولا يخفى أن الأكل فعل**) لأنه هيئة حاصلة للآكل بسبب كونه آكلاً، (**وكل فعل من هذا النوع فهو حركة**) لأنه خروج من الفعل إلى القوة بالتدريج، (**وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك**) وتكون تلك الحركة عارضة لذاته والجسم ماله طول وعرض وعمق (**هو**) أي ذلك الجسم (**آلتها و لا بد لها**) أي لتلك الحركة (**من قدرة على الحركة، ولا بد لها من إرادة للحركة، و لا بد**) مع ذلك (**من علم بالمراد**) وإدراك له، و لا بد للأكل من مأكول، و لا بد للمأكول من أصل منه يحصل وجوده، (**و لا بد من صانع يصلحه**) ويهيئه للأكل (**فلنذكر أسباب الإدراك أولاً، ثم أسباب الإرادات، ثم أسباب القدرة، ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح**) والإشارة (**لا على سبيل الاستقصاء**) والاحاطة.

**الطرف الأول في بيان نعم الله تعالى في خلق أسباب الادراك:**

(**اعلم أن الله تعالى خلق النبات**) وهو ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق

خلق النبات وهو أكمل وجوداً من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمي ولا تغذي ، فإن النبات خلق فيه قوّة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الأرض وهي له آلات ، فبها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة ، ثم تغلظ أصولها . ثم تتشعب ، ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر ، إلا أنّ النبات مع هذا الكمال ناقص فإنه إذا أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر ، فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك ، فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق الله آلات الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء ، فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك ،

---

كالشجر أم لا كالنجم لكن خص عرفاً بما لا ساق له ، **( وهو أكمل وجوداً من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي تنمو ) )** نمواً **( و لا تغذي ، فإن النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي )** هي **( في )** باطن **( الأرض وهي له آلات بها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ أصولها )** وهي منابت الأوراق ، **( ثم تتشعب وتتفرق ولا تزال تستدق وتتشعب )** أي تنقسم **( إلى عروق )** دقيقة **( شعرية )** أي مثل الشعر في الدقة **( تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر ، إلا أن النبات مع هذا الكمال )** بالإضافة إلى الجواهر المذكورة **( ناقص فإنه لو أعوزه )** أي أحوجه **( غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس )** وذهبت نضارته **( ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون لمعرفة المطلوب و بالانتقال إليه ، والنبات عاجز عن ذلك )** أي لا قدرة له على الانتقال من موضعه ، **( فمن نعمة الله عليك أن خلق لك آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء ، فانظر إلى ترتيب حكمة الله )** تعالى **( في خلق الحواس الخمس )** الظاهرة **( التي هي آلة الادراك )** وتحقيق المقام أن الافعال الصادرة إنما تصدر عن القوى لا عن الجسم ، فإن الجسم لا يفعل من حيث الجسمية بل بالقوة التي فيه أو بقوة متعلقة به ، فالقوة مبدأ الفعل وكل فاعل إما قوة أو ذو قوة تفعل بقوته فالفاعل هو القوة والجسم آلة في الافعال ، فباستعماله على الوجه الأليق تستكمل إذا عرفت هذا .

فاعلم أن النفس قد عرف تجردها وكونها في أول إنشائه ناقصة محتاجة إلى الاستكمال بالأجسام ولم يمكنها معرفة الجسم وما فيه من المعاني من غير آلة جزئية ، فخلق الباري جل جلاله حواس ظاهرة تدرك بواسطتها الأجسام وعوارفها المكتسبة من الفيض العقلي بحسب استعدادها من الألوان والأشكل والطعوم والروائح وغير ذلك ، وحواس باطنة تدرك بها أنواعاً أخرى من المعارف ، وهذه الحواس آلات للنفس تستخدمها في مهاتها ومقاصدها ويحصل لها شعور بالمحسوسات بواسطتها ، فالحواس الظاهرة خمسة .**( فأولها حاسة اللمس )** وهي منبثة في جميع

فأوّلها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه، وهذا أوّل حس يخلق للحيوان، ولا يتصوّر حيوان إلا ويكون له هذا الحس، لأنه إن لم يحس أصلاً فليس بحيوان، وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويماسه، فإن الإحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة، وهذا الحس موجود لكل حيوان، حتى الدودة التي في البطن فإنها إذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب، لا كالنبات فإنّ النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع، إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصاً كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك، بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط، فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك، فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية، فتحتاج إلى أن تطوف كثيراً من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه، وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا، فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها، إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصاً، إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب، فتبصر غذاء ليس بينك

---

البدن تدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحوها عند الاتصال به، **( وإنما خلقت لك )** هذه القوة **( حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه، وهذا أول حس يخلق للحيوان و لا يتصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس لأنه إن لم يحس أصلاً فليس بحيوان )** ولذلك قالوا: الحيوان جسم نام حساس متحرك **( وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويماسه )** ويتصل به، **( فإن الاحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة، وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين، فإنها إذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات، فإن النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصاً كالدود لا يقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط، فافتقرت إلى حس )** آخر **( تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم )** وهي قوة مودعة في الزائدتين الناتئتين في مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي بها تدرك الروائح بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية ذي الرائحة إلى الخيشوم **( إلا أنك تدري به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج أن تطوف كثيراً من الجوانب، فربما تعثر على الغذاء الذي شمت ريحه، وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا فخلق لك البصر )** وهي قوة مودعة في العصبتين المجوفتين اللتين يلتقيان ثم يفترقان تتأدى إلى العين بها الأضواء والألوان والأشكال، **( لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصاً إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران**

وبينه حجاب وتبصر عدوًّا لا حجاب بينك وبينه، وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره، وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدوّ فتعجز عن الهرب، فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات، لأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئاً حاضراً وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع، فاشتدّت إليه حاجتك فخلق لك ذلك، وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات، وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس

---

**والحجب، فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدواً لا حجاب بينك وبينه، وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو)** منك **(فتعجز عن الهرب)** من بين يديه، **(فخلق لك السمع)** وهو قوة مودعة في القصب المفروش في مقعر الصماخ به تدرك الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيفة بكيفية الصوت إلى الصماخ **(حتى تدرك به الأصوات)** والنغمات اللذيذة والبشعة الحاصلة من تصادم الاجسام **(من وراء الجدران عند جريان الحركات)** بواسطة الروح المودع في العصب على حد مخصوص من القرب والبعد وشدة الصوت ورفعته، **(لانك لا تدرك بالبصر إلا شيئاً حاضراً، وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك، فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام من سائر الحيوانات)**، وقاعدة تشكل الهواء بمقاطع الحروف غير صحيحة لكون الهواء غير حافظ للشكل لأنه سريع الالتئام، ثم يتشوش ما عند أذنه من الهواء ينبغي أن لا يسمع شيئاً لتشوش التموجات واضطرابها، وقول القائل بأن الصوت يخرق الهواء وينفذ فيه غير سديد فإنه إذا تشوش الهواء المجاور للأذن بالكلية لا يبقى للبعض قوة النفوذ والامتياز عن الباقي، وأما ما قيل أن الصوت متعلق بقلع أو قرع لا كيف اتفق، بل عند حركة من الهواء بعنف، فلا ينبغي أن تفهم كونها داخلين في حقيقة الصوت لبقاء بعد الفراغ عنها، والصواب أن الصوت لا يعرف بشيء أصلاً، وكذا بساط جميع المحسوسات فإن التعريفات لا بد و أن تنتهي إلى معلومات مستغنية عن التعريف لكون التسلسل باطلاً، وإذا وجبت النهاية ولا شيء أظهر من المحسوسات لأن جميع علومنا منتزعة منها وهي المعلومات الأولية، وبها تعرف مركباتها فحقيقة الصوت لا تعرف لمن لا سمع له، وكذلك الضوء لمن لا بصر له، ومن كان له فهو مستغن عن التعريف، فالصوت أمر بسيط صورته في العقل كصورته في الحس، وحقيقته أنه صوت فقط، وكذا اللون وسائر المحسوسات، وأما أن سبب الصوت قلع أو قرع وأن الهواء شرط وإذا لم يكن على سبيل حصول المقاطع كان على وجه آخر شرطاً فهو بحث آخر لا مدخل له في حقيقة الصوت والله أعلم.

**(وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حسن الذوق)** وهي قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية وبسائط الطعوم هي الحلاوة والمرارة والحموضة والعفوصة والحرافة والملوحة والدسومة وواحد لا طعم له ويسمى التفه **(إذ**

الذوق، إذ يصل الغذاء إليك فلا تدرك انه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك، كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها، ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدّمة دماغك إدراك آخر يسمى حساً مشتركاً تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه، ولولاه لطال الأمر عليك فإنك إذا أكلت شيئاً أصفر مثلاً فوجدته مرّاً مخالفاً لك فتركته، فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانياً لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة، فلا بدّ من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً، حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فتمتنع عن

---

**يصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يضرب في أصلها كل مائع و لا ذوق لها فتجذبه، ربما يكون ذلك سبب جفافها )** أي يبسها وليست النفس داركة بمجرد هذه الآلات، بل هذه محال لها خواص واستعدادات مختلفة وأمزجة مخصوصة إذا وصل إليها الروح النفساني اللطيف وجال فيها استعد بـذلك لأن تفيض النفس عليه هيئة مستعدة بتلك الهيئة لأن يكون مرآة للنفس تشاهد بواسطة استعماله على وجوه مخصوصة العالم الحسي وخواصه لمناسبة ما بين النفس، وذلك الروح الذي حصل له بتردده في تلك الآلة هيئة مخصوصة تقتضي أن تشاهد به النفس عند الاستعمال نوعاً من المعلومات،( **ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حساً مشتركاً تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه )**، وهذا على رأي المشائين فإنهم يزعمون أن الحواس الباطنة أيضاً خمسة. **أولها**:الحس المشترك وهو الذي تجتمع عنده مثل جميع المحسوسات الظاهرة فيدركها مشاهدة، والصور التي يراها النائمون والمحرورون فيه يتمثل على رأيهم ومحله البطن المقدم من الدماغ. **والثانية**: الخيال وهي خزانة الحس المشترك ومحله البطن المقدم أيضاً، ولكنه يميل إلى اليسار قليلاً. **والثالثة**: الوهم ومحله البطن الأوسط من الدماغ، **والرابعة** الحافظة وهي خزانة الوهم ومحلها في البطن المؤخر منه. **والخامسة**: المدركة ومحلها البطن الأوسط منه أيضاً، وأما الاشراقيون فلا يثبتون إدراك شيء منها إلا المتخيلة فقط، وقد تقدم الكلام عليه ( **ولولاه لطال الأمر عليك، فإنك اذا أكلت شيئاً أصفر مثلاً فوجدته مراً مخالفاً لك فتركته فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر ما لم تذقه ثانياً، لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة و لا تدرك المرارة، فكيف تمتنع عنه، والذوق يدرك المرارة و لا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً، حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فيمتنع من تناوله ثانياً )**، وكل ذلك على رأي المشائين. وأما أفلاطون وجاعة من الأقدمين، فقد أقاموا دلائل أبطلوا بها الحافظة والخيال وانطباع الأشباح في العين وهي بعينها تبطل الحس المشترك أيضاً، وكل صورة في الدماغ فلا تبقي إلا المتخيلة وهي بعينها المتوهمة التي حكمـها لا يخالف حكم المتوهمة.

تناوله ثانياً، وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات، إذ للشاة هذه الحواس كلها؛ فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصاً؛ فإنّ البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص إذا قيدت، وقد تلقي نفسها في بئر ولا تدري أن ذلك يهلكها، ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت، إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر، فأما إدراك العواقب فلا، فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل، فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها في الحال والمآل، وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها، فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل، وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه، وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحي المملكة، وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به، فواحدة منها بأخبار الألوان، والأخرى بأخبار الأصوات، والأخرى بأخبار

---

**( وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات إذ للشاة هذه الحواس كلها، فلو لم يكن لك إلا هذا كنت ناقصاً فإن البهيمة تحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها، وكيف تتخلص إذا قيدت، وقد تلقي نفسها في بئر و لا تدري أن ذلك يهلكها، ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر )** فقط، **( فاما إدراك العواقب فلا، فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل )** وهو الاستدراك المحض لإدراك المعقولات وهو قوة محضة خالية عن الفعل كما في الأطفال، ويقال له: العقل الهيولاني لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولى الأولى الخالية في حد ذاتها عن الصور كلها **( فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها ومايضره في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك، وهو أخس فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى )** بطريق أسمائه وصفاته **( ومعرفة أفعاله، ومعرفة الحكمة في عالمه )** الحسي، **( وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحي المملكة، وقد وكلت كل واحدة منها )** أي من تلك الحواس **( بأمر مختص بها )** دون غيرها. **( فواحدة منها )** موكلة **( بأخبار الألوان )** والأشكال والمقادير وغيرها وهي حاسة البصر فإن النفس تشعر بما ذكر إذا وقعت العين في مقابلة الشيء، **( والاخرى باخبار الأصوات )** الثقيلة والخفيفة الحاصلة عن تصادم الأجسام وهي حاسة السمع،

الروائح، والأخرى بأخبار الطعوم، والأخرى بأخبار الحرّ والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها، وهذه البرد والجواسيس يقنصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك، والحس المشترك قاعد في مقدّمة الدماغ، مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي مختومة ويسلمها، إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها؛ فأما معرفة حقائق ما فيها فلا، ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاءات إليه مختومة، فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرّك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعنّ له، فهذه سياقة نعمة الله عليك في الادراكات، ولا تظنن أنا استوفيناها؛ فإنّ

---

**( والأخرى باخبار الروائح )** الطيبة والكريهة بواسطة انتقال الهواء الواصل إلى الانف من الجسم ذي الرائحة وهي حاسة الشم، **( والأخرى باخبار الطعوم )** من الحلاوة والمرارة والحموضة والعفوصة والقبض والحرافة والملوحة والدسومة وهي حاسة الذوق، **( والأخرى باخبار الحر والبرد )** والرطوبة واليبوسة ويعبرون عنها بالكيفيات الأربع، **( والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها )** من الثقل والخفة وهي حاسة اللمس، وهي أدون هذه الإدراكات، ثم الذوق، ثم الشم **( وهذه البرد )** بضمتين جمع بريد الرسول **( والجواسيس يقتصون الأخبار )** أي يتتبعونها **( من أقطار المملكة )** وأطرافها **( ويسلمونها إلى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ، مثل صاحب القصص والكتب )** الواردة **( على باب الملك يجمع القصص والكتب )** الواردة من نواحي العالم فيأخذها من يد الجواسيس **( وهي مختومة ويسلمها )** إلى الملك، **( إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها )** إلى وقت الحاجة. **( وأما معرفة حقائق ما فيها فلا، ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاءات )** وهو رفع القصص لأنه يذكر فيها دائماً وانهى إليه كذا وكذا **( إليه مختومة، فيفضها الملك )** وفي نسخة فيفتشها **( ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها )** في هذا المقام. وقد يفض صاحب الأخبار عن تلك القصص فيسقط منها ما يراه حشواً ويرفع الباقي صافياً إلى حضرة الملك فيميزه ويرفعه ويعرف مضاره ومنافعه ويسلمه إلى خازنه وهي القوة الحافظة إلى وقت حاجته، فحينئذ يتقدم بإخراجه **( وبحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في إتمام تدبيرات تعن له )** أي تعرض، **( فهذه سياقة نعمة الله )** تعالى **( عليك في الإدراكات، ولا تظنن أننا استوفيناها، فإن الحواس الظاهرة )** الخمس **( هي بعض**

الحواس الظاهرة وهي بعض الادراكات، والبصر واحد من جملة الحواس، والعين آلة واحدة له، وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية، وبعض الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة، وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض وبعضها كأنه الجمد، ولكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب، لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الأطباء والكحالون كلهم، فهذا

---

**الإدراكات، والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية، وبعض الاغشية كأنها نسج العنكبوت، وبعضها كالمشيمة،وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض، وبعضها كأنه الجمد، ولكل واحد من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلفت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة، لاختل البصر وعجز الأطباء والكحالون كلهم ).**

وبيان ذلك أن كلاً من العين مركب من سبع طبقات وثلاث رطوبات وهي: العصب والعضل والعروق، وقد سمى المصنف الكل طبقات وفيه تسامح لا يضر، وكيفية تركيبها أن العصبة المجوّفة التي هي أول العصب الخارج من الدماغ تخرج من القحف إلى قعر العين وعليها غشاءان هما غشاء الدماغ، فإذا برزت عن العين وصارت في جوفة عظم العين فارقها الغشاء الغليظ وصار غشاءً ولباساً على عظم العين، ويسمى هذا الغشاء الطبقة الصلبية، ثم يفارقها الغشاء الرقيق فيصير غشاء ولباساً بعد الصلبية، وتسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة لأنها ذات عروق كثيرة، ثم تصير هذه العصبية نفسها إلى المجوفة عريضة ويصبر منها غشاء بعد الأولين ويسمى الطبقة الشبكية، ثم يتكون في وسط هذا الغشاء جسم رطب لين في لون الزجاج الذائب وقوامه وتسمى الرطوبة الزجاجية، ويتكون في وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير إلا أن في جانبه الخارجي أدنى تفرطح لتظهر فيه أشباح المرئيات، وفي جانب الداخل نتوّ ليتوصل بالعصبة المجوفة كما ينبغي وتسمى الرطوبة الجليدية تشبيهاً بالجليد في صفائه، ويسمى البردية أيضاً لشبهها بالبردة في شكلها وصفائها وشفيفها، ويحفظ الزجاجية من الجليدية بمقدار النصف، ويعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسيج العنكبوت شديد الصقال والصفاء يسمى الطبقة العنكبوتية، ثم يعلو هذه الطبقة جسم سائل في لون بياض البيض وقوامه يسمى الرطوبة البيضية، ويعلو البيضية جسم رقيق مخمل الداخل أملس الخارج ويختلف لونه في الأبدان، فربما كان شديد السواد، وربما كان دون ذلك في وسطه حيث يحاذي الجليدية ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء، فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة ويسمى هذا الثقب الحدقة، وهذا الغشاء الطبقة العنبية في خمل باطنها و ملاسة ظاهرها، والثقب الذي في وسطها وبعضهم يقول: إن لون هذه الطبقة هو الاسمانجوني ليكون نور الباصرة فيها

**في حس واحد، فقس به حاسة السمع وسائر الحواس؛ بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أنّ جملته لا تزيد على جوزة صغيرة؛ فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه، فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات.**

---

معتدلاً إذ لا لون أنسب وأوفق لنور الباصرة من هذا، لأن لون السواد يقبض النور المذكور والبياض يفرقه،وهذا اللون متوسط بين السواد والبياض، و لا نجد في الالوان ما هو في حاق الوسط بينهما مثل هذا اللون، ويعلو هذه الطبقة جسم كثيف صلب صاف شفاف يشبه صحيفة رقيقة من قرن أبيض ويسمى الطبقة القرنية غير انها تتلون بلون الطبقة التي تحتها المسماة بالعنبية، كما إذا الصق وراء جام من زجاج شيء ذو لون فيخيل ذلك المكان من الزجاج بلون ذلك الشيء ولونها مختلف في الناس، ففي بعض يكون زرقاء، وفي بعض يكون شهلاء، وفي بعض يكون سوداء، ويعلو هذه الطبقة ويغشيها لا كلها بل إلى موضع سواد العين جسم أبيض اللون صلب يسمى الطبقة الملتحمة وهي التي تلي الهواء وهو بياض العين ونباته من الجلد الذي على القحف من خارج، وجوهره من لحم أبيض دسم، وقد امتزج بعضلة العين وأحكم على القرنية، فلهذا يسمى بالملتحمة، ونبات القرنية من الصلبية، ونبات العنبية من المشيمة، ونبات العنكبوتية من الشبكية. وهكذا رتب بعضهم هذه الطبقات والرطوبات أعني جعل الأول الطبقة الصلبية، ثم الطبقة المشيمية، ثم الطبقة الشبكية، ثم الرطوبة الجليدية، ثم الطبقة العنكبوتية، ثم الرطوبة البيضية، ثم باقي الطبقات، وبعضهم جعل الرطوبة البيضية تالية للرطوبة الجليدية بين الزجاجية والبيضية ليأخذ الغذاء من الزجاجية وتدفع البيضية عنها أشعة الشمس ونحوها، وجعل الطبقات الأربع أعني العنكبوتية والعنبية والقرنية والملتحمة تالية للرطوبات الثلاث المتتالية، وأشرف أجزاء العين إنما هو الرطوبة الجليدية وسائر الطبقات والرطوبات لأجل مصلحته، فالزجاجية والطبقات الثلاث المتصلة بها قد أحاطت بنصف الجليدية من جانب الرطوبة البيضية، والطبقات الأربع المتصلة بها محيطة بنصفها الآخر من جانب آخر وهي موضوعة في الوسط صيانة لها وحرزاً.

( **فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس** ). ومن أعجب ما في حاسة السمع أن في داخلها فضاء موضوعاً مجوفاً ذا تقعير إليه ثقبة، وقد انبسط غشاء منتسج من ليف عصب الحس المذكور على محيط ذلك الفضاء كانبساط الجلد على الطبل، وبهذا الغشاء يكون السمع عند ما يقرعه الصوت لأن في ذلك الفضاء هواء راكداً، فكلما وصل الهواء الخارجي المتموج إلى العصب حرك الهواء الداخل فيصادمان في العصب معاً فيدرك الصوت، ( **بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته** ) المذكورة ( **في مجلدات كثيرة** ) قد تكلف ببيان بعضها أهل التشريح، ( **مع أن جملته لا تزيد على جوزة صغيرة** ) أي في المقدار، ( **فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه** ) التي ركبها الله تعالى فيه ( **فهذه مرامز** ) أي إشارات ( **إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات** ) والله أعلم.

**الطرف الثاني: في أصناف النعم في خلق الإرادات:** اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلاً، فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله، فيبقى البصر والإدراك معطلاً في حقه، فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة؛ فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك إلى التناول حتى تتناول وتغتذى فتبقى بالغذاء، وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات. ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك، فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها، لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدّر غذاء بقدر الحاجة، فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى، وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك، ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض، وتأليف

---

**الطرف الثاني في بيان أصناف النعم التي في خلق الإدراكات:**

( **أعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلاً** ) مهملاً، ( **فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له، وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والإدراك معطلاً في حقه فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك** ) ويلائم مزاجك يسمى شهوة ( و ) أن تكون ( **نفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة، فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام عليك ووكلها بك كالمتقاضي** ) أي المطالب ( **الذي يضطرك** ) أي يلجئك ( **إلى التناول** ) منه ( **حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء، وهذا** ) القدر ( **مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات، ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة** ) منه ( **أشرفت** ) وتجاوزت ( **وأهلكت نفسك فخلق الله سبحانه لك الكراهة عند الشبع لتترك بها الأكل لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسافله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى** ) حتى يصلح، ( **وكما خلق لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك** ) وهاتان هما الشهوتان وإحداهما تحدث عن الأخرى، ( **ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله في خلق الرحم وخلق دم الحيض، وتأليف الجنين من النطفة ودم الحيض** ) في الرحم الذي هو من

الجنين من المني ودم الحيض، وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة إليها من الفقار الذي هو مستقر النطفة، وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الإناث، وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظماً ولحماً ودماً، وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الأعضاء؛ لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب، فضلاً عما تراه الآن، ولكنا لسنا نريد أن نتعرّض إلا لنعم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام؛ فإذاً شهوة الطعام أحد ضروب الإرادات، وذلك لا يكفيك، فإنه تأتيك المهلكات من الجوانب، فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك، لبقيت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلته من الغذاء، فإن كل واحد يشتهي ما في يديك فتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك، ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا إلى

---

المرأة بمنزلة الذكر من الرجل، ( **وكيفية خلق الإنثيين** ) وهما ركبا من لحم أبيض غدوي دسم ومن عروق وشريانيات وهما آلتا المني ومعدناه إذ المني ينزل إليهما من جمع الأعضاء من كل عضو جزء ( **والعروق السالكة إليها من الفقار الذي هو مستقر النطفة** ) وهي فقرات الظهر، ( **وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب** ) وهي ضلوع صدرها أو مـأوى الترقوتين أو ما بين الثديين والترقوتين أو أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته ( **بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الأناث** ) وهو مربوط برباطات مسلسلة متصلة بخرز الظهر وبجانب السرة والمثانة تحفظه على وضعه، وله زائدتان يسميان قرني الرحم وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة ينصب منهما مني المرأة إلى تجويف الرحم، ( **وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظماً ولحماً ودماً وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ورجل وبطن وظهر ويد وسائر الأعضاء لقضيت من أنواع نعم الله عليك في مبدأ خلقك كل العجب، فضلاً عما تراه الآن. ولكنا لسنا نريد أن نتعرض إلا لنعم الله تعالى في الأكل وحده كيلا يطول الكلام** ) ويتسع المجال يخرج عن مقصود الكتاب، ( **فإذاً شهوة الطعام أحد ضروب الإرادات، وذلك لا يكفيك فإنه تأتيك المهلكات من الجوانب** ) الأربعة، ( **فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضارك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات** ) وهدفاً للمهلكات، ( **ولأخذ منك كل ما حصلت من الغذاء فإن كل أحد يشتهي ما في يدك فتحتاج إلى داعية في دفعه** ) عنك ( **ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يـوافقك، ثم هذا لا**

ما يضر وينفع في الحال، وأما في المآل فلا يكفي فيه هذه الإرادة فخلق الله تعالى لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل المعرّف للعواقب، كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل، إذ كان مجرّد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلاً تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة، وهذه الإرادة أفردت بها عن البهائم إكراماً لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب، وقد سمينا هذه الإرادة باعثاً دينياً وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلاً أوفى من هذا.

**الطرف الثالث: في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلة الحركة:** اعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك، والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب، فكم من مريض مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشي إليه لفقد رجله، أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيهما، فلا بدّ من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلباً وبمقتضى الكراهية هرباً، فلذلك خلق الله تعالى لك

---

**يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا إلى ما يضر وينفع في الحال، أما في المآل فلا تكفي هذه الإرادة فخلق الله لك إرادة أخرى مسخرة)** أي منقادة **(تحت إشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرين تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل، إذ كان مجرد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلاً تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن ميل إلى العمل بموجب المعرفة، وهذه الإرادة)** قد **(أفردت بها عن البهائم)** وميزت بها عنها **(إكراماً لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب)** التي هي من خواص العقل، **(وقد سمينا هذه الإرادة باعثاً دينياً وفصلناه في كتاب الصبر أوفى من هذا)** فراجعه والله أعلم.

**الطرف الثالث في بيان نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة:**

**(اعلم)** وفقك الله تعالى **(أن الحس لا يفيد إلا الإدراك)** وقد تقدم أن كل حاسة لها إدراك خاص، **(والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب أو)** إلى **(الهرب، وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب، فكم من زمن)** وهو المريض الذي يطول به المرض زماناً طويلاً **(مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له، ولكنه لا يمكنه أن يمشي إليه لفقد رجله أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيهما)** خاصة مع صحة الجسم، **(فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلباً، وبمقتضى**

الأعضاء التي تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها؛ فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للإنسان والجناح للطير والقوائم للدواب، ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان، وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافاً كثيراً؛ فمنها ما يكثر أعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة، ومنها ما خلق له أربع قوائم، ومنها ما له رجلان، ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الأعضاء التي بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول: رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تكفي ما لم تتمكن من أن تأخذه؛ فافتقرت إلى آلة باطشة؛ فأنعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدّتان إلى الأشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتدّ وتنثني إليك فلا تكون كخشبة منصوبة؛ ثم جعل رأس اليد عريضاً بخلق الكف، ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية، ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعاً إن بسطتها كانت لك مجرفة وإن ضممتها

---

**الكراهة هرباً فلذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التي تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها)** وما خلقت له، (**فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للإنسان**) فإنه بها يطلب ما يريد ويهرب عما لا يريد، (**والجناح للطير والقوائم للدواب. ومنها ما هي للدفع**) عنه (**كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافاً كثيراً فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة**) لتحصيل غذائه ولئلا يدركه الطالب، (**ومنها ما خلق له أربع قوائم**) ولا زيادة عليها وما وجد في بعضها من زيادات الأرجل فهي بمنزلة الزائدة أو المعينة، (**ومنها ما له رجلان**) كبني آدم والطيور، (**ومنها ما يدب**) على بطنه كالحيات وما أشبهها، (**وذكر ذلك يطول**) ولم يخلق للحيات ما يكون بمنزلة السلاح لها فعوض عنها بالهيبة فلا تخرج على جماعة إلا ويتفرقون من هيبتها. (**فلنذكر الأعضاء التي بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها، فنقول: رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تكفي ما لم تأخذه**) وفي نسخة ما لم تتمكن من أخذه (**فافتقرت**) لا محالة (**إلى آلة باطشة، فأنعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان إلى الأشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني إليك**) بسهولة، (**فلا تكون كخشبة منصوبة**) تمتد ولا تنثني، (**ثم جعل رأس اليد عريضاً بخلق الكف، ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي: الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الأبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية، ولو كانت مجتمعة، أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها**) الحكيم تعالى شأنه (**وضعاً إن بسطتها كانت لك مجرفة، وإن ضممتها**)

كانت لك مغرفة، وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب، وإن نشرتها ثم قبضتها كانت

---

**كانت لك مغرفة، وإن جمعتها كانت آلة للضرب، وإن نشرتها ثم قبضتها كانت آلة في القبض).**

وبيان ذلك أن للساعدين أربعة عظام لكل إثنان هما الزندان طولهما من المرفق إلى الرسغ أحدهما كبير موضوع في الأسفل يلي الخنصر ويقال له الزند الأسفل ويسمى باسم جملة الساعد ذراعاً، وثانيهما صغير موضوع فوق ما يلي الأبهام ويقال له الزند الأعلى، وإنما جعل كذلك لأن الحامل يجب أن يكون أقوى من المحمول. وقولنا فوق وأسفل إنما هو عندما يكون الساعد منصوباً بحيث يقبل باطنه وباطن الكف على البدن، وإنما ألف الساعد من عظمين لاحتياجه إلى مفصلين ينبسط وينقبض بأحدهما وهو المفصل الملتئم بين الزند الأسفل وذلك لأن الزند الأسفل له في أعلاه رأسان فيما بينهما حزّ شبيه بسني اليونان هكذا (>) فينبسط الساعد به انبساطاً يصير جملة اليد ممدودة وتنقبض بحيث يلحق الكف الكتف، فإذا أريد البسط دخل رأس الزند الأسفل الذي هو من خلف في نقر له مهيأة في طرف الحز من العضد من خلف واستقر فيها، فيمنع الساعد أن ينثني إلى خلف، وإذا أريد القبض دخل رأس الزند الأسفل من قدام في نقرة أخرى في طرف ذلك الحز من قدام فاستقر فيها فلا تنقبض اليد ولا ينثني أكثر من ذلك، وينكب بالمفصل الآخر على وجهه وينقلب على قفاه وهو المفصل الملتئم بين الزند الأعلى والعضد، إذ الطرف الوحشي من طرف العضد مما يلي الساعد يدخل في نقرة فيها طرف الزند الأعلى، فيدور الزند عليه. وأما عظام رسغ اليدين فهي ستة عشر لكل ثمانية. وهي عظام صلبة صلدة عديمة المخ وسبعة منها نضدت صفين، فالصف الأعلى من ثلاثة والأسفل من أربعة، وذلك لأن أعلى الرسغ موصول بعضو ضيق الطرف ليس بين عظميه في هذا الجانب فرجة أعني الساعد، وأسفله بعضو عريض أعني مشط الكف، وأما الثامن فإنما خلق لحفظ عصبة هناك تأتي الكف لا للرسغ خاصة، وللرسغ مفصلان: أحدهما كبير يلتئم بدخول الثلاثة العليا في حفرة في طرف الساعد محفورة في رأس الزندين جميعاً، وبهذا المفصل يكون انقباض الرسغ وانبساطه، والثاني صغير يلتئم بدخول زائدة في طرف الزند الأسفل مما يلي الخنصر في نقرة العظم وانبساطه، والثاني صغير يلتئم فيدور الرسغ على تلك الزائدة، وبهذا المفصل ينكب الرسغ وينقلب. وأما عظام الكفين فهي ثمانية لكل أربعة وهي كالمتوسط بين أربعة الرسغ، والأصابع الأربع سوى الأبهام وطرفها الذي يلي الرسغ متصل به اتصالاً محكماً بما ربطته، وتبقى بحيث لا تظهر فيه حركة ورؤوس العظام في هذا الطرف متصل بعضها ببعض أيضاً اتصالاً شديداً بعظام الرسغ، حتى لو كشط جلدة الكف وجدت هذه العظام متصلة ببعد وصولها عن الحس، وأما رؤوس التي في الطرف الآخر فبينها فرج ما دامت الأصابع منفرجة وهي تنضم بانضمام الأصابع. وأما عظام أصابع اليدين فهي ثلاثون لكل خمسة عشر، وكل أصبع مؤلف من ثلاثة عظام تسمى الأنامل والسلاميات يتصل بعضها ببعض بمفاصل موثقة بربط، وكذا الإبهام إلا أن العظم الأول منه مربوط بالرسغ لا بالمشط كالأربع

**لك آلة في القبض، ثم خلق لها أظفاراً وأسند إليها رؤوس الأصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تحويها الأصابع فتأخذها برؤوس أظفارك، ثم هب انك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيك هذا ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن، فلا بدّ وأن يكون من الظاهر دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه، فجعل الفم منفذاً إلى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذاً للطعام إلى المعدة، ثم إن وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس من العليا**

---

الأخر، وقيل: هو متصل بطرف الزند الأعلى بمفصل واسع سلس لأنه يحتاج إلى حركة واسعة ليلقي به الأصابع الأربع.

(**ثم خلق لها أظفاراً**) وهي إما من العظام وإما أجسام عظيمة موصولة بالسلاميات الأخيرة من الأصابع مربوطة اللحم والجلد برباطات من جنس الأوتار وقد يصير إليها عصب ووريد وشرانيات يؤدي إليها الحياة والغذاء، (**وأسند إليها رؤوس الأصابع حتى لا تتفتت**) ولا تهن عند الشد على الشيء هذا أحد منافع الأظفار، (**و**) الثانية من منافعها (**حتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة**) الصغيرة (**التي لا تحويها إلا الأصابع فتأخذها برؤوس أظفارك**) والمنفعة الثالثة أن تتمكن من الحك والتنقية، والرابعة أن تكون سلاحاً لك في بعض الأوقات، وإليه يشير ما ورد في الخبر. وأما الظفر فمدى الحبشة، والثلاثة الأولى أولى بنوع الإنسان، والرابعة ببعض الحيوانات، ولذا وردت السنة في تقليمها متى طالت وخلقت مستديرة الأطراف من عظام لينة لتتطامن تحت ما يصاكها فلا تنصدع وخلقت ناتئة دائماً في كل ذلك حكم خفية لا يعلم بها إلا الراسخون في العلم. (**ثم هب أنك أخذت الطعام باليد فمن أين يكفيك هذا ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن فلا بد وأن يكون من الظاهر دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذ الطعام إلى المعدة مع ما فيه**) أي في الفم (**من الحكم الكثيرة**) ما بين ظاهرة وخفية (**سوى كونه منفذاً للطعام إلى المعدة**) وأجلها النطق الذي هو سبب السعادات كلها (**ثم إن وضعت الطعام في الفم وهو**) أي الطعام (**قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه**) لضيق المدخل (**فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام، فخلق لك اللحيين من عظمين**) هذا على الإجمال، وبالتفصيل فعظام اللحي الأعلى أربعة عشر ستة في العينين لكل ثلاثة وإثنان في الوجنتين وهما كبيران، (**وركب فيهما**) أكثر (**الأسنان**) سوى الثنايا والرباعيات العليا، وإثنان صغيران وفيهما ثقبتان من المنخرين إلى الفم، وإثنان في طرف اللحي وفيهما بقية الأسنان، وإثنان في الأنف. وأما عظام اللحي الأسفل فطرف كل منها من أسفل في موضع الذقن يلتحم بصاحبه والآخر من فوق له

على السفلى لتطحن بها الطعام طحناً ، ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك ، فقسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس ، وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب ، ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلاً بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى ، ولولا ذلك لما تيسر إلا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلاً ، وبذلك لا يتم الطحن . فجعل اللحي الأسفل متحرّكاً حركة دورية ، واللحي الأعلى ثابتاً لا يتحرّك . فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى ، فإن كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل

---

شعبتان ، **( وطبق الأضراس من العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحناً ، ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر ، وتارة إلى القطع ، ثم يحتاج إلى الطحن بعد ذلك فقسم الإسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس ، وإلى حادة قواطع كالرباعيات ، وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب ) .**

اعلم أن الأسنان إثنان وثلاثون وفي كل لحي ستة عشر أربعة من قدّام وهي الثنيتان والرباعيتان ، ويقال لها القطاعة إذ يقطع بها ما يؤكل من الطعام اللين وهي عراض حادة الرؤوس ، وإثنتان من جانبي الأربع ويقال لهما النابان وهما حادتا الرؤوس عريضتا الأصول يكسر بهما ما صلب من الطعام ، ولكل من هذه الست أصل واحد وخمس في كل من الجانبين وهي عراض خشنة الرؤوس وتسمى الأضراس والطواحين لأنها تطحن الطعام وتسحق ، ولكل منها إذا كان من فوق ثلاثة أصول ، وقد يكون لأقصاها أربعة ، وإن كان من أسفل أصلان وقد يكون لأقصاها ثلاثة أصول ، وإنما جعل أصول الأضراس أكثر لشدة عملها ودوامه ، وإنما جعل أصول الفوقانية منها أكثر من أصول التحتانية لتعلقها ، وربما عدمت النواجذ منها في بعض الناس وهي الأربعة الطرفانية فتكون أسنانه ثمانية وعشرين ، والنواجذ تنبت في الأكثر في وسط زمان النمو وهو بعد البلوغ إلى الوقوف ، وذلك الوقوف قريب من ثلاثين سنة ، ولذلك تسمى أسنان الحتم .

**ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلاً بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى ، ولولاه لما تيسّر إلا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلاً ، وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الأسفل متحركاً حركة دورية واللحي الأعلى ثابتاً لا يتحرك )** أي أن الثنايا والرباعيات تتماس وتتلاقى في حالة العض ، ولو لم يكن كذلك لم يتم العض على الأشياء ، وذلك يكون بجذب الفك إلى قدام حتى يلاقي بعضها بعضاً ، وعند المضغ والطحن يرجع الفك إلى مكانه فتدخل الثنايا والرباعيات السفلانيات إلى داخل ، وتحيد عن موازاة العالية فيتم بذلك للأضراس وقوع بعضها على بعض ، وذلك لأنه لا يمكن عن تلاقي الثنايا والرباعيات التي في اللحي الأعلى وفي اللحي الأسفل أن تتلاقى الاضراس . **( فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى )** وبديع حكمته ، **( فإن كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور**

ويدور الأعلى إلا هذا الرحى الذي صنعه الله تعالى، إذ يدور منه الأسفل على الأعلى فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان، أو كيف تستجرّه الأسنان إلى نفسها، أو كيف يتصرف باليد في داخل الفم؟ فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان، فإنه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام إلى الرحى، هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوّة النطق والحكم التي لسنا نطنب بذكرها، ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن ينزلق إلى الحلق بنوع رطوبة، فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عيناً يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام، فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فإنك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة

---

**الأعلى )** ولو تحرك الأسفل لفسد **( إلا هذا الرحى الذي صنعه الله تعالى إذ يدور منه الأسفل على الأعلى )**، وسر ذلك أن الله تعالى قد وضع خزائن الحواس في اللحي الأعلى، فلو دار الفك الأعلى لخيف من تطرق الخلل والفساد على تلك الخزائن، وقد استثنى مما ذكر التمساح فقد قالوا: كل حيوان يتحرك فكه الأسفل عند المضغ إلا التمساح، **( فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم برهانه وأوسع امتنانه، ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء الفم، فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان أو كيف تستجره الأسنان إلى نفسها أو كيف ينصرف باليدين في داخل الفم، فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان )** وركبه من لحم وعروق وشريانات وعصب حساس وغشاء متصل بغشاء المريء، **( فإنه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة )** إلى طحن أو كسر أو مضغ، **( كالمجرفة التي ترد الطعام إلى الرحى )** وذلك أن جوهره لحم أبيض رخو مجلل بالغشاء المذكور، وقد التفت به عروق صغار كثيرة فيها دم هو سبب حمرة لونه وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة فوق ما يستحقه قدره من العظم. **( هذا مع ما فيه من فائدة الذوق )** إذ موضع قوته العصب المفروش عليه، **( وعجائب قوة النطق )** وهي القوة الإنسانية التي يكون بها الكلام، **( والحكم التي لسنا نطنب بذكرها . ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الإبتلاع )** والإزدراد **( إلا بأن يتزلق إلى الحلق )** وهو الفضاء الذي في أقصى الفم وفيه مجريان: أحدهما قصبة الرئة، والثاني المريء ولا يكون التزلق إلا **( بنوع رطوبة . فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها )** وهما فوهتان وهما ساكبتا اللعاب وبهما يبقى في اللسان وما حوله النداوة الطبيعية، **( و )** هذا اللعاب **( ينصب بقدر الحاجة حتى يتعجن به الطعام . فانظر كيف سخرها لهذا الأمر، فإنك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى**

وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك ، ثم هذا الطعام المطحون المنعجن من يوصله إلى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد في المعدة حتى تمتدّ فتجتذب الطعام ، فانظر كيف هيأ الله تعالى المرىء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام بضغطه فيهوي إلى المعدة في دهليز المريء ، فإذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحماً وعظماً ودماً على هذه الهيئة بل لا بدّ وأن يطبخ طبخاً تاماً حتى تتشابه أجزاؤه ، فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الأبواب ، فلا يزال لابثاً فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من

---

**تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك، ثم هذا الطعام المطحون المتعجن من يوصله إلى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجتذب الطعام، فانظر كيف هيأ الله تعالى المريء والحنجرة )** فالمريء هو منفذ الطعام، والشراب متصل بالحلقوم الذي يجري فيه الطعام والشراب وهو مؤلف من لحم وأغشية، والحنجرة مؤلفة من غضاريف ثلاثة، **( وجعل على رأسها طبقات )** منها داخلة وهي شبيهة بالأغشية، ومنها خارجة وهي أكثر حمية **( تنفتح لأخذ الطعام، ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطته فتهوي إلى المعدة في دهليز المريء )** وأعلم أن في الحنجرة رطوبة دسمة لزجة كائنة في تضاعيف غضاريف الحنجرة بها يكون الصوت صافياً ، فإذا عرض لأحد حمى محرقة تحترق تلك الرطوبة فلا يقدر على إخراج الصوت ، وكذا من تكلم كثيراً أو سافر في هواء حار يابس ، فإنهما لا يقدران على التكلم إلا إذا بلاّ حلقهما بالماء أو بشيء آخر رطب ، **( فإذا )** ورد **( طعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة ، فلا يصلح لأن يصير لحماً وعظماً ودماً على هذه الهيئة ، بل لا بد وأن يطبخ طبخاً تاماً تتشابه أجزاؤه، فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتنغلق عليه الأبواب، فلا يزال لابثاً فيها حتى يتم الهضم والنضج )** .

اعلم أن المعدة جسم مستديرة الهيئة مركب من اللحم والعصب والعروق والشرايين والغشاءين وهي مؤلفة من طبقتين، والطبقة الظاهرة لحمية ، وكلما بعدت المعدة عن المريء اتسعت وصار المريء كالعنق ، ولها من أسفل ثقب أضيق من فمها يسمى البوّاب ، وعند اشتمال المعدة على الغذاء وانضمامها ينغلق البواب بحيث لا يخرج عنه أصلاً حتى الماء إلى أن يتم الهضم ، ثم ينفتح ليصير ما في المعدة إلى الأمعاء الإثني عشر ، ويبقى مفتوحاً إلى أن يتم فعل الدافعة ومبدأ الإتساع يسمى فم المعدة، وهو عندما ينقطع عظام القص وهو عار عن اللحم وباقيه هو العضو المسمى بالمعدة، وموضعها فوق السرة وهي مربوطة مع الفقار ومع غيرها من الأحشاء بأربطة وثيقة تمسكه ، وكذا جميع الأحشاء قد أحكم ربطها ودعائمها بقدر شرفها وشدة الحاجة إليها والخوف عليها ، فإذا ورد الغذاء في البدن تهضمه الطبيعة هضوماً أربعة أي تعده لأن يصير جزءاً من البدن وابتداء الهضم

الأعضاء الباطنة، إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال، ومن قدّام الترائب ومن خلف لحم الصلب فتتعدّى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء عن الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعاً متشابهاً يصلح للنفوذ في تجاويف العروق، وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه أجزائه ورقته، وهو بعد لا يصلح للتغذية؛ فخلق الله تعالى بينها

---

الأول عند المضغ بسبب أن سطح الفم متصل بسطح المعدة، بل لأنها سطح واحد وفيه منه قوة هاضمة، فإذا لاقى الممضوغ أحاله إحالة ما، ويعين على ذلك الريق المستفيد بالنضج الواقع فيه حرارة غريزية، ثم إذا ورد على المعدة انهضم الهضم التام الأول لا بحرارة المعدة وحدها، بل **( وبالحرارة التي تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة )** أيضاً **( إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال )** فإن الطحال قد يسخن به لا بجوهره بل بالشرايين والأوردة الكثيرة التي فيه، **( ومن قدام الترب )** الشحمي القابل للحرارة المؤديها إلى المعدة، **( ومن خلف لحم الصلب )** أي العرق العظيم الممتد على الصلب من خلف المعدة، ومن فوق القلب بتوسط تسخينه للحجاب لأنه حاجز بين القلب والمعدة، فهو يسخن الحجاب ثم يسخن الحجاب المعدة، ومن تحت المرارة بما فيها من الصفراء **( فتتعدى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجانب حتى ينطبخ الطعام ويصير )** بذاته في كثير من الحيوان كجوارح الصيد والجمل والحية من غير شرب ماء وبمعونة ما يخالطه من المشروب في اكثره **( مائعاً متشابهاً )** أي كيلوساً وهو جوهر سيال **( يصلح للنفوذ في تجاويف العروق، وعند ذلك يشبه ماء الشعير )** وهو الكشك الثخين **( في تشابه أجزائه، وهو بعد لا يصلح للتغذية )**.

اعلم أن جسم المعدة مؤلف من ثلاث طبقات: إحداها يأخذ ليفه طولاً، والثانية يأخذ ليفه عرضاً، والثالثة يأخذ ليفه ورابأ، وليس في المريء ليف مورب لعدم الإحتياج إلى الماسكة هناك، ويوجد اللحم في الطبقة الخارجة عند قعر المعدة أكثر ليكون أسخن فيجود الهضم، وذلك أن قعرها بعيد عن القلب والكبد المسخنين بالمجاورة، فاحتيج إلى فضل تسخين، وقد وصل إلى فم المعدة شعبة من عصب الحس وانبسط فيه وبواسطته يدري ألم الجوع والحاجة إلى الغذاء، ولهذا لا يحس بألم الجوع إلا في فم المعدة، والشريان والأجوف قد أتيا من القلب والكبد إلى محدب المعدة ونسجت شعبها بعضها ببعض، وأصل الشرب وهو عضو مؤلف من طبقتين غشائيين يراكب إحداهما على الأخرى، وتخلل بينهما شحم كثير وشعب دقاق في العروق والشرايين، إذ هو يبتدىء من فم المعدة ويمر منتهاها إلى معاء قولون، وأنه كجراب لو أوعى شيئاً سيالاً لأمسكه وتنتسج طبقاته من الصفاق ومن شظايا العروق والشريان، ثم تترشّح إليها رطوبة لزجة دهنه هي الشحم وهو كبطانة للصفاق وظهارة للمعدة ومنفعته تقوية الأحشاء وتسخينها، وفوق الشرب غشاء قوي يسمى الصفاق يحفظ الأمعاء على أوضاعها، فوق الصفاق تكون عضلات البطن المسماة بالمراق، والصفاق والمراق يحفظان حرارة الأحشاء، وقد نبت أصل الصفاق من فوق الحجاب، ثم انبسط

وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد ، والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم ، وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولي عليه قوّة الكبد فتصبغه بلون الدم ، فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء ، إلا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ : إحداهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي ، والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ، ولو لم

---

إلى الأضلاع من داخل البطن ، ثم نزل إلى أسفل المثانة ، وهناك يوجد فيه منفذان ضيقان تنفذ فيها العروق والرباطات النازلة إلى الانثيين ، وقد ظن بعض الناس أن المعدة تغتذي من الكيلوس وهو خطأ لأن الكيلوس لا يصلح للغذاء دون أن يصير إلى الكبد وينهضم فيها ويستحيل إلى الدم ، وباقي الأخلاط ، ثم يمتاز الدم عنها كما فيكون غذاء للأعضاء وإليه أشار المصنف بقوله : **( فخلق الله بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهيأ إلى الكبد )** يشير إلى أن ذلك الكيلوس بعد ذلك ينجذب لطيفه بواسطة جاذبة الكبد دافعة المعدة والأمعاء من أواخر المعدة ، ومن الأمعاء فيندفع من طريق العروق المسماة باساريقا وهي عروق دقائق صلاب متصلة بالأمعاء كلها ، ويأخذ المعدة إلى العرق المسمى بباب الكبد وينفذ في الكبد في اجزاء وفروع للباب داخلة متصغرة متضائلة كالشعر ملاقية لفوهات اجزاء أصل العرق الطالع من هدية الكبد . **( والكبد جسم )** مركب من اللحم والعروق والشرايين والغشاء الذي يسترها ويحفظها على وضعها ، وليس لها في نفسها حس ، ولكن لغشائها حس كثير **( معجون من طينة الدم )** أي لونه ولحمه شبيه بالدم الجامد **( حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد )** ونباتها منه وشكله هلالي وموضعه الجانب الأيمن تحت الضلوع العالية من ضلوع الخلف ، وظهره ملاصق بتلك الضلوع في بعض الناس دون بعض ، وبطنه ملاصق بالمعدة أعلاه فيما بين حجاب الصدر ، وأسفله إلى الخاصرة مربوط بأربطة تتصل بالغشاء الذي عليه وله تقعير في الجانب الذي يلي المعدة وله قوة مصاصة بها يجذب الكيلوس من المعدة ، وآلته لهذا العمل العروق المسماة بالماساريقا وفيها القوة المصاصة كما في الكبد ، **( فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها )** أي يتفرق في ليف هذه العروق فيصير الكبد كأنها بكليتها ملاقية لكلية هذا الكيلوس ، **( حتى تستولي عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر )** وهذا هو الهضم الثاني ، **( ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فتتولد من هذا الدم فضلتان ، كما يتولد في جميع ما يطبخ إحداهما شبيهة بالدردي والعكر )** وهو ما يتبقى في أسفل الزيت **( وهو الخلط السوداوي )** والمراد بالخلط الكيموس وهو جسم رطب يستحيل إليه الغذاء أولاً ،

**تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقاً ممدوداً إلى الكبد داخلاً في تجويفه، فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي، فيبقى الدم صافياً ليس فيها إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية، ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعداً إلى**

---

**( والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء )** أي في كل انطباخ لمثل هذا الكيلوس يحصل شيء كالرغوة وشيء كالرسوب، وربما كان معهما إما شيء إلى الإحتراق إن أفرط الطبخ أو شيء كالقيح إن قصر الطبخ، فالرغوة هي الصفراء والرسوب هو السوداء وهما طبيعيان، والمحترق لطيفة صفراء محترقة وكثيفة سوداء ردية وهما غير طبيعيين، وأما الشيء المتصفي من هذه الجملة نضيجاً فهو الدم، ثم الصفراء إما طبيعية وهي رغوة الدم حمراء اللون ناصعته بحيث تضرب إلى صفرة كشعر الزعفران، فإذا تولدت في الكبد انقسمت قسمان: قسم يذهب مع الدم ليخالط الدم في تغذية الأعضاء التي يستحق أن يكون في غذائها جزء صالح من الصفراء مثل الرئة ويلطف الدم لينفذ في المسالك الضيقة، وقسم يتصفى إلى المرارة ليخلص البدن من الفضل ويغذي المرارة وأن ينصب منه قسط من المرارة إلى الأمعاء ليغسلها من الثفل والبلغم اللزج، وإلى عضل المقعدة ليحس بالحاجة إلى التبرز، وأما غير طبيعية إما لاختلاطها بالبلغم الغليظ وهي المخية، وإما لأحتراقها في نفسها وهي الرمادية، وهذان الصنفان يعرفان بالصفراء المحترقة، والثاني منها ينقسم إلى كراثي وزنجاري، ولكل منهما أحكام وهما إنما يتولدان في المعدة غالبان وقد ينصبان من العروق والكبد إلى المعدة نادراً. **( ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال، وجعل لكل واحد منهما عنقاً ممدوداً إلى الكبد داخلاً في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجلب الطحال العكر السوداوي، فيبقى الدم صافياً ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية، ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعداً إلى الأعضاء )**.

اعلم أن المرارة عضو عصباني ذو طبقة واحدة وهي كخريطة منسوجة من الأنواع الثلاث من الليف المستقيم والعريض والمورب معلقة من الكبد من ناحية المعدة وهي وعاء الصفراء وبالوعتها وهي موضوعة على الزائدة الكبيرة من زوائد الكبد، وله منفذان: أحدهما متصل إلى تعقير الكبد فيه يصير الصفراء إليها، والثاني متصل إلى الأمعاء الاثني عشر ينفذ فيه ما فضل من الصفراء، وينزل إلى الأمعاء المذكورة، ثم يصير إلى الأمعاء الأخر لدفع الثفل وتنظيف الأمعاء من الرطوبات الغليظة بواسطة الحدة. وأما الطحال؛ فهو عضو مستطيل الشكل كاللسان سخيف اللحم كمد اللون وهو وعاء السوداء وبالوعتها وموضعه في الجانب الأيسر من ضلوع الخلف والمعدة، ويلزم المعدة من جانب وضلوع الخلف من آخر وأكثره تحت المعدة وقد ربط بربط متصلة بالغشاء الذي عليه وجعل متخلخلاً ليستقر السوداء المنجذب إليه في تضاعيفه، وجعل فيه الشرايين الكثيرة وينبت عنه قناتان: إحداهما عن طرفه ويتصل بالكبد عند تقعيره، والثانية من داخله وتتصل بالمعدة، وبها

**الأعضاء. فخلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحد منها عنقاً طويلاً إلى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقها ليس داخلاً في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد، إذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق، فإذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافياً من الفضلات الثلاث نقياً من كل ما يفسد الغذاء، ثم إن الله تعالى أطلع من**

---

يندفع شيء من السوداء إلى المعدة لتنبيه شهوة الطعام، ثم أن الدم بعدما دام في الكبد يكون أرق مما ينبغي لفضل المائية المحتاج إليها لترقيق الكيلوس وتنفيذه في المسالك الضيقة، وتنفصل عنها كما تنفصل عن الكبد فينجذب عنه في عرق نازل إلى الكليتين، وإليه أشار المصنف بقوله:

**( فخلق الله سبحانه الكليتين، وأخرج من كل واحدة )** منها **( عنقاً طويلاً إلى الكبد )** وكل منها مركب من لحم مكتنز صلب قليل الحمرة وعروق وشراينات وهما موضوعتان عن جنبتي خرز الصلب بالقرب من الكبد اليمنى وشكلها كنصف دائرة ومحدبها إلى طرق خرز الظهر ليتمكن الإنسان من الانحناء بسهولة، وجوهرهما مندمج صلب لئلا ينفذ فيهما إلا الماء الرقيق ومزاجها يميل إلى البرودة والرطوبة بسبب الأوردة والشراينات فيهما، وتنكسر بذلك حدة الصفراء النازلة إليهما مع الماء، فلا تحرق المثانة إذا نزلت إليها ولا حس لهما لئلا يحسا بحدة الصفراء الممزوجة بالماء النازل إليهما فيحفظ الماء ريثما ينطبخ فينهضم قدر من الدم المخالط لذلك أيضاً بحيث يصلح لأن يكون غذاء لهما. **( ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقها ليس داخلاً في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد )** وهو عرق عظيم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، **( حتى يجذب مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة )** الشعرية **( التي في الكبد، إذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق )** فيغذي الكليتين الدسومة والدموية من تلك المائية، ويندفع باقيها إلى المثانة والإحليل، **( فإذا انفصلت من المائية )** الفضلية عن الدم عند خروجه من الكبد، **( فقد صار الدم صافياً من الفضلات الثلاث نقياً من كل ما يفسد الغذاء )** وصارت المائية إلى هذين المنفذين فتجذبها الكليتان، فيكون الغذاء الواصل إلى الأعضاء بلا مائية فضلية، والثاني من كل منها يمر متسفلاً حتى يصل بالمثانة ويسميان الحالبين، وهما مجرى البول، وإنما جعل الكليتين اثنتين لأن أكثر أعضاء البدن زوج، والدماغ ينقسم بقسمين. وكذا الأعصاب والعضلات والعروق والشرايين، فكأن البدن بدنان وإن كان في الحقيقة واحداً فجعل الكليتين اثنتين ليعمل كل منها عمله من جانب، ولما كان القلب أشرف الأعضاء، وكذا الرئة لأنها خادمة للقلب وجب أن يكون غذاؤهما أصفى وانضج من غذاء جميع الأعضاء، فلهذا قدر الخالق تعالى شأنه أن العرق الذي يوصل غذاء هذين العضوين إليهما نزل من الكبد إلى الكليتين ونفذ فيهما ثم خرج منهما ورجع إلى فوق لتجذب الكليتان بقوتها المصاصة المائية المصاحبة للدم الذي فيهما لغذائية هذين العضوين الشريفين، ولينضج الدم المذكور في هذه المسافة

الكبد عروقاً ، ثم قسمها بعد الطلوع أقساماً ، وشعب كل قسم بشعب ، وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهراً وباطناً ، فيجري الدم الصافي فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الأوراق والأشجار بحيث لا تدرك بالأبصار ، فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء ، ولو حلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة ، وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداويّ حدثت الأمراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها ، وإن لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه

---

الطويلة ويتصل غذاؤهما إليهما صافياً نضيجاً . ( **ثم ان الله تعالى أطلع من الكبد عروقاً ثم قسمها بعد الطلوع أقساماً وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهراً وباطناً فيجري الدم الصافي فيها** ) بعد اندفاعه في العرق العظيم الطالع من حدبة الكبد المسمى بالأجوف ، فيسلك في الأوردة المتشعبة منه ، ثم في جداول الأوردة ، ثم في سواقي الجداول ، ثم في رواضع السواقي ثم في العروق الشعرية الكثيفة فينهضم بالهضم الثالث ، ( **ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية** ) أي كهيئة الشعر في الدقة ، ( **كعروق الأوراق** ) الظاهرة فيها ( **والأشجار** ) المستبطنة في الأرض ( **بحيث لا تدرك بالأبصار** ) لدقتها وخفائها ، ( **فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء** ) فيحصل لنصيب كل عضو عنده هضم رابع ، ( **ولو حل بالمرارة آفة فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية** ) وذلك بأن يتفق قصور في جذبها الصفراء من الكبد بدم الكبد فترتفع الصفراء في الكبد ، فحدثت الحميات الحادة وإن اتفق دفعها إلى أعضاء البول قبل الوقت اللائق بذلك حدثت قرحة المثانة وحرقتها ، وإن تفرقت في جميع البدن حدثت أمراض ( **كاليرقان** ) وهو محركة تغير فاحش في اللون إلى صفرة أو سواد أو هما معا بجريان الخلط إلى الجلد ، ( **والبثور** ) وهي من جنس الأورام وهي أنواع ومنها صفراوية كالنملة ( **والحمرة** ) والنار الفارسية ، وان نزلت إلى الأمعاء تولد السجح والإسهال الصفراوي ، ( **وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي** ) الحامض العفص لضعفه ( **حدثت الأمراض السوداوية** ) في البدن ، ( **كالبهق** ) الأسود ( **والجذام والماليخوليا وغيرها** ) كالقوبا والدوالي وداء الفيل ، وإن قصر في الجذب فلم يستوف ما ينبغي جذبه تولد ورم الكبد وسقوط شهوة الطعام ، وإن اندفع إلى المعدة أكثر مما ينبغي تولد الشهوة الكلبية ، وإن كان فيما ينجذب إلى المعدة حموضة من غير عفوصة تولد الغثيان ، فإن كان كثيراً تولد القيء وإن نزل ذلك أي الحامض من المعدة إلى الامعاء تولد السجح السوداوي المهلك ، ( **وإن لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره** ) من الأمراض إذ الماء لا يصلح للغذائية بل هو مركب الغذاء ، أعني الدم ، فإذا انفصل عن الدم زالت الحاجة إليه ، وكل شيء زالت الحاجة إليه إذا بقي في البدن يتولد منه مرض.

الاستسقاء وغيره. ثم انظر إلى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الخسيسة: أما المرارة فإنها تجذب بأحد عنقيها وتقذف بالعنق الآخر إلى الأمعاء ليحصل له في نقل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الأمعاء لذع يحركها للدفع، فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق وتكون صفرته لذلك. وأما الطحال فإنه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض، ثم يرسل منها في كل يوم شيئاً إلى فم المعدة فيحرّك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل، وأما الكلية فإنها تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي إلى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل. ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ

---

( **ثم انظر إلى حكمة الفاطر الحكيم** ) جل شأنه ( **كيف رتب منافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة** ) وهي الصفراوية والسوداوية والبلغمية، ( **فأما المرارة** ) التي هي وعاء الصفرة ( **فإنها تجذب بأحد عنقيها وتقذف بعنق آخر إلى الأمعاء** ). قد تقدم أن المرارة عضو عصباني ذو طبقة واحدة وله منفذان: أحدهما هو الجاذب للصفراء، والثاني ينفذ فيه الصفراء ثم يصير إلى الأمعاء الاثني عشر ثم إلى الامعاء الاخر، ( **فيحصل له في نقل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الأمعاء لذع يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق** ) وتنظف الأمعاء من الرطوبات الغليظة بواسطة الحدة، ( **وتكون صفرته لذلك** )، وقد سمى المصنف هذين المنفذين عنقين وهما عند الأطباء منفذان. قالوا: وفي بعض الناس يوجد منفذ آخر صغير منها إلى قعر المعدة ينفذ فيه بعض من الصفراء فيدخل المعدة، وقد يكون هذا المنفذ في بعض النـاس كبيراً حتى يكون أكبر من المنفذ المتصل بالمعي المذكور، فبهذا السبب ينصب في المعدة صفراء كثير وصاحبه يكون دائماً مبتلى بمرارة الفم وسوء الهضم وفساد الغذاء في المعدة والدوّار ويبوسة الطبع والغثيان. ( **وأما الطحال فإنه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض، ثم يرسل منها كل يوم شيئاً إلى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضة وينبهها ويثيرها** ) أي يحركها، ( **ويخرج الباقي مع الثفل. وأما الكلية فإنها تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي إلى المثانة** ) من الحالبين ويسميها الاطباء البرنجين، ثم في الغذاء جوهر صالح لأن يتشبه بالمغتذي، وجوهر غير صالح له وهو الفضلة ففي كل هضم يحصل فضلة ففضلة الهضم الأول تندفع إلى طريق الامعاء وهي البخر، وفضـلة الهضم الثاني يندفع أكثرها بالبول وباقيها من الطحال والمرارة، وفضلة الهضمين الآخرين يندفع بالتحلل الذي لا يحس بالعرق والوسخ الخارج من منافذ طبيعية محسوسة كالأنف والأذن وغير محسوسة كالمسام أو خارجة عن الطبع كما في الأورام المنفجرة والبثرات والجدري، وبما ينبت من زوائد البدن كالشعر والظفر.

( **ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل، ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء**

**واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسة إلى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء، ثم كيفية تركب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام، وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواه، بل في الآدمي آلاف من**

---

**الرئيسة إلى صاحبه، وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء، ثم كيفية تركب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام، وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواه)**، ومجمل القول في العروق أن الكبد مقعر الباطن محدب الظاهر، ويطلع من محدبه عرق عظيم يسمى الأجوف لسعة تجويفه بالنسبة إلى تجاويف ماساريقا، وذلك يسهل نفوذ الدم فيه، وأصل التشعب شعب كثيرة دقيقة جداً كالشعر مستقر، فإذا طلع ليس يمر كبير شيء حتى ينقسم قسمين:

**الأول:** وهو الأعظم يأخذ نحو أعالي البدن ليسقي الأعضاء العالية فيمر حتى يلاصق الحجاب، وينقسم منه هناك عرقان يتفرقان، ثم ينفذ الحجاب فإذا نفذه انقسمت منه عروق دقيقة واتصلت بالغشاء الذي يقسم الصدر بقسمين، وبغلاف القلب وبالقوّة المسماة بالغوثة وتفرقت فيها، ثم يتشعب فيها شعبة عظيمة تتصل بالأذن اليمنى من أذن القلب، وتنقسم هذه الشعبة ثلاثة أقسام، وإذا جاوز بالقلب مرّ على استقامته إلى أن يجاوز الترقوتين، وينقسم حينئذ في مسلكه هذا شعب صغار في كل واحد من الجانبين يسقي ما يحاذيها، ويخرج منها شعب إلى خارج فيسقي العضل، وعند محاذاته للإبط يخرج منه إلى خارج شعبة عظيمة يأتي اليد من ناحية الإبط وهو المسمى بالباسليق، فإذا حاذى بالترقوتين الوسط منهما موضع اللبة انقسم قسمين: قسم آخذ إلى ناحية اليمين، وقسم آخذ إلى ناحية اليسار، وانقسم كل منهما إلى قسمين: أحدهما ركب الكتف وجاء إلى اليد من الجانب الوحشي وهو العرق المسمى بالقيفال، والثاني: انقسم إلى قسمين في كل جانب وهما الوداج الغائر والوداج الظاهر، ولا يتم ذبح الحيوان إلا بقطع هذين، ويتشعب من العرق الكتفي في مروره بالعضد شعب صغار ويسقي ظاهر العضد ومن الإبطي شعب صغار يسقي باطنه، فإذا قاربا مفصل المرفق انقسما فيكون منهما العرق المسمى بالأكحل، ومن الابطي العرق الذي بين البنصر والخنصر المسمى بالأسيلم.

والقسم **الثاني:** من الأجوف يأخذ نحو أسافل البدن فيركب خرز الظهر آخذاً إلى الأسفل ويتشعب منه شعب يأتي لفائف الكل وأغشيتها، ثم شعبتان يصيران إلى الانثيين، فإذا بلغ آخر الخرز انقسم قسمين: أحدهما آخذ نحو الرجل اليمنى، والثاني نحو اليسرى حتى إذا بلغا منشأ الركبة انقسم ثلاثة أقسام منها المابض والصافن وعرق النسا، ويتشعب من كل منها شعب كثيرة،

العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته، ولا شيء منها إلا وفيه حكمة اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة، وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرّك أو تحرك عرق ساكن، لهلكت يا مسكين، فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أولاً لتقوى بعدها على الشكر. فإنك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها، ثم لا تعرف منها إلا أنك تجوع فتأكل، والحمار أيضاً يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستنهض

---

فهذا معرفة العروق السواكن المسماة بالأوردة. وأما الضوارب المسماة بالشرايين، فمنبتها التجويف الأيسر من القلب، ويخرج من هذا التجويف شريانان: أحدهما صغير غير متضاعف يسمى الشريان الوريدي، والثاني كبير جداً ويسمى الأبهر، وفي الأوردة عرق مضاعف يسمى الوريد الشرياني وهو شعبة من الأجوف متصلة بالأذن اليمنى من أذني القلب كما تقدم ذكرها. وهي أعظم عروق القلب لأن سائر عروقه يوصل إليه نسيم الهواء، وهذا يوصل إليه الغذاء، والأبهر عند طلوعه يتشعب منه شعبتان: إحداهما تأخذ نحو أعالي البدن ويتشعب منها شعب صغار في العضد، والثانية تصعد إلى ظاهر الوجه والرأس، وتتفرق فيما هنالك من الأعضاء الظاهرة، وقد يظهر بعض هذا القسم خلف الأذن من الصدغ. وأما الأعضاء فهي أجسام كثيفة متكوّنة من الرطوبات المحمودة وهي إما مفردة أو مركبة، فالمفردة هي التي أي جزء محسوس أخذت منها كان مشاركاً للكل في الطبع والمزاج، ولذلك يسمى متشابه الأعضاء وهي العظم ثم الغضروف، ثم الوتر، ثم العصب، ثم الوتر، ثم الرباط، ثم الأوردة وهي العروق السواكن ثم الأغشية، ثم اللحم ثم الشحم ثم المخ ثم الجلد ثم الشعر. والمركبة هي التي تكون فيها أجزاء محسوسة متخالفة بالطبع والمزاج، وتركبها إما أن يكون أوّلياً كالعضل لأنه مركب من الأعضاء المفردة التي هي العصب والرباط واللحم والغشاء، أو ثانياً كالعين لأنها مركبة من الأعضاء المركبة التي هي الطبقات، أو ثالثاً كالوجه لأنه مركب من الأنف والخد وغيرهما، وكل واحد منها مركب ثانياً أو رابعاً كالرأس فإنه مركب من الدماغ والوجه والأذن، ومن الأعضاء المركبة الأعضاء الرئيسة وهي القلب والدماغ والكبد والانثيان. وأما العظام فجملتها مائتان وثمانية وأربعون سوى السمسمانيات وسوى العظم الشبيه باللام، وسوى العظم الذي في القلب فإنها عند بعض الناس من جنس الغضروف، ( **بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظة وكثرة الانقسام وقلته** ) على ما هو مودع في كتب التشريح، ( **ولا شيء منها إلا وفيه حكمة** ) واحدة ( **أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشرة وزيادة** ) على ذلك، ( **وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين، فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أوّلاً لتقوى بعدها على الشكر** ) عليها، ( **فإنك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها** ) أي أقلها مقداراً، ( **ثم لا تعرف منها إلا أنك تجوع فتأكل، والحمار يعلم أيضاً أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح فينهض ويرمح،**

فينهض ويرمح، فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك؟ وهذا الذي رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط، فقس على الإجمال ما أهملناه من جملة ما عرفناه حذراً من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر، إلا أن من علم شيئاً من هذا أدرك شمة من معاني قوله تعالى: ﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١١١] ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وإدراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب، ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوّة حس وإدراك

---

**فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك؟ وهذا الذي رمزنا إليه بالإيجاز )** أي الاختصار **( قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط. فقس على الإجمال ما أهملناه )** أي تركنا ذكره **( من جملة ما عرفناه حذراً من التطويل )** الذي يمل الخواطر، **( وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة في بحر إلا أن من علم شيئاً من هذا )** بقوة عرفانه **( أدرك شمة من معاني قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وإدراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب، ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب، فلا ينتهي إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حس وإدراك وقوّة حركة أو غيرها )**.

اعلم أن الروح عند الأطباء جسم لطيف بخاري يتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الأيسر منه، وفائدة وجوده في البدن أن يكون حاملاً للقوى حتى ينتقل ويجري في البدن بتوسطه، لأن القوى لكونها من الأعراض لا تنتقل بدون المحال، ولذلك صار أصنافها كاصنافها، فإن الروح إذا تولد في القلب يسمى روحاً حيوانياً لكونه عاملاً للقوّة الحيوانية، فينفذ في الشرايين إلى الأعضاء فيفيدها الحياة، وجزء صالح من هذا الروح يصعد إلى الدماغ فيغيره إلى مزاج أحدّ يصير به روحاً نفسانياً أي روحاً صالحاً، لأن يكون مركباً للقوى النفسانية، فتصدر أفعالها عنه. وجزء ليس بكثير في المقدار من هذا الروح أي الحيواني يصير إلى جانب الكبد فيغيره تغيراً يصير به روحاً طبيعياً. أي روحاً يستعد لقبول القوى الطبيعية فتصدر أفعال منه. وأما القوى فهي هيئات في الجسم الحيواني بها يمكن أن يفعل أفعاله بالذات وهي ثلاثة أجناس: أحدها: القوى الطبيعية، والثانية: القوى النفسانية، والثالثة: القوى الحيوانية. ومن القوى الطبيعية ما هي متصرفة لأجل الشخص وهي الغاذية والنامية، ومنها ما هي متصرفة لأجل النوع وهي قوّتان المولدة والمصوّرة

وقوّة حركة وغيرها، كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه، ولكنه جعل السراج سبباً له بحكمته، وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الأطباء الروح، ومحله القلب، ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة، والدم الأسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة، والغذاء له كالزيت، والحياة الظاهرة في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ، فسراج الروح أيضاً ينطفىء مهما انقطع غذاؤه، وكما أن الفتيلة قد تحترق فتصير رماداً بحيث لا تقبل الزيت فينطفىء السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفىء مع جود الغذاء، فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً تتشبث النار به، وكما أن السراج تارة ينطفىء بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفىء بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل، وكما أن انطفاء السراج بفناء الزيت أو بفساد الفتيلة أو بريح عاصف أو باطفاء إنسان لا يكون إلا

---

والغاذية تخدمها قوى أربع: الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة. وأما القوى النفسانية فمنها محركة وهي الشوقية والغضبية والفاعلة والمدركة. وأما القوّة الحيوانية فهي مبدأ لحركة القلب والشرايين ولحركة الجوهر الروحي اللطيف إلى الأعضاء فهي (**كالسراج الذي يدار في أطراف البيت، فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه، ولكنه جعل السراج سبباً له بحكمته، وهذا البخار اللطيف هو الذي يسميه الأطباء الروح ومحله القلب**)، ثم يجول في البدن بتوسطه وهذا هو المسمى بالروح الحيواني عندهم كما تقدم. (**ومثاله: جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة**) وهو موضع السراج، (**والدم الأسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة، والغذاء له كالزيت، والحياة الظاهرة له في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت، وكما أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ**) وذهب نوره (**فسراج الروح أيضاً ينطفىء مهما انقطع غذاؤه، وكما أن الفتيلة قد تحترق فتصير رماداً بحيث لا تقبل الزيت فينطفىء السراج مع كثرة الزيت، فكذلك الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفىء مع وجود الغذاء، فإنه لا يقبل الغذاء الذي تبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً يتشبث النار به، وكما أن السراج تارة ينطفىء بسبب من داخل كما ذكرناه، وتارة**) ينطفىء (**بسبب من خارج كريح عاصف**) أو اطفاء إنسان، (**فكذلك الروح تارة تنطفىء بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما أن انطفاء السراج بفناء الزيت أو**

بأسباب مقدّرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر، فكذلك انطفاء الروح، وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب، فكذلك انطفاء الروح، وكما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنواره التي كان يستفيدها من الروح وهي أنوار الإحساسات والقدر والإرادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة، فهذا أيضاً رمز وجيز إلى عالم آخر من عوامل نعم الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته ليعلم أنه ﴿لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [ الكهف: ١٠٩ ] عز وجل: فتعساً لمن كفر بالله تعساً، وسحقاً لمن كفر نعمته سحقاً.

فإن قلت: فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ سئل عن الروح فلم يزد عن أن قال: «قل الروح من أمر ربي» فلم يصفه لهم على هذا الوجه. فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح، فإن الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطوّل بذكرها ونحن

---

**بفساد الفتيلة أو بريح عاصف أو بإطفاء إنسان لا يكون إلا بأسباب مقدرة مرتبة في علم الله تعالى ويكون كل ذلك بقدر، فكذلك انطفاء الروح، وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب، فكذلك انطفاء الروح، وكما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله، فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقت أنواره التي كان يستفيدها من الروح وهي أنوار الإحساسات)** الظاهرة والباطنة **(والقدر)** وهي القوى **(والإرادات وسائر ما يجمعه معنى لفظ الحياة، فهذا أيضاً رمز وجيز إلى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه و)** بدائع **(حكمته، ليعلم أنه ﴿لو كان البحر)** مع سعته **(مداداً)** والشجر أقلاماً والبحر يمدها **(لكلمات ربه)** أي لاحصائها **(لنفد البحر)** أي فرغ وفني **(قبل أن تنفد كلماته﴾)** وفي بعض النسخ: ﴿قبل أن تنفد كلمات ربّي﴾ الآية. **(فتعساً لمن كفر بالله تعساً، وسحقا لمن كفر نعمته سحقاً)** يقال: تعس تعساً من حد نفع أكب على وجهه وعثر، وقيل: هلك، وقيل لزمه الشر وهو تاعس وتعس من حد تعب لغة فيه فهو تعيس ويقرأ هذا بالحركة وبالهمزة، فيقال تعسه الله وأتعسه، والسحق: بالضم البعد يقال في الدعاء سحقاً له وبعداً.

**(فإن قلت: فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ سئل عن الروح)** وكان السائل له عنه طائفة من اليهود **(فلم يزد أن قال «قل الروح من أمر ربي» فلم يصفه لهم على هذا الوجه)** وهو متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح عجائب القلب. **(فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح، فإن الروح تطلق لمعان كثيرة لا نطيل**

إنما وصفنا من جملتها جسماً لطيفاً تسميه الأطباء روحاً، وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الأعضاء وكيفية حصول الإحساس والقوى في الأعضاء به، حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدّة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الأعصاب ومواقع السدّة فيها ويعالجونها بما يفتح السدّة، فإن هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتأدى من القلب إلى سائر الأعضاء وما يرتقي إليه معرفة الأطباء فأمره سهل نازل. وأما الروح التي هي الأصل وهي التي إذا أفسدت فسد لها سائر البدن، فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه، ولا رخصة في وصفه، إلا بأن يقال: هو أمر رباني كما قال تعالى: ﴿قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [ الاسراء: ٨٥ ] والأمور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول أكثر الخلق، وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات، وتتزلزل في ذكر مبادىء وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها، فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوّة والولاية، نسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم

---

**بذكرها )** وقد ذكرنا شيئاً منها في شرح عجائب القلب، **( ونحن إنما وصفنا من جملتها جسماً لطيفاً )** بخارياً يتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الأيسر منه **( تسميه الأطباء روحاً، وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الأعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الأعضاء به )** وقسموه إلى حيواني ونفساني وطبيعي: **( حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر، بل )** ينظرون **( منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة )** فيزول الخدر، **( فإن هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتأدى من القلب إلى سائر الأعضاء )** على الوجه الذي تقدم ذكره، **( وما ترتقي إليه معرفة الأطباء فأمره سهل نازل )** الدرجة **( وأما الروح التي هي الأصل وهي التي إذا فسدت فسد لها سائر البدن، فذلك سر من أسرار الله تعالى )** المكتومة التي لا يطلع عليها إلا هو **( لم نصفه ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال: هو أمر رباني كما قال تعالى ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ والأمور الربانية لا تحتمل العقول وصفها )** ولا تمثيلها، **( بل تتحير فيها عقول أكثر الخلق، وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات )** فإنه من ادراكات السمع والبصر قاصر عنه، **( وتتزلزل في ذكر مبادىء وصفها معاقد العقول المفيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها، فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك في عالم النبوّة والولاية )** بهتنكشف حقائقه، **( ونسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم**

والخيال، وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً ، فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لأن ذلك طور لـم يبلغه بعد ، فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها ؛ لأن ذلك طور لم يبلغه بعد ، وإنه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية ، فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين، وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد ، بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد ، ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب ، وعلى أوّل الميدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني ، فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل الميدان، فكيف بالانتهاء إلى ما وراءه من المشاهدات العالية ، ولذلك قيل : من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه. وأنى يصادف هذا في خزانة الأطباء ؟ ومن أين للطبيب أن يلاحظه ؟ بل المعنى المسمى روحاً عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالإضافة إلى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يحرّكها صولجان الملك فظن أنه رأى الملك ، ولا يشك في أنّ خطأه فاحش وهذا الخطأ أفحش منه جداً ، ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها

---

**والخيال، وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً )** مختلفة ، **( فلا يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات، لأن ذلك طور لم يبلغه بعد ، فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لأن ذلك طور لم يبلغه ، وأنه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فبها يلحظ جناب الحق )** تعالى **( بنور الإيمان واليقين )** ، ثم يختلف ادراك ذلك بحسب قوّة الإيمان وضعفها ، **( وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد )** وفي نسخة إلا واحداً بعد واحد ، **( ولجناب الحق )** تعالى **( صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان وحب )** أي واسع ، **( وعلى أوّل الميدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني، فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل إلى الميدان )** وأن يكون من رجاله ، **( فكيف بالانتهاء إلى ما وراءه من المشاهدات العالية، ولذلك قيل: من لم يعرف نفسه )** معرفة كلية **( لم يعرف ربه )** وهو المفهوم من قولهم: من عرف نفسه عرف ربه **( وأنّى يصادف هذا في خزانة الأطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه؟ بل بالمعنى الذي يسمى روحاً عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة )** في الميدان **( التي يحركها صولجان الملك بالإضافة إلى الملك فمن عرف الروح الطبيبي وظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يحركها صولجان الملك فظن أنه رأى الملك ولا يشك في أنه خطأ فاحش وهذا الخطأ أفحش منه جداً ، ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولاً قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله**

تدرك مصالح الدنيا عقولاً قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله ﷺ أن يتحدث عنه، بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم، ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئاً لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته، أما نسبته ففي قوله تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وأما فعله فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجَعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فادْخُلِي في عِبَادي وادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧، ٣٠] ولنرجع الآن إلى الغرض، فإن المقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل، فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الأكل.

## الطرف الرابع: في نعم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأطعمة وتصير صالحة لأن يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته:

اعلم أن الأطعمة كثيرة، ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية لا تتناهى، وذكر ذلك في كل طعام مما يطول، فإن الأطعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية، فلنأخذ الأغذية فإنها الأصل، ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الأغذية فنقول: إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعاً، فما أحوجك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك! فخلق الله تعالى في

---

تعالى لرسوله ﷺ **أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم)** كما ورد ذلك في الخبر **(ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئاً لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته. أما نسبته ففي قوله تعالى:)** ﴿قل الروح **(من أمر ربي﴾ وأما فعله فقد ذكره في قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ ولنرجع الآن إلى الغرض فإن المقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل، فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الأكل)** وبالله التوفيق.

**الطرف الرابع: في بيان نعم الله تعالى في الأصول التي منها تحصل الأطعمة وتصير صالحة لأن يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته ومعالجته:**

**(اعلم)** وفقك الله تعالى **(أن الأطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية)** أي متتابعة **(لا تتناهى، وذكر ذلك في كل طعام مما يطول)** بيانه، **(فإن الأطعمة)** لا تخلو **(إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية، فلنأخذ الأغذية فإنها الأصل)** في قوام الأبدان، **(ولنأخذ من جملتها حبة من البر)** وهوأشرف الحبوب **(ولندع سائر الأغذية فنقول: إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعاً، فما أحوجك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك: فخلق الله**

حبة الحنطة من القوى ما يغتذي به كما خلق فيك، فإن النبات إنما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لأنه يغتذي بالماء ويجتذب إلى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي أنت وتجتذب، ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه، ولكن نشير إلى غذائه فنقول: كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص، فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص، بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا هواء، ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها، ولو تركتها في الماء لم تزد، ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد، بل لا بدّ من أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالأرض فيصير طيناً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إلى طَعَامِهِ★ أنَّا صَبَبْنَا الماءَ صَبًّا★ ثُمَّ شَقَقنَا الأرْضَ شَقًّا★ فأنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا★ وَعِنَباً وَقَضْباً★ وَزَيْتُوناً﴾ [عبس: ٢٤، ٢٩] ثم لا يكفي الماء والتراب، إذ لو تركت في أرض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء، فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء إليها، ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وإنما القاحها في إيقاع الازدواج بين

---

**تعالى في حب الحنطة من القوى ما تغتذي كما خلق فيك)** من تلك القوى، **(فإن النبات إنما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لأنه يغتذي بالماء ويجتذب إلى باطنه بواسطة العروق)** المستنبطة في الأرض، **(كما تغتذي وتجتذب، ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه، ولكن نشير إلى غذائه فنقول: كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص، فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص بدليل لو أنك تركتها في البيت لم تزد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد)** أيضاً، **(بل لا بد من أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالأرض فيصير طيناً)** رخواً، **(وإليه الإشارة بقوله تعالى)** في جملة تعدد النعم: **(﴿أنّا صببنا الماء صباً﴾)** أي من السحاب **(﴿ثم شققنا الأرض شقاً﴾)** ونسبة الشق إليه مجاز **(﴿فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضبا★ وزيتوناً)** ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأبا﴾ **(ثم لا يكفي الماء والتراب إذ لو تركت في أرض ندية)** بالماء لكنها **(صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة، متخلخلة يتخلخل الهواء إليها ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾)** أي ذات لقاح وقد ألقحت الريح السحاب، **(وإنما القاحها في إيقاع**

الهواء والماء والأرض، ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات، فتحتاج إلى حرارة الربيع والصيف؛ فقد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة، فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد، إذ يحتاج الماء لينساق إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي، فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون وأجرى منها الأنهار، ثم الأرض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع إليها، فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه إلى أقطار الأرض وهي سحب ثقال حوامل بالماء، ثم انظر كيف يرسله مدراراً على الأراضي في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة، وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجاً، فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي، ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن احصاؤها، وأما الحرارة فإنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان، فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الأرض مسخنة للأرض في وقت دون وقت، ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد، والحر عند الحاجة إلى الحر! فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى، ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في الفواكه انعقاد وصلابة، فتفتقر إلى رطوبة تنضجها، فانظر كيف خلق القمر وجعل من

---

**الأزدواج بين الهـواء والماء والأرض، ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط أو شتاء شات فتحتاج إلى حرارة الربيع والصيف، فقد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد إذ يحتاج الماء لينساق إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي، فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون وأجرى منها الأنهار، ثم الأرض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع إليها )** لغور العيون والأنهار في الأرض، **( فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه إلى أقطار العالم وهي سحب ثقال حوامل بالماء، ثم انظر كيف يرسله مدراراً على الأراضي في وقت الربيع والخريف حسب الحاجة )** إليه، **( وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجاً فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي، ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن احصاؤها، وأما الحرارة فإنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان )** طبعاً **( فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الأرض )** إذ هي في الفلك الرابع **( مسخنة للأرض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد، و )** يحصل **( الحر عند الحاجة إلى الحر، فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى، ثم النبات، إذا ارتفع عن الأرض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر إلى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل**

خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين، **فهو ينضج الفواكه ويصبغها** بتقدير الفاطر الحكيم! ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة، حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد إذا ظلتها شجرة كبيرة، وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضاً، ولا نطوّل فيما لا مطمع في استقصائه، بل نقول: كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب، فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوّة البشر بإحصائها، ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثاً وباطلاً ولم يصح قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ [آل عمران: ١٩١] وقوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨] وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة، والعالم كله كشخص واحد، وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك، وشرح ذلك يطول، ولا ينبغي أن تظن أنّ الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر

---

**من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها )** أي يلونها ألواناً مختلفة **( بتقدير الفاطر الحكيم )** جل جلاله فالشمس طباخ والقمر صباغ، **( ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة )** لا ينتفع بها، **( حتى أن الشجرة الصغيرة تفسد إذا أظلتها شجرة كبيرة )** حتى أن بعض أغصانها البارزة إلى السماء أحسن وأنور من التي تحت الظلال **( وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف له رأسك بالليل )** عند نومك، **( فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام )** وهو عندهم عبارة عن تحلب فضول رطبة من بطني الدماغ المقدمين إلى المنخرين **( فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضاً ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه، بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوّة البشر بإحصائها، ولم لم يكن كذلك لكان خلقها عبثاً وباطلاً ولم يصح قوله تعالى: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾و )** كذا **( قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة )** خاصة، **( فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة )** وحكمة **( والعالم كله )** إذا تصورته **( كشخص واحد وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك، وشرح ذلك يطول ولا ينبغي أن تظن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله )**

مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسباباً لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي من تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم أمران:

**أحدهما**: أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها: وهذا كفر.

**والثاني**: تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل، فإن علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ، فاعتقاد كون الكواكب أسباباً لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحاً في الدين بل هو حق، ولكن دعوى العلم

---

منقادات به (**في أمور جعلت أسباباً لها بحكم الحكمة**) الإلهية (**مخالف للشرع، كما ورد من النهي عن تصديق المنجمين**). روى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان. قال: «فلا تأتوا الكهان» الحديث. قال ابن الأثير في النهاية: إن منهم من كان يسمي الطبيب والمنجم كاهناً. قلت: وبهذا يتم الإستدلال بالحديث.

(**وعن علم النجوم**) روى أحمد وأبو داود وابن ماجه بسند صحيح والبيهقي من حديث ابن عباس: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر» زاد ما زاد، وللطبراني من حديث ابن مسعود وثوبان «إذا ذكر النجوم فامسكوا» وإسنادهما ضعيف وقد تقدم قريباً في كتاب العلم، (**بل المنهي عنه في النجوم أمران**).

(**أحدهما: أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر**) والعياذ بالله منه.

(**والثاني: تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل، فإن علم أحكام النجوم كانت معجزة لبعض الأنبياء**) قيل: هو إدريس، وقيل هو دانيال (**عليهم السلام، ثم اندرس ذلك العلم**) وانمحى بانقطاع نبوته، وقد ورد مثل ذلك في الخط. روى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء بالإسلام إلى أن قال ومنا رجال يخطون فقال: «كان نبي من أنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك».

(**فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ، فاعتقاد كون الكواكب أسباباً لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الأرض وفي النبات والحيوان ليس بقادح في الدين بل**

بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين، ولذلك إذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك: أخرج الثوب وابسطه فإن الشمس قد طلعت وحمي النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الإنكار عليه بحوالته حمى الهواء على طلوع الشمس، وإذا سألت عن تغيير وجه الإنسان فقال: قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك، وقس بهذا سائر الآثار، إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول. فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه، والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس، وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر، فإذاً الكواكب ما خلقت عبثاً، بل فيها حكم كثيرة لا تحصى، ولهذا نظر رسول الله ﷺ إلى السماء وقرأ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ثم قال ﷺ: «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته» ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل، ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضاً، فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو

---

**هو الحق)** عند أهل الحق، **(ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين)** إذ قد سد بابه بموت ذلك النبي الذي كان ذلك علماً على نبوته، **(وكذلك إذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فإن الشمس قد طلعت وحمي النهار والهواء، لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الإنكار عليه بحوالته حمو الهواء على طلوع الشمس، وإذا سألت عن تغير وجه الإنسان)** أي عن انقلاب لونه **(فقال قرعتني الشمس)** أي ضربتني بحرّها وأنا سالك **(في الطريق)** فأثرت **(فاسود وجهي)** وفيه يقول الشاعر:

جاء الحبيب الذي أهوى من السفر والشمس قد أثرت في وجهه أثراً

**(لم يلزمك تكذيبه. وقس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول، فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه ولا القول بحدس وتخمين، والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس، وبعضه)** معلوم **(لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر)** عند تعرية الرأس، **(فإن الكواكب ما خلقت عبثاً بل فيها حكم كثيرة لا تحصى، ولهذا نظر رسول الله ﷺ إلى السماء وقرأ قوله تعالى: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ الآية ثم قال: «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته»)** محركة وهو ما أسبل من اللحية، **(ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل)** فيها **(ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضاً، فمن قنع بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته)** قال العراقي: رواه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ: «ولم يتفكر فيها» وفيه أبو خباب يحيى بن أبي حية ضعيف اهـ.

الذي مسح بها سبلته، فلله تعالى في ملكوت السموات، والآفاق والأنفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى؛ فإن من أحب عالماً فلا يزال مشغولاً بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حباً له، فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى، فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده، فإن تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف، بل من الذي سخّر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه، كما إذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فإنها خرق محرّكة لا متحرّكة، ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار، فإذاً المقصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب، ولا يتم ذلك إلا بالأفلاك التي هي مركوزة فيها، ولا تتم الأفلاك إلا

---

قلت: ورواه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي الدنيا في التفكر، وابن حبان في صحيحه، وابن عساكر من رواية عطاء قال: قلت لعائشة أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ الحديث بطوله، وقد تقدم ذكره قريباً في بيان فضيلة الشكر وفي آخره: «ولم لا أفعل وقد أنزل الله علي هذه الليلة: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الآية ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها». وقد أشار العراقي هناك أنه أخرجه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ، ومن طريقه ابن الجوزي وروى الديلمي من حديث عائشة «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم لم يتفكر فيها» يعني: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الآية. وروى ابن أبي الدنيا في التفكر عن سفيان رفعه: «من قرأ آخر سورة آل عمران فلم يتفكر فيها ويله فعد بأصابعه عشراً» قيل للأوزاعي: ما غاية التفكّر فيهن؟ قال: يقرأهن وهو يعقلهن، **(فلله تعالى في ملكوت السماء والآفاق والانفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبوب لله تعالى، فإن من أحب عالماً فلا يزال مشغولاً بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه)** وغرائبه **(حباً له، فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى فإن العالم كله في تصنيفه)** وتركيبه على أبدع نظام **(بل تصنيف المصنفين)** من عباده **(من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده)** فإنه الذي ألهم ذلك وأرشده إليه، **(فإن تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف، بل من الذي سخر المصنف لتأليفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده)** وتوفيقه **(وتعريفه)** إياه، ولولا ذلك لما تم له التصنيف. **(كما إذا رأيت لعب)** بضم ففتح جمع لعبة **(المشعوذ)** وهي التي تعمل من خرق على هيئة بني آدم **(ترقص وتتحرك)** وتقوم وتقعد **(حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فإنها خرق محركة)** يحركها غيرها **(لا متحركة)** بأنفسها، **(ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط)** شعرية **(دقيقة خفية عن الأبصار، فإذا المقصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب، ولا يتم ذلك**

بحركاتها، ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية يحركونها، وكذلك يتمادى ذلك إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيهاً بما ذكرناه على ما أهملناه، ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات.

**الطرف الخامس: في نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للأطعمة إليك:**

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض، والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعد عنهم الأطعمة ويحول بينهم بينها البحار والبراري، فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع أنهم لا يغنيهم في غالب الأمر شيء؛ بل يجمعون فإما أن تغرق بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يموتوا في بعض البلاد فيأخذها السلاطين، وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشدّ أعدائهم لو عرفوا؛ فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الأخطار ويغرّروا بالأرواح في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من

---

**إلا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الأفلاك إلا بحركاتها ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية يحركونها )** بأمر الله سبحانه، **( وكذلك يتمادى ذلك إلى أسباب )** أخر **( بعيدة )** يتوقف عليها **( تركنا ذكرها تنبيهاً بما ذكرناه على ما أهملناه )** أي تركناه، **( ولنقتصر على هذا )** القدر **( من ذكر أسباب غذاء النبات )** وبالله التوفيق.

**الطرف الخامس: في بيان نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للأطعمة إليك:**

**( اعلم )** أرشدك الله تعالى **( أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان، بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض )** شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، **( وقد تبعد عنهم الأطعمة )** ولا يمكنهم تحصيلها **( وتحول بينهم وبينها البحار والبراري، فانظر كيف سخر الله التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشره الربح، مع أنهم لا يغنيهم في غالب الأمر شيئاً بل يجمعون فأما أن تغرق بها )** أي بتلك الأطعمة **( السفن )** إن كانوا في البحر **( أو تنهبها قطاع الطريق )** إن كانوا في البر **( أو يموتون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين )** ظلماً وعدواناً **( وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا )** فإنهم يتمنون موتهم لأجل المال، **( فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الأخطار )** أي الأمور الصعبة **( ويغرر بالأرواح في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى**

أقصى الشرق والغرب إليك! وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها! وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري، وانظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة، وإلى الحمار كيف جعل صبوراً على التعب وإلى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش، وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج! وتأمل ما يحتاج إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج إليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حدّ الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن، ويتمادى ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلباً للإيجاز.

## الطرف السادس: في إصلاح الأطعمة:

اعلم أنّ الذي ينبت في الأرض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل، وهو كذلك بل لا بدّ في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء

---

**الشرق والغرب إليك، فانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن)** وهي علم مستقل **(وكيفية الركوب فيها)** وتمشيتها فوق الماء بالمجاديف، **(وانظر كيف خلق الحيوانات)** بأنواعها **(وسخرها للركوب والحمل في البراري)** كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾ [الأنعام: ١٤٢] وقوله تعالى: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ [النحل: ٧] **(فانظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة)** في الركض، **(وإلى الحمار كيف جعل صبوراً على التعب، وإلى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الأعباء)** أي الأحمال **(الثقيلة على الجوع والعطش، وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج)** ولولا ذلك وكلفت أنت ذلك لتعبت تعباً شديداً **(وتحمل ما تحتاج إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج إليه السفن، فقد خلق الله جميع ذلك إلى حد الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها)** الآن **(طلباً للإيجاز)** وبالله التوفيق.

### الطرف السادس: في بيان إصلاح الأطعمة:

**(اعلم)** ارشدك الله تعالى **(أن الذي ينبت في الأرض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل وهو كذلك، بل لا بد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب**

البعض وابقاء البعض إلى أمور أخر لا تحصى، واستقصاء ذلك في كل طعام يطول، فلنعين رغيفاً واحداً، ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يثير الأرض والفدان وجميع أسبابه، ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدّة، ثم تنقية الأرض من الحشيش، ثم الحصاد، ثم الفرك والتنقية، ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز، فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره، وعدد الأشخاص القائمين بها، وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره! وانظر إلى أعمال الصنّاع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار، وحدّاد وغيرهما! وانظر إلى حاجة الحدّاد إلى الحديد والرصاص والنحاس! وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن! وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة! فإن فتشت علمت أنّ رغيفاً واحداً لا يستدير بحيث يصلح لأكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع، فابتدىء من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف

---

**وتنظيف بالقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور أخر لا تحصى، واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلنعين رغيفاً واحداً ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر في الأرض، فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي به يثير الأرض والفدان)** وهو الخشب الذي يوضع على عنقي الثورين **( وجميع أسبابه )** وآلاته، **( ثم بعد ذلك التعهد يسقي الماء مدة )** معلومة **( ثم تنقيه الأرض من الحشيش )** الذي ينبت في أصول الزرع، فإن تركه مما يضعف قوة الزرع وقوة الأرض **( ثم الحصاد )** بالمناجل، **( ثم الفرك )** حتى تخلص الحبة من قشرها **( والتنقية )** مما يجاوره، **( ثم الطحن )** بين الحجرين، **( ثم العجن )** بالماء، **( ثم الخبز )** في التنور. **( فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره، وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره، وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره، وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس)** منفرداً ومجموعاً، **( وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن )** التي يستخرج منها كل ما ذكر **( وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة، فإن فتشت علمت أن رغيفاً واحداً لا يستدير بحيث )** يحصر بين يديك و**( يصلح لأكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدىء من الملك الذي يزجي)** أي يسوق **( السحاب لينزل الماء )** على الأرض التي أمر بها **( إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى**

صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق، ثم تأمل كثرة أعمال الانسان في تلك الآلات، حتى أن الإبرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبري خمساً وعشرين مرة ويتعاطى في كل مرة منها عملاً، فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت إلى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلاً بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة! فانظر إلى المقراض مثلاً وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشيء معاً ويقطعانه بسرعة، ولو لم

---

**تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان، فإذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق)** ويكمل نظامهم، وقد تقدم أن أصول الصناعات التي لا قوام للعالم دونها أربعة: الزراعة والحياكة والبناية والسياسة، ومنها ما هي مرشحة لكل واحد وخادمة له كالحدادة للزراعة والقصارة والخياطة للحياكة، ويدخل تحت كل قسم من ذلك أنواع لا تحصى. وفي القوت يقال: إن الرغيف لا يستدير حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صنعة من السماء والأرض وما بينهما من الأجسام والأعراض والأفلاك والرياح والليل والنهار وبني آدم وصنائعهم والبهائم ومعادن الأرض، أولها ميكائيل الذي يكيل الماء من الخزائن فيفرقه على السحاب، ثم السحاب التي تحمله وترسله، ثم الرياح التي تحمل السحاب والرعد والبرق، والملكان اللذان يسوقان السحاب وآخرها الخباز فإذا استدار رغيف طلبه سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع، فهذه كلها نعم في حضور رغيف فكيف بما زاد عليه مما وراءه، **(حتى أن الإبرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك)** في الوقت الشاتي **(لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبري)** بكسر الهمزة ففتح منسوب إلى الأبر جمع الابرة **(خمساً وعشرين مرة، ويتعاطى في كل مرة منها عملاً)** مستقلاً **(فلو لم يجمع الله تعالى البلاد)** وفي نسخة العباد **(ولم يسخر العباد وافتقرت إلى عمل المنجل)** بكسر الميم **(الذي تحصد به البر مثلاً بعد نباته)** وتهيئته لأن يحصد **(لنفد عمرك)** أي فني وذهب **(وعجزت عنه. أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة)** أي متغيرة **(لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة)**، وهذا يدل على أن أصول الصناعات والمكاسب مأخوذة من وحي إما بسماع من الملأ الأعلى وهذا هو الحق أو بإلهام من الله تعالى في قلبه، **(فانظر إلى المقراض مثلاً وهو جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشيء معاً ويقطعانه بسرعة)**، وأصل الجلم القطع ومنه الجلم محركة المقراض ويقال له أيضاً الجلمان بالتثنية كما يقال فيه المقراض والمقراضان والقلم والقلمان، ويجوز أن يجعل الجلمان والقلمان إسماً واحداً على فعلان كالشرطان والدبران، وتجعل النون حرف إعراب، ويجوزان يبقيا

يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ، ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوتي أكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها ، فسبحان من ألحق ذوي الأبصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان ، فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلاً أو عن الحدّاد ، أو عن الحجام الذي هو أخس الأعمال ، أو عن الحائك ، أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة أيضاً ، فإن الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء .

## الطرف السابع : في إصلاح المصلحين :

اعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين للأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبدّدوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم

---

على بابها في إعراب المثنى ، **( ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا )** من أهل الحكمة **( وافتقرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ، ثم إلى استخراج الحديد من الحجر )** بالإذابة **( وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا )** دهر طويلاً مثل **( عمر نوح )** عليه السلام **( وأوتي أكمل العقول لقصر عمره من استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها )** ويقال : إن الحكيم الذي استنبط طريق عمل المقراض لما أتم عمله مات فرحاً ، **( فسبحان من ألحق ذوي الأبصار بالعميان ، وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان ، فانظر الآن . لو خلا بلدك عن الطحان مثلاً أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أخس الأعمال أو عن الحائك أو عن واحد من جلة الصناع ما يصيبك من الأذى )** والتعب ، **( وكيف تضطرب عليك أمورك كلها )** ولا ينتظم حالك ، **( فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ، ولنوجز القول في هذه الطبقة أيضاً ، فإن الغرض التنبيه على النعم دون الإستقصاء )** وبالله التوفيق .

**الطرف السابع : في بيان إصلاح المصلحين :**

**( اعلم )** هداك الله تعالى **( أن هؤلاء الصناع المصلحين للأطعمة )** خصوصاً **( وغيرها )** عموماً **( لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم بعض ، بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض**

وسلط الأنس والمحبة عليهم و ﴿لَو أَنْفَقْتَ ما في الأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [ الأنفال: ٦٣ ] فلاجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة مجاورة ورتبوا الأسواق والخانات وسائر الأصناف البقاع مما يطول إحصاؤه، ثم هذه المحبة تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها، ففي جبلة الإنسان الغيظ والحسد والمنافسة، وذلك مما يؤدي إلى التقاتل والتنافر، فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدّهم بالقوة والعدّة والأسباب وألقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً، وكيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض، فرتبوا الرؤساء والقضاة والشحن وزعماء الأسواق، واضطروا الخلق إلى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحدّاد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحدّاد، وصار الحجام ينتفع بالحرّاث، والحرّاث بالحجام، وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم

---

واحد، **فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم )** مع اختلاف أشكالهم وأجناسهم **( وسلط الإنس والمحبة عليهم: ﴿ولو أنفقت ما في الأرض)** من الأموال **( جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ فلأجل )** هذا **( الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا )** وتعاونوا **( وبنوا المدن والبلاد )** والقرى **( ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة )** بعضها بقرب بعض، **( ورتبوا الأسواق )** لمعاملاتهم **( والخانات )** لسكنى من يرد عليهم، **( وسائر أصناف البقاع )** كالحمامات وغيرها **( مما يطول إحصاؤها، ثم هذه المحبة )** قد **( تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها، ففي جبلة الإنسان الغيظ والحسد )** والأنفة **( والمنافسة، وذلك مما يؤدي إلى التقاتل والتنافر، فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين )** والملوك والأمراء **( وأمدهم بالقوة )** الظاهرة والعدة من السلاح وغيره **( والأسباب )** والآلات **( وألقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً )** ولم يخالفوهم فيما يأمرونهم، ( و ) انظر **( كيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض، فرتبوا الرؤساء )** وهم الأمراء **( والقضاة والشحن )** جمع شحنة بالكسر وهو الحاكم على البلد **( وزعماء الأسواق )** والمحلات وهم رؤساؤها **( واضطروا الخلق )** أي ألجأوهم **( إلى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد، وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام، وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه، كما يتعاون جميع**

واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه، كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض. وانظر كيف بعث الأنبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلاً عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين، وانظر كيف أصلح الله تعالى الأنبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك المقرّب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحرّاث يصلحه بالحصاد، والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحدّاد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الأطعمة والسلطان يصلح الصناع، والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم، والعلماء يصلحون السلاطين، والملائكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف، وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب، ولولا فضله

---

**أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض. وانظر كيف بعث الأنبياء)** والرسل عليهم السلام (**حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم**) وترتيبهم، (**وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به إلى صلاح الدنيا فضلاً عما أرشدهم إليه من إصلاح الدين، وانظر كيف أصلح الله الأنبياء بالملائكة**) عليهم السلام (**وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى**) وهو إسرافيل عليه السلام، (**فالخباز يخبز العجين، والطحان يصلح الحب بالطحن، والحراث بالحصاد، والحداد يصلح آلات الحراثة، والنجار يصلح آلات الحداد، وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الأطعمة والسلطان يصلح الصناع**) بعدله فيهم (**والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم**) لما ورد العلماء ورثة الأنبياء (**والعلماء يصلحون السلاطين**) كما قال القائل:

إن الملـوك ليحكمـون على الورى وعلى الملـوك لتحكـم العلماء

ومجمل القول فيه أن السياسة أربعة أضرب: الأول: سياسة الأنبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم، والثاني: سياسة الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم، والثالث: الحكماء وحكمهم على باطن الخواص، والرابع: الفقهاء والوعاظ وحكمهم على بواطن العامة، (**والملائكة يصلحون الأنبياء**) عليهم السلام وهكذا الأمر (**إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف، وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب**) جلّ شأنه، (**ولولا فضله وكرمه إذ قال**

وكرمه إذ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] لما اهتدينا إلى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى، ولولا عزله إيانا عن أن نطمح بعين الطمع إلى الإحاطة بكنه نعمه لتشوّفنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء، ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] فإن تكلمنا فبإذنه انبسطنا، وإن سكتنا فبقهره انقبضنا، إذ لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى، لأنا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار.

## الطرف الثامن: في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام:

ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي إليهم، ولا تظنّنّ أنهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات، الملائكة الأرضية والسماوية وحملة العرش، فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل

---

تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا**) أي لأجلنا (**لنهديهم سبلنا**﴾ **لما اهتدينا إلى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعمة الله تعالى، ولولا عزله إيانا عن أن نطمح بعين الطمع إلى الاحاطة بكنه نعمه لتشوّفنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء**) وطلب الغايات، (**ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى** ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ **فإن تكلمنا فبإذنه انبسطنا، وإن سكتنا فبقهره انقبضنا إذ لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى لأنا في كل لحظة من لحظات العمر نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار:** ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾) وهو إشارة إلى مقام العارفين الذين ترقوا من حضيض المجاز إلى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم، فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله وإن كل شيء هالك إلا وجهه، ولم يفتقر هؤلاء إلى قيام القيامة ليسمعوا النداء المذكور بل هؤلاء لا يفارق سمعهم أبداً، (**فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار**) وبالله التوفيق.

**الطرف الثامن: في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام:**

اعلم أنه (**ليس يخفي عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي إليهم**) بالأمانة، (**ولا تظنن أنهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر**) يقال: اقصر واقتصر بمعنى واحد (**بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات: الملائكة الأرضية والسماوية وحملة العرش**). قال المصنف في مشكاة الأنوار: قد انكشف لأرباب البصائر أن الأنوار الملكوتية

والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرهما. واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذي إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف، وذلك الغذاء يصير دماً في آخر الأمر، ثم يصير لحماً وعظماً، وإذا صار لحماً وعظماً تم اغتذاؤك، والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار، فهي لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها، ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في أطوارها كما أن البر بنفسه لا يصير طحيناً ثم عجيناً ثم خبزاً مستديراً مخبوزاً إلا بصنّاع، فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحماً وعظماً وعروقاً وعصباً إلا بصنّاع والصنّاع في الباطن هم الملائكة كما أن الصنّاع في الظاهر هم أهل البلد، وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة، فأقول: لا بدّ من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم، فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه، ولا بدّ من ملك آخر يمسك الغذاء في

---

وجدت على ترتيب بعضها أعلى من بعض، وأن المقرب هو الأقرب إلى النور الأقصى، فلا يبعد أن تكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل عليهما السلام وأن فيهم الأقـرب بقرب درجته من حضرة الربوبية التي هي منبع الأنوار كلها، وأن فيهم الأدنى وبينهما درجات تستعصي على الاحصاء وإنما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم في صفوفهم. ( **فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرهما. واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذي إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى وراء ذلك** ) مما لا نهاية له. ( **وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف** ) وهلك، ( **وذلك الغذاء يصير دماً** ) صالحاً ( **في آخر الأمر** ) وذلك بعد الهضوم الأربعة على الترتيب الذي ذكرناه آنفاً، ( **ثم يصير** ) ذلك الدم الحاصل من الغذاء ( **لحماً وعظماً تم اغتذاؤك واللحم والدم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بأنفسها، ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في أطوارها** ) السبعة، ( **كما أن البر بنفسه لا يصير دقيقاً ثم عجينـاً ثم خبزاً مستديراً مخبوزاً إلا بصناع، فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحماً وعظماً وعرقاً وعصباً ومخاً إلا بصناع، والصناع في الباطن هم الملائكة، كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد، وقد أسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمة الباطنة** ) وقد اختلف في تفسير النعم الظاهرة والباطنة على أقوال. وأشار إليها التاج السبكي في مفيد النعم، وألف فيها الجلال السيوطي رسالة ذكر فيها ما أورده السبكي وزاد. ( **فأقول: لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم، فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه بل لاّ بدّ من ملك آخر**

جواره، ولا بدّ من ثالث يخلع عنه صورة الدم، ولا بدّ من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم، ولا بدّ من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء، ولا بدّ من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلاً، ولا بدّ من سابع يرعى المقادير في الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوّف ما لا يبطل تجويفه، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته، فإنه لو جمع مثلاً من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوّهت صورته وخلقته، بل ينبغي أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها وإلى الحدقة مع صفائها وإلى الأفخاذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة وربا بعض المواضع وضعف بعض المواضع، بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجلين مثلاً لبقيت تلك الرجل كما كانت في حدّ الصغر وكبر جميع البدن، فكنت ترى شخصاً في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في هذه القسمة مفوّضة إلى ملك من الملائكة، ولا تظننّ أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فإن محيل

---

**يمسك الغذاء في جواره، ولا بدّ من ثالث يخلع عنه صورة الدم، ولا بدّ من رابع يكسوه صورة اللحم والعرق والعظم)** والعصب، **(ولا بدّ من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء)** إلى مخارج البراز، **(ولا بدّ من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلاً، ولا بدّ من سابع يرعى المقادير في الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوّف ما لا يطيل تجويفه، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فإنه لو جمع مثلاً من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه)** اللائق به **(وتشوّهت)** لذلك **(صورته)** الظاهرة فإن الجمال في الأنف، **(بل ينبغي أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها، وإلى الحدقة مع صفائها، وإلى الفخذ مع غلظها، وإلى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا لبطلت الصورة)** المعهودة **(وربا)** أي كبر وعظم **(بعض المواضع وضعف بعض المواضع، بل لو لم يراع هذا الملك)** الموكل **(العدل في القسمة والتقسيط)** بأن يعطي كل جزء قسطه الحقيق به **(فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجلين مثلاً لبقيت تلك الرجل كما كانت في حدّ الصغر وكبر جميع البدن، فكنت ترى شخصاً في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع به البتة فمراعاة هذه الهندسة في بيان القسمة مفوّضة إلى ملك من الملائكة ولا تظنن أن الدم**

هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول، فهذه هي الملائكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد، وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك الذي لا يتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك، تركنا تفصيل ذلك للإيجاز، والملائكة الأرضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام، والأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجرّ من جانب إلى جانب أكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به.

---

**بطبعه يهندس شكل نفسه )** كما ذهب إليه الطبائعيون، **( فإن محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول )** فالقول به باطل كالقول بالتولد، **( فهذه هي الملائكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد، وهم يعملون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك التي لا تتجزأ يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للإيجاز، والملائكة الأرضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش )** فإنهم المقربون لقربهم من النور الأقصى وهم على ترتيب كذلك، **( والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد )** الملك **( المهيمن القدوس المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والاكرام )** جلّ شأنه، **( والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب إلى جانب أكثر من أن تحصى، فلذلك ترك الاستشهاد به )** قال العراقي: ففي الصحيحين من حديث أبي ذر قصة الإسراء قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح، وفيه حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح الحديث ولهما من حديث أبي هريرة «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق». وللنسائي من حديث ابن مسعود «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام» وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه على ابن عبد ياليل فناداني ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين الحديث. ولهما من حديث أنس «إن الله وكل بالرحمة ملكاً» الحديث. وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمي «ما من نبت ينبت إلا ويحفه ملك موكل به حتى يحصد» الحديث. وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو الحسن البكراوي واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف. وللطبراني من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف: «إن لله ملائكة ينزلون في كل ليلة يحبسون الكلال عن دواب الغزاة إلا دابة

**فإن قلت: فهلا فوضت هذه الأفعال إلى ملك واحد ولم أفتقر إلى سبعة أملاك، والحنطة أيضاً تحتاج إلى من يطحن أوّلاً ثم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانياً، ثم إلى من يصب الماء عليه ثالثاً، ثم إلى من يعجن رابعاً، ثم إلى من يقطعه كرات مدوّرة خامساً، ثم إلى من يرقها رغفاناً عريضة سادساً، ثم إلى من يلصقها بالتنوَر سابعاً ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطناً كأعمال الإنس ظاهراً؟ فاعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الإنس، وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [ الصافات: ١٦٤ ] فلذلك**

---

في عنقها جرس». وللترمذي وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهود: يا أبا القاسم خبرنا عن الرعد. قال: ملك موكل بالسحاب، ولمسلم من حديث أبي هريرة «بينما رجل بفلاة من الأرض سمع من سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة» الحديث انتهى.

قلت: حديث ابن مسعود رواه كذلك عبد الرزاق وأحمد وابن حبان والطبراني، وأبو الشيخ في العظمة، وأبو نعيم في الحلية، والحاكم، والبيهقي. وحديث بريدة الأسلمي تمامه «فأيما امرىء وطىء ذلك النبت يلعنه ذلك الملك».؛ وحديث ابن عباس في الرعد لفظه عند الترمذي «الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله والصوت الذي تستمعون زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره». وحديث أبي هريرة عند مسلم لفظه عنده، وعند أحمد «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحوّل الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للإسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحابة التي هذا ماؤها يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثاً.

( **فإن قلت: فهلا فوّضت هذه الأفعال** ) كلها ( **إلى ملك واحد ولم افتقر إلى سبعة أملاك والحنطة أيضاً تحتاج إلى من يطحن أوّلاً، ثم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانياً، ثم إلى من يصب الماء عليه** ) ثالثاً، ( **ثم إلى من يعجن رابعاً، ثم إلى من يقطعه كراة مدوّرة خامساً، ثم إلى من يرققها رغفاناً عريضة سادساً، ثم إلى من يلصقها بالتنور سابعاً ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به، فهلا كانت أعمال الملائكة باطناً كأعمال الانس ظاهراً؟ فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد وإليه الإشارة بقوله تعالى** ) حكاية عنهم إذ وصفوا به أنفسهم إذ قالوا: ( **﴿وما منا إلا له**

ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس، فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما ينازعان الشم، وليس كاليد والرجل فإنك قد تبطش بأصابع الرجل بطشاً ضعيفاً فتزاحم به اليد، وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز، فإن هذا نوع من الإعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه، فإنه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الإنسان يطيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته، وذلك غير ممكن في طباع الملائكة، بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم، فلا جرم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، والراكع منهم راكع أبداً، والساجد منهم ساجد أبداً والقائم قائم أبداً لا اختلاف في أفعالهم ولا فتور، ولكل واحد مقام معلوم

---

مقام معلوم﴾ ) أي فلا نتعداه، ( **فلذلك ليس بينها تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعيين مرتبة كل واحد وفعله مثال الحواس الخمس، فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات** ) فإنه ليس من إدراكاته ( **ولا الشم يزاحمها** ) فيما خصا به ( **ولا هما ينازعان الشم** ) فيما خص به ( **وليس كاليد والرجل، فإنك قد تبطش بأصابع الرجل بطشاً ضعيفاً فتزاحم به اليد** ) فإن الرجل إنما وضعت ليمشي بها وليس من خواصها البطش وإنما هو لليد، ( **وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب** ) كما هو عادة المغاربة ( **ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز، فإن هذا نوع من الإعوجاج والعدول** ) أي الصرف ( **عن** ) طريق ( **العدل سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه، فإنه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل، ولذلك ترى الإنسان يطيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته، وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم، فلا جرم** ) هم كما وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز ( ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ ) [التحريم: ٦] كما قال تعالى: ( ﴿**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾ [الأنبياء: ٢٠] **والراكع منهم راكع أبداً والساجد منهم ساجد أبداً والقائم منهم قائم أبداً لا اختلاف في أفعالهم ولا فتور، ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه** ). وقد روى أبو الشيخ في العظمة، والبيهقي والخطيب وابن عساكر من حديث رجل من الصحابة: إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك تقطر من عينه دمعة إلا وقعت ملكاً قائماً يسبح وملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة وصفوفاً لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فنظروا إليه وقالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك.

لا يتعداه، وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك، فإنك مهما جزمت الإرادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى، بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلاً بإشارتك، فهذا يشبهه من وجه لكن يخالفه من وجه، إذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحاً واطباقاً والملائكة احياء عالمون بما يعملون، فإذاً هذه نعمة الله عليك في الملائكة الأرضية والسماوية وحاجتك إليهما في غرض الأكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها؛ فإنا لم نطوّل بذكرها؛ فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها، فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات، فإذا قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة، ثم قال: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [ الأنعام: ١٢٠ ]، فترك باطن الإثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة،

---

وروى الديلمي من حديث ابن عمر: إن لله ملائكة في السماء الدنيا خشوعاً منذ خلقت السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة يقولون سبحان ذي الملكوت فإذا كان يوم القيامة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ولله ملائكة في السماء الثانية ركوعاً منذ خلقت السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة فإذا كان يوم القيامة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ولله ملائكة في السماء السادسة سجوداً منذ خلقت السموات والأرض إلى ان تقوم الساعة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ( **وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك فإنك مهما جزمت الارادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى، بل كان منتظراً لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلاً باشارتك، فهذا يشبه من وجه لكن يخالفه من وجه** ) آخر، ( **إذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحاً واطباقاً والملائكة أحياء عالمون بما يفعلون** )، ولا يلزم من التشبيه أن يكون المشبه عين المشبه به من سائر الوجوه كما هو المقرر، ( **فإذاً هذه نعمة الله عليك في الملائكة الأرضية والسمائية وحاجتك إليهما في غرض الأكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها، فإنا لم نطوّل بذكرها . فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات، فإذاً قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال** ) تعالى: ( **﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾** ) ففيه تنبيه لأولي الألباب الذي وصل لهم القول ليتذكروا أن يذروا ظاهر الإثم شكراً لظاهر النعم، ويذروا باطن الإثم شكراً لباطن النعم، ( **فترك باطن الإثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة** ) المخالفة ( **وإضمار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب** ) مما تقدم ذكرها، ( **هو الشكر للنعم الباطنة** ) مثل معافاة القلوب وسلامة العقود ( **وترك الإثم**

**وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل أقول: كل من عصى الله تعالى ولو في تطريفة واحدة بأن فتح جفنه مثلاً حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما، فإن كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضاً به فإن لله تعالى في كل تطريفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن، إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل جفن شعور سود، ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع ضوء العين إذ البياض يفرّق الضوء والسواد يجمعه، ونعمة الله**

---

**الظاهر بالجوارح)** من معاني حظوظ النفوس **(شكر للنعمة الظاهرة)** مثل عوافي الأجسام ووجود الكفايات من الأموال، **(بل أقول: كل من عصى الله تعالى ولو في تطريفة واحدة بأن فتح جفنه مثلاً حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما، فإن كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والأرض والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره أيضاً به، فإن لله تعالى في كل تطريفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل)**.

اعلم أن منفعة العضل أن الانسان إذا أراد أن يقرب عضواً من آخر حرك العضل فتشنجت وزاد في عرضها ونقص من طولها، وإذا أراد التبعيد حركها فاسترخت وزاد في طولها ونقص في عرضها فحصل المقصود، والعضو الذي يحرك عضواً كبيراً يكون كبيراً كالذي في الفخذ والذي يحرك عضواً صغيراً يكون صغيراً كالعضلات المحركة للأجفان العليا فإنها صغار جداً وليس لها أوتار، فإذا علمت ذلك فللعين أربع وعشرون عضلة: ثلاثة لتحريك الجفن رأسها معلق في العظم الحاوي للعين ووترها يميز في وسط طي الغشاء الذي يكون منه الجفن ويتصل بوسط حافة الجفن وهو يفتحه، والثانية والثالثة موضوعتان في موق العين مدفونتان في حفرتها ووتراهما يأتيان حافة الجفن ويتصلان به من جانبه وهما يغمضان العين باطباقهما الجفن وذلك إذا فعل كل منهما فعلها، فإن نال إحداهما آفة انطبق بعض الجفن ويبقى باقيه مفتوحاً وواحدة. وقيل: اثنتان، وقيل ثلاثة قد عمّ العصبة المجوّفة التي يكون بها البصر وتثبتها حتى لا تنالها بسبب لينها عند التحديق الشديد أن تنقطع، وست عضلات تحرك العين أربعة إلى الاستقامة الواحدة تميلها إلى فوق، والثانية تحفظها إلى أسفل، والثالثة تحركها يمنة، والرابعة تحركها يسرة، واثنتان على الاستدارة. فهذه عشرة أو احدى عشرة أو اثنتا عشرة لعين وللأخرى مثلها، **(وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله فيٓ سوادها أنه)** أي الشعر الأسود **(يجمع ضوء العين إذ البياض يفرق الضوء**

في ترتيبها صفاً واحداً أن يكون مانعاً للهوام من الدبيب إلى باطن العين ومتشبثاً للأقذاء التي تتناثر في الهواء ، وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها ، وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل : وهو أنّ غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر ، فيجمع الأجفان مقدار ما تتشابك الأهداب فينظر من وراء شباك الشعر ، فيكون شباك الشعر مانعاً من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل، ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف الأجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت الاقذاء إلى زوايا العين والأجفان ، والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين ، فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما من الغبار وإذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب، ولعلنا نستأنف له كتاباً مقصوداً فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى ، فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الأجفان ،

---

**والسواد يجمعه )** فلا لون أنسب وأوفق لنور الباصرة من السواد ، **( ونعمة الله في ترتيبها صفاً واحداً أن يكون مانعاً للهوام من الدبيب إلى باطن العين ومتشبثاً للاقذاء التي تتناثر في الهواء )** فتتعلق به ولا تصل إلى الداخل ، **( وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها )** وله في منابت الشعر نعمة أخرى وهو أن جعل بين كل شعرة فاصلاً لئلا يلتزق مع بعضه ، **( وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الأجفان مقدار ما تتشابك الأهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعاً من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل، ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف الأجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الأقذاء إلى زوايا العين والأجفان )** وبقيت الحدقة صافية ، **( والذباب لما لم يكن لحدقتيه جفن خلق له يدين )** زائدتين **( فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما عن الغبار )** وهذا أحسن الوجوه ، وقيل : إنما يفعل ذلك لكونه لم يقع على جسد النبي ﷺ فهو أبداً يلطم وجهه وفيه نظر ، **( وإذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب، ولعلنا نستأنف كتاباً مقصوداً فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى )** وقد حقق الله تعالى مأموله ويسر له تأليفه ، وقد عده ابن السبكي في جملة مؤلفاته كما تقدم ذلك في مقدمة كتاب العلم .

**( فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم قد كفر بفتح العين )** في حيث لا

ولا تقوم الأجفان إلا بعين، ولا العين إلا برأس، ولا الرأس إلا بجميع البدن، ولا البدن إلا بالغذاء، ولا الغذاء إلا بالماء والأرض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر، ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسموات، ولا السموات إلا بالملائكة، فإنّ الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض، فإذاً قد كفر كل نعمة في الوجود من منتهى الثريا إلى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد إلا ويلعنه، ولذلك ورد في الأخبار أن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلعنهم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم وكذلك ورد أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وأن الملائكة يلعنون العصاة في ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها، وكل ذلك إشارة إلى أن العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت، وقد أهلك نفسه إلا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها، فيتبدل اللعن بالاستغفار، فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه. وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام: «يا أيوب ما من عبد لي من الآدميين إلا ومعه ملكان، فإذا شكرني على نعمائي قال الملكان: اللهم زده نعماً على

---

يحل **(نعمة الله تعالى في الأجفان ولا تقوم الاجفان إلا بعين ولا العين إلا برأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا البدن إلا بالغذاء ولا الغذاء إلا بالماء والأرض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر، ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسموات ولا السموات إلا بالملائكة، فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض، فإذا قد كفر كل نعمة لله في الوجود من منتهى الثريا إلى منتهى الثرى، فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد إلا ويلعنه بكفران النعمة، ولذلك ورد في الأخبار: إن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلعنهم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وكذلك ورد «إن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر»)** تقدم في كتاب العلم **(«وان الملائكة يلعنون العصاة»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة: «أن الملائكة لتلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه» اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو نعيم في الحلية **(في ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها، وكل ذلك اشارة إلى أن العاصي ولو بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد أهلك نفسه، إلا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها)** كما ورد ذلك في حديث أبي ذر «واتبع السيئة الحسنة تمحها» **(فيستبدل اللعن بالاستغفار، فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه)** بفضله وكرمه، وورد في بعض الأخبار: **(أوحى الله إلى أيوب عليه السلام: يا أيوب ما من عبد لي من الآدميين إلا ومعه ملكان فإذا شكرني على نعمائي قال الملكان: اللهم زده نعماً**

نعم، فإنك أهل الحمد والشكر، فكن من الشاكرين قريباً فكفى بالشاكرين علوّ رتبة عندي أني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم» وكما عرفت أن في كل طرفة عين نعماً كثيرة فاعلم أن في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين، إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك، وبانقباضه يجمع الروح الهواء إلى القلب ولو سدّ متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك، بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات، فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك، بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصوّر احصاء ذلك أم لا؟ ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى: ﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [ النحل: ١٨ ] قال إلهي كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان: أن لينت

---

على نعم فإنك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريباً ) وزدهم شكراً وزدهم من النعماء ( فكفى بالشاكرين ). يا أيوب ( علو رتبة عندي إني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم ) فكن لي يا أيوب شاكراً ولآلائي ذاكراً ولا تذكرني حتى أذكرك ولا تشكر لي حتى أشكر أعمالك. أنا أوفق أوليائي لصالح الأعمال وأشكرهم على وفقتهم واقتفيتهم الشكر ورضيت به مكافأة، فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل، وشر العبيد عندي من لم يشكرني إلا وقت حاجته ولم يتفرغ بين يدي إلا في وقت عقوبته. كذا أورده بكماله صاحب القوت.

( وكما عرفت أن في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم أن في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سدّ متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك، بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة ) لكل منهما اثنتا عشرة ساعة ( وفي كل ساعة قريب من ألف نفس، وكل نفس قريب من عشر لحظات، فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك، بل في كل جزء من أجزاء العالم. فانظر هل يتصوّر احصاء ذلك أم لا )؟ ولفظ القوت ويقال: إن تحت كل شعرة في جسم العبد نعمة، وفي جسم الانسان ثلاثمائة وستون مفصلاً، وكذلك العظام. وفي كل طرفة نعمتان، وفي كل نفس نعمتان، وفي كل دقيقة تأتي عليه من عمره نعم لا تحصى، والدقيقة جزء من اثني عشر جزءاً من شعيرة، والشعيرة جزء من اثني عشر جزءاً من ساعة والأنفاس أربعة وعشرون ألف نفس في اليوم والليلة، ( ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى: ﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ قال: إلهي كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان أن لينت أصلها وإن

**أصلها ، وأن طمست رأسها ؟ وكذا ورد في الأثر أن من لم يعرف نعم الله إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه . وجميع ما ذكرناه يرجع إلى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به ، فإن البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود إلا ويتحقق أن لله فيه نعمة عليه ، فلنترك الاستقصاء والتفصيل فإنه طمع في غير مطمع .**

## بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر :

**اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة ، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ، ولا يتصوّر شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم أنهم إن عرفوا**

---

**طمست رأسها )** نقله صاحب القوت . **( وكذلك ورد في الأثر : من لم يعـرف نعم الله )** عليه **( إلا في مطعمه ومشربه فقد قلّ علمه وحضر عذابه )** نقله صاحب القوت ، وهو في الحلية من قول أبي الدرداء رواه من طريق أحمد بن حنبل ، حدثنا اسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا يونس بن عبيد عن الحسن قال أبو الدرداء : من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قلّ علمه وحضر عذابه ، ومن لم يكن غنياً في الدنيا فلا دنيا له . قال صاحب القوت ويقال : إن في باطن الجسم من النعم سبعة أضعاف النعم الذي في ظاهره ، وأن في القلب من النعم أضعاف ما في الجسم كله من النعم ، وأن نعم الإيمان بالله والعلم واليقين أضعاف نعم الاجسام والقلوب . فهذه كلها نعم مضاعفة على نعم مترادفة لا يحصيها إلا من أنعم بها ولا يعلمها إلا من خلقها ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [ الملك : ١٤ ] سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول ذلك وخروجه وكثرة تكرره وتزايده بان أدخل مهناه ، وأخرج اذاه وبقي في الجسم قواه وبأن طيب مدخله ويسّر مخرجه وبقي منفعته وما أحال من صورته وغيّر من صفته للتزهيد والذم والاعتبار والتذكرة ، وتلك أيضاً نعم . **( وجميع ما ذكرناه يرجع إلى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به ، فإن البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود إلا ويتحقق أن لله فيه نعمة عليه ، فلنترك الاستقصاء والتفصيل فإنه طمع في غير مطمع )** وبالله التوفيق .

### بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر :

**( اعلم )** هداك الله تعالى **( أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة إلابعد معرفتها )** إذ من لم يعرفها كيف يقوم بشكرها ، فالشكر فرع المعرفة فإذا جهل النعمة لم يعرفها وإذا لم يعرفها لم يشكر عليها وإذا لم يشكر انقطع مزيده ومن انقطع عنه المزيد في نقصان ما ادعى ، وأيضاً فإن لم يشكر النعم لجهله بها كفرها فإن كفرها أدركه العذاب الشديد إلا أن تداركه نعمة من ربه ، **( ثم أنهم**

نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه: الحمد لله، الشكر لله. ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان. أما الغفلة عن النعم فلها أسباب، وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة، فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع أحوالهم، فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصاً به فلا يعدّه نعمة، ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء، ولو أخذ بمختنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حارّ أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غماً؛ فإن ابتلي أحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدّر ذلك نعمة وشكر الله عليها. وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفاً على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال، والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها؛ فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تعمى عينه، فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعدّه نعمة، ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق وبذل لهم في جميع الأحوال

---

إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها ) مجرد ( أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ) من غير فهم معنى ما يقول ( ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل، فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين ) الأولى معرفة النعمة والثانية معرفة معنى الشكر عليها ( إلا غلبة الشهوة وإستيلاء الشيطان ) عليه، ( أما الغفلة عن النعم فلها أسباب، وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جلة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع أحوالهم، فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصاً به فلا يعده نعمة ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ) هو برودته، ( ولو أخذ بمخنقهم ) هو محل القلادة من العنق ( لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار ) ولا منفذ له ( أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غماً فإن ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها، وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفاً على أن تسلب عنهم النعمة ) برهة ( ثم ترد عليهم في بعض الأحوال والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر من النعمة في بعضها فلا يرى البصير يشكر صحة بصره إلى أن تعمى عينه فعند ذلك لو أعيد عليه ) نوره ( أحس به وشكره وعده نعمة، ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق ) وكل من السعة والعموم من مقتضيات هذه الصفة. ( وبذل لهم في جميع الأحوال فلم يعده الجاهلون نعمة ) فغفلوا عن الشكر عليها،

فلم يعدّه الجاهل نعمة، وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائماً، حتى إذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة، فإن ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر، فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرّق الاختصاص إليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم، كما شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به فقال له: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أما تستحيي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفاً! وحكى ان بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعاً، فرأى في المنام كأنّ قائلاً يقول له: تود أنا أنسيناك من القرآن سورة الأنعام وإن لك ألف دينار؟ قال: لا، قال: فسورة هود؟ قال: لا، قال: فسورة يوسف؟ قال: لا، فعدّد عليه سوراً ثم قال: فمعك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو، فأصبح وقد سري عنه، ودخل ابن

---

( **وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائماً** ) لمخالفة سيره في أوامره ونواهيه ( **حتى إذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فإن ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر، فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرق الإختصاص إليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم** ) في سائر أحوالهم، ( **كما شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به** ) ولفظ القوت: وحدثت عن رجل شكا إلى بعض أهل المدينة فقره وأظهر لذلك غمه ( **فقال له الرجل: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا. فقال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف؟ قال: لا. فقال: أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً؟ قال: لا. قال: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف؟ قال: لا. فقال: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفاً** ) قال صاحب القوت: وهذا كما قال لأن في الإنسان قيم هذه الأشياء من الجوارح وزيادة من المال لأنها ديات جوارحه لو قطعت.

( **وحكي أن بعض القراء** ) أي العلماء. ولفظ القوت: وحدثني بعض الشيوخ في معناه أن بعض القراء المقربين ( **اشتد به الفقر حتى** ) أحزنه و( **ضاق به ذراعاً** ) قال: ( **فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له: تود أنّا أنسيناك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار؟ قال: لا. قال: فسورة هود؟ قال: لا. قال: فسورة يوسف؟ قال: لا. فعدد عليه سوراً ثم قال: فمعك قيمة مائة ألف دينار** ) هكذا في القوت وفي بعض نسخ الكتاب قيمة ما يبلغ آلافاً، ( **وأنك تشكو** ) الفقر ( **فأصبح وقد سرى عنه همه** ) أي انكشف وزال.

السماك على بعض الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه ، فقال له : عظني ! فقال : لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه ؟ قال : نعم ، فقال : لو لم تعط إلا بملكك كله فهل كنت تتركه ؟ قال : نعم ، قال : فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء . فبهذا تبين أن نعمة الله تعالى على العبد في شربة عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها ، وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فنقول : ما من عبد إلا ولو أمعن النظر في أحواله رأى من الله نعمة أو نعماً كثيرة تخصه لا تشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد ، وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور : في العقل والخلق ، والعلم .

أما العقل ، فما من عبد لله تعالى إلا وهو راضٍ عن الله في عقله يعتقد أنه أعقل الناس ، وقل من يسأل الله العقل ، وإن من شرف العقل أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به ، فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس . فواجب عليه أن يشكره ، لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب عليه ، وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في

---

( ودخل ) محمد بن صبيح ( بن السماك ) الواعظ البغدادي تقدمت ترجمته مراراً ( على بعض الخلفاء ) العباسية ( وبيده كوز ماء يشربه فقال له : عظني . فقال : لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشاناً فهل كنت تعطيه ؟ قال : نعم ، فقال : لو لم تعط إلا بملك كله فهل كنت تتركه ؟ قال : نعم . قال : فلا تفرح بملك لا يسوي شربة ماء ، فبهذا تبين أن نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها ، وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة ) المبذولة للخلق كلهم ، ( فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فنقول : ما من عبد إلا ولو أمعن النظر في أحواله ) وتأمل بصاً في بصيرته ( رأى من الله تعالى نعمة أو نعماً كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس ، وربما ) يتفق أنه ( لا يشاركه فيها أحد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور : في العقل والخلق والعلم ) .

( أما العقل فما من عبد لله تعالى إلا وهو راض عن الله تعالى في عقله يعتقد أنه أعقل الناس ، و ) لذا ( قلما يسأل الله العقل ) ومن المعلوم ( أن من شرف العقل أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به ، فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لأنه إذا كان كذلك ) في حقيقة الأمر ( فالشكر واجب عليه ، وإن لم يكن ) كذلك ( ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه ، فمن وضع كنزاً تحت الأرض فهو يفرح به ويشكر

حقه، فمن وضع كنزاً تحت الأرض فهو يفرح به ويشكر عليه، فإن أخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لأنه في حقه كالباقي.

وأما الخلق، فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوباً يكرهها واخلاقاً يذمها، وإنما يذمها من حيث يرى نفسه بريئاً عنها، فإذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيىء.

وأما العلم؛ فما من أحد إلا ويعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره ما هو منفرد به، ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح، فكيف لو اطلع الناس كافة؟ فإذن لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله، فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي أرسله على وجه مساويه فأظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد؛ فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إما مطلقاً، وإما في بعض الأمور فلننزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلاً، فنقول: ما من عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو

---

**عليه، فإن أخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لأنه في حقه كالباقي )** فكذلك العقل فإنه بمنزلة الكنز المدفون.

**( وأما الخلق، فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوباً يكرهها وأخلاقاً يذمها وإنما يذمها من حيث يرى نفسه بريئاً عنها )** خالصاً منها، **( فإن لم يشتغل بذم الغير فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيىء )** ففيه نعمتان عليها شكران فتحسب كل ما وجه إلى غيرك من المذام نعماً عليك بمثل ما وجه إليك من المحاسن لأن النفوس كنفس واحد والمشيئة والقدرة واحدة، فقد رحمت بأنك من أحسن الخلق فذلك من فضل الله عليك.

**( وأما العلم؛ فما من أحد إلا ويعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره ما هو منفرد به ولو انكشف الغطاء )** وزال الحجاب **( حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح )** حاله عنده، **( فكيف لو اطلع الناس كافة، فإذاً لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله، فلم لا يشرك ستر الله الجميل الذي أرسله على وجه مساويه، فأظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك من أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد )** فلا تدري أي النعمتين أعظم إظهار الجميل أو ستر القبيح، وقد مدح الله سبحانه بهما في الدعاء المأثور: يا من أظهر الجميل وستر القبيح. **( فهذه ثلاث من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إما مطلقاً وإما في بعض الأمور، فلننزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلاً فنقول: ما من عبد**

شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أو عزه أو جاهه أو في سائر محابه أموراً لو سلب ذلك منه وأعطى ما خصص به غيره لكان لا يرضى به، وذلك مثل أن جعله مؤمناً لا كافراً وحياً لا جماداً وإنساناً لا بهيمة وذكراً لا أنثى وصحيحاً لا مريضاً وسليماً لا معيباً؛ فإنّ كل هذه خصائص، وإن كان فيها عموم أيضاً، فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض بها، بل له أمور لا يبدّلها بأحوال الآدميين أيضاً، وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الأكثر، فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذاً حاله أحسن من حال غيره وإذا كان لا يعرف شخص يرتضي لنفسه حالة بدلاً عن حال نفسه إما على الجملة وإما في أمر خاص، فإذاً لله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواه، وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد المغبوطين عنده فإنه لا محالة يراهم أقل بالإضافة إلى غيرهم، فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه، فما باله ينظر إلى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه، ولا ينظر إلى

---

**إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه وأقاربه أو عزه أو جاهه أو في سائر محابه)** الدنيوية **(أموراً لو أسلب ذلك منه وأعطى ما خصص به غيره لكان لا يرضى به، وذلك مثل أن جعله مؤمناً لا كافراً وحياً لا جماداً وإنساناً لابهيمة وذكراً لا أنثى وصحيحاً لا مريضاً وسليماً لا معيباً، فإن كل هذه خصائص وإن كان فيها عموم أيضاً، فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض به)** وفي القوت: وأول نعمة عقلناها أن جعلنا موجدين دون سائر المعدومات، ثم جعلنا حيواناً دون سائر الموات، ثم جعلنا بشراً دون سائر الحيوان، ثم إن جعلنا ذكوراً دون الإناث، ثم تصويرنا في أحسن تقويم، ثم عوافي القلب من الزيغ عن السنة ومن الميل إلى دواعي النفس الأمارة بالسوء، ثم صحة الأجسام، ثم كثيف الستر، ثم حسن الكفاية للحاجات، ثم صنوف ما أظهر من الأزواج للاوقات، **(بل له أمور لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضاً وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الأكثر، فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذا حاله أحسن من حال غيره، فإن كان لا يعرف شخصاً يرتضي لنفسه حاله بدلاً عن حال نفسه إما على الجملة وإما في أمر خاص، فإذاً لله تعالى نعم ليست له على أحد من عباده سواه وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد المغبوطين عنده، فإنه لا محالة يراهم أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر إلى من هو فوقه ليزدري)** أي يحتقر **(نعم الله على نفسه ولا ينظر إلى من هو دونه ليستعظم نعم الله عليه،**

من دونه ليستعظم نعم الله عليه، وما باله لا يسوي دنياه بدينه؛ أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر إليها بأن في الفساق كثرة! فينظر أبداً في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه، فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك، فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيراً منه، وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق، فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال ﷺ: «من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابراً وشاكراً، ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابراً ولا شاكراً»، فإذاً كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى

---

**وما باله لا يسوى دنياه بدينه أليس)** هو **( إذا لامته نفسه )** وعاتبته **( على سيئة يقارفها يعتذر إليها بأن في الفساق كثرة فينظر أبداً في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه، فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك، فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيراً منه وحاله في الدنيا خيراً من حال أكثر الخلق، فكيف لا يلزمه الشكر )** وفي القوت: وفي الشكر مقامات عن مشاهدين أعلاهما: الذي يشكر على المكاره والبلاء والشدائد واللأواء، والمقام الثاني :أن ينظر إلى من هو دونه ممن فضل هو عليه في أمور الدنيا وفي أحوال الدين فيعظم نعمة الله عليه بسلامة قلبه وعافيته مما ابتلي الآخر به ويعظم نعمة الدنيا عليه لما أغناه الله وكفاه فيما أحوج إليه والجاه، فليشكر على ذلك ثم ينظر إلى من هو فوقه في الدين ممن فضل عليه بعلم الإيمان ويحسن اليقين فيمقت نفسه ويزري عليها وينافس في مثل ما رأى من أحوال من هو فوقه فيرغب فيها، فإذا كان كذلك كان من الشاكرين ودخل تحت اسم الممدوحين، **( ولهذا قال ﷺ: «من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابراً وشاكراً، ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله لا صابراً ولا شاكراً» )** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو وقال: غريب وفيه المثنى بن الصباح ضعيف انتهى.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث أنس لكن بتقديم الجملة الثانية على الأولى، وروى أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» أما البخاري فرواه من طريق الأعرج، والباقون من طريق همام وأبي صالح ثلاثتهم عن أبي هريرة. وفي لفظ المسلم «إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل ممن فضل عليه» ولأحمد وابن حبان في اثناء حديث عن أبي ذر «أوصاني خليلي ﷺ أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي». وعند هناد والبيهقي: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر إلى من هو دونه في المال والجسم»، **( فإذاً كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والإيمان**

على نفسه نعماً كثيرة لا سيما من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك، ولذلك قيل:

من شاء عيشاً رحيباً يستطيل به      في دينه ثم في دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه ورعاً      ولينظرن إلى من دونه مالا

وقال ﷺ: «من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله» وهذا إشارة إلى نعمة العلم وقال عليه السلام: «إن القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه» وقال عليه السلام: «من آتاه الله القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله» وقال ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» وقال عليه السلام: «كفى باليقين غنى»، وقال بعض السلف:

---

**والعلم والقرآن)** ولفظ القوت: ومن أفضل النعم وأجلها نعمة الإيمان بالله تعالى ثم نعمة الرسول ثم نعمة القرآن **(ثم الفراغ والصحة والأمن)**، وبكل من هذه الثلاثة الأخيرة فسر قوله تعالى: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ [الأحقاف: ٢٠] **(وغير ذلك)** كنعمة الغنى والشباب، **(ولذلك قيل)**.

**(من شاء عيشاً رحيباً يستطيب به      في دينه ثم في دنياه إقبالاً**
**فلينظرن إلى من فوقه ورعاً      ولينظرن إلى من دونه مالاً)**

**(وقال ﷺ: «من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله»)** هكذا في القوت. وقال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، **(وهذا)** إن صح فهو **(إشارة إلى نعمة العلم. وقال ﷺ: «إن القرآن هو الغني الذي لا غني بعده ولا فقر بعده»)** قال العراقي: رواه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ: «أن القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه» قال الدارقطني: رواه أبو معاوية عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن الحسن مرسلاً وهو أشبه بالصواب انتهى.

قلت: ورواه محمد بن نصر البيهقي والخطيب بلفظ: «القرآن» بدون «إن» وسنده ضعيف.

**(وقال)** ﷺ: **(«من آتاه الله القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله»)** قال العراقي: رواه البخاري في التاريخ من حديث رجاء الغنوي بلفظ: «من آتاه الله حفظ كتابه وظن أن أحداً أولى منه فقد صغر أعظم النعم» ورجاء مختلف في صحبته وورد من حديث عبدالله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعيفة، وقد تقدم في فضل القرآن انتهى.

قلت: ورواه البيهقي كذلك ولفظه: «من أعطاه الله» ورواه ابن حبان وقال: رجاء تابعي ثقة يروي المراسيل، وأورده صاحب القوت وقال في لفظ آخر فقد استخف بما أنزل الله.

**(وقال ﷺ: «كفى باليقين غني»)** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث عمار بن ياسر، ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة موقوفاً عليه وقد تقدم انتهى).

**(وأورده صاحب القوت وقال: القرآن هو حق اليقين (وقال بعض السلف، يقول الله**

يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة: « إن عبداً أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي: عن سلطان يأتيه، وطبيب يداويه، وعما في يد أخيه » وعبر الشاعر عن هذا فقال:

إذا ما القوت يأتيك كذا الصحة الأمنُ
وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن

بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر ﷺ عن هذا المعنى فقال: « من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث؛ مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم، بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان، بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من المشرق إلى المغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضاً عن علمك بل عن عشر عشير علمك: لم يأخذه، وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله تعالى في الآخرة، بل لو قيل له لك في

---

تعالى: **« إن عبداً أغنيته عن ثلاث لقد أتممت عليه نعمتي )** أغنيته **( عن سلطان يأتيه )** أي جعلته غنياً، **( و )** أغنيته **( عن طبيب يداويه )** أي جعلته صحيحاً سليماً، **( و )** أغنيته **( عما في يد أخيه » )** أي جعلته قانعاً بما في يده نقله صاحب القوت. **( وعبَّر الشاعر عن هذا فقال:**

**إذا القوت تأتي لك والصحة والأمن**
**وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن)**

كذا هو في القوت. وفي بعض نسخ الكتاب: إذا ما القوت يأتي لك، وفي أخرى إذا القوت يأتيك كذا الصحة، **( بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات أفصح من نطق بالضاد )** يشير إلى ما اشتهر على الألسنة أنا أفصح من نطق بالضاد. قال ابن كثير: صحيح ولكن لا أصل له **( حيث عبّر ﷺ عن هذا المعنى فقال: « من أصبح آمناً في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » )** تقدم الكلام عليه غير مرة. **( ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث )** وهي الأمن والصحة والقوت، **( مع أنها وبال عليهم في الإيمان الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم )** الذي لا يفنى، **( فإن البصير )** أي صاحب البصيرة **( ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان )** فإنها من أفضل النعم الباطنة، **( بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من المشرق إلى المغرب من أموال )** وأعراض **( وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضاً عن علمك )** ومعرفتك **( بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه )** ولم يقبله، **( وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله سبحانه وتعالى في الآخرة )** وما ذكر في عوضه

الآخرة ما ترجوه بكماله ، فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلاً عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه ، لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ، ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدّرة مشوّشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بغمها ، هكذا كانت إلى الآن ، وهكذا تكون ما بقي الزمان إذ ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع ، حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت ، كالمرأة الجميل ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني ، حتى إذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم ، وكل ذلك باغتراره بلذة النظر إليها في لحظة ، ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره ، فهكذا وقعت أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ، ولا ينبغي أن نقول إنّ المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها ، فإنّ المقبل عليها أيضاً متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها ، وتألم المعرض يفضي إلى لذة في الآخرة وتألم المقبل يفضي إلى الألم في الآخرة ، فليقرأ المعرض

---

فكله فان ولا يقربه إلى جوار الله تعالى ، ( **بل لو قيل له : لك في الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلاً عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها ، وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا ألمها بلذتها ولا فرحها بغمها** ) فإنها إن حلت أوحلت أو جلت أوجلت أو كست أوكست ، ( **هكذا رؤي** ) من أول الزمان ( **إلى الآن ، وهكذا يكون ما بقي الزمان** ) ودار الملوان ( **إذ ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها** ) وامتنعت ( **واستعصت** ) فهي ( **كالمرأة الجميل ظاهرها تتزين للشاب الشبق** ) الكثير الشهوة ( **الغبي** ) الغافل عن العواقب ( **حتى إذا تقيد بها قلبه** ) وعلق بها باطنه ( **استصعبت عليه** ) وجمحت ( **واحتجبت عنه** ) ولم تواصله ، ( **فلا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم ، وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر إليها في لحظته ، ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره** ) في ماله وعرضه وجسده ، ( **فهكذا وقعة أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها** ) وخدعها ، ( **ولا ينبغي أن تقول : إن المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فإن المقبل عليها أيضاً متألم بالصبر عليها و** ) على ( **حفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض** ) عنها ( **يفضي إلى لذة في الآخرة** ) وهي القرب من جوار الله تعالى ( **وتألم** ) المقبل عليها ( **يفضي إلى ألم في الآخرة** ) وهو البعد عن جوار الله تعالى ، ( **فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى : ﴿ولا تهنوا** ) أي لا تضعفوا ( **في إبتغاء القوم** )

عن الدنيا على نفسه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا في ابْتِغَاءِ القَوْمِ إنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ، فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾ [ النساء : ١٠٤ ]، فإذاً إنما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة.

فإن قلت: فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر؟ فأقول: أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة. وأما القلوب البليدة التي لا تعدّ النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها، فسبيله أن ينظر أبداً إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية، إذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود، فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ويشكر الله تعالى، ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن، ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء

---

أي طلبهم ومقاتلتهم لإعـلاء كلمة الحق ( **أن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾** ) وهو إشارة إلى تلك اللذة، ( **فإذاً إنما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة** )، وبانسداد طريق الشكر حرموا طريق المزيد وأورثهم ذلك النقصان أبداً.

( **فإن قلت: فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر؟ فأقول: أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة** ) المبذولة على الخلق، ( **وأما القلوب** ) الجامدة ( **البليدة التي لا تعد النعمة نعمة إلا إذا خصصتها أو شعر بالبلاء معها فسبيله أن ينظر أبداً إلى من هو دونه** ) في أمور الدنيا ( **ويفعل ما كان يفعله بعض** ) السادة ( **الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار المرضى** ) وهي المارستان ( **والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود** ) الشرعية، ( **فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم، ثم يتأمل في صحته وسلامته** ) من تلك البلايا ( **فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض و** ) كان يحضر المواضع التي تقام فيها الحدود ( **يشاهد الجناة** ) هم الجانون على أنفسهم ( **الذين يقتلون** ) قصاصاً ( **وتقطع أطرافهم** ) في السرقة ( **ويعذبون بأنواع العذاب** ) في حد الخمر والقذف وغير ذلك، أو من طريق السياسة ( **ليشكر الله تعالى على عصمته** ) وحفظه ( **من الجنايات** ) الشرعية، ( **ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن** ) حيث لا يطالبه أحد بدم أو ذمة أو غير ذلك ( **و** ) كان ( **يحضر المقابر فيعلم ان أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوماً واحداً** ) كما

إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوماً واحداً ؛ أما من عصى الله فليتدارك ، وأما من أطاع فليزد في طاعته ، فإن يوم القيامة يوم التغابن ، فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول : كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات ، وأما العاصي فغبنه ظاهر ، فإذا شاهد المقابر وعلم أنّ أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له ، فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفته لنعم الله تعالى في بقية العمر ، بل الإمهال في كل نفس من الأنفاس ، وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة ، فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر . وقد كان الربيع بن خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيداً للمعرفة ، فكان قد حفر في داره قبراً فكان يضع غلاً في عنقه وينام في لحده ثم يقول : ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ⋆ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾ [ المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ ] ثم يقوم ويقول : يا ربيع قد أعطيت ما سألت ، فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد ، ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر : أن تعرف النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ، ولذلك كان

---

ورد ذلك في الأخبار . ( **أما من عصى الله فليتدارك ، وأما من أطاع الله فليزد في طاعته وأن يوم القيامة** ) هو ( **يوم التغابن** ) كما سماه الله تعالى في كتابه ذلك يوم التغابن ، ( **فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول : كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني** ) وخسارتي ( **إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات ، وأما العاصي فغبنه ظاهر** ) يرى غيره يحسن الجزاء على أعماله وهذا قد ضيع عمره في الغفلة والعصيان فلا أغبن منه ، ( **فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم** ) أي إلى أصحاب المقابر ( **أن يكون قد بقي لهم في العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود** ) إلى الدنيا ( **لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى في بقية العمر ، بل في الأمهال في كل نفس من الأنفاس ، وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة** ) كما هو حقيقة الشكر عند العارفين ، ( **فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ، وكان الربيع بن خيثم** ) الثوري الكوفي الفقيه الزاهد ( **مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيداً للمعرفة** ) الحاصلة ( **له ، فكان قد حفر في داره قبراً فكان يضع غلاً في عنقه وينام في لحده ثم يقول** ) هذه الآية : ( **رب ارجعون ⋆ لعلي اعمل صالحاً﴾ ثم يقوم ويقول** ) مخاطباً لنفسه : ( **يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد ، ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ، ولذلك قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : عليكم**

الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم. وقال بعض السلف: النعم وحشية فقيدوها بالشكر. وفي الخبر: «ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال»، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فهذا تمام هذا الركن.

**الركن الثالث: من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر:**

**بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد:**

لعلك تقول: ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن لله تعالى في كل موجود نعمة، وهذا

---

**بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم)** نقله صاحب القوت. (**وقال بعض السلف: النعم وحشية فقيدوها بالشكر**) نقله صاحب القوت. (**وفي الخبر: «ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال»**) قال العراقي: رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ: «إلا عظمت مؤنة الناس إليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة» الحديث. ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال: إنه موضوع على حجاج الأعور انتهى.

قلت: حديث معاذ ورواه أيضاً أبو سعيد السمان في مشيخته، وأبو إسحاق المستملي في معجمه، والبيهقي وضعفه والخطيب وابن النجار وفيه أحمد بن معدان العبدي. قال أبو حاتم: مجهول، والحديث الذي رواه باطل. ورواه الشيرازي في الألقاب عن عمر بن الخطاب موقوفاً. ورواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج من حديث عائشة بلفظ: إلا اشتدت عليه مؤنة الناس». وتقدم في كتاب ذم البخل والمال بلفظ: «من عظمت» وتقدم الكلام عليه هناك فراجعه. (**وقال الله سبحانه ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**) قيل: لا يغير نعمه عليهم حتى يغيروها بتضييع الشكر فيعاقبهم بالتغير والوجه الآخر لا يغير ما بهم من عقوبة حتى يغيروا معاصيهم بالتوبة، فذكر بذلك السبب الأول من حكمه، ثم ذكر السبب الثاني من حكمته وهو مسبب الأسباب بمشيئته وحكمته (**فهذا تمام هذا الركن**) الثاني، وبالله التوفيق.

## الركن الثالث

**من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر**

**بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد:**

(**اعلم**) أيها السالك (**لعلك تقول ماذكرته في النعم إشارة إلى أن لله تعالى في كل**

يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلاً فما معنى الصبر إذاً. وإن كان البلاء موجوداً فما معنى الشكر على البلاء. وقد ادّعى مدّعون أنا نشكر على البلاء فضلاً عن الشكر على النعمة، فكيف يتصوّر الشكر على البلاء، وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي ألماً والشكر يستدعي فرحاً وهما يتضادّان، وما معنى ما ذكرتموه من أن لله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده؟ فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة، والقول بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادّان: ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء، ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه: أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى، وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما، وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه: كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه، فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد، أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدّة وإما أبداً، وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق. وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين، بل في الدنيا، فالشكر المطلق للنعمة المطلقة، أما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه

---

**موجود نعمة، وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلاً فما معنى الصبر إذاً، وإن كان البلاء موجوداً فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلاً عن الشكر على النعمة؟ فكيف يتصور الشكر على البلاء، وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي ألماً والشكر يستدعي فرحاً وهما يتضادان)**، فكيف يجتمعان **(وما معنى ماذكرتموه أن لله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده؟ فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة، والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لأنهما متضادان، ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء، ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول)** والقرب **(في جوار الله تعالى، وأما في الدنيا فبالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه)** آخر، ولذا عد من الخيرات المتوسطة، **(فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة)** من الزمن **(وإما أبداً في الدنيا، فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق، وأما)** البلاء **(المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا، فالشكر المطلق للنعمة المطلقة. أما البلاء المطلق في الدين فقد لا يؤمر بالصبر عليه، فإن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه. وكذلك المعصية، حق الكافر ان**

وكذا المعصية، بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي، نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه، والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية، بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم، وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته، فإذا يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس ببلاء مطلق، بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصوّر أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر، فإن الغنى مثلاً يجوز أن يكون سبباً لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده، والصحة أيضاً كذلك؛ فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه، فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله، فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض، ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغوا في الأَرْض﴾ [ الشورى: ٣٧ ] وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إنّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى ★ أنْ رآهُ اسْتَغْنَى﴾ [ العلق: ٦، ٧ ] وقال ﷺ: « إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه »، وكذلك الزوجة والولد والقريب، وكل ما ذكرناه

---

**يترك كفره، وكذا حق العاصي، نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية)** أصابته **(أو غيرها)** مما يذهل العقل **(فلا صبر عليه، والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه، فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فإنه لا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم، وإنما الصبر على ألم ليس للعبد إزالته، فإذاً يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس ببلاء مطلق، بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن تجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الغنى مثلاً يجوز أن يكون سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده)** وانصاره ويؤخذ منه ذلك المال، **(والصحة أيضاً كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء، ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء )** من البلايا التي تصيب العبد **( إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالأضافة إلى حاله، فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى)** وتجاوز الحدود. **( قال الله تعالى ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ )** ولكن ينزل بقدر ما يشاء. **( وقال تعالى: ﴿ كلا إن الانسان ليطغى ★ أن رآه استغنى﴾ )** فجعل الطغيان ثمرة الاستغناء. **( وقال ﷺ « إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه )** الطعام والشراب يخاف عليه ». رواه أحمد وابن عساكر من حديث

في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنها يتصوّر أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضدادها إذاً نعماً في حقهم. إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنها صفة من صفات الله تعالى، ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون فقدها نعمة، مثاله: جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة عليه، إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه؛ وكذلك، جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه، إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالإنتقام، وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه، إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالاً عليه في الدنيا والآخرة، بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون ولياً لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانته، ولو عرف ذلك وآذى كان إثمه لا محالة أعظم، فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف.

---

محمود بن لبيد بلفظ « كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه ». ورواه كذلك الحاكم من حديث أبي سعيد. وروى الديلمي من حديث أنس « إن الله ليحمي المؤمن من الدنيا نظراً وشفقة عليه كما يحمي المريض أهله الطعام ». وروى الروياني، وأبو الشيخ في الثواب، والحسن بن سفيان، وابن عساكر، وابن النجار من حديث حذيفة « إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي المريض أهله الطعام » وقد تقدم. **( وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ماذكرناه من الأقسام الستة عشر من النعم )** من ضرب أربعة في أربعة **( سوى الإيمان وحسن الخلق، فإنها تتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضدادها إذا نعما في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنها صفة من صفات الله تعالى )** باعتبار كونها مرادفة للعمل، **( ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الانسان بأجله فإنه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش )** أي تكدر **( وطال بذلك غمه )** ولم يتهن في أحواله فابهامه من النعم اللطيفة، **( وكذلك جهله بما يضمره الناس )** أي يخفونه **( عليه )** في قلوبهم **( من معارفه وأقاربه نعمة عليه إذ لو رفع الستر )** وانكشف الحال **( واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام )** منهم ليشفي غيظه فيهم، **( وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها )** بما فيه **( أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالاً عليه في الدنيا والآخرة )**. اما في الدنيا فلاشتغاله بابغاضه وتضييع أوقاته، وأما في الآخرة فلما يترتب عليه من المؤاخذات، **( بل جهله بالخصال في غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون ولياً لله تعالى وهو يضطر إلى ايذائه وإهانته ولو عرف ذلك وآذى كان إثمه لا محالة أعظم، فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف )**.

ومنها : إبهام الله تعالى أمر القيامة ، وإبهامه ليلة القدر ، وساعة يوم الجمعة ، وإبهامه

---

ولفظ القوت : ومن كبائر النعم ثلاث : من جهلها أضاع الشكر عليها ومعرفتها شكر العارفين .

أولها : استتار الله عز وجل بقدرته وعزته عن الأبصار ، ولو ظهر للعباد العيان لكانت معاصيهم كفراً لأنهم لم يكونوا ينقصون من المعاصي المكتوبه عليهم جناح بعوضة ولأنه تعالى كان يظهر بوصف لا يمتنعون معه من المعاصي ، ووراء هذا سائر الغيوب إلا أنهم كانوا يكفرون بالمواجهة لانتهاك حرمة المشاهدة ، وأيضاً لما كان لهم في الإيمان من عظيم درجات مالهم الآن ، لأنهم حينئذ يؤمنون بالشهادة وهم اليوم يؤمنون بالغيب فرفعت لهم الدرجات بحق اليقين ، ولذلك مدحهم الله تعالى ووصفهم .

والنعمة الثانية : إخفاء القدر والآيات عن عموم الخلق لأنها من سر الغيب وصلاح العبيد واستقامة الدنيا والدين ، ولو ظهرت لهم لكانت خطاياهم الصغائر كبائر مع معاينة الآيات ولما ضوعفت لهم على أعمالهم الحسنات كمضاعفتها الآن للايمان بالغيب .

والنعمة الثالثة : تغييب الآجال عنهم إذ لو علموا بها لما كانوا يزدادون ولا ينقصون من أعمالهم الخير والشر ذرة ، فكان ذلك مع علمهم بالأجل أشد مطالبة لهم وأوقع للحجة عليهم وأخفى ذلك عنهم معذرة لهم من حيث لا يعلمون ولطفاً بهم ونظرا إليهم من حيث لا يحتسبون ، ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم احتجب بعضهم عن بعض وسترهم عند العلماء والصالحين ، ولولا ذلك لما نظروا إليهم ثم حجب الصالحين عنهم ، ولو أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربهم منه لبطل ثواب المحسنين إليهم ولحرم قبول إحسانهم عليهم ولحبطت أعمال المسيئين إليهم ففي حجب ذلك وستره ما عمل العاملون لهم في الخير والشر على الرجاء وحسن الظن بالغيب وراء حجاب اليقين وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله وجليل قدرهم ، ففي ستر هذا نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المتهتكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله من أجلهم إذا كانوا ساروا إليهم من وراء حجاب ، فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم اللطيف الوهاب كما جاء في الخبر يقول الله تعالى « من آذى ولياً من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة » ثم ان المثابر لولي يكون مثل ذلك مثل من آذى نبياً وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبره أنه رسول الله وان الله تعالى نبأه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمة نبي قد كان أعلمه أنه نبي الله لعظيم حرمة النبوة . وروينا عن جعفر الصادق وغيره من السلف في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في إخفائها قال : إن الله تعالى خبأ ثلاثاً في ثلاث : رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئاً لعل رضاه فيه ، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقروا منه شيئاً لعل غضبه فيها ، وخبأ ولايته في عباده المؤمنين فلا تحقروا منهم أحداً لعله ولي الله عز وجل اهـ .

**( ومنها إبهام الله تعالى أمر القيامة )** متى تقوم ، **( وإبهامه ليلة القدر )** في أي ليلة من ليالي

بعض الكبائر، فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد، فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم. وحيث قلنا إن لله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق، وذلك مطرد في حق كل أحد، ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس، وهي أيضاً قد تكون نعمة في حق المتألم بها، فإن لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووسمه بشرته فإنه يتألم به وهو عاص به، وألم الكفار في النار فهو أيضاً نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم، لأن مصائب قوم عند قوم فوائد. ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمه لأكثر فرحهم بها، ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار. أما ترى أهل الدنيا ليس يشتدّ فرحهم بنور الشمس مع شدّة حاجتهم إليها من حيث أنها عامة مبذولة، ولا يشتدّ فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته، ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها، فإذاً قد صح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا

---

شهر رمضان، **( وابهامه ساعة الجمعة )** التي لا يوافقها عبد مسلم ودعا الله بشيء إلا استجيب له، **( وابهامه بعض الكبائر )** كما تقدم ذلك في كتاب التوبة، **( فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد )** وقد زيد على ماذكر الصلاة الوسطى، فإن الله تعالى أخفاها كذلك لطفاً منه ومنة لتوفير الدواعي على الاجتهاد. **( فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم؟ وحيث قلنا أن الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق )** لا خطأ فيه **( وذلك مطرد في حق كل أحد )** إطراداً شائعاً **( ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضاً قد تكون نعمة في حق المتألم بها، فإن لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووسمه بشرته )** بالنارأو النيلج **( فإنه يتألم به وهو عاص به، وألم الكفار في النار فهو أيضاً نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد )** وهو نصف مصراع بيت، **( ولولا أن الله خلق العذاب وعذب به طائفة )** من العباد **( لما عرف المتنعمون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها، ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار )** وسمعوا تضاغيهم فيها فيحمدون الله تعالى على ما هم فيه من النعيم ويشتد فرحهم. **( أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث أنها عامة مبذولة )** ولا بضوء القمر كذلك، **( ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء )** الدنيا **( وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته )** وترتيبه، **( ولكن زينة السماء لما عمت )** على الخلق **( لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فإذاً قد صح ماذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا وفيه**

وفيه حكمة، ولا خلق شيئاً إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم، فإذاً في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضاً إما على المبتلي، أو على غير المبتلي، فإذاً كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة، فيجتمع فيها على العبد وظيفتان: الصبر والشكر جميعاً.

فإن قلت: فهما متضادان فكيف يجتمعان؟ إذ لا صبر إلا على غم، ولا شكر إلا على فرح؟ فاعلم أن الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر، فيكون الصبر من حيث الاغتمام، والشكر من حيث الفرح. وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها.

**أحدها:** أن كل مصيبة ومرض فيتصوّر أن يكون أكبر منها، إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزادها ماذا كان يرده ويحجزه، فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا.

**الثاني:** أنه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه: قال رجل لسهل رضي الله تعالى عنه: دخل اللص بيتي وأخذ متاعي! فقال: اشكر الله تعالى، لو دخل الشيطان قلبك

---

**حكمة )** إما ظاهرة وإما باطنة **( ولا خلق شيئاً إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم، فإذاً في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضاً إما على المبتلي )** به **( أو على غير المبتلي، فإذاً كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان: الصبر والشكر جميعاً )** فهذا وجه اجتماعهما في محل واحد.

**فإن قلت: فهما متضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح؟ فاعلم أن الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح، وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور )** ولفظ القوت ويقال: ما من مصيبة إلا ولله تعالى فيها خمس نعم اهـ. **( ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها.**

**أحدها: أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله لا تتناهى فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان يرده ويحجزه )** عن ذلك، **( فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا.**

**الثاني: أنه كان يمكن ان تكون مصيبته في دينه )** حكي أنه **( قال رجل لسهل )** بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى: **( دخل اللص بيتي وأخذ متاعي )** فقال له على وجه التذكير بما

فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع؟ ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال: اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم منه، وإذ لم أحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه. وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان، فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه، فقال له: اشكر الله فضربه؛ فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه، فقال: اشكر الله، فجيء بمجوسي فحبس عنده وكان مبطوناً فقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل المجوسي، فأرسل إليه فقال: أشكر الله، فكان المجوسي يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته، فكتب إليه بذلك فقال: اشكر الله، فقال: إلى متى هذا، وأي بلاء أعظم من هذا؟ فقال: لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا

---

فوق ذلك من البلايا: ( **اشكر الله لو دخل** ) اللص الذي هو ( **الشيطان قلبك فافسد** ) عليك ( **التوحيد ماذا كنت تصنع** )؟ عرفه بذلك نعمة الله عليه فيما عرفه عنه من البلاء الذي هو أعظم من بلائه، فإن بلاء الآخرة أشد من بلاء الدنيا أورده القشيري في الرسالة، ( **ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه إذ قال: اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني** ) أي لأنها أعظم من مصيبة الدنيا. ( **وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما ابتليت ببلاء إلا وكان لله تعالى علي فيه أربع نعم:** ) أولها: ( **إذ** ) لم يكن ذلك البلاء ( **في ديني، و** ) الثانية ( **إذ لم يكن أعظم منه، و** ) الثالثة ( **إذ لم أحرم الرضا به،و** ) الرابعة ( **إذ أرجو الثواب عليه، و** ) قيل: ( **كان لبعض أرباب القلوب صديق** ) فابتلي بكذب عليه أو بغيره ( **فحبسه السلطان فأرسل إليه** ) أي إلى صاحبه بذلك ( **فقال** ) له صاحبه أي كتب إليه: ( **اشكر الله تعالى فضربه** ) السلطان فكتب إليه يخبره، ( **فقال** ) أي فكتب إليه: ( **اشكر الله تعالى فجيء** ) إليه في الحبس ( **بمجوسي فحبس عنده وكان مبطوناً فقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة** ) من رجل هذا ( **في رجل المجوسي** ) بحيث لا يمشي أحدهما إلا يمشي الآخر، ( **فأرسل إليه** ) يخبره يخبره ( **فقال** ) أي فكتب اليه في الجواب: ( **اشكر الله تعالى فكان المجوسي يحتاج أن يقوم** ) بسبب بطنه لبيت الخلاء ( **مرات** ) عديدة بالليل ( **وهو** ) أي هذا الصديق ( **يحتاج أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته** ) ثم يرجعا مكانهما ،( **فكتب إليه بذلك فقال** ) أي فكتب إليه في الجواب: ( **أشكر الله تعالى. فقال** ) أي فكتب إليه:( **إلى متى** ) تقول ( **هذا** ) يعني قولك اشكر الله، ( **وأي بلاء أعظم من هذا** ) البلاء؟ ( **فقال** ) أي فكتب إليه يقول: ( **لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك** ) كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك والزنار كرمان علامة الشرك ( **ماذا كنت تصنع؟** ) نبهه بذلك على أنه ما من بلاء إلا وفوقه ما هو

**كنت تصنع؟ فإذاً ما من إنسان قد أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهراً وباطناً في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلاً وآجلاً ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر، ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك إحداهما فهو مستحق للشكر، ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر، فقيل له: ما هذه السجدة؟ فقال: كنت أنتظر أن تصب علي النار، فالاقتصار على الرماد نعمة، وقيل لبعضهم: ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتبست الأمطار! فقال: أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطىء الحجر.**

---

أعظم منه من بلايا الدين والدنيا وعلى أن كل ذلك بقضائه وقدره، وقد سلمك الله من بلاء الشرك فاشكر الله تعالى على ذلك. أورده القشيري في الرسالة.

وفي القوت:وكذلك إذا رأيت مبتلى في دينه بصفات المنافقين أو مبتلى بنفسه بأخلاق المتكبرين أو منهمكاً فيما عليه من أفعال الفاسقين عددت جميع ذلك نعماً عليك من الله تعالى إذ لم يجعلك كذلك لأنك قد كنت أنت ذاك لولا فضل الله عليك ورحمته، فتحسب كل ما وجه إلى غيرك من الشر أو صرف عنه من الخير نعماً عليك بمثل ما وجه به من الخير إليك وصرف من الشر عنك لأن النفوس كنفس واحدة في الأمر بالسوء والمشيئة والقدرة واحدة فقد رحمك بما صرف من السوء عنك فذلك من نعم الله عليك.

**فاذاً ما من إنسان قد أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهراً وباطناً في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلاً وآجلاً، ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة)** مثلاً **(فهو مستحق للشكر، و)** كذا **(من إستحق عليك أن يقطع يديك)** جميعاً **(فترك إحداهما فهو مستحق للشكر)** ولو ضربك مائة سوط كاملاً أو قطع يديك جميعاً ماذا كنت تصنع؟ **(ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر)** ولم يتغير حاله الذي كان عليه **(فقيل له)** أي قال له أصحابه الذين شاهدوا ذلك منه: **(ما هذه السجدة)** في هذه الحالة؟ **(فقال: كنت أنتظر أن تصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة)** هذا نظر العارفين بالله حيث جعل صب الرماد عليه مصالحة عن النار التي كان يستحقها **(وقيل لبعضهم: ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتبست الأمطار؟ فقال: أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطىء الحجر)**.قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو عمر وعثمان بن محمد العثماني، حدثنا إسماعيل بن علي، حدثنا هارون بن حميد، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: قلنا لمالك بن دينار ألا تدعو لك قارئاً يقرأ؟ قال: إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة. فقلنا له: ألا تستسقي؟ قال: أنتم تستبطئون المطر لكني أستبطىء الحجارة.

فإن قلت: كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار؟ فاعلم أن الكافر قد خبىء له ما هو أكثر وإنما أمهل حتى يستكثر من الإثم ويطول عليه العقاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُملي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وأما المعاصي فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منه، ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح، ولذلك قال تعالى في مثله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك، ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك.

**وهذا هو الوجه الثالث:** في الشكر وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان يتصوّر أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخـر تهوّن المصيبة فيخف وقعها، ومصيبة الآخرة تدوم، وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي، إذ أسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانياً، إذ قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذ أذنب ذنباً فأصابته شدّة أو بلاء في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً».

---

**(فإن قلت: كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار؟ فاعلم أن الكافر قد خبىء له)** من العذاب **(أكثر وإنما أمهل)** وترك **(حتى يستكثر من الإثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾** وقال تعالى: **﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾ [الأعراف: ١٨٣] (وأما العاصي؟ فمن أين يعلم أن في العالم من هو أعصى منـه ورب خاطر)** يخطر **(بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته)** ماهو **(أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح، ولذلك قال تعالى في مثله ﴿وتحسبونه هيناً وهو عندالله عظيم﴾ فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك، ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجلتِ عقوبتك في الدنيا، فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك.**

**وهكذا هو الوجه الثالث في الشكر)** على المصيبة من الوجوه الخمسة، **(وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة)** فيعظم عذابها، **(ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون المصيبة فيخف وقعها)** أي أثرها **(ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي)** عنها بأسباب أخر **(إذ أسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين)** لانقطاع الأحساب والأنساب، **(ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانياً)** إذ الجمع بين العقوبتين مما يخالف الكرم **(إذ قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا أذنب ذنباً فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً)** قال العراقي: رواه

**الرابع:** أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لا بدّ من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة.

**الخامس:** أن ثوابها أكثر فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين:

**أحدهما:** الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي، فإنه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب، فكان يخسر جميع عمره، فكذلك المال والأهل والأقارب والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سبباً لهلاك الإنسان في بعض الأحوال، بل العقل الذي

---

الترمذي، وإبن ماجه من حديث علي «من أصاب في الدنيا ذنباً عوقب به فالله أعدل من أن يثنّي عقوبته على عبده» الحديث لفظ إبن ماجه. وقال الترمذي: «من أصاب حداً فعجل عقوبته في الدنيا» وقال: حسن وللشيخين من حديث عبادة بن الصامت «ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له». الحديث اهـ.

قلت: وتمام الحديث عند الترمذي «ومن أصاب حداً فستره الله عليه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه». وقال: حسن غريب، ورواه كذلك إبن أبي الدنيا في حسن الظن والحاكم والبيهقي، وقد روي ذلك أيضاً من حديث خزيمة بن ثابت ولفظه «من أصاب منكم ذنباً مما نهى الله تعالى عنه فأقيم عليه حده فهو كفارة ذنبه» ورواه الحسن بن سفيان، وأبو نعيم، وفي لفظه «من أصاب ذنباً فأقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته» رواه أحمد والدارمي وابن جرير والدارقطني والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياء. ورواه ابن النجار بلفظ «من أذنب ذنباً» ورواه أحمد وإبن جرير وصححه من حديث علي بلفظ «من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده» الحديث.

**(الرابع: أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب)** لامحالة، **(وكان لا بد من وصولها وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها، فهذه نعمة)** إن تأملت فيها.

**(الخامس: أن ثوابها أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة)** نقله صاحب القوت، وذلك **(من وجهين:**

**(أحدها الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي، فإنه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب)** أي عن تحصيلها **(فكان يخسر جميع عمره)** ويندم على جهله، **(فكذلك المال والأهل والأقارب)** ففي الخبر «سيأتي زمان يكون هلاك أحدكم على يدي زوجته وولده» **(والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سبباً لهلاك الإنسان في بعض الأحوال)** إذا لم

هو أعز الأمور قد يكون سبباً لهلاكه، فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين أو صبياناً ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى، فما من شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا ويتصوّر أن يكون له فيه خيرة دينية، فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدّر فيه الخيرة ويشكره عليه، فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد، وغدا يشكره العباد على البلايا إذا رأوا ثواب الله على البلايا، كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه وأباه على ضربه وتأديبه، إذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب، والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد، فقد روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أوصني قال: «لا تتهم الله في شيء قضاه عليك» ونظر ﷺ إلى السماء فضحك فسئل فقال: «عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن: إن قضي له بالسراء رضي وكان خيراً له وإن قضي له بالضراء رضي وكان خيراً له».

---

يغضها عن الحرام، (**بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سبباً لهلاكه، فالملحدة**) الخارجون عن عقائد الجماعة (**غداً يتمنون أن لو كانوا مجانين أو صبياناً ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله**) عز وجل، فإن الذي أمامهم من زيغ عقائدهم إنما هو من تغليبهم جهة العقل على النقل، (**فما من شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا ويتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغداً يشكره العباد على البلايا**) والمصائب التي أصابتهم في الدنيا، (**إذا رأوا ثواب البلاء**) مضاعفاً (**كما يشكر الصبي بعد**) زمان (**العقل والبلوغ**) إلى مراتب الرجال (**أستاذه وأباه على ضربة وتأديبه إذ يدرك ثمرة ما استفاد من التأديب**) والضرب وهو العلم والمعرفة، (**والبلاء من الله تعالى**) على عباده (**تأديب**) لهم (**وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد، فقد روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أوصني قال «لا تتهم الله في شيء قضاه عليك»**) قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث عبادة بزيادة في أوله وفي إسناده إبن لهيعة، (**ونظر رسول الله ﷺ إلى السماء فضحك فسئل**) عن ضحكه (**فقال: «عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن إن قضى له بالسراء رضي وكان خيراً له وإن قضى له بالضراء رضي وكان خيراً له»**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث صهيب دون نظره إلى السماء وضحكه عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له. وللنسائي في اليوم والليلة من حديث سعد بن أبي وقاص: «عجبت من قضاء الله للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر» الحديث إنتهى.

قلت: حديث صهيب رواه كذلك أحمد والدارمي وابن حبان، وعند الطبراني «عجبت من قضاء الله للمسلم كله خير إن أصابته سراء فشكر آجره الله عز وجل وإن أصابته ضراء فصبر آجره

**الوجه الثاني:** إن رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا، ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور، ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه، فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها وصارت سجناً عليه، وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن، ولذلك قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن إليها، والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى الخروج منها، والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي،

---

الله عز وجل فكل قضاء قضاه الله للمسلم خير». وأما حديث سعد بن أبي وقاص فتمامه «وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر يؤجر المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته». ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والبيهقي في الضياء، وفي لفظ للطيالسي «عجبت للمسلم إذا أصابته مصيبة احتسب وصبر، وإذا أصابه خير حمد الله وشكر إن المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه». ورواه كذلك عبد بن حميد والبيهقي وفي الباب عن أنس «عجباً للمؤمن إن الله لا يقضي له قضاء إلا كان خيراً له». رواه كذلك إبن أبي شيبة وأبو يعلى وإبن منيع. وأما التبسم والنظر إلى السماء فقد روي من وجه آخر من حديث ابن مسعود قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فتبسم. قلنا يارسول الله: مم تبسمت؟ قال «عجبت للمؤمن وجزعه من السقم لو كان يعلم ماله من السقم لأحب أن يكون سقيماً حتى يلقى ربه عز وجل» ثم تبسم الثانية ورفع رأسه إلى السماء فنظر إليها فقالوا: مم تبسمت؟ قال «عجبت للملكين نزلا من السماء يلتمسان مؤمناً في مصلاه». الحديث.

(**الوجه الثاني: أن رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا**) كما ورد معنى ذلك في الخبر (**ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور**) بان يبعد عنها وعن الأسباب التي تقربه إليها (**ومؤاتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته**) لها لتعلق قلبه بها، (**وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه من الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها وصارت سجناً عليه وكان نجاته منها**) بالموت (**غاية اللذة كالخلاص من السجن**) فيفرح كما يفرح الذي خرج من سجن، (**ولذلك قال ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**) رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم. (**و**) ليس المراد بالكافر هنا من أشرك بالله في توحيده ولم يصدق رسوله، بل (**الكافر كل من أعرض عن الله تعالى**) بقلبه (**فلم يرد إلا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن اليها**) وهذا المعنى يتصوّر في بعض من تحلى بظاهر الايمان، (**والمؤمن**) هنا (**كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى**

وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق، فإذاً في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به، وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجاناً، أو يسقيك دواء نافعاً بشعاً مجاناً، فإنك تتألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرح، فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل، بل من دخل دار ملك للنضارة وعلم انه يخرج منها لا محالة، فرأى وجهاً حسناً لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالاً وبلاء عليه لأنه يورث الأنس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه، والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد، فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء، وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة؛ فمن عرف هذا تصوّر منه أن يشكر على البلايا، ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصوّر منه الشكر؛ لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة، ومن لا يؤمن بأن ثواب المصيبة أكبر

---

**الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب)** وتمكنه منه **(يسري فيه الشرك الخفي)** أخفى من دبيب النمل، **(بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق)** ولا يريد سواه، **(فإذاً في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به، وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجامة فمن يتولى حجامتك مجاناً)** بلا عوض **(أو يسقيك دواء نافعاً بشعاً)** أي كريهاً **(وهو مجان)** من غير عوض، **(فإنك تتألم وتفرح وتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرح، فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال)** ببشاعته **(وينفع في المآل)**، فالصبر يتعلق بالأول والشكر يتعلق بالثاني، **(بل من دخل دار ملك للنضارة)** أي التفرج **(وعلم أنه يخرج منها لامحالة فرأى وجهاً حسناً لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالاً وبلاء عليه لأنه يورثه الأنس بمنزل لا يمكنه المقام فيه، ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه)** يجب مقابلتها بالشكر، **(والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون منها من باب اللحد، فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء، ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصوّر منه الشكر على المصيبة)** وبه اتضح معنى الوجه الخامس.

من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة. وحكي أن اعرابياً عزى ابن عباس على أبيه فقال:

اصْبر نكن بك صابرين فإنما ... صبرُ الرعية بعد صبر الراسِ
خير من العباس أجرك بعده ... والله خير منك للعباسِ

فقال ابن عباس: ما عزاني أحد أحسن من تعزيته.

والأخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة، قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه» وقال ﷺ: «قال الله تعالى: «إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً» وقال عليه السلام: «ما من عبد أصيب بمصيبة

---

**( وحكي ان اعرابياً عزى ابن عباس على أبيه )** رضي الله عنهما **( فقال )**: ولفظ القوت: وحدثت أن العباس لما توفي قعد عبد الله للتعزية فدخل الناس أفواجاً يعزونه، فكان فيمن دخل اعرابي فأنشأ يقول:

**( اصبر نكن بك صابرين فإنما ... صبر الرعية بعد صبر الرأسِ**
**خير من العباس أجرك بعده ... والله خير منك للعباسِ**

**( فقال ابن عباس )** رضي الله عنه: **( ما عزاني أحد أحسن من تعزيته )** واستحسن ذلك، ثم قال صاحب القوت: وعندنا في قوله تعالى: ﴿إن الانسان لظلوم كفار﴾ [ إبراهيم: ٣٤ ] وقيل: ظلوم بالسخط كفار بالنعم، وفي قوله تعالى: ﴿إن الانسان لربه لكنود﴾ [ العاديات: ٦ ] قيل وهو الذي يشكو المصائب وينسى النعم، ولو علم أن مع كل مصيبة عشر نعم بحذائها وزيادة. قلت شكواه وبدلها شكراً، ثم إن المصائب لا تخلو من ثلاثة أقسام كلها نعم من الله تعالى. إما أن تكون درجة وهذا للمقربين والمحسنين، أو تكون كفارة وهذا لخصوص أصحاب اليمين وللأبرار، أو تكون عقوبة وهذا للكافة من المسلمين، فتعجيل العقوبة في الدنيا رحمة ونعمة ومعرفة هذه النعم طريق للشاكرين.

**( والأخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة )**. منها **( قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه» )** أي نيل منه بالمصائب ويبتليه بها. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: ورواه كذلك أحمد والنسائي وابن حبان وقد تقدم الكلام على هذا الحديث.

**( وقال ﷺ: قال الله تعالى: «إذا وجهت إلى عبدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له**

فقال: كما أمره الله تعالى: ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] اللهم آجرني في مصيبتي وأعقبني خيراً منها إلا فعل الله ذلك به»، وقال ﷺ: «قال الله تعالى: «من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي» وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال ﷺ: «لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه وإن الله إذا أحب عبداً ابتلاه وإذا ابتلاه صبّره»، وقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلي ببلاء في جسمه

---

**ديواناً»**) رواه الحكيم في النوادر والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وقد أغفله العراقي. (**وقال ﷺ: «ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي وأعقبني خيراً منها إلا فعل الله له ذلك»**) رواه الطيالسي وأحمد وأبو نعيم في الحلية من رواية أم سلمة عن أبي سلمة بلفظ: «ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فأجرني فيها وأعقبني منها خيراً إلا أعطاه الله ذلك». ورواه ابن سعد في الطبقات بلفظ «ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمره الله به من قول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي هذه وعِضني خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وكان قنّا أن يعوّضه الله خيراً منها». وقد أغفله العراقي: (**وقال ﷺ: قال الله تعالى: «من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي»**) رواه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث جرير بلفظ: «عوّضته عنهما الجنة». ورواه أبو يعلى وابن حبان والضياء من حديث بن عباس قال الله تعالى: «إذا أخذت كريمتي عبد فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة» وقد تقدم الكلام عليه. وأغفله العراقي.

(**وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي. فقال ﷺ: «لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه وإذا ابتلاه صبَّره»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من حديث أبي سعيد الخدري باسناد فيه لين انتهى.

قلت: الجملة الأولى وقد رويت من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي بلفظ: «لا خير في مال لا يرزأ وجسد لا ينال منه». والجملة الثانية روي نحوها من حديث أبي عتبة الخولاني بلفظ: «إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً ابتلاه فإذا ابتلاه اقتناه» قالوا: يا رسول الله وما اقتناه؟ قال «لم يترك له مالاً ولا ولداً» رواه الطبراني، وابن عساكر. وروى البيهقي من حديث أبي هريرة «إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه ليسمع صوته» وعند هناد ليسمع تضرعه. وعن الحسن مرسلاً: إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم. رواه البيهقي وروى أحمد من حديث محمود بن لبيد: إن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع.

(**وقال ﷺ «إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى**

فيبلغها بذلك » ، وعن خباب بن الأرث قال : أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردائه

---

**بلاء في جسمه فيبلغها بذلك» )** قال العراقي : رواه أبو داود في رواية ابن داسة وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده ، وليس في رواية اللؤلؤي . ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من هذا الوجه ، ومحمد بن خالد لم يرو عنه إلا أبو المليح الحسن بن عمر الرقي ، وكذلك لم يرو عن خالد إلا ابنه محمد . وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمى جده اللجلاج بن حكيم فالله أعلم ، وعلى هذا فابنه خالد بن اللجلاج هو غير خالد بن اللجلاج العامري ذاك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البز في الصحابة من رواية عبد الله بن أبي إياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده . ورواه البيهقي في رواية إبراهيم السلمي عن أبيه عن جده فالله أعلم انتهى .

ورواه كذلك هناد بن السري من حديث ابن مسعود ، ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة ، وصححه الحاكم وتعقب . وقال الحافظ في الإصابة : روى ابن شاهين من طريق الوليد بن صالح عن أبي المليح الرقي ، حدثنا محمد بن خالد بن زيد بن جارية بالجيم ، عن أبيه ، عن جده سمعت النبي ﷺ يقول : « إذا كان للعبد عند الله درجة لم ينله إياها ابتلاه في الدنيا ثم صبره على البلاء لينيله تلك الدرجة » . قال : وقد رواه ابن منده في ترجمة اللجلاج بن حكيم السلمي ، وزعم أنه أخو الحجاف بن حكيم وأنه في أهل الجزيرة وساق حديثه من طريق أبي المليح أيضاً إلا أنه لم يسم والد خالد ، بل قال عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده . وكذا أورده البخاري في ترجمة محمد بن خالد ، وأخرجه أبو داود من رواية ابن داسة عنه في السنن ، ولم أر والد خالد سمي إلا في رواية ابن شاهين . وقال البغوي في الكنى : أبو خالد السلمي جد محمد بن خالد ، ثم أورد له هذا الحديث من طريق أبي المليح عن محمد بن خالد السلمي عن جده وكانت له صحبة . وأما حديث أبي فاطمة فقال الحافظ في الإصابة في ترجمة أبي فاطمة الضمري ، قال البخاري ، قال ابن أبي أويس : حدثني أخي عن حماد بن أبي حميد عن مسلم بن عقيل مولى الزرقيين دخلت على عبيد وابن أبي إياس بن أبي فاطمة الضمري ، فقال : يا أبا عقيل حدثني أبي عن جدي قال : اقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : « أيكم يحب ان يصح فلا يسقم » الحديث . وفيه « ان الله ليبتلي المؤمن وما يبتليه إلا لكرامته عليه أو لعلة له فإن له منزلة عنده فلا يبلغه تلك المنزلة إلا ببلائه له » هكذا أورده في ترجمة أبي عقيل المذكور ، ووقع لن يعلو في المعرفة لابن منده من طريق أبي عامر العقدي عن محمد بن أبي حميد وهو حماد عن مسلم بن عقيل عن عبد الله بن أبي إياس عن أبيه عن جده . قال ابن منده : رواه رشدين بن سعد عن زهرة بن معبد عن عبد الله . قال الحافظ : إلا أنه سمى أباه أنساً بدل إياس . كذا قال : وقد ساقه الحاكم أبو أحمد من طريق رشدين فقال إياس ، فلعل الوهم في النسخة .

**( وعن خباب بن الأرتّ )** بتشديد المثناة بن جندلة بن سعد بن خزيمة التميمي ، ويقال الخزاعي أبو عبد الله أسلم سادس ستة وكان من المستضعفين شهد بدراً وما بعدها ، ونزل الكوفة

في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا: يا رسول الله ألا تدعو الله تستنصره؟ فجلس محمراً لونه ثم قال: « إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الأرض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه » وعن علي كرّم الله وجهه. قال: أيما رجل حبسه السلطان ظلماً فمات فهو شهيد، وإن ضربه فمات فهو شهيد، وقال عليه السلام: « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك » وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى، ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض

---

ومات بها سنة سبع وثلاثين منصرف علي من صفين عن ثلاث وستين سنة. **( قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا إليه، فقلنا: يا رسول الله ألا تدعو الله تستنصره لنا؟ فجلس محمراً لونه ثم قال: « إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الأرض حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعله فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه » )** قال العراقي: رواه البخاري.

قلت: ورواه كذلك أحمد وأبو داود والنسائي. وقال أبو نعيم في الحلية. حدثنا عبد الله بن جعفر بن إسحاق الموصلي، حدثنا محمد بن أحمد بن المثنى، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن خباب قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مضطجع في بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تدعو الله ألا تستنصر الله لنا فجلس محمراً وجهه ثم قال: « والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شيء أو يمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شيء وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون ».

**( وعن علي كرم الله وجهه قال: « إيما رجل حبسه السلطان فمات فهو شهيد فان ضربه فمات فهو شهيد )**. هذا أثر أورده في خلال الأخبار.

**( وقال ﷺ « من اجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك » )** تقدم الكلام عليه. وروى صاحب الحلية عن أبي الدرداء قال: ثلاث من ملاك أمر ابن آدم: لا تشك مصيبتك ولا تحدث بوجعك ولا تزك نفسك بلسانك.

**( وقال أبو الدرداء )** رضي الله عنه: **( تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى. ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت )**. وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق شعبة عن معاوية بن قسدة قال: قال أبو الدرداء: ثلاث أحبهن ويكرههن الناس: الفقر والمرض والموت. ومن طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن نشيخ عن أبي الدرداء قال: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب الفقر تواضعاً لربي، وأحب المرض تكفيراً

والموت. وعن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: « إذا أراد الله بعبد خيراً وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صباً وثجه عليه ثجاً فإذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وإن دعاه ثانياً فقال يا رب قال الله تعالى: لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير وأدخرت لك عندي ما هو أفضل منه، فإذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان: أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، يصب عليهم الأجر صباً كما كان يصب عليهم البلاء صباً فيودّ أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب »، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ الزمر: ١٠ ]. وعن ابن عباس

---

لخطيئتي. ومن طريق سعيد بن أبي هلال إن أبا الدرداء كان يقول: « يا معشر أهل دمشق ألا تستحيون تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تبلغون » الحديث.

**( وعن أنس )** رضي الله عنه **( قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا أراد الله بعبد خيراً وأراد أن يصافيه صبّ عليه البلاء صباً وثجه عليه ثجاً فإذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فإن دعاه ثانياً فقال: يا رب. قال الله تعالى: لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير أو ادخرت لك عندي ما هو أفضل منه، فإذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصيام والصدقة والحج، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صباً كما كانوا يصب عليهم البلاء صباً فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب »، فذلك قوله تعالى: ﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ )** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخصر منه دون قوله: « فإذا كان يوم القيامة » الخ. وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان. ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب بتمامه، وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرار بن عمرو وهو أيضاً ضعيف اهـ.

قلت: وروى الطبراني في الكبير من حديث أنس « إذا أحب الله عبداً صبّ عليه البلاء صباً وثجه ثجاً ». وروى البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلاً « إذا أحب الله عبداً ألصق به البلاء فإن الله يريد أن يصافيه ». وروى الديلمي من حديث علي « إذا رأيتم العبد ألم به الفقر والمرض فإن الله يريد أن يصافيه ». وروى ابن النجار في تاريخه من حديث عمر بن الخطاب « إذا كان يوم القيامة جيء بأهل البلاء فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان ولا يوضع لهم صراط ويصب عليهم الأجر صباً ». وروى الطبراني من حديث ابن عباس « يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب

رضي الله تعالى عنهما قال: شكا نبي من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه فقال: يا رب، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء، ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترىء عليك وعلى معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا، فأوحى الله تعالى إليه: «أنّ العباد لي والبلاء لي وكل يسبّح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب، فازوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه، حتى يلقاني فاجزيه بحسناته. ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا، حتى يلقاني فأجزيه بسيئاته». وروي انه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست يصيبك الأذى؟ ألست تحزن؟ فهذا مما تجزون به» يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك. وعن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الرجل يعطيه الله

---

ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب عليهم الأجر صباً، حتى أن أهل العافية في الدنيا ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم».

(**وعن ابن عباس**) رضي الله عنه (**قال: شكا نبي من الأنبياء**) يعني من بني إسرائيل (**إلى ربه فقال: يا رب المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا**) أي تصرفها عنه (**وتعرض له البلاء**) من الفقر والمرض، (**ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترىء عليك وعلى معاصيك تزوي عنه البلاء**) أي تصرفه عنه (**وتبسط له الدنيا، فأوحى الله إليه أن العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي**) كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الاسراء: ٤٤] (**فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون**) ذلك (**كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته، ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني**) في الآخرة (**فأجزيه بسيئاته**). وهذا أيضاً أثر أورده في خلال الاخبار.

(**وروي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ «غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض أليس يصيبك الأذى أليس تحزن فهذا ما تجزون به» يعني أن جميع ما يصيبك**) من المرض والأذى والحزن (**يكون كفارة لذنوبك**). قال العراقي: رواه أحمد من رواية من لم يسم عن أبي بكر، ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه قال: وليس له إسناد صحيح. وقال الدارقطني: وروي أيضاً من حديث عمر، ومن حديث الزبير قال: ليس فيها شيء يثبت.

ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، يعني لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير ﴿حَتَّى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ [الأنعام: ٤٤] أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة».

وعن الحسن البصري رحمه الله: أن رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية، فكلمها ثم تركها، فجعل الرجل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا» وقال علي كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا: بلى فقرأ عليهم: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو

---

(**وعن عقبة بن عامر**) الجهني رضي الله عنه، (**عن النبي ﷺ انه قال :إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج، وقرأ قوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ يعني لما تركوا ما أمروا**) به (**فتحنا عليهم أبواب الخير ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة»**) أي فجأة. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن.

(**وعن الحسن**) بن يسار (**البصري رحمه الله تعالى أن رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها، فجعل الرجل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً عجّل له عقوبة ذنبه في الدنيا»**) قال العراقي: رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن مغفل مرفوعاً متصلاً، ووصله الطبراني أيضاً من رواية الحسن عن عمار بن ياسر، ورواه أيضاً من حديث ابن عباس، وقد روى الترمذي وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي اهـ.

قلت: ورواه هناد بن السري من مرسل الحسن «إذا أراد الله بعبد خيراً عجّل له عقوبته في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد شراً أخّر عقوبته إلى يوم القيامة حتى يأتيه كأنه غيره فيطرحه في النار». ورواه الحاكم من حديث أنس، وابن عدي من حديث أبي هريرة بلفظ «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة». وحديث الحسن عن عبد الله بن مغفل قد رواه أيضاً الحاكم والبيهقي.

(**وقال علي كرم الله وجهه: ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن؟ قالوا: بلى. فقرأ عليهم**) قوله تعالى: (**﴿ومَا أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ قال: فالمصائب في**

عَنْ كَثِيرٍ﴾ [ الشورى: ٣٠ ] ، فالمصائب في الدنيا بكسب الأوزار ، **فإذا عاقبه الله في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً ، وإن عفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة** . وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ **قال: « ما تجرّع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله ، أو قطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله . وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة وخطوة إلى صلة الرحم »** . وعن أبي الدرداء **قال: توفي ابن لسليمان بن داود**

---

**الدنيا بكسب الأوزار )** أي بسبب ارتكابها ، **( فإذا عاقبه الله في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً وإن عفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة )** تقدم قريباً حديث علي من رواية الترمذي بلفظ: « من أصاب في الدنيا ذنباً عوقب به والله اعدل من أن يثني عقوبته على عبده ، ومن أصاب حداً فيستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من ان يعود في شيء قد عفا عنه » ومن رواية ابن ماجه إلا أنه قال: « من أصاب حداً فعجل عقوبته في الدنيا فالله أعدل » الحديث . وقد رواه أيضاً ابن أبي الدنيا في حسن الظن ، والحاكم والبيهقي .

**( وعن أنس )** رضي الله عنه ، **( عن النبي ﷺ قال « ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم و )** من **( جرعة مصيبة يصبر الرجل لها ، ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله ، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله من خطوة إلى الصلاة الفريضة و )** من **( خطوة إلى صلة الرحم » )** قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر القطرتين ، وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث . وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد جيد « ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله » . وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي امامة « ما قطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل » الحديث وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث اهـ .

قلت: وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عباس « ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد إلا ملأ الله جوفه إيماناً » ويروى حديث ابن عمر بلفظ: « ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله » هكذا رواه أحمد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب ، والطبراني والبيهقي: وروى ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلاً « ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظمها رجل أو جرعة صبر على مصيبة وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم اهريقت في سبيل الله » . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر: « ما من خطوة أعظم أجراً من خطوة مشاها رجل إلى صف يسده » .

عليهما السلام فوجد عليه وجداً شديداً فأتاه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم، فقال أحدهما: بذرت بذراً فلما استحصد مرّ به هذا فأفسده، فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: أخذت الجادة فأتيت على زرع فنظرت يميناً وشمالاً فإذا الطريق عليه، فقال سليمان عليه السلام: ولم بذرت على الطريق، أما علمت أن لا بدّ للناس من الطريق؟ قال: فلم تحزن عن ولدك، أما علمت أن الموت سبيل الآخرة؟ فتاب سليمان إلى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك. ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك، فقال: يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي إليه ابنة له، فاسترجع وقال: عورة سترها الله تعالى، ومؤنة كفاها الله، وأجر قد ساقه الله، ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال: قد صنعنا ما أمر الله تعالى: قال تعالى: ﴿واسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاَةِ﴾ [ البقرة: ٤٥ ] وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فعزاه مجوسي يعرفه، فقال

---

وتمام حديث أبي أمامة عند الديلمي بعد قوله سواد الليل من خشية الله لا يراه أحد إلا الله عز وجل.

**( وعن أبي الدرداء )** رضي الله عنه **( قال: توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجداً شديداً فأتاه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم فقال أحدهما: بذرت بذراً فلما استحصد )** أي حان أن يحصد **( مرّ به هذا فأفسده. فقال سليمان للآخر: ما تقول؟ فقال: أخذت الجادة )** أي شارع الطريق الذي يسلكه الناس **( فأتيت على زرع فنظرت يميناً وشمالاً فإذا الطريق عليه، فقال سليمان عليه السلام )** للرجل المدعي: **( ولم بذرت على الطريق أما علمت أن لا بدّ للناس من الطريق؟ قال )** الرجل: **( فلم تحزن على ولدك أما علمت أن الموت سبيل الآخرة )** لا بدّ للناس من المرور عليها، **( فتاب سليمان )** عليه السلام **( إلى ربه )** لما نبهه على ذلك **( ولم يجزع على ولد بعد ذلك. ودخل عمر بن عبد العزيز )** الأموي رحمه الله تعالى **( على ابن له مريض )** قيل هو عبد الملك **( فقال )** له: **( يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إليَّ من أن أكون في ميزانك فقال: يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب )** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

**( و )** يروى **( عن ابن عباس )** رضي الله عنه **( أنه نعي إليه ابنة له )** أي أخبر بموتها **( فاسترجع )** أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون وصبر **( وقال: عورة سترها الله )** تعالى **( ومؤنة كفاها الله )** تعالى **( وأجر ساقه الله )** تعالى، **( ثم نزل )** عن سريره **( فصلّى ركعتين ثم قال: قد صنعنا ما أمر الله )** تعالى قال الله تعالى **﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾**.

**( و )** يحكى **( عن ابن المبارك )** عبد الله رحمه الله تعالى **( أنه مات ابن له فعزاه مجوسي**

له: ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، فقال ابن المبارك: اكتبوا عنه هذه. وقال بعض العلماء: إن الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الأرض وما له ذنب. وقال الفضيل: إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير. وقال حاتم الأصم: إن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسليمان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بأيوب صلوات الله عليهم. وروي أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك، فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار إلى رأس زكريا، فأنَّ منه أَنَّةً، فأوحى الله تعالى إليه يا زكريا لئن صعدت منك أنَّه ثانية لأمحونَّك من ديوان النبوّة، فعض زكريا عليه السلام

---

يعرفه فقال له: **ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام)** يعني الصبر. **( فقال ابن المبارك)** لأصحابه: **( اكتبوا عنه هذه )** القولة أي فإنها من الحكم.

**( وقال بعض العلماء: إن الله عز وجل ليبتلي العبد بالبلاء حتى يمشي على الأرض وما له ذنب )** ومضى هذا في الحديث المرفوع. روى الطبراني من رواية محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه « إن الله يبتلي عبده بالسقم حتى يكفر عنه كل ذنب » وروى الحاكم وتمام وابن عساكر من حديث أبي هريرة « إن الله ليبتلي عبده المؤمن بالسقم حتى يخفق يكفر ذلك عنه كل ذنب ».

**( وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **( إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير )**. وقد روي نحو ذلك في المرفوع روى الروياني وأبو الشيخ والحسن بن سفيان وابن عساكر وابن النجار من حديث حذيفة « إن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير » الحديث.

**( وقال حاتم الأصم)** رحمه الله تعالى: **( إن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس: على الأغنياء بسليمان)** بن داود، **( وعلى الفقراء بالمسيح )** عيسى بن مريم، **( وعلى العبيد )** أي الأرقاء **( بيوسف )** بن يعقوب، **( وعلى المرضى بأيوب صلوات الله عليهم )** أجمعين.

**( وروي أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل)** لما أحسّ منهم الشر **( واختفى في الشجرة )** فإنها انشقت بنصفين فدخل في بطنها ثم التأمت **( فعرفوا ذلك )**، وذلك أن ابليس أمسك طرفاً من ثوبه فبقي بارزاً، فلما جاء بنو اسرائيل يفتشون عليه فأخبرهم أنه في بطن الشجرة فلم يصدقوه فأراهم طرف ثوبه فعرفوه، **( فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار إلى رأس زكريا )** عليه السلام **( فأنّ منه أنة )** أي من ألم ما لقي من المنشار، **( فأوحى الله تعالى إليه )** ان **( يا زكريا لئن صعدت منك أنة ثانية لأمحونّك من ديوان**

على الصبر حتى قطع شطرين. وقال أبو مسعود البلخي: من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً أو ضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل. وقال لقمان رحمه الله لابنه: يا بني إن الذهب يجرّب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء، فإذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. وقال الأحنف بن قيس أصبحت يوماً أشتكي ضرسي، فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثاً، فقال: لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد. وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام: «إذا نزلت بك بلية فلا

---

**النبوّة، فعض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع بشطرين)** ولم يئن. ويقال: إنه كان يذكر حين وصل المنشار إلى حلقه الشريف فما زال يذكر من حلقه حتى نشر، وسموا هذا الذكر ذكر المنشار وهو من أذكار أتباع القطب بابا أحمد الميسوي قدس سره.

**(وقال أبو مسعود البلخي)** رحمه الله تعالى: **(من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً أو ضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل)** هكذا في النسخ، وأبو مسعود هذا لم أعرف من حاله شيئاً وفي بعض النسخ ابن مسعود فليحرر.

**(وقال لقمان)** رحمه الله تعالى **(لابنه: يا بني إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء، وإذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط)** يستأنس للشطر الأول بما رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي أمامة: «إن الله ليجرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار، فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز فذاك الذي حماه الله من الشبهات، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك، فذاك الذي يشك بعض الشك، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذاك الذي قد افتتن» قال الحاكم: صحيح وقد تعقب بعفير بن معدان وهو ضعيف. وأما الشطر الثاني: فقد رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي والضياء من حديث أنس: «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم» ورواه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه مرسلاً، وروى أحمد والبيهقي من حديث محمود بن لبيد «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع».

**(وقال)** أبو بحر **(الأحنف بن قيس)** بن معاوية التميمي السعدي البصري وكان احنف الرجلين جميعاً واسمه صخر ثقة مأمون قليل الحديث: **(اصبحت يوماً اشتكي ضرسي فقلت لعمي)** صعصعة بن معاوية بن حصين التميمي له صحبة **(ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثاً. فقال: اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد)** قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن سلام، عن الأحنف بن قيس أنه قال لأصحابه أتعجبون من حلمي وخلقي وإنما هذا شيء استفدته من عمي صعصعة بن معاوية شكوت إليه وجعاً في بطني فأسكتني مرتين ثم قال لي: يا ابن أخي لا تشك الذي نزل بك إلى أحد فإن

**تشكني إلى خلقي واشك إلي كما لا أشكوك إلى ملائكتي إذا صعدت مساويك وفضائحك » نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجميل في الدنيا والآخرة.**

## بيان فضل النعمة على البلاء:

لعلك تقول: هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعم، فهل لنا أنْ نسأل الله البلاء؟ فأقول: لا وجه لذلك. لما روي عن رسول الله ﷺ: إنه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة، وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام: « ربنا

---

الناس رجلان: إما صديق فيسوءه وإما عدوّ فيسره، ولكن أشك الذي نزل بك إلى الذي ابتلاك ولا تشك قط إلى مخلوق مثلك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه مثل الذي نزل بك. يا ابن أخي إن لي عشرين سنة لا أرى بعيني هذه سهلاً ولا جبلاً فما شكوت ذلك لزوجتي ولا غيرها اهـ.

وروى المزي في تهذيب الكمال عن الأحنف قال: ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما شكوتها لأحد. **( وأوحى الله إلى عزير عليه السلام )**: يا عزير: **( إذا نزلت بك بلية فلا تشكني إلى خلقي كما لا أشكوك إلى ملائكتي إذا صعدت بمساوئك وفضائحك )** رواه الديلمي من حديث أبي هريـرة بلفظ: « أوحى الله تعالى إلى أخي العزير إن أصابتك مصيبة فلا تشكني إلى خلقي فقد أصابني منك مصائب كثيرة ولم أشكك إلى ملائكتي يا عزير اعصني بقدر طاقتك على عذابي وسلني حوائجك على مقدار عملك لي ولا تأمن من مكري حتى تدخل جنتي فاهتز عزير يبكي فأوحى الله تعالى إليه لا تبك يا عزير فإن عصيتني بجهلك غفرت لك بحلمي لأني كريم لا أعجل بالعقوبة على عبادي وأنا أرحم الراحمين ».

### بيان فضل النعمة على البلاء:

**( لعلك تقول: )** إن **( هذه الأخبار )** التي سقتها بتمامها **( تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعيم )** لما يترتب عليه من الثواب الجزيل، **( فهل لنا أن نسأل الله البلاء )** لحوز ذلك الثواب الموعود؟ **( فأقول: لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله ﷺ إنه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا والآخرة )** قال العراقي: رواه أحمد من حديث بسر بن أبي أرطاة بلفظ: « أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » وإسناده جيد. ولأبي داود من حديث عائشة: « اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة » وفيه بقية وهو مدلس ورواه بالعنعنة اهـ.

قلت: حديث بسر بن أبي أرطاة رواه أيضاً ابن حبان والباوردي وابن قانع وابن أبي عاصم والطبراني والحاكم والضياء ولفظه: « اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » وفي لفظ للطبراني: « اللهم أحسن عاقبتي في الأمور كلها واجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة من كان ذلك دعاء مات قبل أن يصيبه البلاء ». وروى مسلم وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر: « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحوّل عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع

آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء وغيرها. وقال علي كرّم الله وجهه: اللهم إني أسألك الصبر، فقال ﷺ: « لقد سألت الله البلاء فاسأله العافية »، وروى الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « سلوا الله العافية، فما أعطي أحد أفضل من العافية إلا اليقين »، وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والشك، فعافية القلب أعلى من عافية البدن. وقال الحسن رحمه الله:

---

سخطك » **( وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام: « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » )** قال العراقي: رواه الشيخان من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ يقول: « اللهم آتنا » الحديث. ولأبي داود والنسائي من حديث عبدالله بن السائب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الركعتين: « ربنا آتنا » الحديث اهـ.

قلت: عند الشيخين بزيادة وقنا عذاب النار » وكذلك رواه أحمد وأبو داود. وأما دعوة الأنبياء عليهم السلام كذلك فقد تقدم في كتاب الحج.

**( وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء وغيره )** رواه أحمد والنسائي والطبراني والحاكم من حديث عبدالله بن عمرو: « : اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماته الأعداء » وقد تقدم في كتاب الدعوات.

**( وقال علي كرم الله وجهه )** في مرضه: **( اللهم إني أسألك الصبر، فقال ﷺ: « لقد سألت الله البلاء فاسأله العافية » )** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه ولم يسم علياً وإنما قال: سمع رجلاً، وله وللنسائي في اليوم والليلة من حديث علي: كنت شاكياً فمر بي رسول الله ﷺ وأنا أقول الحديث وفيه: وإن كان بلاء فصبرني فضربه برجله وقال: « اللهم عافه واشفه » وقال: حسن صحيح.

**( وروى )** أبو بكر **( الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « سلوا الله العافية فما أعطي أحد أفضل من العافية إلا اليقين » )** أورده صاحب القوت إلا أنه قال: « فما أعطى عبد ». وقال العراقي: رواه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد جيد وقد تقدم.

قلت: ورواه أحمد والحميدي والعوفي في مسانيدهم، والترمذي وحسنه والضياء بلفظ: « سلوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية ». ورواه ابن أبي شيبة وأحمد أيضاً والحاكم بلفظ: « سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيراً من العافية ». ورواه البيهقي في الشعب بلفظ: « سلوا الله اليقين والعافية ».

**( وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الجهل والشك، فعافية القلب أعلى من عافية البدن )** ولفظ القوت بعد إيراد حديث أبي بكر رضي الله عنه، ففضَّل العافية على كل عطاء ورفع اليقين فوق العافية لأن بالعافية يتم نعيم الدنيا واليقين معه وجود نعيم الآخرة، فلليقين فضل على

الخير الذي لا شر فيه: العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر. وقال مطرّف بن عبدالله: لأن أعافى فأشكر، أحب إلي من أن أبتلى فأصبر. وقال ﷺ في دعائه: « وعافيتك أحب إليّ »، وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل واستشهاد، وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين: أحدهما بالإضافة إلى ما هو أكثر منه إما في الدنيا أو في الدين، والآخر بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب؛ فينبغي أن يسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء، ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فإنه قادر

---

العافية كفضل الدوام على الإنتقال، والعافية سلامة الأبدان من العلل والأسقام، واليقين سلامة الأديان من الزيغ والأهواء. فهاتان نعمتان يستوعبان عظيم الشكر من العبد كما استوعب القلب والجسم جسيم النعمة من الملك، ومن أقوى المعاني في قوله عز وجل ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [ الشعراء: ٨٩ ] أي سالم من الشك والشرك، والسالم الصحيح المعافى بوجود عافية اليقين في القلوب عدم الشك والنفاق وهي أمراض القلوب كما قال: ﴿في قلوبهم مرض﴾ [ البقرة: ١٠ ] قيل: شك ونفاق. وعافية القلب أيضاً من الكبائر كما قال تعالى: ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ [ الأحزاب: ٣٢ ] يعني الزنا.

( **وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر** ) والصبر عند المصيبة، ( **فكم من منعم عليه غير شاكر** ) وكم من مبتلى غير صابر نقله صاحب القوت. وروي نحوه عن مطرف بن عبدالله أنه كان يقول: نظرت ما خير لا شر فيه ولا آفة، ولكل شيء آفة فما وجدته إلا أن يعافى عبد فيشكر. ( **وقال مطرف بن عبدالله** ) بن الشخير البصري رحمه الله تعالى من ثقات التابعين تقدمت ترجمته: ( **لأن أعافى فاشكر أحب إليَّ من أن ابتلى فأصبر** ) أي لأن مقام العوافي أقرب إلى السلامة، فلذلك اختار حال الشكر على الصبر لأن الصبر حال أهل البلاء كذا في القوت. وهذا القول رواه أبو نعيم في الحلية، حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا أبوّ عوان عن قتادة قال، قال مطرف لأن أعافى فذكره. ( **و** ) معنى ذلك فيما ( **قال ﷺ في دعائه: « وعافيتك أحب إليَّ** ) كذا في القوت. قال العراقي: رواه ابن الجوزي في السيرة في دعائه يوم خرج إلى الطائف بلفظ: « وعافيتك أوسع لي » وكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلاً، ورواه أبو عبدالله بن منده من حديث عبدالله بن جعفر مسنداً وفيه من يجهل، ( **وهذا أظهر من أن يحتاج إلى** ) إقامة ( **دليل واستشهاد، وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين. أحدهما: بالإضافة إلى ما هو أكثر منه إما في الدنيا أو في الدين و** ) الإعتبار ( **الآخر بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب** ) وقد يفترقان وقد يجتمعان، ( **فينبغي أن يسأل الله تعالى تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على النعمة** ) وروى الطبراني من

على أن يعطي على الشكر ما لا يعطيه على الصبر . فإن قلت: فقد قال بعضهم: أود أن أكون جسراً على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون وأكون أنا في النار . وقال سمنون رحمه الله تعالى:

وليس لي في سـواك حـظ فكيفما شئـت فـاختبرني

فهذا من هؤلاء سؤال للبلاء ! فاعلم أنه حكي عن سمنون المحب رحمه الله أنه بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر، فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب ويقول للصبيان: ادعوا لعمكم الكذاب، وأما محبة الإنسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير

---

حديث أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك النعمة وتمامها. فقال: «أتدري ما تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار» **(فإنه)** تعالى **(قادر على أن يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر . فإن قلت: فقد قال بعضهم: أودّ أن أكون جسراً على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون وأكون أنا في النار)** فهل هذا القول صحيح أم لا ؟ **(وقال سمنون)** بن حمزة البغدادي أبو الحسن، وقيل أبو القاسم، ويعرف بالمحب صحب السري وأبا أحمد القلانسي ومحمد بن علي القصاب، وأكثر كلامه في المحبة وكان كبير الشأن مات قبل الجنيد كما قيل **(رحمه الله تعالى)**:

**(وليس لي في سـواك حـظ فكيفما شئـت فـاختبرني)**

إن كـان يـرجـو سـواك قلبي لا نلـت سـؤلي ولا التمني

ومن هذا الوادي قوله أيضاً

وكان فؤادي خالياً قبل حبكم وكان يذكر الخلق يلهو ويمرح

فلما دعا قلبي هواك أجابه فلست أراه عن فنائك يبرح

رميت ببين منك إن كنت كاذباً وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح

وإن كان شيء في البلاد بأسرها إذا غبت عن عيني بعيني يصلح

فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

**(فهذا)** وأمثال ذلك **(من كلام هؤلاء)** المحبين الهائمين **(سؤال للبلاء)** وتعرض له. **(فاعلم أنه حكي عن سمنون)** قائل هذا الكلام **(أنه بلي بعد)** إنشاده **(هذا البيت بعلة الحصر)** أي احتباس البول من ساعته فمكث أربعة عشر يوماً يلتوي كما تلتوي الحية على الرمل يتقلب يميناً وشمالاً واعترف بالعجز من نفسه، **(فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب)** التي فيها الصبيان يتعلمون القرآن **(ويقول للصبيان)** لكونهم لم يذنبوا وهم مشتغلون بتعلم كتاب الله تعالى رجاء إجابة دعائهم: **(ادعوا لعمكم الكذاب)** في دعواه نقله القشيري في الرسالة، ثم قال: وقيل بل أنشد هذه الأبيات فقال بعض أصحابه لبعض: سمعت البارحة وكنت بالرستاق

ممكنة ، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظنّ المحب بنفسه حباً لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ، ومن سكر توسع في الكلام ، ولو زايله سكره علم أن ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة لها ، فما سمعته من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين أفرط حبهم ، وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعوّل عليه ، كما حكي أن فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه ، فقال : ما الذي يمنعك عني ، ولو أردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهراً لبطن لفعلته لأجلك ؟ فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال : يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى ، وهو كما قال . وقال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما أريد لما يريد

وهو أيضاً محال ، ومعناه إني أريد ما لا يريد ، لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر ،

---

صوت أستاذناً سمنون يدعو الله ويتضرع إليه ويسأله الشفاء ، فقال آخر : وأنا أيضاً كنت سمعت هذا البارحة وكنت بالموضع الفلاني ، فقال ثالث ورابع مثل هذا : فأخبر سمنون وكان قد امتحن بعلة الحصر وكان يصبر ولا يجزع ، فلما سمعهم يقولون هذا ولم يكن هو دعا ولا نطق بشيء علم بأن المقصود إظهار الجزع تأدباً بالعبودية وستر الحالة فأخذ يطوف على المكاتب ويقول : ادعوا لعمكم الكذاب اهـ .

قال الشارح : يقال أنه لما أطلق بوله قال : يا رب تبت إليك وأنشد :

أنا راضٍ بطول صدك عني ... ليس إلا لأن ذاك هواكا

فامتحن بالجفا ضميري على الود ... ودعني معلقاً برجاكا

( وأما محبة الإنسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكن ، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حباً لمثل ذلك ، فمن شرب كأس المحبة سكر ، ومن سكر توسع في الكلام ، ولوزايله سكره ) أي فارقه ( علم أن ما غلب عليه كان حالة ) عارضة ( لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن فهو من كلام العشاق ) في حال الإستغراق ( الذين أفرط بهم حبهم ) وأشربوا قلوبهم إياه ( وكلام ) العشاق المهيمين ( يستلذ سماعه ولا يعول عليه ) ولا يستشهد به على مقام ، ( كما حكي أن فاختة ) طائر معروف ( كان يراودها زوجها ) للسفاد ( فتمنعه ) منه ( فقال ) لها : ( ما يمنعك عني ولو أردت أقلب لك ملك سليمان ظهراً لبطن لفعلت لأجلك فسمعه سليمان عليه السلام ) لأنه كان قد أوتي منطق الطير ( فاستدعاه وعاتبه فقال : يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال ) ومن هذا القبيل كلام الليل يمحوه النهار ( وقول الشاعر ) :

( أريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما أريد لما يريد )

( هو أيضاً محال ، ومعناه : أني أريد ما لا أريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر

فكيف أراد الهجر الذي لم يرده، بل لا يصدق هذا الكلام إلا بتأويلين.

**أحدهما**: أن يكون ذلك في بعض الأحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به إلى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب، والوسيلة إلى المحبوب محبوبة، فيكون مثاله مثال محب المال إذا أسلم درهماً في درهمين فهو بحب الدرهمين يترك الدرهم في الحال.

**الثاني**: أن يصير رضاه عنده مطلوباً من حيث أنه رضاه فقط ويكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته، فعند ذلك يتصوّر أن يريد ما فيه الرضا، فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين إلى أن صارت لذتهم في البلاء مع استشعارهم رضا الله عنهم أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا، فهؤلاء إذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء أحب إليهم من العافية، وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت، وإن ثبتت مثلاً فهل هي حالة صحيحة أم

---

**الذي لم يرده)** ولا يبعد أنه أراد أن لا تكون له إرادة بدون إرادة الله، وان تكون إرادته تابعة لإرادته وصلاً أو هجراً قرباً أو بعداً. وفيه قال أبو يزيد قدس سره لما قيل له ما تريد ؟ قال: أريد أن لا أريد.

واعترضه صاحب منازل السالكين فقال: هذه أيضاً إرادة ونوقش بأنها ارادة مطلوبة وبأنها داخلة في قوله أريد.

والحاصل أنه من باب كمال الرضا، **(بل لا تصدق في الكلام إلا بتأويلين)**.

**(أحدهما: أن يكون ذلك في بعض الأحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به إلى مراد الوصال في الإستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا، والرضا وسيلة الوصال إلى المحبوب، والوسيلة إلى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال محب المال إذا أسلم درهماً في درهمين فهو محب الدرهمين بترك الدرهم في الحال)**.

**(الثاني: أن يصير رضاه عنده مطلوباً من حيث أنه رضاه فقط وتكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته، فعند ذلك يتصور أن يريد ما فيه الرضا، فلذلك قد انتهى حال بعض المحببين إلى أن صارت لذتهم في استشعارهم رضا الله تعالى عنهم أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا، فهؤلاء إذا قدروا رضاه في البلاء أحب إليهم من العافية، وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب)** وجذبات الشوق، **(ولكنها لا تثبت)** بل تزول وتنتقل وهكذا شأن الأحوال، **(وإن ثبتت مثلاً فهي حالة صحيحة)** مستقلة **(أم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على**

حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال؟ هذا فيه نظر، وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه، وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى المنان بفضله على جميع خلقه العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين.

## بيان الأفضل من الصبر والشكر:

اعلم أنّ الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون: الصبر أفضل من الشكر. وقال آخرون: الشكر أفضل. وقال آخرون: هما سيّان. وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال، واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل، فلا معنى للتطويل

---

**القلب فمالت به عن الإعتدال هذا فيه نظر)** ومحل تأمل، والذي يظهر أن الحق القول الثاني وأنها تنشأ عن حالة أخرى ترد على القلب، **(وذكر تحقيقه)** بالتفصيل **(لا يليق بما نحن فيه)** لأنه من علوم المكاشفة، **(وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء، فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين)**.

### بيان الأفضل من الصبر والشكر:

**(اعلم)** وفقك الله تعالى **(أن الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون: الصبر أفضل من الشكر)** وهم الأكثرون، وظاهر الكتاب والسنة يدلان عليه. **(وقال آخرون: الشكر أفضل)** من الصبر وقد ذهب إليه بعض العارفين ورجحوه بسبع ترجيحات، وسيأتي ذكرها في آخر الباب، **(وقال آخرون: هما سيان)** أي مستويان في الدرجة والمقام **(لا فضيلة لأحدهما على الآخر)** إذ كل منهما مقام، وليس يمكن الترجيح بين مقامين لأن في كل مقام طبقات متفاوتة وهذا مذهب القدماء من العلماء إذ سئل بعضهم عن عبدين ابتلي أحدهما فصبر وأنعم على الآخر فشكر، فقال: كلاهما سواء لأن الله تعالى أثنى على عبدين أحدهما صابر والآخر شاكر بثناء واحد، فقال في وصف أيوب عليه السلام ﴿نعم العبد إنه أوّاب﴾ [ ص: ٤٤ ] وقال في وصف سليمان عليه السلام: ﴿نعم العبد إنه أوّاب﴾ [ ص: ٣٠ ] وهذا المذهب مرجوح كما سيأتي بيانه. **(وقال آخرون: يختلف ذلك باختلاف الأحوال)** وهذا مذهب المحققين من أهل المعرفة يقولون: إنه لا يجتمع عبـدان في مقام بالسواء لا بد أن يكون أحدهما بعمل أو علم أو وجد أو مشاهدة لتفاوت أوجه بمشاهدات، وإن كان الصواب والقصد واحداً وقال الله تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾ [ البقرة: ١٤٨ ] وقال تعاى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ [ الإسراء: ٨٤ ] قيل: اقصد وأقرب طريقاً، **(واستدل كل فريق بكلام، شديد**

بالنقل، بل المبادرة إلى إظهار الحق أولى. فنقول: في بيان ذلك مقامان:

**المقام الأول:** البيان على سبيل التساهل: وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش بحقيقته وهو البيان الذي ينبغي أن يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة، وهذا الفن من الكلام الذي ينبغي أن يعتمده الوعاظ، إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم، والظئر المشفقة لا ينبغي أن تصلح الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوات، بل باللبن اللطيف، وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة إلى أن يصير محتملاً لها بقوّته، ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول: هذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشرع، وذلك يقتضي تفضيل الصبر، فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة في فضله فإذا أضيف إليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر، بل فيه ألفاظ صريحة في التفضيل كقوله ﷺ: « من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر »، وفي الخبر:

---

**الإضطراب بعيد عن التحصيل، فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة إلى إظهار الحق أولى. فنقول: في بيان ذلك مقامان.**

( **المقام الأول: البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش** ) والبحث ( **بحقيقته، وهو البيان الذي ينبغي أن يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة** ) أي الخفية، ( **وهذا الفن** ) أي النوع من الكلام ( **هو الذي ينبغي أن يعتمده الوعاظ** ) في وعظهم ( **إذ** ) هم حكام العامة، و( **مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم** ) بحسب حالهم، ( **والظئر المشفقة** ) وهي بالكسر وسكون الهمزة المرأة تحضن ولد غيرها ( **لا ينبغي أن تصلح الصبي الطفل** ) الرضيع ( **بالطيور السمان وضروب الحلاوات** ) فإنها تضر بمعدته، ( **بل باللبن اللطيف. وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة** ) ولذائذ الأغذية ( **إلى أن يصير محتملاً لها بقوته** ) التي تنمو فيه على التدريج، ( **ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته، فنقول: هذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل، ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من مورد الشرع** ) من الكتاب والسنة، ( **وذلك يقتضي تفضيل الصبر** ) على الشكر، ( **فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة في فضله** ) مما تقدم بعضها ( **فإذا أضيف إليه ما ورد في فضيلة الصبر كان فضائل الصبر أكثر، بل ألفاظ صريحة في التفضيل** ) أما من الكتاب فكقوله تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ [ القصص: ٥٤ ] فالشكر يؤتى أجره مرة، فأشبه مقام الصبر مقام الخوف وأشبه مقام الشكر مقام الرجاء، وقد قال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [ الرحمن: ٤٦ ] وقد اتفقوا على تفضيل الخوف على الرجاء من حيث

« يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له: أما ترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر، فيقول: نعم يا رب، فيقول الله تعالى: كلا، أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين » وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ الزمر: ١٠ ] وأما قوله: « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »، فهو دليل على أنّ الفضيلة في الصبر، إذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر، فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته، ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة في الشكر، وهو كقوله ﷺ: « الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة

---

اتفق أهل المعرفة على فضل العلم على العمل، فالصبر من مقامه الخوف وقرب حال الصابر في الفضل من مقامه، والشكر حال من مقامات الرجاء كذلك يقرب حال الشاكرين من قربه، ومن السنة ( **كقوله ﷺ: « من أفضل ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر »** ) ومن أوتي خصلة منها لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار، وقد تقدم الكلام عليه في مبحث الصبر فقرب الصبر باليقين الذي لا شيء أعز منه ولا أجل وارتفاع الأعمال وعلو العلوم به. ( **وفي الخبر: « يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له: أما ترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول: نعم يا رب. فيقول الله تعالى: كلا، أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر** ) عليه ( **فيعطي أضعاف جزاء الشاكرين »** ) كذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً، ( **وقد** ) يفضل الصبر على الشكر بوجه آخر، وهو أن الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لأنه على النفس أشق. ( **قال الله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** )والشاكر يؤتى أجره بحساب لأنه إنما هو تحقيق الوصف ونفي ما عداه، وقد رفع علي رضي الله عنه الصبر على أرفع مقامات اليقين فقال: في حديثه الطويل الذي وصف فيه شعب الإيمان والصبر على أربع دعائم؛ على الشوق والإشفاق والزهد والتقريب، فمن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات، فجعل هذه المقامات أركان الصبر لأنها توجد عنه ويحتاج إليه في جميعها وجعل الزهد أحد أركانه. ( **وأما قوله** ) ﷺ: ( **« الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »** ) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم، ( **فهو دليل على الفضيلة في الصبر إذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر، فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته، لولا أنه فهم من علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله ﷺ الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل »** ) قال العراقي: رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده بالشطر الأول من حديث أبي موسى بسند ضعيف، والطبراني بالشطر الثاني من حديثه بسند

حسن التبعل » وكقوله ﷺ : « شارب الخمر كعابد الوثن » وأبداً المشبه به ينبغي أن يكون أعلى رتبة ، فكذلك قوله ﷺ : « الصبر نصف الإيمان » لا يدل على أنّ الشكر مثله ، وهو كقوله عليه السلام : « الصوم نصف الصبر » فإنّ كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت ، كما قال الإيمان هو العلم والعمل ، فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أنّ العمل يساوي العلم . وفي الخبر عن النبي ﷺ : « آخر

---

ضعيف أيضاً : إن امرأة قالت : كتب الله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ قال : طاعة أزواجهن . وفي رواية : ما جزاء غزوة المرأة ؟ قال : طاعة الزوج . الحديث اهـ .

قلت : وروى الشطر الأول أيضاً ابن زنجويه في ترغيبه والقضاعي في مسند الشهاب ، وابن عساكر . وفي لفظ للآخرين : الفقراء بدل المساكين . وروى الطبراني في الكبير من حديث بن عباس : « جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها وجهاد الضعفاء الحج » .

( **وكقوله ﷺ شارب الخمر كعابد الوثن** ) قال العراقي : رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ : « مدمن الخمر » ورواه بلفظ : « شارب الخمر » الحرث بن أبي أسامة من حديث عبدالله بن عمرو ، وكلاهما ضعيف . وقال ابن عدي : إن حديث أبي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأصبهاني اهـ .

قلت : ورواه بلفظ المصنف البزار من حديث عبدالله بن عمرو وفي مسنده قطر بن خليفة صدوق ، ووثقه أحمد وابن معين . ورواه بلفظ : « مدمن » البخاري في تاريخه ، وابن حبان من حديث أبي هريرة . ومن رواية محمد بن عبدالله عن أبيه .

( **وأبداً المشبه به أعلى رتبة** ) من المشبه وإلاّ لما حسن وجه التشبيه ، ( **فكذلك قوله** ) ﷺ : ( **« الصبر نصف الإيمان »** ) رواه أبو نعيم ، والخطيب ، والبيهقي من حديث بن مسعود وقد تقدم . ( **لا يدل على أن الشكر مثله ، وهو كقوله** ) ﷺ : ( **« الصوم نصف الصبر »** ) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم ، ( **فإن كل ما ينقسم بنصفين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت** ) في الدرجات ( **كما يقال : « الإيمان هو العلم والعمل »** ) وروى ابن النجار من حديث عبدالله بن أبي أوفى الأيمان قول وعمل . وروى ابن ماجه والطبراني وهمام والبيهقي والخطيب وابن عساكر من حديث علي : « الأيمان عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان » . ( **فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل على أن العمل يساوي العلم** ) وقد اتفق أهل المعرفة على أن العلم أفضل من العمل ، ثم أشار المصنف إلى نوع آخر من الإستدلال على تفضيل الصبر بحال سيدنا سليمان عليه السلام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وفي أثناء ذلك الأشعار بالرد على من يقول : إنهما سيان ، وبيان ذلك أنه قد تقدم قول من قال : إن الصبر والشكر سيّان لا ترجيح لأحدهما على الآخر ، وأنه استدل بحال أيوب وسليمان عليهما السلام حيث أثنى عليهما بثناء واحد وفي هذا غفلة عن لطائف الأفهام وذهاب عن حقيقة تدبر الكلام ، إذ بين ثناء الله تعالى على أيوب عليه السلام في الفضل على ثنائه على سليمان عليه السلام ثلاثة عشر معنى ، وشرك سليمان عليه

السلام بعد ذلك في وصفين آخرين، وأفرد أيوب عليه السلام بفضل ثناء ثلاثة عشر أول ذلك قوله تعالى في مدحه ( **واذكر** ) فهذه كلمة مباهاة باهي بأيوب عليه السلام عند رسوله المصطفى ﷺ وشرفه وفضله بقوله تعالى: واذكر يا محمد فأمره بذكره والإقتداء به كقوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ [ الأحقاف: ٣٥ ] قيل: هم أهل الشدائد والبلاء منهم أيوب عليه السلام قرضوا بالمقاريض ونشروا بالمناشير وكانوا سبعين نبياً، وقيل: هم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وهؤلاء آباء الأنبياء وأفاضلهم كقوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ [ ص: ٤٥ ] وكقوله: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ [ مريم: ٤١ ] يعني أصحاب القوة والتمكين وأهل البصائر واليقين، ثم رفع أيوب إلى مقامهم فضمه إليهم وجعله سلوة له ﷺ ثم ذكره إياه وذكر به ثم قال: ( **عبدنا** ) فأضافه إليه إضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه لام تعريف فيقول: عبداً لنا فألحقه بنظرائه من أهل البلاء في قوله: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ وهم أهل البلاء الذين باهى بهم الأنبياء وجعل من ذرياتهم الأصفياء فأضاف أيوب إليهم في حسن الثناء وفي لفظ التذكرة به في الثناء ثم قال: ﴿نادى ربه﴾ فأفرده بنفسه لنفسه وانفرد له في الخطاب بوصفه وقال: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [ ص: ٤١ ] فوصفه بمواجهة التملق له ولطيف المناجاة فظهر له بوصف الرحمة فاستراح إليه فناداه فشكا إليه واستغاث به فأشبه مقامه مقام موسى ويونس عليهما السلام في قولهما ﴿تُبْتُ إليك﴾ [ الأحقاف: ١٥ ] وفي قول الآخر: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [ الأنبياء: ٨٧ ] هذا خطاب المشاهدة ونظر المواجهة، ثم وصفه بالاستجابة له وأهله بكشف الضر عنه وجعل كلامه سبباً لتنفيذ قدرته ومكاناً لمجاري حكمته ومفتاحاً لفتح إجابته ثم قال بعد ذلك كله ( **ووهبنا له أهله** ) ﴿ص: ٤٣ ] فزاد على سليمان عليه السلام في الوصف إذ كان بين من وهب لأهله وبين من وهب له أهله فضل في المدح لأنه قال في وصف سليمان ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ [ ص: ٣٠ ] فاشبه فضل أيوب في ذلك على سليمان كفضل موسى على هارون عليهم السلام لأنه قال في فضل موسى عليه السلام وتفضيله على هارون عليه السلام: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ [ مريم: ٥٣ ] وكذلك قال في مدح داود ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ فوهب لموسى أخاه كما وهب لداود ابنه، وأشبه مقام أيوب في المباهاة والتذكرة به مقام داود عليه السلام لأنه قال أيضاً في وصفه لنبيه ﷺ: ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود﴾ [ ص: ١٧ ] وكذلك قال في نعت أيوب ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ [ ص: ٤١ ] فقد شبه أيوب بداود وموسى عليهما السلام في المعنى ورفعه إليهما في المقام وهما في نفوسنا أفضل من سليمان عليه السلام، فأشبه أن يكون حال أيوب أعلى من حال سليمان عليهما السلام، وعلم الله المقدم ولكن هذا ألقي في قلوبنا والله أعلم. ثم قال بعد ذلك ﴿رحمة منا﴾ فذكر نفسه ووصفه عند عبده تشريفاً له وتعظيماً، ثم قال: ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ [ ص: ٤٣ ] فجعله إماماً للعقلاء وقدوة لأهل الصبر والبلاء وتذكرة وسلوة من الكروب للأصفياء، ثم قال عز وجل ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ فذكر نفسه سبحانه ذكراً ثانياً لعبده، ووصل اسمه باسمه حباً له وقرباً منه، لأن النون

**الأنبياء دخولاً الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه. وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه». وفي خبر آخر: «يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً» وفي الخبر: «أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد، وأوّل من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام» وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر، لأن الصبر حال الفقير، والشكر حال الغنى، فهذا هو**

---

والألف في وجدناه اسمه تعالى والهاء اسم عبده أيوب، ثم قال: ﴿صابراً﴾ فوصفه بالصبر فأظهر مكانه في القوة، ثم قال في آخر أوصافه ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ [ ص: ٣٠ ] فهذا أول وصف سليمان وآخره ههنا شركه في الثناء، وزاد أيوب بما تقدم في المدح والوصف الذي لا يقوم له شيء وذلك من قوله تعالى ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ إلى قوله ﴿اوّاب﴾ [ ص: ٤١ - ٤٤ ] وجعل في أول وصف سليمان بأنه وهبه لأبيه داود فصار حسنة من حسنات داود واشتمل قوله: ﴿نعم العبد أنه أوّاب﴾ على أول وصفه، وأوسطه وهو آخر وصف أيوب عليهم السلام أجمعين. ( و ) قد جاء ( **في الخبر عن النبي** ﷺ ) أنه قال: ( **«آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان ابن داود** ) عليهما السلام ( **لمكان ملكه. وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه»** ) هكذا أورده صاحب القوت، وبمعنى الشطر الأول حديث معاذ الآتي ذكره بعد بحديث، وروى البزار من حديث أنس: «آخر من يدخل الجنة من أغنياء أمتي عبد الرحمن بن عوف».وفيه أغلب بن تميم ضعيف قاله العراقي. ( **وفي خبر آخر** ) ولفظ القوت: وفي لفظ آخر ( **يدخل سليمان** ) بن داود الجنة ( **بعد الأنبياء بأربعين خريفاً»** ) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكر. وروى الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل: «يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاماً» وقال: لم يروه إلا شعيب بن خالد وهو كوفي ثقة.

( **وفي الخبر «أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد، وأول من يدخله أهل البلاء إمامهم أيوب عليه السلام»** ) وهكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً ولا في الأحاديث الواردة في مصاريع أبواب الجنة مفرقة، ثم قال صاحب القوت: وقد زاد أيوب على سليمان عليهما السلام بعموم هذه الآثار لأنه سيد أهل البلاء وتذكرة وعبرة لأولى النهى، وإمام أهل الصبر والضر والإبتلاء. ثم أشار المصنف إلى تفصيل آخر في تفضيل الصبر فقال:

( **وكل ماورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لأن الصبر حال الفقر، والشكر حال الغنى** ) فمن فضل الشكر على الصبر في المعنى فكأنه فضل الغنى على الفقر، وليس هذا مذهب أحد من القدماء إنما هذه طريقة علماء الدنيا طرقوا لنفوسهم بذلك وطرقوا للخلق إلى نفوسهم من ذلك لأن من فضل الغنى على الفقر فقد فضل الرغبة على الزهد، والعز على الذل، والكبر على التواضع. وفي هذا تفضيل الراغبين والأغنياء على

المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم.

**المقام الثاني:** هو البيان الذي نقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور وبطريق الكشف والإيضاح فنقول فيه: كل أمرين مبهمين لا تمكن الموازنة بينهما مع الإبهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما، وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا تمكن الموازنة بين الجملة والجملة، بل يجب أن تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان. والصبر والشكر أقسامها وشعبها كثيرة فلا يتبين حكمها في الرجحان والنقصان مع الإجمال فنقول: قد ذكرنا أن هذه المقامات تنتظم من أمور ثلاثة: علوم، وأحوال، وأعمال، والشكر والصبر وسائر المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين في الظواهر ان العلوم تراد للأحوال، والأحوال تراد للأعمال، والأعمال هي الأفضل، وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال تراد للأحوال والأحوال تراد للعلوم؛ فالأفضل العلوم، ثم الأحوال ثم

---

الزاهدين والفقراء، ويخرج ذلك إلى تفضيل أبناء الدنيا على أبناء الآخرة **( فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم )** إذ ليس فيه صرف عن ظواهر الكتاب والسنة.

**( المقام الثاني: وهو البيان الذي نقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف والإيضاح )** والتبيين والإفصاح، **( فنقول: فيه كل أمرين مبهمين )** أي معلومي الحقائق **( لا يمكن الموازنة بينهما مع )** وجود **( الإبهام )** فيهما **( مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما )** فيرتفع الإبهام، **( وكل مكشوف )** معلوم بحقيقته **( يشتمل على أقسام )** متنوعة **( لا يمكن الموازانة بين الجملة والجملة، بل يجب أن تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان )** وبه يتوصل إلى الموازنة بين الجملة والجملة، **( والصبر والشكر أقسامها وشعبها كثيرة )** كما تقدم ذكرها، **( فلا يتبين حكمها في الرجحان والنقصان مع الإجمال، فنقول: قد ذكرنا )** في كتاب التوبة**( أن هذه المقامات )** التسعة من مقامات اليقين **( تنتظم من أمور ثلاثة: علوم وأحوال وأعمال )**. فالعلوم هي الأصول، والأحوال ما تنشأ عنها من المواجيد، والأعمال ماتنشئها المواجيد على القلوب والجوارح من الأعمال، **( والشكر والصبر وسائر المقامات )** مما ذكر ومما سيذكر **( هي كذلك )** لابد في إنتظامها إلى الأمور المذكورة، **( وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين إلى الظواهر أن العلوم تراد للأحوال، والأحوال تراد للأعمال، والأعمال هي الأفضل )** فهذا نظر أرباب الظواهر. **( وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال )** عندهم **( إنما تراد للأحوال والأحوال )** إنما **( تراد للعلوم، فالأفضل العلوم )** وهي المعارف في كل مقام، **( ثم**

الأعمال، لأن كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة أفضل منه: وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض، وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد المعارف، وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع من علوم المعاملة، بل علوم المعاملة دون المعاملة لأنها تراد للمعاملة؛ ففائدتها اصلاح العمل، وإنما فضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل؛ وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر؛ فنقول: فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب، وفائدة إصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها، فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة، ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرّة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها. وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة إليها فإنها إنما تراد لأجلها. ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى، فإن بعض المعارف يفضي إلى بعض إما

---

**الأحوال )** الناشئة عن مواجيد تلك المعارف، **( ثم الأعمال )** على هذا الترتيب **( لأن كل مراد لغيره فذلك الغير لامحالة أفضل منه. وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض، وكذا الأحوال وآحاد المعارف )** أي إذا أضيف بعضها إلى بعض، **( وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع )** رتبة **( من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة )** نفسها **( فإنها )** أي تلك العلوم **( تراد للمعاملة ففائدتها إصلاح العمل وإنما فضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان علمه مما يعم نفعه )** على الكل، **( فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر )** وإذا عرفت ذلك **( فنقول: فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب، وفائـدة اصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى )** وعظمته **( في ذاته وصفاته وأفعاله فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه )** في ذاته وصفاته وأفعاله **( وهي الغاية التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال بها )** وهي القرب من جوار الله تعالى، **( بل هي عين السعادة ولكن قد لايشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة)** عند معاينة الحقائق **( فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها )** وجعلها حرة نظراً إلى إنفكاكها عن ربقـة التقييد بالغير، **( وكل ماعداها من المعارف )** بمنزلة **( عبيد وخدم بالإضافة إليها فإنها إنما تراد لأجلها )** لا لذاتها، **( ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى، فإن بعض المعارف يفضي إلى بعض إما بواسطة )** واحدة **( أو بوسائط**

بواسطة أو بوسائط كثيرة، فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل. وأما الأحوال فنعني بها أحوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق، حتى إذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق، فإذا فضائل الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره، واعداده لأن تحصل له علوم المكاشفة، وكما أن تصقيل المرآة يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال للمرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض، فكذلك أحوال القلب، فالحالة القريبة أو المقرّبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود، وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الأحوال إليه، وكل عمل إما أن يجلب إليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا، وإما أن يجلب إليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه. واسم الأول المعصية، واسم الثاني الطاعة، والمعاصي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة، وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال، وذلك انا بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة نافلة، وإن الحج أفضل من الصدقة، وأنّ قيام الليل أفضل من غيره. ولكن التحقيق فيه أن الغني الذي

---

**كثيرة، فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل)**. فهذه معرفة الموازنة في العلوم والمعارف، **(وأما الأحوال فنعني بها أحوال القلب في تصفيته وتطهيره من شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى إذا طهر وصفا)** عنها **(إتضح له حقيقة الحق)** وهذا إنما ينشأ من مواجيد المعارف، **(فإذاً فضائل الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره وإعداده)** أي تهيئته، **(لأن تحصل له علوم المكاشفة)** التي هي المرادة لذاتها، **(وكما أن تصقيل المرآة)** عن الكدورات **(يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال للمرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض، فكذلك أحوال القلب، فالحالة القريبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لامحالة بسبب القرب من المقصود)** فهذا معرفة الموازنة في الأحوال، **(وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكد صفاء القلب)** وطهارته من الأدناس **(وجلب الأحوال إليه وكل عمل، فإما أن يجلب إليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا)** وبهجاتها، **(وإما أن يجلب)** إليه **(حالة مهيئة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه، وإسم الأول المعصية وإسم الثاني الطاعة، والمعاصي)** بأسرها **(من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة، وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها، وذلك يختلف باختلاف الأحوال، وذلك أنا بالقول المطلق ربما نقول: الصلاة أفضل من كل عبادة نافلة، وأن الحج أفضل من الصدقة،**

معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فإخراج الدرهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام، لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم المكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع، فأما هذا المدبر إذ لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه، فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره، وهو كالمريض الذي يشكو وجع لبطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به، بل حقه أن ينظر في المهلك الذي استولى عليه، والشح المطاع من جملة المهلكات، ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة، بل لا يزيله إلا إخراج المال، فعليه أن يتصدق بما معه، وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع إليه، فإذاً باعتبار هذه الأحوال يختلف، وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ، إذ لو قال لنا قائل: الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق إلا أن الخبز للجائع أفضل، والماء للعطشان أفضل، فإن اجتمعا فلينظر إلى الأغلب فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل، وإن كان الجوع أغلب فالخبز

---

**وأن قيام الليل أفضل من غيره)** وهو على إطلاقه صحيح، **(ولكن التحقيق فيه أن الغني الذي معه مال كثير وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فأخراج درهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام، لأن الصيام يليق بمن غلبه شهوة البطن فأراد كسرها)** برياضة الصوم **(أو منعه الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع)** لينفتح له باب المعرفة في الله تعالى، **(فأما هذا المدبّر إن لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره، وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن، إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به)** لإختلاف العلتين، **(بل حقه أن ينظر في المهلك الذي استولى عليه)** وغلب طبعه **(والشح المطاع)** وهو الذي يكون هو مغلوباً له وذاك حاكماً عليه بمنزلة الأمير المطاع فيعمل بموجب أوامره ولا يطيع باعث الدين أبداً وهو **(من جملة المهلكات)** كما ورد ذلك في الخبر «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات» الحديث وقد تقدم في كتاب ذم البخل، **(ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة)** منه لانفكاك الجهتين، **(بل لا يزيله إلا إخراج المال)** عن ملكه، **(فعليه أن يتصدق بما معه)** هذا هو الأفضل في حقه. **(وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع إليه)** فإنه مهم، **(فإذاً باعتبار هذه الأحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ إذ لو قال لنا قائل: الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق إلا أن الخبز للجائع أفضل والماء للعطشان أفضل، فإن إجتمعا فلينظر إلى الأغلب، فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل، فإن تساويا**

أفضل، فإن تساويا فهما متساويان، وكذا إذا قيل السكنجبين أفضل أم شراب اللينوفر؟ لم يصح الجواب عنه مطلقاً أصلاً، نعم لو قيل لنا: السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء؟ فنقول: عدم الصفراء، لأن السكنجبين مراد له، وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لا محالة، فإذاً في بذل المال عمل وهو الإنفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب، ويتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وحبه، فالأفضل المعرفة، ودونها الحال، ودونها العمل.

فإن قلت، فقد حث الشرع على الأعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] فكيف لا يكون الفعل والإنفاق هو الأفضل؟ فاعلم ان الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لعينه، أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به، ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب، ومرض القلوب مما لا يشعر به غالباً فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه، فإنه لا يشعر به، ولو ذكر له لا

---

**فهما متساويان)** لا فضيلة لأحدهما على الآخر، **(وكذا إذا قيل السكنجبين أفضل أم شراب اللينوفر)** وفي نسخة النيلوفر وهو نبات يخرج في البرك والأنهار عند زيادة الماء وله زهر إسمانجوني والشراب المتخذ منه مبرد مرطب نافع للسعال والشوصة وذات الجنب مقو للقلب مسكن للعطش مزيل للسهر الكائن من الحرارة ملين للطبيعة نافع من الصداع وهو مع حلاوته لا يستحيل صفراء بخلاف سائر الأشربة الحلوة **(لم يصح الجواب عنه مطلقاً أصلاً. نعم لو قيل لنا السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء؟ فنقول: عدم الصفراء)** أفضل **(لأن السكنجبين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لامحالة، فإذاً في بذل المال عمل وهو الإنفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب، ويتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه)** أي من القلب **(لمعرفة الله تعالى وحبه، فالأفضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل)** على هذا الترتيب.

**(فإن قلت: فقد حث الشرع على الأعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات في قوله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ )** وقال تعالى: **(﴿ويأخذ الصدقات﴾ )** وغير ذلك مما ورد الحث عليه في الكتاب والسنة **(فكيف لا يكون الفعل والإنفاق هو الأفضل؟ فاعلم أن الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لعينه أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به، ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالباً)** لخفائه عنا، **(فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه فإنه لا يشعر به، ولو ذكر له لا يصدق به والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء**

يصدق به. والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلاً إن كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه، فإنه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه. ولنضرب مثلاً أقرب من هذا فنقول: من له ولد علمه العلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه، وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظاً لقال إنه محفوظ ولا حاجة بي إلى تكرار ودراسة، لأنه يظن أن ما يحفظه في حال يبقى كذلك أبداً، وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم، فربما يظن الصبي المسكين أن المقصود تعليم العبيد القرآن وإنه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول: ما بالي قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد، واعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي به، واعلم أنه لا نقصان لأبي بفقد هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن، فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتماداً على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري، وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الإباحة وقالوا: إن الله تعالى غني عن

---

**الورد مثلاً إن كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول برصه، فإنه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه، ولنضرب مثلاً أقرب من هذا فنقول: من له ولد علمه العلم أو القرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه، وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى)** في ذهنه (**محفوظاً لقال: إنه محفوظ ولا حاجة إلى تكرار ودراسة لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبداً**) وليس كما ظن، (**وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم، فربما يظن الصبي المسكين أن المقصود تعليم القرآن**) فقط (**وأنه قد أستخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول: ما بالي قد أستخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم**) قدراً (**و أعز عند الوالد، وأعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي به**) بأن يكلف به غيري، (**واعلم أنه لانقصان لأبي بفقد هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن، فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم إعتماداً على إستغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري، وقد انخدع بهذا الخيال طائفة**) ممن خفت عقولهم (**وسلكوا طريق الإباحة وقالوا: إن الله تعالى غني عن عبادتنا**

عبادتنا وعن أن يستقرض منا، فأي معنى لقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [ البقرة: ٢٤٥ ] ولو شاء الله إطعام المساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم، كما قال تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَإذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَا رَزَقَكُمْ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا للّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾ [ يس: ٤٧ ]، وقالوا أيضاً: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا﴾ [ الأنعام: ١٤٨ ]، فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم، فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل: ﴿يُضلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ [ البقرة: ٢٦ ] فهؤلاء لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل المساكين والفقراء أو لأجل الله تعالى، ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أنفقنا أو أمسكنا: هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا، وإنما كان ذلك من الوالد تلطفاً به في استجراره إلى ما فيه سعادته، فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق، فإذاً المسكين الآخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك، فإنه مهلك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك؛ فالحجام خادم لك لا أنت خادم للحجام. ولا يخرج الحجام عن

---

**وعن أن يستقرض منا. وأي معنى لقوله ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ ولو شاء الله إطعام المساكين أطعمهم فلا حاجة منا إلى صرف أموالنا إليهم، كما قال تعالى حكاية عن الكفار ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه )** إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ **( وقالوا أيضاً ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم، فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً )** يعني القرآن، **( فهؤلاء لما ظنوا إذ ظنوا أنهم أستخدموا لأجل المساكين والفقراء أو لأجل الله تعالى ثم قالوا: لاحظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أنفقنا أو أمسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد إستخدامه لأجل العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا، وإنما كان ذلك من الوالد تلطفاً به في إستجراره إلى ما فيه سعادته، فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق )** وإستولى الشيطان على عقله، **( فإذاً المسكين الآخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فإنه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك )** الحاصلة من تبيغ الدم، **( فالحجام**

كونه خادماً بأن يكون له غرض في أن يصنع شيئاً بالدم، ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله ﷺ من أخذها وانتهى عنها، كما نهى عن كسب الحجام وسماها أوساخ أموال الناس، وشرف أهل بيته بالصيانة عنها، والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات. والقلب بحسب تأثيرها مستعداً لقبول الهداية ونور المعرفة، فهذا هو القول الكلي والقانون الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف، ولنرجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول: في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل، فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال، أو العمل في الآخر، بل يقابل كل واحد منها بنظيره حتى يظهر التناسب، وبعد التناسب يظهر الفضل، ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا إلى معرفة واحدة، إذ معرفة الشاكر: أن يرى نعمة العينين مثلاً من الله تعالى ومعرفة الصابر: أن يرى العمى من الله، وهما معرفتان

---

**خادم لك لا أنت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادماً)** لك **(بأن يكون له غرض في أن يصنع شيئاً بالدم، ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها من خبائث الصفات)** لقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ [التوبة: ١٠٣]الآية **(إمتنع رسول الله ﷺ من أخذها وانتهى عنها كما نهىٰ عن كسب الحجام)** رواه إبن ماجه من حديث ابن مسعود وقد تقدم، **(وسماها)** أي الصدقات **(أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة «إن هذه الصدقة لا تحل لنا إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد» وفي رواية له «أوساخ الناس» اهـ.

قلت: رواه أبو داود والنسائي بلفظ «إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد».

**(والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب، بحسب تأثرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة، فهذا هو القول الكلي والقانوني الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف. فلنرجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول: في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل)** إذ تقدم أن المقامات لا تنتظم إلا بهؤلاء الثلاثة، **(فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال والعمل في الآخر، بل يقابل كل واحد بنظيره متى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل)** والترجيح. **(ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا إلى معرفة واحدة إذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة العينين مثلاً من الله تعالى)** فيشكر، **(ومعرفة**

متلازمتان متساويتان هذا إن اعتبرتا في البلاء والمصائب. وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية، وفيهما يتحد الصبر والشكر لأنّ الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة، لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى. فالصبر والشكر فيه إسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبراً بالإضافة إلى باعث الهوى، ويسمى شكراً بالإضافة إلى باعث الدين، إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصرع به باعث الشهوة، فقد صرفه إلى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد، فكيف يفضل الشيء على نفسه؛ فإذا مجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة إمـا أن تقع ضرورية كالعينين مثلاً، وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال، أما العينان فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي،

---

الصابر أن يرى العمى من الله) فيصبر، (وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا إن إعتبرته في البلاء والمصائب، وقد بينا أن الصبر قد يكون عن الطاعة وعن المعصية، وفيهما يتحد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة) هو عين شكر الطاعة (لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو مقصود منها بالحكمة، والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى) ومقاومته، (فالصبر والشكر فيه إسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين، فثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى يسمى صبراً بالاضافة إلى باعث الهوى؟ ويسمى شكراً بالاضافة إلى باعث الدين، إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصرع به باعث الشهوة) أي يقهر ويكسر، (فقد صرفه إلى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معبر واحد، فكيف يفضل الشيء على نفسه) وهذا فيه تأييد لقول من ذهب إلى أنهما سيان، ومما يدل عليه إنهم قالوا: إن متعلقات كل من الصبر والشكر والرضا والمحبة متحدة لا اختلاف فيها، وإذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها إلاّ بأسبـابها وأحوالها التي هي حوادث عن الأعمال، (فإذاً مجاري الصبر ثلاثة: الطاعة والمعصية والبلايا، وقد ظهر حكمها في الطاعة والمعصية، أما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة، والنعمة إما أن تكون تقع ضرورية كالعينين مثلاً وإما إن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال. أما العينان فصبر الأعمى عنهما أن لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في معنى المعاصي) وفي نسخة بعض المعاصي،

وشكر البصير عليها من حيث العمل بأمرين: أحدهما أن لا يستعين بها على معصية، والآخر أن يستعملها في الطاعة، وكل واحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر؛ فإن الأعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها، والبصير إذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكراً لنعمة العينين، وإن اتبع النظر كفر نعمة العينين؛ فقد دخل الصبر في شكره، وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بدّ أيضاً فيه من صبر على الطاعة، ثم قد يشكرها بالنظر إلى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر، ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلاً وقد كان ضريراً من الأنبياء فوق رتبة موسى عليهما السلام وغيره من الأنبياء لأنه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلاً، ولكان الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كلحم على وضم وذلك محال جداً لأنّ كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين يفوت بفوتها ذلك الركن من الدين، وشكرها باستعمالها فيما هي آلة فيه من الدين، وذلك لا يكون إلا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فإنه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ما وراءه، ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر، ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن

---

**( وشكر البصير عليها من حيث العمل بأمرين: أحدهما أن لا يستعين بها على معصية، والآخر أن يستعملها في الطاعة، وكل واحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر فإن الأعمى )** قد **( كفى الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها، والبصير إذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكراً لنعمة العينين وإن أتبع النظر )** مرة بعد **( الأولى كفر نعمة العينين، فقد دخل الصبر في شكره، وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه أيضاً من الصبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر إلى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه، فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر، ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلاً وقد كان ضريراً من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام لأنه )** أي شعيباً **( صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر، ولكان الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كلحم على وضم )** أي اللوح من الخشب الذي كان يوضع عليه لحم الجزور ويقسم، **( وذلك محال جداً لأن كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من الدين، وشكرها استعمالها فيما هي فيه آلة من الدين وذلك لا يكون إلا بصبر، وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فإنه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة )** شديدة **( وهو جهاد الفقراء )** أي بمنزلة الجهاد لهم، **( ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات**

لا تستعمل في المعصية، فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة، فالشكر أفضل، لأنه تضمن الصبر أيضاً وفيه فرح بنعمة الله تعالى، وفيه احتمال ألم في صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التنعم المباح، وكان الحاصل يرجع إلى شيئين أفضل من شيء واحد وأن الجملة أعلى رتبة من البعض، وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها، وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر، والفقير الصابر أفضل من الغني الممسك ماله الصارف إياه إلى المباحات لا من الغني الصارف ماله إلى الخيرات، لأنّ الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى، وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوّة؛ والغني أتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح، والمباح فيه مندوحة عن الحرام، ولكن لا بدّ من قوّة في الصبر عن الحرام أيضاً، إلا أن القوّة التي عنها يصدر صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوّة التي يصدر عنها الاقتصار في التنعم على المباح، والشرف لتلك القوّة التي يدل العمل عليها، فإن الأعمال لا تراد إلا لأحوال القلوب، وتلك القوّة حالة للقلب تختلف بحسب قوّة اليقين والإيمان، فما دل على زيادة قوّة في الإيمان فهو أفضل لا محالة، وجميع ما ورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر في

---

**وأن لا تستعمل في المعصية، فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل لأنه تضمن الصبر أيضاً )** . والحاصل أن الشكر داخل في الصبر والصبر جامع للشكر، لأن من صبر عن أن يعصي الله بنعمته فقد شكرها ومن صبر نفسه على طاعة الله فقد شكر نعمته، **( وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه إحتمال ألم في صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التنعم المباح، وكان الحاصل يرجع إلى أن شيئين أفضل من شيء واحد، وأن الجملة أعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها . وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر، والفقير الصابر أفضل من الغني الممسك ماله الصارف إياه إلى المباحات لا من الغني الصارف ماله إلى الخيرات)** الأخروية **( لأن الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها )** أي قوتها **( وأحسن الرضا على بلاء أمر الله تعالى . وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة، والغني إتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه إقتصر على المباح وفي المباح مندوحة عن الحرام )** أي سعة عنه، **( ولكن لابد من قوة في الصبر عن الحرام أيضاً إلا أن القوة التي يصدر عنها صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الإقتصار في النعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها، فإن الأعمال لا تراد إلا لأحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والإيمان، فما دل على زيادة قوة في الإيمان**

الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لأنّ السابق إلى إفهام الناس من النعمة الأموال والغنى بها، والسابق إلى الإفهام من الشكر أن يقول الإنسان الحمد لله، ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا أن يصرفها إلى الطاعة، فإذاً الصبر أفضل من الشكر، أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة، وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر: أيهما أفضل؟ فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم، وإنما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما، فبشرط الغني يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها، والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقبضها وتزعجها، فإذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالاً ممن متع صفته ونعمها. والأمر على ما قاله، وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه. ويقال: كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال: الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل

---

**فهو أفضل لا محالة، وجميع ماورد من تفضيل أجر الشكر في الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لأن السابق إلى أفهام الناس من النعمة الأموال والغنى بها والسابق إلى الافهام من الشكر أن يقول الإنسان الحمدلله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا أن يصرفها إلى الطاعة، فإذاً الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار )** سيد الطائفة **( الجنيد رحمه الله تعالى حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل؟ فقال: ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم )** كذا في النسخ، ولفظ القوت: وقد سئل الجنيد عن غني شاكر وفقير صابر أيهما أفضل؟ قال: ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم، **( وإنما المدح في الإثنين قيامهما بشروط ماعليهما، فشرط الغني تصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها، والفقير تصحبه فيما عليه أشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فإذا كان الإثنان قائمين لله عز وجل بشرط ماعليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالة ممن متع صفته ونعمها )** هذا نقل كلام الجنيد. **( والأمر على ما قاله اهو صحيح من جلة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه. ويقال: كان أبو العباس )** أحمد ابن محمد بن سهل **( بن عطاء )** الأدمي من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم، وكان كبير الشأن وهو من أقران الجنيد، وصحب إبراهيم المارستاني مات سنة تسع وثلاثمائة **( قد خالفه في ذلك )** أي فيما ذهب إليه من تفضيل الصابر على الشاكر **( وقال: الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد )** فيما يقال **( فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وتلف أمواله**

أولاده وإتلاف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان، يقول: دعوة الجنيد أصابتني، ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر. ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أنّ لكل واحد من القولين وجهاً في بعض الأحوال، فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كما سبق، ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر. وذلك هو الغني الذي يرى

---

**وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول: دعوة الجنيد أصابتني، ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر )** هكذا نقله صاحب القوت. وقال القشيري في الرسالة، وقيل إن يحيى بن معاذ الرازي تكلم ببلخ في تفضيل الغني على الفقير وأعطى ثلاثين ألف درهم فقال بعض المشايخ لا بارك الله له في هذا المال. فخرج إلى نيسابور ووقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه.

**( ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجهاً في بعض الأحوال. فربّ فقير صابر أفضل من غني شاكر كما سبق )** تقريره، **( ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر ) .**

قال صاحب القوت: فأما تفصيل التفضيل فعلى ثلاثة أوجه.

**أحدها :** أن المقامات أعلى من الأحوال، وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين، فمن كان مقامه الصبر وكان حاله الشكر عليه فهو أفضل لأنه صاحب مقام، ومن كان مقامه الشكر وكان حاله الصبر عليه فحاله مزيد لمقامه فقد صار مزيداً للشاكر في مقامه.

**الوجه الثاني:** من التفضيل: المقربون أعلى مقاماً من أصحاب اليمين، فالصابرون من المقربين أفضل من الشاكرين من أصحاب اليمين، والشاكرون والمقربون أفضل من الصابرين من أصحاب اليمين.

فإن قيل: فإن كان الشاكر والصابر من المقربين فأيهما أفضل عندك؟ فقد قلنا: إن اثنين لا يتفقان في مقام من كل وجه لانفراد الوجه بمعاني لطائف اللطيفة بمثل ما انفردت الوجوه بلطيفة الصفة مع تشابه الصفات واشتباه الأدوات، وأفضلهما حينئذ اعرفهما لأنه أحبهما إليه تعالى وأقربهما منه وأحسنهما يقيناً لأن اليقين أعز ما أنزل الله عز وجل، ثم قال وجه آخر من بيان التفضيل.

نقول: إن الصبر عما يوجب الشكر أفضل، وأن الشكر على ما يوجب الصبر أفضل، وهذا يختلف باختلاف الأحوال تفسيره: إن الصبر عن حظ النفس وعن التنعم والترفة أفضل إن كان عبداً حاله النعمة، فالصبر عن النعيم والغنى مقام في المعرفة وهو أفضل لأن فيه الزهد المجمع على تفضيله، ونقول: إن الشكر على الفقر والبلاء والمصائب أفضل إن كان عبداً حاله الجهد والبلاء فالشكر عليه مقام له في المعرفة، فهو حينئذ أفضل لأن فيه الرضا المتفق على فضله. وقال في موضع آخر من كتابه: ومن الناس من يقول: الصبر أفضل من الشكر وليس يمكن بينهما تفضيل عند أهل التحصيل من قبل أن الشكر مقام لجملة من الموقنين، والترجيح بين جماعة على جماعة لا

نفسه مثل الفقير، إذ لا يمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه، على اعتقاد أنه خازن للمحتاجين والمساكين، وإنما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف إليها، ثم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل اداءً لحق الله تعالى في تفقد عباده، فهذا أفضل من الفقير الصابر.

فإن قلت: فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر، لأنّ هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر ألم الصبر، فإن كان متألماً بفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة

---

يصح من قبل تفاوتهم في اليقين والمشاهدات لأن بعض الصابرين أفضل من بعض الشاكرين بفضل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين أفضل من عموم الصابرين لحسن يقينه وعلو شهادته، ولكن تفصيل ذلك من طريق الأحوال والمقامات إنا نقول والله أعلم أن لصبر عن النعيم أفضل لأن فيه الزهد والخوف وهما أعلى المقامات، وأن الشكر على المكاره أفضل لأن فيه البلاء والرضا، وأن الصبر على الشدائد والضراء أفضل من الشكر على النعم والسراء من قبل أنه أشق على النفس، وأن الصبر مع حال الغنى والمقدرة أن يعصي بذلك أفضل من الشكر على النعم من قبل أن الصبر عن المعاصي بالنعم أفضل من الطاعة لمن جاهد نفسه فيها، فإذا شكر على ما يصبر عليه فقد صار البلاء عنده نعمة وهذا فضل لأنها مشاهدة المقربين، وإذا صبر عما يشكر عليه من النعم كان أفضل لأنها حال الزاهدين. وفي الخبر: «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل» يعني الأقرب شبهاً بنا فالأقرب، فرفع أهل البلاء إليه ووصف نفسه به وجعلهم الأمثل فالأمثل منه، فمن كان به ﷺ أمثل كان هو الأفضل، فقد كان ﷺ شاكراً على شدة بلائه، وكذلك الشاكر من الصابرين يكون أفضل لشكره على البلاء إذ هو الأمثل والأقرب إلى وصف الأنبياء، وكل مقام من مقامات اليقين يحتاج إلى صبر وإلى شكر وأحدهما لا يتم إلا بالآخر لأن الصبر يحتاج إلى شكر عليه ليكمل، والشكر يحتاج إلى صبر عليه ليستوجب المزيد، وقد قرن الله تعالى بينهما ووصف المؤمنين بهما فقال: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [إبراهيم: ٥] اهـ كلام صاحب القوت.

**وربما أفرط بعض الصوفية وقال: الفقير الشاكر أفضل من الغني الشاكر (و) أما قولهم:** الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، فإن (**ذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد أنه خازن للمحتاجين والمساكين، وإنما ينتظر حاجة تسنح**) أي تعرض (**حتى يصرف**) ذلك (**إليها، ثم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت**) أي شهرة بين الناس (**ولا لتقليد مِنّة، بل أداء لحق الله تعالى في تفقد عباده. فهذا أفضل من الفقير الصابر**) بهذا الاعتبار.

(**فإن قلت: فهذا**) الذي ذكرته (**لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لأن هذا يستشعر لذة القدرة**) والملك، (**وذلك يستشعر ألم الصبر**) على العدم، (**فإن كان متألماً**

على الإنفاق؟ فاعلم أنّ الذي نراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالاً ممن ينفقه وهو بخيل به وإنما يقتطعه عن نفسه قهراً ، وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة ، فإيلام النفس ليس مطلوباً لعينه بل لتأديبها ، وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد ، والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابراً على الضرب ، ولذلك يحتاج إلى الإيلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليهما في النهاية ، بل النهاية أن يصير ما كان مؤلماً في حقه لذيذاً عنده ، كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذاً ، وقد كان مؤلماً له أولاً ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان ، أطلق الجنيد القول بأن الذي يؤلم صفته أفضل ، وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق ، فإذاً إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فإنه صحيح بالمعنى السابق إلى الإفهام ؛

---

**لفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة على الإنفاق؟ فاعلم أن الذي نراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالاً ممن ينفقه وهو بخيل به، وإنما يقتطعه عن نفسه قهراً، وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة )** فليراجع هناك. **( فإيلام النفس ليس مطلوباً لعينه بل لتأديبها )** أي لتتأدب، **( وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابراً على الضرب، ولذلك يحتاج إلى الإيلام والمجاهدة في البداية )** أي في ابتداء السلوك، **( ولا يحتاج إليهما في النهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤلماً في حقه لذيذاً عنده )** وهو مقام الرضا وينشأ عن المحبة، **( كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذاً وقد كان مؤلماً له أولاً ، ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في )** درجة **( البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان )** في نقصهم **( أطلق الجنيد )** رحمه الله تعالى **( القول بأن الذي يؤلم صفته أفضل، وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق، فإذاً إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر فاطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر لأنه صحيح بالمعنى السابق إلى الأفهام )** وإليه ذهب أكثر الصوفية قديماً وحديثاً.

ورأيت الكمال أبا بكر محمد بن إسحاق الصوفي قد جنح في كتابه مقاصد المنجيات إلى تفضيل الشكر على الصبر وترجيحه عليه وكلامه فيه غريب، فأحببت أن أورده بتمامه ولا أترك منه شيئاً لتمام الفائدة إذ هو من وادي كلام المصنف فقال: الفرع الثاني في فضل الشكر على الصبر اختلف العلماء في ذلك بين المرجح لأحدهما والمسوّي لهما ، ولا شك أن الصبر مقام محمود تعرف فضيلته بالشرع والتجربة، ولكن قد تقرر أن المقامات منازل ولها ترتيب في السلوك كالشرط والمشروط والوسيلة والمقصود ، ومن النوادر أن يصل السالك إلى مقصود قبل الدخول في وسيلته ولا شك أن الصبر منزل يضع التائب قدمه الأول فيه، وقد قطع عقبات كثيرة فيصفو قلب السالك وتحلوله

العبادة وينكشف له الوجود فيرى نعم الله الدارة عليه ظاهرة وباطنة،فيفرح بنعم الله ويسلك الطريق بحال الشكر بعد أن كان سالكاً بحال الصبر ونفس السلوك لا يختلف، وإنما تختلف الأحوال الباعثة عليه والعمل الواحد لا يحث عليه حالان شرعيان لأن سوادين لا يكونان في محل واحد في زمن واحد احترازاً بذلك عن وازع الطبع، فإنه يحث وازع الشرع في زمان واحد. نعم يكون أحدهما للسالك والثاني فعلاً لحقيقته وقوته واستيلائه، وقد ترجح الشكر عندي بهذه المقدمة وبترجيحات سبعة هي معروضة عليك، فسنذكر أولاً حقيقة التفاضل، ثم نورد فيها بما وعدنا به حقيقة التفاضل بين الأشياء الفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة فمهما تشارك شيئان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه، ولا يصح التفاضل بين عملين من حيث أن أحدهما أشق على فاعله، فقد قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» وليس سد رأس البئر من الطريق باسهل من قول لا إله إلا الله وقد أثنى الله على أعمال الملائكة بعدم السآمة والملل والإنقطاع، وأن تسبيحهم يجري منا مجرى النفس وذلك غاية الملاذ، ولا من حيث كثرة الثناء على أحدهما دون الآخر فقد شوقنا ربنا جل جلاله إلى الجنة وما فيها أكثر مما شوّقنا من النظر إلى وجهه تعالى، ولا قائل بأن لذات الجنة أفضل من لذة النظر إلى وجهه تعالى، فعلى هذا تعرف أن حقيقة التفاضل وزن ذات الشيئين وصفاتها بميزان البراهين فأيها رجح فهو الأفضل. مثال ذلك الشكر أرجح من الصبر بسبعة أسباب.

**أحدها:** أن الله تعالى تسمّى بها جميعاً فجاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي: «الصبور» وجاء في كتاب الله «الشكور» فكما قيل في الصبور مضمن في الشكور وزاد عليه بثنائه على نفسه وعلى عباده بكلامه القديم، ولا يوجد مثل هذا في اسمه الصبور.

**الثاني:** النظر في سببها وسبب الصبر معرفة الآلاء، وسبب الشكر معرفة ذي النعماء وشتان بين المعرفتين.

**الثالث:** النظر في حالها فحال الصبر استدعاء المكايدة والمجاهدة للغلبة، وحال الشكر استدعاء الفرح برؤية المنة، والخادم الفرح أفضل من المتكلف عند المخدوم.

**الرابع:** النظر في أعمالها فعمل الصبر محنة وابتلاء، وعمل الشكر نعمة مشكور عليها عند الشاكر، وفرق بين من شهد التكاليف محنة وابتلاء فيصبر عليه أو بين من يراها نعمة تشوقه إلى جوار الله تعالى فيشكر عليها.

**الخامس:** النظر في علاجها. وعلاج الصبر رؤية الجزاء للظفر، وعلاج الشكر رؤية المريد لطاعة المجيد.

**السادس:** النظر في استدامتها في السلوك، فالشكر مستحب للسالك في كل مقام وحال، والأحوال والمقامات لا نهاية لها فالشكر على ذلك لا نهاية له والصبر ينقطع عنه أول مقام من مقامات الرضا بالإجماع من مشايخ السلوك.

فإذا أردت التحقيق، ففصل، فإن للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية، ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر، ووراء الشكر على البلاء وهو وراء الرضا، إذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح، والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به، وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها، ويدخل في جملتها أمور دونها؛ فإنّ حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر، والإعتذار من قلة الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر، والاعتراف بأنّ النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر، والعلم بأن الشكر أيضاً نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر، وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر، وشكر الوسائط شكر، إذ قال عليه السلام: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »، وقد ذكرنا حقيقة ذلك

---

**السابع:** النظر في الإستدامة المطلقة إذ لو فرضنا أن الصبر دائم لكان إلى الموت، والشكر في الآخرة من المؤمن والكافر قال الله تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [ فاطر: ٣٤ ] وقال تعالى: ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ [ الإسراء: ٥٢ ] فهذا يعم المؤمن والكافر. فهذه سبع ترجيحات كافية للمتأمل. فهكذا ينبغي أن يكون الترجيح بين شيئين إذا رجح أحدهما عمل في الإرتقاء إليه، والله أعلم انتهى كلامه.

**( فإذا أردت التحقيق ففصل فإن للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضا )** بمقدور الله تعالى **( وهو مقام وراء الصبر، ووراءه الشكر على البلاء وهو )** مقام **( وراء الرضا، إذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح، والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به، وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل في جملتها أمور دونها )** أي دون تلك الدرجات، **( فإن )** توفيقنا للحسنى وتيسيرنا لليسرى، ثم صرف الكفر وأخلاق الكفرة وأعمالهم، ثم تزيين الإيمان وتحبيبه إلينا وتكريه الفسوق والعصيان فضلاً منه ومنة من جملة النعم بعد الإيمان، فشكر ذلك لا يقام به إلا بما وهب وأنعم به من المعرفة بذلك والمعونة و**( حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر، والإعتذار من قلة الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر، والإعتراف بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق )** من العبد بل مضاف إلى نعمه **( شكر، والعلم بأن الشكر أيضاً نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط )** بالدعاء لهم وحسن الثناء عليهم بأنهم ظروف للعطاء وأسباب المعطي تخلقاً بأخلاق المولى **( شكر إذ قال ﷺ: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » )** رواه أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد، وابن جرير من حديث أبي هريرة، والطبراني من حديث

في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر، وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر، وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها؛ وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الأخبار والآثار. وقد روي عن بعضهم أنه قال: رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال: إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني؛ فاتفق انها زوّجت مني، فليلة زفافها قلت: تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا، فصلينا تلك الليلة ولم يتفرّغ أحدنا إلى صاحبه؛ فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك، فصلينا طول الليل، فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة، أليس كذلك يا فلانة؟ قالت العجوز: هو كما يقول الشيخ؛

---

جرير قد تقدم في كتاب الزكاة. **( وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة )** فليرجع إليه، **( وقلة الإعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر، وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها )** وتعظم حقيرها **( شكر، لأن طائفة هلكت باستصغار الأشياء واستحقار وجود المنافع بها جهلاً بحكمة الله تعالى )** واستصغار النعمة وكان ذلك كفراً بالنعم، **( وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت إسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة، فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدها على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص في اللفظ العام كما ورد في الأخبار والآثار )** على ما تقدم ذكرها.

**( وقد روي )** كذا في النسخ، والأولى حكي كما هو نص الرسالة **( عن بعضهم أنه قال: رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن )** كثيراً وعنده عجوز **( فسألته عن حاله فقال: إني كنت في ابتداء عمري أهوى )** أي أحب **( ابنة عم لي وهي كذلك تهواني )** أي تحبني **( فاتفق أنها زوجت مني فليلة زفافها )** وفي بعض نسخ الرسالة: فلما زفت إليّ بالليل **( قلت: تعالى حتى نحي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا )** أي على اجتماعنا على وجه حلال، **( فصليا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا إلى صاحبه )** لينال شهوته منه، **( فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك )** مع زيادة أي قال كل منا لصاحبه: تعالي نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما من علينا به من الإجتماع وما وفقنا له من الشكر، **( فصلينا طول الليلة )** ودمنا على ذلك، **( فمنذ سبعين أو ثمانين سنة ونحن على تلك الحالة )**. وفي بعض نسخ الرسالة على تلك الصفة **( كل ليلة )** ثم قال هو لها: **( أليس )** الأمر **( كذلك يا فلانة )** وسماها باسمها **( قالت )** له **( العجوز: هو كما يقول الشيخ )** وهكذا يكون حال من عرف مقدار النعم ورغب في تواليها عليه فيشكرها بالقلب والعقل واللسان. هكذا أورد هذه القصة القشيري في الرسالة.

فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة، أن لو لم يجمع الله بينهما، وانسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه، فلا يخفى عليك أنّ هذا الشكر أفضل فإذاً لا وقوف على حقائق المفضلات إلا بتفصيل كما سبق. والله أعلم.

---

**( فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة لو لم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه )**، وفائدة ذكر العجوز والشيخ الإعلام بأنهما داما على الإشتغال بالله من حالة الصبا إلى تلك الحالة، **( فلا يخفي عليك أن هذا الشكر أفضل، فإذاً لا وقوف على حقائق المفضلات إلا بتفصيل كما سبق )**. وأما ترجيح بعض على بعض على الإطلاق من غير إطلاع على حقائق المفضلات فلا تحقق فيه لأن من اطلع على مقاصد الشريعة ووسائلها عرف الفاضل والأفضل من نفس الحقائق واطلع على حكمة الشرع في ذلك، **( والله تعالى أعلم )**.

وبه تم كتاب الصبر والشكر والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل المخلوقات وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى ما بعد يوم المهات. قال مؤلفه: وكان الفراغ من تحرير ذلك في الثالثة من ليلة الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة ١٢٠٠، وكتبه مؤلفه المذكور استأذنا أبو الفيض سيدي محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه وكرمه حامداً ومصلياً ومستغفراً.

# كتاب الخوف والرجاء
# وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات
# من كتب إحياء علوم الدين
## بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله المرجوّ لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه، الذي عمر قلوب أوليائه بروح**

---

بسم الله الرحمن الرحيم

## صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر، والرجاء بالخوف والخوف بالرجاء والذكر، أحمده على آلائه كما أحمده على بلائه، وأستعينه على هذه النفوس البطء عما أمرت به، السراع إلى ما نهيت عنه، واستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه، علم غير قاصر وكتاب غير مغادر، وأومن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود، إيماناً نفى إخلاصه الشرك، ويقينه الشك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل، لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأئمة الأبرار، وعلى من تبعهم بإحسان، إلى ما بعد يوم القرار، أما بعد فهذا شرح:

# كتاب الرجاء والخوف

وهو الثالث من الربع الرابع، والثالث والثلاثون من كتب الأحياء للإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي أفاض الله علينا من لطائف علومه، وأذاقنا حلاوة فهومه، وأجزل قراه، وجعل جنة الفردوس مأواه. جلوت فيه عن عرائس حقائقه المخدرة، ونفائس رقائقه المضنونة المسترة، وسلكت فيه منهاج الإيضاح لعباراته والإفصاح عن مرمى إشاراته. ممتطياً عزائم الإعتقاد والإنتصاف. متجنباً عن التطويل والإعتساف. راجياً من المولى الكريم الإعانة والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق إنه لا رب غيره ولا خير إلا خيره، الكافي الكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **( بسم الله الرحمن الرحيم )** رجاء كل خائف من العذاب الأليم.

**( الحمد لله المرجوّ لطفه )** أي رفقه ورأفته **( وثوابه )** أي جزاؤه ويستعمل في الشر والخير،

رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول بفنائه، والعدول عن دار بلائه التي هي مستقرّ أعدائه، وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته، وصدّهم عن التعرّض لأئمته والتهدّف لسخطه ونقمته، قوداً لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف إلى جنته، والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خليقته وعلى آله وأصحابه وعترته.

أما بعد: فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقرّبون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح

---

لكن المتعارف في الخير واستعماله في الشر استعارة كاستعارة البشارة فيه، **( المخوف مكره )** وهو ارداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب، **( وعقابه )** وهو الإيلام الذي يتعقب به جرم سابق وفي المرجوّ والمخوف براعة الإستهلال وبين الثواب والعقاب حسن المقابلة، **( الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه )** الروح بالفتح ما تلذ به النفس أصله من الريح، **( حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول )** أي الإستقرار **( بفنائه )** أي ساحة حضرته وهي جنة القرب **( والعدول )** أي الصرف **( عن دار بلائه )** أي امتحانه **( التي هي مستقر أعدائه )** وهي نار البعد وبين الأولياء والأعداء حسن المقابلة، **( وصرف بسياط التخويف وزجره العنيف )** أي الشديد **( وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته )**. وهي الجنة فإنها تسمى دار الثواب ودار الكرامة، **( وصدّهم )** أي منعهم **( عن التعرض لائمته )** وهي الملامة اسم من اللوم **( والتهدف )** وهو التعرض للهدف **( لسخطه ونقمته )** أي غضبه وانتقامه، **( قوداً )** أي جذباً **( لأصناف الخلق )** على تباينهم وكثرتهم **( بسلاسل القهر والعنف )** تارة **( وأزمة الرفق واللطف )** أخرى **( إلى جنته )** والأزمة: جمع زمام وهو ما يقاد به وفيه إيماء إلى الخبر الوارد عجب ربنا من قوم يقادون بالسلاسل إلى الجنة وقد تقدم، **( والصلاة )** والسلام **( على )** سيدنا **( محمد سيد أنبيائه وخير خليقته )** أي مخلوقاته **( وعلى آله وأصحابه وعترته )** العترة نسل الإنسان، وقيل: أقارب الرجل الأدنون.

**( أما بعد: فإن الرجاء والخوف جناحان )** أي بمنزلتها للطائر **( بها يطير المقربون )** إلى الحضرة الذين تم سلوكهم **( إلى كل مقام محمود )** وفيه إشارة إلى أنهما حالان، وقد يكون المقام حالاً وبالعكس كما سيأتي. ونقل القشيري عن أبي علي الروذباري قال: الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه. وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حدّ الموت، وفي قوله مقام محمود إشارة لما سيأتي أن الرجاء مقام محمود كما أن ضده مذموم، **( ومطيتان )** أي بمنزلتها والمطية ما يمتطى ظهرها أي يركب **( بها يقطع من طرق الآخرة كل عقبة )** وهي الثنية بين الجبلين، **( كؤود )** أي صعبة المرتقي والمنحدر **( فلا يقود )** أي لا يسوق **( إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء )** أي

الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء. ولا يصدّ عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف، فلا بدّ إذا من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما. ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف.

**أما الشطر الأول:** فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء، وبيان فضيلة الرجاء، وبيان دواء الرجاء، والطريق الذي يجتلب به الرجاء.

**بيان حقيقة الرجاء:**

اعلم أنّ الرجاء من جملة مقامات السالكين، وأحوال الطالبين، وإنما يسمى الوصف

---

الأطراف، **( ثقيل الأعباء )** أي الأحمال **( محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء، ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف )** وفي الفقرتين تلميح إلى حديث: « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ». **( فلا بدّ إذاً من بيان حقائقهما )** أي الرجاء والخوف **( وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما )**، وليس المراد بالتضاد هنا أنهما مما يستحيل اجتماعهما في موضع واحد، وإنما يتعاقبان كالسواد والبياض، فسيأتي للمصنف قريباً أن الخوف ليس بضد للرجاء، بل هو رفيق له، وإنما المراد به هنا معنى التعاند والتصاعب وإلا لما أمكن الجمع بينهما. **( ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد )** إذ لا بد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك أحدهما، وهذا بخلاف غير المصنف كالقشيري وصاحب القوت فإنهما ذكرا كل واحد منهما في باب مستقل **( يشتمل )** ذلك الكتاب **( على شطرين )**:

**( الشطر الأول: في الرجاء )** وإنما قدمه إيماء إلى أن الوصول به أرجى للسالك كما لا يخفى.

**( والشطر الثاني: في الخوف )**.

**( أما الشطر الأول: فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء، وبيان فضيلة الرجاء، وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يجتلب به الرجاء )**. وإنما قدم القشيري باب الخوف على باب الرجاء، وتبعه صاحب عين العلم لأن الخوف حال أهل الابتداء، بخلاف الرجاء فإنه حال أهل الانتهاء ولكل وجهة.

**بيان حقيقة الرجاء:**

**( اعلم )** وفقك الله تعالى **( أن الرجاء )** بالمد لغة الأمل وهو **( من جملة مقامات السالكين**

مقاماً إذا ثبت وأقام، وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال، وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب، وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل، وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض، فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام، فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب، وغرضنا الآن حقيقة الرجاء، فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل، فالعلم سبب يثمر الحال. والحال يقتضي العمل، وكان الرجاء إسم للحال من جملة الثلاثة، وبيانه: أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فيقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في الاستقبال، فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكراً وتذكراً، وإن كان

---

**وأحوال الطالبين)** وهو المقام الرابع من مقامات اليقين، والسالك والطالب واحد إلا أنه خص السلوك بطلب طريق الحق، فالطالب أعم وهو واجب لأنه من عقود الايمان بكمال الله تعالى، ثم اعلم أن هذا العلم الذي نحن بصدده يترتب على قواعد شتى لو وضعها المصنف في موضع واحد لاختلّ نظام الترتيب وعسر البناء عليها عند الحاجة إليها، فاختار أن يضع في كل كتاب قاعدة مناسبة له ويبني عليه أمثاله، فقد أشار إلى القاعدة المناسبة لهذا الباب ولما يأتي بعده من الأحوال في انقسام أحوال القلوب بقوله: **(وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام)** كأنه أشار به إلى وجه تسميته أي يسمى المقام مقاماً لثبوته واستقراره، **(وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال)** أي يسمى الحال حالاً لتحوّله وسرعة زواله، **(كما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب)** هذا أصل لونه الذي لا يتغير عنه وقد يحمر لعارض فيثبت فيه، **(وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل)** فإن الإنسان إذا عراه خوف يصفر لونه، فإذا زال الخوف رجع إلى لونه **(وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض)** فتارة تثبت وتارة تزول، **(فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام، فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب)** واختلفت إشارات الشيوخ في الحال والمقام ووجود الإشتباه فيهما لمكان تشابههما في أنفسهما وتداخلهما، فتراءى للبعض الشيء حالاً وتراءى للبعض مقاماً، وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما، وأحسن ما يفرق به بينهما ما أشار إليه المصنف على أن اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق، وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً والعبد بالأحوال يرتقي إلى المقامات، **(وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب)** فما يعرف وصف من أوصافه إلا وفيه حال ومقام. **(وغرضنا الآن حقيقة الرجاء، فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل)** فإنه ما من مقام إلا وهو ينتظم من هؤلاء الثلاثة، والعمل ميراث الحال، والحال ميراث العلم، **(فالعلم سبب يثمر الحال)** أي بمنزلة شجرة والحال ثمرتها، **(والحال يقتضي العمل)** فإنه بمنزلة الغصن. **(وكان الرجاء إسم للحال من جملة الثلاثة)** المذكورة، **(وبيانه: أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال، وإلى موجود فيما مضى)** من الزمان، **(وإلى منتظر في الإستقبال)** أي فيما

ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سمي وجداً وذوقاً وإدراكاً، وإنما سمي وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك، وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظاراً وتوقعاً، فإن كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سمي خوفاً وإشفاقاً، وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء، فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بدّ وأن يكون له سبب، فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق، وإن كان ذلك

---

سيأتي، **( فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكراً وتذكراً )** وندماً وأسفاً، فالذكر وجود الشيء في القلب أو اللسان وذلك لأن الشيء له أربع درجات: وجوده في ذاته، ووجوده في قلب الإنسان، ووجوده في لفظه، ووجوده في كتابته. فوجوده في ذاته هو سبب لوجوده في قلب الإنسان، ووجوده في قلبه هو سبب لوجوده في لسانه،ووجوده في كتابته. ويقال: للوجودين الأولين الذكر، وأما التذكر فهو محاولة القوّة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان، **( وإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سمي** وجداً **وذوقاً وإدراكاً )** وفرحاً وسروراً، **( وإنما سمي وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك )** وإنما سمي ذوقاً على التشبيه بالذوق الذي هو تناول الشيء بالفم لإدراك الطعم، وإنما سمي إدراكاً لأنه أحاط عليه علماً بكماله، **( وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الإستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظاراً له أو توقعاً )** فالإنتظار هو الثبات لتوقع ما يكون في الحال، والتوقع تفعل من الوقوع بمعنى الحصول أي تكلف حصول الشيء في يده، **( فإن كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سمي خوفاً وإشفاقاً )** وحزناً وقبضاً وغماً وكمداً، وقد اختلفت عباراتهم في الخوف فقيل: وهو توقع مكروه أو فوت محبوب، وقيل هو حذر النفس من أمور ظاهرها تضره، وقيل توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة. وأما الإشفاق فعناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه، فإذا عدى « بمن » فمعنى الخوف فيه أظهر أو « بعن » فمعنى العناية فيه أظهر، **( وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الإرتياح رجاء، فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده )** عن إمارة مظنونة ومعلومة هذا هو معناه العرفي. وقال بعضهم: هو ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، وقيل: هو ترقب الإنتفاع بما تقدم له سبب ما. وقيل: تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلاً. وقال القشيري في الرسالة: هو تعليق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل، وكما أن الخوف يقع في مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما تؤمل في الإستقبال، **( ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بدّ ولأن يكون له سبب )** ما تقدمه، **( فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق، وإن كان ذلك انتظاراً مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغـرور والحمق**

انتظاراً مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب. وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه، أما ما يقطع به فلا إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب، لأن ذلك مقطوع به، نعم يقال: «أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه. وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوّس، ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته، ثم نقى الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده، ثم

---

**عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الإنتفاء، فاسم التمني أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب)** وطلب لما لا طمع في وقوعه كليت الشباب يعود. وقال القشيري: والفرق بين الرجاء والتمني أن التمني يصاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء. **(وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه)** ويكون التوقع عن إمارة إما مظنونة أو معلومة، **(أما ما يقطع به فلا إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع، وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك)** أي طلوعها وغروبها في وقتها **(مقطوع به. نعم يقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه)** فإن نزوله وانقطاعه ليس لهما وقت معين يقطع به، **(وقد علم أرباب القلوب)** ممن نوّر الله بصيرته **(أن الدنيا مزرعة للآخرة)** كما ورد ذلك في الخبر، **(والقلب كالأرض)** في قبوله لما يرد عليه، **(والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها، فالقلب المستهتر بالدنيا)** أي المولع بها **(المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر)** أي لا يزيد نموّاً، **(ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع)** فإن من زرع حصد، **(ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة، فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوّس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته)** وهو في

جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته: سمي انتظاره رجاء. وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً، ثم انتظر الحصاد منه: سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء. وإن بث البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضاً: سمي انتظاره تمنياً لا رجاء، فإذاً اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات، فالعبد إذا بث بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت، وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات، أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة، فانتظاره حمق وغرور، قال ﷺ: «الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة» وقال تعالى:

---

مبدأ نشأته، ( **ثم نقى الأرض من الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده** ) بعد النبات بأن يصفر أوراقه ويضعف قوته، ( **ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق** ) من الرياح المحرقة ( **والآفات المفسدة** ) من الدود والجليد وغيرهما ( **إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء، وإن بث البذر في أرض صلبة** ) لا تنبت أو ( **سبخة** ) أو ( **مرتفعة لا ينصب إليها الماء و** ) هو مع ذلك ( **لم يشتغل بتعهد البذر أصلاً، ثم انتظر الحصاد سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء، وإن بث البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها ولكن ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضاً** ) كالأراضي المصرية ( **سمي انتظاره تمنياً لا رجاء، فإذاً اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات** ) والموانع، ( **فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الأخلاق الردية وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة** ) المفضية إلى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة ( **كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً على المواظبة والقيام بمقتضى الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت، وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات وترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة** ) وعلو الدرجات، ( **فانتظاره حمق وغرور** ) في الحالات. ( **قال ﷺ** ): «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، و( **الأحمق** ) وفي لفظ

﴿فخلف مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ [ مريم : ٥٩ ] ، وقال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يأخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [ الأعراف : ١٦٩ ] ، وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال : ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إلى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾ [ الكهف : ٣٥ ، ٣٦ ] ، فإذا العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة ، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة . وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة . وأما قبول التوبة إذا كان كارهاً للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق إليها ، فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة ؛ لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد

---

العاجز ( **من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله** ) رواه أحمد والترمذي وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس ، والحاكم من حديث شداد بن أوس قد تقدم ( **وقال تعالى : ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾** ) هو اسم واد في جهنم . ( **وقال تعالى : ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾ وذم الله تعالى صاحب البستان** ) بفلسطين واسمه أبو فطرس ( **إذ دخل جنته وقال : ﴿ما أظن أن تبيد هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾** ) فكل ذلك يدل على انتظار المغفرة والدرجات العالية مع الإنهماك في الشهوات النفسية حمق وغرور وعجز . ثم أشار المصنف إلى مظان الحاجة إلى استعمال الرجاء وأن لاستعماله مواطن بقوله :

( **فإذاً العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي** ) إلا الصغائر التي لا يخلو من مثلها البشر غير الأنبياء ( **حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة ، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة** ) كما في الخبر الآتي قريباً . هذا هو الموطن الأول .

( **وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير ، فحقيق بأن يرجو قبول التوبة** ) وهذا هو الموطن الثاني .

( **وأما قبول التوبة إذا كان كارهاً للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها فيشتهي التوبة ويشتاق إليها ، فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لأن كراهية المعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب** ) المغلب لجانب الرجاء ( **الذي قد يفضي إلى التوبة** ) وهذا هو الموطن الثالث .

يفضي إلى التوبة، وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب، ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَاجَرُوا أو جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ ﴾ [البقرة: ٢١٨]، معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله، وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء، فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع، فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية. قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب، وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان، فإن من

---

**( وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب )** وتمهدها بتمامها، **( ولذلك قال تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا )** أي السيئات واللذات **( وجاهدوا في سبيل الله )** أي بتكثير الطاعات **( أولئك يرجون رحمة الله ﴾ معناه أولئك يستحقون أن يرجوا )** رحمة ربهم. **( وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو، ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء )** مشيراً لبعد منزلتهم بلفظ «أولئك». **( فأما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع )** إليه، **( فرجاؤه المغفرة حمق )** وغرور كما قيل: الغرة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله ويتمنى مغفرته، ورجاؤه **( كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية )** وإصلاح. **( قال يحيى بن معاذ )** الرازي رحمه الله تعالى: **( من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الإفراط في أمل، وأنشد )**:

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنسِ
**( ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ )**

**( فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته، فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب، وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان، فإن من**

حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها، فلا يفتر عن تعهدها أصلاً إلى وقت الحصاد، وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس، واليأس يمنع من التعهد، فمن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت: فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب في تعهدها والرجاء محمود، لأنه باعث، واليأس مذموم وهو ضدّه لأنه صارف عن العمل، والخوف ليس بضدّ للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه، بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة، فإذاً حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال. ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له، فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر

---

**حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهده وتنحية كل حشيش ينبت فيها، فلا يفتر عن تعهدها أصلاً إلى وقت الحصاد، وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد، فمن عرف ان الأرض سبخة وأن الماء معوز )** أي قليل الوجود، **( وأن البذر لا ينبت، فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب في تعهدها، والرجاء محمود )** مقامه **( لأنه باعث )** على العمل حاث عليه كالخوف، **( واليأس )** الذي هو ضده **( مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل )**. ولفظ القشيري: فالرجاء محمود والتمني معلول، **( والخوف ليس بضدّ للرجاء )** كما يتبادر إلى الأذهان، **( بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه، بل هو )** أي الخوف باعث آخر بطريق آخر بطريق الرهبة، كما أن الرجاء **( باعث بطريق الرغبة )** لأن السبب الموجب للخوف هو بعينه سبب الرجاء لأن الصفات القديمة تعلقت بكل موجود في الوجود، ومتعلقاتها لا تنقضي سرمداً فهي التي يصدر عنها كل ما ساء وسر ونفع وضر فقد قهر وجبر واعطى ومنع. كل ذلك على أتم أنواع الكمال، فمن عرف ذلك من صفاته تعالى خافه ورجاه، وهذا هو الرجاء لذاته الذي لا يتوقع بحسنة ولا يندفع بنسيئة إنما ينشأ من فضل الله الذي هو فضله لمن اختصه في أزله من عباده، كما أن الخوف ينشأ عن عدل الله الذي هو عدله لمن أبعده عن حضرته في أزله، وينتفع بهذا الرجاء من أخرجه خوف الذنوب والعيوب إلى اليأس والقنوط، وينتفع بالخوف الذي يراد لذاته من أخرجه رؤية كثرة الأعمال إلى الإدلال والأمن والاغترار، **( فإذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة-بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال )** ولاستعماله مواطن ثلاثة قد أشار إليها المصنف قريباً.

**( و )** أما علاماته فهي ما تصدر **( من آثاره )** من **( التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له )** عند الدعاء والسؤال، ولذلك ألحق الحليمي رحمه الله تعالى الدعاء بالرجاء، وذكر له أركاناً وآدابا، وقد تقدم بيان ذلك تفصيلاً في كتاب الدعوات

على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى؟ فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل، ويدل على إثماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل، إذ قال لرسول الله ﷺ: جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد؟ فقال: «كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحب الخير وأهله، وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه، وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحننت إليه. فقال «هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للأخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت» فقد ذكر ﷺ علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مراداً بالخير من غير هذه العلامات فهو مغـرور.

---

فليراجع من هناك. (**فإن هذه الأحوال لا بدّ وأن تظهر في كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني**)، فليستأنف التوبة والإقبال على العمل بالجد والاجتهاد حتى تظهر عليه تلك الأحوال، (**فهذا هو البيان**) المفصح (**لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل، ويدل على إثماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل**) بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي رضي الله عنه (**إذ قال لرسول الله ﷺ: جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد؟ فقال «كيف أصبحت»؟ قال: أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه، وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحننت إليه. فقال: «هذه علامة الله فيمن يريد ولو أراد للأخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت»**). قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، وفيه أنه قال له «أنت زيد الخير» وكذا قال ابن أبي حاتم سماه النبي ﷺ الخير سمعت أبي يقول ذلك اهـ.

قلـت: ورواه ابن شاهين من طريق سنين مولى بني هاشم عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل راكب حتى أناخ، فقال: يا رسول الله إني أتيتك من مسيرة تسع أسألك عن خصلتين. فقال «ما اسمك». قال: أنا زيد الخيل. قال «بل أنت زيد الخير سل». قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فذكر الحديث بطوله. وأخرجه ابن عدي في ترجمة سنين وضعفه، (**فقد ذكر ﷺ علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مراداً بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور**) في وادي الملامات، وبالله التوفيق.

**بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه:**

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له، والحب يغلب بالرجاء، واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه؛ والآخر رجاء لثوابه، ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما في وقت الموت: قال تعالى: ﴿لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ [الزمر: ٥٣] فحرم أصل اليأس، وفي أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه: أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف؟ قال: لا، قال: لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني؟ ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وقال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله تعالى»، وقال ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي

---

**بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه:**

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم**) أي أكثرهم حباً (**له**) وأنساً به، (**والحب يغلب بالرجاء**) لا بالخوف، ويحتمل أن يكون هذا وجه تقديم الرجاء على الخوف في الذكر، (**واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء لثوابه، فالراجي ثوابه أكثر حباً له من الخائف من عقابه**) وهو اعتبار صحيح، (**ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن**) بالله تعالى (**رغائب**) أي مرغبات (**لاسيا في وقت الموت**) سواء عرف نفسه بالاساءة أم لا. وقال القشيري: ومن عرف نفسه بالإساءة فينبغي أن يكون خوفه غالباً على رجائه انتهى. وهذا غير مقيد وقت الموت. وفي القوت: ولولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الأوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة لطول الحياة، وكذلك قيل: إن الخوف أفضل ما دام حياً فإذا حضر الموت فالرجاء أفضل. (**قال تعالى: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله**) إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ (**فحرم أصل اليأس**) الذي هو ضد الرجاء والقنوط بمعناه قال تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف: ٨٧] (**وفي أخبار يعقوب عليه السلام: أن الله تعالى أوحي إليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف هذه المدة؟ قال: لا. قال: لأنك قلت**) لأخوته: ﴿**أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون**﴾ [**يوسف: ١٣**] **لم خفت الذئب**) عليه (**ولم ترجني، ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له**)؟ نقله صاحب القوت. زاد في رواية عن الله تعالى إنه أوحى إليه من سبق عنايتي بك أن جعلت نفسي عندك أرحم الراحمين فرجوتني، ولولا ذلك لكنت أجعل نفسي عندك أبخل الباخلين. (**وقال ﷺ «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث جابر اهـ.

**بي فليظن بي ما شاء » ودخل ﷺ على رجل وهو في النزع فقال: « كيف تجدك؟ » فقال: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال ﷺ: « ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف »، وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه: يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك.**

---

قلت: ورواه كذلك الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان. وروى ابن جميع في معجمه، والخطيب، وابن عساكر من حديث أنس « لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله تعالى فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة » قال الذهبي: فيه أبو نواس الشاعر فسقه ظاهر فليس بأهل أن يروى عنه.

**( وقال ﷺ: « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء » )** قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث واثلة بن الأسقع وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله « فليظن بي ما شاء » اهـ.

قلت: وبمثل رواية الصحيحين رواه الطبراني عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وحديث واثلة رواه أيضاً ابن أبي الدنيا والحكيم وابن عدي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي وتمام، ولفظهم « قال الله عز وجل » والباقي سواء. وفي رواية للطبراني في الأوسط، وأبي نعيم في الحلية، وابن عساكر « إن الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخير وإن شراً فشر » ورواه كذلك الشيرازي في الألقاب من حديث أنس، وروى أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة « قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً له وإن ظن شراً فله » ورواية الصحيحين من حديث أبي هريرة: « قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله » ورواية الصحيحين من حديث أبي هريرة: « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي » الحديث. وفي رواية لمسلم يقول الله تعالى: « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة » الحديث.

**( ودخل ﷺ على رجل وهو في النزع )** أي حالة نزوع الروح منه **( فقال: « كيف تجدك » فقال: أجدني أخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي. فقال ﷺ « ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف » )** قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من حديث أنس. وقال النووي: إسناده جيد اهـ.

قلت: وروى البيهقي من مرسل سعيد بن المسيب رفعه « ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله الرجاء وآمنه الخوف ».

**( وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط: يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك )** كذا في القوت. ورواه الشريف الموسوي في نهج البلاغة. قال صاحب القوت:

وقال سفيان: من أذنب ذنباً فعلم ان الله تعالى قدّره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه، قال: لأن الله عز وجل عير قوماً فقال: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ [ فصلت: ٢٣ ]، وقال تعالى: ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُم قَوْماً بُوراً﴾ [ الفتح: ١٢ ] وقال ﷺ: « إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكر؟ فإن لقنه الله حجته قال: رب رجوتك وخفت الناس. قال: فيقول الله تعالى: قد غفرته لك ». وفي الخبر الصحيح: « أن رجلاً كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيراً قط، فقال الله عز وجل: من أحق بذلك منا » فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ

---

صدق رضي الله عنه لأن اليأس من روح الله الذي يستريح إليه المكروب من الذنوب، والقنوط من رحمة الله التي يرجوها بالغيوب أعظم من ذنوبه، وهو أشد من جميع عيوبه لأنه قطع بهواه على صفات الله المرجوّة، وحكم علي كرم الله بصفاته المذمومة وكان ذلك من أكبر الكبائر وإن كانت ذنوبه كبائر.

( **وقال سفيان** ) الثوري رحمه الله تعالى: ( **من أذنب ذنباً فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه. قال** ) سفيان: ( **لأن الله عز وجل عيَّر** ) أي عاب ( **قوماً فقال** ) تعالى: ( ﴿**وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم**﴾ ) فأصبحتم من الخاسرين﴾ ( **وقال تعالى** ) في مثله: ﴿**وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً**﴾ أي هلكى، ففي دليل خطابه أن من ظن ظناً حسناً كان من أهل النجاة هكذا أورده صاحب القوت، ثم قال: وقد جاء في الأثر: من أذنب ذنباً فأحزنه ذلك غفر له ذنبه وان لم يستغفر. قلت: وقول سفيان المذكور سيأتي معناه في أحاديث الرجاء قريباً.

( **وقال ﷺ: « إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإن لقنه الله حجته قال: رب رجوتك وخفت الناس. قال؟ فيقول الله تعالى قد غفرت لك »** ) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد، وقد تقدم في كتاب الأمر بالمعروف.

( **وفي الخبر الصحيح « أن رجلاً كان يداين الناس** ) أي يعاملهم بالدين ( **فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله** ) تعالى ( **ولم يعمل خيراً قط. فقال الله عز وجل: من أحق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات »** ) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي مسعود « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانه ان يتجاوزوا عن المعسر، فقال قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه ». واتفقا عليه من حديث حذيفة وأبي هريرة بنحوه اهـ.

كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [ فاطر : ٢٩ ] ولما قال ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم » فهبط جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقول لك لم تقنط عبادي ؟ فخرج عليهم ورجاهم وشوّقهم » . وفي الخبر :

---

قلت: حديث أبي مسعود رواه كذلك أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي وقال حسن صحيح، والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو مسعود . راويه هو عقبة بن عمرو البدوي الصحابي رضي الله عنه .

ورواه أحمد والشيخان وابن ماجه من حديث حذيفة وأبي مسعود معاً « ان رجلاً ممن كان قبلكم أتاه ملك الموت ليقبض نفسه فقال له : هل عملت من خير ؟ قال : ما أعلم . قال له : انظر . قال : ما أعلم شيئاً غير أني كنت أبايع الناس وأحارفهم فانظر المعسر وأتجاوز عن الموسر فادخله الله الجنة » .

وروى البزار وابن حبان والحاكم وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة « أن رجلاً لم يعمل خيراً قط وكان يداين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله ان يتجاوز عنا ، فلما هلك قال الله عز وجل : هل عملت خيراً قط؟ قال: لا إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسّر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا . قال الله تعالى : قد تجاوزت عنك » . وفي رواية لأحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن حبان : « كان رجل تاجر يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه » .

**( ولما قال )** لهم ( ﷺ ) يعظهم: **( « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون )** أي تضربون **( صدوركم وتجأرون )** أي تتضرعون **( إلى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقول لم تقنط عبادي )** ؟ قال: **( فخرج عليهم )** رسول الله ﷺ **( فرجاهم وشوّقهم » )** هكذا هو سياق القوت.

ولفظ القشيري في الرسالة: وفي بعض التفاسير أن رسول الله ﷺ دخل على أصحابه من باب بني شيبة فرآهم يضحكون فقال: « تضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » ثم مرَّ ورجع القهقري وقال « نزل على جبريل وأتى بقوله نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم » اهـ.

وقال العراقي: رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة، وأوّله متفق عليه من حديث أنس. ورواه بزيادة « ولخرجتم إلى الصعدات » أحمد والحاكم وقد تقدم اهـ.

قلت: أما المتفق عليه من حديث أنس إلى قوله كثيراً رواه أيضاً أحمد والدارمي والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن حبان. ورواه أيضاً أحمد والبخاري والترمذي من حديث أبي هريرة ورواه .

**«أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام. أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي فقال: يا رب، كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي وإحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل. ورؤي أبان بن أبي عياش في النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء فقال: أوقفني الله تعالى بين يديه فقال: ما الذي حملك على ذلك؟ فقلت أردت أن أحببك إلى خلقك، فقال: قد غفرت لك. ورؤي يحي بن أكثم بعد موته في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني الله بين يديه**

---

ابن عساكر والطبراني من حديث سمرة. ورواه ابن عساكر أيضاً من حديث أبي الدرداء ورواه بزيادة «ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تنجون أو لا تنجون» الطبراني والحاكم والبيهقي من حديث أبي الدرداء ورواه بزيادة «ولما ساغ لكم الطعام والشراب» بعد قوله كثيرا الحاكم من حديث أبي ذر.

وروى الحاكم من حديث أبي هريرة «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا يظهر النفاق وترتفع الأمانة» الحديث.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق حزام بن حكيم قال: قال أبو الدرداء «لو تعلمون ما أنتم راؤن بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة ولا شربتم شراباً على شهوة ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم».

(**وفي الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام**): يا داود (**أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي. فقال: يا رب**) هذا أحبك وأحب من يحبك و(**كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: أذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل**) هكذا هو في القوت إلا أنه قال: أوحى الله إلى داود وغيره من الأنبياء ثم ساقه ولم يقل وفي الخبر، ولذلك قال العراقي: لم أجد له أصلاً وكأنه من الإسرائيليات.

(**ورؤي أبان بن أبي عياش**) البصري أبو إسماعيل العبدي واسم أبيه فيروز، روى له أبو داود، مات في حدود الأربعين (**في النوم**) بعد موته (**وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء**) والرخص فقال له الرائي: ما فعل الله بك؟ (**فقال: أوقفني الله تعالى بين يديه فقال: ما الذي حملك على ذلك**) أي على أن حدثت عني بما حدثت به من الرخص؟ قال: (**فقلت يا رب أحببت أن أحببك إلى خلقك. فقال: قد غفرت لك**) هكذا أورده صاحب القوت.

(**ورؤي**) القاضي (**يحي بن أكثم**) بن محمد بن قطن التميمي المروزي أبو محمد فقيه صدوق، روى له الترمذي وكان يرى الرواية بالإجازة والوجادة، ولذلك كثر فيه الكلام، مات عن ثلاث وثمانين سنة في أواخر سنة اثنتين وأربعين ومائة (**بعد موته في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟**

وقال: يا شيخ السوء فعلت وفعلت، قال فأخذني من الرعب ما يعلم الله، ثم قلت: يا رب ما هكذا حدثت عنك، فقال: وما حدثت عني؟ فقلت: حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك ﷺ عن جبريل عليه السلام أنك قلت: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء، وكنت أظنك أن لا تعذبني فقال الله عز وجل: صدق جبريل وصدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال: فألبست ومشي بين يدي الولدان إلى الجنة فقلت: يا لها من فرحة.

وفي الخبر: «أنّ رجلاً من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدّد عليهم، قال: فيقول

---

**فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا شيخ السوء فعلت وفعلت. قال: فأخذني من الرعب)** والفزع **(ما يعلم الله، ثم قلت: يا رب ما هكذا حدثت عنك. فقال: وما حدثت عني؟ فقلت: حدثني عبد الرزاق)** بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصغاني ثقة حافظ مصنف شهير عمي في آخر عمره مات سنة إحدى عشرة ومائة عن خمس وثمانين سنة روى له الجماعة، **(عن معمر)** ابن راشد الأزدي مولاهم بن عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل مات سنة أربع وخمسين عن ثمان وخمسين سنة روى له الجماعة، **(عن الزهري)** هو أبو بكر بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب المدني الفقيه الثبت المشهور، **(عن أنس)** بن مالك رضي الله عنه، **(عن نبيك ﷺ أنك قلت)** تباركت وتعاليت: **(أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء، و)** قد **(كنت أظن بك أن لا تعذبني. فقال عز وجل: صدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت أنت. قال: فألبست)** أي من خلع الجنة **(ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة فقلت: يا لها من فرحة)**! هكذا أورده صاحب القوت.

وحديث «أنا عند ظن عبدي بي» تقدم ذكره قريباً من رواية واثلة بن الأسقع عند ابن حبان بهذا السياق وليس هو من حديث أنس.

وأورده القشيري من وجه آخر فقال: سمعت ابن الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المركي قال: حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الأديب قال: حدثنا الفضل بن صدقة، حدثنا أبو عبد الله الحسن بن عبد الله بن سعيد قال: كان يحيى بن أكثم القاضي صديقاً لي وكان يودّني وأودّه فمات يحيى فكنت اشتهي أن أراه في المنام فأقول له ما فعل الله بك، فرأيته ليلة في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي إلا أنه وبخني ثم قال لي: يا يحيى خلطت عليّ في دار الدنيا. فقلت: يا رب اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «أنك قلت أني لاستحيي ان أعذب ذا شيبة بالنار». فقال: قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيي إلا أنك خلطت عليّ في دار الدنيا.

**(وفي الخبر «أن رجلاً من بني اسرائيل كان يقنط الناس)** من رحمة الله تعالى **(ويشدد**

له الله تعالى يوم القيامة. اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها، وقال ﷺ: «إن رجلاً يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان، فيقول الله تعالى لجبريل: اذهب فأتنـي بعبدي. قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له: كيف وجدت مكانك؟ فيقول: شر مكان. قال فيقول ردّوه إلى مكانه قال: فيمشي ويلتفت إلى ورائه فيقول الله عز وجل: إلى أي شيء تلتفت! فيقول لقد رجوت أن لا تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها، فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة» فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

---

**عليهم)** بالإنذار والتخويف **(قال: فيقول الله تعالى له يوم القيامة: اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها»)** كذا في القوت. وقال العراقي: رواه البيهقي في الشعب عن زيد بن زيد بن أسلم فذكره مقطوعاً.

**(وقال ﷺ: «إن رجلاً يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان، فيقول الله تعالى لجبريل)** عليه السلام: **(اذهب فأتني بعبدي. قال: فيجيء به فيوقفه على ربه، فيقول الله تعالى له: كيف وجدت مكانك؟ فيقول: شر مكان. فيقول: ردوه إلى مكانه. قال: فيمشي ويلتفت إلى ورائه فيقول الله عز وجل: إلى أي شيء تلتفت؟ فيقول: لقد رجوت أن لا تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها. فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله، والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث أنس اهـ.

قلت: وروى أحمد من حديث عبادة بن الصامت وفضالة بن عبيدة معاً «إذا كان يوم القيامة وفرغ الله تعالى من قضاء الخلق، فيبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تعالى: ردوه فيردونه فيقول له: لم التفت؟ فيقول: كنت أرجو أن تدخلني الجنة فيؤمر به إلى الجنة، فيقول: لقد أعطاني الله عز وجل حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ما عندي شيئاً».

وأما لفظ حديث أنس عند البيهقي «أن عبداً في جهنم ينادي ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله لجبريل: اذهب ائتني بعبدي هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين يبكون فيرجع إلى ربه عز وجل فيخبره، فيقول: ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول له: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول: يا رب شر مكان وشر مقيل. فيقول: ردوا عبدي فيقول: يا رب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تعيدني فيها. فيقول: دعوا عبدي». وقد رواه كذلك أحمد وابن خزيمة.

**(فدلّ هذا على ان رجاءه كان سبب نجاته)** من النار، ولفظ القوت: وروينا في خبر عن رسول الله ﷺ «أن رجلاً يخرج من النار فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول له: كيف وجدت

## بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب:

اعلم أنّ هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين: إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة، وإما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله، وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الافراط والتفريط، فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال، فأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب سموماً مهلكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد، وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة، بل المغرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له، فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفاً ناظراً إلى مواقع العلل معالجاً لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها، فإنّ

---

مكانك» الحديث. ثم قال: فقد صار الرجاء طريقه إلى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه في الدنيا إليها، روينا أن الآخر سعى مبادراً إلى النار لما قال ردوه فقيل له في ذلك فقال: لقد ذقت من وبال معصيتك في الدنيا ما خفت من عذابك في الآخرة. وقال: خفت أن أعصيه في الآخرة كما عصيته في الدنيا. فقال: اذهبوا به إلى الجنة. نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

### بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب:

**( اعلم )** وفقك الله تعالى **( أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين: إما رجل غلب عليه اليأس )** من روح الله تعالى **( فترك العبادة )** من أصلها، **( وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة فاضر بنفسه وأهله)**، وهذا هو الموطن الرابع من مواطن استعمال الرجاء، وقد تقدمت الإشارة للمواطن الثلاثة، ثم هذا العبد الذي أورثه الافراط في الخوف إلى القنوط إما بسبب كثرة الذنوب أو بسبب الجهل بجود الله وكرمه وقبوله للتوبة من العبد المذنب إذا رجع إليه، فهذا داء عظيم يجب دواؤه بالرجاء كما يشير إليه المصنف فيما بعد **( وهذان رجلان مائلان عن )** حدّ **( الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج )** يردهما إلى الاعتدال، **( فأما العاصي المغرور المتمني على الله )** المغفرة والدرجات العالية **( مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب سموماً مهلكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء )** للناس بنص القرآن أي **( لمن غلب عليه البرد )** منهم في مزاجه إما من اصله أو من عارض **( وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة )** في مزاجه، إما من طبع أو من عارض، وهذا مما اتفق عليه العارفون بالطب، والمتكلمون على الخواص. **( بل المغرور )** المتمني **( لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له )** لتكون مزيلة لمرض غروره والأمراض لا تعالج إلا باضدادها، **( فلهذا يجب ان يكون واعظ )** العامة من **( الخلق )** وكذا الاستاذ والمعلم حكيماً بصيراً **( متلطفاً )** عارفاً بنبضهم **( ناظراً إلى مواقع العلل معالجاً لكل علة**

المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها ، فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط ، وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء ، بل المبالغة في التخويف أيضاً تكاد أن لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب ، فأما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ، ولكنها لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ، ولم يكن غرض الوعاظ إلا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد الفساد فساداً وازداد المنهمكون في طغيانهم تمادياً . قال عليّ كرّم الله وجهه إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله . ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف

---

**بما يضادها لا بما يزيد فيها )** ويهيجها ، **( فإن المطلوب )** في كل شيء **( هو العدل والقصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها )** كما ورد ذلك في الخبر ، وتقدم ذكره ، **( فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يريد في ميله عن الوسط ، وهذا الزمان )** يعني به زمانه الذي كان فيه وهو رأس الاربعمائة بعد الهجرة **( زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء )** وما يترخص فيه ، **( بل المبالغة في التخويف )** والتحذير **( أيضاً تكاد )** أي تقرب **( لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب )** أي طريقه ، **( فأما ذكر أسباب الرجاء )** والرخص **( فتهلكهم وترديهم )** أي توقعهم في الردى **( بالكلية، ولكنها لما كانت أخف )** وقعاً **( على القلوب وألذ عند النفوس )** وأروح عند الأسماع **( ولم يكن غرض الوعاظ )** وأرباب الكراسي **( إلا استمالة القلوب )** إليهم **( واستنطاق الخلق بالثناء )** عليهم كيفما كانوا **( مالوا إلى الرجاء )** والرخص ، حتى ازداد الفساد فساداً وازداد المنهمكون في الطغيان تمادياً ، قال علي كرم الله وجهه : إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله تعالى . ولفظه في نهج البلاغة : الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله .

وقال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبي ، حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن الحكم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا شجاع بن الوليد ، عن زياد بن خيثمة ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن حمزة عن علي رضي الله عنه قال : ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ، ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولا يرخص لهم في معصية الله ، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ولا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا خير في علم لا فهم فيه ، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها .

**( ونحن نذكر أسباب الرجل ليستعمل في حق الآيس )** من روح الله **( وفيمن غلب عليه الخوف )** وأفرط عليه حتى أخرجه إلى القنوط من رحمة الله **( اقتداء بكتاب الله )** عز وجل

اقتداء بكتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعاً لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذي يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان. وحال الرجاء يغلب بشيئين، أحدهما الاعتبار، والآخر: استقراء الآيات والأخبار والآثار.

أما الاعتبار، فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف

---

( **وسنّة رسوله ﷺ، فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعاً لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء** ) كما ورد ذلك في الخبر، وذلك ( **بحسب الحاجة** ) والاضطرار ( **استعمال الطبيب الحاذق** ) الذي يضع الهناء مواضع النقب ( **لا استعمال الأخرق** ) الجاهل ( **الذي يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان، وحال الرجاء يغلب بفنين: أحدهما الاعتبار** ) وهو افتعال من العبرة ( **والآخر استقراء الآيات والأخبار والآثار** ) أي تتبعها.

( **أما الاعتبار، فهو** ) استقراء أول الوجود فإنك ترى الوجود من قمة العرش إلى منتهى الفرش خيراً كله ولم يكن فيه من الشر إلا ما ينسب إلى جنس المكلفين، والمكلفون في جزء يسير من الأرض والأرض جزء يسير من الدنيا وما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم أصبعه في اليم، وهذا ظاهر في الاستقراء لأن عالم الآخرة أوسع من عالم الدنيا، بل ملك من الملائكة يعدل الخلق أجمع، فموجبات الرحمة في الوجود أكثر من موجبات الغضب، ولذلك آثار كثيرة أثنى بها على نفسه فقال: الرحمن الرحيم الفتاح الكريم الجواد الأكرم التوّاب الوهاب العفو الغفور الشكور الصمد المجيب الودود البر الرزاق اللطيف الرؤوف المحسن المنعم المنان الرفيق الهادي، مع ما يضاف إلى هذا من الرضا والمحبة والذكر والمشي والهرولة، وما أشبه هذا. فالنظر إلى آثار هذه الأفعال وما ورد من الأخبار في فضائل الأعمال شفاء للإياس وترويح للخائف وترغيب للمعتدل.

ومن الاعتبار أيضاً ( **أن يتامل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم** ) الستة عشر ( **من كتاب الشكر، حتى إذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الانسان** ) أي خلقته ( **حتى أعدَّ له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء، وما هو محتاج إليه كالاصابع والأظفار، وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين** ) أي كونهما على صورة القوس ثم سواهما، ( **واختلاف ألوان العينين** ) من بياض وسواد ( **وحمرة**

ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود ، وإنما كان يفوّت به مزية جمال ، فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك المؤبد ، بل إذا نظر الإنسان نظراً شافياً علم أن أكثر الخلق قد هيىء له أسباب السعادة في الدنيا ، حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وإن أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت أبداً مثلاً أو لا يحشر أصلاً فليست كراهتهم للعدم إلا لأنّ أسباب النعم أغلب لا محالة ، وإنما الذي يتمنى الموت نادر ، ثم لا يتمناه إلا في حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة ، فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلاً ، فالغالب أنَّ أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم ، فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوي به أسباب الرجاء ، ومن الاعتبار أيضاً النظر في حكمة الشريعة وسننها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها ، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من أقوى أسباب الرجاء . فقيل له : وما

---

**الشفتين، وغير ذلك مما لا ينثلم بفقده غرض مقصود )** أي لا ينقص ولا يفوت ، **( وإنما كان يفوت به مزية جمال )** الصورة ، **( فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك المؤبد ، بل إذا نظر الإنسان نظراً شافياً علم أن أكثر الخلق قد هُيِىء له أسباب السعادة في الدنيا حتى أنـه يكره الانتقال من الدنيا بالموت )** ومفارقتها ، **( وإن أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت مثلاً أو لا يحشر أصلاً فليس كراهتهم للعدم )** الذي هو الموت **( إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة ، وإنما الذي يتمنى الموت نادر )** قليل ، **( ثم )** إذا فرض تمنيه فإنه **( لا يتمناه إلا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة )** هجمت عليه ولم ير منها الانفكاك ، فاختار بطن الأرض على ظهرها ، **( فإذا حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة ،** فسنّة **الله لا تجد لها تبديلاً )** ولن تجد لسنة الله تحويلاً . **( فالغالب أن أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم ، فهذا )** الذي ذكرناه مع ما سبق من غلبة الرحمة **( إذا تؤمل حق التأمل قوي به أسباب الرجاء )** للآيسين .

**( ومن الاعتبار أيضاً : النظر في حكمة الشريعة )** المطهرة **( وسننها في )** أحكام **( مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها ، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة )** الطويلة المذكورة **( في )** سورة **( البقرة من أقوى أسباب الرجاء )** وهي قوله تعالى : ﴿يـا أيُّها الَّذين آمَنُوا إذا تَدَايَنْتُم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه﴾ إلى قوله ﴿والله بما تعملون عليم﴾ [ البقرة : ٢٨٢ ،

فيها من الرجاء ؟ فقال: الدنيا كلها قليل، ورزق الإنسان منها قليل والدين قليل من رزقه، فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه.

## الفن الثاني: استقراء الآيات والأخبار:

فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [ الزمر: ٥٣ ] وفي قراءة رسول الله ﷺ: (ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم) وقال تعالى: ﴿والْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ في الأَرْضِ﴾ [ الشورى: ٥ ] وأخبر تعالى أن النار أعدها لأعدائه وإنما خوف بها أولياءه فقال: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾

---

٢٨٣ ] **( فقيل له: وما فيها من الرجاء ؟ فقال: الدنيا كلها قليل )** بالنسبة إلى الآخرة، **( ورزق الانسان منها قليل )** بالإضافة إلى رزق سائر الحيوانات، **( والدين قليل من رزقه، فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عباده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه )** في دنياه وعقباه. ولفظ القوت: وكان بعض الراجين من العارفين إذا تلا هذه الآية، آية الدين التي في سورة البقرة يسر بذلك ويستبشر لها ويعظم رجاؤه عندها، فقيل له في ذلك أنها ليس فيها رجاء ولا ما يوجب رجاء الاستبشار، فقال: بل فيها رجاء عظيم، فقال: إن الدنيا كلها قليل ورزق الإنسان فيها قليل، وهذا الدين من رزقه فقليل من قليل، ثم ان الله احتاط في ذلك ودقق النظر إلي بأن وكد ديني بالشهود والكتاب، وأنزل الله فيه أطول آية، ولو فاتني ذلك لم أبال به، فكيف يكون فعله بي في الآخرة التي لا عوض لي من نفسي فيها.

**الفن الثاني: استقراء الآيات القرآنية والاخبار النبوية:**

**( فما ورد في الرجاء )** من ذلك كثير **( خارج عن الحصر )** والضبط ولكن يذكر هنا من كل ذلك ما ينفع الراجين. **( أما الآيات فقد قال الله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ )** وهذه أرجى آية في القرآن **( و )** روينا **( في قراءة رسول الله ﷺ ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم )** وفي المشهورة المتواترة بحذفها. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد وقال: حسن غريب. **( وقال تعالى )** مخبراً عن الملائكة الحافين حول العرش **( ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ وأخبر تعالى ان النار أعدها لأعدائه، وإنما خوّف بها أولياءه فقال لهم: ﴿من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوّف الله به عباده﴾ و )** مثله **( قال )**

[ الزمر: ١٦ ]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [ آل عمران: ١٣١ ]، وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لا يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [ الليل: ١٤، ١٦ ]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ﴾ [ الرعد: ٦ ] ويقال: إن النبي ﷺ لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له: أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [ الضحى: ٥ ]، قال: لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار ». وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ [ الزمر: ٥٣ ] الآية، ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾.

---

تعالى: ( **﴿واتقو النار التي أعدت للكافرين﴾ وقال تعالى ﴿فأنذرتكم ناراً تلظّى* لا يصلاها إلا الأشقى* الذي كذب وتولى﴾ وقال تعالى** ) في عفوه عن الظالمين: ( **﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ ويقال: إن النبي ﷺ لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له: أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية** ) يعني: ( **﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾** ) هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ. وروى ابن أبي حاتم والثعلبي في تفسيريهما من رواية علي بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: لما أنزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: « لولا عفو الله وتجاوزه ما تهنى أحد العيش » الحديث. ( **و** ) جاء ( **في تفسير قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ قال: « لا يرضى محمد** ) ﷺ ( **وأحد من أمته في النار »** ) هكذا أورده صاحب القوت، والقائل لذلك ابن عباس. رواه الخطيب في تلخيص المتشابه بسنده عنه. ورواه ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس بلفظ: « من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار » ورواه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن جبير عنه قال: « رضاه أن تدخل أمته الجنة كلهم ».

( **وكان أبو جعفر محمد بن علي** ) بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ( **يقول: أنتم يا أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ الآية. ونحن أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾** ) وعده ربه تعالى أن يرضيه في أمته. هكذا أورده صاحب القوت. وروى ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال: قلت لأبي جعفر بن علي بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي؟ قال أي والله حدثني عمي محمد بن الحنفية، عن علي أن رسول الله ﷺ قال: « أشفع لأمتي حتى يناديني ربي رضيت يا محمد، فأقول: نعم يا رب رضيت ». ثم أقبل علي فقال:

**وأما الأخبار، فقد روى أبو موسى عنه ﷺ أنه قال: « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل الله عقابها في الدنيا: الزلازل والفتن، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل: هذا فداؤك من النار ». وفي لفظ**

---

إنكم تقولون يا معشر أهل العراق إن أرجى آية في كتاب الله ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية. قلت: إنا لنقول كذلك، ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وهي الشفاعة. ومن الآيات الدالة على الرجاء قوله تعالى: ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء﴾ [ الشورى: ١٩ ] وقوله تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ [ الأحزاب: ٤٣ ] وقوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فدخلت جهنم وغيرها في توسعة الرحمة من حيث كن شيئاً. وقوله تعالى: ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ [ الأعراف: ١٥٦ ] معناه خصوص الرحمة وصفوها لا كنهها إذ لا نهاية للرحمة لأنها صفة الراحم الذي لا حدّ له، ولأنه لم يخرج عن رحمته كل شيء كما لم يخرج من حكمته وقدرته شيء لأن جهنم والنار الكبرى ليس كنه عذابه ولا كلية تعذيبه، فمن ظن ذلك به فلم يعرفه، ولأنه انما أظهر من عذابه مقدار طاقة الخلق كما أنه أظهر من ملكه ونعمه مقدار مصالح الخلق ولا يصلح للخلق ولا يطيقون إظهار أكثر مما أظهر من النعيم والعذاب، بل لا ينبغي لهم أن يعرفوا فوق ما أبدى لأن نهاية تعذيبه وتنعيمه من نهاية ملكه الذي هو قائم به وملكه عن غاية قدرته وسلطانه، ولا نهاية لذلك ولا يطيق الخلق كله إظهار ذلك أيضاً عن تعالي صفاته ونهاية معاني أسمائه المتناهيات، ولا سبيل إلى كشف ذلك من الغيوب. فسبحان من لا نهاية لقدرته ولا حدّ لعظمته ولا أمد لسلطانه، وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله تعالى: ﴿إنّه كان حليماً غفوراً﴾ [ الإسراء: ٤٤ ] ﴿وكان الله عليماً حليماً﴾ [ الأحزاب: ٥١ ] فعلموا ان المغفرة على سعة كمال الحلم لسعة العلم، فلما رأوا عظيم علمه رجوا عظيم مغفرته، ولما شهدوا كثيف ستره أملوا جميل عفوه.

**( وأما الأخبار فقد روى أبو موسى )** عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه **( عنه ﷺ أنه قال « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا: الزلازل والفتن، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل: هذا فداؤك من النار » )** قال صاحب القوت: رويناه في حديث أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى. وقال العراقي: رواه أبو داود دون قوله « فإذا كان يوم القيامة » الخ. فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وهي صحيحة من حديث أبي موسى كما يأتي في الحديث الذي يليه انتهى.

قلت: لفظ أبي داود « أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا ». ورواه كذلك الطبراني والحاكم. وروى الحاكم في السكنى من حديث أنس « أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها ». وروى الخطيب في المتفق والمفترق، وابن النجار من حديث ابن عباس: « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة إذا كان يوم القيامة

آخر: « يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول: هذا فدائي من النار فيلقى فيها » وقال ﷺ: « الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار »

---

أعطى الله كل رجل من أمتي رجلاً من أهل الأديان فكان فداءه من النار » وفيه عبد الله بن ضرار عن أبيه قال ابن معين، لا يكتب حديثه.

**( وفي لفظ آخر « يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيلقى فيها » )**. كذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي موسى: « إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول: هذا فداؤك من النار ». وفي رواية « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً انتهى.

قلت: في لفظ لمسلم « أعطى الله كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار فيقال له: هذا فداؤك من النار » رواه هكذا عن أبي بردة عن أبي موسى. وفي لفظ للطبراني في الكبير وفي الأوسط والحاكم في الكنى « إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى كل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار ». وفي لفظ لأحمد « إذا كان يوم القيامة لم يبق مؤمن إلا أتي بيهودي أو نصراني حتى يدفع إليه فيقال له: هذا فداؤك من النار ». وعند أبي نعيم في الحلية « إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد ثم يرفع لكل قوم آلهتهم » الحديث. وفيه فيقال لأهل التوحيد: « ارفعوا رؤوسكم فقد أوجب الله لكم الجنة وجعل مكان كل رجل منهم يهودياً أو نصرانياً في النار ». وأما الرواية الثانية لمسلم: « لا يموت رجل » الحديث فقد رواه كذلك ابن حبان والطبراني.

**( وقال ﷺ: « الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار » )** قال العراقي: رواه أحمد من رواية أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة، وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه انتهى.

قلت: ويقال: هو الأنصاري روى له ابن ماجه في كتاب التفسير له، وقد رواه أيضاً الطبراني، وابن مردويه، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات ولفظ الكل: « الحمى كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار » وفي الصحيحين « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء ». وروى الطبراني وابن قانع وابن مردويه والشيرازي في الألقاب وابن عساكر من حديث أبي ريحانة الأنصاري: « الحمى كير من جهنم وهي نصيب المؤمن من النار ». وعند ابن النجار « من كير جهنم وهي حظ المؤمن من النار ». وروى الطبراني في الأوسط من حديث أنس « الحمى حظ المؤمن من النار » وزاد ابن عساكر من حديث عثمان بن عثمان « يوم القيامة ». وروى البزار من حديث عائشة « الحمى حظ كل مؤمن من النار » ورواه كذلك القضاعي من حديث ابن مسعود بزيادة « وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة ».

وروي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَّبِي وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحريم: ٨] أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام: «إني أجعل حساب أمتك إليك. قال: «لا يا رب أنت أرحم بهم مني» فقال: إذاً لا نخزيك فيهم» وروي عن أنس أنّ رسول الله ﷺ سأل ربه في ذنوب أمته فقال: «يا رب اجعل حسابهم إليّ لئلا يطلع على مساويهم غيري» فأوحى الله تعالى إليه: هم أمتك وهم عبادي، وأنا أرحم بهم منك، لا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا تنظر إلى مساويهم أنت ولا غيرك. وقال ﷺ: «حياتي خير لكم وموتي خير لكم، أما حياتي فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع. وأما موتي فإن أعمالكم تعرض عليّ، فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه، وما رأيت منها سيئاً

---

(وروي في تفسير قوله تعالى ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا﴾) الآية (أن الله تعالى أوحى إلى نبيه ﷺ أني أجعل حساب أمتك إليك. قال «لا يا رب أنت خير لهم مني» فقال: «إذاً لا نخزيك فيهم») هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله.

قلت: روى أحمد وابن عساكر من حديث حذيفة إن ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟ فقلت: «ما شئت يا رب هم خلقك وعبادك» فاستشارني الثانية، فقلت له كذلك. فاستشارني الثالثة فقلت له كذلك، فقال تعالى «إني لن أخزيك في أمتك يا أحمد» الحديث.

(وروي عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ سأله ربه في ذنوب أمته فقال: «يا رب اجعل حسابهم إليّ لئلا يطلع على مساوئهم غيري فأوحى الله تعالى إليه هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا تنظر إلى مساوئهم أنت ولا غيرك») هكذا أورده صاحب القوت عن سلمة بن وردان عن أنس. وقال العراقي: لم أقف له على أصل.

(وقال ﷺ «حياتي) أي في الدنيا (خير لكم وموتي خير لكم) ولفظ: خير أريد به التفضيل لا الأفضلية فلا توصل بمن وليست بمعنى الأفضل، وإنما المقصود أن في كل من حياته وموته خير إلا أن هذا خير من هذا ولا هذا خير من هذا كما توهم. (أما حياتي فأسنّ لكم السنن وأشرع لكم الشرائع، وأما موتي فإن أعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه وما رأيت منها شيئاً أستغفر الله لكم») أي أطلب لكم مغفرة الصغائر وتخفيف عقوبات الكبائر هكذا هو في القوت. وقال العراقي: رواه البزار من حديث ابن مسعود ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن رواد وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون، وفي رواية الحرث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه باسناد ضعيف انتهى.

استغفرت الله تعالى لكم » ، وقال ﷺ يوماً : « يا كريم العفو » فقال جبريل عليه السلام : أتدري ما تفسير : يا كريم العفو ؟ هو إن عفا عن السيئات برحمته بدّ لها حسنات بكرمه . وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم أني أسألك تمام النعمة . فقال: « هل تدري ما تمام النعمة ؟ » قال: لا ، قال: « دخول الجنة » ، قال العلماء : قد أتم الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا ، إذ قال تعالى: ﴿وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكُم الإسلامَ ديناً﴾ [ المائدة : ٣ ] وفي الخبر : « إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل لملائكته :

---

قلت : لفظ الحرث بن أبي أسامة « حياتي خير لكم ينزل علي الوحي من السماء فأخبركم بما يحل لكم وما يحرم عليكم، وموتي خير لكم تعرض علي أعمالكم كل خميس فما كان من حسن حمدت الله عليه وما كان من ذنب استوهبت لكم ذنوبكم » . ورواه الحرث أيضاً مختصراً بلفظ « حياتي خير لكم ومماتي خير لكم » . ورواه كذلك أبو نصر اليونارتي في معجمه ، وابن النجار . وروى ابن سعد في الطبقات ، عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم » .

**( وقال ﷺ يوماً : « يا كريم العفو » فقال جبريل عليه السلام: أتدري ما تفسير يا كريم العفو؟ هو إن عفا عن السيئات برحمته بدلها حسنات بكرمه )** هكذا هو في القوت. وقال العراقي : لم أجده عن النبي ﷺ ، والموجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وجبريل عليهما السلام. هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد . ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال: حدثني بعض الزهاد فذكره.

**( وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال: « وهل تدري ما تمام النعمة؟ » قال: لا قال: « دخول الجنة » )** . رواه الطبراني من حديث معاذ بزيادة « والنجاة من النار » وقد تقدم. ورواه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب والترمذي والبيهقي في الأسماء بلفظ: « يا ابن آدم هل تدري ما تمام النعمة فإن من تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة » وفي لفظ للترمذي : « من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار » .

**( قال العلماء : قد أتم نعمته برضاه الإسلام لنا إذ قال )** . ولفظ القوت: وقد أخبرنا الله عز وجل أنه قد أتم نعمته علينا برضاه الإسلام لنا ، فهذا دليل على دخول الجنة. فقال تعالى: **﴿وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** وقد أشركنا في ذلك مع رسول الله ﷺ ، فنحن نرجو المغفرة لذنوبنا بفضله تعالى فقال: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك.

**( وفي الخبر « إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر يقول الله عز وجل لملائكته، انظروا إلى**

انظروا إلى عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب، ويأخذ بالذنب، أشهدكم أني قد غفرت له»، وفي الخبر: «لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني»، وفي الخبر: «لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقراب

---

**عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له»)** كذا في القوت. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة: «إن عبداً أذنب ذنباً فقال: أي رب أذنبت ذنباً فاغفر لي» الحديث. وفي رواية «أذنب عبد ذنباً فقال» الحديث انتهى.

قلت: لفظ المتفق عليه «إن عبداً أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت فاغفره، فقال ربه: اعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت آخر فاغفره لي. قال ربه: علم عبدي ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء». ورواه كذلك أحمد وابن حبان. وروى الحاكم من حديث أنس «من أذنب ذنباً فعلم أن له رباً إن شاء أن يغفر له غفر له وإن شاء أن يعذبه عذبه كان حقاً على الله أن يغفره». وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال: كلا، والله كيف يكون صحيحاً وفيه جابر بن مرزوق وهو نكرة. ورواه أبو نعيم في الحلية من وجه آخر وهذا قد تقدم للمصنف. وروى الطبراني في الصغير والأوسط بسند ضعيف حديث ابن مسعود «من أذنب ذنباً فعلم أن له رباً غفر له وإن لم يستغفر» وهذا أيضاً قد تقدم.

**(وفي الخبر «لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني»)** كذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس « يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك» وقال: حسن انتهى.

قلت لفظ الترمذي: «قال الله عز وجل يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم ولو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة». وقال حسن غريب، وقد رواه كذلك الضياء في المختارة، ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس، ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة، ورواه البيهقي من حديث أبي ذر، وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العسر، والحكيم، وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس «ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني».

**(وفي الخبر «لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقرابها مغفرة)** ما لم يشرك بي شيئاً» كذا لفظ القوت. وقال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي ذر «ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة». وللترمذي من حديث أنس الذي قبله «يا ابن آدم لو لقيتني، الحديث» انتهى.

قلت: لفظ حديث مسلم: «يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة» الحديث. ورواه كذلك أحمد وابن ماجه وأبو عوانة. وفي لفظ للطيالسي

**الأرض مغفرة » . وفي الحديث : « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات ، فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة » ، وفي لفظ آخر : « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه : ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشرة . وأرفع له تسع حسنات ، فتلقى عنه السيئة » وروى أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه » فقال اعرابي : وإن تاب عنه ؟ قال : « محي عنه » قال : فإن عاد ؟ قال النبي ﷺ : « يكتب عليه » قال الأعرابي : فإن تاب ؟ قال : « محي من صحيفته » قال : إلى متى ؟ قال : « إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل ، إن الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من**

---

قال ربكم عز وجل : « الحسنة بعشر والسيئة بواحدة أو أغفرها ، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بقراب الأرض مغفرة » الحديث . وروى الطبراني والبيهقي من حديث أبي الدرداء : « قال الله عز وجل يا ابن آدم مهما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان فيك ، وإن استقبلتني بملء السماء والأرض خطايا وذنوباً استقبلتك بملئهن من المغفرة واغفر لك ولا أبالي » ورواه كذلك الشيرازي في الألقاب .

**( وفي الحديث: « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلاَّ كتبها سيئة » . وفي لفظ آخر : « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع له تسع حسنات فيلقي عنه هذه السيئة » )** هكذا أورده صاحب القوت وزاد : يقال إن الله تعالى جعل في قلب صاحب اليمين من الرحمة للعبد أضعاف ما جعل في قلب صاحب الشمال مع أنه أمره عليه ، فإذا علم العبد الحسنة فرح بها ملك اليمين ويقال: فرح بها الملائكة فيكتب للعبد بفرحهم الحسنات انتهى .

وقا العراقي: رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول، ورواه أيضاً أطول منه ، وفيه أن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، وليس فيه أنه يأمر صاحب الشمال بالقاء السيئة حتى يلقي من حسناته واحدة ولم أجد لذلك أصلاً .

**( وروى أنس )** رضي الله عنه **( في حديث طويل أنه ﷺ قال « إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه» فقال اعرابي )** كان حاضر المجلس: **( فإن تاب عنه؟ قال )** ﷺ : **( « محي عنه» )** من صحيفته **( قال )** الاعرابي: **( فإن عاد )** إلى الذنب ؟ **( قال ﷺ « يكتب عليه» قال الاعرابي: فإن تاب؟ قال )** ﷺ **( « محي من صحيفته» قال )** الاعرابي: **( إلى متى )** يا رسول الله؟ **( قال )** ﷺ : **( إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل، إن الله لا يمل من**

الاستغفار، فإذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها، فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل».

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه، ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها، وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوّع:

---

**المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار، فإذا همّ العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله إلى سبعمائة ضعف، فإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة وراءها حسن عفو الله عز وجل» )** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: رواه البزار والبيهقي في الشعب بلفظ: جاء رجل فقال: يا رسول الله إني أذنبت. قال «استغفر ربك». قال: فاستغفر ربي ثم أعود. قال: «فإذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مرات أو أربعاً» قال: «استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المسجور». وفيه أبو بدر بشار بن الحكم المصري منكر الحديث. وروى الطبراني والبيهقي فيه أيضاً من حديث عقبة بن عامر: أحدنا يذنب. قال يكتب عليه» قال: ثم يستغفر منه ويتوب. قال «يغفر له ويتاب عليه» قال: فيعود الحديث. وفيه «ولا يمل حتى تملوا» وإسناده حسن. ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف، وسمى الرجل السائل حبيب بن حبيب بن الحرث وليس في الحديثين قوله في آخره «فإذا هم العبد بحسنة» الخ.

وفي الصحيحين بنحوه من حديث بن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه «فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» زاد مسلم في رواية «أو محاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك». ولهما نحوه من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: حديث أبي هريرة هذا رواه كذلك أحمد، وأما حديث بن عباس في الصحيحين فأوله «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك فمن همّ بحسنة» الحديث. وروى الديلمي من حديث عبد الله بن أبي أوفى «من همّ بذنب ثم تركه كانت له حسنة» وروى هناد من حديث أنس «إذا همّ الرجل بحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات وإذا همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وإذا هم بسيئة فعملها كتبت عليه سيئة وإذا همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة لتركه السيئة».

**( وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لا أصوم إلا الشهر )** أي شهر رمضان **( لا أزيد عليه، ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها، وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا**

أين أنا إذا مت؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: « نعم معي، إذا حفظت قلبك من اثنتين: الغل والحسد، ولسانك من اثنتين: الغيبة والكذب، وعينيك من اثنتين: النظر إلى ما حرم الله، وأن تزدري بهما مسلماً. دخلت معي الجنة على راحتي هاتين »، وفي الحديث الطويل لأنس أنّ الأعرابي قال: يا رسول الله، من يلي حساب الخلق؟ فقال: « الله تبارك وتعالى » قال: هو بنفسه؟ قال: « نعم » فتبسم الأعرابي؛ فقال ﷺ: « ممّ ضحكت يا أعرابي؟ » فقال: إن الكريم إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح، فقال النبي ﷺ: « صدق الأعرابي، ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين »، ثم قال: « فقه الأعرابي » وفيه أيضاً: « أن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبداً هدمها حجراً حجراً ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى » قال الأعرابي: ومن أولياء الله تعالى؟ قال: « المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿اللهُ وليُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] »، وفي بعض الأخبار: « المؤمن أفضل من الكعبة »، و « المؤمن طيب طاهر »،

---

**أتطوّع أين أنا إذا مت؟ فقال النبي ﷺ: « معي في الجنة ». قال: يا رسول الله معك، فتبسم رسول الله ﷺ فقال: « نعم معي إن حفظت قلبك من إثنتين الغل والحسد، ولسانك من إثنتين الغيبة والكذب، وعينيك من اثنتين النظر إلى ما حرم الله وأن تزدري بهما مسلماً دخلت معي الجنة على راحتي هاتين »** ) كذا في القوت وتقدم في كتاب ذم الحقد والحسد.

( **وفي الحديث الطويل لأنس** ) رضي الله عنه ( **أن الأعرابي قال لرسول الله ﷺ** ): يا رسول الله ( **من يلي حساب الخلق** ) يوم القيامة؟ ( **فقال ﷺ** ): ( **الله تبارك وتعالى » قال: هو بنفسه؟ قال: « نعم » فتبسم الأعرابي فقال ﷺ: « مم ضحكت يا إعرابي »؟ قال: إن الكريم إذا قدر عفا** ) وفي لفظ: تجاوز، ( **وإذا حاسب سامح. فقال النبي ﷺ: « صدق الأعرابي ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين » ثم قال: « فقه الإعرابي »** ) هكذا هو في القوت: وقال العراقي: لم أجد له أصلاً ( **وفيه أيضاً** ) أي في حديث أنس المذكور: ( **إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبداً هدمها حجراً حجراً ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى » . قال الأعرابي: ومن أولياء الله تعالى؟ قال: « المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى. أما سمعت قول الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور »﴾** ) هكذا في القوت ( **وفي بعض الأخبار** ) ولفظ القوت وفي الخبر المنفرد: ( **« المؤمن أفضل من الكعبة** ) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ: « ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وإن تظن به

و « المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة » ، وفي الخبر : « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطاً يسوق الله به عباده إلى الجنة » ، وفي خبر آخر : « يقول الله عز وجل : إنما خلقت الخلق ليربحوا عليَّ ولم أخلقهم لأربح عليهم » ، وفي حديث أبي سعيد الخدري عن

---

إلا خيراً » وشيخه نصر بن محمد بن سليمان الحمصي ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وقد تقدم انتهى .

قلت : لفظ بن ماجه : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة وهويقول : « ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وإن يظن به إلا خيراً » ولابن أبي شيبة من طريق مجالد عن الشعبي عن ابن عباس أن النبي ﷺ نظر إلى الكعبة فقال : « ما أعظمك وأعظم حرمتك والمسلم أعظم حرمة منك فقد حرم الله دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء » وعنه البيهقي من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه ، وفيه حفص بن عبد الرحمن ، وقال صاحب القوت : وفي الخبر المشهور عن ابن عمر وأبي هريرة وكعب الأحبار أنه ﷺ نظر إلى الكعبة فقال : « ما أشرفك وأعظمك وللمؤمن أعظم درجة عند الله منك » .

( و ) قال ﷺ ( « المؤمن طيب طاهر » ) قال العراقي : لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث حذيفة : « المؤمن لا ينجس » . ( و ) قال ﷺ : ( « المؤمن أكرم على الله من الملائكة » ) قال العراقي : رواه ابن ماجه من رواية أبي المهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة بلفظ : « المؤمن أكرم من بعض ملائكته » وأبو المهزم تركه شعبة وضعفه بن معين . ورواه ابن حبان في الضعفاء ، والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف انتهى .

قلت : ونحو هذا الحديث قول عمرو بن العاص : « ليس شيء أكرم على الله من ابن آدم . قلت : الملائكة . قال : أولئك كمنزلة الشمس والقمر أولئك مجبورون » أخرجه البيهقي وقال : إن الصحيح وقفه ، رفعه بعضهم وهو ضعيف . وروى ابن النجار عن حكامة حدثنا أبي عن أخيه مالك بن دينار عن أنس رفعه : « المؤمن أكرم من الله من الملائكة المقربين » .

( وفي الخبر : « خلق الله جهنم من فضل رحمته سوطاً يسوق الله عباده إلى الجنة » ) كذا في القوت وقال العراقي : لم أجده مرفوعاً هكذا ، ويغني عنه ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة « عجب ربنا من قوم يجاء بهم إلى الجنة بالسلاسل » . ( وفي خبر آخر : « يقول الله عز وجل إنما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم أخلقهم لأربح عليهم » ) كذا في القوت وقال العراقي : لم أقف له على أصل .

قلت : ولفظ القشيري في الرسالة وقيل : أوحى الله إلى داود عليه السلام قل لهم إني لم أخلقهم لأربح عليهم وإنما خلقتهم ليربحوا علي انتهى ، فظهر أنه خبر إسرائيلي .

**رسول الله ﷺ : « ما خلق الله تعالى شيئاً إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه »، وفي الخبر المشهور : « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق. إن رحمتي تغلب غضبي »، وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه ﷺ قال: « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة »، « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار »، « ومن لقي الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار »، « ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من**

---

**( وفي حديث أبي سعيد الخدري )** رضي الله عنه **( عن رسول الله ﷺ )** أنه قال: **( « ما خلق الله شيئاً إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه » )** أورده صاحب القوت من رواية عطاء بن يسار عن أبي سعيد. وقال العراقي: رواه أبو الشيخ في الثواب وفيه عبد الرحيم بن كردم جهله أبو حاتم. وقال صاحب الميزان: ليس بواهٍ ولا هو بمجهول انتهى.

قلت: لفظ أبي الشيخ: « ما خلق الله من شيء إلا وقد خلق له ما يغلبه وخلق رحمته تغلب غضبه ». ورواه كذلك الحاكم وصححه وتعقب **( وفي الخبر المشهور « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي تغلب غضبي » )** رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وفي لفظ لابن ماجه: « إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي ». وقد تقدم.

**( وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك )** رضي الله عنهما **( أنه ﷺ قال: « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار، ومن لقي الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان » )** هذه أربعة أحاديث ساقها جملة واحدة تبعاً لصاحب القوت.

أما الحديث الأول، فقال العراقي: رواه الطبراني في الدعاء بلفظ: « من شهد » من حديث معاذ وهو في اليوم والليلة للنسائي بلفظ: « من مات يشهد » من حديث معاذ ومن حديث أنس وتقدم في الأذكار انتهى.

قلت: ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ: « من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وروى النسائي والطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بلفظ: « من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة » وروياه كذلك من حديث عمر، ورواه تمام في فوائد من رواية جابر عن عمر، وروى أحمد ومسلم والنسائي وابن حبان وابن خزيمة من حديث عثمان: « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ».

وأما الحديث الثاني، فقال العراقي: رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث معاذ بلفظ: « دخل الجنة » انتهى.

قلت ورواه كذلك أحمد والطبراني والبيهقي كلهم من حديث معاذ، ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث أبي سعيد الخدري.

**إيمان ». وفي خبر آخر: « لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد » ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، قال: « أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام: قم فابعث بعث النار من ذرّيتك، فيقول: كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة »، قال: فابلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: « ما لكم لا تعملون »؟ فقالوا: ومن يشتغل بعمل**

---

وأما الحديث الثالث: فقال العراقي: رواه الشيخان من حديث أنس أنه ﷺ قال لمعاذ: « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار » وفي رواية: « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ». ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ: « جعله الله في الجنة » وللنسائي من حديث أبي عمر الأنصاري في أثناء حديث فقال: « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما إلا حجب عن النار يوم القيامة » انتهى.

قلت: حديث أنس عند الشيخين رواه أيضاً الحاكم عن معاذ وسعيد بن الحرث بن عبد المطلب معاً، ولفظه: « من لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل لجنة ». ورواه أيضاً أحمد من حديث معاذ وأبي الدرداء معاً، وروى البيهقي وابن عساكر من حديث جابر: « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئاً دخل النار ».

وأما الحديث الرابع، فقال العراقي: رواه أحمد من حديث سهل بن بيضاء: « من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله على النار » وفيه انقطاع وله من حديث عثمان بن عفان: « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار » قال عمر بن الخطاب: هي كلمة الاخلاص وإسناده صحيح، ولكن هذا ونحوه مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار وإخراجهم بالشفاعة. نعم لا يبقى في النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه: « من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه » وقال مسلم: « من خير » بدل « إيمان ».

(**وفي خبر آخر: « لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد**) ولفظ القوت: « من رحمته » بدل « من جنته » قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(**ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ قال: « أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم يقال**) فيه (**لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك، فيقول**) آدم: (**كم؟ فيقال**) له: (**من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، قال**) الراوي: (**فأبلس القوم**) أي وقعوا في حيرة (**وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم**) ذلك (**عن الأشغال والعمل، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: « ما لكم لا**

**بعدما حدثتنا بهذا؟ فقال: « كم أنتم في الأمم؟ أين تاويل وتاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها إلا الله تعالى، إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، وكالرقمة في ذراع الدابة »، فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف**

---

**تعملون)** وتصنعون »؟ **(فقالوا: ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا. فقال: « كم أنتم في الأمم؟ أين بأويل)** بالباء الموحدة وفي بعض النسخ بالتاء الفوقية **(وتاريس)** بالفوقية آخره سين مهملة وتبت **(ومنسك ويأجوج ومأجوج)** وهؤلاء كلهم من أولاد آدم **(أمم لا يحصيها إلا الله تعالى)**، ولكل هؤلاء بقية إلى يوم القيامة في مشارق الشمس كما أن يأجوج ومأجوج في مغاربها **(إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالرقمة في ذراع الدابة »)** هكذا هو في سياق القوت والرقمة الشية. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عمران بن حصين وقال: حسن صحيح.

قلت: هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه. وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن جرير وابن مردويه من حديث عمران ولفظهم: « كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فتفاوت بين أصحابه في السير فرفع رسول الله ﷺ بهاتين الآيتين: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ إلى قوله: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطي وعرفوا أنه عنده قول يقوله فقال: هل تدرون أي يوم ذلك ». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « ذلك يوم ينادي الله فيه آدم فيقول يا آدم ابعث بعث النار فيقول أي رب ما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً في الجنة » فتعبس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة، فلما رأى رسول الله ﷺ الذي بأصحابه قال: « اعملوا وبشروا فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا أكثرتاه يأجوج ومأجوج ومن مات من بني آدم ومن بني إبليس ». فسري عن القوم. ثم قال: « اعملوا وبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير وكالرقمة في ذراع الدابة ».

وفي لفظ للترمذي قال: لما نزلت ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ إلى قوله: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ أنزلت عليه هذه وهو في سفر فقال: « أتدرون أي يوم ذلك ». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « ذلك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار. قال: يا رب وما بعث النار؟ وقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة » فانشأ المسلمون يبكون. فقال رسول الله ﷺ: « قربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان جاهلية فيوحده العدة من الجاهلية فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين وما مثلكم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير » ثم قال: « إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبروا ثم قال: « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا. قال: « لا أدري قال الثلثين أم لا ». ورواه كذلك سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من

طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

وقد روي عن الحسن البصري أيضاً مرسلاً قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة العسيرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ فذكر نحو حديث عمران إلا أنه زاد فيه «لم يكن رسولاً إلا كان بينهما فترة من الجاهلية فهم أهل النار وإنكم بين ظهراني خليقتين لا يعادّهما أحد من أهل الأرض إلا كثر وهم يأجوج ومأجوج وهم أهل النار وتكمل العدة من المنافقين».

وأما حديث أبي سعيد الخدري فلفظه في الصحيحين: «يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك فيقول إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً لى النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغير. ﴿وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [الحج: ٢] قال: فشق ذلك على الناس. فقالوا: يا رسول الله من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ويبقى الواحد فأينا ذلك الواحد؟ فقال: من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد وهل أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض». وقد رواه كذلك أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات. وفي الباب أنس وابن عباس وأبو موسى.

أما حديث أنس، فرواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظه: «نزلت ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ إلى قوله ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ على النبي ﷺ وهو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه فقال: أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم يقول الله لآدم يا آدم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فكبر ذلك على المسلمين. فقال النبي ﷺ: «سددوا وقاربوا وابشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وإن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا أكثر تاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس».

وأما حديث ابن عباس، فرواه البزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظه: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية وأصحابه عنده ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ فقال: هل تدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يوم يقول الله: يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول: رب كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة، ثم قال: اعملوا وابشروا فشق ذلك على القوم، فقال رسول

**ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى، إذ ساقهم بسياط الخوف أوّلاً، فلما خرج ذلك بهم عن حدّ الاعتدال إلى افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال، والقصد والآخر لم يكن مناقضاً للأوّل ولكن ذكر في الأوّل ما رآه سبباً للشفاء واقتصر عليه، فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر، فعلى الواعظ أن يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة، وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه، وفي الخبر: « لو لم تذنبوا لخلق الله**

---

الله ﷺ: « إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ثم قال: اعملوا وابشروا فإنكم بين خليقتين لم تكونا مع أحد إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج وإنما أنتم في الأمم كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وإنما أمتي جزء من ألف جزء ».

ورواه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه بلفظ: « بينا رسول الله ﷺ في مسيره في غزوة بني المصطلق إذ أنزل الله عليه ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ إلى قوله ﴿شديد﴾ فلما أنزلت عليه وقف على ناقته ثم رفع به صوته فتلاها على أصحابه فقال لهم: تعلمون أينْ ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يوم يقول الله لآدم يا آدم ابعث بعث النار من ولدك، فيقول: يا رب من كل كم؟ فيقول: من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة، فبكى المسلمون بكاء شديداً ودخل عليهم أمر شديد، فقال: والذي نفس محمد بيده ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الشاة السوداء وإني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، بل أرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة ».

وأما حديث أبي موسى فهو نحو من حديث ابن عباس أخرجه ابن مردويه في التفسير.

**( فانظر كيف كان )** ﷺ **( يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولاً، فلما خرج ذلك بهم عن حد الإعتدال إلى )** حد **( إفراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم إلى الإعتدال والقصد، والآخر لم يكن مناقضاً للأول، ولكن ذكر في الأول ما رآه سبباً للشفاء واقتصر عليه، فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر فعلى الواعظ )** على العامة **( أن يقتدي بسيد الوعاظ )** ﷺ **( فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة )** إليها **( بعد ملاحظة العلل الباطنة، وإن لم يراع ذلك كل ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه )**. قال صاحب القوت: مقام الرجاء هو جند من جنود الله تعالى يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره لأن بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرمة والإحسان ويقبل ويطمئن معاملة النعم والإمتنان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب، بل قد يقطعها ذلك ويوحشها إذ جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها، ومثل الرجاء في الأحوال مثل العوافي والغنى في الإنسان من الناس من يقبل قلبه ويجتمع همه عندهما ويوجد نشاطه وتحسن معاملته بهما كما قيل عن الله تعالى: إن من عبادي ما

خلقاً يذنبون فيغفر لهم » وفي لفظ آخر: « لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم أنه هو الغفور الرحيم » وفي الخبر: « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل: وما هو؟ قال: العجب »، وقال ﷺ: « والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن

---

لا يصلحه إلا الغنى ولو افقرته لأفسده ذلك، ومن عبادي ما لا يصلحه إلا الصحة ولو اسقمته لأفسده ذلك إن أدبر عبادي بعلمي إني بهم عليم خبير، فكذلك من عبادي من لا يصلحه إلا الرجاء ولا يستقيم قلبه إلا عليه ولا تحسن معاملته إلا بوجود حسن الظن به فهو طريقه إليه ومقامه منه ومنه علمه به وعنده يجد قلبه معه.

**( وفي الخبر: « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم » )** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي أيوب اهـ.

قلت: لفظه عند مسلم: « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم » وقد رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال حسن غريب وأما سياق المصنف، فقد رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو إلاّ أنه قال: « ثم يغفر لهم ».

وفي لفظ آخر: **( « لذهب بكم وجاء بخلق آخر فيذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم » )** كذا في القوت قال: أي وصفه سبحانه المغفرة والرحمة ولا بد أن يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه هذا كما يقول في علم المغفرة إن لله سبحانه من كل اسم وصفا ومن كل وصف فعلا، وفي هذا سر المغفرة ومنه معرفة الخصوص. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة قريباً منه اهـ.

قلت: ورواه أحمد والطبراني من حديث ابن عباس: « لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم » وروى الشيرازي في الألقاب من حديث أبي هريرة لولا أنكم أيتها الأمة تذنبون لاتخذ الله عباداً يذنبون فيغفر لهم » وروى ابن عساكر من حديث أنس: إن أصحاب النبي ﷺ شكوا إليه إنا نصيب من الذنوب. فقال لهم: « لولا أنكم تذنبون لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم ».

**( وفي الخبر: « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب » قيل: وما هو؟ قال: « العجب » )** كذا في القوت. قال العراقي: رواه البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وتقدم في ذم الكبر والعجب اهـ.

قلت: وفي لفظ لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب ». هكذا رواه الخرائطي في مساوىء الأخلاق، والحاكم في تاريخه، وأبو نعيم، ورواه الديلمي من حديث أبي سعيد. قال صاحب القوت: ولعمري إن العجب من صفات النفس المتكبرة وهو يحبط الأعمال وهو من كبار أعمال القلوب والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية، ولأن يبتلى العبد الشهواني بعشر شهوات من شهوات النفس خير له من أن يبتلى بصفة من صفات النفس مثل الكبر

من الوالدة الشفيقة بولدها » ، وفي الخبر : « ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد ، حتى أن ابليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه » ، وفي الخبر : « أن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعاً وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق ، فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها . فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض . قال : فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك » ، وفي الخبر : « ما منكم

---

والعجب والبغي والحسد وحب المدح وطلب الذكر لأن هذه منها معاني صفات الربوبية ، ومنها أخلاق الأبالسة ، وبها هلك إبليس ، وشهوات النفس من وصف الخلقة وبها عصى آدم ربه فاجتباه بعدها وهدى .

**( وقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » )** قال العراقي : متفق عليه من حديث عمر بنحوه **( وفي الخبر : « ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى أن إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه » )** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث حذيفة بإسناد ضعيف اهـ .

قلت : ورواه الطبراني في الشعب بلفظ : « والذي نفسي بيده ليغفرن الله » الحديث .

**( وفي الخبر : « إن لله مائة رحمة ادخر منها تسعاً وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا واحدة فيها يتراحم الخلق فتحن الوالدة إلى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين ثم يبسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك » )** قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة .

قلت : لفظ مسلم : « إن لله عز وجل مائة رحمة أنزل منها ، حمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » . ورواه كذلك ابن ماجه ورواه مسلم أيضاً من حديث سلمان ، وعند البيهقي من حديث أبي هريرة : « إن لله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا فمن ثم يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق » . وعند مسدد من حديث سلمان : « إن لله تعالى مائة رحمة منها رحمة تتراحم بها الخلق وتسعة وتسعين ليوم القيامة » . وعند الحاكم من حديث أبي هريرة : « إن الله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة بين أهل الدنيا فوسعتهم إلى آجالهم وأخر تسعاً وتسعين رحمة لأوليائه وإن الله قابض تلك الرحمة التي قسمها بين أهل الدنيا إلى التسع والتسعين فيكملها مائة رحمة لأوليائه يوم القيامة » .

من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار » قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « اعملوا وابشروا واعلموا أن أحداً لم ينجه عمله »، وقال ﷺ : « إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. أترونها للمطيعين المتقين بل هي للمتلوثين المخلطين »، وقال عليه

---

( **وفي الخبر: « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار » قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »** ) متفق عليه من حديث أبي هريرة. وعند ابن حبان: « ما منكم من أحد ينجيه عمله » قالوا : ولا أنت ». الحديث وفي آخره: « ولكن سددوا » وعند الطبراني من حديث أبي موسى « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ». قيل: ولا أنت الحديث. ورواه كذلك ابن حباب والبغوي وابن قانع والطبراني أيضاً من حديث شريك بن طارق. قال البغوي: ولا أعلم له غيره وهذا الحديث قد تقدم.

( **وقال ﷺ : « اعملوا وبشروا واعلموا أن أحداً لن ينجيه عمله »** ) قد تقدم أيضاً. ( **وقال ﷺ : « إني أختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »** ) قال العراقي: رواه الشيخان من حديث أبي هريرة: « لكل نبي دعوة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي » ورواه مسلم من حديث أنس، وللترمذي من حديثه وصححه، وابن ماجه من حديث جابر: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ». اهـ.

قلت: لفظ الصحيحين من حديث أبي هريرة: « لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ». وقد رواه أحمد كذلك. وفي لفظ المسلم من حديث جابر: « لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وإني قد خبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة ». ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة، وفي لفظ لمسلم من حديث أبي هريرة: « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ». ورواه كذلك الترمذي وابن ماجه. وفي لفظ للشيخين من حديث أبي هريرة: « لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وإني أريد إن شاء الله أن أدخر دعوتي شفاعة لأمتي بوم القيامة » وفي لفظ لمسلم: « لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاها وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ».

وأما حديث: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » فقد رواه أنس وجابر وابن عمر وكعب بن عجرة وابن عباس.

فحديث أنس رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وابن أبي عاصم والبزار وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان وصححاه، والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وقال: إنه إسناد صحيح، والضياء في المختارة كلهم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عنه ورواه أيضاً أحمد وأبو داود وابن خزيمة والبيهقي من طريق سعيد بـن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بلفظ: « الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي ». ورواه البيهقي من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بلفظ:

**الصلاة والسلام: « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة » ، وقال ﷺ وعلى كل عبد مصطفى:**

---

« قلنا يا رسول الله لمن تشفع؟ قال: لأهل الكبائر من أمتي وأهل العظائم وأهل الدماء ». ومن طريق زياد النميري عن أنس بلفظ: « إن شفاعتي أو أن الشفاعة لأهل الكبائر »

وأما حديث جابر، فرواه الطيالسي والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحاحهم والبيهقي وأبو نعيم في الحلية والضياء كلهم من طريق زهير بن محمد عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عنه، وقد رواه عن زهير عمـرو بن أبي سلمة ومحمد بن ثابت البناني والوليد بن مسلم.

وأما حديث ابن عمر، فرواه الخطيب في التاريخ.

وأما حديث كعب بن عجرة: فرواه الدارقطني في الإفراد والخطيب في التاريخ وفي البعث للبيهقي من طريق الشعبي عنه قال: قلت يا رسول الله الشفاعة الشفاعة. فقال: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ».

وأما حديث ابن عباس، فرواه الطبراني في الكبير، وقد روي عن أبي الدرداء ولكن بلفظ: « الذنوب » بدل « الكبائر » رواه الخطيب في التاريخ ولفظه: « شفاعتي لأهل الذنوب من أمتي » قال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سرق؟ قال: « نعم وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء ».

**( « أترونها للمطيعين المتقين بل هي للمتلوثين المخلطين » )** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي موسى، وأحمد من حديث ابن عمر: « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعلم وأكفى أترونها للمتقين » الحديث وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: رواه كذلك من حديث ابن عمر الحسن بن عرفة في جزئه، والطبراني و بن النجار من حديث أبي موسى رواه أيضاً الطبراني ولفظ الجميع: « شطر أمتي » بدل « نصف » وفيه « أفترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين ».

**( وقال ﷺ: « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة » )** قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله: « السهلة » وله وللطبراني من حديث ابن عباس: « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة » وفيه محمد بن إسحاق رواه بالعنعنة اهـ.

قلت: ترجم البخاري في صحيحه باب أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة، وقد رواه أيضاً بدون لفظ: « السهلة » الديلمي من حديث عائشة، وابن سعد في الطبقات عن حبيب بن أبي ثابت مرسلاً، ورواه الخطيب وابن النجار من حديث جابر بزيادة: « ومن خالف سنتي فليس مني ».

وأما حديث إبن عباس « أحب الدين » الخ. فـرواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد، والبزار من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عنه قيـل لرسول الله ﷺ :أي الأديان أحب إلى الله تعالى؟ قال « الحنيفية السمحة ». وله طرق. ورواه البزار أيضاً عن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن

« أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة »، ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم: ﴿وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْراً﴾ [ البقرة: ٢٨٦ ] وقال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ والأغْلاَلَ الَّتي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [ الأعراف: ١٥٧ ] وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾ [ الحجر: ٨٥ ]، قال: « يا جبريل، وما الصفح الجميل؟ » قال عليه السلام: « إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه » فقال: « يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه » فبكى جبريل وبكى النبي ﷺ فبعث الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال: إن ربكما يقرئكما السلام ويقول: كيف أعاتب من عفوت عنه، هذا ما لا يشبه كرمي.

---

جده، ورواه بزيادة « فإذا رأيت أمتي لا يقولون للظالم أنت ظالم فقد تودع » منهم الحاكم والنرسي في الغرائب وابن عساكر وأبو موسى المديني في المعرفة من حديث أسعد بن عبدالله بن مالك الخزاعي.

**( وقال ﷺ « أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة » )** قال العراقي: رواه أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد اهـ.

قلت: رواه الديلمي من طريق عبد الرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في حديث الحبشة ولعبهم، فنظرت عائشة إليهم قالت: فقال رسول الله ﷺ « لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة وإني بعثت بالحنيفية السمحة ». رواه أحمد هكذا من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي عروة إن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ يومئذ تعني يوم الحبشة لتعلم وذكره بلفظ « إني أرسلت » بدل « بعثت » وسنده حسن.

**( ويدل على معناه إستجابة الله للمؤمنين في قولهم )** ﴿ربنا **( ولا تحمل علينا إصراً )** كما حملته على الذين من قبلنا﴾ فقال: قد فعلت **( وقال )** الله عز وجل ومن أحسن من الله قيلاً **( ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم )﴾ )** فهذه العلوم هي أسباب قوة الرجاء في أولي الألباب. كيف وقد جاء ما يغلب حكم الرجاء من غير اغترار ما روي عن الله تعالى: أنا إلى الرحمة والعفو أقرب مني إلى العقوبة.

وروى) أبو القاسم **( محمد بن )** على بن أبي طالب الهاشمي المدني ابن **( الحنفية )** منسوب إلى أمه من بني حنيفة ثقة عالم مات بعد الثمانين **( عن )** أبيه **( علي رضي الله عنه أنه قال: لما نزل قوله تعالى ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ قال )** ﷺ: **( « يا جبريل وما الصفح الجميل » ؟ قال: إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال: « يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه » فبكى جبريل وبكى النبي ﷺ فبعث الله إليهما ميكائيل عليه السلام وقال: إن ربكما يقرئكما السلام ويقول: كيف أعاتب من عفوت عنه هذا مالا يشبه كرمي )** هكذا

**والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى:**

**وأما الآثار: فقد قال علي كرّم الله وجهه: من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا فالله أكرم أن يكشف ستره في الآخرة، ومن أذنب ذنباً فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة. وقال الثوري: ما أحب أن يجعل حسابي إلى أبوي لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما. وقال بعض السلف: للمؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه، وكتب محمد بن مصعب إلى أسود بن سالم بخطه: إن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يا ربي**

---

هو في القوت. وقال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير موقوفاً على علي مختصراً. قال الرضا بغير عتاب ولم يذكر بقية الحديث. وفي إسناده انتهى.

قلت وكذلك رواه ابن النحاس من قول علي، وورواه البيهقي في الشعب من قول ابن عباس.

( **والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى** ) وبعضها لايصلح ذكره لعموم الناس.

( **أما الآثار: فقد قال علي كرم الله وجهه: من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا فالله أكرم أن يكشف ستره في الآخرة، ومن أذنب ذنباً فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة** ) . ) وفي لفظ آخر لايذنب عبد في الدنيا فيستره عليه إلا غفره له في الآخرة، هكذا هو في القوت، وأورده الشريف الموسوي في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين.

قلت: وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث علي رضي الله عنه بلفظ « من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته علي عبده، ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه » هكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححاه وقد تقدم.

( **وقال** ) سفيان ( **الثوري** ) رحمه الله تعالى: ( **ما أحب أن يجعل حسابي إلى أبوي لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما** ) كذا في القوت، وأخرجه أبو نعيم في الحلية.

( **وقال بعض السلف: المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه** ) نقله صاحب القوت. ويشهد له ماجاء في الأثر إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله ملائكته وبقاع الأرض معاصيه وبدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس شيء عليه.

( **وكتب محمد بن مصعب** ) بن صدقة القرقساني صدوق، روى له الترمذي وابن ماجه، مات سنة ثمان وثمانين ( **إلى الأسود بن سالم بخطه** ) هكذا في النسخ بأن الكاتب هو محمد بن مصعب والمكتوب إليه هو الأسود بن سالم، والذي في القوت: وحدثت عن محمد بن مصعب قال:

حجبت الملائكة صوته، وكذا الثانية والثالثة، حتى إذا قال الرابعة: يا ربي، قال الله تعالى: حتى متى تحجبون عني صوت عبدي، قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري، أشهدكم إني قد غفرت له، وقال ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه: خلالي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة، فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت: يا ربي اعصمني حتى لا أعصيك أبداً، فهتف بي هاتف من البيت: يا ابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر؟ وكان الحسن يقول:

---

كتب الي أسود بن سالم بخطه ( **أن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فرفع يده يدعو ويقول: يا رب** ) فإذا قال يا رب ( **حجبت الملائكة صوته، وكذا** ) إذا قال المرة ( **الثانية** ): يا رب حجبت الملائكة صوته، ( **و** ) كذا إذا قال المرة ( **الثالثة** ) : ) يارب حجبت الملائكة صوته ( **حتى إذا قال** ) المرة ( **الرابعة: يارب قال** ) ولفظ القوت يقول: ( **الله تعالى حتى متى تحجبون صوت عبدي عني أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم أني قد غفرت له** ) .
أورده صاحب القوت، ويشهد له الخبر الذي تقدم قريباً « إذا أذنب العبد فاستغفر الله يقول الله لملائكته أنظروا إلى عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له ».

( **وقال** ) أبو إسحاق ( **إبراهيم بن أدهم** ) رحمه الله تعالى: ( **خلالي الطواف** ) ذات ( **ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت: يارب إعصمني حتى لا أعصيك أبداً فهتف بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر** ) ؟ أي إن وصفه سبحانه المغفرة والرحمة، ولا بد أن يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه هذا كما يقول في علم المغفرة إن له سبحانه من كل اسم وصفاً ومن كل وصف فعلاً، وفي هذا سر المعرفة ومنه معرفة الخصوص، ثم هذا الذي ساقه المصنف هو سياق صاحب القوت.

ولفظ القشيري في الرسالة: ويحكى عن ابراهيم بن أدهم رضي الله أنه قال: كنت أنتظر مدة من الزمان أن يخلو المطاف لي فكانت ليلة بها مطر شديد فخلا المطاف فدخلت الطواف وكنت أقول: اللهم اعصمني اللهم اعصمني فسمعت هاتفاً يقول لي: يا ابن أدهم أنت تسألني العصمة وكل الناس يسألوني العصمة، فإذا عصمتكم فلمن أرحم؟ إنتهى.

وفي ذلك دلالة على أنه سبق في علمه أنه لا بد من وقوع المعصية والرحمة وقد تقع الرحمة ولا معصية فمن رحمته عصمة الأنبياء وحفظ الأولياء، وقد قال الله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ [ يونس: ٩٩ ] وأراد بما ذكر أن ينبه ابن أدهم على أن لا يسأله ما ليس له به علم كما في قصة نوح عليه السلام إذ سؤال العبد العصمةعما لا علم به، فقد يكون في معلومه

لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب، وقال الجنيد رحمه الله تعالى: إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين. ولقي مالك بن دينار أباناً فقال له: إلى كم تحدث الناس بالرخص؟ فقال: يا أبا يحي، إني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح. وفي حديث ربعي بن حراش عن أخيه، وكان من خيار التابعين، وهو ممن تكلم بعد الموت قال: لما مات أخي سجى بثوبه وألقيناه على نعشه، فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً،

---

أنه ممن يعصى فسؤاله المغفرة أولى به وأقرب للعبودية، ويجوز أن يسأل العبد ربه أن يحفظه ويصونه عن سائر المعاصي. وأما العصمة فمن خصائص الأنبياء وقد إختلف في جواز سؤالها لغيرهم فقائل بالمنع وقائل بالجواز كما أوردناه في شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي فليراجع.

(**وكان الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**يقول: لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب**) نقله صاحب القوت.

(**وقال**) أبو القاسم (**الجنيد**) قدس سره: (**إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين**) نقله صاحب القوت. (**و**) يروى أنه (**لقي**) أبو يحي (**مالك بن دينار**) البصري (**أباناً**) وهو ابن أبي عياش المتقدم ذكره قريباً، وكان أبان ممن يحدث العامة بأحاديث الرجاء والرخص (**فقال له: كم تحدث الناس بالرخص**) ولا تخوفهم؟ (**فقال: يا أبا يحي إني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ماتخرق به كساءك هذا من الفرح**) نقله صاحب القوت.

(**وفي حديث ربعي**) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة وياء النسبة (**ابن حراش**) بكسر الحاء المهملة وآخره شين معجمة، وهو ابن حجش بن عمرو بن عبدالله بن بجاد بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي أبو مريم الكوفي (**عن أخيه**) مسعود بن حراش. قال ابن المديني: بنو حراش ثلاثة: ربعى وربيع ومسعود ولم يرو عن مسعود شيء إلا كلامه بعد الموت، (**وكان ربعي من خيار التابعين**) قدم الشام وسمع خطبة عمر بالجابية. وقال العجلي: تابعي ثقة من خيار الناس لم يكذب كذبة قط. كان له إبنان عاصيان على الحجاج فقيل للحجاج إن أباهما لم يكذب كذبة قط لو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه فقال: أين إبناك؟ قال: هما في البيت، فقال: قد عفونا عنهما بصدقك. وروي أن ربعياً آلى أن لايضحك حتى يعلم أين مصيره فما ضحك إلا بعد موته، وآلى أخوه ربعي بعده أن لايضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أو في النار قال غاسله: فلم يزل متبسماً على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا. قال أبو نعيم وغير واحد: مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة وصلى عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، روى له الجماعة (**وهو**) أي أخوه وهو مسعود (**ممن تكلم بعد الموت**) على الصحيح كما تقدم عن ابن المديني، ولكن روى البيهقي بإسناده في الدلائل عن ربعي أن المتكلم بعد الموت أخوه الربيع (**قال**) ربعي: (**لما مات أخي مسعود أو الربيع سجي بثوبه وألقيناه على**

وقال: إني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان وربي غير غضبان، وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تفتروا، وأن محمداً ﷺ ينتظرني وأصحابه حتى أرجع إليهم. قال: ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت في طشت فحملناه ودفناه.

وفي الحديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى، فكان أحدهما يسرف على نفسه، وكان الآخر عابداً وكان يعظه ويزجره، فكان يقول دعني وربي، أبعثت عليّ رقيباً حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال: لا يغفر الله لك. قال: فيقول الله تعالى يوم القيامة أيستطيع أحد أن يحظر رحمتي على عبادي، اذهب أنت فقد غفرت لك، ثم يقول للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار. قال: فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته.

---

**نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً وقال: إني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تفتروا )** أي لا تكسلوا. وفي بعض النسخ: ولا تغتروا من الإغترار **( إن محمداً ﷺ ينتظرني وأصحابه حتى أرجع إليهم. قال )** ربعي: **( ثم طرح نفسه فكأنه كانت حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه )** كذا هو في سياق القوت.

**( وفي الحديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه )** أي بالمعاصي، **( وكان الآخر عابداً وكان )** هذا العابد **( يعظه ويزجره )** وينهاه، **( فكان يقول: دعني وربي أبعثت علي رقيباً )** أي تراقب أحوالي وأعمالي **( حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال: لا يغفر الله لك. قال: فيقول الله تعالى يوم القيامة، أيستطيع أحد أن يحظر )** أي يمنع **( رحمتي على عبادي )** ولفظ القوت: أتستطيع أن تحظر رحمتي على عبادي **( إذهب فقد غفرت لك، ثم يقول للعابد: وأنت فقد أوجبت لك النار. قال )** ﷺ: **( «فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته» ) .)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد جيد اهـ.

قلت: لفظ أبي داود: كان رجلان في بني إسرائيل متواخيان وكان أحدهما مذنباً والآخر مجتهداً في العبادة، وكان لايزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: اقصر فوجده يوماً على ذنب فقال له: اقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيباً. فقال: والله لا يغفر لك أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض روحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً أو كنت على مافي يدي قادراً، وقال للمذنب: إذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: إذهبوا به إلى النار. وهكذا رواه أحمد أيضاً.

وروي أيضاً أن لصاً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة، فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الحواريين، فقال اللص في نفسه: هذا نبي الله يمرّ وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثاً، قال: فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيماً للحواري ويقول في نفسه: مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد: قال: وأحس الحواري به، فقال في نفسه: هذا يمشي إلى جانبي، فضم نفسه ومشى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام، فمشى بجنبه فبقي اللص خلفه، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام. قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما؛ أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه، وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه، فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حواريه.

وروي عن مسروق أن نبياً من الأنبياء كان ساجداً فوطىء عنقه بعض العصاة حتى ألزق الحصى بجبهته، قال: فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضباً فقال: «اذهب فلن يغفر الله لك» فأوحى الله تعالى إليه: تتألى عليَّ في عبادي، إني قد غفرت له.

---

**(وروي أيضاً)** في معناه: **(أن لصاً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فمر عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل)** من الحواريين فقال اللص في نفسه: هذا نبي الله يمر وإلى جنبه حواريه لونزلت فكنت معهما ثالثاً. قال: **(فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيماً للحواري ويقول في نفسه:** مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد. قال: وأحس الحواري به فقال في نفسه: هذا يمشي إلى جانبي) قال: **(فضم نفسه ومشى)** وتقدم **(إلى عيسى عليه السلام فمشى بجنبه فبقى اللص خلفه)** قال: **(فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ماسلف من أعمالهما. أما الحواري فقد أحبطت عمله وحسناته لعجبه بنفسه، وأما الآخر فقد أحبطت سيئآته بما إزدرى على نفسه)** قال: **(فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حواريه)** هكذا نقله صاحب القوت.

**(وروي عن)** أبي عائشة **(مسروق)** بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم، مات سنة إثنتين وستين **(أن نبياً من الأنبياء)** من بني إسرائيل **(كان)** يوماً **(ساجداً فوطىء عنقه بعض العتاة)** جمع العاتي وهو المتمرد **(حتى التزق الحصى بجبهته)** من شدة وطأته. **(قال؛ فرفع النبي عليه السلام رأسه مغضباً فقال: إذهب فلن يغفر الله لك، فأوحى الله تعالى إليه: تتألى علي في عبادي إني قد غفرت له)** نقله صاحب القوت وأغفله العراقي لأنه ليس على شرطه، وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود: كان رجل يصلي فلما سجد أتاه رجل فوطيء على رقبته فقال الذي تحته: والله لا يغفر الله لك أبداً. فقال الله عز وجل:

ويقرب من هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شيء﴾ [آل عمران: ١٢٨] الآية، فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام. وروي في الأثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة، قال: فإذا أدخلا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه، فيقول: يا رب ما كان هذا في الدنيا بأكثر مني عبادة فرفعته علي في عليين فيقـول الله سبحانه: إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألني النجاة من النار، فأعطيت كل عبد سؤله، وهذا يدل

---

تألّى علي عبدي أني لا أغفر لعبدي فإني قد غفرت له. وروى مسلم وأبو عوانة وابن حبان والطبراني من حديث جندب أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان. قال الله تعالى: من ذا الذي يتالى علي أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك.

**(ويقرب من هذا ماروى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل عليه قوله تعالى:)** ﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم﴾ إلى قوله تعالى **(﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ [آل عمران: ١٢٧، ١٢٨] الآية فترك الدعاء عليهم وهـدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام)** هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عمر أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول «اللهم العن فلاناً و فلاناً بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله عز وجل عليه ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ إلى قوله ﴿فإنهم ظالمون﴾» ورواه التـرمذي. وسماهم أبا سفيان والحرث بن هشـام وصفـوان بـن أميـة وزاد: فتـاب عليهـم فـأسلمـوا فحسـن اسلامهم. وقال: حسن غريب وفي رواية له أربعة نفر ولم يسمهم وقال: و هداهم الله للإسلام، وقال حسن غريب صحيح.

قلت: وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة مبسوطاً.

**(وروي فـي الأثر أن رجلين كانا من العابدين)** من عباد بني اسرائيل **(متساويين في العبادة قال: فإذا أدخلا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه، فيقول: يارب ما كان هذا في الدنيا بأكثر مني عبادة فرفعته علي في)** أعلى **(عليين فيقول الله سبحانه: إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألني النجاة من النار فأعطيت كل عبد سؤله)** هكذا أورده صاحب القوت، وتبعه المصنف نظراً إلى قوله. وروي في الأثر فأورده في خلال الأخبار المرفوعة على أنه ليس بمرفوع، ولذا لم يتعرض له العراقي، وقد رواه العقيلي والخطيب من حديث أبي هريرة بلفظ «أن رجلاً دخـل الجنـة فـرأى عبـده فـوق درجتـه فقـال: يـا رب هـذا عبدي فوق درجتي. فقال له: نعم جزيته بعمله وجـزيتـك بعملك». **(وهذا يدل على أن العبادة**

على أن العبادة على الرجاء أفضل ، لأن المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف ، فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لإنعامه وإكرامه . ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ، ولذلك قال ﷺ : « سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريماً » ، وقال : « إذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى ؛ فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء » . وقال بكر بن سليم الصوّاف : دخلنا على مالك بن أنس في

---

**على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الرجاء منها على الخائف ، فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ، ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن )** و لطف التماق له و قوة الطمع فيه ، فقد قيل في قوله تعالى ﴿وأحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾ [ البقرة : ١٩٥ ] أي احسنوا الظن بالله . وفي الخبر : « حسن الظن بالله من حسن عبادة الله عز وجل » رواه أبو داود بن حبان من حديث أبي هريرة ، **( ولذلك قال ﷺ « سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريماً )** قال العراقي . لم أجده بهذا اللفظ ، و للترمذي من حديث ابن مسعود « سلوا الله فضله فإن الله يحب أن يُسأل » انتهى .

قلت : هو بقية من الحديث الذي يتلوه كما يدل له سياق صاحب القوت على ما نذكره ، وحديث ابن مسعود هذا رواه أيضاً الطبراني و ابن عدي و البيهقي بزيادة « و أفضل العبادة انتظار الفرج » . و رواه ابن جرير عن حكيم بن جبير عن رجل لم يسم .

**( وقال ) ﷺ : ( « إذا سألتم الله فأعظموا الرغبة و سلوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاظمه شيء » )** قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة « إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم و ليعظم الرغبة فإن الله عز وجل لا يتعاظمه شيء أعطاه » . وللبخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث « فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة و أعلى الجنة » . و رواه الترمذي من حديث معاذ و عبادة بن الصامت انتهى .

قلت : و لفظ القوت : و من الرجاء افتعال الطاعات و حسن الموافقات ينوي بها و يسأل مولاه الكريم عظيم الرغائب و جليل المواهب لما وهب له من حسن الظن به ، كما روي عن النبي ﷺ « إذا سألتم الله تعالى فاعظموا الرغبة و سلوه الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاظمه شيء » و في حديث آخر « فاكثروا و سلوا الدرجات العلى فإنما تسألون جواداً كريماً » اهـ .

أما حديث أبي هريرة عند مسلم ، فقد رواه البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي سعيد ، وروى ابن أبي شيبة و الشيخان و النسائي من حديث أنس « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة في الدعاء ولا يقل اللهم إن شئت فاعطني فإن الله لامستكره له » . و روى ابن حبان من حديث أبي هريرة « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإنه لا يتعاظم على الله شيء » و روى الطبراني من حديث العرباض « إذا سألتم الله تعالى فسلوه الفردوس فإنه سر الجنة » وروى ابن حبان من حديث عائشة « إذا

**العشية التي قبض فيها فقلنا: يا أبا عبدالله، كيف تجدك؟ قال: لا أدري ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب، ثم ما برحنا حتى أغمضناه. وقال يحي بن معاذ في مناجاته: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي إياك مع الأعمال؛ لأني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف. وقيل إن مجوسياً استضاف ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال: « إن أسلمت أضفتك » فمرّ المجوسي، فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك؟ فمر إبراهيم يسعى خلف**

---

سأل أحدكم ليكثر فإنما يسأل ربه ». و روى عبد بن حميد في تفسيره و الطبراني و الحاكم و صححه وتعقب، وابن مردويه من حديث أبي أمامة « سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة » الحديث.

( **وقال بكر بن سليم الصواف** ) أبو سليمان الطائفي سكن المدينة مقبول روى له البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه: ( **دخلنا على** ) أبي عبدالله ( **مالك بن أنس** ) الإمام رضي الله عنه ( **في العشية التي قبض فيها، فقلنا: يا أبا عبدالله كيف تجدك؟ قال: لا أدري ما أقول لكم** ) أي مما رأيت الآن من إكرام الله ومن صور الملائكة الذين يعالجون الروح بحيث عجزت أن أعبر عنه بلساني. ( **ألا إنكم ستعاينون من عفو الله مالم يكن لكم في حساب، ثم مابرحنا** ) من مكاننا ( **حتى أغمضناه** ) هكذا هو في القوت، وهو في كتاب حسن الظن بالله لأبي بكر بن أبي الدنيا، ومن طريقه أخرجه القشيري في الرسالة فقال: و سمعته يعني أبا عبد الرحمٰن السلمي يقول: حدثنا أبو العباس البغدادي، حدثنا الحسن بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثت عن بكر بن سليم الصواف قال: دخلنا على مالك بن أنس فساقه.

( **وقال يحي بن معاذ** ) الرازي رحمه الله تعالى ( **في مناجاته: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي إياك مع الأعمال لأني أعبد** ) هكذا في النسخ، و لفظ الرسالة لأني أجدني اعتمد ( **في الأعمال على الإخلاص و كيف أحرزها** ) أي احفظها من الآفة ( **وآنا بالآفة** ) من الرياء و العجب و الكبر و غيرها ( **معروف، و أجدني في الذنوب اعتمد على عفوك و كيف لا تغفرها و أنت بالجود موصوف** ) هكذا أورده القشيري في الرسالة.

( **وقيل إن مجوسياً استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام** ) أي طلب منه أن يضيفه ( **فقال** ) له: إن ( **أسلمت استضفتك** ) كذا في النسخ، والأولى أضفتك كما هو نص الرسالة ( **فمر المجوسي** ) أي جاوزه وهو يقول: إذا أسلمت أي منة تكون لك علي؟ ( **فأوحى الله تعالى إليه يا ابراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه، و نحن** ) من منذ ( **سبعين سنة نطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك** ) من الحرج؟ ( **فمر ابراهيم** ) عليه السلام ( **يسعى خلف**

**المجوسي فرده وأضافه، فقال له المجوسي ما السبب فما بدا لك؟ فذكر له فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني ثم قال: اعرض علي الإسلام فأسلم. ورأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الأبد، فقال له: كيف حالك؟ فقال: وجدنا الأمر أهون مما توهمنا. ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف، فقال له: يا أستاذ بم نلت هذا؟ فقال: بحسن ظني**

---

**المجوسي فرده وأضافه فقال له المجوسي: ما السبب فيا )** أي في الذي **( بدا لك فذكر له )** ذلك **( فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني )** وفي رواية نعم الرب رب يعاتب نبيه في عدوه، **( ثم قال: اعرض علي الإسلام )** فعرضه عليه **( فأسلم )**. ووجه تعلق هذا بالرجاء أنه تعالى يجعل الأسباب الضعيفة موصلة لغفران الذنوب العظيمة، فإذا علم العبد بذلك تعلق قلبه بمحبوبه من جلب نفع أو دفع ضر، وفيما ذكره إشارة إلى أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضه حيث بسطها لأعدائه وبسط رحمته الدنيوية تعم الكافر و المسلم بخلاف الاخروية، كما قال تعالى ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا و الآخرة عند ربك للمتقين﴾ [ الزخرف: ٣٥ ] و لما رأى المجوسي فضل الله تعالى عليه في معاتبته نبيه لأجل عدوه و شكر ذلك جازاه بتوفيقه للإسلام.

( و ) قال القشيري في الرسالة سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: **( رأى الاستاذ أبو سهل )** محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسى بن عيسى العجلي **( الصعلوكي )** فتح الصاد و سكون العين المهملتين **( النيسابوري )** إمام الشافعية في عصره، تفقه على أبي الثقفي بنيسابور، و روى عن أبي بكر بن خزيمة و أبي العباس السراج و عبد الرحمن بن أبي حاتم، و عنه الحاكم أبو عبدالله وأبو حفص عمر بن أحمد بن مسرور الزاهد، و توفي سنة ٣٩٦ عن ثلاث و سبعين بنيسابور. **( أباسهل الزجاجي في المنام و كان يقول بوعيد الأبد )** أي يعتقد بأن الله تعالى إذا توعد على معصية بعقاب فلا بد من وقوعه وهو غفلة منه عن شرطه، فإن ذلك يغفره إذا شاء كما قال ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [ النساء: ٤٨ ] **( فقال له: كيف حالك؟ فقال: وجدنا الأمر أهون )** وفي رواية: أسهل **( مما توهمنا )** يحتمل أن يكون الله غفر له اعتقاده المذكور لغفلته عن شرطه، و يحتمل أنه تاب عن اعتقاده قبل موته ولم يعلم الرائي حاله، فلما رآه في المنام و سأله عن حاله أخبره بما ذكر.

**( و رأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام )** و لفظ الرسالة: سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول: رأيت أبا سهل الصعلوكي في المنام **( على هيئة حسنة لا توصف فقال: بم نلت هذا؟ فقال: بحسن ظني بربي بحسن ظني بربي )** مرتين هكذا أورده القشيري في كتاب الرجاء ثم أعاده في آخر الكتاب.

بربي، وحكي أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت، وإذا الجبار سبحانه يقول: أين العلماء؟ قال: فجاؤوا، ثم قال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ قال: فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا؛ قال: فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جواباً غيره، فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه، فقال: اذهبوا به فقد غفرت لكم، ومات بعد ذلك بثلاث ليال. وقيل: كان رجل شريب جمع قوماً من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئاً من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئاً ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات، قال: فدفع الغلام إليه الدراهم فقال منصور: ما الذي تريد أن أدعو لك فقال لي سيد أريد أن أتخلص منه، فدعا منصور وقال: الأخرى. فقال: أن يخلف الله عليَّ دراهمي، فدعا، ثم قال:

---

(**و حكي أن أبا العباس**) أحمد بن عمر (**بن سريج**) بسين مضمومة و آخره جيم البغدادي أحد أئمة الشافعية (**رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت، وإذا الجبار تعالى سبحانه وتعالى يقول: أين العلماء؟ قال: فجاؤوا. ثم قال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ قال: فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا. قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب و أراد جواباً غيره فقلت: أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه**) وذلك قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (**فقال: إذهبوا به فقد غفرت لكم و مات بعد ذلك بثلاث ليال**) حكاه القشيري في الرسالة، وفيه دلالة على جواز الغفران لمن لم يشرك بالله كالآية التي أشار إليها، وهي بشرى عظيمة لابن سريج وهو أنه مغفور له، وقد اعترف هو ومن معه بالتقصير ومن اعترف بتقصيره رجا المغفرة.

(**وقيل: كان رجل شريب**) أي كثير الشرب للخمر (**جمع قوماً من ندمائه**) أي جماعة ممن ينادمونه في الشرب (**ودفع الى غلامه**) وكان صالحاً ينكر عليه ذلك (**أربعة دراهم وأمره أن يشتري**) بها (**شيئاً من الفواكه للمجلس**) أي لأهل مجلسه، (**فمر الغلام بباب مجلس**) الشيخ أبي السري (**منصور بن عمار**) الواعظ أصله من مرو و أقام بالبصرة، وكان من المذكرين ترجمه القشيري في الرسالة، (**وهو يسأل لفقير شيئاً و يقول: من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات. قال: فدفع إليه الغلام الدراهم**) لأنه رأى أن هذا أولى مما أمر به سيده وهان عليه مشقة الضرب و الألم من سيده حتى لا يقع في هذا المنكر الشديد، و ظن منصور أنه مالك الدراهم (**فقال**) له (**منصور: ماالذي تريد**) مني؟ (**أن أدعو لك**) به، (**فقال: لي سيد أريد أن أتخلص منه**) بالعتق لأخلص مما يدخلني فيه مما لا أحبه، (**فدعا**) له (**منصور**) بذلك (**وقال: ما**) الدعاء (**الآخر؟ فقال: أن يخلف**) الله (**علي دراهمي**) التي

الأخرى. قال: أن يتوب الله على سيدي، فدعا، ثم قال: الأخرى، فقال أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور، فرجع الغلام فقال له سيده: لم أبطأت؟ فقص عليه القصة. قال: وبم دعا، فقال: سألت لنفسي العتق. فقال له: اذهب فأنت حرّ. قال: وايشَ الثاني؟ قال: أن يخلف الله عليّ الدراهم، قال: لك أربعة آلاف درهم، وايش الثالث؟ قال: أن يتوب الله عليك. قال: تبت إلى الله تعالى. قال: وايش الرابع؟ قال: أن يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر، قال هذا الواحد ليس إليَّ، فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلاً يقول له: أنت فعلت ما كان إليك، أفترى أني لا أفعل ما إلي، قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين. وروي عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي قال: رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة، قال: فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت، فقلت للمرأة: من

---

دفعتها للفقير وأردها إلى سيدي وأقول لا أعصي ما أمرتني به، **( فدعا )** له بذلك، **( ثم قال )** له: **( ما )** الدعاء **( الآخر فقال: أن يتوب الله على سيدي )** بأن يوفقه للتوبة مما هو مرتكبه لاستريح من ضرره بالكلية **( فدعا )** بذلك، **( ثم قال: وما الآخر؟ فقال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم )** أي جلسائه، **( فدعا منصور )** بذلك. **( فرجع الغلام )** إلى سيده **( فقال له سيده: لم أبطأت؟ فقص عليه القصة )** فآثر فيه صدقه و استحسن فعله **( فقال: وبم دعا؟ قال: سألت لنفسي العتق )** فدعا لي به. **( قال: اذهب فأنت حر )** لوجه الله تعالى. **( قال: وايش )** المدعو به **( الثاني )** أي أي شيء هو؟ **( قال: أن يخلف الله علي الدراهم )** لأردها لك **( قال: لك أربعة آلاف درهم. قال: وايش الثالث؟ قال: أن يتوب الله عليك. قال: تبت إلى الله تعالى. قال: وايش الرابع؟ قال أن يغفر الله لي ولك و للقوم و للمذكر )** أي الواعظ وهو منصور. **( قال: هذا الواحد ليس إلي )** بل إلى الله تعالى، **( فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلاً يقول )** له: **( أنت فعلت ما كان إليك أفترى أني لا أفعل ما إلي قد غفرت لك و للغلام و لمنصور بن عمار و للقوم الحاضرين أجمعين )** أورده هكذا القشيري في الرسالة، وفيه دلالة على أنه تعالى أكرم الأكرمين، وأنه يجازي بالخير الكثير على العمل اليسير، وهو وضع الاستدلال على الرجاء لأن سيد الغلام لما تكرم باليسير غفر الله له ولغلامه و لمن كان سبباً في ذلك.

**( وروي عن )** أبي محمد **( عبد الوهاب بن عبد المجيد )** بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص **( الثقفي )** البصري قدم بغداد في زمن المنصور وحدث بها. قال ابن معين: ثقة مات سنة أربع وتسعين ومائة روى له الجماعة **( قال: رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة. قال: فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت، فقلت**

كان هذا الميت منك؟ قالت: ابني، قلت: ولم يكن لكم جيران؟ قالت: بلى ولكن صغروا أمره. قلت: وايش كان هذا؟ قالت مخنثاً، قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثياباً. قال: فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكرني، فقلت من أنت؟ فقال: المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس إياي. وقال ابراهيم الأطروش: كنا قعوداً ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة، إذ مرَّ أحداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون، فقالوا لمعروف: أما تراهم يعصون الله مجاهرين، ادع الله عليهم، فرفع يديه وقال إلهي كما فرّحتهم في الدنيا ففرّحهم في الآخرة، فقال القوم: إنما سألناك أن تدعو عليهم! فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم، وكان بعض السلف يقول في

---

**للمرأة: ما كان هذا الميت منك)** أي ما نسبته منك؟ **(قالت)** هو **(ابني قلت: ولم يكن لكم جيران)** يحملونها؟ **(قالت: بلى ولكن صغّروا أمره)** وحقروه. **(قلت: وايش كان هذا؟ قالت)**: هو **(مخنث)** بالمثلثة وبكسر النون وبفتحها **(قال: فرحمتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثياباً. قال)**: ونمت **(فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي فقلت: من أنت؟ فقال)**: أنا **(المخنث الذي دفنتموني)** اليوم **(رحمني ربي باحتقار الناس إياي)** وكلامهم فيّ حكاه القشيري في الرسالة، وفيه دلالة على أنه تعالى يجازي بالخير الكثير على العمل اليسير.

**(وقال)** القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر الحربي يقول: سمعت **(إبراهيم الأطروش)** يقول: **(كنا قعوداً ببغداد مع)** أبي محفوظ **(معروف)** بن فيروز **(الكرخي)** قدس سره **(على الدجلة)** وهي نهر ببغداد **(إذ مرّ بنا أحداث)** أي شبّان **(في زورق)** أي سفينة صغيرة **(يضربون بالدف ويشربون)** الخمر **(ويلعبون)** بالملاهي **(فقالوا لمعروف: أما تراهم)** كيف **(يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال: إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة، فقال القوم: إنما سألناك أن تدعو عليهم. فقال: إذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم)** أي وإذا تابوا زال عنكم ما تكرهون فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم، وهذا من كمال المعرفة والسياسة في تغيير المنكر الذي لا يتمكن العبد من إزالته بقوّة الجاه والسطوة، فسلك معروف في إزالته مسلك السؤال وطلب الفضل من الله في أن يغير أحوالهم عما هي عليه، لأنه تعالى هو الفاعل بهم ما هم فيه فقال ما قال، فأعلمهم بذلك أن التغيير في هذا الوقت لمثل هؤلاء إنما هو بالدعاء لهم بالتوبة، وبيّن ذلك بقوله إذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم.

**دعائه: يا رب وأي أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم داراً سبحانك ما أحلمك وعزتك إنك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدرّ الرزق حتى كأنك يا ربنا لا تغضب.**

---

(**وكان بعض السلف يقول في دعائه: يا رب وأي أهل دهر**) أي زمان (**لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة**) أي تامة (**ورزقك عليهم داراً**) أي واسعاً متصلاً. (**سبحانك ما أحلمك وعزتك أنك لتعطي ثم تسبغ النعمة حتى كأنك يا ربنا إنما تطاع سبحانك ما أحلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كأنك يا ربنا لا تغضب**) وقد بقي مما يتعلق بالرجاء من كتابي القوت والرسالة وغيرهما مما لم يذكره المصنف، وقد أحببت أن أسوقه لتمام الفائدة.

قال صاحب القوت، عن بعض السلف: كل عاص فإنه يعصي تحت كنف الرحمن فمن ألقي عليه كنفه ستر عورته ومن رفع عنه كنفه افتضح، والرجاء اسم لقوّة الطمع في الشيء بمنزلة الخوف إسم لقوّة الحذر من الشيء، ولذلك أقام الله الطمع مقام الرجاء في التسمية، وأقام الحذر مقام الخوف فقال تعالى ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ [السجدة: ١٦] وقال تعالى: ﴿يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ [الزمر: ٩] وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الإيمان لا يصح إلا به كما لا يصح الايمان إلا بالخوف، فالرجاء بمنزلة أحد جناحي الطائر لا يطير إلا بجناحيه، كذلك لا يؤمن حتى يرجو من آمن به ويخافه. وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله إلا أعطاه الله ذلك لأن الخير كله بيده أي: فإذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لأن الذي حسن ظنه به هو الذي أراد أن يحققه له. وروينا عن يوسف بن اسباط قال: سمعت سفيان الثوري يقول في قول الله تعالى ﴿وأحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥] قال: أي أحسنوا بالله الظن، والرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح إلا للكرماء من أهل العلم والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف يروّحون به الكرب ويستريحون إليه من مقارفة الذنب، ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء، ومن لم يقم في مقامات الخوف لم يرفع إلى مقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء، ورجاء كل عبد من حقيقة خوفه ومكاشفته عن اخلاق مرجوّة في معنى ما كان كوشف به من صفات مخوّفة، فإن كان أقيم مقام المخوّفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والأسباب رفع من حيث تلك المقامات إلى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق الجنان وما فيها من الأوصاف الحسان، وهذه مواجهات أصحاب اليمين، وإن كان أقيم مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معاني الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفي المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة وحكم الكبر والجبرية رفع من حيث هذه المقامات إلى مقام المحبة والرضا فرجاً من معاني الأخلاق والأسماء الكرم والإحسان والفضل والعطف واللطف

والامتنان، وليس يصلح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل الرجاء في مقامات الرجاء من قبل أنه لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرد به أشد الفساد، فليس يصلح إلا بخصوصه ولا يجذب ولا يستجيب له من المحبين، ولا محبة إلا بعد نصح القلب من المخافة، فالمؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه، وكلسان الميزان بين كفتيه، ومنه قول مطرف: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، وللمؤمن في اعتدال الخوف والرجاء مقامات: أعلاهما: مقام المقربين وهو ما حال عليهم من مقام مشاهدة الصفات المخوفة والأخلاق المرجوّة، والثاني: مقام أصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدائع الأحكام وتفاوت الأقسام من ذلك أنه تعالى أنعم على الخلق بفضله عن كرمه اختياراً لا إجباراً، فلما أعلمهم ذلك رجوا تمام النعمة من حيث ابتدأوها، ومن ههنا طمع السحرة في المغفرة لما ابتدأوا بالإيمان، فقالوا ﴿إنَّا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا إن كنّا أوّل المؤمنين﴾ [ الشعراء: ٥١ ] أي من حيث جعلنا أوّل المؤمنين من هذا المكان نرجو بأن يغفر لنا بأن جعلنا مؤمنين به فرجوه منه، وقد ذم الله تعالى عبداً أوجده نعمة ثم سلبها فأيس من عودها عليه فقال تعالى: ﴿ولئن أذقنا الانسان منّا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليـؤس كفور﴾ [ هود: ٩ ] ثم استثنى عباده الصابرين عليه الصالحين له فقال تعالى: ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾ [ هود: ١١ ] ثم إن الخلق خلقوا على أربع طبقات كل طبقة طائفة، فمنهم من يعيش مؤمناً ويموت مؤمناً فمن ههنا رجاؤهم لأنفسهم وغيرهم من المؤمنين إذ قد أعطاهم فرجوا أن يتم عليهم نعمته وأن لا يسلبهم بفضل ما به بدأهم، ومنهم من يعيش مؤمناً ويموت كافراً فهذا موضع خوفهم عليه وعلى غيرهم لمكان علمهم بهذا الحكم ولغيب حكم الله تعالى بعلمه السابق فيهم، ومن الناس من يعيش كافراً ويموت مؤمناً، ومن الناس من يعيش كافراً ويموت كافراً، فهذان الحكمان أوجبا رجاءهم، الثاني للمشرك إذ رأوه فلم يقطعوا لظاهره أيضاً خوف هذا الرجاء خوفاً ثانياً أن يموت على تلك الحالة، وإن كان ذلك هو حقيقة عند الله تعالى، فعلم المؤمن بهذه الأحكام الأربعة وزن خوفه ورجائه معاً، فاعتدل حاله بذلك الاعتدال إيمانه به، وحكم على الخلق بـالظـاهـر ووكـل إلى علام غيوب السرائر، ولم يقطع على عبد بظاهره من الشربل يرجو له ما يظن عند الله من الخير، ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر الخير، بل يخاف أن يكون قد استسر عند الله باطن شر إلا أن حال التام أن يخاف العبد على نفسه ويرجو لغيره، لأن ذلك هو وجد المؤمنين من قبل أنهم مأمورون بحسن الظن، فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم المعاذير بسلامة الصدور وتسليم ما غاب إلى من إليه تصير الأمور، ثم هم في ذلك يسيئون الظن بنفوسهم لمعرفتهم بصفاتها ويوقعون الملام عليها ولا يحتجون لها لباطن الإشفاق منهم عليهم ولخوف التزكية منهم لهم، فمن غلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى يحسن الظن بنفسه ويسيء ظنه بغيره، فيكون خائفاً على الناس راجياً لنفسه عاذراً لنفسه محتجاً لها لائم الناس ذاماً لهم. فهذه من أخلاق المنافقين، ثم ان للراجي حالاً من مقامه، وللحال علامة من رجائه، فمن علامة الرجاء عن مشاهدة المرجو دوام المعاملة وحسن التقرب إليه وكثرة التحبب بالنوافل لحسن ظنه به وجميل أمنه منه، وأنه يتقبل صالح ما

أمر به تفضلاً منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه، ولا الاستحقاق منافاته أيضاً يكفر سيء ما عمله إحساناً منه ورحمة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا لأخلاقه السنية وألطافه الخفية، لا من حيث اللزوم بل من حيث حسن الظن به. ومقام الرجاء كسائر مقامات اليقين منها فرض ونفل، فعلى العبد فرض أن يرجو مولاه وخالقه ومعبوده ورازقه من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره إلى صفات نفسه ولؤمه، وقد كان سهل يقول: من سأل الله شيئاً فنظر إلى نفسه وأعماله لا يرى الإجابة حتى يكون ناظراً إلى الله وحده وإلى لطفه وكرمه ويكون موقناً بالإجابة، ولا يقبل الله عملاً ولا دعاء إلا من موقن بالإجابة مخلص، فإذا شهد التوحيد ونظر إلى الوحدانية له فقد فتح له باباً من العبادة، ثم يتفاوت الراجون في فضائل الرجاء فالمقربون منهم رجوا النصيب الأعلى من القرب والتجلي لمعاني الصفات مما عرفوه، وهذا من علمهم به، وأصحاب اليمين من الراجين رجوا النصيب الأوفر من مزيده والفضل الأجزل من عطائه يقيناً بما وعد.

ومن الرجاء انشراح الصدر بأعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوتها ورجاء قبولها، ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انتجاز الموعود، ومنه قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾ [البقرة: ٢١٨] ومن الرجاء كثرة التلاوة لكلام الله تعالى وإقام الصلاة التي هي خدمة المعبود وبذل المال سراً وعلانية، وأن لا يشتغل عن ذلك بتجارة الدنيا كما وصف المحققين من الراجين إذا يقول تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ [فاطر: ٢٩] ومن الرجاء: القنوت في ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافي الجنوب عن المضاجع لما وقر في الصدور والقلوب من المخاوف، وكذلك وصف الله تعالى الراجين بهذا في قوله: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: ٩] فسمى أهل الرجاء والحذر وأهل التهجد آناء الليل علماء، وحصل من دليل الكلام أن من لم يخف ولم يرج غير عالم لنفيه المساواة بينهما، وهذا مما حذف خبره اكتفاء بأحد وصفيه إذ في الكلام دليل عليه، فالرجاء هو أوّل مقام من اليقين عند المقربين وهو ظاهر أوصاف الصديقين، ولا يكمل في قلب عبد ولا يتحقق به صاحبه حتى تجتمع فيه هذه الأوصاف: الإيمان بالله، والمهاجرة إليه، والمجاهدة فيه، وتلاوة القرآن، وإقام الصلاة، والانفاق في سبيل الله، ثم السجود آناء الليل والقيام والحذر مع ذلك كله. فهذه جمل أوصاف الراجين وهو أوّل أحوال الموقنين، ثم تتزايد الأعمال في ذلك ظاهراً وباطناً بالجوارح والقلوب عن تزايد الأنوار والعلوم ومكاشفات الغيوب بالأوصاف المرجوّة، وفصل الخطاب أن الخوف والرجاء طريقان إلى مقامين، فالخوف طريق العلماء إلى مقام العلم، والرجاء طريق العاملين إلى مقام العمل، وقد وصف الله الراجين مع الأعمال الصالحة لقوّة رجائهم بالخوف تكملة لصدق الرجاء وتتمة لعظيم الغبطة به، فقال تعالى مخبراً عنهم في حال وفائهم وأعمال برهم ﴿إنّا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا﴾ [الطور: ٢٦، ٢٧] وقال تعالى: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً﴾ [الإنسان: ٧] من قبل أن

الخوف مرتبط بالرجاء ، فمن تحقق بالرجاء صارعه الخوف أن يقطع به دون ما رجا . وقال أهل العربية في قوله تعالى : ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ [ الجاثية : ١٤ ] أي الذين لا يخافون عقوبات الله تعالى ، فإذا كان هذا أمره بالمغفرة لمن لا يرجو ، فكيف يكون عفوه وفضله على من رجوه؟ وبعضهم يقول في معنى قوله تعالى : ﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [ النساء : ١٠٤ ] أي تخافون منه ما لا يخافون ، فلولا أنهما عند العلماء كشيء واحد ما فسر أحدهما بالآخر . ومن الرجاء الانس بالله تعالى في الخلوات ، ومن الانس به الانس بالعلماء والتقرب إلى الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدور والروح عندهم ، ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الأعمال والمسارعة إليها والحث لأهلها عليها والحزن على فوتها والفرح بدركها .

ومن الرجاء التلذذ بدوام حسن الإقبال والتنعم بمناجاة ذي الجلال وحسن الاصغاء إلى محادثة القريب والتلطف في التملق للحبيب وحسن الظن به في العفو الجميل ومنال الفضل الجزيل ، وقال بعض العارفين : للتوحيد نور وللشرك نار ، ونور التوحيد أحرق لسان الموحدين من نار الشرك لحسنات المشرك ، وقد كان يحي بن معاذ يقول في مقامات الرجاء : إذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع بالذنوب؟ وقد قال سهل : لا يصح الخوف إلا لأهل الرجاء ، وقال مرة : العلماء مقطوعون إلا الخائفين والخائفون مقطوعون إلا الراجين ، وكان يجعل الرجاء مقاماً في المحبة وهو عند العلماء أول مقام المحبة ، ثم يعلو في الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن . وفي الخبر : « إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم وينفرهم » . وقال بشر الحافي : سكون النفس إلى المدح أضر عليها من المعاصي ، ورأى يوسف بن الحسن مخنثاً فأعرض عنه ازراء عليه ، فالتفت المخنث إليه فقال : وأنت أيضاً يكفيك ما بك ، ففزع من قوله وقال : أي شيء تعلم بي؟ قال : لأن عندك أنك خير مني فاعترف يوسف بذلك فتاب واستغفر . وكان بعض الراجين يفهم من قوله تعالى إذا تلا ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [ الزمر : ٤٧ ] يرجو بذلك بوادي الجود والكرم والإحسان ما لم يحتسبه في الدنيا قط ، ويقال : إن حملة العرش يتجاوبون بأصوات : سبحانك على حلمك بعد علمك ، سبحانك على عفوك بعد قدرتك ، فللراجين من العارفين فهوم من السمع للكلام نحو علو نظرهم عن سمو علومهم بمعاني الصفات ، فكل صاحب مقام يشهد من مقامه ويسمع من حيث شهادته ، فأعلاهم شهادة الصديقين ، ثم الشهداء ، ثم الصالحين ، ثم خصوص المؤمنين ، فبه تبارك وتعالى استدلوا عليه ، وبه نظروا إليه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ، وكان سهل يقول : المؤمن يعيش في سعة الرحمة ، والمؤمن يعيش في سعة الحلم فصفاته تعالى كاملات ، فمن شهد ترجيح بعضها على بعض دخل عليه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام علم من فوقه من الشهداء ، ولأجل مقامه المراد به دون طريق الصديقين من الأقوياء ، فعاد ذلك على العبد فصار مقاماً له في القرب والبعد ، تعالى وصف المشهود عن النقصان والحد . ومثل الرجاء من الخوف مثل الرخصة من

العزائم، وفي الخبر: إن الله تعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه. وفي لفظ آخر أبلغ من هذا وأوكد: إن الله تعالى يحب أن تقبل رخصة كما يكره أن تؤتى معصيته. وفي الخبر: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض نفسك إلى عبادة الله تعالى وخير الدين أيسره» وقال: «هلك المتعمقون هلك المتنطعون». وفي أخبار داود عليه السلام: إن الله تعالى نظر إليه منتبذاً وحدانياً فقال: مالك وحدانياً؟ فقال: عاديت الخلق فيك. قال: أو ما علمت أن محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل، هنالك أكتبك من أوليائي وأحبائي ولا تنظر إلى عبيدي نظرة جفاء ولا قسوة، فإذا أنت قد أبطلت أجرك فاحفظ عني ثلاثاً: خالص حبيبي مخالصة، وخالق أهل الدنيا مخالقة، ودينك فقلدنيه. وروينا عن الضحاك: أن العبد ليدنو من ربه عند العرض فيقول له: عبدي أتحصي عملك؟ فيقول: إلهي كيف أحصيه من دونك وأنت الحافظ للأشياء، فيذكره الله تعالى جميع ذنوبه في الدنيا ويقول: لم اجعل للذنوب رائحة توجد منك، ولم أجعل في وجهك شبهاً، وأنا أغفرها لك اليوم على ما كان منك بإيمانك بي وتصديقك المرسلين.

ومن الرجاء شدة الشوق إلى ما شوّق إليه لكريم وسرعة التنافس في كل نفيس ندب إليه الرحيم، والاخبار في حقيقة الرجاء تزيد المقترين اغتراراً وتزيد المستدرجين بالستر والنعم خساراً، وهو مزيد التوّابين الصادقين وقرة عين للمحبين المخلصين وسرور لأهل الكرم والحياء وروح وارتياح لذوي العصمة والوفاء ينصع به كرمهم ويشتد عنده حياؤهم وترتاح إليه عقولهم، فهؤلاء يستخرج منهم الرجاء وحسن الظن من العبادات ما لا يستخرجه الخوف إن المخاوف تقطع عن أكثر المعاملات، فصار الرجاء طريقاً لأهله وصاروا واجدين به، كما قال عمر رضي الله عنه: رحم الله صهيباً لو لم يخف الله لم يعصه أي يترك المعاصي للرجاء لا للخوف، فصار الرجاء طريقه، فهؤلاء هم الراجون حقاً وهذه علامتهم، ولمثل هؤلاء ذكرنا الأسباب التي توجب الرجاء وتولد حسن الظن في قلوب أهل الصفاء المعصومين من الهوى الموفقين لحسن خدمة المولى. فهذه جمل أحكام الرجاء وأوصاف الراجين، فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات أهل الرجاء، وهو عند الله تعالى من المقربين، ومن كان فيه وصف من هذه الأوصاف فله مقام من الرجاء.

واعلم أن مقامات اليقين لا يزيل بعضها في بعض، فمن غلب عليه حال منها عن وجد مشاهدته وصف بما غلب عليه واستحق ما سوى ذلك من المقامات فيه، ومن عمل بشرط مقام منها فقام بحكم الله فيه نقل إلى ما سواه، وكان المقام الأول له علماً. والثاني الذي أقيم فيه له وجداً فكتم الوجد لأنه سره وعبّر عن العلم لأنه قد جاوزه، فصار علانيته، ومقام الرجاء هو جند من جنود الله يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره، لأن بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والإحسان ويقبل ويطمئن معاملة النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب، بل قد يقطعها ذلك ويوحشها إذ قد جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها. إلى هنا انتهى كلام صاحب القوت، وقد حذفت منها أشياء كثيرة.

وقال القشيري في الرسالة: قال الله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإنَّ أجل الله لآت﴾ [ العنكبوت: ٥ ] وأسند عن العلاء بن زيد قال: دخلت على مالك بن دينار، فرأيت عنده شهر بن حوشب، فلما خرجنا من عنده قلت لشهر: يرحمك الله زوّدني زوّدك الله. فقال نعم حدثتني عمتي أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن نبي الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام قال: «قال ربكم عز وجل عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك ما كان منك، ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوباً استقبلتك بملئهن مغفرة فاغفر لك ولا أبالي». وتكلموا في الرجاء فقال شاه الكرماني: علامة الرجاء حسن الطاعة، وقيل: الرجاء هو ثقة الجود من القديم، وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى، وسئل أحمد بن عاصم الانطاكي: ما علامة الرجاء في العبد؟ قال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر راجياً لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا، وتمام عفوه في الآخرة. وقال أبو عبد الله بن خفيف: الرجاء استبشار بوجود فضله، وقيل: ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجوّ المحبوب، وقيل: هو رؤية الجلال بعين الجمال، وقيل: هو قرب القلب من ملاطفة الرب، وقيل: سرور الفؤاد بحسن المعاد. وقال يحيى بن معاذ: إلهي أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إلي ساعة يكون فيها لقاؤك. وكلموا ذا النون المصري وهو في النزع فقال: لا تشغلوني فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معي. وأسند عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم» فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أويضحك ربنا عز وجل؟ قال: «والذي نفسي بيده إنه ليضحك» فقال: لا يعدمنا خيراً إذا ضحك. ورؤي مالك بن دينار في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قدمت على ربي بذنوب كثيرة محاها عني حسن ظني بالله تعالى. وقيل: كان ابن المبارك يقاتل علجاً مرة فدخل وقت صلاة العلج فاستمهله فأمهله، فلما سجد للشمس أراد ابن المبارك أن يضربه بالسيف، فسمع من الهواء قائلاً يقول: ﴿وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً﴾ [ الإسراء: ٣٤ ] فأمسك، فلما سلم المجوسي قال: لم أمسكت عما هممت به؟ فذكر له ما سمع، فقال المجوسي: نعم الرب رب يعاتب وليه في عدوّه وأسلم وحسن إسلامه. وقيل: إنما أوقعهم في الذنب حين سمى نفسه عفوّاً. وقيل: لو قال لا أغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط، ولكنه لما قال ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [ النساء: ٤٨ ] طمعوا في مغفرته. وقيل: حج رياح القيسي حجات كثيرة فقال يوماً وقد وقف تحت الميزاب، إلهي وهبت من حجاتي كذا وكذا لرسول الله ﷺ وعشرة من أصحابه العشرة واثنتين من والدي والباقي من المسلمين ولم يحبس شيئاً لنفسه، فسمع هاتفاً يقول: يا هذا تتسخى علينا لاغفرن لك ولأبويك ولمن شهد شهادة الحق. سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول: مرّ أبو عمرو البيكندي يوماً بسكة فرأى قوماً أرادوا إخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكي فقيل: إنها أمه فرحمها أبو عمرو فتشفع له إليهم وقال: هبوه مني في هذه المرة، فإن عاد إلى فساده فشأنكم وإياه فوهبوه منه، فمضى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة، فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال في نفسه: لعل

**فهذه هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين، فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوا شيئاً من ذلك، بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف، كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة في الكلام. وأما ضدّ ذلك فيسدّ عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا.**

---

الشاب عاد إلى فساده فنفي من المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب، فخرجت العجوز وقالت: إنه مات فسألها عن حاله، فقالت: لما قرب أجله قال لي: لا تخبري الجيران بموتي، فلقد آذيتهم فإنهم سيشتموني ولا يحضرون جنازتي، فإذا دفنتيني فهذا خاتم لي مكتوب عليه «بسم الله الرحمن الرحيم» فادفنيه معي، فإذا فرغت من دفني تشفعي لي إلى ربي. قالت: ففعلت وصيته، فلما انصرفت عن رأس قبره سمعت صوته يقول: انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم. انتهى كلام القشيري، ولنعد إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى:

(**فهذه هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين، وأما الحمقى المغرورون، فلا ينبغي أن يسمعوا شيئاً من ذلك**) فإنها تزيدهم اغتراراً بالله، (**بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف، فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم**) أي النشيط (**لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة في الكلام**) ولفظ القوت: وأكثر النفوس لا تصلح إلا على الخوف، كعبيد السوء لا يستقيمون إلا بالسوط والعصا يواجهون بالسيف صلتاً، (**وأما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدنيا والدين**) نسأله تعالى التوفيق.

## فصل

### في بيان لواحق الرجاء:

اعلم أن من لواحق الرجاء الرغبة، ولنبسط الكلام في الرغبة. اعلم أنه لما كانت حقيقة الرجاء تعلق القلب بمأمول يحصل في الاستقبال بعد جريان أسبابه كانت الرغبة استيلاء هذا الحال على الراجي حتى كأنه يشاهد بها المأمول، فالرغبة كمال الرجاء ومنتهى حقيقته وهي تعلقه بضد كل ما يذكر من المخاوف في كتاب الخوف، ولا تزال مصحوبة لك ما دام لك حظ واختيار، فإذا ارتقيت عن ذلك بالفناء بالتوحيد فحينئذ لا رغبة ولا رهبة إلى أن ترجع إلى بشريتك وانسانيتك، فافهم ذلك الكلام على البسط. اعلم أن القلوب كما تنقبض بالخوف تنبسط بروح الرجاء، وهذا يدل على فضيلة الرجاء على الخوف كما سيأتي الكلام عليه، لأن القلوب إذا انبسطت انشرحت وإذا انشرحت انفتح لها طرق الهدى. قال الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] فيهدي الله بذلك النور إلى حضرته فيبقى مبسوطاً لديه مستوراً حاله عن الخلق برداء العلم وجلباب التقوى، فأعزز بهذا المقام ما أجله، وبالله التوفيق.

# الشطر الثاني

# من الكتاب في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف، وبيان درجاته، وبيان أقسام المخاوف، وبيان فضيلة الخوف، وبيان الأفضل من الخوف والرجاء، وبيان دواء الخوف، وبيان معنى سوء الخاتمة، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم، ونسأل الله حسن التوفيق.

## بيان حقيقة الخوف:

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء، ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته

---

## الشطر الثاني من الكتاب في الخوف

**( وفيه بيان حقيقة الخوف، وبيان درجات الخوف، وبيان أقسام المخاوف، وبيان فضيلة الخوف، وبيان الأفضل من الخوف والرجاء، وبيان دواء الخوف، وبيان معنى سوء الخاتمة، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء )** عليهم السلام **( والصالحين )** رحمهم الله تعالى.

**بيان حقيقة الخوف:**

**( اعلم )** رحمك الله تعالى **( أن الخوف )** هو الخامس من مقامات اليقين، وهو باب عظيم من أبواب الإيمان، وقد تقدم أن أحوال القلوب تنقسم إلى مقامات وأحوال وحالات متوسطة بينهما، وهذا بالنسبة إلى الثبات وسرعة الزوال، وأن الحالة المتوسطة متى دامت ألحقت بالمقام، ومتى زالت ألحقت بالحال، وكذلك أحوال القلب، وأن الخوف لا يتعلق إلا بمشكوك فيه أو مظنون، فالخوف **( عبارة عن تألم القلب واحتراقه )** وانزعاجه **( بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء )** فلا يعاد ثانياً، وله لواحق الحزن والقبض والإشفاق والخشوع، فحقيقة الحزن ألم يطرق القلب وتوجع لحاصل مكروه أو على فائت محبوب، فإن كان المحبوب والمكروه محمودين كان له حكمهما في الوجوب والفضيلة، وإن كانا مكروهين كان له حكمهما في الحظر والكراهة، وحقيقة القبض همّ يطرق القلب تارة يعلم سببه وتارة لا، فأما ما يعلم سببه فحكمه حكم الحزن، وما لم يعلم سببه فهو عقوبة من الله بسبب الإفراط في البسط يتأدب به المريدون المائلون عن الاعتدال، وحقيقة الاشفاق إتحاد الخوف والرجاء واعتدالهما، وسيجيء حكم

**مشاهداً لجمال الحق على الدوام: لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال: الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال أيضاً: إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاه ولا لخوف، وبالجملة فالمحب**

---

ذلك. وحقيقة الخشوع سكون القلب والجوارح وعدم حركتها لما عاين القلب من عظيم أو مفزع، وإذا عرفت هذه الحقائق فاعلم أن ( **من انس بالله وملك الحق قلبه** ) بأن لم يبق فيه سواه ( **وصار ابن وقته** ) بل وأبا وقته ( **مشاهداً لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل** ) من الأيام، ( **فلم يكن له خوف ولا رجاء، بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء، فإنهما** ) كما قال الواسطي: ( **زمامان** ) مستوليان ( **يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها** ) أي سكونها إلى حالتها واستحسانها ما هي عليه من طاعتها أو جزعها أو يأسها من فضل ربها عند مخالفتها، فهما يصدانها عن ذلك لأنها إن استحسنت أحوالها وركنت إلى أعمالها زجرها الخوف، وإن يئست من فضل ربها وقنطت لسوء حالها جذبها الرجاء للسلامة. ولفظ قول الواسطي: زمامان على النفوس لئلا تخرج إلى رعوناتها كذا في الرسالة، ( **وإلى هذا أشار** ) أبو الحسن بنان بن محمد الحمال ( **الواسطي** ) نزيل مصر والمتوفى بها سنة عشر وثلاثمائة، وكان كبير الشأن صاحب الكرامات رحمه الله تعالى ( **حيث قال: الخوف حجاب بين الله وبين العبد** ) قال القشيري: وهذا اللفظ فيه اشكال أي لأن الخوف مطلوب فكيف يكون حجاباً بين الخائف وربه معناه أن الخائف متطلع لوقت ثان، وأبناء الوقت لا تطلع لهم في المستقبل وحسنات الابرار سيئات المقربين انتهى

فعدوا التطلع لوقت ثان حجاباً وهفوة لأن تطلع العبد إلى غير وقته تفرقة واشتغاله بوقته جمع، واعترضه بعضهم بأن ذلك لا يدل على تفرقة خارجة عن مقام الخوف لأن متعلق كل مقام من ضرورة التخلق به ملاحظة فهو جمع لا تفرقة قال: والأولى أن يقال: العبد إذا وقف وسكن مع حالته في الخوف استحسن مقامه فيه، وكونه استعان به على خلاصه من المكروهات ونشط به في الطاعات، فوقوفه معه مع استحسانه له حجاب بينه وبين ربه بمعنى أنه منعه من انتقاله إلى ما هو أعلى منه وأقرب إلى ربه.

( **وقال** ) الواسطي ( **أيضاً: إذا ظهر الحق على السرائر** ) بأن أظهر الله لصاحبها من جلاله وجماله ما شغله عن إحساسه بنفسه فضلاً عن غيره من المخلوقات ( **لا يبقى فيها** ) أي في تلك السرائر ( **فضلة** ) من الإحسان ( **لرجاء ولا خوف** ) نقله القشيري، ويؤيده ظاهر قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [ يونس: ٦٢ ] هذا بالنسبة إلى الخواص الكرام، وأما بالنسبة إلى الصلحاء من العوام، فمعناه لا خوف عليهم بلحوق العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب في العقبى: قال القشيري بعد أن نقل كلام الواسطي السابق: وهذا فيه إشكال أي على من لم يعرف إصطلاح القوم، لأن الخوف والرجاء مطلوبان، فكيف يثني بفقدهما؟ وجوابه: أن معناه

إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصاً في الشهود، وإنما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن إنما نتكلم في أوائل المقامات فنقول: حال الخوف ينتظم أيضاً من علم وحال وعمل.

أما العلم: فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلاً. ويجوّز العفو والإفلات، ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوّة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقوداً غضوباً منتقماً وكونه محفوفاً بمن يحثه على الإنتقام خالياً عمن يتشفع إليه في حقه، وكان هذا الخائف عاطلاً عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوّة الخوف وشدة تألم القلب، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف، وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوّف كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الإفتراس غالباً، وإن كان افتراسه بالإختيار، وقد يكون من صفة جبلية

---

إذا اصطلمت شواهد الحق تعالى الأسرار ملكتها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان، والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية.

(**وبالجملة؛ فالمحب إذا أشغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق**) في المستقبل (**كان ذلك نقصاً في الشهود**) إذا القلب ليس له إلا وجهة واحدة، (**وإنما دوام الشهود غاية المقامات**) ونهاية الدرجات (**ولكنا الآن إنما نتكلم في أوائل المقامات فنقول: حال الخوف ينتظم أيضاً من علم وحال وعمل**) لأنه من المقامات، وكل مقام فهو كذلك.

(**أما العلم: فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه**) وإنما بدأ به لأن كل ما لا ينكشف سببه لا تتضح حقيقته ولا تعرف فضيلته، (**وذلك كمن جنى على ملك**) من الملوك (**ثم وقع في يده**) أي في حوزته (**فيخاف القتل مثلاً ويجوز العفو والإفلات**) أي الخلاص، (**ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية**) أي الموصلة (**إلى قتله وهو تفاحش جنايته، وكون الملك في نفسه حقوداً غضوباً منتقماً وكونه محفوفاً بمن يحثه على الإنتقام خالياً عمن يتشفع إليه في حقه، وكان هذا الخائف عاطلاً**) عارياً (**عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف، وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف**) أي لابسها، (**بل من صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الإفتراس غالباً، وإن كان افتراسه**)

للمخوّف منه، كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الماء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق، وكذا النار على الإحراق؛ فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه، وذلك الإحراق هو الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعاً. وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ

---

**بالإختيار، وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الماء يخاف)** منه **(لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق، وكذا النار)** مجبولة بطبعها **(على الإحراق، فالعلم بأسباب المكروه وهو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه)** وانزعاجه، **(وذلك الإحتراق هو الخوف. فكذا الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته)** القديمة من العلم والإرادة والقدرة والكلام. أما العلم؛ فالعلم بالسعيد والشقي وإنه في ذلك على أتم أنواع الكمال، وأما الإرادة فبتخصيصها ما كشفه العلم من الأسعاد والاشقاء، وأما القدرة فإيجادها نفس الاسعاد والأشقاء في الوقت الذي خصصته الإرادة من غير تقدم ولا تأخر، وأما الكلام فاخباره إيانا بالأسباب المسعدة والأسباب المشقية والأسباب منها ما اطلع عليه العباد من أن الطاعة مسعدة وأن المعصية مشقية، ومنها ما خفي فلا إطلاع لأحد عليه، وذلك لخفي المكر والألطاف الموجبات للتقريب والأبعاد، فهذه أبواب من الإيمان يجب التصديق بها كلها، **(و)** مما يجب عليه في معرفته في توحيد الأفعال **(أنه)** تعالى **(لو أهلك العالمين)** جميعاً **(لم يبال ولم يمنعه مانع)** لوحدة ذاته، ففي الحديث: «لما خلق الله آدم ومسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقبض أخرى فقال هؤلاء في النار ولا أبالي». **(وتارة يكون)** الخوف **(لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي)** أي ارتكابها وملابستها، وذلك يستدعي أن يعرف أولاً أن كل ما سوى الله تعالى قابل للإهلاك والإتلاف والعقاب لما تقدمه من نقص العدم وما لحقه بعد الإيجاد من نقص الإفتقار إلى الله تعالى، وكيف لا وذات الإنسان أضعف ذوات العالم كله. الكلمة الطيبة تنعش قلبه وقرصة البقة تزعج بدنه، وليس فيه جزء ثالث. فإذا عرف العبد هذا أحس بذله وعجزه وقبوله تأثر بالمحقـرات، فكيف يقهر جبار السموات؟ ثم علمه أن لسيده عليه نعماً تترى ظاهرة وباطنة عقلية وحسية، ثم علمه بكثرة جنايته على منهاج سيده وشريعته، وأن النعم قابلة السلب والذهاب والجنايات مرتب عليها العذاب هذه معرفته بنفسه في هذا الباب وفي باب علاج الكبر، فإن لكل باب معرفة تناسبه والإيمان بالإعتراف بذل العبودية وكثرة النعم واستحقاق لعقوبة على الجنايات واجب وهو فرض عين، **(وتارة يكون)** الخوف **(بهما جميعاً وبحسب معرفته بعيوب نفسه)** على ما ذكرناه **(ومعرفته بجلال الله تعالى وتعاليه واستغنائه)** على ما

يُسْأَلُونَ﴾ [ الأنبياء : ٢٣ ] تكون قوّة خوفه ؛ فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ؛ ولذلك قال ﷺ : « أنا أخوفكم لله » ، وكذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [ فاطر : ٢٨ ] ثم إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب ، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء ، وقد تنشق به المرارة فيفضي إلى الموت ، أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل ، أو يقوى فيورث القنوط واليأس . وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل ، ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه . وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف شيئاً هرب منه ، ومن خاف الله هرب إليه . وقيل

---

سردناه ، ( **وإنه ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ تكون قوة خوفه** ) ومن نقصت معرفته فيهما يضعف خوفه ( **فأخوف الناس لربهم أعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال ﷺ : « أنا أخوفكم لله »** ) قال العراقي : رواه البخاري من حديث أنس : « والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له » . وللشيخين من حديث عائشة : « والله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » انتهى .

قلت : وروى أحمد من حديث رجل من الأنصار : « أنا أتقاكم لله وأعلمكم بحدود الله » .

( **ولذلك قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** ) وهم العارفون بأنفسهم وبربهم ، ( **ثم إذا كملت المعرفة أورثت حالة الخوف واحتراق القلب ثم تفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات. أما في البدن فبالنحول والصفار** ) مع الكدرة ( **والغشية والزعقة والبكاء وقد** ) يغلب ذلك عليه حتى ( **تنشق به المرارة فتفضي إلى الموت أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل** ) ويصير لا يعي ، ( **أو يقوى فيورث القنوط والياس. وأما في الجوارح: فبكفها عن المعاصي وبقيدها في الطاعات تلافياً** ) أي تداركاً ( **لما فرط** ) منه ( **واستعداده للمستقبل، ولذلك قيل: الخائف من يبكي ويمسح عينيه** ) ويتألم على حاله وما هو فيه من فساد دينه ، ( **بل** ) الخائف ( **من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه** ) أي بسببه ، ولفظ القشيري في الرسالة ، وقيل : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه . انتهى . فالخوف المحمود ما صان العبد عن الإخلال بشيء من المأمورات أو الوقوع في شيء من المنهيات .

( **وقال أبو القاسم الحكيم: من خاف شيئاً هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه** ) نقله القشيري في الرسالة ، والحكيم هذا هو أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم السمرقندي ، ولي قضاء سمرقند مدة ودونت حكمته وانتشر في الأرض ذكره ، روى عنه أبو جعفر بن منيب السمرقندي وغيره ، ومعنى قوله : إن الخوف حقيقة إنما يكون من الله لأنه الفاعل

**لذي النون: متى يكون العبد خائفاً؟ قال: إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام. وأما في الصفات فبأن يقمع الشهوات ويكدّر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرّع لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات، ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك،**

---

لكل مخوف، فإذا خاف العبد غير الله مع غفلته عن الله هرب منه، وإذا ذكر الله وخشي أن يسلطه عليه هرب إلى الله أي رجع إليه فلا يهرب من المخوفات إلا الغافل عن الله، وإلا فمن علم أنها مسخرة بيد الله هرب ورجع إلى الله القادر على خلاصه منها لا غيره.

(**وقيل لذي النون**) المصري قدس سره: (**متى يكون العبد خائفاً**) ولفظ الرسالة: متى يتيسر على العبد سبيل الخوف؟ (**قال: إذا أنزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي**) من كل شيء (**مخافة طول السقام**) أي متى أنزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرها إلا بالله، وأدام النظر في ذلك سهل عليه أم الخوف أي عمل بمقتضاه وبعد عما يخشاه ولم يلتفت لما يطرقه من المشقة في ارتكاب المخالفة لهواه لما يؤمله في عقباه، ولذلك شبهه بالمريض الذي يحتاج إلى الأدوية ويتحمل في تناولها ما تكرهه نفسه وتأباه رجاء العافية من سقمه وبلواه.

(**وأما في الصفات. فهو بأن يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه**) ويحبه (**إذا عرف أن به سماً فتحترق الشهوات بالخوف**) قال القشيري: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه: (**وتتأدّب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والإستكانة ويفارقه الكبر والحسد والحقد**) وسائر أوصاف الرعونة، (**بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة**) والتفكر (**والضنة بالأنفاس واللحظات**) أي البخل بها فلا تمر في غير ذكر الله (**ومؤاخذة النفس في الخطرات**) التي تمر (**والخطوات التي يخطو بها والكلمات**)، وعلى هذه الأصول بناء السادة النقشبندية في طريقتهم العلية التي منها حفظ الأنفاس والعقل في النفس والنظر على القدم والتذكر والرجوع، وغير ذلك مما هو مذكور في محله. (**ويكون حاله حال من وقع في مخاليب سبع ضار لا يدري أن يغفل عنه فيفلت**) أي يخلص (**أو يهجم**

فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره. هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوّة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوّة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه، وقوّة الخوف بحسب قوّة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال: أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعاً، فإن زادت قوّته كف عما يتطرّق إليه إمكان التحريم فيكف أيضاً عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى، إذ التقوى: أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرّد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه فهو الصدق، وصاحبه جدير بأن يسمى صديقاً، ويدخل في الصدق التقوى، ويدخل في التقوى الورع، ويدخل في الورع العفة فإنها عبارة عن الإمتناع عن مقتضى

---

**عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره. هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة)** رضوان الله عليهم منهم: أبو بكر الصديق، سلمان الفارسي، وأبو ذر الغفار، وأبو الدرداء، **(والتابعين)** منهم: القاسم بن محمد بن أبي بكر، والحسن البصري، وكميل بن زياد، ومطرف بن عبيد الله وغيرهم. **(وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله)** وعظمته **(وصفاته)** الحسنى **(وأفعاله، و)** بحسب قوة المعرفة **(بعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمتنع عن المحظورات)** الشرعية، **(ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعاً)** وحقيقته مجانبة الشيء حذراً من ضرره، وله درجات أربع ذكرت في كتاب الحلال والحرام، **(فإن زادته قوة كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم، فيكف أيضاً عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى)** وهذه هي الدرجة الثالثة من درجات الورع، وهي ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله، ولكن يخاف أداءه إلى محرم وهو ورع المتقين، **(إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه، ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقاً)** وهو فعيل من الصدق للمبالغة فيه، **(ويدخل في الصدق التقوى، ويدخل في التقوى الورع، ويدخل في الورع**

الشهوات خاصة، فإذاً الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام ويتجدّد له بسبب الكف إسم العفة، وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه كف عن كل محظور، وأعلى منه التقوى فإنه إسم للكف عن المحظور والشبهة جميعاً، ووراءه إسم الصديق والمقرّب، وتجري الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم، فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل، كما أنك تقول: الإنسان إما عربي وإما عجمي، والعربي إما

---

**العفة، فإنها عبارة عن الإمتناع عن مقتضى الشهوات خاصة، فإذا الخوف يؤثر الجوارح بالكف والإقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفـة وهو كف عن مقتضى الشهوة، وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه كف عن كل محظور، وأعلى منه التقوى فإنه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعاً ووراءه اسم الصديق والمقرب، وتجري الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم، فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل) .**

وقال صاحب القوت: الخوف إسم جامع لمقامات المتقين، ثم يشتمل على أهل طبقات خمس في كل طبقة ثلاث مقامات. فالمقـام الأول: مـن الخوف وهـو التقـوى، وفي هـذا المقـام المتقـون والصالحون والعاملون، والمقام الثاني: هو الحذر وفي هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون. والمقام الثالث: هو الخشية وفي هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين. والمقام الرابع: الوجل وهذا للذاكرين والمخبتين والعارفين. والمقام الخامس: وهو الإشفاق وهو للصديقين والشاهدين والمحبين وخصوص المقربين، وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لأجل الموصوف لا عن مشاهدة الإكتساب لاجل العقوبات. وقال في موضع آخر: إن الخائف بوصف ما غلب عليه من الحال عما قوي عليه من الشهادة، ويندرج الرجاء في مقامه فيكون الرجاء له مشهوداً والخوف منه وجداً، ويوصف الراجي بما قوي عليه من الحال عن غلبة شهادته، وينطوي الخوف في مقامه فيصير الخوف له علماً والرجاء له وجداً، ولكنه للمخوف تعالى فيتناهـى الخوف ولا نهاية للمرجوّ فينقضي منه الرجاء، فأما الشهيد الموقن العالم المقرب فبالحالين جميعاً يوصف مع اعتدالهما، وبالوصفين جميعاً يعرف مع استوائهما، ثم يغلب عليه الوصف التام والحال الكامل من القيام بشهادة التوحيد والتحقيق بحق المعرفة لموجب المزيد، فإذا عرف به اندرج الوصفان فيه فيقال: صديق لأنه تحقق بالصدق في جميع معانيه، فأغني من أن يقال مخلص، ثم يقال: عارف لأنه قد رسخ في العلم رسوخ الجبل فكفى أن يقال صادق، ثم يقال: مقرب لأنه أشهد القرب فاقترب فلم يحتج أن يقال عالم، وهذه أسماء الكمال وصفات التمام لا يفتقر إلى ذكر حال ولا يوصف بصفة مقال كما يقال في غيره من ذكر الأحوال خائف أو راج لوجودهما فيه بالكف واعتدالهما عنده بالسواء، لأن الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم عاصا فيه، فإذا قلت عارف أو مقرب أو صديق فقد دخل فيه حال محب ووصف خائف ومقام راجٍ ونعت عالم وسمة عامل لا محالـة.

**( كما أنك تقول )** في تعالي الأنساب واندراجها في عوالي الأحساب: **( الإنسان إما عربي**

قرشي أو غيره، والقرشي إما هاشمي أو غيره، والهاشمي إما علوي أو غيره، والعلوي إما حسني أو حسيني، فإذا ذكرت أنه حسني مثلاً فقد وصفته بالجميع، وإن وصفته بأنه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه، فكذلك إذا قلت صدّيق فقد قلت أنه تقي وورع وعفيف، فلا ينبغي أن تظنّ أن كثرة هذه الأسامي تدل على معاني كثيرة متباينة، فيختلط عليك كما اختلط على من طلب المعاني من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ المعاني، فهذه إشارة إلى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالأعمال الصادرة منه كفاً وإقداماً.

---

**وإما عجمي والعربي إما قرشي أو غيره، والقرشي إما هاشمي أو غيره والهاشمي: إما علوي أو غيره، والعلوي: إما حسني أو حسيني، فإذا ذكرت أنه حسني مثلاً فقد وصفته بالجميع، وإن وصفته.بأنه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه)**. ولفظ القوت: فإن قلت: فلان هاشمي استغنيت أن تقول عربي أو قرشي، لأن كل هاشمي عربي قرشي لا محالة، ثم تصفه بعد ذلك بوصف التمام والكمال أيضاً، كما ذكرناه في قولنا عارف، فتندرج الأنساب فيه فنقول: فلان حسني فاكتفيت أن تقول قرشي أو هاشمي أو علوي، وإن كان قرشياً هاشمياً علوياً لا يشك أنه قد عرف أن كل حسني فهو قرشي هاشمي علوي لا محالة، فأما أن تقول: فلان عر أو قرشي أو هاشمي فهو مقصور على ما وسمته به، لأنه قد يكون علوياً وهو الغاية في الحسب، ثم لا يكون حسنياً فتنقص رتبة منزلته، ويكون قرشياً غير هاشمي فينحط درجة، وقد يكون عربياً غير قرشي فينزل مرتبة فيلزمه وصف ما عرفته حسب، فإذا قلت: حسني لأدخلت الأحساب كلها فيه وغنيت أن تصفه بما دونها.

**(فكذلك إذا قلت: صديق فقد قلت أنه تقي وورع وعفيف)** ولفظ القوت: كذلك قولنا عارف أو موقن أو مقرب أو صديق هو اسم التمام والكمال في السمات التي عرفت بها كل المقامات تدخل الأحوال والمقامات في هذه السمات، فاكتفيت أن تقول: هو مؤمن أو صالح أو عابد أو زاهد أو خائف أو راج، كما رتبنا في الأحساب من قولنا فلان حسني دخل فيه كل حسب رفيع، وكفينا أن نقول عربي أو قرشي أو هاشمي أو علوي أن جميع ذلك داخل فيه لأن العارف لا يرسم بحال دون حال إذ قد غاصت فيه الأحوال، ولا يرسم بمقام دون مقام إذ قد استوعب كل مقام بحقيقة معناه عارف بالمعروف الذي هو بكل نهاية وفضل موصوف وغموض غربته عند ابناء جنسه أن ينكروه، فإن تعرف ا ليهم به أو عرفوه بهم فليس بعارف.

**(فلا ينبغي أن تظن أن كثرة هذه الأسامي تدل على معان كثيرة متباينة ليختلط عليك كما اختلط على من طلب المعاني من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ بالمعاني فهذه إشارة إلى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانبه كالمعرفة الموجبة له، ومن جانب السفل كالأعمال الصادرة منه كفاً وإقداماً)** ودخل فيه ما يتعلق بثمرته وعلمه الذي هو الورع، والله الموفق.

**بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف:**

اعلم أن الخوف محمود ، وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود ، فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد ! وهو غلط ، بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى ، والأصلح للبهيمة أن لا يخلو عن سوط وكذا الصبي ، ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة في الضرب محمودة ، وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال . والمحمود هو الإعتدال والوسط .

فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع ، وكذلك عند مشاهدة سبب هائل ، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة ، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألماً مبرحاً فلا يسوقها إلى المقصد ولا يصلح لرياضتها ، وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء ،

---

**بيان درجات الخوف** واختلافـه **في القوة والضعف:**

**( اعلم )** وفقك الله تعالى **( أن الخوف محمود )** ومطلوب وفرض عين ، **( وربما يظن أن كل ما هو محمود ، فكلما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلط ، بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بها رتبة القرب من الله تعالى )** قال القشيري : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت محمد بن علي الحيري يقول : سمعت محفوظاً يقول : سمعت أبا حفص يقول : الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه . **( والأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط ، وكذا الصبي )** العرم ، **( ولكن ذلك لا يدل على أن المبـالغـة في الضرب محمود )** كما هو ظاهر ، **( وكذلك الخوف له قصور )** وهو مرتبة التفريط **( وله إفراط )** وهو مرتبة التجاوز ، **( وله اعتدال )** وهو مرتبة الوسط ، **( والمحمود )** من ذلك **( هو الإعتدال والوسط )** فخير الأمور أوساطها .

**( فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء تخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فتورث البكاء وتفيض الدموع ، وكذلك عند مشاهدة سبب هائل )** عظيم مخوف ، **( فإذا غاب ذلك السبب عن الحس )** والمشاهدة **( رجع القلب إلى الغفلة ، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع ، وهو كالقضيب الضعيـف الذي تضرب به دابة قويه لا يؤلمها ألماً مبرحاً فلا يسوقهاإلى المقصد ولا يصلح لرياضتها ، وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفون والعلماء )** ولذا قال سهل : الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا

ولست أعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين بأسمائهم فإنهم أبعد الناس عن الخوف، بل أعني العلماء بالله وبأيامه وأفعاله، وذلك مما قد عز وجوده الآن؛ ولذلك قال الفضيل بن عياض: إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت: «لا» كفرت، وإن قلت: «نعم» كذبت، وأشار به إلى أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً.

وأما المفرط فإنه الذي يقوى ويجاوز حدّ الاعتدال حتى يخرج إلى الياس والقنوط، وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل، وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل، فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل، ولولاه لما كان الخوف كمالاً لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأه الجهل والعجز.

وأما الجهل فإنه ليس يدري عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفاً لأن المخوف هو الذي يتردد فيه.

وأما العجز فهو أنه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه؛ فإذاً هو محمود بالإضافة إلى نقص الآدمي، وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة، وكل ما يجوز أن يوصف

---

المخلصون والمخلصون على خطر. ( **ولست أعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم، فإنهم أبعد الناس عن الخوف بل أعني به العلماء بالله** ) وبآلائه ( **وبآياته وأفعاله، وذلك مما قد عز وجوده الآن، ولذلك قال الفضيل بن عياض** ) رحمه الله تعالى، ( **إذ قيل لك هل تخاف فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت، وإن قلت نعم كذبت** ) إذ ليس وصفك وصف من يخاف الله نقله صاحب القوت ( **وأشار به إلى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات، وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً.**

**وأما المفرط: فهو الذي يقوى ويجاوز جد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه لا يمنع من العمل** ) وربما أورثه الكفر، ( **فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل، ولولاه لما كان الخوف كمالاً لأنه بالحقيقة نقصان، لأن منشأه الجهل والعجز.**

**أما الجهل: فإنه ليس يدري عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفاً لأن المخوف هو الذي يتردد فيه.**

**وأما العجز: فهو أنه متعرض لمحذور ولا يقدر على دفعه، فإذاً هو محمود بالإضافة إلى نقص الآدمي، وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة، وكل ما يجوز أن يوصف الله**

الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال في ذاته، وإنما يصير محموداً بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه، كما يكون احتمال ألم الدواء محموداً لأنه أهون من ألم المرض والموت، فما يخرج إلى القنوط فهو مذموم، وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل، وقد يخرج إلى الموت، وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضواً من أعضائها، وإنما ذكر رسول الله ﷺ أسباب الرجاء وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي إلى القنوط أو أحد هذه الأمور، فكل ما يراد لأمر فالمحمود منه ما يفضي إلى المراد المقصود منه، وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم، وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى، وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل، فكل ما يقدح في هذه الأسباب فهو مذموم.

فإن قلت: من خاف فمات من خوفه فهو شهيد، فكيف يكون حاله مذموماً! فاعلم

---

**تعالى به، و**) أما (**ما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس كمالاً في ذاته، وإنما يصير محموداً بالإضافة إلى نقص أعظم منه كما يكون احتمال ألم الدواء محموداً لأنه أهون من ألم المرض والموت، فما يخرج إلى القنوط فهو مذموم**) لما تقدم أنه يمنع العمل، (**وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف**) الشديدين (**و**) إلى (**ألم الوله**) والحيرة (**والدهشة وزوال العقل، وقد يخرج إلى الموت إذا أثر في المرارة، وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضواً من أعضائها، وإنما ذكر رسول الله ﷺ أسباب الرجاء**) فيما تقدم من الأخبار، (**وأكثر منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضي إلى القنوط أو أحد هذه الأمور**) المذكورة، (**فكل ما يراد لأمر فالمحمود منه ما يفضي إلى المراد المقصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم**)، إلا أن ما يفضي منه إلى اليأس والقنوط فهو حرام وإن لم يوجب ذلك، ولكن أدى إلى فساد العقل وضعف البدن فإنه مكروه لخروجه عن الإعتدال المحبوب. (**وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى، وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل، فكل ما يقدح في هذه الأسباب فهو مذموم**) والقدر الواجب ما يحث على فعل الواجبات وترك المحظورات، ويستحب استيلاؤه على القلب حتى ينفي بذلك كل سبب يشغل عن الله.

(**فإن قلت: فمن خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموماً**) وقد ذكرت أن الخوف إذا تجاوز عن حد الإعتدال حتى أدى إلى الموت فهو مذموم؟ (**فاعلم أن**

أن معنى كونه شهيداً أنّ له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف، فهو بالإضافة إليه فضيلة، فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبله فليس بفضيلة، بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء، ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه، وهو محال، فلا ينبغي أن يظن هذا، بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى؛ فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة إلى أمور، وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة إلى أمور أخر! كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى ما دونها لا بالإضافة إلى درجة المتقين والصديقين، فإذن الخوف إن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه، مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة، وإن أثر فله درجات بحسب ظهور أثره، فإن لم يحمل إلا على العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة، فإذا أثمر الورع فهو أعلى، وأقصى

---

**معنى كونه شهيداً أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف، فهو بالإضافة إليه فضيلة. فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة )** لما ورد: « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله » **( بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء )**، ولذا ورد: « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء » وقال صاحب القوت: إذا جاوز الخوف الحد خرج به إلى أن يسري إلى النفس فيحرقها فيكون له شهادة، وليس هذا بأرفع مقامات الخائفين في باب العلوم والمشاهدات عن مكاشفة تجلي الصفات، إلا أنه قد قال بعضهم: ما شهداء بدر بأعظم أجراً ممن مات وجداً. وهذه صفات المريدين إذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد وبكل معاينة قدرة من مقتدر ليلة قدر، ومن كل قصد محجة بتعظيم عظيم حجة، وبكل عمارة قلب بحال محبة عمرة. **( لولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه وهو محال، فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله )** كما ورد معناه في الخبر، **( فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة إلى أمور، وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة إلى أمور أخرى كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى ما دونها لا بالإضافة إلى درجة النبيين والصديقين، فإن الخوف إذا لم يؤثر في العمل فإن وجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وإن أثر فله درجات بحسب ظهور أثره، وإن لم يحمل إلا على العفة وهو الكف عن مقتضى**

درجاته أن يثمر درجات الصديقين، وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع؛ فهذا أقصى ما يحمد منه، وذلك مع بقاء الصحة والعقل؛ فإن جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه؛ ولو كان محموداً لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول، ولذلك كان سهل

---

**الشهوات فله درجة فإن أثمر الورع فهو أعلى)** لعلو مرتبة الورع على العفة، **(وأقصى درجاته)** أي الخوف **(أن يثمر درجات الصديقين، وهو أن)** يستولي على القلب حتى **(يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع، فهذا أقصى ما يحمد منه)** لأن الغاية المقصودة أن يموت العبد محباً لله تعالى، ولا تحصل المحبة إلا بالذكر والفكر، ولا يحصلان إلا بفراغ القلب عن شواغل الدنيا وعلائقها ولا يكف عنها إلا الخوف، فإذا عرفت منزلته من الدين فلا تتعداها، **(وذلك مع بقاء الصحة والعقل)**.

وجملة القول في تفصيل هذه المخاوف أن للخوف سبع مفائض يفيض إليه من القلب، فإلى أي مفيض فاض من القلب إليه أتلف صاحبه به إلا ما يستثني، فقد يفيض الخوف من القلب إلى المرارة فيخرقها وهؤلاء هم الذين يموتون من الغشي وهم ضعفاء العمال، وقد يطير الخوف من القلب إلى الدماغ فيخرق العقل فيتيه العبد فيذهب الحال ويسقط المقام وقد يحل الخوف الرئة فيثقبها فيذهب الأكل والشرب حتى يسل الجسم وينشف الدم وهذا لأهل الجوع والطيّ والإصفرار، وقد يسكن الخوف الكبد فيورث الكمد ويحدث الفكر الطويل والسهر وهذا من أفضلها، وفي هذا الخوف العلم والمشاهدة وهو من خوف العالمين، وقد يقدح الخوف في الفرائص وهي لحمة الكتف ومنه يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة، وقد يبدد الخوف من القلب مغشى العقل فيمحى سلطانه كقهر سلطان القدرة محو الشمس إذا برزت ضوء القمر البادي الذي يبدو على السر من خزائن الملكوت فيضعف لحمة العقل ويضطرب الجسم لضعفه فلا يتمكن العبد من القرار لضعف صفته. وهؤلاء أشبه بالفضل وأدخل في العلم، وقد سلك في هذه الطريق أفاضل أهل القلوب وهم من التابعين كثير منهم: الربيع بن خيثم، وأويس القرني، وزرارة بن أوفى ونظراؤهم، ولم ينكر هذا عليهم الصحابة ممن عرفه مثل: عمر، وابن مسعود، وحذيفة رضي الله عنهم، وقد كان عمر يغشى عليه حتى يقع ويضطرب كالبعير، وكان سعيد بن جريج من خيار الصحابة ومن أمراء الأجناد وكان يغشى عليه. وقد يفيض الخوف من القلب إلى النفس فيحرق الشهوات ويطفىء شعل الهوى وهذا أحمد المخاوف وأعلاها، وهؤلاء أفضل الخائفين وأرفعهم مقاماً وهو خوف النبيين والصديقين وخصوص الشهداء، وليس فوق هذا وصف يغبط عليه خائف ولا يفرح به عارف.

**(فإن جاوز هذا)** عن حدّ الاعتدال **(إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه، ولو كان محموداً لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول)** أي إن

رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع أياماً كثيرة؛ احفظوا عقولكم فإنه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل.

---

جاوز الخوف هذه الأوصاف فقد خرج عن حدّه وجاوز قدره، فحينئذ يجب معالجته بما يزيله، ثم إن لم يعصم العبد من مجاوزة حد الخوف خرج به إلى أحد ثلاثة معان.

خيرها أن يسري إلى النفس فيحرقها فيتلف العبد.

وأوسطها: أن يعلـو إلى الدماغ فتنحل عقدة العقل لذوبه فتضطرب الطبائع لانحلال عقدة العقل، ثم تختلط المزاجات فيكون منه الوسواس والهذيان والوله والتره وهذا مكروه عند العلماء وعاقبته غير محمودة، وقد أصاب ذلك بعض المحبين في مقام المحبة فانطبق عليهم فولهوا بوجده، ومنهم من فزع ذلك من قلبه فسرى عنهم فنطقوا بعلم وصفه، **( ولذلك كان )** أبو محمد **( سهل )** التستري رحمه الله تعالى **( يقول للمريدين الملازمين للجوع أياماً كثيرة )** من أهل عبادان: **( احفظوا عقولكم )** باستعمال الدسم ، **( فإنه لم يكن ولي لله ناقص العقل )** نقله صاحب القوت. وقد ذكر في كتاب رياضة النفس، ويؤيده ما اشتهر على لسان العامة ما اتخذ الله ولياً جاهلاً ولو اتخذه لعلمه.

قال صاحب القوت: وحدثني بعض إخواني قال: كنا حول أبي الحسن بن سالم، فدخل شاب عريان فوقف على الحلقة يهذي فزجرناه نطرده، فقال لنا الشيخ: دعوه حتى يقضي ما في نفسه. قال: وكان يتكلم بوساوس من معاني التوحيد وبهذيان مختلط من علوم المعارف إلى أن فتر وسكن ثم انصرف، فقال لنا أبو الحسن: لا بارك الله في العلماء السوء، ثم قال: لم يكن في أصحابنا أحسن عقلاً ولا أكثر تعبداً ولا اجتهاداً من هذا الشاب، وكنت انهاه عن العسف بنفسه والحمل عليها وآمره بأكل الدسم والحلواء فكان مستقيم الأمر، ففارقنا وذهب إلى أهل عبادان فقالوا له: إن ابن سالم قد ركن إلى الدنيا وترك العبادة والاجتهاد وأمروه بالجوع الدائم والطيّ وترك الدسم والحلاوة حتى أحرق دماغه وزال عقله فذهب الحال وبطلت العبادة.

والمعنى الثالث: من مذموم الخوف وهو شرها في المجاورة أن يعظـم ويقـوى فيـذهـب الرجـاء إذ لم يواجه بعلم الاخلاق من الجود والكرم والإفضال وقديم الاحسان وخفي الامتنان، فهذه المعاني بها تعديل المقام من فرط الاهتمام وترويح الحال من كروب الاثقال، فلا يساعده القدر بذلك فيخرجه وجده إلى القنوط من رحمة الله ويعطف به همه على الإياس من روح الله وتوقعه شهادته على الهرب من قرب الله دخلت عليهم المشاهدة من قبل المواجهة بالانصاف والعدل بمعيار العقل واتلاف الحد، فجاوزت بهم العلم باخلاقه المرجوّة من الكرم وخفي الألطاف، فبعدت بهم الحدود من قبل قوّة نظرهم إلى الاكتساب والحكم على الحاكم الراحم بعقولهم وعلومهم من غير تفويض منهم إلى مشيئة ولا استسلام، فحجبوا بذلك على صحة ما ذكرناه: إن أكثر هذه كانت في البصريين والعسكريين وأهل عبادان، وكان مذهبهم القدر فوقعوا في غاية الخطر، والله الموفق.

## بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه:

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه، والمكروه إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار، وإما أن يكون مكروهاً لأنه يفضي إلى المكروه، كما تكره المعاصي لإدائها إلى مكروه في الآخرة، وكما يكره المريض الفواكه المضرة لأدائها إلى الموت، فلا بدّ لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروهاً من أحد القسمين ويقوي انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه، ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة، فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروهاً لذاته، بل لغيره: كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة، أو خوف نقض التوبة ونكث العهد، أو خوف ضعف القوّة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى، أو خوف زوال رقة القلب وتبدّلها بالقساوة، أو خوف الميل عن الإستقامة، أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة، أو خوف أن يكله الله تعالى إلى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد

---

**بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منها:**

( **اعلم** ) هداك الله تعالى ( **أن الخوف المتحقق لا يكون** ) وفي نسخة: إن الخوف لا يتحقق ( **إلا بانتظار مكروه** ) في الاستقبال، ( **و** ) ذلك ( **المكروه** ) لا يخلو ( **إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار** ) مثلاً، ( **واما أن يكون مكروهاً** )لا لذاته بل ( **لأنه يفضي إلى المكروه** ) فتكون كراهته عارضة ( **كما تكره المعاصي** ) لا لذاتها ولكن ( **لادائها إلى مكروه في الآخرة** ) وهو العتاب والعذاب، ( **و** ) هذا ( **كما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها إلى الموت فلا بدّ لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروه من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعار ذلك المكروه، ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة، فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروهاً لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة، أو خوف نقض التوبة** ) بعد العصمة، ( **أو** ) خوف ( **نكث العهد** ) بالخيانة، ( **أو خوف ضعف القوّة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى** )، أو خوف وهن العزم بعد القوة أو خوف قلة الوفاء بترك المعاملة بالصفا، ( **أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة** )، أو خوف حدوث الفترة بعد الشره عن المعاملة، أو خوف ظهور الصفة بعد استتار الشهوة والآفة، ( **أو خوف الميل عن الاستقامة، أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة** )، أو خوف الجنايات والاكساب، أو خوف الوعد وسوء العقاب، أو خوف التقصيرعن الأمر بتسبيب الاسباب، أو خوف مجاوزة الحد، أو خوف سلب المزيد، أو خوف حجاب اليقظة عن القلب بالغفلة، أو خوف قطع الفتنة من العقل بالوسوسة، ( **أو خوف أن يكله الله إلى حسناته التى اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله، أو**

الله، أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه، أو خوف الإشتغال عن الله بغير الله أو خوف الإستدراج بتواتر النعم. أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء، أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقية عمره، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والإفتضاح قبل الموت، أو خوف الإغترار بزخارف الدنيا، أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه. أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء، أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل. فهذه كلها مخاوف العارفين، ولكل واحد خصوص فائدة. وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المخوف، فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس، وهكذا إلى بقية الأقسام.

وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة، فإن الأمر فيه مخطر، وأعلى الأقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة؛ لأن الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد

---

**خوف البطر بكثرة نعم الله عليه، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله، أو خوف الاستدراج بتواتر النعم، أو خوف انكشاف غوائل طاعته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة واضمار السوء )**، أو خوف الوقوع في الفتنة بتسبيب الخدعة بالمحنة انا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر، أو خوف البلوى بعد جري العادة، أو خوف الرجوع عن قصد الإرادة، أو خوف استذلال المهانة بعد الكرامة، أو خوف الحور بعد الكور وهو الرجوع عن المحجة بعد ايقاع الحكم عليه إلى طريق الهدى، **( أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقيه عمره، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا أو الافتضاح قبل الموت، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا، أو خوف إطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه، أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء )** أو اطلاع الله عليهم عندما سلف من ذنوبهم ونظره إليهم على قبيح أعمالهم فيعرض عنهم ويمقتهم. **( أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل. فهذه كلها مخاوف العارفين )** وطرقات الطالبين وبعضها أعلى من بعض وفيها ما هو أشد من بعض، **( ولكل واحدة خصوص فائدة. وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المخوف، فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام من العادة، والذي يخاف من إطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس )** والخطرات **( وهكذا إلى بقية الأقسام )** المذكورة.

**( وأغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فإن الأمر فيه مخطر )** أي صعب ذو خطر **( وأعلى الأقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة، لأن الخاتمة تبع السابقة وفرع**

**تخلل أسباب كثيرة، فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في أم الكتاب، والخائف من الخاتمة بالإضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حز الرقبة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد، فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه عماذا يظهر، ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات إلى السبب فهو أعلى من الإلتفات إلى ما هو فرع، فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الإلتفات إلى ما يظهر في الأبد؛ وإليه أشار النبي ﷺ حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال: «هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص» ثم قبض كفه اليسرى وقال: «هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص،**

---

**يتفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة، فالخاتمة تظهر ما سبق به من القضاء في أم الكتاب)** قال صاحب القوت: وقد نوع بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين. فقال: قلوب الابرار معلقة بالخاتمة. يقولون: ليت شعري ماذا يختم لنا به؟ وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون: ترى ماذا سبق الينا منه؟ وهذان المقامان عن مشاهدتين. إحداهما أعلى وأنفذ من الأخرى لحالين. أحدهما: أتم وأكمل، وهذا كما قيل: ذنوب المقربين حسنات الأبرار أي ما يرغب فيه الأبرار فهو عندهم باب قد زهد فيه المقربون فهو عندهم حجاب، ومن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من مدده الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شيء فهو في بطالة لا أجر له ولا عاقبة من قبل أن سوء الخاتمة قد يكون في وسط العمر فلا ينتظر بها آخره إذ هما في سبق العلم سواء، فالخاتمة حينئذ فاتحة والوقتان واحد فينظر إليه نظرة بعد فهو يزداد باعماله بُعداً، فإذا انقطعت الآجال وتناهت الأعمال تناهى في الأبعاد فحل في دار البعد.

**(والخائف من الخاتمة بالإضافة إلى الخائف من السابقة، كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه جز الرقبة)** أي هلاكه، **(ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليها ولم يصل التوقيع إليهما بعد، فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره، وأنه عما ذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته، وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب، وهذا التفات إلى السبب وهو أعلى من الالتفات إلى ما هو فرع، فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى ما هو يظهر في الأبد)** بعدما كان في حيز العدم، **(وإليه أشار النبي ﷺ حيث كان)** ذات يوم **(على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال: «هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص» ثم قبض كفه اليسرى وقال: «هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار باسمائهم واسماء آبائهم وأنسابهم لا يزاد فيه ولا ينقص، وليعملن أهل**

وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال: كأنهم منهم بل هم هم، ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة، وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال: كأنهم منهم بل هم هم، ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة، السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والأعمال بالخواتيم »! وهذا كانقسام الخائفين

---

**السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة )**، وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في القلب إلى الحلقوم، وهذا هو شبر كما في الرواية الأخرى، وفواق الناقة: هو ما بين الحلبتين، وقيل: هو شوط من عدوها بين سيرين **( وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة )**، وهذا من تقليبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد إلى وجهة الضلال والشرك عندما يبدو من زوال عقل الدنيا وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب. **( السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقى بقضاء الله والأعمال بالخواتيم » )** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال: حسن صحيح غريب اهـ.

قلت: وروى الطبراني والبزار من حديث ابن عمر « وإن العبد يلبث مؤمناً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عز وجل عليه ساخط، وإن العبد يلبث كافراً احقاباً ثم احقاباً ثم يموت والله عز وجل عنه راض ».

وروى الخطيب من حديث عائشة « إن العبد ليعمل الزمن الطويل من عمره أوكله بعمل أهل الجنة وأنه لمكتوب عند الله من أهل النار، وأن العبد ليعمل الزمن الطويل من عمره أو أكثره بعمل أهل النار وأنه لمكتوب عند الله من أهل الجنة ».

وروى الطبراني من حديث بن مسعود « إن العبد يولد مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت كافراً، وإن العبد يولد كافراً ويعيش كافراً ويموت مؤمناً، وإن العبد ليعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت شقياً، وإن العبد ليعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيداً ».

وقال صاحب القوت بعد أن ذكر خوف أهل الخصوص: وقد جاء معنى ما ذكرناه في حديثين: أحدهما عام والآخر خاص، وكل من لم يستعمل قلبه في بدايته ويجعل الخوف حشو إرادته لم ينجب في خاتمته ولم يكن إماماً للمتقين عند علو معرفته، وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقاً بخوف الخاتم ولا يسكن إلى علم ولا عمل ولا يقطع على النجاة بشيء من العلوم وإن علت ولا لسبب من الأعمال وان جلبت لعلمه بتحقيق الخواتم، فقد قيل: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها. وعن النبي ﷺ: « إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى يقال أنه من أهل الجنة » وفي خبر آخر « حتى ما يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر » وفي لفظ آخر « إلا فواق ناقة ثم يسبق عليه

**إلى من يخاف معصيته وجنايته، وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة، فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصدّيقين، وأما الآخر فهو في عرصة الغرور والأمن، إن واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصدّيقين، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى، وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جناية؛ بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته، ولولا أنه مخوّف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها، فإن تيسير**

---

الكتاب فيختم له بعمل أهل النار» قال: ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم بالجوارح إنما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول، وهو شرك التوحيد الذي لم يكن في الحياة الدنيا مشاهداً له ظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما تظهر له أعماله السيئة فيستحليها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجده، فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحه، وذلك هو سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ [الأعراف: ٣٧] يكون عند مفارقة الروح الجسد ﴿إنَّا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ [هود: ١٠٩] اهـ.

وروى البزار من حديث أبي هريرة «السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه» وسنده صحيح. وروى مسلم وابن ماجه وابن عساكر من حديث معاوية «إنما الأعمال بخواتيمها» الحديث وقد تقدم ومن هنا خوف العارفين حيث أنهم لم يعرفوا أنهم من أي القبضتين المذكورتين، ومن أي الفريقين المذكورين في قوله تعالى: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [الشورى: ٧] وفي قوله تعالى: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ [هود: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ [التغابن: ٢] وقوله: ﴿إما شاكراً واما كفوراً﴾ [الانسان: ٣].

**(وهذا كانقسام الخائفين إلى من يخاف معصيته وجنايته، وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله)** وعظمته **(وأوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة، فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه)** ويدوم ويستمر، **(وإن كان في طاعة الصديقين، وأما الآخر)** وهو الذي يخاف معصيته وجنايته **(فهو في عرصة الغرور والأمن إن واظب على الطاعات، فالخوف من المعصية)** والجناية **(خوف الصالحين)** المؤمنين، **(والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى، فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جناية، بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته)**، ومن ذلك قول عمر في صهيب رضي الله عنه، نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه. **(ولولا أنه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها، فإن**

أسباب المعصية إبعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات، فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء أم أبى وكذا المطيع فالذي يرفع محمداً ﷺ إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهل في أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله، فإنّ من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضرورياً، والذي عصى عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة، فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضرورياً، فليت شعري ما الذي وجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه، وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعي المعصية عليه، وكيف يحال ذلك على العبد؟ وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل، ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز

---

تيسير **أسباب المعصية إبعاد )** وطرد عن الحضرة **( ولم تسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها، ولا سبق قبل الطاعة له وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات، فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء أم أبى وكذا المطيع )** قد قضي عليه بالطاعة شاء أم أبى، **( فالذي يرفع محمداً ﷺ إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده )** بل هو محض عناية وفضل، **( ويضع أبا جهل )** وأضرابه **( في أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده، جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله، فإن من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه ارادة الطاعة )** وسهل له سبيلها **( وآتاه الله القدرة )** عليها **( وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضرورياً، والذي عصى عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة، وكان الفعل بعد القدرة والارادة ضرورياً، فليت شعري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصصه بتسليط ارادة الطاعات عليه، وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعي المعصية عليه، وكيف يحال ذلك على العبد؟ وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة، فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد جزم عند كل عاقل )** وهذا هو الخوف الذي يراد لذاته إلى ان ينكشف عند الخاتمة بما سبق به القضاء الأزلي وهو خوف العارفين، ويجب اعتقاد ذلك لأنه من عقود الإيمان بالله إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، لان أحكام الرب تعالى في العباد على ما اقتضته ارادته ومشيئته لا رعاية لإصلاح العباد، وكلما زادت المعرفة بهذا زاد الخوف. **( ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه )**، وقد جاء في

**إفشاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا أذن الشرع لم يستجرىء على ذكره ذو بصيرة، فقد جاء في الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يقف بك على سببه، فإنّ الوقوف على سببه رهوف على سر القدر، ولا يكشف ذلك إلا لأهله. والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته؛ ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي، فإن قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم بقتلك، وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن**

---

الخبر «القدر سر الله فلا تفشوه» فهنا خطاب لمن كوشف به، وفي لفظ آخر «ستر الله» فهذا خطاب لمن لم يكاشف به، وهذا نهي عن السؤال عنه وهو داخل في قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الإسراء: ٣٦] أي لا تتبع نفسك علم ما لم تكلف ولا تسأل عما لا يجعل من علمك ولم يوكل إليك فتصنع بما لا يعنيك كما كلفته وقوله تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿لا تسألنا ما ليس لك به علم﴾ [هود: ٤٦] أي عما ليس من علمك الذي جعلته علماً لك هذا هو علمي وسري في خلقي وهو من معنى قوله: ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣] أي ليس هو مما يصلح ان تتعلمه وتسأل عنه لأني لم أتعبدك به.

قال صاحب القوت: وليس يصلح أن يكشف سر المخاوف من الخاتمة والسابقة لأن ذلك يكون من حقائق معنى الصفات التي ظهرت عن حقيقة الذات فأظهرت بدائع الأفعال وغرائب المآل، وأعادت الأحكام على من أظهر بها وجعل لها ممن حقت عليه الكلمات وجعل نصيبه من معاني هذه السرائر من الصفات، فيؤدي ذلك منا إلى كشف باطن الأوصاف وهو من سر القدر وقد نهى عن إفشائه في غير خير.

(**ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته إلا بمثال لولا أذن الشرع**) بضرب الامثلة (**لم يستجرىء على ذكره ذو بصيرة**) ولم يقدم عليه لصعوبة المقام، (**فقد جاء في الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً، ولعل المصنف قصد بايراده أنه من الاسرائيليات، فإنه عبّر عنه بقوله جاء في الخبر، وكثيراً ما يعبر بذلك عن الإسرائيليات التي هي غير مرفوعة، (**فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يقف بك على سببه، فإن الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك إلا لأهله**) ممن له علم باسراره المخفية ممن كوشف بها. (**والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية من الإنسان سبقت إليه بل لصفته وبطشه وسطوته و**) ما ألبس وجهه من (**كبره وهيبته، ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي، فإن قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم لقتلك، وإن خلاّك**) أي تركك (**لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك، بل أنت عنده أخس من**

**يلتفت إليك حياً كنت أو ميتاً بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة، إذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته، ولله المثل الأعلى، ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله: « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي » ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة.**

---

**أن يلتفت إليك حياً كنت أو ميتاً، بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة)** أي طريقة واحدة **( إذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ﴿ولله المثل الاعلى﴾ )** وكذلك مثل النبي ﷺ للرجل الذي أوصاه بالحياء مثل له بالرجل الصالح في قوله: استح من الله كما تستحي من الرجل الصالح، فإنما تستحـي من الرجل الصالح لوصفه لانه يقتضي الحياء، ويوجب على الناظر إليه الاستحياء، فالحياء أيضاً وإن كان ألطف فهو باب من الخوف لانه يمنع ويردع كما يرتدع من المخافة ويمتنع، **( ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله )** تعالى، فيما رواه أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى رضي الله عنه بسند رجاله ثقات ان النبي ﷺ قال « إن الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، فقال: **( هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي » )** قيل: يا رسول الله على ماذا نعمل؟ قال « على مواقع القدر » وفي حديث عمر بـن الخطاب: « إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » رواه مالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والآجري في الشريعة وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات والضياء في المختارة، والمعنى لا أبالي من ملامة أحد إذ لا يجب على الله شيء لا من إثابة المطيع ولا من تعذيب العاصي، أو لا أبالي من طاعة مطيع ولا من معصية عاص، او لا أبالي لعدم تأثير الاثابة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه، أو لا أبالي لأني متصرف في ملكي أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد بالعدل، أو لأني متفضل غير مائل عادل غير جائر.

**( ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة )** وبالله التوفيق.

**الطبقة الثانية من الخائفين:** أن يتمثل في أنفسهم ما هو المكروه، وذلك مثل سكرات الموت وشدّته، أو سؤال منكر ونكير، أو عذاب القبر أو هول المطلع، أو هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير، أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه، أو الخوف من النار وأغلالها وأهوالها، أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات، أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى، وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها. وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين، ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد

---

**الطبقة الثانية من الخائفين:**

( **أن يتمثل في أنفسهم ما هو المكروه** ) في ذاته. اعلم ان الخوف الذي يراد لغيره على قسمين لأنا قدمنا أن لله تعالى على العبد نعماً يخاف سلبها، وله جنايات يخاف العقوبة عليها، فمن القسم الثاني الذي هو خوف العقوبات المرتبة على الجنايات وهو السوط الذي يساق به الأخساء من العبيد ولهتنا تلك العبيد، ( **وذلك مثل** ) خوف ما يقع في الدنيا من خسف وكسف ومحنة وفقر و( **سكرات الموت وشدته، أو** ) ما يقع في الآخرة إما من ( **سؤال منكر ونكير** ) في القبر، ( **أو** ) من ( **عذاب القبر، أو** ) من ( **هول المطلع، أو** ) من ( **هيبة الموقف بين يدي الله تعالى، أو** ) من ( **الحياء من كشف الستر، أو السؤال** ) في الموقف ( **عن النقير والقطمير، أو الخوف من** ) مزلة ( **الصراط وحدته وكيفية العبور عليه** ) باختلاف الأحوال، أو خوف المحشر والميزان، ( **أو الخوف من النار وأغلالها** ) وأنكالها ( **وأهوالها** ) وأشار المصنف إلى القسم الأول وهو خوف سلب النعم بقوله: ( **أو الخوف من الحرمان من الجنة دار النعيم والملك المقيم، و** ) نحو ذلك مثل الخوف ( **عن نقصان الدرجات** ) العلى ( **والخوف من الحجاب عن الله تعالى** ) وهو يكف عن شاغل الأكوان، وكذلك الخوف من الفراق وهو يكف عن ملابسة الشهوات، ثم خوف قلع أسباب الاتصال وهو يحث على معرفة النعمة ورؤية المنة، ثم خوف نسيانه وهو يحث على اليقظة وعدم الغفلة، ثم قطع أسباب الخير والتلاقي وهو يحث على مجالسة الصالحين والمذكرين والتوابين، ( **وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لا محالة مخوفة** ) وتحث على ترك المحظورات وفعل الطاعات، فإن لم تحث عليها فلا فائدة فيه وتزداد المعصية به غلظة لأنها مخالفة على مشاهدة الوعيد وكل حال يراد لغيره ففائدته أن يؤدي إلى مقصوده فإن لم يؤد كان العمل حجة، ( **وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى** ) فإنه أشد العذاب عند أولي الألباب ( **وهو خوف العارفين وما قبل ذلك** ) هو ( **خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين** ) من المؤمنين، ( **ومن لم تكمل**

والفراق، وإذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكراً وتعجب منه في نفسه، وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم لولا منع الشرع إياه من إنكاره، فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد، وإلا فباطنه لا يصدق به لأنه لا يعرف إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان والوجوه الحسان، وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم، فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم، وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلاً له ومن كان أهلاً له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره، فإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين، نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه.

## بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه:

اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار، وتارة بالآيات والأخبار.

أما الاعتبار، فسبيله أن فضيلة الشيء بقدر غنائه في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة، إذ لا مقصود سوى السعادة، ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب

---

**معرفته ولم تنفتح بصيرته)** لم يهتد إلى الكمال **(ولم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق، وإذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار إنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكراً وتعجب منه في نفسه)** كما قال الشاعر:

ولو يذوق عاذلي صبابتي ... صبا معي لكنه ما ذاقها

**(وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم)** في دار النعيم **(لولا منع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد وإلاَّ بباطنه لا يصدق به لأنه لا يعرف)** هو **(إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان)** المختلفة من الزهور وغيرها **(والوجوه الحسان، وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم، فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم)** لأن فهومهم لا تحتمل ذلك، **(وتفصيل ذلك وشرحه)** يطول ومع طوله فإنه **(حرام على من ليس أهلاً له، ومن كان أهلاً له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره وإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين)** وبالله التوفيق.

**بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه:**

**(اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والإعتبار وتارة بالآيات والأخبار).**

**(أما الإعتبار: فسبيله)** أن تعرف **(أن فضيلة الشيء بقدر غنائه في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى إذ لا مقصود سوى السعادة)** إذ هي الغاية المطلوبة، **(ولا سعادة للعبد إلاَّ في**

منه، فكل ما أعان عليه فله فضيلة، وفضيلته بقدر غايته، وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة، إلا بدوام الفكر، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب، ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات، ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات، فإن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق، وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى.

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن

---

**لقاء مولاه والقرب منه، فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر إعانته، وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والإنس به في الدنيا)** فيموت على ذلك، **(ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة)** لأنها فرعها فمن لم يعرف لم يحب، **(ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر)** في مشاهدة جلاله تعالى، **(ولا يحصل الإنس إلا بالمحبة ودوام الذكر)** لآلاء الله تعالى، **(ولا يتيسر الذكر والفكر إلا بانقلاع حب الدنيا من القلب)** وفراغه منه، **(ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها، ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات)** وكف النفس عنها، **(ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف)** فإذا عرفت منزلته من الدين فلا تتعداها، **(فالخوف هو النار المحرقة للشهوات)** والمزيل لآثار آفتها، **(فإذاً فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة بقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات)** وهو القدر الواجب منه، وأما استيلاؤه على القلب فهو مستحب **(ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق)** قريباً. نعم يستحب اكتسابه وتذكاره عند وجود أسبابه مثل قراءتك ملك يوم الدين وغير المغضوب عليهم، وعند تذكر ما أعدّه الله للعصاة وعند الكسوف والخسوف والصواعق والزلازل يكون هذا تعبداً لله تعالى، ولو كنت فيما هو أشرف منه كما تنتقل من قراءة القرآن إلى إجابة المؤذن من أجل أنها عبادة الوقت فالعالم هو القائم بما هو أولى بالوقت، **(وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى)** وفي هذا القدر مقنع لأهل التأمل والاعتبار وعبرة لأولي الأبصار.

**(وأما بطريق الإقتباس من الآيات والأخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن**

الحصر، وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان، قال الله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وصفهم بالعلم لخشيتهم، وقال عز وجل: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨]، وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف، لأن الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام: وأما الخائفون فإن لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه، فانظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الأعلى، وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء. ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم، ولذلك لما خير رسول الله ﷺ في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول: «أسألك الرفيق الأعلى»،

---

**الحصر** ) والإحصاء ( **وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين** ) ما فرقه على المؤمنين ( **بين الهدي والعلم والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى: ﴿هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾** ) والرهبة من لواحق الخوف ومقام من مقاماته. ( **وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فوصفهم بالعلم لخشيتهم** ) أي جعل الخشية مقاماً في العلم حققه بها والخشية مقام من مقامات الخوف. وقال تعالى: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣] فرفع العلم عن العقل وجعله مقاماً فيه. ( **وقال تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾** ) والخشية كما ذكر من مقامات الخوف فخص الرضوان بأهل الخشية، ( **وكل ما دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم** ) بالله تعالى. ( **ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام: وأما الخائفون فإن لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه** ) كذا في القوت وهو من الإسرائيليات، ( **فانظر كيف أفردهم** ) من غير مشاركة ( **بمرافقة الرفيق الأعلى** ) كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة فهم مع الأنبياء في الرتبة، ( **وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء** ) كما ورد بذلك الخبر، ( **ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم** ) قال الله تعالى: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ [النساء: ٦٩] ثم قال في وصف منازلهم ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء: ٦٩] بمعنى رفقاً عبّر عن جماعتهم بالواحد لأنهم كأنهم واحد وقد يكون رفيقاً مقام في الجنة لعلو عليين، وإليه أشار بقوله: ( **ولذلك لما خير رسول الله ﷺ في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول: «أسألك الرفيق الأعلى»** ) قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير» فلما نزل به ورأسه في

**فإذن إن نظر إلى مثمره فهو العلم وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى، ولا يخفى ما ورد في فضائلها، حتى أنّ العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها، كما صار الحمد مخصوصاً بالله تعالى والصلاة برسول الله ﷺ، حتى يقال الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة على سيدنا محمد ﷺ وآله أجمعين. وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالَهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [ الحج: ٣٧ ] وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى: ﴿إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [ الحجرات: ١٣ ] ولذلك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وإيَّاكُمْ أن اتَّقُوا اللهَ﴾ [ النساء: ١٣١ ] وقال عز وجل: ﴿وَخَافُون إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [ آل عمران: ١٧٥ ] فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان، فلذلك لا**

---

حجري غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: « اللهم الرفيق الأعلى » فعلمت أنه لا يختارنا. وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح. الحديث. انتهى.

ورواه أحمد مختصراً ورواه الترمذي في الشمائل مطولاً، ثم جاء في خبر موسى عليه السلام فأولئك هم الرفيق الأعلى، فدل على أنهم مع الأنبياء بتفسير النبي لذلك، وشرف مقامهم فوق كل مقام لطلب رسول الله ﷺ ذلك، ( **فأما إن نظر إلى مثمره** ) الذي هو السبب ( **فهو العلم** ) أو إلى حقيقته فالخشية، ( **وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى** ) والكف عما سوى الله ( **ولا يخفي ما ورد في فضائلها** ) أي الورع والتقوى، وبعد إذ فهمت سببه وحقيقته وثمرته سهل عليك معرفة فضيلته، ( **حتى أن العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصاً بالله تعالى والصلاة** ) مخصوصة ( **برسول الله ﷺ، حتى يقال: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد وآله أجمعين، وقد خصص الله التقوى بالإضافة إلى نفسه** ) تشريفاً ومعنى وصله به وأكرم عباده عليه تعظيماً له، ( **فقال** ) في هذين المعنيين: ( **﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق، وقال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** ) وفي القوت: والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة ينتظم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [ البقرة: ٢١ ] ( **ولذلك أوصي الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال: ﴿لقد وصينا الذي أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾** ) وهذه الآية قطب القرآن لأن مدار القرآن كله على هذا. ( **وقال عز وجل: ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ فأمر بالخوف** ) منه ( **وأوجبه وشرطه** ) ولفظ الرسالة: والخوف من الله تعالى، هو أن يخاف أن يعاقبه الله إما في الدنيا وإما في الآخرة، وقد فرض الله على العباد أن يخافوه فقال: ( **﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ وقال: ﴿فأياي**

يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه، وقال رسول الله ﷺ في فضيلة التقوى: « إذا جمع الله الأوّلين والآخرين لميقات يوم معلوم فإذا هم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يوم هذا فانصتوا إليّ اليوم، إنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس: إني قد جعلت نسباً وجعلتم نسباً، فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم، قلت: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان وفلان أغنى من فلان، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي، أين المتقون؟ فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب » . وقال عليه الصلاة والسلام: « رأس الحكمة مخافة الله »، وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود: « إن أردت أن

---

**فارهبون﴾ [ النحل: ٥١ ] فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وعن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه )** كما أن قوة خوفه تكون بحسب قوة معرفته وإيمانه. **( وقال ﷺ في فضيلة التقوى: « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فانصتوا إلي اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس إني جعلت نسباً وجعلتم نسباً فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وابيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي الا أين المتقون؟ فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب » )** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك بسند ضعيف، والثعلبي في التفسير مقتصراً على آخره: « إني جعلت نسباً » الحديث من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت ورواه كذلك ابن مردويه مطولاً، ولفظ الحاكم: « إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أمرتكم فضيّعتم ما عهدت إليكم ورفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبي وأضع انسابكم أين المتقون ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ » وقد صححه وتعقب، ورواه كذلك ابن مردويه، والبيهقي. وفي الباب عن علي حديثه عند الخطيب ولفظه: « إذا كان يوم القيامة وقف العباد بين يدي الله تعالى غرلاً، بُهماً فيقول الله تعالى: عبادي أمرتكم فضيعتم أمري ورفعت أنسابكم فتفاخرتم بها. اليوم أضع أنسابكم. أنا الملك الديان أين المتقون إن أكرمكم عند الله أتقاكم ».

**( وقال ﷺ: « رأس الحكمة )** أي أصلها وأسها **( مخافة الله » )** وفي لفظ « خشية الله » قال العراقي: رواه ابن لال في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود، ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصح أيضاً اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحكيم في النوادر من حديث ابن مسعود.

تلقاني فأكثر من الخوف بعدي»، وقال الفضيل: من خاف الله دله الخوف على كل خير. وقال الشبلي رحمه الله: ما خفت الله يوماً إلا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة ما رأيته قط. وقال يحيى بن معاذ: ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقها حسنتان: خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين أسدين. وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه إلا الورعين فإني استحي منهم وأجلهم إن أوقفهم للحساب. والورع والتقوى أسام اشتقت من معان شرطها الخوف، فإن خلت عن الخوف لم تسم بهذه الأسامي، وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يخفى، وقد جعله الله تعالى مخصوصاً بالخائفين فقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]،

---

(وقال ﷺ لابن مسعود: «إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدي») قال العراقي لم أقف له على أصل. (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: (من خاف دله الخوف على كل خير) أي أرشده إلى كل ما فيه خير إما ظاهراً وإما باطناً. (وقال) أبو بكر (الشبلي) رحمه الله تعالى: (ما خفت الله يوماً إلا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة ما رأيته قط)، فالحكمة هي أسرار المعارف المكتوبة والعبرة اسم من الإعتبار (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى: (ما من مؤمن يعمل سيئة إلا وتلحقه حسنتان: خوف العقاب ورجاء العفو وكثعلب بين أسدين) فإن خاف منها محيت له وإن أقدم على رجائه رحم له. (وفي خبر موسى عليه السلام: وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه إلا الورعين فإني استحييهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب) كذا في القوت، وروى الحكيم في النوادر من حديث ابن عباس قال الله تعالى: يا موسى إنه لن يلقاني عبدي في حاضر القيامة إلا فتشته عما في يديه إلا ما كان من الورعين فإني استحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب. ولم يتعرض له العراقي هنا لكونه من الإسرائيليات وليس من المرفوع، لكن تقدم للمصنف في أوائل الكتاب هذا الخبر بعينه، وقال هناك في الخبر ثم ساق هذا: «وأما الورعون فإني استحييهم» وقال العراقي: هناك لم أقف له على أصل وقد دللناك على أصله. (والورع والتقوى أسام اشتقت من معان شرطها الخوف، فإن خلا عن الخوف لم يسم بهذه الأسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله مخصوصاً بالخائفين فقال: ﴿سيذكر من يخشى﴾) والخشية من مقامات الخوف ثم قال: ﴿ويتجنبها الاشقى﴾ [الأعلى: ١١] أي يتجنب التذكرة الشقي، فجعل من عدم الخوف شقياً وحرمه التذكرة فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقد وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد، فأما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أمر به من الصفات المخوفة. (وقال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وقال ﷺ: «قال الله عز

وقال ﷺ: « قال الله عز وجل: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة »، وقال ﷺ: « من خاف الله تعالى خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء »، وقال ﷺ: « أتمكم عقلاً أشدكم خوفاً لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظراً »، وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه: مسكين ابن آدم لو خاف النار كما

---

**وجل وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة »** ) قال العراقي: رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلاً اهـ.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية من حديث شداد بن أوس: « قال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي وإن هو خافني في الدنيا امنته يوم أجمع عبادي ». وأما حديث أبي هريرة، فقد رواه كذلك ابن المبارك في الزهد وكلهم من رواية سلمة عنه، ومرسل الحسن رواه كذلك الحكيم في النواد ولكن لفظه: « يقول الله وعزتي » وعند ابن عساكر من حديث أنس: « يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق خلقي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع لعبدي أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته اليوم ومن أمنني في الدينا أخفته اليوم ».

( **وقال ﷺ: « من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوّفه من كل شيء »** ) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جداً، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد معضل وقد تقدم اهـ.

قلت: ورواه أبو الشيخ أيضاً من حديث واثلة بلفظ: « من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء » ورواه الحكيم بلفظ: « من اتقى الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يتق الله أهابه من كل شيء » ورواه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرجي في أماليه، والرافعي في تاريخه من حديث ابن عمر.

( **وقال ﷺ: « أتمكم عقلاً أشدكم خوفاً لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً »** ) قال العراقي: لم أقف له على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء. ( **وقال يحيى بن معاذ** ) الرازي رحمه الله تعالى: ( **مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة** ) نقله القشيري في الرسالة. أي لأن خوفه من الفقر يحمله على أن يشح بما معه على نفسه وعياله ويخل بقيامه بكثير من الواجبات كفرض ولده ووالده وحق زكاته، ويقع في كثير من المحرمات لتحصيل المال كالتلبيس والغش في العيوب وتعاطي المعاملات الفاسدة، فلو خاف من النار كما يخاف من الفقر لهرب من أسباب دخولها وتعاطي أسباب دخول الجنة ولما غلبت عليه الشهوات.

يخاف الفقر دخل الجنة. وقال ذو النون رحمه الله تعالى: من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه. وقال ذو النون أيضاً: ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فإذا غلب الرجاء تشوّش القلب وكان أبو الحسين الضرير يقول: علامة السعادة خوف الشقاوة، لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين، وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غداً؟ فقال: أشدهم خوفاً اليوم. وقال سهل رحمه الله: لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال. وقيل للحسن، يا أبا سعيد، كيف نصنع؟ نجالس أقواماً يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير! فقال: والله إنك إن تخالط أقواماً يخوّفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصحب قوماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب. وقالت

---

**( وقال ذو النون )** المصري رحمه الله تعالى: **( من خاف الله ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه )** وهو داخل القلب. **( وقال )** أيضاً: **( ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء )** أي في حال صحته وقوة شبابه، **( فإذا غلب الرجاء )** في القلب **( تشوش القلب )** أي اضطرب وآل أمره إلى الفساد، ومثله قول الداراني: إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب، **( وكان أبو الحسين الضرير )** رحمه الله تعالى **( يقول: علامة السعادة خوف الشقاوة )** أي مخافة أن تدركه، **( لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين، وقيل ليحيى بن معاذ )** الرازي رحمه الله تعالى: **( من آمن الخلق غداً )** أي من أكثرهم أمنا في يوم القيامة؟ **( فقال: أشدهم خوفاً اليوم )** أي في الدنيا **( وقال )** أبو محمد **( سهل )** التستري رحمه الله تعالى: **( لا تجد الخوف )** أي لا تكون خائفاً خوفاً حقيقياً **( حتى تأكل الحلال. وقيل للحسن )** البصري رحمه الله تعالى: **( يا أبا سعيد )** وهي كنية الحسن **( كيف نصنع نجالس أقواماً يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير )** أي تزول من مواضعها من شدة الخوف. **( قال )** الحسن: **( والله إنك إن تخالط أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب قوماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف )** فيه استحسان لتغليب جانب الخوف على الرجاء.

**( وقال أبو سليمان الداراني )** رحمه الله تعالى: **( ما فارق الخوف قلباً إلا خرب )**. قال القشيري: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت الحسين بن أحمد الصفار يقول: سمعت محمد بن المسيب يقول: سمعت هاشم بن خالد يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول ذلك. والمعنى أن الخوف درجات، ومن انتقل من مقام شريف إن لم يحذر مما يفسده عليه أو لا يكمل أولا يرقيه إلى ما هو أعلى منه فسدّ عليه ما هو فيه فلا يستغني مقام عن الخوف.

**( و )** قال القشيري في الرسالة: أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي، أخبرنا أحمد بن عبيد، حدثنا محمد بن عثمان، حدثنا القاسم بن محمد، حدثنا يحيى بن يمان عن مالك بن مغول، عن عبد الرحمن بن

عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوا وقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [ المؤمنون: ٦٠ ] هو الرجل يسرق ويزني؟ قال: « لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر، وكل ذلك ثناء على الخوف، لأنّ مذمة الشيء ثناء على ضدّه الذي ينفيه، وضدّ الخوف الأمن، كما أن ضدّ الرجاء اليأس، وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول: كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان، فإنّ كل من رجا محبوباً فلا بدّ وأن يخاف فواته، فإن كان لا يخاف فواته فهو إذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجياً، فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر، نعم يجوز أن يغلب أحدهما على

---

سعيد بن وهب قال: ( **قالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله** ) قوله تعالى: ( **﴿الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة﴾ أهو الرجل يسرق ويزني** ) ويشرب الخمر؟ ( **قال: « لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه »** ) ففيه دليل على أن الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لا يعرف صحة عمله ولا قبوله لخفاء ما يطرق الأعمال من الآفات. قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد.

قلت بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعيد بن وهب. قال الترمذي: وروي عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة اهـ.

قلت: لفظ الترمذي رواه كذلك الفريابي وأحمد وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين، وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب، واللفظ الثاني الذي أشار له الترمذي رواه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه عن أبي هريرة قالت عائشة: يا رسول الله: ﴿والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة﴾ هم الذين يخطئون ويعملون بالمعاصي. وفي لفظ: هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه. قال: « لا ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وقلوبهم وجلة ».

( **والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر، وكل ذلك ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي يتقيه وضد الخوف الأمن كما أن ضد الرجاء اليأس، وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء، فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف المضاد له، بل نقول: كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان، فإن كل من رجا محبوباً فلا بد وأن يخاف فواته، فإن كان لا يخاف فواته فهو إذاً لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجياً. فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر** ) ولفظ القوت في باب الرجاء: ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطناً

الآخر وهما مجتمعان، ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه، وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه، إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فإذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة؛ فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء؛ وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف،والتقديران يتقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر المنتظر مشكوكاً فيه، نعم أحد طرفي الشك قد يترجح على الآخر بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظناً. فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر، فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي بالإضافة إليه، وكذا بالعكس، وعلى كل حال فهما متلازمان، ولذلك قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ [ الأنبياء: ٩٠ ]، وقال عز وجل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [ السجدة: ١٦ ]، ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وِقَاراً﴾ [ نوح: ١٣ ] أي لا تخافون، وكثيراً ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى

---

في رجائه لأنه لما تحقق برجاء شيء خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به، فهو لا ينفك في حال رجائه من الخوف لفوت الرجاء. ( **نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان** ) وهذا خلاف ما قاله بعضهم أنه لا يجوز أن يتغلب أحدهما على الآخر لاستوائهما في التعلق بالأسباب فتأمل ذلك. ( **ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه، وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه** ) أو مظنون ( **إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف** ) كما سبق، ( **فإذاً المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه لا محالة، فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف، والتقدير أن يتقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر المنتظر مشكوكاً فيه. نعم أحد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظناً** ) وهذا هو المراد لغيره، وأما المراد لذاته فإنه مبني على الشك، ( **فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وغلب الخوف بالإضافة إليه وكذا بالعكس** )، فهذا معنى غلبة أحدهما على الآخر، ولو استويا في التعلق بالأسباب. ( **وعلى كل حال فهما** ) وصفان ( **متلازمان** ) لا ينفك أحدهما عن الآخر، ( **وكذلك قال تعالى: ﴿ويدعوننا رغباً ورهباً﴾ وقال عز وجل: ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء** ) وسموه به ( **فقال تعالى** ) على هذه اللغة: ( **﴿مالكم لا ترجون لله وقاراً﴾ أي لا تخافون** ) لله عظمة اجمعوا على هذا التفسير وهو مخرج على قولهم: مالك لا ترجو كذا وهم يريدون. مالك لا تخاف وهو أيضاً أحد وجهي تفسير قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ [ الكهف: ١١٠ ] أي يخاف من لقائه. ( **وكثيراً ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف** ) كما في قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ [ الجاثية: ١٤ ] أي يخافون عقوبات الله. وكذا قوله تعالى: ﴿وترجون من الله

الخوف وذلك لتلازمهما، إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه، بل أقول: كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية، فإنّ البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [التوبة: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وقال عز وجل: ﴿أَفَمِن هَذَا الحَدِيثِ تَعْجَبُونْ * وتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونْ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١]، وقال ﷺ: «ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئاً من حر وجهه إلا حرمه الله على النار»، وقال ﷺ: «إذا

---

ما لا ترجون﴾ [النساء: ١٠٤] أي يخافون منه ما لا يخافون (لتلازمهما) ولولا أنهما كشيء واحد لما فسر أحدهما بالآخر (إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه أي من مذهبهم) ان الشيء إذا كان لازماً للشيء أو وصفاً له أو سبباً عنه أن يعبروا عنه به، ومثل أحدهما من الآخر مثل اليوم من الليلة لما لم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر عن المدة بأحدهما فيقال: ثلاثة أيام، ويقال ثلاث ليال ومنهم قوله تعالى مخبراً عن قصة واحدة: ﴿قال آيتك ألاّ تكلّم الناس ثلاث ليال سوّياً﴾ [مريم: ١٠] ثم قال: ﴿ثلاث أيام إلا رمزاً﴾ [آل عمران: ٤١] فلما لم يكن اليوم ينفك عن ليلته، والليلة لا تنفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لأن أحدهما متصل بصاحبه فصارا كشيء واحد، فكيف وأن الليل والنهار أحدهما لبسة والآخر مندرج لا يظهر إلا أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامه فيهما وافتراق انعامه بهما، فإذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرة الله تعالى، وإذا ظهر الليل استتر النهار لحكمة الله تعالى وهو حقيقة إيلاجه أحدهما في الآخر، وتحقيق تكويره أحدهما على صاحبه، فكذلك حقيقة الرجاء من الخوف في معاني الملكوت إذا ظهر الخوف كان العبد خائفاً وظهرت عليه أحكام الخوف من مشاهدة التجلي بوصف الخوف، فسمي العبد خائفاً لغلبته عليه ويظهر الرجاء من خوفه، وإذا ظهر الرجاء كان العبد خائفاً راجياً وظهرت منه أحكام الرجاء من مشاهدة تجلي الربوبية بوصف مرجو فوصف العبد به لأنه الأغلب عليه وبان الخوف في رجائه، (**بل أقول: كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية فإن البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾**) وفي حديث أنس: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وقد سبق. (**وقال تعالى**) في وصفه الباكين من العلماء في السجود لمزيد اليقين بالخشوع ﴿ويخرون للأذقان (**يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ وقال عز وجل: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون**) أي رافعون رؤوسكم متحيرون ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ [النجم: ٦٢] (**وقال ﷺ: «ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئاً من حرّ وجهه إلا حرمه الله على النار»**) قال العراقي: رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث بن مسعود بسند ضعيف اهـ.

قلت: وروى ابن النجار من حديث انس: «ما من عين خرج منها مثل الذباب من الدموع من

**اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها »، وقال ﷺ: « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع »، وقال عقبة بن عامر: ما النجاة يا رسول الله؟ قال: « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك » وقالت عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب؟ قال: نعم من ذكر ذنوبه فبكى »، وقال ﷺ: « ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم اهريقت في سبيل الله**

---

مخافة الله إلا أمنها الله يوم الفزع الأكبر ». وعند الحاكم: « من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذبه الله يوم القيامة ».

وقال ﷺ: « إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تتحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة ورقها ») قال العراقي: رواه الطبراني والبيهقي من حديث العباس بسند ضعيف اهـ.

قلت: ولفظها جلد العبد وفيه عن الشجرة البالية ورقها. ورواه كذلك الحكيم في النوادر، وأبو بكر الشافعي وسمويه في فوائده والخطيب.

**( وقال ﷺ: « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع » )** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي، وابن ماجه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وزاد الترمذي والنسائي: « ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً » وقد رواه كذلك أحمد وهناد والحاكم والبيهقي. وقال القشيري في الرسالة: أخبرنا أبو بكر بن عبدوس الحيـري، أنبأنا أبو بكر بن دلويه الدقاق، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا عامر بن أبي الفرات، حدثنا المسعودي، عن محمد بن عبد الرحمن، عن عيسى بـن طلحة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وعند البيهقي وحده: « لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصرّ على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم ».

**( وقال عقبة بن عامر )** الجهني رضي الله عنه، قلت **( ما النجاة يا رسول الله؟ قال: « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » )** رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والترمذي وحسنه، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب، وقد تقدم في كتاب الصمت. ورواه أحمد من حديث أبي أمامة، والطبراني من حديث ابن مسعود ولفظها: « أملك » بدل « أمسك ».

**( وقالت عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب؟ قال: « نعم من ذكر ذنوبه فبكى » )** أغفله العراقي **( وقال ﷺ: ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم اهريقت في سبيل الله تعالى » )** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وقد تقدم. **( وقال**

**سبحانه »، وقال ﷺ: « اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دماً والأضراس جمراً »، وقال ﷺ: « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله » وذكر منهم: « رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ».**

**وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من استطاع أن يبكي فليبكِ ومن لم يستطع فليتباك. وكان محمد بن المنكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع.**

**وقال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**

---

ﷺ: **« اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان)** القلب **( بذروف الدمع)** وفي لفظ الدموع **( قبل أن تصير )** وفي لفظ تكون **( الدموع دماً والأضراس جمراً » )** قال العراقي رواه الطبراني في الكبير وفي الدعاء، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن ورواه الحسن المروزي في زياداته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلاً دون ذكر أبيه، وذكر الدارقطني في العلل ان من قال فيه عن أبيه وهم وإنما هو عند سالم بن عبد الله مرسلاً. قال: وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربي وليس بابن عمر اهـ.

وما ذكره من أنه سالم المحاربي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ، ومسلم في الكنى، وابن أبي حاتم عن أبيه، وأبي أحمد الحاكم فإن الراوي له عن سالم ثابت بن شريح أبو سلمة، وإنما ذكروا له رواية عن سالم المحاربي والله أعلم. نعم حكى ابن عساكر في تاريخه الخلاف في أن الذي يروي عنه سالم المحاربي أو سالم بن عبدالله بن عمر اهـ.

قلت: ومن جزم أنه سالم المحاربي لا ابن عمر أبو زرعة كما هو بخط الحافظ ابن حجر.

**( وقال ﷺ: « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله ذكر منهم رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » )** رواه أحمد والشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة. ورواه الترمذي عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد، ورواه مسلم عنهما معاً وقد تقدم مراراً.

**( وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك )** أي ليتكلف البكاء، **( وكان )** أبو عبد الله **( محمد بن المنكدر )** بن عبد الله بن الهدير التيمي من حفاظ التابعين مات سنة ثلاثين ومائة عن نيف وسبعين سنة، روى له الجماعة. قال ابن حبان: من سادات القراء لا يتمالك من البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ **( إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع.**

**وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي**

**فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه.**

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: **ما تغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة، فإن سالت دموعه اطفأ الله بأول قطرة منها بحاراً من النيران،** ولو أن رجلاً بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة، **وقال أبو سليمان: البكاء من الخوف،** والرجاء والطرب من الشوق.

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: **والذي نفسي بيده، لأن أبكي من خشية الله حتى** تسيل دموعي على وجنتي أحب إليَّ من أن **أتصدّق بجبل من ذهب.**

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: **لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليَّ من أن** أتصدق بألف دينار.

---

**نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر ظهره).**
رواه أحمد في الزهد، حدثنا وكيع، حدثنا عبد الجبار بن الورد، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمر وقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ولسجد حتى ينقطع صلبه» ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه. وروي من طريق قسامة بن زهير قال: خطبنا أبو موسى الأشعري بالبصرة فقال: أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت.

**(وقال أبو سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى: **(ما تغرغرت عين بمائها إلاّ لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة، فإن سالت دموعه أطفأ الله بأوّل قطرة منها بحاراً من النيران، ولو أن رجلاً بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة)** نقله صاحب القوت أي إذا كان بكاؤه من خشية الله تعالى. **(وقال أبو سليمان)** رحمه الله تعالى **(أيضاً: البكاء من الخوف)** أي منشأه منه لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب كما تقدم فمنه يحصل البكاء، **(والرجاء من الطرب والشوق)** لما يؤمله في الاستقبال.

**(وقال كعب الأحبار)** رحمه الله تعالى: **(والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

**(وقال عبد الله بن عمر)** بن الخطاب رضي الله عنهما: **(لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بجبل من ذهب)** وفي لفظ بألف دينار أخرجه أبو نعيم في الحلية.

ورُوي عن حنظلة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله ﷺ وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي: قد نافقت حيث تحوّل عني ما كنت فيه من الخوف والرقة، فخرجت وجعلت أنادي: نافق حنظلة، فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: كلا لم ينافق حنظلة، فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا أقول: نافق حنظلة؛ فقال رسول الله ﷺ: «كلا لم ينافق حنظلة» فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه. فقال ﷺ: «يا حنظلة لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فراشكم؛ ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»،

---

**(ورُوي عن)** أبي ربعي **(حنظلة)** بن الربيع بن صيفي بن رياح بن الحرث بن معاوية بن مجاشع التميمي الاسدي المعروف بالكاتب أخو رباح بن الربيع وابن أخي أكثم بن صيفي حكيم العرب، نزل الكوفة ثم انتقل إلى قرقيسيا، له ولأخيه وصحبة قال الواقدي: كتب للنبي ﷺ مرة كتاباً فسمي بذلك الكاتب، وكانت الكتابة في العرب قليلة. وقال ابن البرقي: سمي الكاتب لأنه كتب للنبي ﷺ الوحي وتوفي بعد علي وكان معتزلاً للفتنة حتى مات، جاء عنه حديثان، روى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه **(قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون)** أي سالت دموعها **(وعرفنا أنفسنا)** أي كرهناها، **(فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنت عليه عند رسول الله ﷺ وأخذنا ما في الدنيا، ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي: قد نافقت حتى تحوّل عني ما كنت فيه من الخوف والرقة، فخرجت وجعلت أنادي نافق حنظلة، فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاخبرته الخبر، فقال: كلا لم ينافق حنظلة، فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا أقول: نافق حنظلة، فقال رسول الله ﷺ: كلا لم ينافق، فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعزفنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه، فقال: «يا حنظلة لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحال لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»)** قال العراقي: رواه مسلم مختصراً اهـ.

قلت: ولفظه: حدثنا يحي بن يحي التميمي، وقطن بن نسير واللفظ ليحي، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي عثمان النهدي، عن حنظلة الأسيدي قال: وكان من كتّاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة

**فإذاً كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف؛ لأن جملة ذلك متعلق به إما تعلق السبب أو تعلق المسبب.**

---

كانا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك»؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كانا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. فقال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات.

**(فإذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن، فهو دلالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلق به إما تعلق السبب أو تعلق المسبب)** وهذه عباراتهم في الخوف.

قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا علي الدقاق يقول: الخوف على مراتب الخوف والخشية والهيبة، فالخوف من شروط الإيمان وقضيته قال الله تعالى: ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥] والخشية من شرط العلم قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] والهيبة من شرط المعرفة. قال الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال أبو القاسم الحكيم: الخوف على ضربين: رهبة وخشية، فصاحب الرهب يلتجىء إلى الرب إذا خاف ورهب وهرب يصح أن يقال هما واحد مثل جذب وجبذ، فإذا هرب انجذب في مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم، فإذا كبحهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية. وقال أبو حفص: الخوف سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر. سمعت أبا علي الدقاق يقول: الخوف أن لا تعلل نفسك بعسى وسوف. وقال أبو عمرو الدمشقي: الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان. وقال ابن الجلاء: الخائف من يأمن المخوفات، وقيل للفضيل: ما لنا لا نرى خائفاً؟ فقال: لو كنت خائفاً لرأيت الخائفين إن الخائف لا يراه إلا الخائفون وأن الثكلى تحب أن ترى الثكلى. وقال شاه الكرماني: علامة الخوف الحزن الدائم. وقال معاذ بن جبل: إن المؤمن لا يطمئن قلبه ولا يسكن روعه حتى يخلف جسر جهنم خلفه. وقال بشر الحافي: الخوف ملك لا يسكن إلا في قلب متق. وقال أبو عثمان الحيري: عيب الخائف في خوفه السكون لأنه أمر خفي. وقال النوري: الخائف هرب من ربه إلى ربه. وقال بعضهم: علامة الخوف التحير على باب الغيب. وقال الجنيد: الخوف توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس. وقال أبو سليمان الداراني: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب. وقال أبو عثمان: صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً. وقال ذو النون الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق. وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل. وقال رجل لبشر: أراك تخاف الموت. فقال: القدوم على الله شديد. وقال ابن المبارك: الذي يهيج الخوف حتى يسكن في

**بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما :**

اعلم أنّ الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر إليهما ، فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما ؟ وقول القائل : الخوف أفضل أم الرجاء ؟ سؤال فاسد يضاهي قول القائل : الخبز أفضل أم الماء ؟ وجوابه أن يقال : الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان ، فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب ؛ فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل ، وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل ، وإن استويا فهما متساويان ، وهذا لأنّ كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه ، والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ، ففضلهما بحسب الداء الموجود ؛ فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل ، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله ، فالرجاء أفضل ، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ، ويجوز أن يقال مطلقاً ، الخوف أفضل على التأويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين ،

---

القلب دوام المراقبة في السر والعلانية . وقيل : الخوف قوّة العلم بمجاري الأحكام . وقيل : الخوف حركة القلب بجلال الرب . وقال الحسين : من خاف من شيء سوى الله أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء وسلط عليه المخافة وحجب بسبعين حجاباً أيسره الشك ، [illegible] أوجب شدة خوفهم فكرتهم في العواقب وخشية تغير أحوالهم . قال الله تعالى : ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [ الزمر : ٤٧ ] .

**بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما :**

**( اعلم )** هداك الله تعالى **( أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت ، وربما ينظر الناظر إليهما فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما ؟ وقول القائل : الخوف أفضل أم الرجاء ؟ سؤال فاسد )** فإن أعمال المقامات إذا تحدث فلا يصح التفاضل فيها إلا بأسبابها وأحوالها التي هي حواث على الأعمال ، بل **( يضاهي )** قوله **( قول القائل : الخبز أفضل أم الماء ؟ وجوابه أن يقال : الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب ، فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل ، وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل ، وان استويا فهما متساويان ، وهذا لأن كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه ، والخوف والرجاء دواءان يداوي بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود ، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به ، فالخوف أفضل . وان كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى فالرجاء أفضل . وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ، ويجوز أن يقال مطلق الخوف )** الذي يراد لذاته هو **( أفضل )** مطلقاً **( على التأويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين إذ يعالج بالخبز**

إذ يعالج بالخبز مرض الجوع ، وبالسكنجبين مرض الصفراء ، ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخبز أكثر فهو أفضل ، فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل ؛ لأنّ المعاصي والاغترار على الخلق أغلب ، وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقى من بحر الرحمة ، ومستقى الخوف من بحر الغضب ، ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب ، وليس وراء المحبة مقام ، وأما الخوف فمستنده الإلتفات إلى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء . وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل فنقول : أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء ، وذلك لأجل غلبة المعاصي فأما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه ، ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا . وروي أن علياً كرّم الله وجهه قال لبعض ولده : يا بني خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك ، وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك ، ولذلك قال عمر

---

**مرض الجوع، وبالسكنجبين مرض الصفراء، ومرض الجوع أغلب وأكثر، فالحاجة إلى الخبز أكثر، فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن المعاصي والاغترار على الخلق أغلب )** فالخوف يربط زمام ابتهاج المحبين وانبساطهم عن الافراط إلى الاعتدال. **( فإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء )** أفضل **( لأنه مستق من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب )** ، وشتان بينهما **( لأن من لاحظ من صفات لله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب )** وموجبات الرحمة في الوجود أكثر من موجبات الغضب **( وليس وراء المحبة مقام )** لأنها من الغايات. **( وأما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء ، وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا الأفضل فنقول : أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء ، وذلك لأجل غلبة المعاصي )** وكثرة الاغترار ، **( فأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه، فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه، ولذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا )** هو قول مطرف بن عبد الله. رواه أبو نعيم في الحلية ، حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا سفيان قال: قال مطرف: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه.

**( وروي أن علياً كرم الله وجهه قال لبعض ولده )** يعظه: يا بني **( خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك )** ، وكما أوصى لقمان ابنه فقال: يا بني خف الله خوفاً لا تيأس فيه من

رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل. وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي، فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه؛ فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استثنى من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلاً على اغتراره.

فإن قلت: مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق في أول كتاب الرجاء، وأن قوّته ينبغي أن تكون بحسب قوّة أسبابه كما مثل بالزرع والبذر، ومعلوم أن بث البذر الصحيح في أرض نقية وواظب على

---

رحمته وارجه رجاء لا تأمن مكره. وفي لفظ آخر: وارجه رجاء أشد من خوفك فقال: وكيف أستطيع ذلك وإنما لي قلب واحد؟ قال: أما علمت أن المؤمن كذي قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر. وفي القوت: وكان علي رضي الله عنه يقول: عليكم بالنمط الأوسط يرجع إليه العالي ويرتفع عنه الداني، وهذا قول فصل غير شطط ولا هزل وهو طريق أهل السنّة ومذهب أولى المعرفة فصدق الرجاء واعتدال الخوف به من حقيقة العلم بالله والمؤمن حقاً هو المعتدل بين الرجاء والخوف، **(ولذلك قال عمر رضي الله عنه: لو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون ذلك الرجل، ولو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون ذلك الرجل)**. رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن معمر، حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، حدثنا يحيى بن عبد الله البابلتي، حدثنا الاوزاعي، حدثنا يحيى بن كثير عن عمر بن الخطاب قال: لو نادى منادٍ من السماء أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا هو، ولو نادى مناد أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا هو، **(وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء، ولكن على سبيل التقاوم والتساوي)** لأنهما لا يبنيان على سابقة ولا وسيلة بل على كمال العلم والإرادة بخفي المكر والألطاف والشك فيما يصدر عنهما متساوٍ فلا يغلب أحدهما الآخر، **(فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه)**.

**(فإن قلت: مثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يساوي خوفه رجاءه، بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق أوّل كتاب الرجاء، وأن قوّته ينبغي أن تكون بحسب قوّة أسبابه كما مثل بالبذر والزرع)** ومرّ في كتاب الرجاء. **(ومعلوم أن من بثّ البذر الصحيح)** عن التسويس **(في أرض نقية)** صالحة **(وواظب على تعهدها)** ومراعاتها، **(وجاء بشروط**

تعهدها وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه، فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقين! فاعلم أن من يأخذ المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زلله، وذلك وإن أوردناه مثالاً فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه، لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة، إذ علم بالتجربة صحة الأرض ونقاؤها، وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها، وإنما مثال مسألتنا بذر لم يجرّب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها لزارع ولم يختبرها، وهي في بلاد، ليس يدري أتكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه، والبذر في مسألتنا هو الإيمان وشرط صحته دقيقة، والأرض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة، والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال، وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة، إذ قد يعرض من الأسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله، والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده، وذلك مما لم يجرب مثله، ثم الحصاد والإدراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما

---

**الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه، فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقين! فاعلم أن من يأخذ المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زلله )** أي خطأه، **( وذلك وإن أوردناه مثالاً فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة إذا علم بالتجربة صحة الأرض ونقاؤها )** عن المؤذيات **( وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها، وإنما مثال مسألتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بثّ في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدري أتكثر بها الصواعق أم لا . فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده )** أي خالصه **( وجاء بكل مقصوده فلا يغلب رجاؤه على خوفه، والبذر في مسألتنا هو الإيمان. وشروط صحته دقيقة والأرض القلب وخفايا خبثه وصفاؤه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة، والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان، وإن سلم في الحال فذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة إذ قد يعرض من الأسباب ما لا تطاق مخالفته ولم يجرب مثله، والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده، وذلك مما لم يجرب، ثم الحصاد والإدراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك مما لا يجرب، فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان**

سيحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين، وإن كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه، فأما أن يغلب رجاؤه فلا، ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً، إذ كان قد خصه رسول الله ﷺ بعلم المنافقين، فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي، وإن اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيبه عنه، وإن وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة؟ وقد قال ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر» وفي رواية: «إلا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار» وقدر فواق الناقة لا يحتمل عملاً بالجوارح إنما

---

ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما ستحكي في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين) ومن بعدهم، (وإن كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه) فصار في الاعتدال، (فاما أن يغلب رجاؤه) على خوفه (فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة) بن اليمان (رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً إذ كان رسول الله ﷺ قد خصّه بعلم المنافقين). قال العراقي: روى مسلم من حديث حذيفة «في أصحابي اثنا عشر منافقاً ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط» الحديث اهـ. قلت: ورواه كذلك أحمد.

(فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وإن اعتقد نقاء قلبه عن ذلك، فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيبه منه وإن وثق به، فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة، وقد قال ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة) حتى يقال أنه من أهل الجنة. وفي لفظ: (حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر، وفي رواية إلا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار») هكذا هو في القوت وقد سبق ذكره قريباً. وقال العراقي: روى مسلم من حديث أبي هريرة «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار» وللطبراني في الأوسط «سبعين سنة» وإسناده حسن: وللشيخين في اثناء حديث لابن مسعود «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع» الحديث. ليس فيه زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة اهـ.

قلت: وتمام حديث أبي هريرة «فيجعله من أهل النار إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم الله عمله بعمل أهل الجنة فيجعله الله من أهل الجنة فيدخله الجنة» ورواه كذلك أحمد.

**هو بمقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء، فكيف يؤمن ذلك؟ فإذن أقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه. وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستندة للاغترار وقلة المعرفة، ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [ السجدة: ١٦ ]، وقال عز وجل: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ [ الأنبياء: ٩٠ ]، وأين مثل عمر رضي الله عنه؟ فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف، بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سبباً للتكاسل عن العمل وداعياً إلى الإنهاك في المعاصي، فإن ذلك قنوط وليس بخوف، إنما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود، دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط.**

---

( **وقدر فواق ناقة** ) وكذا الشبر ( **لا يحتمل عملاً** ) أي لا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم ( **بالجوارح إن هو** ) من أعمال القلوب بمشاهدة العقول ( **بمقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء** ) وذلك هو شرك التوحيد الذي لم يكن في الحياة الدنيا شاهداً له ظهر له بيان ذلك عن كشف الغطاء، فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما تظهر له أعماله السيئة فيستحليها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجده، فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحه وذلك هو سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ [ الأعراف: ٣٧ ] ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ [ هود: ١٠٩ ] ( **فكيف يؤمن ذلك، فإذاً أقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه** ).

( **وأما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة، ولذلك جمع الله بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال تعالى: ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾** ) والطمع هو الرجاء. ( **وقال عز وجل ﴿ويدعوننا رغباً ورهباً﴾** ) والرغبة من الرجاء والرهبة من الخوف. ( **وأين مثل عمر رضي عنه** ) في قوّته وثباته؟ ( **فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف** ) على الرجاء ( **بشرط أن لا يخرجهم** ) إلى اليأس من روح الله ( **وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة، فيكون ذلك سبباً للتكاسل عن العمل وداعياً إلى الانهاك في المعاصي فإن ذلك قنوط** ) وهو كفر ( **وليس بخوف، وإنما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات** ) ويستأصلها ( **ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا** ) أي الميل إليها ( **ويدعوه إلى التجافي عن دار الغرور** )، وإذا تحقق ذلك ( **فهو الخوف المحمود** ) شرعاً ( **دون حديث النفس الذي لا يؤثر الكف** ) عن المنهيات ( **والحث** ) على المأمورات ( **ودون اليأس الموجب للقنوط. وقد قال يحي بن معاذ** ) الرازي رحمه الله تعالى:

وقد قال يحيى بن معاذ: من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الأفكار، ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار، ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الأذكار. وقال مكحول الدمشقي: من عبد الله بالخوف فهو حروري، ومن عبده بالرجاء فهو مرجيء، ومن عبده بالمحبة فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد، فإذاً لا بدّ من الجمع بين هذه الأمور، وغلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الإشراف على الموت، أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن، لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل، وقد انقضى وقت العمل، فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق أسباب الخوف، فإن ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته، وأما روح الرجاء فإنه يقوي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه، ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا محباً لله تعالى ليكون محباً للقاء الله تعالى، فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، والرجاء تقارنه المحبة، فمن ارتجى كرمه فهو محبوب،

---

( **من عبد الله تعالى بمحض الخوف** ) أي دون الرجاء ( **غرق في بحار الأفكار** ) إذ الخوف يحمله إلى كل واد، ( **ومن عبده بمحض الرجاء** ) أي دون الخوف ( **تاه في مفاوز الاغترار، ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الأذكار** ) نقله صاحب القوت.

( **وقال مكحول الدمشقي** ) هكذا في سائر النسخ ولفظ القوت: وقال مكحول النسفي في معناه إلا أنه أفرط فيه: ( **من عبد الله بالخوف فهو حروري، ومن عبده بالرجاء فهو مرجيء ومن عبده بالمحبة فهو زنديق** ) كذا في النسخ ولفظ القوت: فهو جهمي أي يتجهم عليه بالمقال ويتجاوز الحد في الأفعال. ( **ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد** ) شبه هذه المقامات من معاني المقالات للمبالغة من طريق المعنى لا على التحقيق أي أنه إذا انفرد بحال منها لا بدّ وأن يخرج من معيار علم أو عن سنّة أو معروف أو معتاد مألوف، فإذا جمعها فقد استقام على العلم والسنّة وهو وصف العالم العارف الظاهري الباطني. ( **فإذاً لا بدّ من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو الأصلح، ولكن** ) عن صحة طواعيته وذلك إلى ( **قبل الإشراف على الموت، أما عند الموت** ) وشدة المرض ( **فالأصلح** ) في حقه تغليب جانب ( **الرجاء وحسن الظن** ) بالله تعالى ( **لأن الخوف** ) كما سبق ( **جار مجرى السوط الباعث على العمل** ) بالجوارح، ( **وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل** ) ولا يتأتى منه، ( **ثم** ) هو لا ( **يطيق أسباب الخوف، فإن ذلك يقطع نياط قلبه** ) وهو بكسر النون عرق معلق به القلب ( **ويعين على تعجيل موته. وأما روح الرجاء فإنه يقوي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه، ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا محباً لله تعالى ليكون محباً للقاء الله تعالى فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه** ) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه كما ورد ذلك في الخبر وتقدم. ( **والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب، والمقصود من**

والمقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة، فإن المصير إليه والقدوم بالموت عليه، ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته، ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه، فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الأهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والأصحاب، فهذا رجل محابه كلها في الدنيا، فالدنيا جنته، إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب، فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه، ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه، فإذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا إذاً سجنه، لأن السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه، فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر، فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلاً عما أعده الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولا خطر على قلب بشر، وفضلاً عما أعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال

---

العلوم) والمعارف (والأعمال كلها معرفة الله تعالى) وإليه يشير تفسير ابن عباس للعبادة بها (حتى تثمر) تلك المعرفة (المحبة) المحضة (فإن المصير إليه والقدوم بالموت عليه و) لا يخفى انه (من قدم على محبوبه عظم سروره) وذلك (على قدر محبته) من قبل. (ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه، فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الأهل والمال والولد والمسكن والعقار والرفقاء والأصحاب)، وبالجملة كل ما يشغله عن الله تعالى (فهذا رجل محابه كلها في الدنيا، فالدنيا) إذاً (جنته) التي يتمتع بها (إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه، ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه) فإنه يتكدر عيشه ولا يصفو خاطره، (فأما إذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب، فالدنيا إذاً سجنه إذ السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الانسراح إلى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن، ولا يخفي حال من أفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر) وهذا هو معنى الخبر السابق ذكره «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». (فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقب موته من الثواب والعقاب. فضلاً عما أعد الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر) كما في خبر أبي هريرة، (وفضلاً عما أعد الله للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الخزي والنكال،

وضروب الخزي والنكال؛ فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين، ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى، ولا سبيل إليه إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن، فالأولى إن تدعو بما دعا به نبينا ﷺ إذ قال: «اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إليّ من الماء البارد»، والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا عن القلب، ولذلك قال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»، وقال تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»، ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه: يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به، وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه. وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت: أذكر لي

---

**فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين)** من عباده **(ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى، ولا سبيل إليه إلا باخراج حب غيره)** من كل ما يشغله عنه **(من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن)** وأهل وأصحاب، **(فالأولى أن ندعو بما دعا به نبينا ﷺ إذا قال «اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إليّ من الماء البارد»)** رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء وقد تقدم في كتاب الأذكار والدعوات.

**(والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة)** و الانس، **(و غلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات و أقمع لمحبة الدنيا عن القلب، ولذلك قال ﷺ «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»)** رواه مسلم من حديث جابر وقد تقدم قريباً، **(وقال)** ﷺ: **(«قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء»)** رواه ابن أبي الدنيا و الحاكم و ابن حبان و ابن عدي و الطبراني و الحاكم و البيهقي و تمام كلهم من حديث واثلة، وقد تقدم قريباً في فضيلة الرجاء.

**(ولما حضر سليمان)** بن طرخان **(التيمي الوفاة)** ولفظ القوت: ولما احتضر سليمان التيمي **(قال لابنه)**: يا بني **(حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به)** كذا في القوت، و ابنه المعتمر بن سليمان وهذا قد أخرجه المزني في التهذيب بسنده إلى المعتمر قال: قال أبي عند موته: يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وانا حسن الظن به. قال ابن سعد: كان سليمان من العباد المجتهدين وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد فيصليان في هذا المسجد مرة وفي هذا المسجد مرة حتى يصبحا. **(وكذلك لما حضر سفيان الثوري الوفاة واشتد**

الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن، والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام: أن حببني إلى عبادي فقال: بماذا؟ قال: بأن تذكر لهم آلائي ونعمائي، فإذاً غاية السعادة أن يموت محباً لله تعالى، وإنما تحصل المحبة بالمعرفة بإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب، ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير، فسأله؟ فقال: الآن أفلت، فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له: إنه مات البارحة.

## بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف:

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء، لأن أول مقامات الدين

---

**جزعه جمع)** ولفظ القلوب: وكذلك لما حضر الثوري الوفاة جعل **(العلماء حوله يرجونه، و)** كذلك **(قال أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(لابنه)** عبد الله **(عند الموت: أذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن)**، فلولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الأوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة لطول الحياة.

**(والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أن حببني إلى عبادي فقال: بماذا؟ قال: بأن تذكرهم آلائي و نعمائي)** تقدم ذكره قريباً، **(فإذاً غاية السعادة)** و نهاية الفوز **(أن يموت العبد)** حالة كونه **(محباً لله تعالى)** أي يفارق هذا العالم وهو متصف بهذا الوصف، **(وانما تحصل المحبة بالمعرفة)** فإن من لم يعرف كيف يحب **(و باخراج حب الدنيا من القلب)** بأن لا يميل إليها باطنا، وإن كان لا بد له منها في الظاهر بحسب عروض الحاجات الضرورية **(حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب)** أي من وصاله و مشاهدته و ملاقاته، **(ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى **(في المنام وهو يطير)** في الهواء **(فسأله)** عن حاله **(فقال: الآن أفلت)** أي خلصت من السجن، **(فلما أصبح سأل عن حاله فقيل: إنه مات البارحة)**، فدلت رؤياه على أنه كان محبوساً كالطير في القفص، فلما مات وصل إلى مطلوبه كما يفلت الطير بعد حبسه، والله الموفق.

### بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف:

**(اعلم)** وفقك الله تعالى **(أن ماذكرنا في دواء الصبر و شرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض، لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف و الرجاء**

اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى، وباليوم الآخر والجنة والنار، وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر، فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوّة الرجاء، والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف، ولذلك قال علي كرم الله وجهه: من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام، ويؤدي دوام الذكر إلى الأنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات، فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين، وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء، ولا بعدهما مقام سوى الصبر، وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهراً وباطناً، ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة، ولا مقام بعد المعرفة إلا

---

**لأن أول مقامات الدين)** هو **(اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى و اليوم الآخر)** و الجنة و النار. وله درجات و مراتب قد تقدم ذكرها في كتاب العلم. **(وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار و)** يثير **(الرجاء للجنة، و الرجاء و الخوف يقويان على الصبر فإن الجنة قد حفت بالمكاره)** أي شدائد الأمور مما تكرهها النفوس **(فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء، و النار قد حفت بالشهوات)** أي الملاذ النفسية من كل ما تميل إليه النفوس **(فلا يصبر على قمعها)** أي دفعها و منعها **(إلا بقوة الخوف، ولذلك قال علي كرم الله وجهه: من اشتاق إلى الجنة سلا)** وفي لفظ: تبتل **(عن الشهوات)** أي انقطع عنها، **(ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات)** كذا في القوت. وقد روي مرفوعاً من طريقه بلفظ «من اشتاق إلى الجنة سابق إلى الخيرات، ومن اشفق من النار لها عن الشهوات، ومن ترقب الموت صبر عن اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات» رواه البيهقي و تمام و ابن عساكر و ابن النجار. **(ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف و الرجاء إلى مقام المجاهدة و التجرد لذكر الله و الفكر فيه على الدوام)** أي كل من الذكر و الفكر من غير انقطاع بل يكون بإزائهما، فإذا سئم من الذكر اشتغل بالمراقبة والتفكر، ثم إذا أراد أن ينفصل عنه فليعد إلى الذكر حتى يثبت له الدوام ولا يتخلل بينهما الشيطان **(و يؤدي دوام الذكر إلى الانس)** بالله تعالى، **(و دوام الفكر)** يؤدي **(إلى كمال المعرفة)** بالله تعالى، **(ويؤدي كمال المعرفة و الأنس إلى المحبة)** وهو أعلى المقامات، **(و يتبعها)** أي المحبة **(مقام الرضا و التوكل و سائر المقامات)** الآتي ذكرها. **(فهذا هو الترتيب في سلوك منازل)** السائرين **(في الدين)** وفي عروج مقامات الطائرين إليه، **(فليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف و الرجاء، و ليس بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة و التجرد لله ظاهراً و باطناً، ولا مقام بعد المجاهدة**

**المحبة والأنس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل، فإذاً فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية، ولكنا نفرد الخوف بكلام جلي فنقول: الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله: أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أوحية ربما كان لا يخاف، وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها، ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها، فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال في الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب، فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته، وأما خوف الابن فإيمان بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه، فيعلم أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه، وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين:**

**أحدهما: الخوف من عذابه، والثاني الخوف منه. فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر**

---

**لمن فتح له الطريق)** و أذن له بالدخول فيه **(إلا الهداية و المعرفة)** لقوله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] **(ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة و الانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب)** كيف كان **(والثقة بعنايته وهو)** بعينه مقام **(التوكل، فإذاً فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية، ولكنا نفرد الخوف بكلام جلي)** أي إجمالي **(فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر)** و تقريب ذلك إلى الأذهان إنما يكون بمثال يضرب له في الظاهر فيقيس الغائب على الشاهد. **(و مثاله: أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف و ربما مد اليد إلى الحية ليأخذها و يلعب بها، ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف)** في الحال **(من الحية)** أو من السبع **(و هرب منها، فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائصه و يحتال في الهرب قام معه و غلب عليه الخوف ووافقه في الهرب، فخوف الأب عن بصيرة)** و عقل **(و معرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها، وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته. وأما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد)** و التبعية، **(لأنه يحسن الظن بأبيه و يعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه، فيعلم أن السبع مخوف)** وأن الحية مخوفة **(ولا يعرف وجهه)** لجهله. **(وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين:**

**أحدهما: الخوف من عذابه، و الثاني: الخوف منه في ذاته. فاما الخوف منه)** تعالى في ذاته **(فهو خوف العلماء)** بالله **(و أرباب القلوب)** والبصائر النافذة **(العارفين من صفاته)** تعالى **(ما يقتضى الهيبة و الخوف والحذر)** وهي صفات الربوبية **(المطلعين على سر**

**قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقوله عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار، وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وسبب ضعف الإيمان، وإنما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة، وتزول أيضاً بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم، فإن فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير، وأما الثاني وهو الأعلى فأن يكون الله هو المخوّف أعني أن يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه.**

**قال ذو النون رحمه الله تعالى: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ولعموم المؤمنين أيضاً حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليداً لأبيه، وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى أن الصبي ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر إليه ويغتر به**

---

**قوله تعالى ﴿و يحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨] و قوله تعالى ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢].**

(**فأما الاول فهو خوف عموم الخلق**) أي الخوف من عذابه (**وهو حاصل باصل الايمان بالجنة و النار وكونهما جزاءين على الطاعة و المعصية**) وقد يقوى ذلك وقد يضعف، (**وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الإيمان، وإنما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة و أصناف العذاب في الآخرة، و تزول أيضاً بالنظر إلى الخائفين و مجالستهم ومشاهدة أحوالهم**) في حركاتهم وسكناتهم، (**فإن فاتت المشاهدة فالسماع**) أي التلقف من الافواه (**لا يخلو عن تأثير**).

(**وأما الثاني: وهو الأعلى**) مقاماً (**فأن يكون الله**) عز وجل (**هو المخوف. أعني أن يخاف البعد**) عنه (**و الحجاب منه و يرجو القرب منه**)؛ ويدل لذلك ما (**قال ذو النون**) المصري رحمه الله تعالى: (**خوف النار عند خوف الفراق كقطرات قطرت في بحر لجي**) أي فما يكون مقدارها بالنسبة إلى البحر المتلاطم الأمواج، (**وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾**) وهو مقام كمل العارفين، (**و لعموم المؤمنين أيضاً حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد**) لغيره (**يضاهي خوف الصبي من الحية**) أو السبع (**تقليداً لأبيه**) إذا رآه قد هرب منها، (**وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف و يزول على قرب، حتى ان الصبي ربما يرى المعزم**) وهو الذي يمسك الحيات

فيتجرأ على أخذها تقليداً له كما احترز من أخذها تقليداً لأبيه، والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الإستمرار، فإذاً من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف، كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعاً في مخالبه لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه، بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام: خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه، فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة، وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة، بل صفته ما ترجمه قوله تعالى: « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي ».وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء

---

بالعزائم، ( **فينظر إليه و يغتر به فيتجرأ على أخذها تقليداً له** ) فيكون فيه هلاكه. ( **والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام، و بالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات و اجتناب المعاصي مدة طويلة على استمرار** ) و ملازمة، ( **فإذاً من ارتقى إلى ذروة المعرفة** ) أي صار في أعلاها ( **و عرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف، كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقفاً في مخالبه لا يحتاج إلى جلب الخوف إلى قلبه، بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى، ولذلك أوحى الله تعالى إلى نبيه** ) داود ( **عليه السلام: خفني كما تخاف السبع الضاري** ) وهو من الإسرائيلية، وقد تقدم الكلام عليه قريباً. ( **ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع و معرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل مايشاء ولا يبالي و يحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة** ) إلى حضرته ( **من غير وسيلة** ) منهم ( **سابقة** ) تستدعي قربهم، ( **و أبعد إبليس من غير جريمة سالفة** ) توجب إبعاده ( **بل صفته على ما ترجم قوله تعالى** ) في الحديث القدسي المتقدم بذكره « قبض قبضة من بني آدم فقال: ( « **هؤلاء في الجنة ولا أبالي** ) و قبض أخرى منهم فقال: ( **هؤلاء في النار ولا أبالي** » ) لكن يشترط في هذه المعرفة أن يكون الفكر فيها بإمعان فإنه هو المستجلب للخوف، وإلا فالفكر الخفيف لا ينضج قساوة القلب. أرأيت لو أوقدت ناراً تحت قدر ثم أخمدت قبل الإنضاج ثم أوقدت ثم أخمدت فني الوقود وما حصل الإنضاج، فلا بد من الإقبال بكنه الهمة على الفكر المحتاج اليه حتى ينضج القلب على الفور لئلا يفنى الزمان ولا يتحصل المقصود. ( **وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب**

أم أبى ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى، فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعاً بها بالضرورة، فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف لا محالة على أول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الأزل، وعن هذا المعنى عبر ﷺ إذ قال: «احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما، فحج آدم موسى عليه السلام قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض. فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [ طه: ١٢١ ]، قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ قبل أن أعمله وقبل أن يخلقني بأربعين سنة قال ﷺ: «فحج آدم موسى» فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو

---

**الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى، ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى، فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعاً بالضرورة، فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية، هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل لغير نهاية أو يقف لا محالة على أول لا غاية له من جهة العبد، بل قضى عليه في الازل؟ وعن هذا المعنى عبر ﷺ إذ قال: احتج آدم و موسى عليهما السلام عند ربهما فحج آدم موسى )** رواه الخطيب من حديث أنس دون قوله: عند ربهما. وفي لفظ آخر :احتج آدم و موسى **( فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته و أسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الارض )** و لفظ الجماعة بعد قوله: جنته أخرجت الناس من الجنة بذنبك و أشقيتهم. **( فقال آدم: أنت موسى )** و لفظ الجماعة فقال آدم: يا موسى أنت **( الذي اصطفاك الله برسالته و كلامه و أعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء و قربك نجيا، فبكم وجدت الله قد كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال: باربعين عاماً . قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [ طه: ١٢١ ] قال: نعم . قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي قبل أن أعمله قبل ان يخلقني بإربعين سنة )** .

ولفظ الجماعة بعد قوله: و كلامه و أنزل عليك التوراة أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل ان يخلقني. **( قال ﷺ: «فحج آدم موسى» ) .)** أي غلب عليه في الحجة. و رواه أحمد **والشيخان** وأبو داود و الترمذي و ابن ماجه من حديث أبي هريرة. رواه عبد ابن حميد و أبو يعلى و ابن مردويه من حديث أبي سعيد، و رواه أبو بكر في الغيلانيات، و الخطيب من حديث أبي

من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر، ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين، ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف، فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع، والسبع قد يغفل بالإتفاق فيخليه، وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق، ولذلك الإتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم، لكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقاً وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقاً، والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع، لأن السبع مسخر: إن سلط عليه الجوع افترس وإن سلط عليه الغفلة خلي وترك، فإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته، فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل إذا كشف الغطاء على أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى، لأن المهلك بواسطة السبع هو الله. فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا، وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلاً يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأزلي ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلاً سخروا لأسبابها شاؤوا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلاً سخروا لأسبابها شاؤوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم

---

موسى، ورواه النسائي وأبو يعلى والطبراني والآجري في الشريعة والضياء من حديث جندب البجلي. **( فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر، ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف )**، ولكن يختلف في قوته و ضعفه بحسب اختلاف المقامات والرتب، **( فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه )** و يتركه، **( وقد يهجم عليه فيفترسه، وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب )** كثيرة **( مرتبة بقدر معلوم )** وحد ينتهي إليه، **( لكن إذا أضيف لمن لا يعرفه سمي اتفاقاً، وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقاً، و الواقع في مخاليب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط الله عليه الجوع افترس، وإن سلط عليه الغفلة خلي و ترك، فإنما يخاف خالق السبع و خالق صفاته )** من البطش و السطوة و الجرأة، **( فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع، بل إذا كشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو غير الخوف من الله تعالى لأن المهلك بواسطة السبع هو الله تعالى )** فهو مثال غير منطبق على الممثل به من كل وجه عند التأمل. **( فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا، وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب، وخلق لكل واحد أهلاً يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأزلي إلى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلاً سخروا لأسبابها شاؤوا أم أبوا، وخلق النار وخلق لها أهلاً سخروا لأسبابها شاؤوا أم أبوا )** وروى مسلم من حديث عائشة: إن الله تعالى خلق الجنة وخلق

أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة، فهذه مخاوف العارفين بسر القدر، فمن قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الإستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم، وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في أن الإقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء.

وأما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والأغبياء، أما رسولنا ﷺ فهو سيد الأولين والآخرين وكان أشد الناس خوفاً، حتى روي أنه كان يصلي على طفل: ففي رواية أنه سمع في دعائه يقول: «اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار»، وفي رواية ثانية: أنه سمع قائلاً يقول: هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال: «ما يدريك أنه كذلك، والله إني رسول الله وما أدري ما يصنع بي؟ إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم». وروي أنه ﷺ قال ذلك أيضاً، على جنازة عثمان بن مظعون

---

النار فخلق لهذه أهلاً ولهـذه أهلاً، (**فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة، فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار**) و الاعتبار، (**فسبيله أن يعالج بسماع الأخبار و الآثار، و يطالع أحوال الخائفين و أقوالهم**) و يجالس الصالحين و المذكرين بأيام الله و ذكر الأمم المغضوب عليهم والفكر في آثار الصفات الموجبة للخوف فقد أثنى بها على نفسه و خوف بها عباده، (**و ينسب عقولهم و مناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين**) و عقولهم (**فلا يتمارى**) أي لا يشك (**في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء و الأولياء والعلماء**) والصالحون من عباده.

(**و أما الآمنون فهم الفراعنة الجهال الأغبياء، أما رسولنا ﷺ فهو سيد الأولين والآخرين**). روى الترمذي و ابن ماجه من حديث أبي سعيد «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» الحديث. و رواه الطبراني من حديث عبدالله بن سلام. (**و كان أشد الناس خوفاً**) تقدم قبل هذا بخمسة و عشرين حديثاً قوله «والله إني لأخشاكم لله» و قوله «إني لأعلمهم بالله و أشدهم له خشية» (**حتى روى أنه كان يصلي على طفل**) منفوس، (**ففي رواية أنه سمع في دعائه**) لـه (**يقول «اللهم قه عذاب القبر و عذاب النار»**) كذا في القوت. و قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس «إن النبي ﷺ صلى على صبي أو صبية و قال: لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي» و اختلف في إسناده، فرواه في الكبير من حديث أبي أيوب أن صبياً دفن فقال رسول الله ﷺ «لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي». (**وفي رواية ثانية أنه سمع قائلة تقول: هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة فغضب و قال: «ما يدريك أنه كذلك والله إني رسول الله ﷺ وما أدري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم»**) كذا في القوت، وقال العراقي: رواه مسلم

وكان من المهاجرين الأوّلين لما قالت أم سلمة: هنيئاً لك الجنة، فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك: والله لا أزكي أحداً بعد عثمان، وقال محمد بن خولة الحنفية: والله لا أزكي أحداً غير رسول الله ﷺ ولا أبي الذي ولدني، قال: فثارت الشيعة عليه، فأخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه وروي في حديث آخر عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله ﷺ وقتلت في سبيل

---

من حديث عائشة قالت: توفي صبي فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة الحديث. و ليس فيه فغضب وقد تقدم .و روي أنه ﷺ قال ذلك أيضاً على جنازة عثمان بن مظعون) رضي الله عنه **( و كان من المهاجرين الأولين من )** الشهداء وهو أول من مات بالمدينة **( لما قالت أم سلمة )** رضي الله عنها **( هنيئاً لك الجنة )** فقال لها ﷺ ما قال. **( فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك: والله ما أزكي أحداً بعد عثمان )** كذا في القوت. و قال العراقي: رواه البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية وهي القائلة رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال « وما يدريك » الحديث. و ورد أن التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة اهـ.

قلت: لفظ الصحيح عن أم العلاء قالت: لما مات عثمان بن مظعون قلت شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله الحديث. و قوله: و ورد أن التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد.

قلت: قال ابن عبد البر في ترجمة أم العلاء الانصارية ،يقال:انها والدة خارجة بن زيد بن ثابت الراوي عنها روى حديثها الشيخان من رواية الزهري عن خارجة بن زيد عن أم العلاء الانصارية. قالت: طار لنا عثمان بن مظعون في السكنى لما اقترعت الانصار، فذكر الحديث في فضل عثمان بن مظعون، وفيه: أنها رأت لعثمان عيناً جارية فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: « ذاك عمله » وفي الحديث قولها المتقدم: شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله، و الحديث المذكور الذي جاء فيه التصريح بأنه من قول أم خارجة بن زيد رواه أحمد و الطبراني من طريق يزيد بن أبي حبيب عن سالم بن النضر، عن خارجة بن زيد، عن أمه أن عثمان بن مظعون لما قبض قالت أم خارجة: طبت أبا السائب الحديث. قال الحافظ: فهذا ظاهر في أن أم العلاء هي والدة خارجة المذكور.

**( و )** أعجب من ذلك ما روي أنه **( قال )** أبو القاسم **( محمد بن )** علي بن أبي طالب وهو ابن **( خولة الحنفية )** وهي ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الديل بن حنيفة من سبي أهل الردة: **( والله لا أزكي أحداً غير رسول الله ﷺ ولا أبي الذي ولدني: قال: فثارت الشيعة عليه )** حين سمعوا ذلك منه، **( فأخذ يذكر فضائل علي ومناقبه )** نقله صاحب القوت.

**( وروي في حديث آخر أن رجلاً من أهل الصفة استشهد فقالت أمه: هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله ﷺ وقتلت في سبيل الله. فقال ﷺ: « وما**

الله، فقال ﷺ: «وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره»، وفي حديث آخر: «أنه دخل ﷺ على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول: هنيئاً لك الجنة، فقال ﷺ: «من هذه المتألية على الله تعالى؟»»، فقال المريض: هي أمي يا رسول الله، فقال: «وما يدريك، لعل فلاناً كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه» وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو ﷺ يقول: شيبتني هود وأخواتها» سورة الواقعة وإذا الشمس كوّرت وعم يتساءلون فقال العلماء: لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله تعالى: ﴿أَلاَ بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠] ﴿أَلاَ بُعْداً لِثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨] ﴿أَلاَ بُعْداً لِمدينَ كَمَا بَعدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥] مع علمه ﷺ بأنه لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ⋆ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٢-٣] أي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة

---

**يدريك فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره»)** كذا في القوت. وقال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ: «أن أمه قالت هنيئاً لك يا بني الجنة». ورواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال: فقالت أمه هنيئاً لك الشهادة، وهو عند الترمذي إلا أنه قال: «إن رجلاً قال له ابشر بالجنة» وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف.

**(وفي حديث آخر أنه ﷺ دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول: هنيئاً لك الجنة. فقال ﷺ: «من هذه المتألية على الله»؟ فقال المريض: هي أمي يا رسول الله. فقال: «وما يدريك لعل فلاناً كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه»)**. كذا في القوت و بيض له العراقي.

**(وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو ﷺ يقول «شيبتني هود و أخواتها»)** رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر، و الترمذي في الشمائل، و أبو يعلى، و الطبراني من حديث أبي حجيفة وفي لفظ «شيبتني هود **(و سورة الواقعة)** و المرسلات **(وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون»)** .رواه الترمذي و الحاكم من حديث ابن عباس، ورواه الحاكم أيضاً عنه عن أبي بكر. وفي لفظ «شيبتني هود وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت». رواه الطبراني و ابن مردويه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم الكلام عليه في كتاب السماع. **(فقال العلماء: لعل ذلك لما في سورة هود من الأبعاد كقوله تعالى ﴿ألا بعداً لعاد قوم هود﴾ ﴿ألا بعدا لثمود﴾ ﴿ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾)** فهذا هو الذي شيبه ﷺ، **(مع علمه ﷺ بأنه لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها)** كما قال تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني﴾ [السجدة: ١٣] **(وفي سورة الواقعة)** قوله تعالى: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾أي وقعت السابقة ممن سبقت له السابقة وحقت الحاقة بمن حقت عليه الحاقة. **(أي جف القلم بما هو كائن)** روى أحمد من حديث ابن عمرو: «إن الله خلق خلقه في

حتى نزلت الواقعة: إما خافضة قوماً كانوا مرفوعين في الدنيا، وإما رافعة قوماً كانوا مخفوضين في الدنيا. وفي سورة التكوير أهوال يوم القيامة وانكشاف الخاتمة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ★ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ★ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٢ـ١٤] وفي عم يتساءلون: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿لاَ يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾

---

ظلمة» الحديث. وفيه: فلذلك أقول «جف القلم بما هو كائن». **(و تمت السابقة حتى نزلت الواقعة إما خافضة قوماً كانوا مرفوعين في الدنيا، وإما رافعة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا)** حين ظهرت الحقائق و كشفت عواقب الخلائق وفيها ﴿فأما إن كان من المقربين ★ فروح وريحان وجنة نعيم ★ وإما كان من أصحاب اليمين ★ فسلام لك من أصحاب اليمين ★ و أما إن كان من المكذبين الضالين ★ فنزل من حميم ★ وتصلية جحيم﴾ فهذا هو حق اليقين الحاقة ما الحاقة إذا وقعت الواقعة بمن حقت عليه الكلمة. **(وفي سورة التكوير أهوال يوم القيامة)** وهي خواتم المصير لمن أيقن **(وانكشاف الخاتمة)** وفيها تجلي معاني الغضب لمن عاين آخر ذلك **(وهو قوله تعالى: ﴿وإذا الجحيم سعرت ★ وإذا الجنة أزلفت ★ علمت نفس ما أحضرت﴾)** هذا فصل الخطاب أي عند تسعير النيران واقتراب الجنان، حينئذ يتبين للنفس ما أحضرت من شر يصلح له الجحيم و خير يصلح للنعيم، و يعلم إذ ذاك من أي أهل الدارين يكون، وفي أي المنزلين يحل؟ فكم من قلوب قد تقطعت حسرات على الأبعاد من الجنان بعد اقترابها، وكم من نفوس تصاعدت زفرات عند يقينها معاينة النيران أنها تصيبها، وكم من أبصار ذليلة خاشعة لمشاهدة الأهوال، وكم من عقول طاشت لمعاينة الزلزال. **(وفي عم يتساءلون ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ الآية و قوله تعالى ﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صواباً﴾)** وهذا الذي عزاه المصنف لبعض العلماء ساقه صاحب القوت وجهاً بقوله، ولعل المشهور في هذا الحديث الذي صرح به العلماء أن المراد منه أن في هذه السور من أهوال يوم القيامة و تباين أحوال السعداء والأشقياء والأمر بالاستقامة كما أمر مما يليق تعالى مقامه الذي لا يمكن بشراً أن يتحمله، ومن غير ذلك مما لا يستوعب بعضه إلا ديوان حافل ما يوجب استيلاء سلطان الخوف والحزن سيما على أتباعه وأمته بعظيم رأفته ورحمته لهم ودوام الفكر فيما يصلحهم وتتابع الغم مما ينوبهم أو يصدر عنهم واشتغال القلب والبدن بأحوالهم ومصالحهم الظاهرة والباطنة، وهذا كله مستوجب لضعف القوى البدنية، وضعفها مستلزم لضعف الحرارة الغريزية، وبضعفها يسرع الشيب ويظهر قبل وقته، ولكن لما كان عنده ﷺ من انشراح الصدر واتساع القلب وتوالي أنوار اليقين والقرب ما يسليه كل هم وحزن لم يقدر ذلك أن يستولي إلا على قدر يسير من شعره الشريف ليكون فيه مظهر الجلال والجمال، وليتبين أن جماله ﷺ غالب على جلاله والله أعلم.

[ النبأ : ٣٨ ] والقرآن من أوّله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [ طه : ٨٢ ]، لكان كافياً ، إذ علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها ، وأشد منه قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [ القصص : ٦٧ ] ، وقوله تعالى : ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [ الأحزاب : ٨ ] وقوله تعالى : ﴿سَنَفْرغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلاَن﴾ [ الرحمن : ٣١ ] ، وقوله عز وجل : ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ﴾ [ الأعـراف : ٩٩ ] الآيـة ، وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [ هود : ١٠٢ ] وقوله تعالى : ﴿يَوْم نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمٰن وَفْداً﴾ [ مريم : ٨٥ ] الآيتين . وقوله تعالى : ﴿وإِنَّ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا﴾ [ مريم : ٧١ ] الآية ، وقوله : ﴿اعْملُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [ فصلت : ٤٠ ] الآية ، وقوله : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيد حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ﴾ [ الشورى : ٢٠ ] الآية ، وقوله : ﴿فَمَنْ يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يرَهَ﴾ [ الزلزلة : ٧ ] الآيتين . وقوله تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [ الفرقان : ٢٣ ] الآية ، وكذلك قوله تعالى : ﴿والعَصر ★ إنّ الإنسان لَفِي

---

( **والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأ بتدبر** ) لتأمل ( **ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ لكان كافياً** ) في المقصود ( **إذ علق المغفرة** ) على ( **أربع شروط يعجز العبد عن آحادها وهي: التوبة ثم الإيمان ثم العمل الصالح ثم الإهتداء وأشد منه قوله تعالى: ﴿فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين﴾** ) أي من وجدت فيه هذه الشروط الثلاثة فعسى ولعل أن يعد من زمرة أهل الفلاح أي الفوز والنجاة . ( **وقول تعالى: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ وقوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ وقوله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ الآية . وقوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ وقوله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ الآيتين . وقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ الآية . وقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ الآيـة . وقوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ الآية . وقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ الآيتين . وقوله تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾ الآية** ) . فهذه المخاوف وهي من المحكمات ليس فيها أمر ولا زجر وردت في السوابق الأول والخواتم الأخر ، وجاءت بالخبر عن قديم الخبر فيها سرائر الغيوب وغرائب الفهوم ومخاوف القلوب وزواجر النفوس وبصائر العقول لمن كان له قلب ، وهـي من آي المطلع لأهل الإشراق على شرفات العرش والأعراف ، ( **وكذا قوله تعالى: ﴿والعصر ★**

**خُسْرٍ﴾ [ العصر : ١ ـ ٢ ] إلى آخر السورة، فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران، وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [ الأعراف: ٩٩ ]، حتى روي أن النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفاً من الله تعالى فأوحى الله إليهما لمَ تبكيان وقد أمنتكما؟ فقالا: ومن يأمن مكرك؟ وكأنهما إذ علما أن الله هو علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمنا أن يكون قوله: « قد أمنتكما » ابتلاء وامتحاناً لهما ومكراً بهما حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما كما أنّ إبراهيم ﷺ لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله، وكانت هذه من الدعاوي العظام**

---

**إن الإنسان لفي خسر﴾ إلى آخر السورة. فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران )** وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، **( وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم )** الظاهرة والباطنة **( لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى: ﴿ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ )** وقد كثرت الأخبار فيمن عبدالله واجتهد أكثر عمره ثم أحبط ذلك بعجب ساعة أو كلمة أو بازرائه على غيره وجاءت الأخبار بأعمال ترفع إلى السماء ويبني بها الدرجات العلى، ثم ينظر الله إلى صاحبها نظرة بعد أو يمقته فتنهدم الدرجات وتسقط المنازل، **( حتى روي )** في الخبر المشهور: **( أن النبي ﷺ وجبريل عليه السلام بكيا خوفاً من الله عز وجل، فأوحى الله إليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا: ومن يأمن مكرك )** كذا في القوت. وقال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط وابن شاهين في شرح السنة من حديث عمر، ورويناه في مجلس من أمالي أبي سعيد النقاش بسند ضعيف، **( وكأنهما إذ علما أن الله هو علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور ولم يأمنا أن يكون قوله: « قد أمنتكما » ابتلاء وامتحاناً ومكراً بهما حتى أن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما )** وعبارة القوت: فلولا أنهما علما أن مكره لا نهاية له لأن حكمه لا غاية له لم يقولا: ومن يأمن مكرك مع قوله: وقد أمنتكما، ولكن قد انتهى مكره بقوله: ولكانا وقفا على آخر مكره لكن خافا من بقية المكر الذي هو غيب عنهما، وعلما أنهما لا يقفان عن كنه غيب الله تعالى إذ هو علام الغيوب، فلا نهاية لعلام في علم ولا غاية للغيوب بوصف، فلم يحكم عليهما القول لعنايته بهما وفضل نظره لهما ولأنهما على مزيد من معرفة الصفات، إذ المكر عن الوصف واظهار القول لا يقضي على باطن الوصف، فكأنهما خافا أن يكون قوله عز وجل قد أمنتكما مكري مكراً منه بالقول على وصف مخصوص عن حكمه قد استأثر بعلمه يختبر بذلك حالهما، وينظر كيف يعملان تعبداً منه لهما به إذ الإبتلاء وصفه من قبل أن المبتلى إسمه قد يترك مقتضى وصفه لتحقيق اسمه ولا يبدل سننه التي قد خلت في عباده، **( كما أن )** خليله **( إبراهيم ﷺ )** اختبره **( لما وضع في المنجنيق )** وأهوى به في الهواء **( قال: حسبي**

**فامتحن وعورض بجبريل في الهواء، حتى قال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبي الله، فأخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧] أي بموجب قوله حسبي الله، وبمثل هذا أخبر عن موسى ﷺ حيث قال: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٥ ـ ٤٦]، ومع هذا لما ألقي السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة، إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن وقيل له: ﴿لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨] ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال ﷺ: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك»، فقال أبو بكر رضي الله تعالى**

---

**الله، وكانت)** هذه القولة **(من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى قال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا)**: فابت لنفسه حاجة كما هو مقتضى وصف الخلة، **(فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله: حسبي الله)** وصدق القول بالعمل، **(فأخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ أي بموجب قوله حسبي الله)** ولأن الله تعالى لا يدخل تحت الأحكام ولا يلزمه ما حكم به على الأنام ولا يختبر صدقه تعالى، ولا يجوز أن يوصف بضد الصدق إن بدل الكلم هو بتبديل منه لأن أحكامه قائم به، فله أن يبدل منه به ما شاء بما شاء وهو الصادق في الكلامين العادل في الحكمين الحاكم في الحالين، لأنه حاكم عليه ولا حكم يلزمه فيه، لأنه قد جاوز العلوم والعقول التي هي أماكن للحدود من الأمر والنهي وفات الرسوم التي هو أواسط الأحكام والأقدار وفي مشاهدة ما ذكرنا علم دقيق من علوم التوحيد ومقام رفيع من أحوال الموحد، **(وبمثل هذا)** المعنى **(أخبر عن)** كليمه **(موسى ﷺ حيث قال: ﴿إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغي﴾)** يعني فرعون **(﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة، إذ لم يأمن مكر الله والتباس الأمر عليه)** بأن يكون قد أسرّ عنه في غيبه وقد استأثر عن نفسه تعالى ما لم يظهره له في القول لمعرفته عليه السلام بخفي المكر وباطن الوصف، ولعلمه أنه لم يعطه الحكم إذ هو محكوم عليه مقهور فخاف خوفاً ثانياً **(حتى جدد عليه الأمن)** بحكم ثان، **(وقيل له: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾)** لا تخف إنك من الآمنين فاطمأن إلى القائل، ولم يسكن إلى الإظهار الأول لعلمه بسعة علمه أنه هو علام الغيوب التي لا نهاية لها، ولأن القول أحكام والحاكم لا تحكم عليه الأحكام كما لا تعود عليه الأحكام، وإنما تفصل الأحكام من الحاكم العلام ثم تعود على الحكومات أبداً، ولأنه جلت قدرته لا يلزمه ما ألزم الخلق الذي هم تحت الحكم ولا يدخل تحت معيار العقل والعلم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. **(ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال ﷺ)** في دعائه: **(«اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك»، فقال أبو بكر رضي**

عنه دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف بما وعدك، فكان مقام الصدّيق رضي الله عنه مقام الثقة، بوعد الله وكان مقام رسول الله ﷺ مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر، وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى، ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الإحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا محالة، ولذلك قال المسيح ﷺ لما قيل له: ﴿أَأَنْتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّي إلهيْن مِنْ دُون اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لي أنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمتَهُ تَعْلَم مَا في نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا في نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال: ﴿إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وإنْ تَغْفِر لَهُمْ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية، فوض الأمر إلى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من البين، لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء وإن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حد المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حسبان فضلاً عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين، إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك

---

**الله عنه: «دع مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس بلفظ: «اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم» الحديث **(فكان مقام الصديق)** رضي الله عنه **(مقام الثقة بوعد الله، وكان مقام رسول الله ﷺ مقام الخوف من مكر الله لأنّه لم يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنه بالمكر، وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى، ومن عرف حقيقة المعرفة و)** عرف **(قصور معرفته عن الإحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا محالة، ولذلك قال المسيح)** عيسى بن مريم **(ﷺ لما قيل له: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾)** وقد علم أنه لم يقله، فلما عرض لـه بـالقـول فـزع فخـاف أن يكـون قاله وإن الله يؤاخذه به إذ جعله سبباً له **(﴿قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ وقال)** مثل هذا في يوم القيامة **(﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم﴾ الآية فوض الأمر إلى المشيئة)** لعزته وحكمته **(وأخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء)** وأن الله يتحكم في خلقه كيف شاء من غير سبب منهم، **(فإن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حد المعقـولات والمألـوفـات، فلا يمكـن الحكـم عليهـا بقيـاس وحـدس)** أي تخمين **(وحسبان، فضلاً عن التحقيق والإستيقان، وهـذا هـو الذي قطـع قلـوب العـارفين)**، ولذلك لا يصلح أن يكشف حقيقة تفصيله في كتاب خشيه الإنكار **(إذ الطامة الكبرى هو**

أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق، ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ثم يخبر عنه ويقول: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [ السجدة: ١٣ ]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [ هود: ١١٩ ] الآية؛ فكيف لا يخاف ما حق من القول في الأزل ولا يطمع في تداركه ولو كان الأمر أنفاً لكانت الأطماع تمتد إلى حيلة فيه، ولكن ليس إلا التسليم فيه واستقراء خفي أسباب السابقة من جلي الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح؛ فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة، إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعاً وبظاهره وباطنه على الله مقبلاً؛ كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقاً به؛ ولكنّ خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشعالاً ولا يمكنها من الإنطفاء، وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وإن القلب أشدّ تقلباً من

---

**ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق، ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ثم يخبر عنه ويقول: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هُداها ولكن حق الفصل مني لأملأنَّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وقال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأنَّ جهنم﴾ الآية. فكيف لا يخاف ما حق من القول في الأزل ولا مطمع في تداركه ولو كان الأمر أنفاً )** وفي نسخة معايناً **( لكانت الأطماع تمتد إلى حيلة، ولكن ليس إلا التسليم واستقراء خفي أسباب السابقة من جلي الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح، فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة، إذ كل ميسر لما خلق له )** كما ورد ذلك في الخبر: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ». **( وإن كانت الخيرات كلها ميسرة وكان القلب بالكلية منقطعاً عن الدنيا وبظاهره وباطنه على الله مقبلاً كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقاً به، ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالاً ولا يمكنها من الإنطفاء، وكيف يؤمن تغيير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن )**. روى الحاكم من حديث جابر: « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف شاء ». وقد تقدم في قواعد العقائد، **( وأنه أشدّ تقلباً من**

القدر في غليانها ، وقد قال مقلب القلوب عز وجل : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ [ المعارج : ٢٨ ] ، فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن ، ولولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف. فأسباب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب. قال بعض العارفين : لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد ، لأني لا أدري ما ظهر له من التقلب. وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام ؛ لأني لا أدري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار. وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه. وكان سهل يقول : خوف الصديقين

---

**القدر في غليانها )** كما في الخبر وتقدم في عجائب القلب. **( وقد قال مقلب القلوب )** جل جلاله : **( ﴿ إن عذاب ربهم غير مأمون ﴾ فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن )** وأعلمهم من خاف من الأمن حتى يخرج من دار الخوف إلى مقام أمين ، وهذا خوف لا يقوم له شيء وكرب ولا يوازيه مقام ولا عمل ، **( لولا أن الله لطيف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف )** ولأخرجهم إلى القنوط ، ولولا أنه روحها بروح الإنسان بحسن الظن لأدخلهم في اليأس ، ولكن إذا كان هو المعدل والمروح كيف لا يعتدل الخوف والرجاء حكمة بالغة وحكم نافذ لعلم سابق وقدر جار حقيقته ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، **( فأسباب الرجاء رحمة من الله تعالى )** لعباده ، **( وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف تقلب القلوب. قال بعض العارفين : لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لأني لا أدري ما ظهر له من التقلب )** كذا في القوت. **( وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام )** دون الشهادة. قيل : ولم ؟ قال : **( لأني لا أدري ما يعرض لقلبي )** من المشاهدة فيما **( بين باب الحجرة وباب الدار )** فيغيره عن التوحيد. كذا في القوت. قال : وروينا عن زهير بن نعيم البابي قال : ما أكثر همي ذنوبي إنما أخاف ما هو أعظم علي من الذنوب أن أسلب التوحيد وأموت على غيره. **( وكان أبو الدرداء )** رضي الله عنه **( يحلف بالله ما أحد آمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه )** وقال مرة : فما سلبه عبد فوجد له فقداً. قال صاحب القوت : فهذا على أمرين أحدهما : أن يخفى ذلك عليه فلا يعلم بسلب إيمانه مكر الله به. والثاني : أن يظلم قلبه ويسود لطول الغفلة وكثافة الرين فلا يبالي بفقده إذ قد هيأ قلبه على قلة المبالاة وترك الاكتراث لذلك ، فيهون عليه فقد الإيمان وقد كان بعض العلماء يقول : من أعطي التوحيد أعطيه

من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [ المؤمنون: ٦٠ ] ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع، فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإنّ عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا.

وحكي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال: إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتريه لوزاً وسكراً وانثره على صبيان أهل البلد، وقل هذا عرس المنفلت، وإن مت على غير التوحيد فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة. قال: وبم أعلم ذلك؟ فذكر له علامة، فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه.

---

بكماله ومن منعه منعه بكماله إذ كان التوحيد في نفسه لا يتبعض. **( وكان )** أبو محمد **( سهل )** التستري رحمه الله **( يقول: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة )** وهمة **( وعند كل حركة )** يخافون البعد من الله تعالى، **( وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال )**: ﴿ويؤتون ما أتوا **( وقلوبهم وجلة**﴾ **)** ولفظ القوت: وهم الذين مدح الله وجلة قلوبهم. وقال أيضاً: لا يصح خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف السيئات. وقال أيضاً: أعلى الخوف أن يخاف سبق علم الله تعالى فيه ويحذر أن يكون منه حدث خلاف السنّة يجره إلى الكفر. وقال أيضاً. خوف التعظيم ميراث خوف السابقة. **( ولما احتضر سفيان )** الثوري رحمه الله تعالى **( جعل يبكي ويجزع فقيل له: يا أبا عبدالله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك. فقال: أو على ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقي الله بأمثال الجبال من الخطايا )**. وقال مرة: ذنوبي أهون من هذا ورفع حبة من الأرض، إنما أخاف أن أسلب التوحيد في آخر الوقت، وقد كان رحمه الله أحد الخائفين كما سيأتي في الحكايات.

**( وحكي عن بعض الخائفين )** ولفظ القوت: وحدثني إخواني عن بعض الصادقين وكان خائفاً **( أنه أوصى بعض إخوانه )** فقال: **( إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي )** فإذا عاينت فانظر إليّ **( فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزاً وسكراً وانثره على صبيان أهل البلد وقل: هذا عرس المتفلت )** الحاذق، **( وإن مت على غير التوحيد فاعلم الناس )** أني مت على غير الإسلام **( حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الموت )** فأكون قد خدعتهم حياً وميتاً **( قال )** له صاحبه: **( وبم أعلم ذلك؟ فذكر له علامة )** وهي أنه قال له: ضع أصبعك في كفي فإن أمسكتها وشددت عليها فاعلم أني قدمت على التوحيد، وإن أرسلتها ونبذتها فاعلم أن حالي سيئة ففعل، **( فرأى علامة التوحيد عند موته )** بأن قبض على أصبعه وشدّها فلم يخرجها من

وكان سهل يقول: المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر. وكان أبو يزيد يقـــول: إذا توجهت إلى المسجد كأن في وسطي زنـاراً أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار، فهذا لي في كل يوم خمس مرات.

---

كفه إلا بعد موته. قال؛ فنفذ وصيته ( **فاشترى السكر واللوز وفرقه عند موته** ) كما أمر. قال: ولم أحدث بذلك أحداً إلا خصوص إخواني من العلماء، وذلك أن العبد مهما عمل في حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق الحياة وقلب قلبه فيه وأشهد وجده إياه عند آخر ساعة من وفاته، فإن استحلى ذلك بقلبه واستهوته نفسه وقف معه وسكن إليه، فإذا وقف معه حسب عليه وجعل عملاً من أعماله إلا أنه من أعمال القلوب في الوقت، وقد تقدم سعيه فيه وهواه قبل الوقت وكان ذلك فاتبع سبباً، وإن قل وكان هو الخاتمة فسبحان متيح الأسباب وجاعلها أبواباً ومقيض القرناء وجاعلها حجاجاً.

( **وكان** ) أبو محمد ( **سهل** ) التستري رحمه الله ( **يقول: المريد يخاف أن يبتلي بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلي بالكفر** ) نقله صاحب القوت. قال: ( **و** ) كذلك ( **كان أبو يزيد** ) البسطامي رحمه الله تعالى قبله ( **يقول: إذا ذهبت إلى المسجد كأن في وسطي زناراً أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع علي الزنار، فهذا لي في كل يوم خمس مرات** ) هذا لعلمهم بسرعة تقلب القلوب في قدرة الغيوب كذا في القوت.

وقال القشيري في الرسالة، وقال أبو يزيد: منذ ثلاثين سنة أصلي واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصليها كأني مجوسي أريد أن أقطع زناري اهـ.

قال الشارح: فسره في موضع آخر فقال: كنت إثنتي عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين مرآة قلبي وسنة نظر فيما بينهما، فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه إثنتي عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في وسطى زنار باطني فعملت في قطعة خمس سنين فلما قطعه رأى الخلق كلهم وهو منهم موتى، فكبر عليهم أربع تكبيرات، وذلك لأن الحداد شأنه أن يحمي الحديد ويطرقه ليصفيه ويخرج وسخه فقال: كنت أعدل جوارحي وخواطري بالخوف والرجاء هذه المدة حتى اعتدلت على الشريعة، فرأيت في نفسي التفاتاً إلى الخلق ليعرفوا ما أنا عليه من الطاعة الخالصة فشبه نفسه حيث التفت في عمله إلى غير الله بعلامة الشرك وهي الزنار الظاهر فعمل في قطعه، فلما تخلص منه أعجب بنفسه وهواه وحمد نفسه على ذلك ونسي منه ربه عليه، فلما أدرك ذلك رأى زناراً باطناً حيث جعل لنفسه أثراً في طاعته، فلما منّ الله برؤية فضله عليه وأن جميع الخلق كالموتى في أنهم لا يضرون ولا ينفعون كبر عليهم أربع تكبيرات فذكر الله وحده واستند إليه دون غيره فقوله: كأني في صلاتي مجوسي يعني في المدة التي كان يعمل فيها في قطع الزنار الظاهر مع ما قبلها، والله أعلم.

وروي عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال: يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر. وروي في أخبار الأنبياء أن نبياً شكا إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله تعالى إليه عبدي، أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا؟ فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال: بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر. فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخاف الضعفاء؟ ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة، ولذلك اشتدّ خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن: لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضدّ أصل الأيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً منافقاً وله علامات كثيرة قال ﷺ: «أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن

---

(و) قد (روي) معنى ذلك (عن المسيح عليه السلام أنه قال: يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر) كذا في القوت. (وروي في أخبار الأنبياء) عليهم السلام (أن نبياً) منهم (شكا إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف، فأوحى الله) تعالى (إليه عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك) أي حفظته من (أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا، فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال: بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر) فلم يذكر نعمته عليه بنبوته وعرضه للكفر، وجوز دخوله عليه بعد النبوة فاعترف بذلك فاعتصم كذا في القوت. (وإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوّة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء) بل هم بطريق الأولى، (ولسوء الخاتمة والنفاق أسباب تتقدم على الموت مثل: البدعة والكبر وجملة من الصفات المذمومة) وقد روي في معنى حديث: «من غش أمتي لعنة الله» قيل: وما غش أمتك؟ قال: «ان يبتدع لهم بدعة فيتبع عليها فإذا فعل ذلك فقد غشهم». (ولذلك اشتد خوف الصحابة) رضوان الله عليهم (من النفاق) كما هو معروف من سيرهم وأحوالهم (حتى قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: (لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) هذا مع فضله وزهده وورعه نقله صاحب القوت. (وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان) كما يتبادر إلى الأذهان، (بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً منافقاً وله علامات كثيرة. قال ﷺ: «أربع) خصال (من كن فيه) أي وجدت (فهو منافق خالص وإن صلّى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة

**خان، وإذا خاصم فجر» وفي لفظ آخر: «وإذا عاهد غدر». وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صديق، إذ قال الحسن: إنّ من النفاق**

---

**من النفاق حتى يدعها )** أي يتركها **( من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر» وفي لفظ آخر: «وإذا عاهد غدر» )**.

ولفظ القوت: ومن المخاوف: خوف النفاق قد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يخافون النفاق قد كان يكون فيهم شعبة منه أو دقيقة من حيث لا يعلمون، هذا لأن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه فهو منافق» وفي حديث عبدالله بن عمرو «أربع» ورويناها «خمساً» من ثلاثة أحاديث جمعناها، فكانت: «خمس خصال من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم» وفي لفظ آخر: «أربع من كن فيه فقد أدمج النفاق من فرقه إلى قدمه، ومن كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر» قال: فجعل بعضنا ينظر إلى بعض تعجباً إذا لم يكن الرجل كفؤاً لها. قال: إني كنت وعدته أن أزوجه ابنتي وأخاف أن ألقى الله بثلث النفاق، وقد كانوا يقولون: الكذب باب من النفاق.

ومن عزائم الأخبار وشدائدها خبران وردا بأربعة أخلاق أنها لا توجد في مؤمن. أحدهما: قوله ﷺ: «يجبل المؤمن على كل خلق إلا الخيانة» وبمعناها الكذب مجانب الإيمان، وقد يدخل الكذب في الأفعال والأحوال دخوله في المقال، وليس يعرى من الكذب اليوم إلا الصديقون دون الصادقين.

والخبر الآخر قوله ﷺ: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق» وليس يعرى من البخل على مذهب أهل المعرفة في هذا الوقت الأبدال، فقد سئل بعضهم عن البخل فقال: هو أن تملك الشيء فتدعي ملكه لتمنع الغير أن يأخذه منك. قال بعض العارفين: البخل من لم يؤثر بالشيء مع الحاجة إليه، فوجود هذه الأخلاق الدنية وهي من صفات النفس وجبلة الطبع وآفات العقل موجب للخوف من النفاق، فإن هذه علامة نقص أو فقد اليقين إذ العلامات قد توجد والدلائل في الحال قد تشهد ويتأخر حكمها ووقوع حقائقها إلى المآل اهـ.

والحديث المذكور قد تقدم في قواعد العقائد، وقد رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبدالله بن عمر: «وأربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» وفي لفظ للشيخين: «إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر» رواه كذلك الخرائطي في مساوىء الأخلاق، وابن عساكر من رواية مسروق عن ابن مسعود.

**( وقد فسر الصحابة )** رضي الله عنهم **( والتابعون النفاق بتفسير لا يخلو عن شيء منه**

**اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج، ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكراً بالكلية، بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوّة، فكيف الظن بزماننا! حتى قال حذيفة رضي الله تعالى عنه: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً إني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر وقال بعضهم: علامة النفاق أن تكره من الناس ما تأتي**

---

**إلا صديق، إذ قال الحسن )** البصري رحمه الله تعالى: **( إن من النفاق )** لفظ القوت، وكان يقول: كانوا يعدون **( اختلاف السر والعلانية )** وإختلاف الظاهر والباطن **( واختلاف اللسان والقلب )** نفاقاً **( و )** قال مرة: كانوا يعدون **( اختلاف )** القول والعمل **( والمدخل والمخرج )** نفاقاً، **( ومن الذي يخلو من هذه المعاني بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكراً بالكلية، بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة )** فكيف الظن بزماننا؟ حتى قال حذيفة بن اليمان **( رضي الله عنه: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً )** حتى يلقى الله و**( إني لأسمعها من أحدكم )** ليتكلم بها **( في اليوم )** ولفظ القوت: في المجلس **( الواحد عشر مرات )** ولفظ القوت: خمس مرات. رواه أحمد عن عبدالله بن نمير، حدثنا رزين الجهني، حدثنا أبو الرقاد قال: خرجت مع مولاي وأنا غلام فدفعت إلى حذيفة، ويقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحضن على الخير أو ليسحتنكم الله جميعاً بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم. وقد رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه، وتقدم في قواعد العقائد.

**( وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر )**. وفي لفظ: من الموبقات. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أنس، والبزار من حديث أبي سعيد، وأحمد، والحاكم من حديث عبادة وصحح إسناده وتقدم في التوبة.

قلت: وأخرج أبو نعيم في الحلية عن حذيفة قال: المنافقون اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذ ذاك يسرونه وهم اليوم يعلنونه. قال صاحب القوت: وهذا كما قال إعلان المعاصي والجهار بها أعظم من التستر والتخفي لأنها إذا أسرت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أعلنت ضرت العامة ونكأت في الإسلام وأوهنت شأن الدين.

**( وقال بعضهم: علامة النفاق أن يكره من الناس ما يأتي مثله )** نقله صاحب القوت.

مثله، وأن تحب على شيء من الجور، وأن تبغض على شيء من الحق وقيل: من النفاق، إنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك. وقال رجل لابن عمر رحمه الله: إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون، فإذا خرجنا تكلمنا فيهم، فقال كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ. وروي أنه سمع رجلاً يذم الحجاج ويقع فيه، فقال: أرأيت لو كان الحجاج حاضراً أكنت تتكلم بما تكلمت به؟ قال: لا. قال: كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ. وأشدّ من ذلك ما روي أنّ نفراً قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه، فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه، فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه، فقال:

---

قال: **( و )** روينا مسنداً: «من النفاق **( أن يحب على شيء من الجور وإن يبغض على شيء من الحق» )** وسئل وهب: من المنافق؟ قال: الذي يحب المدح ويكره الذم. وروي مسنداً من طريق أهل البيت: «من علامة المنافق أن يحب أن يحمد في جميع أموره». **( وقيل: من النفاق أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك )** كذا في القوت.

وعلامات النفاق أكثر من أن تحصى هي سبعون علامة ولا يعرى من النفاق إلا طبقات ثلاث: الصديقون والشهداء والصالحون، وهؤلاء الذين ضمهم الله إلى الأنبياء ووصفهم بكمال النعمة عليهم، وعافاهم من الخبرة بالبلوى، ووقاهم آفة الأهوال كمال إيمانهم وصفاء يقينهم وحقيقة معرفتهم دقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين وترادف الشهوات وتزايد العادات عن قوة النفس وتظاهر صفاتها. فهذه أوجبت المخاوف على المؤمنين خشية مقت الله تعالى وخوف حبوط الأعمال من حيث لا يشعرون.

**( وقال رجل لابن عمر )** رضي الله عنهما: **( إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون )** ويعلم الله في قلوبنا خلاف ذلك. وقال مرة: ندخل عليهم فنمدحهم، **( فإذا خرجنا تكلمنا فيهم. فقال )** ابن عمر: **( كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ )** كذا نقله صاحب القوت. **( وروي )** عنه من طريق آخر **( أنه سمع رجلاً يذم الحجاج ويقع فيه )** ولفظ القوت: يسبّ الحجاج ويذمه، **( فقال )** له: **( أرأيت لو كان الحجاج حاضراً كنت تتكلم بما تكلمت به؟ قال: لا. قال )** ابن عمر: أما هذا فقد **( كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ )** كذا في القوت وقد تقدم في قواعد العقائد. قال العراقي: ولم أجد فيه ذكر الحجاج.

قلت: ذكر الحجاج فيه في الغيلانيات. قال صاحب القوت: ولعمري لقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يكون بعدي أمراء من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض ولكن من كره وأنكر».

**( وأشد من ذلك ما روي: أن نفراً قعدوا على باب حذيفة )** رضي الله عنه **( ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه، فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه. فقال: تكلموا فيما**

تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا، **فقال: كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ**. وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق، وكان يقول: **إنه يأتي على القلب ساعة يمتلىء بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة، ويأتي عليه ساعة يمتلىء بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة، فقد عرفت بهذا أنّ خوف العارفين من سوء الخاتمة، وأن سببه أمور تتقدمه: منها البدع، ومنها المعاصي، ومنها النفاق، ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك! وإن ظنّ أنه قد خلا عنه فهو النفاق، إذ قيل: من أمن النفاق فهو منافق. وقال بعضهم لبعض العارفين: إني أخاف على نفسي النفاق،**

---

**كنتم تقولون فسكتوا )** في القوت: أفيضوا بدل تكلموا. **( فقال: )** قد **( كنا نعد )** مثل **( هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ )** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **( وهذا حذيفة )** رضي الله عنه **( كان )** قد **( خص بعلم المنافقين )** حتى أن عمر رضي الله عنه كان يقول له: هل تعلم فيّ شيئاً من النفاق؟ **( وكان يقول: إنه تأتي على القلب ساعة يمتلىء بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة، وتأتي عليه ساعة يمتلىء بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة )** يعني بهذا عند قوّة صفات النفس بالهوى، وامتلائها بالشهوة يغيب الإيمان ويحتجب احتجاب الشمس تحت السحاب فيرتفع حكمه عن إظهار أحكامه الموجبة لمقتضاه من الورع او الزهد أو المراقبة أو المخافة، كما يرتفع حكم شعاع الشمس إذا حجبت بكثف السحاب على الأرض ولم يقع منها ضوء، وعلى هذا المعنى قوله ﷺ: «لا يزني الزاني وهو مؤمن» الحديث. وفي الخبر الآخر: «مثل الإيمان كالقميص يلبسه أحياناً ويخلع أحياناً» وقد يكون امتلاء القلب بالنفاق بدلاً عن امتلائه بالإيمان في وقت دخول الشك عليه لأنه برفع اليقين وعدم اليقين هو مكان لوجود النفاق أو في وقت إنكار القدرة من قدرة الله تعالى وحين تكذيبه فإنه من آياته، فوجود ذلك نقص للإيمان وينقص الإيمان دخول النفاق فإنه بغت الموت في هذه الساعة التي يمتلىء القلب فيها نفاقاً حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة أليس يكون ذلك خاتمته بالنفاق؟ وكذلك أن فجأه الأمر بغتة عند إحدى الخصال الخمس المذكورة في حديث عبد الله بن عمرو: أليس ذلك يصير في آخر عمره من سوء الخاتمة.

**( فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة، وأن سببه أمور متقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق )**، وقد يتخوف الخصوص إذا جعلوا سبباً لبلاء أن يلحقهم منه ذنب وإن لم يكن فيه قصد ولا عليهم منه حكم من ذلك قول مريم الصديقة ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾ [ مريم: ٢٣ ] لما جعلت محنة للأمة، وعلى ذلك قول عيسى عليه السلام لما سئل الشفاعة إني لست هناك إني أخاف لأني قد عبدت من دون الله تعالى، ومن أعجب ما أضيف إلى العبد فعله مما لا يفعله إلا أنه أجرى عليه وجعل مكاناً فيه، **( ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق إذ قيل: من أمن النفاق فهو منافق )** كذا في القوت.

فقال: لو كنت منافقاً لما خفت النفاق، فلا يزال العارف بين التفات إلى السابقة والخاتمة خائفاً منهما. ولذلك قال ﷺ: «العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار» والله المستعان.

## بيان معنى سوء الخاتمة:

فإن قلت: إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة؟

فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين إحداهما أعظم من الأخرى، فأما الرتبة العظيمة الهائلة؛ فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله: إما الشك وإما الجحود، فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب

---

**(وقال بعضهم لبعض العارفين: إني أخاف على نفسي النفاق. قال: لو كنت منافقاً لما خفت النفاق)** ولفظ القوت: جاء رجل إلى حذيفة باكياً قال: هلكت. قال: مالك؟ قال: إني أخاف النفاق. فقال له: لو كنت منافقاً لم تخف النفاق. إن المنافق قد أمن النفاق فجعل خوف النفاق أمنه وحسب الآمن منه علماً لوجوده، **(فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة فالخاتمة خائفاً منهما، ولذلك قال ﷺ: «العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار»)** قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من الصحابة، وقد تقدم في ذم الدنيا. وذكره ابن المبارك في الزهد بلاغاً وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجه ولده في مسند الفردوس اهـ.

قلت: لفظ ابن المبارك في كتاب الزهد المؤمن عبد بين مخافتين من ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه ومن عمر قد بقي لا يدري ماذا يصيب فيه من المهلكات.

**بيان معنى سوء الخاتمة:**

**(فإن قلت: إن أكثر هؤلاء)** أي الصالحين **(يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة؟ فاعلم)** هداك الله تعالى **(أن سوء الخاتمة على رتبتين: إحداهما أعظم من الأخرى، فأما الرتبة العظيمة الهائلة فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت)** وشدائده **(وظهور أهواله: إما الشك وإما الجحود، فتقبض الروح على حالة غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً، وذلك**

المخلد. والثانية وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها. فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكساً رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها. ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب. ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نارالله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه، فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار: جزيا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي، فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا، فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه، ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه، إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال، فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ليتدارك، وعند ذلك تعظم الحسرة، إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة، فإنه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له

---

**يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد)** الملازم. **(و)** الرتبة **الثانية وهي دونها)** أي دون الأولى **(أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمز من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه)** أي يغمره **(حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره، فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكساً رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها، ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب، ومهما حصل الحجاب)** عن الله تعالى **(نزل العذاب)** لا محالة **(إذ نار الله الموقدة)** المشار إليها في الآية **(لا تأخذ إلا المحجوبين عنه، فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف إلى الله تعالى)** المشار إليه في قوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون* إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] أي سليم عن حب الدنيا **(تقول له النار: جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي)** روي ذلك من حديث يعلى بن منبه. تقول النار للمؤمن: يوم القيامة جزيا مؤمن فقد أطفا نورك لهبي. رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي والخطيب وضعفه البيهقي، ورواه الحكيم في النوادر بلفظ: ان النار تقول **(فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فإن الأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه)** كما أنه يبعث على ما مات عليه، **(ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح، وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ليتدارك، وعند ذلك تعظم الحسرة)** حيث لا تنفع **(إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة، وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحق عن القلب هذه الحالة التي**

عند الموت، فإن كان إيمانه في القوة إلى حدّ مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار، ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بدّ وأن يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين.

فإن قلت: فما ذكرته يقتضي أن تسرع النار إليه عقيب موته، فما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة.

فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان، بل الصحيح عند ذوي الأبصار ما صحت به الأخبار وهو: أن القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وأنه قد يفتح إلى قبر المعذب سبعون باباً من الجحيم، كما وردت به الأخبار فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقي بسوء الخاتمة، وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات، فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده، ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملأ من الأشهاد في القيامة، ثم بعد ذلك خطر الصراط وهوان الزبانية،

---

**عرضت عند الموت، فإن كان إيمانه في القوّة إلى حبة مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب)** كما في الخبر: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان». **(وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بدّ وان يخرجه من النار ولو بعد حين ولو بعد آلاف سنين)**، فقد روي من مرسل الحسن: يخرج من النار رجل بعد ألف عام وقد تقدم ذلك.

**(فإن قلت: فما ذكرته يقتضي أن تسرع النار إليه عقيب موته فما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة؟ فاعلم أن من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن و)** عن **(نور الإيمان، بل الصحيح عند ذوي الأبصار ما صحت به الأخبار، وهو أن القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة)**. رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب وتقدم في الأذكار، **(وأنه قد يفتح إلى قبر المعذب سبعون باباً من الجحيم كما وردت به الأخبار)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً **(فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل البلاء به إن كان قد شقي بسوء الخاتمة، وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات، فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر)** تقدم في قواعد العقائد **(والتعذيب بعده)** تقدم فيه أيضاً، **(ثم المناقشة في الحساب)** تقدم فيه أيضاً **(والإفضاح على ملأ من الأشهاد في القيامة)** قال العراقي: روى أحمد والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد جيد: «من انتقى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على رؤوس الأشهاد». وفي الصحيحين من حديث ابن عمر «أما الكافر والمنافق فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء

إلى آخر ما وردت به الأخبار ، فلا يزال الشقي متردداً في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتغمده الله برحمته ، ولا تظنن أن محل الإيمان يأكله التراب ، بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الأجزاء المتفرقة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان ، وقد كانت من وقت الموت إلى الإعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة ، وإما على حالة تضاد هذه الحالة إن كانت والعياذ بالله شقية .

فإن قلت : فما السبب الذي يفضي إلى سوء الخاتمة ؟

---

الذين كذبوا على ربهم » وللطبراني والعقيلي في الضعفاء من حديث الفضل بن عباس فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكر اهـ .

قلت : حديث ابن عمر الذي عند أحمد والطبراني قد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية وعند الكل بعد قوله الاشهاد قصاص بقصاص . وأما الحديث الاخير فقد رواه أيضاً القضاعي كلهم من رواية القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن أخيه الفضل به مرفوعاً ، ( **ثم بعد ذلك خطر الصراط** ) تقدم في قواعد العقائد ( **وهول الزبانية** ) قال العراقي : روى الطبراني من حديث أنس « الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة حملة القرآن منها إلى عبدة الأوثان والنيران » . قال صاحب الميزان : حديث منكر . وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلاً في خزنة جهنم ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب اهـ .

قلت : وبقية حديث أنس عند الطبراني بعد قوله النيران فيقولون : يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان فيقولون ليس من يعلم كمن لا يعلم ( **إلى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقي مردداً في جميع أحواله بين أصناف العذاب** ) وأنواعه ( **وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتغمده الله برحمته** ) ويتداركه بلطفه وكرمه . ( **ولا تظن أن محل الإيمان يأكله التراب، بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها** ) أي يفرقها ( **إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الاجزاء المتفرقة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان، وقد كانت من وقت الموت إلى الإعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة، وإما على حالة تضاد هذه الحال إن كانت والعياذ بالله شقية** ) فقد روى الطبراني من حديث كعب بن مالك وأم مبشر معاً أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق في شجر الجنة حتى يردها الله إلى أجسادها يوم القيامة . وروى الطبراني من حديث كعب بن مالك وحده « أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق حيث شاءت » . وروى ابن زنجويه في فوائده من رواية نعيم بن سالم عن أنس رفعه « أرواح الشهداء تجعل في حواصل طير خضر معلقة في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت » الحديث .

( **فإن قلت: فما السبب الذي يفضي إلى سوء الخاتمة؟ فاعلم أن أسباب هذه الأمور لا**

فاعلم أن أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل، ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين:

**أحدهما**: يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الأعمال: كالمبتدع الزاهد فإنّ عاقبته مخطرة جداً، وإن كانت أعماله صالحة ولست أعني مذهباً فأقول أنه بدعة؛ فإنّ بيان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة: أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه، إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعوّل وبه يغتر، وإما أخذاً بالتقليد ممن هذا حاله، فإذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلاً، إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادىء سكراته منه، فقد ينكشف به بعض الأمور، فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به متيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص، بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له، إذ لم يكن عنده فرق بين إيمانه

---

**يمكن إحصاؤها على التفصيل، ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها، أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في فنين.**

**أحدهما: يتصوّر مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الأعمال كالمبتدع الزاهد**) دخلت عليه المشاهدة من قبل المواجهة بالانصاف والعدل بمعيار العقل وإتلاف الحد من قبل قوّة النظر في الاكتساب، (**فإن عاقبته مخطرة جداً وإن كانت أعماله صالحة**) ويدلك على ذلك أن أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين وأهل عبادان والعسكر وكان مذهبهم القدر فوقعوا في غاية الخطر. (**ولست أعني مذهباً فأقول إنه بدعة فإن بيان ذلك يطول القول فيه، بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف**) ما هو (**الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعول وبه يغتر**) وذلك مثل أصحاب عمرو بن عبيد وعطاء الغزال والعطوية والفوطية وأصحاب المنزلة بين المنزلتين، (**وإما أخذاً بالتقليد فمن هذا حاله، فإذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه، فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلاً**) فيتمنى أنه لم يعط عقلاً (**إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادىء سكراته منه فقد ينكشف به بعض الأمور، فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به**) وجازماً (**متيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد لالتجائه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص، بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إن لم يكن عنده فرق بين**

بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد ، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها ، فإذا اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه. فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [ الزمر: ٤٧ ]، وبقوله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ★ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [ الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤ ]، وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب، فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الأمور، إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من أن ينظر إلى الملكوت، فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور على ما هي عليه، فيكون مثل هذه الحال سبباً للكشف، ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات، وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به إما تقليداً وإما نظراً بالرأي والمعقول، فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر، بل لا ينجي منه إلا

---

**إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة، وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته و )** سبباً **( لشكه فيها، فإن اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يتثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه، فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى: ﴿وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ )** وبقوله تعالى: ﴿وبدالهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ [ الجاثية: ٣٣ ] **( وبقوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ★ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ )** فكم من مغبوط في أحواله تقلبت عليه الحال ومشى بمقارفة قبيح الأعمال فبدل بالانس وحشة وبالحضور غيبة، **( وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك لسبب خفة اشتغال الدنيا عن القلب، فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الأمور )** مما كان محجوباً عنه، **( إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب أن ينظر إلى الملكوت فيطالع )** عجائب هذا العالم ويطالع **( ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور على ما هي عليه، فيكون مثل هذه الحال سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات، وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به إما تقليداً )** لآبائه ومشايخه **( وإما نظراً بالرأي والمعقول، فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي. أعني لا يكفي لدفع هذا الخطر، بل لا ينجى منه إلا الاعتقاد الحق، والبله )** الغافلون **( بمعزل عن هذا الخطر. أعني الذين**

**الإعتقاد الحق، والبله بمعزل عن هذا الخطر، أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيماناً مجملاً راسخاً كالأعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالاً ولا صغوا إلى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة، ولذلك قال ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله». ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور، وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعاً وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه، ومنعوهم عن الخوض في التأويل لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة ومسالكه وعرة. والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة، وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة، وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم**

---

**آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيماناً مجملاً راسخاً)** قوياً **(كالاعراب)** سكان البادية **(والسوادية)** ساكني الريف **(وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالاً ولا أصغوا إلى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة، ولذلك قال ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله»)** رواه البيهقي في الشعب والبزار والديلمي والخلعي في فوائده كلهم من طريق سلامة بن روح بن خالد قال: قال عقيل، حدثني ابن شهاب عن أنس مرفوعاً وسلامة فيه لين ولم يسمع من جد أبيه عقيل إنما أخذ من كتبه وعدّ هذا الحديث في إفراده، ولكن هو عند القضاعي من طريق يحي بن أيوب، حدثنا عقيل به، وهو في الكنجروذيات من طريق محمد بن العلاء الإيلي عن يونس بن يزيد عن الزهري. وقال العسكري: إنه غريب من حديث الزهري وهو من حديث يونس عنه أغرب لا أعلمه إلا من هذا الوجه، وله شاهد عند البيهقي أيضاً من حديث مصعب بن ماهان عن الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر وقال عقبه إنه بهذا الإسناد منكر، وجاء عن سهل التستري في تفسيره قال: هم الذين ولهت قلوبهم وشغلت بالله عز وجل، وعن أبي عثمان هو الأبله في دنياه الفقيه في دينه، وعن الاوزاعي قال: هو الأعمى عن الشر البصير بالخير أخرجها البيهقي في الشعب وقد تقدم هذا الحديث.

**(ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعاً وبكل ما جاء من الظواهر)** في الكتاب والسنّة **(مع اعتقاد نفي التشبيه)** واثبات التنزيه والتقديس **(ومنعوهم في الخوض عن التأويل)** وفتح هذا الباب رأساً، **(لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة)** أي متعبة **(ومسالكه وعرة)** أي صعبة، **(والعقول عن درك جلال الله تعالى)** وعظمته **(قاصرة، وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة)** فلا تهتدي إليها، **(وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم)** وآرائهم

مضطرب ومتعارض، والقلوب لما ألقي إليها في مبدأ النشأة آلفة وبه متعلقة، والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أول الأمر، ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة، وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة، فإذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعي الكمال أو الإحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين إليهم، وتأكد ذلك بطول الألف فيهم. فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم، فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم، ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظنّ وحسبان، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان، ويظن أن ما وقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ ص: ٨٨ ] وينبغي أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء.

أحسنت ظنك بالأيام إذ حَسُنَتْ ... ولم تخفِ سُوءَ ما يأتي به القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صَفْو الليالي يحدث الكَدرُ

---

**( مضطرب )** ومنتقض **( ومتعارض والقلوب لما ألقى إليها في مبدأ النشأة آلفة وبه متعلقة )** وآنسة، **( والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة )** عن الآباء **( أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أوّل الأمر، ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة، وعن تمام الفكر صارفة، فإذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعي الكمال والإحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين إليهم )** المستمعين لهم، **( وتأكد ذلك بطول الألف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم، فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة )** من العبادة من صلاة وصيام وقراءة وأذكار، **( ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم، ولكن الآن قد استرخى العنان وفشي الهذيان )** وثارت التعصبات **( ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان ويظن أن ما قنع به من حدس وتخمين )** هو **( علم اليقين وحق اليقين )** كلا **( ولتعلمن نبأه بعد حين، وينبغي أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء هذان البيتان )** :

**( أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدرُ**
**وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ )**

واعلم يقيناً أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث، فقد تعرّض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج، فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل وذلك بعيد، والهلاك عليه أغلب وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم إما مع الأدلة التي حرّروها في تعصباتهم أو دون الأدلة، فإنه إن كان شاكاً فيه فهو فاسد الدين، وإن كان واثقاً به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص، وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين، إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوّة وذلك هو الكبريت الأحمر، وأنى يتيسر، وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة.

**وأما السبب الثاني:** فهو ضعف الإيمان في الأصل، ثم استيلاء حب الدنيا على القلب، ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا، فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس، ولا يظهر له أثر في

---

وقال القشيري في الرسالة: سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق ينشدهما كثيراً اهـ. أنشدني إياهما الشيخ الأديب عبد الله بن عبد الله بن سلامة المؤذن قال: انشدني إياهما شيخنا أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحنفي قدس سره قبل موته بيسير فكان آخر ما سمعه منه.

**( واعلم يقيناً أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر، ومثاله مثال من تكسرت سفينه وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج، فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل )** فينجو **( وذلك بعيد والهلاك عليه أغلب وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم إما مع الأدلة التي حرروها في تعصباتهم أو دون الأدلة إن كان شاكاً فيه فهو فاسد الدين، وإن كان واثقاً به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص، وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين )** لا محالة **( إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم النبوّة والولاية وذلك هو الكبريت الأحمر )** في عزة وجوده **( وأني يتيسر )** ذلك **( وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله )** تعالى **( فلم يخوضوا في هذا الفضول. فهذاأحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة.**

**وأما السبب الثاني: فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب )** وغلبته عليه، **( ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا )** لأنهما ضدان، **( فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث نفس لا يظهر**

مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان، فيورث ذلك الإنهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب، فلا يزال يطفىء ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعاً وريناً، فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعني حب الله ضعفاً لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب، فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا، ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بإنكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك، من حيث أنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب، كما أنّ الذي يحب ولده حباً إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضاً، فإن اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً والسبب الذي يفضي إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى؛ فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضاً فهو أبعد عن هذا الخطر، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وهو الداء والعضال قد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله

---

**له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان، فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفىء ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعاً وريناً )** وإليه يشير قوله تعالى ﴿فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ [المنافقون: ٣] وقوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين: ١٤] **( فإذا جاءت سكرات الموت )** وشداته **( ازداد ذلك الحب، أعني حب الله تعالى ضعفاً لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب، فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره )** أي يتحرك **( بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهته ذلك من حيث أنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب، كما أن الذي يحب ولده حباً ضعيفاً إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها )** وأتلفها **( انقلب ذلك الحب الضعيف بغضاً، فإن اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً، والسبب الذي يفضي إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى، فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضاً فهو أبعد عن هذا الخطر )** لأن العبرة بالغالب، **( وحب الدنيا رأس كل خطيئة )** كما ورد. **( وهو الداء العضال )** أي الصعب، **( وقد عم أصناف الخلق )** واستغرقهم **( وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا يحبه إلا**

تعالى إذ لا يحبه إلا من عرفه، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأبْنَاؤُكُمْ وإخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنَ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ في سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بأمْرِهِ﴾ [ التوبة: ٢٤ ] الآية، فإذاً كل من فارقته روحه في حالة خطرة الإنكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه، فيكون موته قدوماً على ما أبغضه وفراقاً لما أحبه، فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به على مولاه قهراً، فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال، وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار طمعاً في لقائه، فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرّد القدوم فضلاً عما يستحقه من لطائف الإكرام وبدائع الإنعام!

**وأما الخاتمة الثانية:** التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضاً سببان:

**أحدهما:** كثرة المعاصي وإن قوي الإيمان والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي

---

**من عرفه)** فالمحبة ثمرة المعرفة، **(ولهذا قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصُوا حتى يأتي الله بأمره﴾ الآية)** أي إلى آخرها **(فإذاً من فارقته روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه)** الدنيوية، **(فيكون موته قدوماً على ما أبغضه وفراقاً لما أحبه، فيقدم على الله قدوم العبد المبغض)** الممقوت **(الآبق إذا قدم به على مولاه قهراً)** وجراً **(فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال)** وأنواع الهوان، **(وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله قدوم العبد المحسن)** المطيع **(المشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار)** من شدائدها **(طمعاً في لقائه)** ورجاء في مشاهدته، **(فلا يخفي ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلاً عما يستحقه من لطائف الإكرام وبدائع الأنعام.**

**(وأما الخاتمة الثانية: التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضاً سببان).**

**(أحدهما: كثرة المعاصي وإن قوي الإيمان، والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي**

وذلك لأن مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الإلف والعادة، وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته، فإن كان ميله الأكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر طاعة الله، وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت. فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي، فيتقيد بها قلبه ويصير محجوباً عن الله تعالى، فالذي لا يقارف الذنب إلا الفيئة بعد الفيئة فهو أبعد عن هذا الخطر، والذي لم يقارف ذنباً أصلاً فهو بعيد جداً عن هذا الخطر، والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جداً ونعرّف هذا بمثال: وهو أنه لا يخفى عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عهدها طول عمره، حتى أنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته في اليقظة، وحتى أن المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الإحتلام صورة الوقاع، ثم لا يخفى أن الذي قضى عمره في الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة، والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه. لأنه إنما يظهر في حالة

---

**وذلك لأن مقارفة المعاصي )** أي ملابستها **( سبب غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الألف والعادة وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته، فإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند موته، فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فتقيد بها قلبه ويصير محجوباً عن الله تعالى )** لاشتغاله بما تقيد به قلبه، **( والذي لا يقارف الذنب إلا الفيئة بعد الفيئة )** أي المرة بعد المرة، **( فهو أبعد عن هذا الخطر، والذي لم يقارف ذنباً أصلاً فهو بعيد جداً عن هذا الخطر، والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جداً، ويعرف هذا بمثال وهو: أنه لا يخفي عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عهدها طول عمره حتى أنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته )** أو يقاربها **( في اليقظة وحتى أن المراهق )** وهو من قارب الإحتلام **( الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الإحتلام صورة الوقاع )** لأنه يعهده قبل ذلك، **( ثم لا يخفي أن الذي قضى عمره في الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة، والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لأنه إنما يظهر في حالة**

النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الإلف أو بسبب آخر من الأسباب، والموت شبيه النوم ولكنه فوقه، ولكن سكرات الموت وما يتقدّمه من الغشية قريب من النوم، فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب وأحد الأسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف، فطول الإلف بالمعاصي والطاعات أيضاً مرجح، وكذلك تخالف أيضاً منامات الصالحين منامات الفساق، فتكون غلبة الإلف سبباً لأن تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل إليها نفسه، فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته، وإن كان أصل الإيمان باقياً بحيث يرجى له الخلاص منها، وكما أن ما يخطر في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى، فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها، كما أنا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشيء إلى ما يناسبه إما بالمشابهة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه. أما بالمشابهة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر جميلاً آخر، وأما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحاً ويتأمل في شدة التفاوت بينهما، وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان، وقد ينتقل الخاطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وإنما يكون ذلك بواسطة وواسطتين، مثل أن ينتقل من شيء إلى

---

**النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الإلف أو بسبب آخر من الأسباب والموت شبه النوم )**، ولذلك قيل: إنه أخوه **( ولكنه فوقه )** بمراتب، **( ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب، وأحد الأسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الإلف وطول الإلف بالمعاصي والطاعات أيضاً مرجح، ولذلك تخالف منامات الصالحين منامات الفساق فيكون غلبة الإلف سبباً لأن يتمثل في قلبه صورة فاحشة وتميل إليها نفسه، فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء الخاتمة، وإن كان أصل الإيمان باقياً بحيث يرجى له الخلاص منها )** بسببه، **( وكما أن ما يخطر في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى يعرف بعضها )** بتعريف الله إياه، **( ولا يعرف بعضها كما أنا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشيء إلى ما يناسبه إما بالمشابهة أو بالمضادة أو بالمقاربة بأن يكون قد ورد على الحس معه، أما بالمشابهة فبان ينظر إلى جميل فيتذكر جميلاً آخر )** سواه وهو مشابه في جماله، **( وأما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحاً ويتأمل في شدة التفاوت بينهما )** في الجمال والقبح، **( وأما بالمقاربة فبأن ينظر إلى فرس )** كان **( قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان )** بانتقال الخاطر إليه، **( وقد ينتقل الخاطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبته له، وإنما يكون ذلك بواسطة وبواسطتين )** وأكثر **( مثل أن ينتقل من**

شيء ثان، ومنه إلى شيء ثالث، ثم ينسى الثاني، ولا يكون بين الثالث والأوّل مناسبة، ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأوّل مناسبة، **فكذلك لانتقالات** الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس، وكذلك عند سكرات الموت، **فعلى هذا** والعلم عند الله من كانت الخياطة أكثر أشغاله، **فإنك** تراه يومىء إلى رأسه كأنه يأخذ ابرته ليخيط بها ويبل أصبعه التي لها عادة بالكشتبان ويأخذ الإزار من فوقه ويقدره ويشبره كأنه يتعاطى تفصيله، ثم يمد يده إلى المقـراض. ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في فطامة نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب، **فهذا** هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدّة وذخيرة لحالة سكرات الموت، **فإنه** يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه، ولذلك نقل عن بقّال أنه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة فيقول خمسة ستة أربعة، فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت. وقال بعض العارفين من السلف: العرش جوهرة تتلألأ نوراً، فلا يكون العبد على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها، فإذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش، فربما يرى نفسه على صورة

---

**شيء إلى شيء ثان ومنه إلى ثالث. ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة)** ظاهرة توجب انتقال الخاطر إليه، **(ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأول مناسبة)** إما قريبة أو بعيدة، **(فكذلك لانتقالات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس، وكذلك عند سكرات الموت، فإن الخواطر تنتقل فيها في أمور بعضها مرتبط بالبعض بأسباب مختلفة، ومن أراد أن يكف خاطره من الإنتقالات إلى المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب، فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الإختيار)** والمراد بطول العمر هنا معظمه وهو أيام السلوك حتى يتمرن على الفطام والقمع، وإلا فإن شغل عمره كله فيه فمتى يتفرغ لمعرفة الله تعالى **(ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت، فإنه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه)** كما في الخبر. **(وكذلك نقل عن بقال)** وهو من يبيع الفواكه اليابسة وغيرها فقيل: **(إنه كان يلقن عند الموت كلمتا الشهادة فيقول: خمسة ستة أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال إلفه به قبل الموت)** فغلب على لسانه ولم يوفق للشهادتين. **(وقال بعض العارفين من السلف: إن العرش جوهرة تتلألأ نوراً فلا يكون العبد على حال)** من أحواله **(إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فإذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من**

معصية، وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح، وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك، فإن النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهي جزء من أجزاء النبوّة، فإذا رجع سوء الخاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله، والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولاً كلياً، وإن كان لطول الإلف فيه تأثير، فبهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة، لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك، وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه، ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط، وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة، حتى سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي رحمة الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المريد لشيخه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال: حكيت لشيخي أبي القاسم الكركاني مناماً لي وقلت: رأيتك قلت لي كذا. فقلت: لم ذاك؟ قال:

---

**العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية، وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف)** نقله صاحب القوت. **(وما ذكره صحيح، وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فإن النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من أجزاء النبوة)** كما ورد ذلك في الخبر، **(فإذاً يرجع سوء الخاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والإتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الإختيار دخولاً كلياً وإن كان لطول الإلف فيه تأثير، فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لأنه لو أراد الإنسان لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك)** ولم يمكنه، **(وإن كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط، وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلبت في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا علي)** الفضل بن محمد بن علي **(الفارمذي)** فاء وألف وميم وذال معجمة نسبة إلى فارمذ قرية بطوس، وهو لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقة والحقيقة بها حسن الوعظ. روى عن محمد ابن عبدالله بن باكويه الشيرازي، وابن مسرور عنه عبد الغافر الفارسي، وأبو الخير جامع الشفا،، وتوفي بطوس سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وأولاده: أبو المحاسن علي، وأبو الفضل محمد، وأبو بكر عبد الواحد كلهم علماء فضلاء زهاد **(رحمه الله تعالى يصف لي وجوب حسن أدب المريد لشيخه أن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال: حكيت لشيخي أبي القاسم)** عبد الرحمن بن علي **(الكركاني)** الطوسي وكركان تعريب جرجان قال

**فهجرني شهراً ولم يكلمني وقال: لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال؛ إذ قلما يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه؛ فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة، وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة، وقد ظهر لك بهذا أنّ الأمن من سوء الخاتمة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية؛ فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بدّ وأن يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك، كما سنحكيه من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك، وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح، وإن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر**

---

ياقوت المشترك: جميع العرب لا يقولونها إلا بالكاف وهي بين طبرستان وخراسان، وقيل من خراسان، وقيل من طبرستان والله أعلم اهـ.

وكان أبو علي الفارمذي قد صاهر أبا القاسم الكركاني هذا، والمصنف رحمه الله تعالى قد أخذ عن كل من الفارمذي ويوسف النساج وهما جميعاً عن أبي القاسم الكركاني هذا، وقد دفن الكركاني والنساج كلاهما في قبر واحد بطوس، وكل هؤلاء الثلاثة من كبار مشايخ السلسلة النقشبندية، وللكركاني في الأخذ طريقان: أحدهما عن أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي، عن أبي الحسن علي ابن أحمد الكاتب المصري، عن أبي علي الروذبادي، عن الجنيد بسنده والثاني وعليه المدار في سند السلسلة أنه أخذ عن روحانية أبي يزيد البسطامي، عن روحانية جعفر الصادق بسنده ( **مناماً لي وقلت: رأيتك كأنك قلت لي كذا، فقلت: لم ذلك؟ قال: فهجرني شهراً ولم يكلمني وقال: لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقول لك وإلا ما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال إذ قلما يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه، فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة** ) ولا يليق ذكره هنا ( **وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الخاتمة بأن يرى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي** ) أي تسويق ( **جميع العمر في طاعة الله عز وجل من غير معصية، فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بدَّ وأن يغلب عليك من الخوف كما غلب على العارفين** ) من عباده ( **حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم حزنك وقلقك** ) وانزعاجك، ( **كما سنحكيه** ) فيما بعد ( **من أحوال الأنبياء** ) عليهم السلام ( **والأولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك. وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة إن لم تسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج**

مشكلة جداً، ولذلك كان مطرف بن عبدالله يقول: أني لا أعجب ممن هلك كيف هلك، ولكني أعجب ممن نجا كيف نجا! ولذلك قال حامد اللفاف: إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والإسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا: كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا. وكان الثوري يوماً يبكي فقيل له علامَ تبكي؟ فقال: بكينا على الذنوب زماناً، فالآن نبكي على الإسلام. وبالجملة؛ من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الريح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك، وقلب المؤمن أشدّ اضطراباً من السفينة، وأمواج الخواطر أعظم التطاماً من أمواج البحر، وإنما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب»، ولا يتسع فواق الناقة لأعمال توجب الشقاوة، بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف. وقال سهل: رأيت

---

**الروح وأن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكل جداً، ولذلك كان مطرف بن عبدالله**) بن الشخير العامري البصري التابعي رحمه الله تعالى (**يقول: إني لا أعجب ممن هلك كيف هلك، ولكن أعجب ممن نجا كيف نجا**) نقله صاحب القوت، وهو في الحلية في ترجمة يحيى بن أبي كثير سليمان عليه السلام قال لابنه: لا تعجب ممن هلك كيف هلك ولكن اعجب ممن نجا كيف نجا. (**ولذلك قال حامد اللفاف**) له ذكر في الحلية في ترجمة حاتم الأصم: (**إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والإسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا: كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا**) يشيرون بذلك إلى إبليس وهاروت وماروت. (**وكان**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى (**يوماً يبكي فقيل له: علام تبكي؟ فقال: بكينا على الذنوب زماناً فالآن نبكي على الإسلام**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وبالجملة؛ من وقعت سفينته في لجة البحر**) أي وسطه (**وهجمت عليه الرياح العاصفة**) المختلفة (**واضطربت الأمواج من سائر**) النواحي (**كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك، وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التطاماً من أمواج البحر، وإنما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط، وهو الذي قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة فيختم له بما سبق من الكتاب»**) تقدم الكلام عليه قريباً. (**ولا يتسع فواق ناقة لأعمال توجب الشقاوة**) إذ الروح تكون قريباً من الصدر، (**بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف**) وفي القوت: ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم بالجوارح إنما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول، وفواق الناقة هو ما بين الحلبتين وهذا

كأني أدخلت الجنة، فرأيت ثلاثمائة نبي فسألتهم: ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا؟ قالوا: سوء الخاتمة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطاً عليها وكان موت الفجأة مكروهاً، أما الموت فجأة فلأنه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة. وأما الشهادة؛ فلأنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب، إذ لا يهجم على صف القتال موطناً نفسه على الموت إلا حباً لله وطلباً لمرضاته وبائعاً دنياه بآخرته وراضياً بالبيع الذي بايعه الله به إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه عن القلب، ومجرّد حب العوض المطلوب في قلبه، ومثل هـذه الحـالة قد يغلب على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها، فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة، هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة، فإن من

---

من تقليبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد إلى وجهة الضلال والشرك عند ما يبدو من زوال العقل وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب.

( **وقال** ) أبو محمد ( **سهل** ) التستري رحمه الله تعالى: ( **رأيت كأني أدخلت الجنة فرأيت** ) ولفظ القوت: فلقيت فيها ( **ثلاثمائة نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا؟ قالوا: سوء الخاتمة** ) أي فالخاتمة من مكر الله عز وجل الذي لا يوصف ولا يفطن له ولا عليه بوقت ولا نهاية لمكره لأن مشيئته وأحكامه لا غاية لها، ( **ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطاً عليها وكان موت الفجأة مكروهاً. أما الموت فجأة فلأنه يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثالها إلى أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة** ) وقد لا يصادق ذلك في تلك الساعة. ( **وأما الشهادة، فلأنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يهجم على صف القتال موطناً نفسه على الموت إلا حباً وطلباً لمرضاته وبائعاً دنياه بآخرته وراضياً بالبيع الذي بايعه الله به. إذ قال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾** ) إلى آخر الآية. ( **والبائع راغب عن المبيع** ) الذي هو النفس والمال ( **لا محالة ومخرج حبه عن القلب ومجرد حب العوض المطلوب في قلبه** ) وهو الجنة. ( **ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب في بعض الأحوال، ولكن لا يتفق زهوق الروح على مثل هذه الحالة، هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة** ) أي ليقال فلان شجاع لا يطاق، ( **فإن من هذا حالة وإن قتل في المعركة**

هذا حاله وإن قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الأخبار. وإذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها، فواظب على ذكر الله تعالى واخرج من قلبك حب الدنيا، واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك، واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك، فإن ذلك أيضاً يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطرك وإياك أن تسوف وتقول سأستعدّ لها إذا جاءت الخاتمة فإن كل نفس من أنفاسك خاتمتك، إذ يمكن أن تخطف فيه روحك، فراقب قلبك في كل تطريفة، وإياك أن تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك، إذ يمكن أن تختطف فيها روحك، هذا ما دمت في يقظتك وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك، لست أقول على لسانك، فإن حركة اللسان بمجرّدها ضعيفة الأثر.

واعلم قطعاً أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالباً عليه، وإنه

---

**فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة)** أي رتبة الشهادة **(كما دلت عليه الأخبار)** قال العراقي في المتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري أن رجلاً قال: يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ فقال: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وفي رواية: « الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء » وفي رواية: « يقاتل غضباً » اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وأصحاب السنن.

**(وإذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالإستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا وأحرس عن فعل المعاصي جوارحك)** الظاهرة **(ومن الفكر فيها قلبك، واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك)** وطاقتك، **(فإن ذلك أيضاً يؤثر في قلبك)** تأثيراً يحول بينك وبين ذكر الله **(ويصرف إليه فكرك وخواطرك)** فيشغلك عن الله. **(وإياك أن تسوّف وتقول: سأستعد لها إذا جاءت الخاتمة)** عند زهوق الروح **(فإن كل نفس من أنفاسك)** هي **(خاتمتك إذ يمكن أن يختطف فيها روحك)** بغتة، **(هذا ما دمت في يقظتك وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك)** إما نفياً وإثباتاً، وإما اقتصاراً على لفظة الله مع كمال المراقبة، **(لست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجردها ضعيفة الأثر)** بل ولا تأثير لها في تجلية القلب أصلاً.

**(وأعلم قطعاً أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان غالباً عليه قبل النوم، ولا**

لا يغلب في النوم إلا ما كان غالباً قبل النوم ، ولا ينبعث عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك ، والموت والبعث شبيه النوم واليقظة ، فكما لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومه ، فكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا على ما مات عليه ، وتحقق قطعاً ويقيناً أنّ الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أنّ النوم واليقظة حالتان من أحوالك ، وآمن بهذا تصديقاً باعتقاد القلب إن لم تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة ، وراقب أنفاسك ولحظاتك ، وإياك أن تغفل عن الله طرفة عين فإنك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم ، فكيف إذا لم تفعل ؟ والناس كلهم هلكى إلا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم .

واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول ، والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك ، فينبغي أن يكون تناولك تناول مضطرّ كاره له ؛ ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك ، إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهما ضرورتان في

---

**تبعث عن نومك إلا على ما غلب على قلبك في نومك، والموت والبعث يشبه النوم واليقظة، فكما لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومه، فكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا على ما مات عليه )** وقد وردت بذلك الأخبار وتقدم ذكرها . **( وتحقق يقيناً وقطعاً أن الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك، وآمن بهذا تصديقاً باعتقاد القلب إن لم تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك )** كلها أن تمر في غير ذكر الله ، **( وإياك أن تغفل عن الله لحظة عين )** وفي نسخة طرفة عين ، **( فإنك إذا فعلت ذلك كله )** أي من الإيمان القلبي ومراقبة الأنفاس واللحظات **( كنت مع ذلك في خطر عظيم، فكيف إذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم )** هذا من قول أبي محمد سهل التستري رحمه الله تعالى وقد تقدم مراراً .

**( واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك )** فقط **( وضرورتك )** إنما هي **( مطعم وملبس ومسكن )** والمشرب داخل في المطعم **( والباقي كله فضول )** ولكل من الثلاثة حد محدود ، **( والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك )** في طاعة الله **( ويسد رمقك، فينبغي أن يكون تناولك )** لما تأكله **( تناول مضطر كاره له، ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهما**

الجبلة، وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك، واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك، وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك، فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور: من مأكولك في وقته وقدره وجنسه، أما الوقت فأقله أن يكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فيواظب على الصوم، وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن، وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الأطعمة بل يقنع بما يتفق، فإن قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله، فإن الحلال يعز ولا يفي بجميع الشهوات، وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحرّ والبرد وستر العورة؛ فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة، وقس بهذا ما تدفع به الحرّ والبرد عن بدنك؛ فكل ما حصل مقصود اللباس إن لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده. بل كنت ممن لا

---

**ضروريان في الجبلة، وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك. واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك، فقيمتك ما يخرج من بطنك)** هكذا قرره الحكماء. ( **وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوى على عبادة الله** ) وطاعته ( **كقصدك من قضاء حاجتك، فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور من مأكولك في وقته وقدره وجنسه، أما الوقت فأقله أن يكتفي في اليوم والليلة** ) وهما أربع وعشرون ساعة ( **بمرة واحدة** ) ويكون ذلك وقت غروب الشمس، ( **فيواظب على الصوم. وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن** ) كما ورد ذلك في الخبر. ( **وأما جنسه فأن لا يطلب اللذائذ من الأطعمة بل يقنع بما يتفق** ) ويتيسر، ( **فإن قدرت على هذه الثلاث وسقط عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات** ) والمحرمات، ( **وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله فإن الحلال يعز** ) أي يقل ( **وجدانه و** ) إذا وجد فإنه ( **لا يفي بجميع الشهوات** ) واللذات. ( **وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق** )فقد حصل المقصود وحينئذ، ( **فطلبك غيره فضول منك يضيع زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع** ) لما في أيدي الناس ( **أخرى** ) سواء كان من الحلال أو ( **من الحرام والشبهة. وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس إن لم تكتف به في خساسة قدره جنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه إلا التراب** )

يملأ بطنه إلا التراب وكذلك المسكن إن اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقفاً والأرض مستقراً ؛ فإن غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد ، فإن طلبت مسكناً خاصاً طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ، ثم إن تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلاً بينك وبين الأبصار ومن السقف سوى كونه دافعاً للأمطار ، فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقيك منها ، وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزوّد لآخرتك والاستعداد لخاتمتك ، وإن جاوزت حدّ الضرورة إلى أودية الأماني تشعبت همومك ولم يبال الله في أي وادٍ أهلكك ؛ فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك .

واعلم أن متسع التدبير والتزوّد والاحتياط هذا العمر القصير ، فإذا دفعته يوماً بيوم في تسويفك أو غفلتك اختطفت فجأة في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك ، فإن كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فإنا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو

---

وفي الخبر : « ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » . **( وكذلك المسكن إن اكتفيت بمقصوده كفاك السماء سقفاً والأرض مستقراً ، فإن غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد )** فإنها مأوى المساكين ، **( فإن طلبت مسكناً خاصاً )** لا يشاركك فيه أحد **( طال عليك )** أمره **( وانصرف إليه أكثر عمرك )** في تحصيله وإحضاره **( وعمرك هو بضاعتك )** التي بها تربح في معاملاتك ، **( ثم إن تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلاً بينك وبين الأبصار )** أي من الأجنبي **( ومن السقف سوى )** كونه **( دافعاً للأمطار فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف ، فقد تورطت في مهواة يبعد رقيك )** أي صعودك **( منها ، وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزوّد لآخرتك والإستعداد لخاتمتك ، ، وإن جاوزت حدّ الضرورة إلى أودية الأماني )** والآمال الكاذبة **( تشعبت همومك )** أي كثرت واختلفت **( ولم يبال الله في أي واد أهلكك )** وقد روى ابن ماجه ، والحكيم ، والشاشي ، والبيهقي من حديث أبي مسعود : « من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه ، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك » . **( فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك واعلم أن متسع التدبير والتزود والإحتياط هو هذا العمر القصير ، فإذا دفعته يوماً بيوم في تسويفك وإعلالك وغفلتك اختطفت فجأة في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك )** حيث لا ينفعك ذلك ، **( فإن كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه لضعف خوفك إذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فإنا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيل**

أن يزيل بعض القساوة عن قلبك، فإنك تتحقق أنّ عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك، فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في أحوالهم لم اشتدّ بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشياً عليه وبعضهم يخرّ ميتاً إلى الأرض ولا غرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فإن قلوب الغافلين مثل الحجارة أو أشدّ قوة ﴿وإنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأنْهَارُ وإنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [ البقرة: ٧٤ ].

**بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف:**

روت عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفاً من عذاب الله. وقرأ ﷺ آية في سورة الواقعة فصعق، وقال تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ [ الأعراف: ١٤٣ ] ورأى رسول الله ﷺ صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصعق.

---

**بعض القساوة من قلبك فإنك تتحقق أن عقل الأنبياء )** عليهم السلام ( **والأولياء وعلمهم ومكانتهم عند الله تعالى لم يكن عقلك وعلمك ومكانك، فتأمل مع كلال بصيرتك )** أي ضعفها ( **وعمش عين قلبك في )** جملة من ( **أحوالهم )** وسيرهم ( **ثم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم** يضعف **وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشياً عليه وبعضهم يخر ميتاً إلى الأرض، ولا غرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فإن قلوب الغافلين مثل الحجارة )** في شدتها وصلابتها ( **أو أشد قسوة )** منها ( **﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعلمون﴾ )** [ البقرة: ٧٤ ].

**بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والأنبياء عليهم السلام في الخوف:**

( **روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفاً من عذاب الله )** قال العراقي: متفق عليه من حديثها. ( **وقرأ ﷺ آيـة فـي سورة الحاقة فصعق )**. رواه حمزة الزيات عن حمران بن أعين كذا في القوت. قال العراقي: المعروف فيما روي من هذه القصة أنه قرىء عليه: ﴿إن لدينا أنكالاً وحجيماً * وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ [ المزمل: ١٢، ١٣ ] فصعق مما رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب مرسلاً. وهكذا ذكره المصنف على الصواب في كتاب السماع وقد تقدم. ( **وقال الله عزل وجل: ﴿فخر موسى صعقاً﴾ ورأى رسول الله**

**وروي أنه عليه السلام كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل. وقال ﷺ : « ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرعد فرقاً من الجبار » ، وقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان ، فأوحى الله إليهما : ما لكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : يا رب ما نأمن مكرك ؛ فقال الله تعالى هكذا كونا ، لا تأمنا مكري. وعن محمد بن المنكدر قال: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها ، فلما خلق بنو آدم عادت. وعن أنس أنه عليه السلام سأل جبريل: « ما لي لا أرى**

---

ﷺ **صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصعق )** قال العراقي: روى البزار من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال: أدع ربك فدعا ربه فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويشير ، فلما رآه صعق. ورواه ابن المبارك عن الحسن مرسلاً بلفظ: « فغشي عليه. وفي الصحيحين من حديث عائشة رأى جبريل في صورته مرتين. ولهما عن ابن مسعود: رأى جبريل له ستمائة جناح.

**( وروي أنه ﷺ كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كازيز المرجل )** رواه أبو داود و الترمذي في الشمائل و النسائي من حديث عبدالله بن الشخير ، و تقدم في كتاب السماع. **( وقال ﷺ : « ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرعد فرقاً من الجبار » )** وفي بعض النسخ: إلا وهو ترعد فرائصه من الجبار ، قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ. و روى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن بن عباس قال: إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك و تعالى ترعد فرائصه فرقاً من عذاب الله الحديث. وفيه زميل بن سماك الحنفي يحتاج إلى معرفة اهـ.

قلت: بخط الشمس الداودي لعله أبو زميل سماك بن الوليد الراوي عن ابن عباس عند مسلم وغيره.

**( وقيل: لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل و ميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله إليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ قالا : يا رب ما نأمن مكرك . فقال الله عز وجل: هكذا كونا لا تأمنا مكري )** و تقدم قريباً أن النبي ﷺ و جبريل عليه السلام بكيا خوفاً من الله عز وجل فأوحى الله إليهما: لم تبكيان وقد أمنتكما؟ فقالا : ومن يأمن مكرك: وتقدم أنه من حديث عمر عند الطبراني في الأوسط.

**( وعن )** أبي بكر **( محمد بن المنكدر )** بن الهدير التيمي التابعي قال: **( لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها ، فلما خلق بنو آدم عادت )** أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة طاوس من كلامه بلفظ: فلما خلق آدم علية السلام سكنت.

**( وعن أنس )** رضي الله عنه **( أنه ﷺ سأل جبريل عليه السلام مالي لا أرى ميكائيل**

ميكائيل يضحك؟ » فقال جبريل: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار. ويقال: إنّ لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم بها. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال: « يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟ » فقلت يا رسول الله لا أشتهيه فقال: « لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاماً ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا بن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم؟ » قال: فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت: ﴿وَكَأَيِّن مِنْ دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَها اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠] قال فقال رسول الله ﷺ: إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات، من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فإنّ الحياة بيد الله، ألا وأني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأ رزقاً لغد ».

---

**يضحك؟ فقال جبريل)** عليه السلام: **(ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار)**. قال العراقي: رواه أحمد و ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد، ورواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسلاً، و ورد ذلك أيضاً في إسرافيل رواه البيهقي في الشعب، وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

**(ويقال: إن لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم)** رواه ابن أبن الدنيا في كتاب الخائفين. **(وقال ابن عمر رضي الله عنهما: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار)** جمع حائط وهو حش النخل، **(فجعل يلتقط من التمر و يأكل فقال: « يا ابن عمر مالك لا تأكل »؟ فقلت: لا اشتهيه. فقال)** ﷺ: **(« لكن اشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاماً ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيصر و كسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم و يضعف اليقين في قلوبهم » قال: فوالله مابرحنا)** من مكاننا **(ولا قمنا حتى نزلت)** هذه الآية: **(﴿و كأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ فقال رسول الله ﷺ « إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات، من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فإن الحياة بيد الله، ألا وأني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأ رزقاً لغد »)** قال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير، و البيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر. قال البيهقي: هذا إسناد مجهول، و الجراح بن منهال ضعيف اهـ.

قلت: و رواه كذلك عبد بن حميد، و ابن أبي حاتم في تفسيريهما، و ابن عساكر في التاريخ كلهم من هذا الطريق.

وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن ﷺ إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفاً من ربه. وقال مجاهد: بكى داود عليه السلام أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه، فنودي: يا داود أجائع أنت فتطعم؟ أم ظمآن فتسقى؟ أم عار فتكسى؟ فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حرّ خوفه، ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال: يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته، قال: وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه. ويروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء

---

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**كان يسمع أزيز قلب ابراهيم خليل الرحمٰن عليه السلام إذا قام إلى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين. (**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالى: (**بكى داود عليه السلام أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودي: يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى؟ فنحب نحبة**) أي صرخ صرخة (**هاج**) أي يبس منها (**العود فاحترق من خوفه، ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال: يا رب اجعل خطيئتي في كفي، فصارت خطيئته في كفه مكتوبة، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب إلا رآها فأبكته. قال: وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه**). رواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر بلفظ: لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجداً أربعين يوماً وأربعين ليلة، وكانت خطيئته في يده ينظر إليها لكيلا يغفل حتى نبت البقل حوله من دموعه ما غطى رأسه فنودي: اجائع فتطعم أم عريان فتكسى أم مظلم فتنتصر؟ قال: فنحب نحبة أهاج مايليه من البقل حين لم يذكر ذنبه، فعند ذلك غفر الله له.

ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير بلفظ: لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجداً أربعين يوماً حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ثم نادى: رب قرح الجبين وجدت الأعين وداود لم يرجع إليه في طيته شيء فنودي: اجائع فتطعم أو مريض فتشفى أو مظلوم فينتصر لك؟ فنحب نحباً هاج كل شيء نبت، فعند ذلك غفر له وكان يؤتى بالإناء فيشرب فيذكر خطيئته فينتحب فتكاد مفاصله يزول بعضها من بعض فما يشرب بعض الاناء حتى يملأه من دموعه.

وروى أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني قال: سجد داود أربعين ليلة ويوماً لا يرفع رأسه إلا إلى صلاة فريضة حتى يبس وقرحت جبهته وكفاه وركبتاه.

**حتى مات حياء من الله عز وجل، وكان يقول في مناجاته: إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روحي، سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني، فبؤساً للقانطين من رحمتك.**

---

و روى الحاكم، و ابن جرير عن السدي قال: مكث داود ساجداً أربعين يوماً يبكي لا يرفع رأسه إلا لحاجة ثم يقع ساجداً يبكي حتى نبت العشب من دموع عينيه فأوحى الله إليه بعد أربعين يوماً: يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك.

وروى أحمد، وعبد بن حميد، عن يونس بن خباب أن داود بكى أربعين ليلة حتى نبت العشب حوله من دموعه، ثم قال: قرح الجبين ورقأ الدمع خطيئتي علي كما هي فنودي: أن يا داود أجائع فتطعم أم ظمآن فتسقى أم مظلوم فينتصر لك؟ فنحب نحبة هاج ما هنالك من الخضرة فغفر له عند ذلك.

وروى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، عن عبيدالله بن عمير الليثي أن داود سجد حتى نبت ما حوله خضراً من دموعه فأوحى الله إليه: أن يا داود أتريد أن أزيدك في مالك و عمرك؟ فقال: يا رب أهذا تزيد علي أريد أن تغفر لي.

وروى عبد بن حميد عن كعب قال: سجد داود نبي الله أربعين يوماً و أربعين ليلة لا يرفع رأسه حتى رقأ دمعه و يبس، فكان من آخر دعائه وهو ساجد ان قال: يا رب رزقتني العافية فسألتك علماً فلما ابتليتنى لم أصبر فإن تعذبني فأنا أهل ذلك و إن تغفر لي فأنت أهل ذلك.

وروى الحكيم وابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس رفعه قال: « سجد داود أربعين ليلة حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه و أكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده: رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق و المغرب، رب إن لم ترحم ضعف داود و تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلوف من بعدي » الحديث. وروى أحمد والحكيم و ابن جرير عن عطاء الخراساني أن داود عليه السلام نقش خطيئته منقوشة في كفه.

**( و يروى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه )** بعد الخطيئة **( إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل )** رواه ابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد من طريق عطاء بن السائب، عن أبي عبدالله الجدلي. و روى ابن جرير والحاكم عن السدي أنه ما استطاع بعد الخطيئة أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه عز وجل حتى قبض، **( و كان )** عليه السلام **( يقول في مناجاته )** :سبحانك **( إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها، و إذا ذكرت رحمتك إرتدت إلي روحي. سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤساً للقانطين من رحمتك ) )** .رواه أحمد في الزهد عن عثمان بن أبي العالية قال: كان من دعاء داود عليه السلام فذكره.

وقال الفضيل: بلغني أنّ داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخاً واضعاً يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال: ارجعوا لا أريدكم، إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء، ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء. وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول: دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام واشتعال الحشى وقبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وقال عبد العزيز بن عمر: لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال: إلهي بح صوتي في صفاء أصوات الصدّيقين. وروي أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتدّ غمه، فقال: يا رب أما ترحم بكائي؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك، فقال: إلهي وسيدي كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلني الطير على رأسي وأنست الوحوش إلى محرابي، إلهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية، يا داود

---

( **وقال الفضيل** ) بن عياض رحمه الله تعالى: ( **بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخاً واضعاً يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال: ارجعوا لا أريدكم إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء، ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء** )؟رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الخائفين، ( **و كان** ) عليه السلام ( **يعاتب في كثرة البكاء فيقول: دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام واشتعال الحشى، وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون** ).رواه أحمد في الزهد فقال: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر عن اسماعيل بن عبيدلله بن ابي المهاجر أن داود النبي عليه السلام كان يعاتب في كثرة البكاء فذكره إلا انه قال: واشتعال اللحى بدل الحشى. و رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه.

( **وقال عبد العزيز بن عمر** ) بن عبد العزيز بن مروان الأموي أبو محمد المدني نزيل الكوفة صدوق مات في حدود الخمسين روى له الجماعة: ( **لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال: الهي بح صوتي عن صفاء أصوات الصديقين. و روي أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه قال: يا رب أما ترحم بكائي؟ فأوحى الله إليه: يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال: إلهي و سيدي كيف أنسى ذنبي و كنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه و سكن هبوب الريح و أظلني الطير على رأسي وأنست الوحوش إلى محرابي. إلهي و سيدي فما هذه الوحشة التي بيني و بينك، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ذاك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية. يا داود آدم خلق من خلقي**

آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكا إليّ الوحدة فزوجته حواء أمتي وأسكنته جنتي، عصاني فطردته عن جواري عرياناً ذليلاً، يا داود اسمع مني والحق أقول: أطعتنا فأطعناك، وسألتنا فأعطيناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك.

وقال يحي بن أبي كثير: بلغنا أنّ داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر إلى البرية، فأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع، فينادي فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأتِ قال فتأتي الوحوش من البراري والآكام وتأتي السباع من الغياض وتأتي الهوام من الجبال وتأتي الطير من الأوكار وتأتي العذارى من خدورهن. وتجتمع الناس لذلك اليوم، ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه، فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من

---

**خلقته بيدي و نفخت فيه من روحي و أسجدت له ملائكتي و ألبسته ثوب كرامتي و توجته بتاج وقاري، و شكا إلي الوحدة فزوجته حواء أمتي و أسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عرياناً ذليلاً. يا داود اسمع مني الحق أقول أطعتنا فأطعناك و عصيتنا فأمهلناك وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(**وقال يحي بن أبي كثير**)الطائي مولاهم أبو نصر اليامي ثقة ثبت كثير الإرسال مات سنة اثنتين و ثلاثين روى له الجماعة:(**بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر**) وهو الكرسي الذي يقعد عليه (**إلى البرية**) أي الصحراء (**فأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض و الآكام و الجبال و البراري والصوامع والبيع فينادي فيها: ألا من أراد أن يسمع نوح داود عليه السلام على نفسه فليأت. قال: فتأتي الوحوش من البراري و الآكام، و تأتي السباع من الغياض، وتأتي الهوام من الجبال، و تأتي الطير من الاوكار، و تأتي العذارى من خدورهن و يجتمع الناس لذلك اليوم، و يأتي داود حتى يرقى المنبر و تحيط به بنو اسرائيل و كل صنف على حدته يحيطون به، و سليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع**

الوحوش والسباع والناس، ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة، فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام، فيأخذ في الدعاء، فبينما هو كذلك إذ ناداه بعض عباد بني إسرائيل: يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك؛ قال فيخر داود مغشياً عليه فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر منادياً ينادي ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول: يا من قتله ذكر النار، يا من قتله خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول: يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي ربه، فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول، يا أبتاه تقوّ بهذا على ما تريد، فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم.

وقال يزيد الرقاشي: خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوّفهم فخرج في أربعين

---

والناس، ثم يأخذ في ذكر أهوال القيامة) وشدائدها (وعلى النياحة على نفسه فيموت من كل نوح طائفة، فإذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى قال: يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق و ماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش و الهوام فيأخذ في الدعاء) لنفسه، (فبينما هو كذلك إذ ناداه بعض عباد اسرائيل: يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك. قال: فيخر داود مغشياً عليه، فإذا نظر سليمان إلى ذلك أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر منادياً ينادي: ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله، فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الله والجنة والنار، فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها) عليه (و تقول: يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله، ثم أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول: يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي، فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول: يا أبتاه تقو بهذا على ما تريد، فيأكل من ذلك القرص ماشاء ثم يخرج إلى بني اسرائيل فيكون بينهم) أخرجه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

وروى ابن أبي شيبة، و أحمد، و عبد بن حميد عن صفوان بن محرز قال: كان لداود عليه السلام يوم يتأوه فيه فيقول: أوه من عذاب الله أوه من عذاب الله أوه من عذاب الله.

(وقال) أبو عمرو (يزيد) بن ابان (الرقاشي) بالتخفيف البصري القاص بالتشديد

ألفاً فمات منهم ثلاثون ألفاً وما رجع إلا في عشرة آلاف، قال: وكان له جاريتان اتخذهما، حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: دخل يحي بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج، فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف، ونظر إلى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدّوا أنفسهم إلى أطراف بيت المقدس، فهاله ذلك، فرجع إلى أبويه فمرّ بصبيان يلعبون، فقالوا له: يا يحي، هلم بنا لنلعب فقال: إني لم أخلق للعب، قال: فأتى أبويه فسألهما ان يدرعاه الشعر ففعلا، فرجع إلى بيت المقدس وكان يخدمه نهاراً ويصبح فيه ليلاً، حتى أتت عليه خمس عشرة سنة، فخرج ولزم أطواد الأرض وغيران الشعاب، فخرج أبواه في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول: وعزتك وجلالك لا أذوق

---

زاهد ضعيف، روى له البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه: **( خرج داود )** عليه السلام **( ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفاً فمات منهم ثلاثون ألفاً وما رجع إلا عشرة آلاف )** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين. **( قال )** يزيد: **( وكان له )** عليه السلام **( جاريتان اتخذهما حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه و مفاصله فيموت )**.وروى ابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد من طريق ثابت عن صفوان بن عروة قال: كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يشدها إلا الله فإذا ذكر رحمته تراجعت.

**( وقال ابن عمر رضي الله عنهما: دخل يحي بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج، فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر و الصوف )** وهي الجبب منها ضيقة الكمين، **( و نظر إلى مجتهديهم قد خرقوا التراقي )** جمع ترقوة وهي عظم الرقبة **( وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم إلى أطراف بيت المقدس فهاله ذلك )** لأنه لم يكن رأى قبل ذلك مثله، **( فرجع إلى أبويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا: يا يحي. هلم بنا لنلعب. فقال: إني لم أخلق للعب. قال: فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا فرجع إلى بيت المقدس و كان يخدمه نهاراً و يصبح فيه ليلاً )** أي يسرج السرج، **( حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج )** هائماً **( و لزم أطواد الأرض )** أي جبالها **( وغيران الشعاب )** جمع غور وهي المنخفضة من الأراضي والشعاب الثنايا بين الجبلين، **( فخرّج أبواه في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن )**.وهي على أميال بيت المقدس **( وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول: و عزتك و جلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك. فسأله أبواه أن**

بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك، فسأله أبواه إن يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه. فمدح بالبر فرده أبواه إلى بيت المقدس، فكان إذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه، فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خدّيه وبدت أضراسه للناظرين، فقالت له أمه: يا بني لو أذنت لي أن اتخذ لك شيئاً تواري به أضراسك عن الناظرين فأذن لها، فعمدت إلى قطعتي لبود فألصقتها على خدّيه، فكان إذا قام يصلي بكي فإذا استنقعت دموعه في القطعتين أتت إليه أمه فعصرتها، فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعي أمه قال: اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين، فقال له زكريا يوماً: يا بني إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقر عيناي بك فقال يحي يا أبت إن جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء. فقال زكريا عليه السلام: يا بني فابكِ.

---

يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن [illegible] فمدح بالبر) يعني في قوله تعالى: ﴿وبرا بوالديه﴾ [مريم: ١٤] أي كان لا [illegible] صيهما، (فرده إلى بيت المقدس فكان إذا قام يصلي بكى حتى تبكي معه الشجر وا[illegible]، ويبكي ز[illegible] عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه، فلم يزل يبكي حتى أخرقت [illegible]مرعه لحم خا[illegible]يه) أي شقته (وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه: يا [illegible]ذنت لي أن اتخذ شيئاً يواري أضراسك فأذن لها فعمدت إلى قطعتي لبود فألصقت[illegible] على [illegible]، فكان إذا قام يصلي بكى فإذا استنقعت من دموعه في القطعتين أتت إليه امه فعصرتها، فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعي أمه قال: اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوماً: أنا سألت ربي أن يهبك لي لتقر عيناي، فقال يحي: يا أبت إن جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء. فقال زكريا عليه السلام: يا بني فابك). روى أحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخرائطي، وابن عساكر عن معمر بن راشد قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب. قال: ما للعب خلقت فهو قوله ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ [مريم: ١٢].

وروى عبد الرزاق، وعبد بن حميد من طريق معمر عن قتادة قال: جاء الغلمان إلى يحي بن زكريا فقالوا: اخرج بنا يلعب. فقال: ما للعب خلقت. قال: فانزل الله ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾.

وروى الحاكم في التاريخ من طريق نبتل بن سعيد عن الضحاك عن بن عباس رفعه قال الغلمان ليحي بن زكريا: اذهب بنا نلعب. فقال يحي: ما للعب خلقنا اذهبوا نصلي.

وروى إسحاق بن بشر في المبتدأ، وابن عساكر عن بن عباس قال: مر يحي بن زكريا على

**وقال المسيح عليه السلام : معاشر الحواريين ، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا ، بحق أقول لكم : إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل .**

**وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل ، فيأتيه جبريل فيقول له : ربك يقرئك السلام ويقول : هل رأيت خليلاً يخاف خليله ؟ فيقول يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي ، فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فإنهم أعرف خلق الله بالله وصفاته ،**

---

صبية أتراب له يلعبون على شاطىء نهر بطين وبماء ، فقالوا يا يحي تعال حتى نلعب . فقال : سبحان الله أوللعب خلقنا .

وروى ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمٰن بن القاسم قال : قال مالك : بلغني أنه لم يكن ليحي عيشة إلا عشب الأرض وإن كان ليبكي من خشية الله حتى لو كان على خده القار لأذابه ، ولقد كان الدمع اتخذ في وجهه مجرى .

وروى ابن أبي شيبة ، و أحمد في الزهد ، وابن عساكر عن أبي إدريس الخولاني قال : كان يحي ابن زكريا يأكل العشب و إن كان ليبكي من خشية الله تعالى حتى لو كان القار على عينه لحرقه ، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه .

**( وقال المسيح عليه السلام : معاشر الحواريين خشية الله و حب الفردوس يورثان الصبر على المشقة و يباعدان عن الدنيا )** .قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبدالله بن أحمد بن عقبة ، حدثنا حماد بن الحسن ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا مالك بن دينار قال : قال عيسى عليه السلام : خشية الله وحب الفردوس يباعدان من زهرة الدنيا ويورثان الصبر على المشقة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا حاجب بن أبي بكر ، حدثنا حماد بن الحسن ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر ، حدثنا مالك قال : قال عيسى عليه السلام : **( بحق أقول لكم : إن أكل الشعير و النوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل )** . ولفظ الحلية : لقليل في طلب الفردوس . وأخرجه ابن عساكر في ترجمة مالك بلفظ : أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس .

**( وكان الخليل صلوات الله وسلامه عليه إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل ، فيأتيه جبريل )** عليه السلام **( فيقول له : ربك يقرئك السلام ويقول : هل رأيت خليلاً يخاف خليله ؟ فيقول : يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي )** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين . **( فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل**

صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله المقرّبين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

## بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف:

روي أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر: ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشراً. وقال أبو ذرّ رضي الله عنه: وددت لو أني شجرة تعضد وكذلك قال طلحة. وقال عثمان رضي الله عنه: وددت إني إذا مت لم أبعث. وقالت عائشة رضي الله عنها. وددت إني كنت نسياً منسياً. وروي أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه، فكان يعاد أياماً وأخذ يوماً تبنة من الأرض فقال: يا

---

**فيها فإنهم أعرف خلق الله بالله وصفاته)**. وقس نفسك وتأمل في القصور عن لحوق درجاتهم **(صلوات الله)** وسلامه **(عليهم أجمعين وعلى كل عبد مصطفى وعلى عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل)**.

**بيان أحوال الصحابة و التابعين و السلف الصالحين في شدة الخوف:**

**(روي أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال)** يوماً **(لطائر: ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشراً)** نقله صاحب القوت. **(و قال أبو ذر رضي الله عنه: وددت لو أني شجرة تعضد)** كذا في القوت. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حبان، حدثنا أبو يحي الرازي، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي ذر قال: والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقاررتم على فرشكم، والله لوددت أن الله خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها. **(و كذا قال طلحة)** بن عبيدالله التيمي رضي الله عنه أحد العشرة. و لفظ القوت: و قول طلحة: وددت أني لم أخلق. **(و قال عثمان رضي الله عنه: وددت أني إذا مت لم أبعث)** كذا في القوت. و روي ذلك عن بن مسعود قال صاحب الحلية بسنده عن مسروق قال رجل عند عبدالله: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أكون من المقربين أحب الي قال: فقال عبدالله: لكن ههنا رجلاً ود أنه ذا مات لم يبعث - يعني نفسه - وفي الزهد لأحمد من طريق عبدالله بن الردمي قال: بلغني أن عثمان رضي الله عنه قال: لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير. وفي الحلية من طريق السري بن يحي عن الحسن قال: قال ابن مسعود: لو وقفت بين الجنة والنار فقيل لي اختر نخيرك من أيهما تكون أحب إليك أم تكون رماداً لأحببت أن أكون رماداً. **(و قالت عائشة رضي الله عنها: وددت أني كنت)** حيضة **(نسياً منسياً)** كذا في القوت. **(وروي أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه، فكان يعاد أياماً)** رواه هشام عن الحسن بلفظ: إن عمر كان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط و يعاد، و رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن عفان، عن جعفر بن سليمان،

ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئاً مذكوراً، يا ليتني كنت نسياً منسياً، يا ليتني لم تلدني أمي. وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال رضي الله عنه: من خاف الله لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. ولما قرأ عمر رضي الله عنه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وانتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠] خر مغشياً عليه، ومر يوماً بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة: ﴿والطور﴾ فوقف يستمع، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۞ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧ - ٨] نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زماناً، ورجع إلى منزله فمرض شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه. وقال

---

عن هشام، عن الحسن قال: كان عمر يمر بالآية في ورده فتخنقه العبرة فيبكي حتى يسقط ثم يلزم بيتـه حتى يعاد يحسبونه مريضاً. **(و أخذ يوماً تبنة من الأرض فقال: ياليتني كنت هذه التبنة ياليتني لم أك شيئاً مذكوراً. ياليتني كنت نسياً منسياً. ياليتني لم تلدني أمي)** رواه شعبة عن عاصم بن عبيدالله، عن عبدالله بن عامر بن ربيعة بلفظ: أخذ عمر تبنة فقال: ليتني كنت هذه ليتني لم أخلق ليتني لم أك شيئاً. وفي لفظ: رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال: ياليتني هذه التبنة ليتني لم أك شيئاً ليت أمي لم تلدني ليتني كنت نسياً منسياً. **(و كان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان من )** آثار **( الدموع )** رواه صاحب الحلية من طريق عبدالله بن عيسى قال: كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء. **(و قال عمر رضي الله عنه: من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد و لولا يوم القيامة لكان غير ما ترون)**. رواه صاحب الحلية عن محمد بن علي بن حبيش، حدثنا عبدالله بن محمد البغوي، حدثنا أبو نصر التمار، حدثنا بقية عن إبراهيم بن أدهم عن أبي عبدالله قال: قال عمر: من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يصنع ما يريد و لولا القيامة لكان غير ما ترون. ومن طريق أحمد بن علي الأبار، حدثنا عبيد بن هشام الجيلي، حدثنا بقية فقال في حديثه عن أبي عبدالله الخراساني، وفيه: من اتقى الله لم يقل كلما علم.

قلت: وقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعاً «من اتقى الله كل لسانه ولم يشف غيظه» وقد تقدم.

**( ولما قرأ عمر رضي الله عنه ﴿إذا الشمس كورت﴾ و انتهى إلى قوله تعالى ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ خر مغشياً عليه. و مر يوماً بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة ( والطور ) فوقف يستمع فلما بلغ قوله ﴿إن عذاب ربك لواقع ۞ ماله من دافع﴾ نزل عن حماره و استند إلى حائط و مكث زماناً )** يتأمل فيه، **( و رجع إلى منزله فمرض شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه )** و مثل هذا من أحوال عمر رضي الله عنه معروف. روى ابن جريج، عن بن أبي مليكة أخبرني علقمة بن وقاص قال: كان عمر يقرأ في العشاء الآخرة سورة

**علي كرّم الله وجهه: وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده: لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أرَ اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله تمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم، والله فكأني بالقوم باتوا غافلين، ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم. وقال عمران بن حصين: وددت أن أكون رماداً تنسفني الرياح في يوم عاصف. وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقى. وكان علي بن الحسين**

---

يوسف و أنا في مؤخر الصف، حتى إذا ذكر يوسف، سمعت نشيجه. وعن عبدالله بن شداد قال: سمعت عمر يقرأ في الصبح بسورة يوسف فسمعت نشيجه و إني لفي آخر الصفوف وهو يقرأ ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦] وعن ابن عمر قال: سمعت حنين عمر من وراء ثلاث صفوف.

**(وقال علي كرم الله وجهه، وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة)** أي تغير لون من غم **(وهو يقلب يده)** ظهراً لبطن: **(لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أر اليوم شيئاً يشبههم. لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى)** أي من أثر السجود. **(قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا)** أي اهتزوا **(كما تميد الشجرة في يوم الريح)** أي تهتز يميناً وشمالاً، **(وهملت أعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله كأني بالقوم باتوا غافلين)** أي عن ذكر الله تعالى. **(ثم قام)** من موضعه **(فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم)** عبد الرحمن المرادي رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن جعفر وعلي بن أحمد قالا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يزيد أبو هاشم، حدثنا المحاربي، عن مالك بن مغول، عن رجل من جعفي عن السدي عن أبي أراكة قال: صلى علي الغداة ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كان عليه كآبة ثم قال: لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفراً بين أعينهم مثل ركب المعزي قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فأنهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم، والله لكان القوم باتوا غافلين.

**(وقال عمران بن الحصين)** رضي الله عنه **(وددت أني أكون رماداً تنسفني الرياح في يوم عاصف)** وقد روي مثل ذلك عن ابن مسعود قال: ليتني أني أكون رماداً. وفي رواية عنه: ليتني كنت بعرة، ليتني لم أك شيئاً وقد تقدم قريباً.

**(وقال أبو عبيدة)** عامر **(بن الجراح)** رضي الله عنه **(وددت أني كبش فيذبحني أهلي**

رضي الله عنه إذا توضأ اصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟ وقال موسى بن مسعود: كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه. وقرأ مضر القارىء يوماً: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩] الآية، فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه، فلما أفاق قال وعزتك لا عصيتك جهدي أبداً، فأعني بتوفيقك على

---

**فيأكلون لحمي ويحسون مرقي)** هذا قد روي عن عمر رضي الله عنه رواه هناد في الزهد من طريق الضحاك قال، قال عمر: ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديداً ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أك بشراً.

**(وكان)** زين العابدين **(علي)** بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه **(إذا توضأ أصفر لونه فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟)** رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا العتبي، حدثنا أبي قال: كان علي بن الحسين إذا فرغ من وضوئه وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة فقيل له في ذلك فقال: ويحكم أتدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجي؟ وقد روي مثل ذلك عن عطاء السلمي أخرجه أبو نعيم في الحلية.

**(وقال موسى بن مسعود)** أبو حذيفة النهدي البصري. قال العجلي: ثقة صدوق. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: صدوق معروف بالثوري، وقيل: إن الثوري تزوج أمه لما قدم البصرة مات سنة عشرين ومائتين وله إثنتان وتسعون سنة. روى عنه البخاري، وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه: **(كنا إذا جلسنا إلى)** سفيان **(الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

**(وقرأ مضر القارىء يوماً)** قوله تعالى: **(﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعلمون﴾ فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه، فلما أفاق قال: وعزتك لاعصيتك جهدي أبداً فأعني بتوفيقك على عبادتك)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا محمد بن إدريس، حدثنا عبدالله بن عبيد، عن مضر القارىء قال: سمعت عبد الواحد بن زيد يقول.: وعزتك ما أعلم لمحبتك فرجاً دون لقائك والإشتفاء من النظر إلى جلال وجهك في دار كرامتك، فيا من أحل الصادقين محل الكرامة وأورث البطالين منزل الندامة اجعلني ومن حضرني من أفضل أوليائك زلفاً وأعظمهم منزلة وقربة تفضلاً منك علي وعلى إخواني يوم تجزي الصادقين بصدقهم جنات قطوفها دانية متدلية عليهم ثمرها.

طاعتك. وكان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع شيئاً من القرآن، لشدّة خوفه، ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياماً، حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [ مريم: ٨٥-٨٦ ] فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين، أعد عليّ القول أيها القارىء، فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة. وقرىء عند يحيى البكاء ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [ الأنعام: ٣٠ ] فصاح صيحة مكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة. وقال مالك بن دينار: بينا أنا أطوف بالبيت إذ أنا بجويرية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها: يا رب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار؟ وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى

---

( **وكان المسور بن مخرمة** ) بن نوفل القرشي أبو عبد الرحمن الزهري له ولأبيه صحبه، وأمه الشفاء بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف، توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين، ومات بمكة في فتنة ابن الزبير سنة أربع وسبعين وهو يومئذ ابن ثلاث وستين، روى له الجماعة. ( **لا يقوى أن يسمع القرآن لشدة خوفه، ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياماً، حتى أتى عليه رجل من خثعم** ) بن أنمار ( **فقرأ عليه** ) قوله تعالى: ( **﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ فقال: أنا من المجرمين ولست من المتقين أعد علي القول أيها القارىء، فعاد عليه فشق شهقة فلحق بالآخرة** ). هكذا ذكره المصنف في سبب موته، والذي ثبت من قول عمرو بن علي الفلاس أنه أصابه المنجنيق في فتنة ابن الزبير وهو يصلي في الحجر. فمكث خمسة أيام ثم مات، فلعل هذه القصة إن صحت كانت في أثناء هذه الأيام الخمسة أو حصل التصحيف من النساخ في صاحب القصة.

( **وقرىء عند يحيى البكاء** ) هو يحيى بن مسلم أو ابن سليم مصغراً وهو ابن خلية البصري المعروف بالبكاء لكثرة بكائه، الحداني مولاهم ضعيف مات سنة ثلاثين ومائة، روى له الترمذي وابن ماجه، وله ذكر في الحلية في ترجمة محمد بن واسع، أخرج من طريق حماد بن زيد قال: دخلنا على محمد بن واسع نعوده في مرضه فجاء يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا: يا أبا عبدالله هذا أخوك أبو سلمة على الباب. قال: من أبو سلمة؟ قالوا: يحيى. قال: من يحيى؟ قالوا: يحيى البكاء. قال حماد وقد علم أنه يحيى البكاء فقال: إن شر أيامكم يوم نسبتم إليّ البكاء ( **﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾** ) الآية ( **فصاح صيحة ومكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة** ) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

( **وقال** ) أبو محمد ( **مالك بن دينار** ) البصري رحمه الله تعالى: ( **بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية** ) أي صبية ( **متعبدة وهي متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها. يا رب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار؟ وتبكي، فما زال**

طلع الفجر، قال مالك: فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخاً أقول: ثكلت مالكاً أمه. وروي أن الفضيل رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة، حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: واسوأتاه منك وإن غفرت، ثم انقلب مع الناس. وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين؟ فقال: قلوبهم بالخوف قرحة، وأعينهم باكية، يقولون: كيف نفرح والموت من ورائنا، والقبر أمامنا، والقيامة موعدنا، وعلى جهنم طريقنا، وبين يدي الله ربنا موقفنا، ومرّ الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن: يا فتى، هل مررت بالصراط؟ قال: لا. قال: فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا. قال: فما هذا الضحك؟ قال: فما رؤي ذلك الفتى بعدها ضاحكاً. وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزاً على قدميه، فيقال له: لو اطمأننت؟

---

**ذلك مقامها حتى طلع الفجر. قال مالك: فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخاً أقول ثكلت مالكاً أمه)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(**وروي أن الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: واسوأتاه منك إن غفرت ثم انقلب مع الناس**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا الفضل بن محمد الجندي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: وقفت مع الفضيل بن عياض بعرفات فلم أسمع من دعائه شيئاً إلا أنه واضع يده اليمنى على خده وواضع رأسه يبكي بكاء خفياً، فلم يزل كذلك حتى أفاض الإمام، فرفع رأسه إلى السماء وقال: واسوأتاه والله منك إن عفوت ثلاث مرات.

(**وسئل ابن عباس رضي الله عن الخائفين**) أي عن وصفهم (**فقال**): هم الذين (**قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم**) منه (**باكية يقولون: كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله ربنا موقفنا**) وهذا منه رضي الله عنه بيان عن الخائفين من صفاته.

(**ومرّ الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**بشاب وهو مستغرق في ضحكة وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن: يا فتى هل مررت بالصراط؟ قال: لا. قال: فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا. قال: فما هذا الضحك؟ قال: فما رؤي ذلك الفتى بعدها ضاحكاً**) نقله صاحب القوت.

(**وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزاً على قدميه فيقال له: لو اطمأننت.**

فيقول تلك جلسة الأمن، وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى. وقال عمر بن عبد العزيز: إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كي لا يموتوا من خشية الله تعالى، وقال مالك بن دينار: لقد هممت إذا أنا مت آمرهم أن يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي إلى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق إلى سيده. وقال حاتم الأصم: لا تغتر بموضع صالح، فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي: ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من المصطفى ﷺ ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه. وقال السري: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسودّ وجهي. وقال أبو حفص: منذ أربعين سنة اعتقادي

---

**فيقول: تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن إذا عصيت الله تعالى. وقال عمر بن عبد العزيز )** رحمه الله تعالى: **( إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى )** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

**( وقال )** أبو يحي **( مالك بن دينار )** البصري رحمه الله تعالى: **( لقد هممت إذا أنا مت آمرهم أن يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي إلى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق إلى سيده )**. ولفظ الحلية: لقد هممت أن آمر إذا مت فأغل وأدفع إلى ربي مغلولاً كما يدفع البعد الآبق إلى مولاه. رواه عن أبي بكر بن مالك، عن عبدالله بن أحمد، حدثني عبدالله بن عمر القواريري، حدثنا جعفر بن سليمان قال، قال مالك بن دينار فساقه.

**( وقال حاتم )** بن علوان **( الأصم )** رحمه الله تعالى. **( لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة، وقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي )** أي من الهبوط منها والبعد عن حظيرتها بسبب المخالفة، **( ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده )** حتى كان يلقب بطاوس الملائكة **( لقي ما لقي )** من اللعن والطرد بسبب الكبر، **( ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام )** بن باعوراء من علماء بني إسرائيل **( كان يحسن إسم الله الأعظم )** هذا هو المشهور، وقال بعضهم: بل كان أوتي النبوة **( فانظر ماذا لقي )** من الإنسلاخ عن الآيات، فكان علمه سبب هلاكه كما قال تعالى: ﴿آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ [ الأعراف: ١٧٥ ] **( ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله تعالى من المصطفى ﷺ، و )** مع ذلك **( لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه )** مع كمال قربهم إليه نقله القشيري في الرسالة.

**( وقال السري )** بن المغلس السقطي رحمه الله تعالى: **( إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكود قد أسود وجهي )** نقله القشيري في الرسالة بلفظ كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسودّ لما أخافه من العقوبة. هكذا أورده في باب الخوف، وذكر في ترجمته من أول الكتاب

في نفسي أن الله ينظر إلي نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك. وخرج ابن المبارك يوماً على أصحابه فقال: إني اجترأت البارحة على الله سألته الجنة. وقالت أم محمد بن كعب القرظي لابنها: يا بني إني أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً، وكأنك أحدثت حدثاً موبقاً لما أراك تصنع في ليلك ونهارك! فقال: يا أماه، ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي وأنا على بعض ذنوبي، فمقتني وقال: وعزتي وجلالي لا غفرت لك. وقال الفضيل: إني لا أغبط نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً، ولا عبداً صالحاً، أليس هؤلاء

---

بلفظ مخافة أن يكون قد اسوّد خوفاً من الله أن يسوّد صورتي لما اتعاطاه، وإنما خص الأنف لأن الشخصَ لا يرى من وجهه غير أنفه.

**( وقال أبو حفص )** عمر بن مسلم الحداد رحمه الله تعالى نيسابوري من كبار الأئمة ترجم له القشيري في الرسالة وقال: مات سنة نيف وستين ومائتين: **( منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إلي نظر السخط )** والمقت **( وأعمالي تدل على ذلك )** أي لكثرة الغفلات ولسوء الأدب في المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق. نقله القشيري في الرسالة.

**( وخرج )** عبدالله **( بن المبارك )** رحمه الله تعالى **( يوماً على أصحابه فقال لهم: إني قد اجترأت البارحة )** على الله حيث **( سألته الجنة )** وأنا حقير في نفسي ولا تصلح أحوالي لسؤالها، وكان حقي استعيذه من النار نقله القشيري في الرسالة.

**( وقالت أم محمد بن كعب )** ابن سليم بن عمرو بن إياس بن حيان بن قرظة **( القرظي )** المدني من حلفاء الأوس، وكان أبوه من سبي قريظة، سكن الكوفة ثم تحول إلى المدينة فسكنها. قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً مات سنة ثمان ومائة روى له الجماعة **( لابنها )** المذكور: **( يا بني إني أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً وكأنك أحدثت حدثاً موبقاً )** أي أذنبت ذنباً مهلكاً **( لما أراك تصنع في ليلك ونهارك )** أي من الإجتهاد في العبادة والبكاء من الخوف. **( فقال )** محمد. **( يا أماه ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي وأنا على بعض ذنوبي فمقتني. وقال: وعزتي لاغفرت لك )**. رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي كثير البصري قال: قالت أم محمد بن كعب لمحمد: يا بني لولا أني أعرفك صغيراً طيباً وكثيراً طيباً لظننت أنك أذنبت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار. قال: يا أمتاه وما يؤمنني أن يكون الله عز وجل اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني. وقال: إذهب لا أغفر لك مع أن عجائب القران ترد بي على أمور حتى أنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي.

**( وقال الفضيل )** بن عياض رحمه الله تعالى: **( إني لا أغبط نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة )** أي يشاهدون أهوالها. **( إنما أغبط من لم**

يعاينون يوم القيامة، إنما أغبط من لم يخلق. وروي أن فتى من الأنصار دخلته خشية النار، فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت، فجاء النبي ﷺ فدخل عليه واعتنقه فخرّ ميتاً، فقال ﷺ: «جهّزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فتت كبده» وروي عن بن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول: يا ليت أمي لم تلدني فقالت له أمه: يا ميسرة إن الله تعالى قد أحسن إليك. هداك إلى الإسلام قال أجل ولكن الله قد بيّن لنا أنا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون عنها. وقيل لفرقد السنجي: أخبرنا بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل! فقال: بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح، فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعاً في يوم واحد. وكان عطاء

---

**يخلق)** قال أبو نعيم في الحلية. حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن عيسى، عن فضيل بن عياض قال: ما أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً يعاين القيامة وأهوالها ما أغبط إلا من لم يكن شيئاً.

**(روي أن فتى من الأنصار دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت)** أي عن حضوره الجماعة مع رسول الله ﷺ، **(فجاء النبي ﷺ فدخل عليه واعتنقه)** فكشف له عن الحجاب الذي كان بينه وبين الله تعالى فلم يحتمله **(فخر ميتاً. فقال ﷺ: «جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار)** أي الخوف منها **(فتت كبده»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من حديث حذيفة، والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد بإسنادين فيهما نظر.

**(وروي عن)** ميسرة **(بن أبي ميسرة)** عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي **(أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول: يا ليت أمي لم تلدني، فقالت له أمه)** حين سمعت منه ذلك مراراً. **(يا ميسرة إن الله تعالى قد أحسن إليك)** حيث **(هداك للإسلام. قال: أجل ولكن الله قد بيّن لنا أنا واردو النار)** وهو قوله تعالى: ﴿وإن منكم الاواردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ [مريم: ٧١] **(ولم يبين لنا أنا صادرون عنها)** أي: فهذا سبب خوفي منها.

**(وقيل لفرقد)** بن يعقوب **(السبخي)** بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة بصري صدوق في حديثه لين مات سنة إحدى وثلاثين، روى له الترمذي وابن ماجه: **(أخبرنا)** يا أبا يعقوب **(بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل. قال: بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح)** يتعبدن الله عز وجل، **(فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعاً في يوم واحد)** أي غلب عليهن الخوف ففتت كبدهن فمتن، وهكذا شأن الخوف إذا أفاض من القلب إلى الكبد.

**(وكان عطاء السليمي)** بفتح المهملة وكسر اللام نسبة إلى سليمة بن مالك بن فهم بطن من

**السلمي من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبداً إنما كان يسأل الله العفو. وقيل له في مرضه: ألا تشتهي شيئاً؟ فقال: إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعاً للشهوة ويقال: أنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة. وأنه رفع رأسه يوماً ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق، وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال: هذا من أجلي يصيبهم، لو مات عطاء**

---

الأزد زاهد مشهور ويقال له العبدي أيضاً **( من الخائفين )** المشهورين بالخوف حتى يقال: إنه نسي القرآن من الخوف، وكان إذا رأى تنوراً يسجر يسقط مغشياً عليه من الخوف، وإذا فرغ من وضوئه ارتعد وبكى شديداً، وكان لدموعه حوله أثر البلل كأنه أثر الوضوء، **( ولم يكن يسأل الله الجنة أبداً إنما كان يسأل العفو )** رواه صاحب الحلية من طريق أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول: كان عطاء السليمي قد اشتد خوفه وكان لا يسأل الله أبداً الجنة، فإذا ذكرت عنده قال: نسأل الله العفو، **( وقيل له في مرضه: ألا تشتهي شيئاً؟ فقال: إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعاً للشهوة )** نقله صاحب القوت. وروى صاحب الحلية من طريق مسكين أبي فاطمة عن صالح المري قال: قلت لعطاء السليمي: إنك قد ضعفت فلو صنعنا لك سويقاً. قال: فصنعنا له سويقاً وتكلفناه. فقال: يا أبا بشر إني إذا ذكرت النار لم أبتغه. وفي رواية إذا أردت أن أشربه ذكرت هذه الآية ﴿يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان﴾ [ إبراهيم: ١٧ ] وفي رواية قال له صالح: يا شيخ قد خدعك إبليس. قال: فقال لي ويحك يا صالح إني والله إذا ذكرت جهنم ما يسيغني طعام ولا شراب. قال: قلت أنت والله في واد لا عاتبتك في هذا أبداً. **( ويقال إنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة، وأنه رفع رأسه يوماً فسقط فانفتق في بطنه فتق )** رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبدالله بن عبيدة قال: سمعت غفيرة وكانت متعبدة قد ذهب بصرها من البكاء تقول. لم يرفع عطاء رأسه إلى السماء ولم يضحك أربعين سنة، فرفع رأسه مرة فسقط ففتق فتقاً في بطنه. **( وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ )** رواه كذلك من الطريق المذكورة عن خزيمة بن زرعة حدثنا محمد بن كثير، عن إبراهيم بن آدم قال: كان عطاء يمس جسده بالليل خوفاً من ذنوبه مخافة أن يكون قد مسخ **( وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال: هذا من أجلي يصيبهم. لو مات عطاء لاستراح الناس )** رواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد من الطريق المذكور، عن يحيى بن راشد، حدثنا مرجان بن وداع الراسبي قال: كان عطاء إذا هبت ريح وبرق ورعد قال: من أجلي يصيبكم. لو مات عطاء استراح الناس. قال: وكنا ندخل على عطاء فإذا قلنا له زاد الطعام. قال: هذا من أجلي يصيبكم لو مت أنا لأستراح الناس. ورواه صاحب الحلية من طريق أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثنا إبراهيم بن يعقوب قال: كان عطاء السليمي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ ببطنه كأنه امرأة ماخض ويقول: قد كنت أرجو أن أموت قبل أن يجيء الشتاء.

لاستراح الناس. وقال عطاء: خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم في رؤوسهم جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار، ويصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين، فبينما هم يمشون إذ مر أحدهم بمكان فخّـر مغشياً عليه، فجلس اصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقاً، فجاؤوا بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره؟ فقال: إني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان. وقال صالح المري: قرأت على رجل من المتعبدين: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وأطَعْنَا الرَّسُولا﴾ [ الأحزاب: ٣٣ ] فصعق ثم أفاق فقال: زدني يا صالح فإني أجد غماً فقرأت: ﴿كُلَّمَا أرادُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [ السجدة: ٢٠ ]

---

( **وقال عطاء السليمي: خرجنا مع عتبة** ) بن أبان ( **الغلام** ) نسير ( **وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيامة وغارت أعينهم في رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ، وكأنهم قد أخرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين، فبينما هم يمشون إذ مرّ** ) عتبة ( **بمكان** ) هناك ( **فخرّ مغشياً عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقاً، فجيء بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال: إني ذكرت أني كنت عصيت الله** ) عز وجل ( **في ذلك المكان** ). ورواه أبو نعيم في الحلية أخصر منه قال: حدثنا أحمد بن بندار، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن عبدالله الجيلي، حدثني محمد بن الحسين، حدثنا عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي، حدثني أبو حسن بن اليسع قال: لقي عبد الواحد بن زيد بن عتبة الغلام في رحبة العصابين في يوم شاتٍ شديد البرد، فإذا هو يرفض عرقاً فقال له عبد الواحد: عتبة: قال: نعم. قال: فما شأنك مالك تعرق في مثل هذا اليوم؟ قال: خير. قال: لتخبرني. قال: خير. قال: فقال للإنس الذي بيني وبينك والإخاء إلا ما أخبرتني. قال: إني والله ذكرت ذنباً أصبته في هذا المكان فهذا الذي رأيت من أجل ذلك.

( **وقال** ) أبو بشر ( **صالح** ) ابن بشر ( **المري** ) رحمه الله تعالى ( **قرأت على رجل من المتعبّدين** ) يوماً قوله تعالى: ( ﴿ **يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا** ﴾ ) إلى آخره ( **فصعق ثم أفاق فقال: زدني يا صالح فإني أجد غماً، فقرأت** ) عليه قوله تعالى: ( ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها** ﴾ ) الآية ( **فخرَّ ميتاً** ) وهذا من شدة الخوف الذي غلب على القلب فاض منه إلى المرارة فانشقت ومات.

فخر ميتاً. وروي أن زرارةِ بن أبي أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ: ﴿فإذَا نُقِرَ في النَّاقُور﴾ [المدثر: ٨] خر مغشياً عليه فحمل ميتاً.

ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال: عظني يا يزيد: فقال يا أمير المؤمنين، اعلم أنك لست أول خليفة يموت، فبكى ثم قال: زدني، قال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكى ثم قال زدني يا يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل، فخر مغشياً عليه. وقال ميمون بن مهران: لما نزلت هذه الآية: ﴿وإنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣] صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هارباً ثلاثة أيام لا يقدرون عليه. ورأى داود الطائي امرأة

---

**(وروي أن)** أبا حاجب **(زرارة بن أوفى)** العامري الحرشي البصري قاضيها ثقة عابد، روى له الجماعة **(صلى بالناس الغداة، فلما قرأ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ خر مغشياً عليه فحمل ميتاً)** روى المزي في التهذيب من طريق أبي خباب القصاب قال: صلى بنا زرارة الفجر، فلما بلغ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ شهق شهقة ومات. ومن طريق بهز: أمنا زرارة في مسجد بني قشير فقرأ حتى إذا بلغ ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير﴾ خرّ ميتاً قال: فكنت فيمن حمله، وقد تقدم في تلاوة القرآن.

**(ودخل يزيد)** بن أبان **(الرقاشي)** القاص **(على عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(فقال)** له. **(عظني يا يزيد. فقال: يا أمير المؤمنين اعلم أنك لست أول خليفة يموت فبكى، ثم قال: زدني قال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكى، ثم قال: زدني يا يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل ألا فاعلم فخر مغشياً عليه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

**(وقال ميمون بن مهران)** الجزري كاتب عمر بن عبد العزيز **(لما نزلت هذه الآية ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ صاح سلمان الفارسي)** رضي الله عنه **(ووضع يده على رأسه وخرج هارباً ثلاثة أيام لا يقدر عليه)** قال العراقي: لم أقف له على أصل.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عمرو بن ميمون قال: خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة الحديث وفيه: ثم دفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب فخرجت الينا جارية سداسية فقالت: من هذا؟ فقلت: ميمون بن مهران اراد لقاء الحسن. فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ فقلت لها: نعم. فقالت يا شقي ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء؟ قال: فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاء فخرج إليه فاعتنقا فدخلنا. فقال ميمون: يا أبا سعيد إني قد أنست من قلبي غلظة فقرأ الحسن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم★ أفرأيت إن متعناهم سنين★ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون★ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧] قال: فسقط الشيخ فأريته يفحص برجليه كما تفحص الشاة المذبوحة فاقام طويلاً ثم أفاق، فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبي فخرجت به.

تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول: يا ابناه، ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولاً؟ فصعق داود وسقط مكانه. وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال: هذا رجل قطع الخوف كبده، ثم جاء وجس عروقه ثم قال: ما علمت أن في الملة الحنيفية مثله. وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه: سألت الله عز وجل أن يفتح علي باباً من الخوف، ففتح فخفت على عقلي؛ فقلت: يا رب علي قدر ما أطيق، فسكن قلبي. وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه، وكأنه أشار إلى

---

**( ورأى داود )** بن نصير **( الطائي )** رحمه الله تعالى **( امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول: يا ابناه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولاً؟ فصعق داود وسقط مكانه )**. أخرجه أبو نعيم في الحلية.

**( وقيل: مرض سفيان الثوري )** مرضة **( فعرض دليله )** أي ما يستدل به على مرضه وهي القارورة **( على طبيب ذمي، فقال: )** صاحب **( هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء )** إليه **( وجس نبضه، ثم قال: ما علمت أن في الملة الحنيفية مثله )** في كمال خوفه هذا لفظ القشيري في الرسالة. ولفظ القوت: ولقد كان سفيان أحد الخائفين كان يبول الدم من شدة الخوف، وكان يمرض المرضات من المخافة، وعرض بوله على بعض أطباء الكتابيين فقال: هذا بول راهب من الرهبان. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق علي بن غنام قال: مرض سفيان الثوري بالكوفة، فبعث بمائه إلى متطبب بالكوفة، فلما نظر إليه قال: ويلك بول من هذا؟ فقالوا: ما تسأل انظر ما ترى فيه. قال: أرى بول رجل قد أحرق الحزن والخوف جوفه.

**( وقال أحمد بن حنبل )** رحمه الله تعالى: **( سألت الله عز وجل أن يفتح علي باب الخوف ففتح )** علي بابه **( فخفت على عقلي فقلت: يا رب )** اعطني **( على قدر ما أطيق )** وأقدر عليه **( فسكن قلبي )** نقله القشيري في الرسالة إلا أنه قال: فسكن ذلك. وروى أبو نعيم في الحلية في ترجمة الفضيل قال: سأل داود عليه السلام ربه أن يلقي الخوف في قلبه فلم يحتمله قلبه وطاش عقله حتى ما كان يعقل صلاة ولا ينتفع بشيء فقال له: نحبك أن ندعك كما أنت أو نردك إلى ما كنت عليه؟ قال: ردني فرد إليه عقله.

**( وقال عبدالله بن عمرو بن العاص )** رضي الله عنهما: **( ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه )** رواه أحمد في الزهد عن وكيع، حدثنا عبد الجبار بن الورد، عن ابن أبي مليكة عنه قال: لو تعلمون فذكره وفيه: ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ويسجد حتى ينقطع

معنى قوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، **وقال العنبري**: اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوّة وهو يبكي ولحيته ترجف، فقال: عليكم بالقرآن، عليكم بالسلام ويحكم! ليس هذا زمان حديث، إنما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق، إنما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر. ورؤي الفضيل يوماً وهو يمشي فقيل له: إلى أين؟ قال: لا أدري، وكان يمشي والها من الخوف. وقال ذر بن عمر

---

صلبه. ورواه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق وقد تقدم قريباً (**وكأنه أشار إلى معنى قوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**) تقدم مراراً.

(**وقال العنبري**) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين بن أبي الحرّ من بني العنبر بن عمرو بن تميم التميمي البصري القاضي. قال النسائي: فقيه بصري ثقة. وقال ابن حبان: من سادات أهل البصرة فقهاً وعلماً ولي القضاء سنة سبع وخمسين ومات سنة ثمان وستين ومائة روى له مسلم حديثاً واحداً والبخاري في الأدب المفرد. (**اجتمع أصحاب الحديث عل باب الفضيل بن عياض**) رحمه الله تعالى (**فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف**) أي تضطرب (**فقال: عليكم بالقرآن**) أي بتلاوته (**عليكم بالصلاة. ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق إنما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر**). وروى أبو نعيم في الحلية من طريق الحسين بن زياد قال: سمعت الفضيل يقول: احفظ لسانك واقبل على شأنك واعرف زمانك واخف مكانك. ومن طريق يزيد بن خنيس قال، قال رجل: مررت ذات يوم بفضيل بن عياض فقلت له: أوصني بوصية ينفعني الله بها. قال: يا عبد الله اخف مكانك واحفظ لسانك واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات كما أمرك.

(**ورؤي الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**يوماً وهو يمشي فقيل له: إلى أين؟ قال: لا أدري وكان يمشي والهاً من الخوف**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر**) بن عبدالله بن زرارة الهمداني المرهبي الكوفي، وكان عمر يكنى أبا ذر وهو ثقة في الحديث. وقال العجلي: عمر بن ذر القاص كان ثقة بليغاً. وقال سفيان بن عيينة: لما مات ذر بن عمر قعد عمر على شفير قبره وهو يقول: يا بني شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شعري ما قلت وما قيل لك. اللهم إنك أمرته بطاعتك وأمرته ببري فقد وهبت له ما قصر فيه من حقي، فهب له ما قصر فيه من حقك. وعن ابن السماك قال: لما دفن عمر ابنه وقف على قبره فبكى وقال: اللهم إني أشهدك أني قد تصدقت بما تثيبني عليه من مصيبتي فيه عليه فأبكى من حضر، ثم قال: شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ثم ولّى وهو يقول: انطلقنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك، ولكن نستودعك ارحم الراحمين. مات عمر سنة ثلاث وخمسين

لأبيه عمر بن ذر : ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد ، فإذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب ، فقال : يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة . وحكي أنّ قوماً وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا : ما الذي يبكيك يرحمك الله ؟ قال : قرحة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا : وما هي ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله عز وجل . وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته : قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني . وقال صالح المري : قدم علينا ابن السماك مـرة فقال : أرني شيئاً من بعض عجائب عبادكم ، فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له ، فاستأذنا عليه ، فإذا رجل يعمل خوصاً ، فقرأت عليه ، ﴿ إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَـاقِهِـمْ وَالسَّلَاسِـلُ يُسْحَبُـونَ ★ فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [ غافر : ٧١ ـ ٧٢ ] فشهق الرجل شهقة وخرّ مغشياً عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله ، وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية

---

ومائة ، روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير له ، ووالده ذر بن عبدالله يكنى أبا عمر ثقة من أقران النخعي وسعيد بن جبير روى له الجماعة : **( ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد فإذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب ؟ فقال : يا بني ليست النائحة الثكلي كالنائحة المستأجرة )** رواه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبدالله بن أحمد قال : أخبرت عن ابن السماك قال ، قال ذر لأبيه : ما بال فذكره .

**( وحكي أن قوماً وقفوا بعابد )** فـي صومعته **( وهو يبكي فقالوا : ما الذي يبكيك يرحمك الله ؟ قال : روعة يجدها الخائفون في قلوبهم . قالوا : وما هي ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله عز وجل )** نقله صاحب القوت .

**( وكان )** أبو إسحاق إبـراهيم بـن أحمد **( الخواص )** رحمه الله تعـالى **( يبكـي ويقـول في مناجاته : إلهي قد كبرت )** سناً **( وضعف جسمي في خدمتك فاعتقني )** ،فهذا منه يدل على شدة خوفه عن التقصير في الطاعات .

**( وقال )** أبو بشر **( صالح )** بن بشر **( المري )** رحمه الله تعالى . **( قدم علينا )** البصرة **( ابن السماك )** محمد بن صبيح البغدادي القاص **( مـرة فقـال )** لي : **( أرني شيئاً من بعض عجائب عبادكم ، فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء )** وهو **( في خص له )** وهو بيت من قصب ، **( فاستأذنا عليه )** فأذن لنا **( فإذا )** هو **( رجل يعمل خوصاً )** له ، **( فقرأت )** عليه قوله تعالى : **( ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ فشهق الرجل شهقة )** فإذا هو قد يبس **( وخر مغشياً عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر )** فاستأذنا عليه فأذن لنا ، **( فقرأت )** عليه **( هذه الآية )** يعني المذكورة آنفاً

فشهق شهقة وخرّ مغشياً عليه، فذهبنا واستأذنا على ثالث، فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا، فقرأت: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس. فتركناه على حاله وخرجنا فأدرته على ستة أنفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشياً عليه، ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا. فإذا امرأة من داخل الخص تقول: ادخلوا، فدخلنا فإذا شيخ فانٍ جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا، فقلت بصوت عال: ألا إن للخلق غداً مقاماً فقال الشيخ: بين يدي من ويحك! ثم بقي مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً بصره يصيح بصوت له ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت، فقالت امرأته: اخرجوا فإنكم لا تنتفعون به الساعة، فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم؛ فإذا ثلاثة قد أفاقوا، وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى. وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتاً متحيراً لا يؤدي فرضاً فلما كان بعد ثلاث عقل. وكان يزيد بن الأسود يرى أنه من الأبدال، وكان قد حلف أنه

---

( **فشهق شهقة وخرّ مغشياً عليه** ) فخرجنا من عنده وتركناه على حاله، ( **واستأذنا على ثالث فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا** )، فدخلنا فإذا رجل جالس في مصلّى له ( **فقرأت** ) عليه هذه الآية؟ ( **﴿ ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴾ فشهق شهقة بدر الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله، فخرجنا** ) من عنده ( **فأدرته على ستة أنفس كل** ) واحد منهم ( **نخرج من عنده ونتركه** ) على حاله ( **مغشياً عليه، ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا فإذا امرأة** ) له ( **من داخل الخص** ) أي من ورائه كما هو نص الحلية ( **تقول** ) لنا: ( **ادخلوا فدخلنا فإذا شيخ فانٍ جالس في مصلاه، فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا** ) ولفظ الحلية. فلم يعقل سلامنا ( **فقلت بصوت عال: إن للخلق** ) غداً ( **مقاماً، فقال الشيخ: بين يدي من؟ ويحك ثم بقي مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً بصره** ) إلى السماء ( **يصيح بصوت له ضعيف: أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت**، فقالت امرأته: **اخرجوا** ) عنه ( **فإنكم لا تنتفعون به الساعة، فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فإذا ثلاثة** ) منهم ( **قد أفاقوا** ) من غشيتهم فيما بعد، ( **وثلاثة** ) منهم ( **قد لحقوا بالله عز وجل. وأما الشيخ** ) وهو السابع ( **فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتاً متحيراً لا يؤدي فرضاً، فلما كان بعد ثلاث** ) ولفظ الحلية بعد ثالثة ( **عقل** ) أي رجع إلى عقله. رواه صاحب الحلية عن محمد بن أحمد بن عمر، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى الدبيلي، عن عثمان بن عثمان عن صالح المري قال: قدم علينا ابن السماك مرة فقال: فساقه سواء.

( **وكان يزيد بن الأسود** ) هكذا في النسخ والصواب الأسود بن يزيد وهو ابن قيس النخعي الكوفي خال إبراهيم النخعي وابن أخي علقمة بن قيس الذي روى عن ابن مسعود وكان أسن من

لا يضحك أبداً ولا ينام مضطجعاً ولا يأكل سمناً أبداً فما رؤي ضاحكاً ولا مضطجعاً ولا أكل سميناً حتى مات رحمه الله. وقال الحجاج لسعيد بن جبير: بلغني أنك لم تضحك قط! فقال: كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدّت. وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد كيف أصبحت؟ قال: بخير، قال: كيف حالك؟ فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي؟ ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان منهم بخشبة؟ على أي حال يكون؟ قال الرجل: على حال شديدة. قال الحسن حالي أشدّ من حالهم. ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها

---

علقمة (**يرى أنه من الابدال**) قال أحمد: ويحي ثقة زاد أحمد من أهل الخير. وقال ابن سعد: ثقة وله أحاديث صالحة. وقال ميمون أبو حمزة: سافر ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما وسافر ابنه عبد الرحمن أيضاً كذلك. وقال غيره: وكان عبد الرحمن بن الأسود يصلي كل يوم سبعمائة ركعة وكانوا يقولون إنه أقل أهل بيته اجتهاداً. قال: وكانوا يسمون آل الأسود من أهل الجنة. (**وكان قد حلف أنه لا يضحك أبداً ولا ينام مضطجعاً ولا يأكل سميناً أبداً، فما رؤي ضاحكاً ولا مضطجعاً ولا أكل سميناً حتى مات رحمه الله تعالى**) بالكوفة سنة خمس وسبعين روى له الجماعة.

(**وقال الحجاج**) بن يوسف الثقفي (**لسعيد بن جبير**) بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي التابعي الشهير حين أتى به إليه فسأله عن اسمه فقال: سعيد بن جبير. قال: أنت شقي بن كسير. قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك. قال: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك في قصة طويلة في آخرها. قال الحجاج: يا غلام السيف والنطع فلما ولّى ضحك فقال الحجاج: أليس قد (**بلغني أنك لم تضحك قط؟ قال: كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت**). قال: فما أضحكك عند القتل؟ قال: من جرأتك على الله تعالى ومن حلم الله عنك. رواه المزي في التهذيب من طريق عون بن أبي شداد العبدي قال: بلغني أن الحجاج لما ذكر له سعيد فساق القصة مطوّلة.

(**وقال رجل للحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**يا أبا سعيد كيف أصبحت؟ قال: بخير، قال: كيف حالك؟ فتبسم الحسن وقال: تسألني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا السفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت**) بهم (**سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أي حال يكون؟ قال الرجل: على حالة شديدة. قال الحسن: حالي أشد من حالهم**) نقله صاحب القوت.

(**و**) يروى أنه (**دخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز**) الأموي (**على عمر رحمه الله تعالى فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت**

**فرقدت فاستبكت في منامها، ثم انتبهت فقالت: يا أمير المؤمنين إني والله رأيت عجباً، قال: وما ذلك؟ قالت: رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها، فقال: هيه، قالت: فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط، فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه، قالت: ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم فقال عمر: هيه قالت: ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك، فقال عمر: هيه. قالت: ثم جيء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خرّ مغشياً عليه فقامت إليه فجعلت تنادي في أذنه يا أمير المؤمنين، إني رأيتك والله قد نجوت! إني رأيتك والله قد نجوت! قال: وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه. ويحكى أن أويساً القرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه، فإذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقاً فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك**

---

**فاستبكت في منامها )** أي انتبهت باكية مذعورة فسئلت عن ذلك. **( فقالت: يا أمير المؤمنين إني والله رأيت عجباً قال: وما ذاك». قالت: رأيت النار وهي تزفر على أهلها )** أي تلتهب وتصوّت، **( ثم جيء بالصراط فوضع على متنها )** أي ظهرها **( فقال: هيه )** بالكسر كلمة استزادة. **( قالت: فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم )** أي سقط فيها. **( فقال )** عمر: **( هيه )** أي زيدي **( قالت: ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط فهوى، فقال عمر: هيه. قالت: ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط فهوى. فقال عمر: هيه. قالت: ثم جيء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خرّ )** منها **( مغشياً عليه، فقامت إليه فجعلت تنادي في أذنه: يا أمير المؤمنين إني رأيتك والله حتى نجوت إني رأيتك والله حتى نجوت. قال: وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه )** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

**( ويحكى أن أويساً )** بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو **( القرني رحمه الله تعالى كان يحضر عند القاص )** فيسمعه **( فيبكي من كلامه، فإذا ذكر النار صرخ أويس )** من شدة خوفه **( ثم يقوم منطلقاً فيتبعه الناس فيقولون: مجنون مجنون )** وما به جنون، وإنما هو الخوف من النار، وقد تقدم هذا وما يتعلق بأويس رحمه الله تعالى مطوّلاً.

**( وقال معاذ بن جبل )** رضي الله عنه: **( إن المؤمن لا تسكن روعته حتى يترك جسر جهنم وراءه )** نقله صاحب القوت.

جسر جهنم وراءه، وكان طاوس يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول: طير ذكر جهنم نوم الخائفين.

وقال الحسن البصري رحمه الله: يخرج من النار رجل بعد ألف عام، يا ليتني كنت ذلك الرجل، وإنما قال ذلك لخوفه من الخلود. وسوء الخاتمة. وروي انه ما ضحك أربعين سنة؛ قال: وكنت إذا رأيته قاعداً كأنه أسير قد قدّم لتضرب عنقه، وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها، فإذا سكت كأنّ النار تسعر بين عينيه. وعوتب في شدّة حزنه وخوفه فقال: لا يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع فيّ على بعض ما يكره فمقتني فقال: اذهب فلا غفرت لك. فأنا أعمل في غير معتمل.

وعن ابن السماك قال: وعظت يوماً في مجلس، فقام شاب من القوم فقال: يا أبا العباس، لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن لا نسمع غيرها. قلت: وما هي رحمك الله؟ قال قولك: لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار ثم غاب عني ففقدته في المجلس الآخر فلم أره فسألت عنه فأخبرت أنه مريض يعاد، فأتيته أعوده

---

( **وكان طاوس** ) بن كيسان اليماني التابعي ( **يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلّى كما تتقلى الحبة/في المقلى** ) كناية عن كثرة التقلب والأضطراب، ( **ثم يثب** ) عنه قائماً ( **فيدرجه** ) أي يطويه ( **ويستقبل القبلة** ) راكعاً ساجداً تالياً ( **حتى الصباح ويقول: طير ذكر جهنم نوم الخائفين** ) عن أعينهم.

( **وقال الحسن** ) البصري رحمه الله تعالى: ( **يخرج من النار رجل بعد ألف عام، ويا ليتني كنت ذلك الرجل** ) يقول: هذا وهو إمام العلماء ( **وإنما قال ذلك لخوفه** ) الشديد ( **من الخلود** ) من الأبدية ( **وسوء الخاتمة** ) قال: فبعد أن أخرج منها بوقت لا أبالي كذا في القوت. ( **و** ) عن مشاهدة معنى ما تقدم كان خوف الحسن وحزنه حتى ( **روي أنه ما ضحك أربعين سنة. قال** ) الراوي: ( **وكنت إذا رأيته قاعداً كأنه أسير قد قدم ليضرب عنقه، وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة** ) أي يشاهدها رأي العين ( **فيخبر عن مشاهدتها، فإذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه. وعوتب في شدة حزنه فقال: مـا يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي في بعض ما يكره. فمقتني. فقال: اذهب فلا غفرت لك فأنا أعمل في غير معمل** ) كذا في القوت.

( **وعن** ) أبي العباس محمد بن صبيح ( **ابن السماك** ) البغدادي الواعظ ( **قال: وعظت يوماً في مجلس فقام شاب من القوم فقال: يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن نسمع غيرها. قلت: وما هي رحمك الله؟ قال: قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار، ثم غاب عني فتفقدته في المجلس فلم أره، فسألت عنه**

**فقلت: يا أخي ما الذي أرى بك؟ فقال: يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار. قال: ثم مات رحمه الله فرأيته في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة قلت بماذا؟ قال بالكلمة. فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين، ونحن أجدر بالخوف منهم، لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة، وإلا فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا، بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدّتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا، فلا قرب الرحيل ينبهنا، ولا كثرة الذنوب تحركنا، ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوّفنا، ولا خطر الخاتمة يزعجنا، فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا، إن كان تحريك اللسان بمجرّد السؤال دون الاستعداد ينفعنا، ومن العجائب أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا، وإن أردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا،**

---

**فأخبرت أنه مريض يعاد فأتيته أعوده فقلت له: يا أخي ما الذي أرى بك؟ فقال: يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار ثم مات رحمه الله، فرأيته في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة. قلت: بماذا؟ قال: بالكلمة)** أي التي ذكرت، وقد بشر العلاء بن زياد العدوي بالجنة وكان من العباد فغلق عليه بابه سبعاً ولم يذق طعاماً وجعل يبكي ويقول: أنا في قصة طويلة حتى دخل عليه الحسن فجعل يعذله في شدة خوفه وكثرة بكائه وقال: يا أخي من أهل الجنة إن شاء الله تعالى أقاتل نفسك فما ظنك برجل يعذله الحسن في الخوف وقد كان من فوقهم من علية الصحابة يتمنون أنهم لم يخلقوا بشراً وكانوا قد بشروا بالجنة يقيناً في غير خبر كما تقدم قريباً من أقوالهم الدالة على ذلك.

**(فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء)** والصالحين **(ونحن أجدر بالخوف منهم)** و**(لكن ليس الخوف)** يكون **(بكثرة الذنوب)** ولو كان كذلك لكنا أكثر خوفاً منهم، **(بل)** إنما يكون **(بصفاء القلوب وكمال المعرفة)** وشدة التعظيم لله عز وجل **(وإلاَّ فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا)** فعميت بصائرنا، **(فلا قُرب الرحيل ينبهنا، ولا كثرة الذنوب تحركنا، ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوّفنا، ولا خطر الخاتمة يزعجنا)**؛ ولا وعظ الواعظين يؤثر فينا. **(فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا)** مما فرطنا فيه، **(فيصلحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد)** والتزود للمعاد **(ينفعنا ومن العجائب أنا إذاً أردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري)** والقفار **(وخاطرنا)** بأنفسنا وأموالنا، **(وإن أردنا رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في**

ونجتهد في طلب أرزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول: اللهم ارزقنا ، ثم إذا طمحت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بأن نقول بألسنتنا : اللهم اغفر لنا وارحمنا ، والذي إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول: ﴿وأن ليسَ للإنْسَان إلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ [ النجم: ٣٩ ] ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُور﴾ [ فاطر: ٥ ] ﴿وَيَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾ [ الانفطار: ٦ ] ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا فما هذه إلا محنة هائلة إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا ، فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا ، بل نسأله أن يشوّق إلى التوبة سرائر قلوبنا ، وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل ، إذا سمعنا الوعظ بكينا ، وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا ؛ فلا علامة للخذلان أعظم من هذا . فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشد بمنه وفضله.

ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فإن القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي ، والكثير منه وإن أفيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب

---

**حفظة وتكراره وسهرنا )** في تحصيله ، **( ونجتهد في طلب أرزاقنا )** بكل ممكن ، **( ولا نثق بضمان الله لنا )** يشير إلى قوله تعالى ﴿فوربّ السمَّاء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ [ الذاريات: ٢٣ ] وقوله تعالى: ﴿لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ [ طه: ١٣٢ ] **( ولا نجلس في بيوتنا فنقول: اللهم ارزقنا ثم إذا طمحت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم )** الذي لا يحول ولا يزول **( قنعنا بأن نقول بألسنتنا: اللهم اغفر لنا وارحمنا ، والذي إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول: ﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى )** وأن سعيه سوف يرى﴾ **( ﴿ولا يغرّنكم بالله الغرور﴾ و﴿يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم﴾ ثم كل ذلك لا ينبهنا )** عن غفلتنا **( ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا )** الكاذبة **( فما هذه إلا محنة هائلة )** مخوّفة **( إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح )** أي خالصة **( يتداركنا بها ويجبرنا ، فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا )** توبة نصوحاً ، **( بل نسأله أن يشوّق إلى التوبة سرائر قلوبنا ، وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول )** بلسانه ، **( ولا يعمل )** بجوارحه ويسمع باذنه ، **( ولا يقبل )** بقلبه . **( إذا سمعنا الوعظ بكينا وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا ، فنسأل الله تعالى أن يمن بالتوفيق والرشد )** والهداية **( علينا بمنه وفضله )** وكرمه وجوده.

**( ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه، فإن القليل من هذا يصادف القلب القابل )** لما يلقي إليه **( فيكفي )** ويغني **( والكثير منه، وإن أفيض منه على القلب الغافل فلا يغني )** ولا يكفي، **( ولقد صدق الراهب )** أي العابد من الكتابيين **( الذي حكى**

**الذي حكي عنه عيسى بن مالك الخولاني، وكان من خيار العباد أنه رآه على بيت المقدس واقفاً كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء، فقال عيسى: فما رأيته هالني منظره فقلت: أيها الراهب أوصني بوصية احفظها عنك، فقال: يا أخي بماذا أوصيك، إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل، فهو في المخافة ليله وإن أمن المغترون، وفي الحزن نهاره وإن فرح البطالون. ثم ولى وتركني فقلت: لو زدتني شيئاً عسى ينفعني؟ فقال الظمآن يجزيه من الماء أيسره، وقد صدق فإن القلب الصافي يحركه أدنى مخافة، والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ، وما ذكر من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق، فإنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحوناً بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها، وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة، إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها؛ فإذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها**

---

**عنه عيسى بن مالك الخولاني)** منسوب إلى خولان بالفتح واسمه أنكل قبيلة من قضاعة نزلت الشام، **(وكان من خيار العباد أنه رآه على باب بيت المقدس واقفاً)** على قدميه **(كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء فقال عيسى لما رأيته)** على الوصف المذكور: **(هالني منظره)** أي أفزعني **(فقلت: أيها الراهب أوصني بوصية أحفظها عنك. فقال: يا أخي بماذا أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام)** أي تناولته من كل طرف، **(فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله وإن أمن المغترون، وفي الحزن في نهاره وإن فرح البطالون، ثم ولّى)** ذاهباً **(وتركني فقلت)** له. **(لو زدتني شيئاً)** من هذا الجنس **(عسى ينفعني. فقال: الظمآن يجزيه من الماء شربة)** ولو قليلة وقد صدق الراهب فيما قاله، **(فإن القلب الصافي)** الواعي لما يلقى إليه **(يحركه أدنى مخافة)** ويكفيه، **(والقلب الجامد)** الكدر **(ينبوعنه كل المواعظ)** فلا يقبلها **(وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع والهوام، فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق، فإنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحوناً بأصناف السباع وأنواع الهوام)** المختلفة الأوصاف والأشكال **(مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها)** فلا تدركها، **(فإذا انكشف الغطاء)** وارتفع الحجاب **(ووضعت في قبرك**

وأشكالها الموافقة لمعانيها، فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك في قبرك، وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورها، فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل، وإلا فوطّن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلاً عن ظاهر بشرتك، والسلام.

---

**عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك)** أي أحاطت **(في قبرك، وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورتها، فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها)** في الدنيا **(قبل الموت فافعل وإلاّ فوطّن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك)** أي باطنه، **(فضلاً عن ظاهر بشرتك وجسمك والسلام)** وبه تم كتاب الرجاء والخوف.

ولنذكر بعض ما يتعلق بمقام الخوف مما ذكره أبو طالب المكي في القوت قال: الخوف اسم جامع لحقيقة الإيمان وهو علم لوجود الإيقان وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل أمر، وليس يحرق شهوات النفوس ويزيل آثارها إلا مقام الخوف، وقد قال ذو النون المصري: لا يسقى المحب كأس المحبة إلا من بعد أن ينضج الخوف قلبه. وقال سهل: كمال الإيمان بالعلم وكمال العلم بالخوف وقال مرة: العلم كسب الإيمان والخوف كسب المعرفة، وكل مؤمن بالله خائف ولكن خوفه على قدر قربه، وشكا واعظ إلى بعض الحكماء: ألا ترى إلى هؤلاء أعظهم واذكر فلا يرقون فقال: كيف ينتفع بالموعظة من لم يكن في قلبه من الله مخافة، وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك ﴿سيذكر من يخشى★ ويتجنبها الأشقى﴾ [الأعلى: ١٠، ١١] أي يتجنب التذكرة الشقي فجعل من عدم الخوف شقياً وحرمه التذكرة، فخوّف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقل، وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد، فأما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أمر به من الصفات المخوفة، وقد جاء في الخبر «إن العبد إذا أدخل في قبره لم يبق شيء كان يخافه دون الله تعالى الأمثل له يفزعه ويرعبه إلى يوم القيامة». فأول خوف اليقين المحاسبة للنفس في كل وقت والمراقبة للرقيب في كل حين والورع عن الاقدام على الشبهات من كل شيء من العلوم بغير يقين بها، ومن الأعمال بغير فقه فيها، ثم سجن اللسان وخزن الكلام أن لا يدخل في دين الله ولا في العلم ما لم يشرعه الله في كتابه أو يذكره الرسول في سنته أو لم ينطق به الائمة من السلف في سيرهم مما لم يكن أصله موجوداً في الكتاب والسنّة وتسميته واضحة في العلم فيجتنب ذلك كله ولا يقف ما ليس له به علم خوفاً من المسألة عنه ولا يدخل فيه لدقيق هوى يدخل عليه ولا لعظيم حظ دنيا يدخل فيه، وأن ينصح نفسه لله لأنها أولى الخلق ثم ينصح الخلق في الله. وثمرة الخوف العلم بالله والحياء من الله وهو أعلى مثوبات أهل المزيد، وأكثر ما يقع سوء الخاتمة بثلاثة طوائف: أهل البدع والزيغ في الدين لأن إيمانهم مرتبط بالمعقول فأول آية تظهر لهم من قدرة الله تعالى أن يطيح عقله عند معاينتها فيذهب إيمانه ولا يثبت لشهادتها كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح.

الطبقــة الثانية: أهل الكبر والانكار لآيات الله وكراماته لأوليائه في الحياة الدنيا لأنهم لم يكن لهم يقين يحمل القدرة ويمده الإيمان، فيعتورهم الشك ويقوى عليهم لفقد اليقين.

والطـبقة الثالثة: ثلاثة أصناف متفرقون متفـاوتـون في سـوء الخاتمة، وجميعهـم دون تينـك الطائفتين في سوء الخاتمة، لأن سوء الختم على مقامات أيضاً، كمقامات اليقين والشرك في عمر الحياة. منهم المدعي المتظاهر الذي لم يزل إلى نفسه وعمله ناظراً، والفاسق المعلن، والمقر المدمن تتصل بهم المعاصي إلى آخر العمر ويدوم تقليبهم فيها إلى كشف الغطاء، فإذا رأوا الآيات تابوا إلى الله بقلوبهم، وقد انقطعت أعمال الجوارح فليس يتأثر منهم فلا تقبل توبتهم ولا تقال عثرتهم ولا ترحم عبرتهم، وقد كان عبد الواحد بن زيد يقول: ما صدق خائف قط ظن أنه لا يدخل النار وما ظن أنه يدخل النار إلا خاف أن لا يخرج منها أبداً، وكان سهل يقول: خوف التعظيم من ميراث خوف السابقة. وقال زهير بن نعيم البابي: ما أكثر همي ذنوبي إنما أخاف ما هو أعظم علي من الذنوب أن أسلب التوحيد وأموت على غيره. وروى ابن المبارك عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة قال: كان رجل يعتزل الناس إنما هو وحده، فجاءه أبو الدرداء فقال: أنشدك الله ما يحملك على ان تعتزل الناس؟ قال: إني أخشى أن يسلب ديني وأنا لا أشعر. قال: أترى في الحي مائة يخافون ما تخاف فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة؟ قال: فحدثت بذلك رجلاً من أهل الشام فقال: ذلك شرحبيل بن السمط هو من أصحاب رسول الله ﷺ. وكان سفيان الثوري يلتفت إلى حماد بن سلمة فيقول: يا أبا سلمة ترجو لمثلي العفو أو يغفر لمثلي؟ فيقول له حماد: نعم أرجو له. وكان بعض السلف يقول: لو أني أعلم أنه يختم له بالسعادة كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس في حياتي اجعله في سبيل الله. وقال بعض العارفين: إن الله تعالى إذا أعطى عبداً معرفة ثم لم يشكره عليها ولم يحسن معاملته بها لم يسلبه إياها، بل أبقاها عليه ليحاسبه على قدرها، ولكن يرفع منه البركة ويقطع عنه المزيد، فمثل عيش هذا في الدنيا كمثل البخيل الغني يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الأغنياء، كذلك العالم البطال يحيا حياة الجهال ويحاسب غداً محاسبة العلماء، ومن أعلى المخاوف خوف سلب الإيمان الذي هو عنده وديعة وفي خزانة المؤمن يظهره كيف شاء ويبديه ويعيده إلى الغيب متى شاء، ويخفيه ذلك من صفة المكر وحكم الماكر وكثافة الستر ولطف الساتر لا تدري أهبة وهبه لك فيبقـيه عليك بكرمه وفضله أم وديعة وعارية أودعك اياه وأعارك، فيأخذه إذا لا محالة بحكمته وعدله، وقد أخفى عنك حقيقة ذلك واستأثر بعاقبته. وكان يحيى يقول: ينبغي أن يشغلك خوف قوت تأكله لا تدري أحلال هو أم حرام عن تمني الفضول، وينبغي أن يشغلك خوف ذهاب الإيمان عن تمني درجات الأبدال، فإذا لم تعطها استقللت ما قد أعطيت وأنت قد أعطيت خير شيء في خزائن الله الإيمان به، ولعمري أن الخوف على فقد الإيمان علامة الغبطة بوجوده. وقال بعض العارفين: إنما قطع بالقوم عند الوصول. وقال آخر: واخطراه ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الإيمان مع تبقية المعرفة المبتدأة تكون مستدرجاً بها ممنوعاً من المزيد، وقد لا يكون بها مدرجاً إلا أن توقف المزيد عنه هو لعلة واقفة من الهوى فيه، وقد يقسي

........................................................................

قلبه ويجري عنه وذلك من النقصان الذي يعرفه أهل التمام لأن عين الوجه من الملك للدنيا وعين القلب من الملكوت للآخرة فيمنعه ما ينفعه عنده ويعطيه ما يضره به ويفتتن عند الخلق كمن أعطي الصف المأكول. وقال مجاهد : إن الرجل لتبكي عيناه وقلبه أقسى من الحجارة. وقال مالك بن دينار : قرأت في التوراة إذا استكمل العبد النفاق ملك عينه فيبكي كما شاء.

وسئل أبو محمد سهل: هل يعطي الله أحداً من المؤمنين من الخوف زنة مثقال؟ فقال: من المؤمنين من يعطى من الخوف وزن جبل أُحد. فقيل: فكيف يكون حالهم يأكلون وينكحون وينامون؟ قال: نعم يفعلون ذلك والمشاهدة لا تفارقهم. قيل له: فأين الخوف؟ قال: يحمله حجاب القدرة بلطيف الحكمة ويستتر القلب تحت الحجاب في التصريف بصفات البشرية، فيكون مثل هذا العبد مثل المرسلين. وقال أيضاً: الخوف مباينة النهي، والخشية الورع والاشفاق وهو الزهد. وكان يقول: دخول الخوف على الجاهل يدعوه إلى العلم، ودخوله على العالم يدعوه إلى الزهد، ودخوله على العامل يدعوه إلى الإخلاص، فقد صار الخوف يصلح للكافة إذ دخوله على العام يخرجه عن الحرام ودخوله على الخاص يدخله في الورع والزهد. وقال أيضاً: الاخلاص فريضة لا تنال إلا بالخوف، ولا ينال الخوف إلا بالزهد. وقال: إنه لا يصح علم الرجاء إلا للخائف يعني لتعتدل شهادتاه بتقدمة الخوف فيكون بشهادته قائماً، وإخلاء قلبه من الخوف وانفراده بحال الرجاء يخرجه إلى الأمن والاغترار. وكان يقول: الخوف ذكر والمحبة أنثى ألا ترى أن أكثر الناس يدعون المحبة. يريد بهذا أن فضل الخوف على الرجاء كفضل الذكر على الانثى وهو كما قال: لأن الخوف حال العلماء، والرجاء وصف العمال، ففضله عليه كفضل العلم على العمل. وكان الحسن يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من طول الحزن والخوف. وقال بعض السلف: حسبك من الخوف اجتناب المعاصي. وكان الثوري يقول: ما أحب أني عرفت الأمر حق معرفته إذا لطاش عقلي. ومما يدلك على أن الخوف اسم لحقيقة العلم بالله تعالى في إحدى القراءتين من قراءة أبيّ أو عبد الله في معنى قوله تعالى: ﴿فخشينا ان يرهقهما طغياناً﴾ [ الكهف: ٨٠ ] فخاف ربك قال الفراء: معناه فعلم ربك. وقال: الخوف من أسماء العلم، ومن معنى هذا أيضاً سمي الحياء بمعنى الخشية وهي من الخوف، فجعل الحياء اسم الخشية ومن ذلك فسر قوله تعالى: ﴿وتخشى الناس﴾ [ الأحزاب: ٣٧ ] أي تستحييهم. ومما يدل على باطن الخوف كثرة الاستغفار في كل حال، والخوف من يسير الأعمال.

ومن نقل عنه المخافة من حقير الأمر الذي لعله والله أعلم زنة ذرة من الشر أكثر من أن يحصى، كما روي أن رجلاً قال لعطاء السليمي: ما هذا الخوف كله؟ قال: لعظيم، فقلت: وما هو؟ قال اصطدت حماماً لجارتي منذ أربعين سنة فأنا أبكي منذ ذلك أما أني قد تصدقت بثمنه مرات. وقال ضيغم الراسبي: ذنب أذنبته أنا أبكي عليه منذ أربعين سنة، وذلك أنه زارني أخ لي فاشتريت سمكاً بدانق فأراد أن يغسل يده فأخذت قطعة طين من حائط جاري فغسلت به يده، وقال آخر: تكلمت بكلمة أنا أبكي عليها منذ كذا. قيل: وما هي؟ قال: رأيت درهماً في يد رجل

..........................................................................................

---

فقلت: هذا الدرهم جرجاني ولعله لم يضرب بجرجان، وقال بعضهم: وصفت لنا امرأة من العوابد فأتينا منزلها فإذا هي قد غلقت بابها لا يدخل عليها أحد فسألنا عنها فقيل لنا: هي تبكي في جوف بيت قد غلقت عليها الباب منذ ثلاثة أيام لا ندري ما شأنها. قال: فسألناها بعد وقت، فقالت: قتلت نملة هذا لأنه قيل: إن الأبرار لا يؤذون الذر ولا يقتلون النمل. وبكى نصر بن جرير على معصية ثلاثين سنة، وإلى هنا انتهى بنا الكلام عن مقام الخوف، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال مؤلفه: نجز من تحرير ذلك في الساعة الثالثة من ليلة الأحد سابع عشري شهر رمضان من شهور سنة ١٢٠٠، وهي ليلة القدر على يد العبد لله أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه. أقول قولي هذا وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

# كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع
# من ربع المنجيات
# من كتاب إحياء علوم الدين

---

## بسم الله الرحمن الرحيم

## صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي أظهر من آثار جلال كبريائه ما حير مقل العيون من عجائب قدرته، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكوته ومدى سلطنته، هو الله الحق المبين، أحق وأبين مما ترى العيون؛ لم تبلغه العقول بتحديـد فيكون مشبها، ولم تقم عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً أحمده على ما وفق من الطاعة وزاد عنه من المعصية، وأسأله لمنته تماماً وبحبله اعتصاماً واشهد أن لا إله إلا هو وأن محمداً عبده الذي أرسله داعياً إلى الحق شاهداً على الخلق، فبلغ رسالات ربه غير وانِ ولا مقصر، وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر، إمام من اتقى، وبصر من اهتدى، اختاره من كرماء الأنبياء، ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مصابيح الظلمة وينابيع الحكمة وسلم تسليماً كثيراً وبعد فهذا شرح:

## كتاب الفقر والزهد

وهو الرابع من الربع الرابع الموسوم بالمنجيات من كتب الإمام حجة الإسلام قطب الائمة الأعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي تغمده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه، سلكت فيه طريق الإيضاح لحل ألفاظه الأنيقة الرائقة، وفك معانيها البديعة الشائقة، بحيث تسفر مطالبه، وتعذب مشاربه، وتورق أغصان آماله وتطلع كواكب إقباله، وتظهر منه خبايا الأسرار، وتبدو خفايا حقائقه من وراء الاستار، شافي بيانه تلين به جـلامد القلوب القاسية، وصادق برهانه تتصدع به أفئدة النفوس القاصية، وعلى الله الكريم جل شأنه مساعفة الآمال، وحسن التسديد في الأقوال والأفعال. قال المصنف رحمه الله تعالى:

## بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله الذي تسبح له الرمال، وتسجد له الظلال، وتتدكدك من هيبته الجبال. خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال، وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال،**

---

## بسم الله الرحمن الرحيم

( **الحمد لله الذي تسبّح له الرمال** ) جمع الرمل معروف والتسبيح تنزيه الله تعالى وأصله المر السريع في العبادة، وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الأبعاد في الشر فقيل: أبعده الله وجعل التسبيح عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية وقوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [ الإسراء: ٤٤ ] كقوله: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [ الرعد: ١٥ ] وإليه أشار المصنف بقوله: ( **وتسجد له الظلال** ) جمع الظل هو الفيء، وقيل: أعم من الفيء ويجمع أيضاً على أظلال وظلول وأظلة والاخير جمع الجمع، وهذا يقتضي أن يكون تسبيحاً على الحقيقة وسجوداً له على وجه لا نفقهه بدلالة قوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ ودلالة قوله: ﴿ومن فيهن﴾ بعد ذكر السموات والأرض، ولا يصح أن يكوت تقديره ﴿يسبح له من في السموات﴾ [ النور: ٤١ ] و﴿يسجد له من في السموات﴾ [ الحج: ١٨ ] لأن هذا مما نفقهه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره ثم يعطف عليه بقوله ﴿ومن فيهن﴾ والأشياء تسبح وتسجد بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار، ولا خلاف في ان السموات والأرض والدواب مسبحات بالتسخير من حيث أن أحوالها تدل على حكمة الله تعالى، وإنما الخلاف في ﴿والأرض﴾ هل تسبح باختيار والآية تقتضي ذلك وقوله تعالى: ﴿ويتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾ [ النحل: ٤٨ ] أي انشاؤه يدل على وحدانية الله وينبىء عن حكمته. وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿وظلالهم بالغدوّ والآصال﴾ [ الرعد: ١٥ ] أما ظلك فيسجد، وأما أنت فتكفر به ( **وتتدكدك من هيبته الجبال** ) أي تندق وتنهدم حتى تصير بمنزلة الأرض اللينة، وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ [ البقرة: ٧٤ ] ( **خلق الإنسان** ) أي آدم عليه السلام وبنوه ( **من الطين اللازب** ) أي اللاصق تقول منه لزب لزوباً، وهو كما قال الله تعالى: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ [ الصافات: ١١ ] ( **والصلصال** ): وهو الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف، فإذا طبخ بالنار فهو الفخار، وقيل: هو الطين المنتن من قولهم: صل اللحم إذا تغيرت رائحته، وإلى كل منها الإشارة بقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ [ الرحمن: ١٤ ] وقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ [ الحجر: ٢٦ ] وقيل: صلصال أصله صلال فقلبت إحدى اللامين صاداً، ( **وزين صورته** ) وهي ما تنتقش به الأعيان وتتميز به عن غيرها، وذلك ضربان: أحدهما: محسوس تدركه الخاصة فقط كالصورة التي اختص بها الإنسان من العقل والفهم والرؤية

**وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال، وأذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال، ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال، فلاح له من البهجة والبهاء والكمال، ما استقبح دون مبادىء اشراقه كل حسن وجمال، واستثقل كل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال، وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تميس وتختال، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال، وهي متلفقة بجلبابها لتخفي قبائح أسرارها**

---

والمعاني التي خص بها، وكانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما في العالم ( **بأحسن تقويم وأتم اعتدال** ) وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [ التين: ٤ ] وتقويم الشيء تثقيفه والاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف وكل ما تناسب فقد اعتدل، ( **وعظم قلبه بنور الهداية** ) أي حفظه به ( **عن ورطات الضلال** ) أي من الوقوع فيها كما قال تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [ الزمر: ٢٢ ] والورطات محركة جمع الورطة بسكون الراء اسم لما ضاق وشق، وقد يعبر بها عن الهلاك والأصل فيها الوحل يقع فيه الغنم فلا يقدر على التخلص، وقيل: أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد إلى الخلاص، والضلال العدول عن الطريق المستقيم عمداً أو سهواً قليلاً أو كثيراً. ( **وأذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال** ) وهو إيتاء الصلوات الخمس، فإنه طاعة المولى عز وجل وخدمته، ومن سهل له فيه فقد أذن في قرع باب خدمته، ( **ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته** ) بأن لم يشرك فيها أحداً سواه ( **بنور العبرة** ) اسم من الاعتبار، ( **حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال** )، فالحق تعالى بذاته نور لا يدرك ويدرك به ومن حيث أسماؤه نور يدرك فإذا تجلى للقلب من حيث كونه يدرك به شاهدت البصيرة المنوّرة الاغيار بنوره، فإن الأنوار الأسمائية من حيث تعلقها بالكون مخالطة بسواه، ( **فلاح له من البهجة** ) أي حسن اللون وظهور السرور ( **والبهاء** ) أي الجمال وحسن الهيئة ( **والكمال** ) أي الانتهاء إلى غاية ليس وراءها مزيد ( **ما استقبح دون مبادىء إشراقه** ) أي فيما يشرق من أنواره في أوائله ( **كل حسن وجمال** ) صار مشاهداً له في الظاهر، ( **واستثقل كل ما صرفه** ) أي منعه وحجبه ( **عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال** ) أي عده ثقيلاً إلى الغاية كما هو شأن كل صارف عن الشهود، ( **وتمثل له ظاهر الدنيا** ) فيما يراه بعين البصر ( **في صورة امرأة جميلة** ) حسناء ( **تميس** ) في بردها ( **وتختال** ) أي تعجب بنفسها مرحاً، ( **وانكشف له باطنها** ) بعين البصيرة ( **عن عجوز شوهاء** ) قبيحة الخلقة هتماء ( **عجنت من طينة الخزي** ) أي الذل والانكسار والهوان، ( **وضربت في قالب النكال** ) أي طبعت عليه والقالب بفتح اللام، ومنهم من يكسرها والنكال العقوبة الغليظة ( **وهي متلفعة بجلبابها** ) يقال: تلفعت المرأة بمرطها مثل تلحفت زنة ومعنى والتفعت كذلك ( **لتخفي قبائح أسرارها بلطائف السحر** ) أي الخداع والتخييلات التي لا

بلطائف السحر والاحتيال، وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال، **فهي** تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال، ثم لا تجتزي معهم بالخلف في مواعيد الوصال، بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال، وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال، فلما انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال، زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوها وتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال، وأقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال، واثقين منها بوصال ليس دونه انفصال، ومشاهدة أبدية لا يعتريها فناء ولا زوال، والصلاة على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آل.

**وأما بعد:** فإن الدنيا عدوّة لله عز وجل بغرورها ضل من ضل، وبمكرها زل من

---

حقيقة لها **( والاحتيال )** افتعال من الحيلة وهي ما يتوصل به إلى حالة ما من خفية وكثر استعماله فيما في تعاطيه خبث، **( وقد نصبت حبائلها )** جمع حبيلة وهي الأحبولة التي ينصبها الصائد **( في مدارج الرجال )** أي في مسالكهم حيث يدرجون **( فهي تقتنصهم بضروب )** أي أنواع **( المكر )** أي الخداع **( والاغتيال )** افتعال من الغيلة بالكسر وهو الأخذ على غرة، **( ثم لا تجزي )** أي لا تكتفي **( معهم بالخلف في مواعيد الوصال )** أي تعدهم بوصالها وتمنيهم ثم تخلف موعدها معهم، ويا ليتها لو اكتفت على هذا القدر، لا **( بل تقيدهم مع قطع )** حبال **( الوصال بالسلاسل والأغلال )** جمع الغل بالضم وهو طوق من حديث يجعل في العنق، **( وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال )** جمع نكل بالكسر القيد الشديد أو جمع نكلة بالضم ما نكلت به غيرك كائناً ما كان، **( فلما انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار )** مما تبطنه **( والأفعال )** مما تظهره **( زهدوا فيها )** أي رغبوا عنها. يقال: زهد في الشيء زهداً وزهادة إذا رغب عنه **( زهد المبغض لها )** العارف بقبائحها، **( فتركوها )** ولم يلتفتوا إليها **( وتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال وأقبلوا بكنه هممهم )** أي خالصها **( على حضرة الجلال )** وهي حضرة الحق سبحانه باعتبار احتجابه عنا بعزته، **( واثقين منها بوصال )** دائم **( ليس دونه انفصال )** أي انقطاع، **( ومشاهدة أبدية )** أي مطالعة لصورة الجمال بصفة الدوام **( لا يعتريها فناء ولا زوال )** أي نقصان عن حدها، وإلاَّ فقد يقع التفات إلى ما ارتقى عنه من مقام فيكون غينا على القلب، **( والصلاة )** الكاملة **( على سيدنا )** ومولانا **( محمد )** أبي القاسم **( وعلى آله )** وصحبه **( خير )** صحب **( وآل )** وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

**( أما بعد؛ فإن الدنيا عدوة لله عز وجل )** وعدوة لأوليائه كما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى بعض ولاته وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا، **( بغرورها ضلّ من ضلّ )** عن الصراط المستقيم، **( وبمكرها )** أي خداعها **( زلّ من زلّ )** عن المنهج القويم **( فحبها رأس الخطايا والسيئات )** كما ورد في الخبر «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ويروى ذلك أيضاً من قول عيسى عليه السلام وقد

زل، فحبها رأس الخطايا والسيئات، وبغضها أم الطاعات وأس القربات. وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات.

ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فإنه رأس المنجيات، فلا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقراً. وإما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهداً ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الإعانة على الفوز والنجاة. ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتها وأقسامها وشروطها وأحكامها ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه، ونبدأ بذكر الفقر.

## الشطر الأوّل من الكتاب في الفقر:

وفيه بيان حقيقة الفقر، وبيان فضيلة الفقر مطلقاً، وبيان خصوص فضيلة الفقراء، وبيان فضيلة الفقير على الغني، وبيان أدب الفقير في فقره، وبيان أدبه في قبوله العطاء،

---

تقدم. ( و ) إنما كان كذلك لأنه كان أساسها، فينبغي في دليله أن يكون ( **بغضها أم الط[illegible]ات وأس القربات** )، ولكن لا يسع العامة لأنهم مرادون بالعمارة وصلح ذلك لنفر من الخاصة، لا ب نقصان عددهم من الكافة لا ينقص عمارة الدنيا إذا المراد عمارتها بأهلها من أهل الهوى والشهوات، ( **وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات** ) فليراجع هناك.

( **ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها: فإنه رأس المنجيات** ) وأساسها، ( **فلا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا** ) أي عن أعراضها، ( **والبعد منها، ولكن مقاطعتها** ) لا يخلو ( **إما ان تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقراً. واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهداً، ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات** ) الأخروية ( **وحظ في الإعانة على الفوز والنجاة. ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتها وأقسامها وشروطها وأحكامها، ونذكر الفقر في شطر من الكتاب، والزهد في شطر آخر منه، ونبدأ بذكر الفقر** )، وإنما بدا بذكر الفقر بناء على تقدم وجود أصله في كل مخلوق كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿والله الغنيّ وأنتم الفقراء﴾ [ محمد ﷺ: ٣٨ ] والزهد عارض من جهة عدم ميله إلى الغنى المضر لوصول نيله.

## الشطر الأول من الكتاب في الفقر

( **وفيه بيان حقيقة الفقر، وبيان فضيلة الفقر مطلقاً، وبيان فضيلة خصوص الفقراء، وبيان فضل الفقير على الغني، وبيان آداب الفقير في فقره، وبيان أدبه في قبول العطاء،**

وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة، وبيان مقدار الغنى المحرّم للسؤال، وبيان أحوال السائلين والله الموفق للصواب بلطفه وكرمه.

## بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه:

اعلم أنّ الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه، أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقراً وإن كان المحتاج إليه موجوداً مقدوراً عليه لم يكن المحتاج فقيراً، وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجود مستفاد من فضل الله تعالى. وجوده فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاداً له من غيره فهو الغنى المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحداً فليس في الوجود إلا غني واحد وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمد وجودهم بالدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى: ﴿والله الغنيّ وأنتُمُ

---

**وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة، وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال، وبيان أحوال السائلين)** تتضمنها فصول تسعة.

**بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه:**

**( اعلم )** أغناك الله تعالى **( أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه )** مالاً أو غيره، **( أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقراً وإن كان المحتاج إليه موجوداً مقدوراً عليه لم يكن المحتاج فقيراً )** فالفقير هو الفاقد المحتاج والفقر هو الفقد والاحتياج. قال أهل اللغة: هو فعيل بمعنى فاعل وفسروه بقليل المال. قال ابن السراج: ولم يقولوا فقر أي: بالضم لأنهم استغنوا عنه بافتقر. وقال في المؤنث، فقيرة وجمعها فقراء ومثله سفيه وسفهاء ولا ثالث لهما، ويتعدى بالهمزة فيقال أفقرته فافتقر. وقال بعضهم: الفقر هو عدم الشيء بعد وجوده فهو أخص من العدم لأن العدم يقال فيه وفيما لم يوجد بعد ذكره الراغب، **( وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام الوجود مستفاد من فضل الله تعالى، فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاداً له من غيره فهو الغني المطلق، ولا يتصوّر أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحداً فليس في الوجود إلا غني واحد وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمد وجودهم بالدوام )** لما تقدم أن الفقر عبارة عن الفقد والإحتياج، ولكن الاحتياج على ضربين: احتياج مطلق واحتياج مقيد، وقد أشار المصنف إلى القسم الأول وهو افتقار العبد إلى موجد يوجده، واحتياجه إلى بقاء بعد الإيجاد، واحتياجه إلى هدايته إلى موجده بعد الابقاء، وهذا هو الفقر إلى الله تعالى لأن إيجاده وإبقاءه وهدايته بالله تعالى الذي هو واجب بذاته غني عن الاحتياج إلى غيره. وهذا الفقر واجب لأنه من عقود الايمان بالله، والحال الذي ينشأ عن هذه المعرفة شهوده فقره وحاجته على الدوام كشهوده

الفُقَراء﴾ [ محمد ﷺ : ٣٨ ] هذا معنى الفقر مطلقاً ، ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص ، وإلا ففقر العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر ، لأن حاجاته لا حصر لها . ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال ، وهو الذي نريد الآن بيانه فقط ، فنقول : كل فاقد للمال فإنا نسميه فقيراً بالإضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجاً إليه في حقه ، ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر . ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لنتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها .

**الحالة الأولى :** وهي العليا . أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضاً له ومحترزاً من شره وشغله وهو الزهد ، واسم صاحبه الزاهد .

**الثانية :** أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى

---

لعبوديته ، ( **وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى : ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ هذا معنى الفقر مطلقاً** ) قال المصنف في المقصد الأسنى : الغني هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته ، بل يكون منزهاً عن العلاقة مع الاغيار ، فمن تعلق ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج من ذاته يوقف عليه وجوده وكماله فهو محتاج فقير إلى الكسب ، ولا يتصور أن يكون غنياً مطلقاً إلا الله تعالى ، ( **لكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق ، بل الفقر من المال على الخصوص** ) وهو الذي اقتصر عليه أئمة اللغة في تفسيره ، ( **وإلاَّ ففقر العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لا تنحصر لأن حاجاته لا حصر لها . ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط** ) ، وهذا هو الفقر المقيد الذي هو القسم الثاني من الاحتياج وهو احتياجه إلى الوسائل التي تقوم بها ذاته ويستعان على تحصيلها بالمال ، فالمال هو المفقود المحتاج إليه في هذه المواضع . ( **فنقول : كل فاقد للمال فإما أن نسميه فقيراً بالإضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجاً إليه في حقه ، ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقد ، ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها** ) .

( **الحالة الأولى : وهي العليا** ) المبغض للمال الكاره له ( **بحيث أن يكون لو أتاه المال لكرهه وتأذى به** ) وتركه ( **وهرب من أخذه مبغضاً له** ) ومستثقلاً ومستحقراً ( **ومحترزاً من شره وشغله** ) عما هو الأهم وهو القرب من الله تعالى ، ( **و** ) هذا ( **هو الزهد** ) بالضم ( **واسم صاحبه الزاهد** ) يقال : زهد فيه وعنه زهداً وزهادة بمعنى تركه وأعرض عنه ، وجمع الزاهد زهاد . **يقال** للمبالغة زهيد بكسر الزاي وتشديد الهاء وزهيد يزهد بفتحتين لغة فيه .

( **الحالة الثانية : أن يكون** ) ذلك الفاقد ( **بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا** )

بها ويزهد فيه لو أتاه، وصاحب هذه الحالة يسمى راضياً.

**الثالثة:** أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه، بل إن أتاه صفواً عفواً أخذه وفرح به، وإن افتقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل به، وصاحب هذه الحالة نسميه قانعاً، إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة.

**الرابعة:** أن يكون تركه الطلب لعجزه، وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلاً إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه، أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص.

**الخامسة:** أن يكون ما فقده من المال مضطراً إليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب، ويسمى صاحب هذه الحالة مضطراً كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية، وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة، فهذه خمسة أحوال: أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصوّر ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي

---

يبغضه ولا (**يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه**) أي بتركه (**لو أتاه، وصاحب هذه الحالة يسمى راضياً**).

(**الحالة الثالثة: أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه، ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطالبه**) أي يسرع ويتحرك، (**بل إن أتاه صفواً عفواً**) أي من غير تعب (**أخذه وفرح به، وان افتقر**) إلى معالجة (**تعب في طلبه**) ومشقة (**لم يشتغل به**) ولم يلتفت إليه، (**وصاحب هذه الحالة نسميه قانعاً إذا قنع نفسه بالموجود**) الحاضر (**حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة**).

(**الحالة الرابعة: أن يكون تركه الطلب لعجزه**) عن تحصيله (**وإلاّ فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلاً إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مشغول بالطلب**) في الحال، وصاحب هذه الحالة يسمى الحريص ورغبته هي الرغبة المذمومة وهو من حرص القصار الثوب إذا قشره بالدق.

(**الحالة الخامسة: أن يكون ما فقد من المال مضطراً إليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب، ويسمى صاحب هذه الحالة مضطراً كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية قلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة**) إلا أنها ليست مذمومة. (**فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد**) وهي الحالة الأولى، (**والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصوّر ذلك**) بأن يكون كارهاً للمال مع اضطراره (**فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه**) في الشطر الثاني،

بيانه، ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقده، فإن وجده لم يفرح به ولم يتأذّ، وإن فقده فكذلك، بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها إذا أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها: ما استطعت فيما فرقت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه، فقالت: لو ذكرتيني لفعلت، فمن هذه حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره، إذ هو يرى الأموال في خزانة الله تعالى لا في يد نفسه، فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره، وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغني، لأنه غني

---

وإن انضم إلى حالة الاضطرار جزع وشكوى حرم ذلك وبين الدرجتين أوساط مختلفة المراتب، فأي فقد قارنه رضاً أو قناعة كان له فضل الراضي والقانع وإن قارنه حرص كان لا له ولا عليه إلا أن يجره الحرص إلى أخذ المال من شبهة أو حرام، فهذا هو الفقر الحرام الذي يستعاذ منه كما سيأتي، ثم أن الفقر له لواحق ثلاثة التبتل والغناء والتجريد، وقد أشار المصنف إلى هذه اللواحق بطريق التلويح فقال: **( ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهو أن يستوي عنده وجود المال وفقده )**، وتقرير ذلك أنه قد سبق أن الفقد مطلق ومقيد. فاعلم أن المطلق يراد لذاته لتعلقه بالله تعالى، والمقيد يراد لغيره لتعلقه بالمال، والحكمة في ذلك أن المال لما كان ملهياً عن الله تعالى وشاغلاً عن طاعته ومميلاً بصاحبه إلى جانب الترفه ومحرضاً له على المعصية أثنى الشرع على الفقر ليتفرغ العباد بالتبتل إلى الله تعالى والانقطاع إليه، لأن حقيقة التبتل الانقطاع إلى الله تعالى، فمن قطع تعلق قلبه عن الأغيار شغلاً به وانقطاعاً إليه فهو المتبتل، فإن وجدنا هذه صفته واستولى ذلك على قلبه حتى صار همه هماً واحداً واستوى عنده وجود المال وعدمه، **( فإن وجد لم يفرح به ولم يتأذّ وإن فقد فكذلك )** أي لا يفرحه وجوده إن وجد ولا يحزنه فقده إن فقد، **( بل حاله )** حال الغني عن دخول المال في يده وعن بقائه وعن خروجه من يده، فإنه ليس يتأذى به فيحتاج إلى الخروج ولا يفرح به فيحتاج إلى البقاء وليس فاقداً له فيحتاج إلى الدخول، وهذا **( كما كان حال عائشة رضي الله عنها إذا أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها: ما استطعت فيما فرقت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه. فقالت: لو ذكرتني لفعلت )** رواه هشام بن عروة عن أبيه أن معاوية بعث إلى عائشة مرة بمائة ألف. قال: فوالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها، فقالت مولاة لها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحماً؟ فقالت: لو قلت لي قبل أن أفرقها فعلت. ورواه محمد بن المنكدر التيمي وهو ابن خالة عائشة عن أم درة مولاة عائشة نحو هذه القصة إلا أنها قالت: بعث إليها ابن الزبير بمال في غرارتين. قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، وقد تقدم ذلك كله في كتاب ذم الدنيا **( فمن هذه حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها )** أي بتمامها **( في يده وخزائنه لم يضره إذ هو يرى الأموال في خزانة الله تعالى لا في يد نفسه، فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره، وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغني )** لا الغني **( لأنه

عن فقد المال ووجوده جميعاً، وليفهم من هذا الإسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد، فإن من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده، وإنما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه، فهو إذاً فقير من وجه، وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضاً، فإنه ليس يتأذى به ليحتاج إلى إخراجه، وليس يفرح به ليحتاج إلى بقائه. وليس فاقداً له ليحتاج إلى الدخول في يده فغناه إلى العموم أميل، فهو إلى الغني الذي هو وصف الله تعالى أقرب، وإنما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان، ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنياً بل مستغنياً، ليبقى الغني اسماً لمن له الغنى المطلق عن كل شيء. وأما هذا العبد فإن استغنى عن المال وجوداً أو عدماً فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه، فإن القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر، والله تعالى هو الذي أعتقه من هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق، والقلوب متقلبة بين الرق

---

**غني عن فقد المال ووجوده جميعاً، وليفهم من هذا الإسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله وعلى من كثر ماله من العباد، فإن من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده، وإنما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه فهو إذاً فقير من وجه، وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضاً، فإنه ليس يتأذى به فيحتاج إلى إخراجه وليس يفرح به ليحتاج إلى بقائه وليس فاقداً له ليحتاج إلى الدخول في يده، فغناه إلى العموم أميل فهو إلى الغني الذي هو وصف الله تعالى أقرب، وإنما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان)** والمراد بقرب الصفات قرب المرتبة والدرجة، وذلك بالسعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانياً قريباً من الملأ الأعلى من الملائكة، فإنهم على بساط القرب فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الحق سبحانه وتعالى، وطلب القرب من الله تعالى بالصفة أمر غامض تكاد تشمئز القلوب عن قبوله والتصديق به، وقد تقدم تلويح إلى ذلك فيما مضى في مواضع من هذا الكتاب، وهذا الذي ذكرناه هو الحظ الثالث من حظوظ المقربين في معاني أسماء الله تعالى، **(ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنياً بل مستغنياً)** وهو اصطلاح من المصنف رحمه الله تعالى انفرد به عمن تقدمه من الشيوخ، وذلك **(ليبقى الغني إسماً لمن له الغنى المطلق عن كل شيء وأما هذا العبد فإن كان استغنى عن المال وجوداً وعدماً فلم يستغن عن أشياء أخر سواه، ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقي استغناؤه الذي زين الله به قلبه، فإن القلب المقيد بحب المال رقيق)** أي بمنزلته **(والمستغني عنه حر)** أي بمنزلته، **(والله تعالى هو الذي أعتقه عن هذا**

والحرية في أوقات متقاربة، لأنها بين أصبعين من أصابع الرحمن، فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقاً عليه مع هذا الكمال إلا مجازاً.

واعلم أن الزهد درجة هي كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من المقربين، فلا جرم صار الزهد في حقه نقصاناً، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين، وهذا لأن الكاره للدنيا مشغول بالدنيا، كما أن الراغب فيها مشغول بها، والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى، إذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجاباً، فإنه أقرب إليك من حبل الوريد، وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجاباً بينك وبينه، فلا حجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره، وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره، وأنت لا تزال مشغولاً بنفسك وبشهوات نفسك فكذلك لا تزال محجوباً عنه، فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى، والمشغول

---

الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين أصبعين من أصابع الرحمن) يقلبها كيف شاء كما ورد ذلك في الخبر وتقدم، (فلذلك لم يكن إسم الغني مطلقاً عليه مع هذا الكمال إلا مجازاً)، وقد أشار إلى ذلك المصنف في المقصد الأسنى حيث قال: والله تعالى هو الغني وهو المغني أيضاً، ولكن الذي أغناه لا يتصوّر أن يصير باغنائه غنياً مطلقاً، فإن أقل أموره أنه يحتاج إلى المغني فلا يكون غنياً بل يستغني من غير الله تعالى بأن يمده الله تعالى بما يحتاج إليه بأن يقطع عنه أصل الحاجة، والغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له إلى أحد أصلاً والذي يحتاج ومعه ما يحتاج إليه فهو غني بالمال وهو غاية ما يدخل في الإمكان في حق غير الله تعالى، فأما فقد الحاجة فلا، ولكن إذا لم تبق حاجة إلا لله تعالى سمي غنياً، ولو لم تبق أصل الحاجة لما صح قوله تعالى: ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ [محمد ﷺ: ٣٨] ولولا أنه يتصور أنه يستغني عن كل شيء سوى الله تعالى لما صح لله تعالى وصف المغني.

(واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار، وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصاناً إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين) وهو قول أبي سعيد الخراز، وقد تقدم. وحاصله أن هذه الحالة هي أعلى الدرجات وهي أعلى من درجة الزهد، بل الزهد حال الأبرار وهذه حالة المقربين وهذا لأن الزاهد (الكاره للدنيا مشغول) عن الله (بالدنيا) أي يبغضها، (كما أن الراغب فيها مشغول) عن الله (بها) أي يحبها (والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى، إذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجاباً فإنه) تعالى (أقرب إليك من حبل الوريد) كما هو نص القرآن، (وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجاباً بينك وبينه) تعالى الله عن ذلك، (فإنه أقرب إليك منك فلا حجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وبشهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولاً بنفسك وبشهوات نفسك، فلذلك لا تزال محجوباً عنه، فالمشغول بحب نفسه

**ببغض نفسه أيضاً مشغول عن الله تعالى، بل كل ما سوى الله، مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق، فإن التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه، ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه، فكما أن النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص، ولكن أحدهما أخف من الآخر، بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضاً وحباً، فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضاً بغض وحب في حالة واحدة؛ فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن**

---

**مشغول عن الله، والمشغول ببغض نفسه أيضاً مشغول عن الله تعالى)**، وأما صاحب هذه الحالة فهو المستغرق الذي لا يشغله شيء عن الله تعالى، ومن قال: إن الغنى أفضل من الفقر فإن أراد هذا فهو الصواب، وإن أراد الغنى بالاعراض الدنياوية كان زيفاً، فليس ذلك من وصف الله تعالى بل الرب تعالى إذا أراد أن يحجب العبد عن معرفته وطاعته خوّله بذلك حتى يشغله بأخس جزء من الدنيا. قال الإمام أبو العباس الاقليشي رحمه الله تعالى: فمن افتقر إلى الله تعالى الافتقار الحقيقي وسأله الغنى الباقي لا العرضي أغنى نفسه الفقيرة بعلومه المنيرة، فاستفاد وأفاد وأنفق من مال لا يخاف عليه النفاد، فهذا هو الغني في الدنيا والآخرة والباقي غناه أبد الآباد، ومن حرم هذا الغنى ولو نال جميع ملك الدنيا فهو فقير، ولذلك قيل: من جهل الله فهو فقير، ولقد أجاد القائل حيث يقول:

ومـــن ينفـــق الأيـــام في جمع مـــالـــه ... مخافـــة فقـــر فـــالـــذي فعـــل الفقـــر

انتهى. وهذا القدر كاف في معرفة حقائق التبتّل والغنى الذي الفقر مطلوب لها. وأما التجريد الذي هو أحد لواحق الفقر فسيأتي بيانه في آخر الفصل.

ثم زاد المصنف في بيان حال كل من المشغولين بالحب و بالبغض وأكده بمثال فقال: **(بل كل ماسوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب)** وهو المراقب لحال العاشق المنتظر لتتبع حركاته وسكناته ويعبر عنه بالعاذل **(الحاضر في مجلس)** من مجالس السرور و اللهو. **(جمع العاشق و المعشوق فإن التفت قلب العاشق إلى حب الرقيب وإلى بغضه واستثقاله و كراهة حضوره)** في ذلك المجلس **(فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه)** لشغله به، **(ولو استغرقه العشق)** بأن ملكه ظاهراً و باطناً **(لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه)** كما هو الاستغراق، **(فكما أن النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضوره المعشوق شرك في العشق و نقص فيه، فكذا النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه و نقص، ولكن أحدهما أخف من الآخر)** لأن المبغض مقبل و الراغب مدبر، **(بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضاً و حباً فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة، فلا يجتمع أيضاً بغض و حب في حالة واحدة، فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى**

الله كالمشغول بحبها ، إلا أن المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد ، والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب ، إذ يرجى له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود ؛ فالكمال له مرتقب لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله تعالى فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ، ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدبر لها فهما سيان ، بالإضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ، ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول إليها ، وليس محموداً بالإضافة إلى المعتكف في الكعبة الملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر إلى الاشتغال بالدابة في الوصول إليها ، فلا ينبغي أن تظن أن بغض الدنيا مقصود في عينه ، بل الدنيا عائق عن الله تعالى ، ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة ، بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة ، فبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج ، فإذاً قد ظهر أن الزهد في الدنيا إن أريد به عدم الرغبة في وجودها

---

**كالمشغول بحبها إلا أن المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد ، والمشغول ببعضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب اذ يرجى له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة و تتبدل بالشهود )** و ارتفاع الحجاب من البين ، **( فالكمال له مرتقب )** أي منتظر **( لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله تعالى )** كما أن حبها مطية توصل إلى البعد عن الحضرة الالهية ، **( فالمحب و المبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة و علفها و تسييرها )** و خدمتها ، **( ولكن أحدهما مستقبل الكعبة )** بأن وجه وجهه إليها **( و الآخر مستدبر لها فهما سيان )** أي مستويان **( بالاضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة و مشغول عنها ، ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول إليها وليس محمودا بالاضافة إلى المعتكف في الكعبة الملازم لها )** ليلاً ونهاراً **( الذي لا يخرج منها حتى يفتقر إلى الاشتغال بالدابة )** بالعلف و التسيير **( في الوصول اليها ، فلا ينبغي أن تظن )** في نفسك **( أن بغض الدنيا مقصود في عينه )** أي لذاته ، **( بل بغض الدنيا عائق عن الله )** شاغل عن الوصول إليه **(ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى : **( من زهد في الدنيا و اقتصر عليه )** أي صار مشغولاً به **( فقد استعجل الراحة )** لنفسه ، **( بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة )** نقله صاحب القوت . **( فبين )** رحمة الله تعالى **( أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد ، كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج ، فإذاً قد ظهر أن الزهد في الدنيا ، إن أريد به عدم**

وعدمها فهو غاية الكمال، وإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضي والقانع والحريص، ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغني، بل الكمال في حق المال أن يستوي عندك المال والماء، وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطىء البحر، ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولاً بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير، بل تقول: أشرب منه بقدر الحاجة وأسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد، فهكذا ينبغي أن يكون المال لأن الخبز والماء واحد في الحاجة، وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر، وإذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حياً كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى.

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة: إذهب إلى البيت فخذ الركوة التي أهديتها لي فإن العدوّ يوسوس لي أن اللص قد

---

**الرغبة في وجودها و عدمها فهو غاية الكمال، فإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضي و القانع و الحريص و نقصان بالإضافة إلى درجة المستغني)** بالمعنى الذي سبق، **(بل الكمال في حق المال أن يستوي عندك المال و الماء و كثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطىء البحر ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة)** الداعية، **(مع أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولاً بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير، بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة و أسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد، فهكذا ينبغي أن يكون الماء لأن الخبز و الماء واحد في الحاجة)** أي فإن كلاً منهما يحتاج إليه في دفع الجوع و العطش، **(وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما و كثرة الآخر، وإذا عرفت الله تعالى و وثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت حياً كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى)**.

**(قال أحمد بن أبي الحواري)** الدمشقي رحمه الله تعالى، **(قلت لأبي سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى، **(قال مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى **(للمغيرة: اذهب إلى البيت فخذ الركوة التي)** كنت **(أهديتها لي فإن العدو يوسوس لي أن اللص قد أخذها)** هكذا هو في القوت.

ورواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد إلا أنه قال: الذي أهدى له الركوة هو الحرث بن نبهان الجرمي لا المغيرة، وهذا لفظه قال: حدثني علي بن مسلم، حدثنا سيار، حدثنا الحرث بن

**أخذها، قال أبو سليمان: هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهد في الدنيا ما غلبه من أخذها فبين أن كراهية كون الركوة في بيته التفات إليها سببه الضعف والنقصان.**

**فإن قلت: فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار؟ فأقول: كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ففروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والزوايا يدبرونه مع أنفسهم بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري للمحتاجين إليه، لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها إذ كان يستوي عندهم المال والماء والذهب والحجر، وما نقل عنهم من امتناع، فأما**

---

نبهان الجرمي قال: قدمت من مكة فاهديت إلى مالك بن دينار ركوة قال: و كانت عنده قال: فجئت يوماً فجلست في مجلسه فقال: يا حارث بن نبهان تعال فخذ تلك الركوة فقد شغلت على قلبي إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي: يا مالك إن الركوة قد سرقت فقد شغلت علي قلبي. و رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه.

**( قال أبو سليمان )** رحمه الله تعالى: **( هذا من ضعف قلوب الصوفية )** هو **( قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها فبين أن كراهية كون الركوة في بيته التفات إليها سببه الضعف و النقصان )** في المقام إذ كماله أن لا يبالي من أخذ متاع الدنيا. و لفظ القوت: فأراد أبو سليمان منه حقيقة الرضا بجريان الأحكام، و أراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بأن يصرف عن قلبه الاهتمام، و سيأتي في كتاب التوكل له مزيد بيان.

**فان قلت: فما بال الأنبياء )** عليهم السلام **( والأولياء هربوا من المال )** كل الهرب، **( ونفروا منه كل النفار )** وقد استوى عندهم وجوده وعدمه؟ **( فأقول: قد هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا )** منه **( أكثر من حاجتهم )** إليه في دفع العطش، **( ففروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب )** والزوايا **( يديرونه مع أنفسهم )** أو على ظهورهم، **( بل تركوه في الأنهار و الآبار و البراري للمحتاجين إليه لا )** على معنى **( أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه، فقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي بكر و عمر رضي الله عنهما، فأخذوهاووضعوها في مواضعها وما هربوا منها إذ كان يستوي عندهم المال والماء والذهب والحجر )**.

قال العراقي: وهذا معروف وقد تقدم في آداب المعيشة عن البخاري تعليقه مجزوماً من حديث أنس: أتى النبي ﷺ بمال من البحرين وكان أكثره مال أتى به، فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة فجلس إليه فما كان يرى أحداً إلا أعطاه و وصله عمر بن محمد البحيري في صحيحه من هذا الوجه. وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف. قدم أبو عبيدة

**أن ينقل عمن خاف أن لو أخذه أن يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه إلى الشهوات، وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق، لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء، وأما أن ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار نزولاً إلى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك، إذ لو اقتدوا به في الأخذ هلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رأوها فيهلكون، والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء، فقد عرفت إذاً أن المراتب ست وأعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم**

---

بمال من البحرين فسمعت الانصار قدومه الحديث. و لهما من حديث جابر: لو جاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا ،فلم يقدم حتى توفي النبي ﷺ فأمر أبو بكر منادياً فنادى: من كان له على رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتنا. فقلت: إن النبي ﷺ وعدني فحثا لي ثلاثاً انتهى.

قلت: وأما سيرة عمر رضي الله عنه: فقد روى سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، حدثنا زهير بن حيان قال: قال ابن عباس: دعاني عمر فأتيته فإذا بين يديه نطع عليه الذهب منثور فقال: فأقسم هذا بين قومك والله أعلم حيث روى هذا عن نبيه وعن أبي بكر لخير أم لشر. قال: فأكببت عليه أقسم و أزيل قال: فسمعت بكاء، وإذا صوت عمر يبكي و يقول في بكائه: كلا والذي نفسي بيده ما حبسه عن نبيه وعن أبي بكر إرادة الشر لهما و أعطاه عمر إرادة الخير له. و قال سعيد بن عامر الضبعي، قال محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قدمت من البحرين فلقيت عمر فسألني عن الناس فأخبرته، ثم قال: بم جئت؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف. قال: ويحك هل تدري ما تقول؟ قلت: نعم. قال: إرجع فنم فإنك ناعس. قال: فأصبحت فأتيته، فقال: ماذا جئت به؟ قلت: خمسمائة ألف، فصعد المنبر فحمدالله و أثنى عليه ثم قال: قد جاءنا مال كثير فإن شئتم أن نكيلكم كيلاً وإن شئتم أن نعد عداً.

**( وما ينقل عنهم من امتناع فإما أن ينقل عمن يخاف أن لو أخذه أن يخدعه المال )** ويزيله عن مقامه **( و يقيد قلبه فيدعوه إلى الشهوات )** النفسية، **( وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال و الهرب منه في حقه كمال، وهذا حكم جميع الخلق لأنهم كلهم ضعفاء إلا الأنبياء )** عليهم السلام **( و الأولياء )** من بعدهم، **( وأما أن ينقل عن قوي بلغ )** رتبة **( الكمال، ولكن أظهر الفرار و النفار نزولاً )** منه **( إلى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك إذ لو اقتدوا به في الأخذ لهلكوا )**،وهذا **( كما يفر الرجل بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها، ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رأوها فيهلكوا، و السير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء و الأولياء و العلماء )** إذ هم القدوة، **( فقد عرفت أن المراتب إذاً ست وأن أعلاها رتبة المستغني )** بالمعنى الذي ذكره المصنف اصطلاحاً منه، **( ثم**

الراضي ثم القانع ثم الحريص. وأما المضطر فيتصوّر في حقه أيضاً الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال، واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة. أما تسمية المستغني فقيراً فلا وجه لها بهذا المعنى، بل إن سمي فقيراً فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجاً إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة، فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقربها فإنه أحق باسم العبد من الغافلين وإن كان اسم العبد عاماً للخلق، فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير، فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين، وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله ﷺ: «أعوذ بك من الفقر»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «كاد الفقر أن يكون كفراً» لا يناقض قوله: «أحيني مسكيناً

---

**الزاهد، ثم الراضي، ثم القانع، ثم الحريص، وأما المضطر فيتصور في حقه أيضاً الزهد والرضا والقناعة، و درجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال)** كما سبق التلويح إليه، (**واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة**) المذكورة ما عدا الأول. (**أما تسمية المستغني فقيراً فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجاً إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة**) وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقراً بل هو حقيقة العبودية ولبها و عزل النفس عن مزاحمة الربوبية، وإليه يشير كلام المشايخ كما يأتي بيانه. فالفقر الحقيقي دوام الافتقار إلى الله تعالى في كل حال، وأن يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقته إلى الله تعالى من كل وجه، فالفقر ذاتي للعبد، وإنما يتجدد له شهوده حالاً وإلا فهو حقيقة كما قال بعضهم: الفقر لي وصف ذات لازم أبداً كما الغنى أبداً وصف له ذاتي، وإليه أشار المصنف بقوله: (**فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية و أقر بها. فإنه أحق باسم العبد من الغافلين، وإن كان اسم العبد عاماً للخلق فكذلك اسم الفقير عام، ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى**) في كل حالاته (**فهو أحق باسم الفقير**) من غيره، (**فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين، وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله ﷺ**): «اللهم إني (**أعوذ بك من الفقر**) وعذاب القبر و فتنة المحيا و الممات». رواه الطبراني من حديث عثمان بن أبي العاص، وقد تقدم في الأذكار و الدعوات، وعند النسائي من حديث أبي سعيد الخدري: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر و الفقر» فقال رجل: و يعتدلان؟ قال «نعم» وقد صححه ابن حبان. وروى أبو داود والنسائي و ابن ماجه من حديث أبي هريرة «اللهم إني أعوذ بك من الفقر و القلة والذلة». وروى الطبراني عن بلال بن سعد عن أبيه مرفوعاً «اللهم إني أعيذهم بك من الكفر و الضلالة و الفقر الذي يصيب بني آدم».

(**وقوله ﷺ «كاد الفقر أن يكون كفراً**) رواه الكشي، وابن السكن، و صاحب الحلية، والبيهقي في الشعب، وابن عدي في الكامل من حديث يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً

**وأمتني مسكيناً » إذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه، والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه ﷺ وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء.**

---

وقد تقدم في ذم الغضب ( **لا يناقض قوله** ) ﷺ : ( **« اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً »** ) واحشرني في زمرة المساكين » رواه عبد بن حميد، وابن ماجه من حديث أبي سعيد، و الشيرازي في الألقاب من حديث بن عباس، والبيهقي في الشعب، و تمام، و الطبراني، وابن عساكر، والضياء من حديث عبادة بن الصامت. ورواه الترمذي و حسنه و البيهقي من حديث أنس بزيادة « يوم القيامة ». ورواه ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ. ورواه الحاكم من حديث أبي سعيد بزيادة « وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة ». وعند ابن عدي والبيهقي بلفظ « اللهم توفني فقيراً ولا توفني غنياً واحشرني في زمر المساكين فإن أشقى الأشقياء » الخ. ( **إذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه و الفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة و الذلة و الافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه ﷺ وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض و السماء** ) وإلى هذا المعنى يشير كلام المشايخ كما سيأتي ذلك مفرقاً في سياق المصنف، وهذا الذي يشيرون إليه لا تنافيه الجدة ولا الأملاك، فقد كان رسول الله ﷺ و أنبياؤه عليهم السلام في ذروة الفقر مع جدتهم و ملكهم كابراهيم عليه السلام كان يكنى أبا الضيفان، وكانت الأموال والمواشي، وكذلك كان سليمان و داود عليهما السلام، وكذلك كان نبينا ﷺ. قال تعالى ﴿و وجدك عائلاً فأغنى﴾ [ الضحى: ٨ ] وكانوا أغنياء في فقرهم فقراء في غناهم.

ثم اعلم أن الفقر الذي هو خلو اليد من المال وسيلة التبتل و الانقطاع وهما الوسيلة إلى الغنى بالله تعالى وهو تعلق القلب به، و الغنى بالله وسيلة إلى تجريده عما سوى الحق من اعراض و أغراض بل نفس و حال، فالتجريد على ثلاث درجات.

الأولى تجريد عين الكشف عن نسب اليقين، وذلك أن اليقين مكسوب في البداية و موهوب في النهاية فالتجريد إرتقاء العبد من المكسوب إلى الموهوب.

الثانية: تجريد الجمع عن درك العلم لأن العالم بالسكر ليس بسكران، فهذا حذر من أن يكون عنده علم الحال لا غيبه.

الثالثة: تجريد إخلاص عن شهود التجريد ومقصوده بذلك تجريده عن رؤية تجريده، وهذا التقسيم لصاحب منازل السائرين ولا يجب من ذلك الاعتقاد تجريد القدم عن الحدث و يستحب علمه وما ذكرنا هو قربة و معرفة و مستعان بالنظر إلى السلب مثل ﴿قل هو الله أحد﴾ [ الإخلاص: ١ ] ﴿وليس كمثله شيء﴾ [ الشورى: ١١ ] وما كنت متخذ المضلين عضداً وما أشبه هذا والله أعلم.

## بيان فضيلة الفقر مطلقاً :

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى : ﴿للفقراء المهاجرين الذين أُخرِجُوا من دِيَارهم وأموالهم﴾ [ الحشر : ٨ ] الآية . وقال تعالى : ﴿للفقراء الذين أُحْصِرُوا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ [ البقرة : ٢٧٣ ] ساق الكلام في معرض المدح ، ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والإحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر .

---

**بيان فضيلة الفقر مطلقاً من الآيات والاخبار والآثار :**

**( أما من الآيات ؛ فيدل عليه قوله تعالى ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم﴾ الآية و قوله ﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله )** أي حبسوا و منعوا **( لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ ساق الكلام في معرض المدح ، ثم قدم و صفهم بالفقر على و صفهم بالهجرة والإحصار )** أي الصدقات لهؤلاء ، وكانوا فقراء المهاجرين نحو أربعمائة نفس لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر ، وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد وكانوا وقفاً على كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ وهم أهل الصفة . هذا أحد الاقوال في إحصارهم في سبيل الله و قيل : هو حبسهم أنفسهم في طاعة الله ، وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد ، وقيل لما عادوا أعداء الله وجاهدوهم احصروا عن الضرب في الأرض لطلب المعاش فلا يستطيعون ضرباً في الارض ، والصحيح أنه لفقرهم وعجزهم و ضعفهم لا يستطيعون ضرباً في الأرض ، ولكمال عفتهم وصيانتهم يحسبهم من لم يعرف حالهم أغنياء . **( وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر ) .**

ومن المواضع التي ذكر الله فيها الفقر قوله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ [ التوبة : ٦٠ ] الآية و قوله تعالى ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ [ فاطر : ١٥ ] و قوله تعالى ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ [ القصص : ٢٤ ] و المراد في الآية الأولى و الثانية خواص الفقراء ، وفي قوله ﴿انما الصدقات﴾ الآية فقراء المسلمين خاصتهم و عامتهم ، وفي قوله ﴿يا أيها الناس﴾ الآية الفقر العام لأهل الأرض كلهم غنيهم و فقيرهم مؤمنهم و كافرهم ، وفي الآية الاخيرة الفقر إلى الله المشار إليه بقوله : اللهم اغنني بالافتقار إليك ، وبهذا ألمّ الشاعر بقوله :

و يعجبني فقري إليك ولم يكن ليعجبني لولا محبتك الفقرا

و الفقراء الموصوفون في الآية الثانية يقابلهم أصحاب الجدة ، ومن ليس محصراً في سبيل الله ومن لا يكتم فقره ضعفاً فمقابلهم أكثر من مقابل الصنف الثاني ، و الصنف الثاني يقابل أصحاب الجدة و يدخل فيهم المتضعف وغيره والمحصر وغيره ، و الصنف الثالث لا مقابل لهم بل الله وحده الغني وكل ماسواه فقير إليه ، و مراد المشايخ بالفقر شيء أخص من هذا كله وهو الافتقار إلى الله في كل حالة ، وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقراً بل هو حقيقة العبودية ولبّها و عزل النفس عن مزاحمة الربوبية كما تقدمت الإشارة إليه .

**وأما الأخبار**، في مدح الفقر فأكثر من أن تحصى: روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أي الناس خير؟» فقالوا: موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله. فقال: «نعم الرجل هذا وليس به» قالوا: فمن خير الناس يا رسول الله؟ قال: «فقير يعطي جهده». وقال ﷺ لبلال: «ألق الله فقيراً ولا تلقه غنياً». وقال ﷺ: «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال». وفي الخبر المشهور: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام». وفي حديث آخر: «بأربعين

---

(**وأما الأخبار في مدح الفقر؛ فأكثر من تحصى**). منه (**ما روى عبدالله بن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه. «أي الناس خير؟» قالوا**): رجل (**موسر**) أي صاحب مال (**يعطي حق الله في نفسه**) أي بأداء ما افترض الله عليه من الطاعات (**و ماله**) أي باخراج ما افترض عليه من الزكاة. (**قال**) ﷺ: (**«نعم الرجل هذا وليس به»**) أي ليس بالذي أريده (**قالوا: فمن خير الناس يا رسول الله؟ قال «فقير يعطي جهده»**) أي طاقته. قال صاحب القوت: رويناه عن إسماعيل بن عياش، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر. وقال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصراً على المرفوع منه دون سؤاله لأصحابه و سؤالهم له انتهى.

قلت: هكذا رواه أبو نعيم في الحلية، ومن طريقه الديلمي و لفظهما «مؤمن فقير يعطي جهده».

(**وقال ﷺ لبلال**) رضي الله عنه: (**«الق الله فقيراً ولا تلقه غنياً»**) قال العراقي: رواه الحاكم في كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال، و رواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلفظ «مت فقيراً ولا تمت غنياً» اهـ.

قلت: ظاهره أنه عند الطبراني من حديث أبي سعيد الخدري وليس كذلك، بل هو من رواية أبي سعيد الخدري عن بلال. هكذا رواه الطبراني و الحاكم جميعاً، و عندهما زيادة قال: و كيف لي يا رسول الله بذلك؟ قال: «إذا رزقت فلا تخبأ لغد، وإذا سئلت فلا تمنع» قال: و كيف لي بذلك؟ قال: «هو ذاك و إلا فالنار». و صححه الحاكم و تعقب. و روى الخطيب من حديث عائشة: «يا بلال رددت السائل وهذا التمر عندك إن أردت أن تلقى الله عز وجل وهو عنك راض فلا تخبأ شيئاً رزقته ولا تمنع شيئاً سئلته».

(**وقال ﷺ «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال»**) رواه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم.

(**وفي الخبر المشهور «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»**) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم. (**وفي حديث آخر «بأربعين خريفاً» أي أربعين**

**خريفاً » أي أربعين سنة . فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص ، والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتاً بين الفقراء في درجاتهم ، وكأن الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة ، ولا تظنن أن تقدير رسول الله ﷺ يجري على لسانه جزافاً وبالإتفاق ، بل لا يستنطق ﷺ إلا بحقيقة الحق فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وهذا كقوله ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة » . فإنه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا**

---

**سنة )** . رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو ، ألا أنه قال : « فقراء المهاجرين » . و رواه الترمذي من حديث جابر و أنس وقد تقدم في ذم الدنيا . **( فيكون المراد به )** أي بأربعين خريفاً **( تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص ، و )** يكون **( التقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب ، وما ذكرناه )** آنفاً **( من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتاً بين الفقراء في درجاتهم ، وكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة ، ولا تظنن أن تقدير رسول الله ﷺ يجري على لسانه جزافاً )** أي مجاناً **( و بالاتفاق )** من غير قصد نكتة أو فائدة ، **( بل لا يستنطق ﷺ إلا بحقيقة الحق فإنه )** ﷺ **( لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وهذا )** بعينه **( كقوله ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزءاً من النبوة » )** قال العراقي : رواه البخاري من حديث أبي سعيد ، ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة ، وعبادة بن الصامت ، وأنس بلفظ « رؤيا المؤمن جزء » الحديث وقد تقدم اهـ .

قلت : قوله : « جزء من ستة و أربعين جزءاً » هي الرواية المشهورة كما قاله النووي ، وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة أيضاً « من خمسة و أربعين » . و رواه ابن ماجه بلفظ « سبعين » . وفي حديث ابن عمر « جزء من سبعين جزءاً » وهو في صحيح مسلم وغيره . و قال ابن عبد البر لا يختلف في صحته . قال : وروي عن ابن عباس مرفوعاً مثله ، و ذكر ابن عبد البر أيضاً من حديث ابن عمرو « من تسعة و أربعين جزءاً » و روي من حديث عبادة « من أربعة و أربعين » و روى ابن عباس عن العباس بن عبد المطلب مرفوعاً « من خمسين جزءاً » و روى ابن عبد البر من حديث أنس « من ستة و عشرين » ومن حديث أبي رزين العقيلي « من أربعين جزءاً » فهذه ثمان روايات أقلها ستة وعشرين وأكثرها سبعين ، وأصحها و أشهرها ستة و أربعين . وهذه الروايات كلها مشهورة فلا سبيل إلى أخذ أحدها و طرح الباقي .

**( فإنه تقدير تحقيق لا محالة ، ولكن ليس في قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا**

بتخمين، فأما بالتحقيق فلا، إذ يعلم أن النبوّة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بأنواع من الخواص.

**أحدها:** أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته والملائكة والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفاً له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف.

**والثاني:** أن له في نفسه صفة بها تتم له الأفعال الخارقة للعادات كما أن لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بإرادتنا وباختيارنا وهي القدرة وإن كانت القدرة والمقدور جميعاً من فعل الله تعالى.

**والثالث:** أن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمى حتى يدرك بها المبصرات.

**والرابع:** أن له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب إما في اليقظة أو في المنام إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب، فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها الأنبياء ويعلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام، وربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى خمسين وإلى ستين، ويمكننا أيضاً أن نتكلف تقسيمها إلى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا

---

**بتخمين)** وظن، **(فأما بالتحقيق فلا)** إذ ليس في وسعه ذلك **(إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يختص به النبي و يفارق به غيره)** فلا يشاركه فيه **(وهو يختص بانواع من الخواص)**.

**(أحدها: أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله)** تعالى **(و صفاته)** وأفعاله **(والملائكة والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره، بل مخالفة بكثرة المعلومات و بزيادة اليقين و التحقيق و الكشف.**

**والثاني أنه له في نفسه صفة بها تتم له الأفعال الخارقة للعادات، كما أن لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا و اختيارنا وهي القدرة، وإن كانت القدرة و المقدور جميعاً من فعل الله تعالى)**.

**(والثالث: أن له صفة بها يبصر الملائكة و يشاهدهم)** عياناً في صورهم، **(كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمى حيث يدرك بها المبصرات)**.

**(والرابع: أن له صفة بها يدرك ما يكون في الغيب إما في اليقظة أو في المنام)** أو فيما بينهما، **(إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى مافيه من الغيب، فهذه كمالات و صفات يعلم ثبوتها الانبياء و يعلم انقسام كل واحد منه إلى أقسام)** كثيرة، **(وربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى خمسين وإلى ستين، و يمكننا أيضاً أن نتكلف تقسيمها إلى ستة و أربعين بحيث**

الصحيحة جزءاً واحداً من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن إلا بظن وتخمين فلا ندري تحقيقاً أنه الذي أراده رسول الله ﷺ أم لا . وإنما المعلوم مجامع الصفات التي بها تتم النبوّة وأصل انقسامها ، وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير ، فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق ، فأما لِمَ كان هذا الفقير الحريص مثلاً على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس في قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به ، والغرض التنبيه على منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور ، فإن الضعيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله ﷺ على سبيل الاتفاق ، وحاشا منصب النبوّة عن ذلك .

---

**تقع الرؤيا الصحيحة)** وفي نسخة الصادقة **( واحدة من جلتها )** بل و أكثر من الستة والأربعين ،وذلك لأن المراد من هذا الحديث أن المنام الصادق خصلة من خصال النبوة كما في الحديث الآخر « التؤدة والاقتصاد وحسن السمت جزء من ستة وعشرين جزءاً من النبوّة » أي النبـوّة مجموع خصال مبلغ أجزائها ستة و عشرين هذه الثلاثة الأشياء جزء واحد منها ، وعلى مقتضى هذه التجزئة كل جزء من الستة و العشرين ثلاثة أجزاء في نفسه ، فإذا ضربنا ثلاثة في ستة و عشرين صَحَّ لنا أن عدد خصال النبوة من حيث آحادها ثمانية و سبعون ، و يصح أن يسمى كل اثنين من الثمانية و السبعين جزءاً خصلة ، فيكون جميعها بهذا الاعتبار تسعة و ثلاثين جزءاً ، و يصح أن يسمى كل أربعة منها جزءاً ، فيكون مجموع أجزائها بهذا الاعتبار تسعة عشر جزءاً و نصف جزء فتختلف أسماء العدد المجزأ بحسب اختلاف اعتبار الأجزاء ، وعلى هذا فلا يكون اختلاف أعداد أجزاء النبوة في أحاديث الرؤيا المذكورة اضطراباً ، وإنما هو اختلاف مقادير تلك الأجزاء المذكورة ، **( ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون إلا بظن وتخمين ولا ندري تحقيقاً أنه الذي أراده ﷺ أم لا ، وإنما المعلوم )** في الجملة **( مجامع الصفات التي بها تتم النبوة و أصل انقسامها ، وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير ، فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق )** قريباً ، **( فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلاً على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة و اقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام ، فليس في قوة أحد غير الأنبياء )** عليهم السلام **( الوقوف على ذلك )** بحقيقته **( إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به ، و الغرض )** كله من سياق هذا الكلام **( التنبيه على منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور )** الواردة في صحاح الأخبار ، **( فإن الضعيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله ﷺ على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة من ذلك )** ، بل كلامه كله حكم و فوائد و تلويحات عرفها من عرف و جهلها من جهل .

ولنرجع إلى نقل الأخبار فقد قال ﷺ أيضاً: « خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعاً في الجنة ضعفاؤها »، وقال ﷺ: « إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني: الفقر والجهاد ». وروي أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً، وتكون معك أينما كنت، فأطرق رسول الله ﷺ ساعة ثم قال: « يا جبريل، إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له » فقال له جبريل: يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت.

وروي أن المسيح ﷺ مرّ في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال: يا نائم قم فاذكر الله تعالى، فقال: ما تريد مني؟ إني قد تركت الدنيا لأهلها، فقال له: فنم إذاً يا حبيبي.

---

**( ولنرجع إلى نقل الاخبار؛ فقد قال ﷺ أيضاً « خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعاً )** أي اضطجاعاً **( في الجنة ضعفاؤها » )** كذا في القوت. قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **( وقال ﷺ: « إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني: الفقر والجهاد » )** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **( وروي أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: أتحب أن اجعل هذه الجبال ذهباً وتكون معك أينما كنت؟ فأطرق رسول الله ﷺ ساعة ثم قال: « يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له » . فقال له جبريل: يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت )** . قال العراقي: هذا ملفق من حديثين، فروى الترمذي من حديث أبي أمامة « عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً. قلت: لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً » الحديث. وقال: حسن. ولأحمد من حديث عائشة « الدنيا دار من لا دار له » الحديث وقد تقدم في ذم الدنيا اهـ.

قلت: وتمام حديث أبي أمامة عند الترمذي « فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » وقد رواه كذلك أحمد وابن سعد والطبراني والبيهقي، وحديث عائشة « الدنيا دار من لا دار له » رواه كذلك الشيرازي في الألقاب، والبيهقي، ورواه البيهقي أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه.

**( روي أن المسيح عليه السلام مرّ في )** أثناء **( سياحته )** في الأرض **( برجل نائم ملتف في عباءة )** له وهي كساء من صوف **( فأيقظه وقال له: يا نائم قم فاذكر الله تعالى. فقال: ما تريد مني إني قد تركت الدنيا لأهلها؟ فقال له: فنم إذاً يا حبيبي )** نقله صاحب القوت.

ومرَّ موسى ﷺ برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة، فقال: يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها.

وعن أبي رافع أنه قال: ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه، فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر وقال: قل له يقول لك محمد أسلفني أو بعني دقيقاً إلى هلال رجب» قال: فأتيته فقال: لا والله إلا برهن، فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال: «أما والله إني لأمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لأديت إليه، اذهب بدرعي هذا إليه فارهنه، فلما خرجت نزلت هذه الآية: ﴿ولا تمدنَّ عينيْك إلى ما متَّعنا به أزواجاً مِنْهم زهرة الحياةِ الدُّنيا﴾ [طه: ١٣١] الآية. وهذه الآية تعزية لرسول الله ﷺ عن الدنيا، وقال ﷺ: «الفقر أزين بالمؤمن من

---

(ومرّ موسى عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو مؤتزر بعباءة) له، (فقال) موسى (يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع) نظراً إلى ظاهر حاله، (فأوحى الله إليه: يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها) أي صرفتها عنه وضيقتها عليه. نقله صاحب القوت.

(وعن أبي رافع) مولى رسول الله ﷺ (أنه ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه) أي من قراه، (فأرسلني إلى رجل من اليهود) وهو أبو السحماء (وقال: «قل له يقول لك محمد) ﷺ اسلفني - أو قال - (بعني دقيقاً إلى هلال رجب» فقال) أبو رافع: (فاتيته) وقلت له ذلك، (فقال) اليهودي: (لا والله) لا أسلفه (إلا برهن) وثيق، فرجعت (فأخبرت رسول الله ﷺ فقال: «أما والله إني لأمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لاديت إليه اذهب بدرعي هذا إليه فارهنه) عنده» (فلما خرجت) من عنده (نزلت هذه الآية ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة﴾ [طه: ١٣١] الآية. وهذه الآية تعزية لرسول الله ﷺ عن الدنيا). قال العراقي: رواه الطبراني بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي شيبة، وابن راهويه، والبزار، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وأبو نعيم في المعرفة، وفيه «اذهب بدرعي الحديد» فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذهٌ الآية كأنه يعزيه عن الدنيا. وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان في قوله ﴿ولا تمدن عينيك﴾ الآية قال: تعزية لرسول الله ﷺ.

(وقال ﷺ: «الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس») قال العراقي:

العذار الحسن على خد الفرس ». وقال ﷺ : « من أصبح منكم معافى في جسمه آمناً في سربه عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ».

وقال كعب الأحبار ، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين.

وقال عطاء الخراساني: مر نبي من الأنبياء بساحل فإذا هو برجل يصطاد حيتاناً ، فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ، ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها . فقال النبي ﷺ : يا رب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك ، فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما ، فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال: رضيت يا

---

رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف ، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدي في الكامل هكذا اهـ.

قلت: ورواه ابن المبارك في الزهد من حديث سعد بن مسعود بلفظ « للفقر أزين للمؤمن من العذار الجيد على خد الفرس ».

**( وقال )** ﷺ **( « من أصبح منكم معافي في جسمه آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » )** رواه البخاري في الأدب، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، والطبراني من حديث سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه رفعه بلفظ: « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » وقد تقدم.

**( وقال كعب الأحبار )** رحمه الله تعالى ، **( قال الله تعالى لموسى عليه السلام: يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين )** ، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته. رواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب غير مرفوع باسناد ضعيف وقد تقدم.

**( وقال عطاء الخراساني )** ، وهو أبو عثمان عطاء بن أبي سلم واسم أبيه ميسرة، وقيل عبد الله. صدوق مات سنة خمس وثلاثين، روى له مسلم والأربعة ولم يصح أن البخاري أخرج له. **( مرّ نبي من الأنبياء بساحل )** أي ساحل البحر ، **( فإذا هو برجل يصطاد حيتاناً فقال: بسم الله وألقى الشبكة )** في الماء **( فلم يخرج منها )** حوت واحد ، **( ثم مرّ آخر فقال: باسم الشيطان وألقى الشبكة )** في الماء **( فخرج فيها من الحيتان ما يكاد لا يتقايس من كثرتها )** كذا في النسخ. ولفظ القوت: حتى جعل الرجل يتقاعس من كثرتها ، **( فقال )** ذلك **( النبي عليه السلام: يا رب ما هذا وقد علمت أن كل هذا بيدك؟ فقال الله تعالى للملائكة: اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما )** عندي فكشفوا له عنهما ، **( فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة**

رب. وقال نبينا ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وأطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء»، وفي لفظ آخر: «فقلت أين الأغنياء؟ فقيل حبسهم الجد»، وفي حديث آخر: «فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهم؟ فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران»، وقال ﷺ: «تحفة المؤمن في الدنيا الفقر»، وفي

---

**ولذاك من الهوان قال: رضيت يا رب)** نقله صاحب القوت. **(وقال نبينا ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وأطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء» وفي لفظ: فقلت أين الأغنياء؟ فقيل: حبسهم الجد)**. قال العراقي: رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد، وللشيخين من حديث اسامة بن زيد: «قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد محبوسرن» اهـ.

قلت: وتمام حديث أسامة «إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من يدخلها النساء» وهكذا رواه أيضاً أحمد والنسائي والحرث وأبو عوانة وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة.

**(وفي حديث آخر «فرأيت أكثر أهل النار النساء»)** روي ذلك من حديث اسامة وابن عباس وعمران بن الحصين والأضبط السلیم وابن عمرو.

أما حديث أسامة فرواه الشيخان وقد ذكر قبل هذا.

وحديث ابن عباس رواه الطيالسي وأحمد وهناد ومسلم والترمذي ولفظهم: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء». ورواه الطبراني وزاد «والمساكين».

وحديث عمران رواه أحمد والبخاري والترمذي باللفظ المذكور، ورواه الطبراني وزاد «والضعفاء».

وحديث الأضبط رواه ابن منده وأبو نعيم في المعرفة عن عبد الرحمن بن حارثة بن الاضبط عن جده باللفظ المذكور.

وحديث ابن عمرو رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بلفظ «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء **(فقلت: ما شأنهن؟ فقال: «شغلهن الأحمران الذهب والزعفران»)** والحديث بهذه الزيادة قد تقدم في كتاب آداب النكاح.

**(وقال ﷺ «تحفة المؤمن في الدنيا الفقر»)** قال العراقي: رواه محمد بن خفيف الشيروزي في شرف الفقراء والديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ ابن جبل بسند لا بأس به، ورواه الديلمي أيضاً من حديث ابن عمر بسند ضعيف.

الخبر: «آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه»، وفي حديث آخر: «رأيته دخل الجنة زحفاً».

وقال المسيح ﷺ: بشدة يدخل الغني الجنة.

وفي خبر آخر عن أهل البيت رضي الله عنهم أنه ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه. قيل: وما اقتناه؟ قال: لم يترك له أهلاً ولا مالاً».

وفي الخبر إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته».

---

**(وفي الخبر «آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه، وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه»)** تقدم. وقال العراقي: هو في الأوسط للطبراني باسناد فرد وفيه نكارة. **(وفي حديث آخر رأيته)** يعني عبد الرحمن بن عوف **(دخل الجنة زحفاً)** رواه أحمد والطبراني من حديث عائشة بلفظ «حبوا» بدل «زحفا». ورواه أبو نعيم عن الطبراني وقد تقدم، ورواه الفريابي من طريق عطاء بن رباح، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له: «يا ابن عوف إنك من الاغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً» الحديث وقد تقدم، ورواه أحمد من طريقه.

**(وقال المسيح عليه السلام)** وقد قال له رجل احملني معك في سياحتك فقال: اخرج مالك والحقني. قال: لا أستطيع. فقال عليه السلام: **(بشدة يدخل الغني الجنة)** أو قال بعجب كذا في القوت.

**(وفي خبر عن آل البيت عليهم السلام أنه ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه» قيل: وما اقتناه؟ قال «لم يترك له أهلاً ولا مالاً»)** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أبي عنبسة الخولاني اهـ.

قلت: لفظ الطبراني في الكبير وفي الأوسط «لا يترك مالاً ولا ولداً» ورواه أبو نعيم في الحلية، والديلمي من طريقه من حديث ابن مسعود: «إذا أحب الله عبداً اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد» وسياق المصنف مشعر بأنه من رواية جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده عن أبيه عن النبي ﷺ، وهكذا هو في نهج البلاغة للشريف الموسوي.

**(وفي الخبر «إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته»)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسنده الفردوس من رواية مكحول عن أبي الدراء ولم يسمع منه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى موسى عليه السلام

**وقال موسى عليه السلام: يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك؟ فقال: كل فقير فقير، فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد، ويمكن أن يراد به الشديد الضر.**

**وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه: إني لأحب المسكنة وأبغض النعماء، وكان أحب الأسامي إليه صلوات الله عليه أن يقال له يا مسكين. ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي ﷺ: «اجعل لنا يوماً ولهم يوماً يجيئون إليك ولا نجيء، ونجيء إليك ولا يجيئون، يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي ﷺ إلى ذلك، وذلك لأنهم شكوا إليه التأذي برائحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر، فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم، فاشتد ذلك على الأغنياء**

---

يا موسى» فذكره بزيادة في أوله، ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب الأحبار غير مرفوع باسناد ضعيف اهـ.

قلت: قول كعب قد تقدم للمصنف قريباً. وأما المرفوع من حديث أبي الدرداء، فقد رواه الديلمي بلفظ «أوحى الله إلى موسى بن عمران يا موسى إرضَ بكسرة خبز تسدّ بها جوعتك وخرقة تواري بها عورتك واصبر على المصيبات، وإذا رأيت الدنيا مقبلة فقل انا لله وإنا إليه راجعون، وإذا رأيت الدنيا مدبرة والفقر مقبلاً، فقل مرحباً بشعار الصالحين. ورواه كذلك أبو عثمان الصابوني في المائتين وقد تقدم أيضاً.

( **وقال موسى عليه السلام: يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك؟ قال: كل فقير فقير** ) نقله صاحب القوت، ( **فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد، ويمكن أن يراد به الشديد الضر** ) فإن الفقير في اللغة من يشكو فقار ظهره، وروى الدارقطني في الأفراد، وابن عساكر من حديث عمر قال موسى: يا رب وددت أني أعلم من تحب من عبادك فأحبه. قال: إذا رأيت عبدي يكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته عن ذلك وأنا أبغضه.

( **وقال المسيح عليه السلام «إني لأحب المسكنة وأبغض النعماء»** ) ولفظ القوت: الغنى وإن في المال داء كبيراً. قيل: ( **وكان أحب الأسامي إليه أن يقال له: يا مسكين** ) نقله صاحب القوت، ( **ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي ﷺ: اجعل لنا يوماً ولهم يوماً يجيئون إليك ولا نجيء، ونجيء إليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء** ) من الصحابة ( **مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة، وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين، فأجابهم النبي ﷺ إلى ذلك، وذلك لانهم شكوا إليه التأذي برائحتهم، وكان لباس القوم الصوف شدة الحر، فإذا عرقوا فاحت الروائح من**

منهم الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم، فأجابهم رسول الله ﷺ أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾، يعني الفقراء ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ يعني الأغنياء، ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ يعني الأغنياء ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليُؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [ الكهف: ٢٨ - ٢٩ ] الآية.

---

**ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم: الاقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن )** حصن بن ( **بدر الفزاري، وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم. فأجابهم رسول الله ﷺ أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾ يعني الفقراء ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ يعني الأغنياء ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ يعني الأغنياء ﴿وقل الحق من ربكم﴾ مع الفقراء ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ الآية )** قال العراقي: تقدم من حديث خباب، وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف وتفوح ريحهم إذا عرقوا، وهذه الزيادة من حديث سلمان اهـ.

قلت: أما حديث سلمان، فرواه الحسن بن سفيان في مسنده، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق سلمة بن عبد الله عن عمه عن سلمان قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينه بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم. يعنون أبا ذر وسلمان وفقراء المسلمين، وكان عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فانزل الله: ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾ إلى قوله ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ [ الكهف: ٢٧ - ٢٩ ] يتهددهم بالنار، فقام نبي الله ﷺ يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكر الله فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم المات».

وأما حديث خباب؛ فرواه أبو بكر بن أبي شيبة، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي الكنود عن خباب قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجد النبي ﷺ قاعداً مع بلال وعمار وصهيب وخباب في إناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم فخلوا به، فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي إن ترانا العرب قعوداً مع هؤلاء الأعبدُ، فإذاً نحن جئناك فاقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعدهم إن شئت. قال: نعم. قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً فدعا بالصحيفة ليكتب لهم ودعا علياً ليكتب، فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة﴾ إلى قوله ﴿من الظالمين﴾ [ الأنعام: ٥٢ ] ثم ذكر

واستأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده رجل من أشراف قريش، فشق ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وتولّى ★ أن جاءه الأعمى ★ وما يدريك لعله يَزَّكَّى ★ أو يَذَّكَّرُ فتنفعه الذكرى﴾ يعني ابن أم مكتوم ﴿أما من استغنى فأنت له تصدَّى﴾ [ عبس: ١ - ٦ ] يعني هذا الشريف.

وعن النبي ﷺ أنه قال: « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا، فيقول: وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة، أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، فمن أطعمك فيّ أو كساك فيّ يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة ».

---

الأقرع وصاحبه فقال ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ إلى ﴿الشاكرين﴾ [ الانعام: ٥٣ ] ثم قال ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون﴾ [ الأنعام: ٥٤ ] الآية. فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة ودعانا فأتيناه وهو يقول « سلام عليكم » فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبه الحديث. وقد رواه كذلك ابن ماجه، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل.

( **واستأذن** ) عبد الله ( **ابن أم مكتوم** ) الاعمى رضي الله عنه ( **على النبي ﷺ** ) يوماً ( **وعنده رجل من أشراف قريش، فشق ذلك على النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿عبس وتولى ★ أن جاءه الأعمى ★ وما يدريك لعله يزكي ★ أو يذّكر فتنفعه الذكرى﴾ يعني ابن أم مكتوم ﴿اما من استغنى ★ فأنت له تصدَّى﴾ يعني هذا الشريف** ) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عائشة وقال: غريب. قلت: ورجاله رجال الصحيح اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن المنذر وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه ولفظهم قالت عائشة: أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أنشدني وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: « أترى بما أقول بأساً »؟ فيقول: لا. ففي هذا أنزلت، والمراد بذلك الشريف أمية بن خلف كما وقع التصريح به عند سعيد بن منصور عن أبي مالك.

( **وعن النبي ﷺ أنه قال: « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول: وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك عليّ ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فمن أطعمك فيّ أو كساك فيّ يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس قد ألجمهم العرق، فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذه بيده ويدخله الجنة »** ) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب

وقال عليه الصلاة والسلام: « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة » قالوا: يا رسول الله، وما دولتهم؟ قال: إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة »، وقال

---

من حديث أنس بسند ضعيف « يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا مني أحبائي، فتقول الملائكة ومن أحباؤك؟ فيقول: فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول: أما أنــي لم أزو الدنيا عنكم لهوان كان بكم عليّ ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم كرامتي اليوم فتمنوا عليّ ما شئتم اليوم » الحديث دون آخر الحديث، وأما أوّل الحديث، فرواه أبو نعيم في الحلية وسيأتي في الحديث الذي بعده اهـ.

قلت: وتمام حديث أنس عند أبي الشيخ « فيؤمر بهم إلى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً ».

**( وقال ﷺ: « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة » قالوا: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال « إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة وسقاكم شربة أو كساهم ثوباً فخذوا بيده ثم أفيضوا به إلى الجنة » )** قال العراقي: رواه أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف « اتخذوا عند الفقراء ايادي فإن لهم دولة يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ سيروا إلى الفقراء فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلى أخيه في الدنيا » اهـ.

وفي المقاصد للحافظ السخاوي: رواه أبو نعيم في ترجمة وهب بن منبه من الحلية، كما عزاه الديلمي ثم العراقي في تخريج الاحياء عن الحسين بن علي، ولم أره في النسخة التي عندي. وقال شيخنا: إنه لا أصل له. نعم في الحلية من حديث إبراهيم بن فارس عن وهب ومن قوله « اتخذوا اليد عن المساكين فإن لهم يوم القيامة دولة » وفي قضاء الحوائج لأبي النرسي بسند فيه مجاهيل عن أبي عبد الرحمن السلمي التابعي رفعه مرسلاً « اتخذوا عند الفقراء أيادي فإن لهم دولة » قيل: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال: « ينادي منادٍ يوم القيامة يا معشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير إلا قام حتى إذا اجتمعوا قيل ادخلوا في صفوف أهل القيامة فمن صنع إليكم معروفاً فاوردوه الجنة » قال: « فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل: ألم أكسك فيصدقه، فيقول له الآخر ألم أكسك فيصدقه، فيقول له الآخر يا فلان ألم أكلم لك »؟ قال: « ولا يزالون يخبرونه بما صنعوا إليه وهو يصدقهم بما صنعوا إليه حتى يذهب بهم جميعاً فيدخلهم الجنة ». فيقول قوم لم يكونوا يصنعون المعروف: يا ليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة. وبسند واهٍ عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رفعه « إن للمساكين دولة » قيل: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال « إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم في الله تعالى لقمة أو كساكم ثوباً أو سقاكم شربة فادخلوه الجنة » اهـ.

قلت: حديث ابن عباس هذا رواه ابن عدي في الكامل وقال منكر، وابن عساكر في التاريخ من طريق ميمون بن مهران. وروى ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والخطيب من حديث أنس

ﷺ: « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال، ونظرت في أعلاها فإذا فقراء أمتي وأولادهم، ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل، فقلت يا رب ما شأنهم؟ قال أما النساء فأضرّ بهنّ الأحمران الذهب والحرير، وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب، وتفقدت أصحابي فلم أرَ عبد الرحمن بن عوف، ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت: ما خلفك عني؟ قال: يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى لقيت المشيبات وظننت إني لا أراك، فقلت: ولمَ؟ قال: كنت أحاسب بمالي؟ »، فانظر

---

« إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة وأهل النار صفوفاً فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول: يا فلان أما تذكر يوم اصطنعت إليك في الدنيا معروفاً، فيأخذ بيده فيقول: اللهم هذا اصطنع إلي في الدنيا معروفاً فيقال له خذ بيده فادخله الجنة برحمة الله ».

**( وقال ﷺ: « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال، ونظرت في أعلاها فإذا فقراء أمتي وأولادهم، ونظرت في أسفلها فإذا فيهم من الأغنياء والنساء قليل قلت: يا رب ما شأنهم؟ قال: أما النساء فأضرهم الأحمران الذهب والحرير )** وفي لفظ « الزعفران » بدل « الحرير » **( وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب، وتفقدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف، ثم جاءني بعد ذلك يبكي فقلت: ما خلفك عني؟ قال: يا رسول الله أما والله ما وصلت إليك حتى لقيت المشيبات )** أي الأمور التي تشيب من شدتها **( وظننت أني لا أراك. فقلت: ولم؟ قال: كنت أحاسب بمالي » )** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف نحوه، وقصة بلال في الصحيح من طريق آخر اهـ.

قلت: لفظ الطبراني « دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي قلت ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلال يمشي أمامك ». ورواه كذلك ابن عدي، وابن عساكر، وفي رواية لابن عساكر: « دخلت الجنة فرأيت خشخة أمامي فقلت: من هذا؟ قال: أنا بلال. قلت: بم سبقتني إلى الجنة؟ قال: ما أحدثت إلا توضأت وما توضأت إلا رأيت أن لله عليّ ركعتين ». وقد رواه الروياني كذلك. وقد روي ذلك من حديث جابر وابن عباس وسهل بن سعد.

أما حديث جابر فلفظه « دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي قلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلال. فقلت: طوبى لبلال طوبى لبلال » رواه الطيالسي، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر.

وأما حديث ابن عباس فلفظه « دخلت الجنة ليلة أسري بي فسمعت في جانبها وخشاً فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا بلال المؤذن ». رواه أحمد وأبو يعلى وابن عساكر.

وأما حديث سهل بن سعد فلفظه « دخلت الجنة فإذا حس فنظرت فإذا هو بلال ». رواه أحمد والطبراني وابن عساكر. ورواه صاحب الحلية من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي

إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله ﷺ وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة، وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: « إلا من قال بالمال هكذا وهكذا »، ومع هذا فقد استضر بالغنى إلى هذا الحد.

ودخل رسول الله ﷺ على رجل فقير فلم ير له شيئاً فقال: « لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم ».

وقال ﷺ: « ألا أخبركم بملوك أهل الجنة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ».

---

أوفى أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: « ما أبطأ بك عني؟ فقلت: ما زلت بعدك أحاسب وإنما ذلك لكثرة مالي فقال: هذه مائة راحلة جاءتني من مصر وهي صدقة على أرامل أهل المدينة ».

**( فانظر إلى هذا وعبد الرحمن )** بن عوف رضي الله عنه **( صاحب السابقة العظيمة )** فإنه هاجر الهجرتين وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها **( مع رسول الله ﷺ، وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة )** رواه أصحاب السنن الأربعة من حديث سعيد بن زيد. قال الترمذي: حسن صحيح ولفظهم: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة. وقد رواه كذلك ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن منيع، وابن أبي عاصم، وأبو نعيم في الحلية والضياء. ورواه أيضاً أحمد والترمذي وأبو نعيم في المعرفة، وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده. **( وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: « إلا من قال بالمال هكذا وهكذا » )** متفق عليه من حديث أبي ذر في أثناء حديث تقدم. **( ومع هذا فقد استضر بالغنى إلى هذا الحد )**.

**( ودخل ﷺ على رجل فقير ولم ير له شيئاً فقال « لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم » )**. قال العراقي: لم أجده.

**( وقال ﷺ: « ألا أخبركم بملوك أهل الجنة »؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال « كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرّه » )** قال العراقي: متفق عليه من حديث حارثه بن وهب مختصراً، ولم يقولا ملوك، وقد تقدم ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ « ألا أخبركم عن ملوك الجنة » الحديث دون قوله أغبر أشعث.

وقال عمران بن حصين: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه، فقال: «يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً، فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة، فقرع الباب وقال: «السلام عليكم أأدخل؟» فقالت: ادخل يا رسول الله. قال: «أنا ومن معي؟» قالت: ومن معك يا رسول الله؟ قال: «عمران» فقالت فاطمة: والذي بعثك بالحق نبياً ما علي إلا عباءة. قال: «اصنعي بها هكذا وهكذا» وأشار بيده، فقالت: هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال: «شدي بها على رأسك، ثم أذنت له فدخل فقال: السلام عليكم يا ابنتاه، كيف أصبحت؟ قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعاً على ما بي إني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث، وإني لأكرم على الله منك، ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا» ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: «أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة» قالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران؟ قال: آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك، إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا

---

(وقال عمران بن الحصين) رضي الله عنه: (كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه فقال: يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم بأبي أنت وأمي فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال: «السلام عليكم أدخل؟» قالت: أدخل بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: «أنا ومن معي» . قالت: ومن معك يا رسول الله؟ قال «عمران» . قالت فاطمة: والذي بعثك بالحق نبياً ما عليَّ إلا عباءة. قال «اصنعي بها هكذا وهكذا» وأشار بِيَده، قالت: هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال: «شدي بها رأسك» ثم أذنت له فدخل فقال: «السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت»؟ قالت: أصبحت والله وجعة وزادني وجعاً على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضرّ بي الجوع، فبكى رسول الله وقال: «لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وأني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: ابشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة» قالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران؟ قال «آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها

صخب ولا نصب » ثم قال لها : اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوّجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة » .

وروي عن علي كرّم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جميع الدراهم رماهم الله بأربع خصال : بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان والخيانة من ولاة الأحكام ، والشوكة من الأعداء » .

وأما الآثار ، فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه : ذو الدرهمين أشد حبساً أو قال أشد حساباً من ذي الدرهم . وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار ، فجاء حزيناً كئيباً فقالت امرأته : أحدث أمر ؟ قال : أشد من ذلك ، ثم قال : أريني

---

**ولا صخب ولا نصب » ثم قال لها « اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوّجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة » )** تقدم هذا بعينه في آخر كتاب ذم البخل وحب المال . وذكر العراقي هناك أنه رواه أحمد من حديث معقل بن يسار ولم يروه من حديث عمران بن حصين .

( **وروي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال : بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان ، والخيانة من ولاة الأحكام ، والشوكة من الأعداء »** ) قال العراقي : رواه الديلمي باسناد فيه جهالة وهو منكر اهـ .

قلت : ورواه أيضاً الحاكم وصححه وتعقب بلفظ : « إذا أبغض المسلمون علماءهم وأظهروا عمارة أسواقهم وتألبوا على جمع الدراهم » الحديث وفيه والوصلة من العدو .

( **وأما الآثار** ) ؛ فقد ( **قال أبو الدرداء** ) رضي الله عنه : كذا في النسخ والصواب أبو ذر ( **ذو الدرهمين أشد حبساً أو** ) قال ( **أشد حساباً من ذي الدرهم** ) الواحد . رواه أحمد في الزهد ، عن يحيى بن سعيد ، حدثني سليمان ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه عن أبي ذر قال : ذو الدرهمين أشد حساباً من ذي درهم .

( **وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر** ) بن خذيم الجمحي رضي الله عنه ( **بألف دينار** ) وفي رواية بأربعمائة دينار ، ( **فجاء حزيناً كئيباً فقالت إمرأته** ) : ما شأنك مات أمير المؤمنين؟ قال : أعظم من ذلك . قالت : ( **أحدث** ) في الإسلام ( **أمر ؟ قال : أشد من ذلك** ) . قالت : فما هو ؟ قال : أتتني الدنيا قد كنت مع رسول الله ﷺ فلم تفتح الدنيا علي وخلفت في أيام أبي بكر فلم تفتح علي ، وخلفت في أيام عمر إلا وأشد أيامي أيام عمر ، ( **ثم** ) حدثها فقالت : نفسي فداؤك فاصنع بها ما بدا لك . ( **قال** ) : أتساعديني على ما أريد ؟ قالت : نعم . قال : ( **أرني**

درعك الخلق فشقه وجعله صرراً وفرقه، ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، حتى ان الرجل من الأغنياء يدخل غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج». وقال أبو هريرة: ثلاثة

---

**درعك الخلق فشقه وجعله صرراً وفرقه)** على جيش من المسلمين خرجوا يريدون الغزو ولم يترك لأهله منها ديناراً فقالت له امرأته: لو حبست منها ما تستعين به. فقال لها: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وإن امرأة من أهل الجنة أشرفت إلى الأرض» الحديث وفيه: «والله ما كنت لاختارك عليهن فكنت» ورواه مالك بن دينار عن شهر بن حوشب قال فيه: **(ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى أن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده ويخرج»)**
قال العراقي: روى أحمد القصة الموقوفة دون المرفوع، فرواه الطبراني دون القصة إلا أنه قال «بسبعين عاماً» وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه. وفي رواية له بأربعين سنة، وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وتقدم قريباً اهـ.

قلت: لفظ الطبراني، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، حدثنا مسعود بن سعد، حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي قال: دعا عمر بن الخطاب رجلاً من بني جمح يقال له سعيد بن عامر بن خديم فقال له: إني مستعملك على أرض كذا وكذا، فساق الحديث وفيه: وما أنا بمتخلف عن العنق الأول بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول «يجمع الله الناس للحساب فيجيء فقراء المؤمنين يزفون كما تزف الحمام فيقال لهم: قفوا عند الحساب، فيقولون: ما عندنا حساب ولا أتيتمونا شيئاً. فيقول ربهم: صدق عبادي فيفتح لهم باب الجنة فيدخلونها قبل الناس بسبعين عاماً».

ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق جرير، حدثنا يزيد بن أبي زياد، ورواه من طريق أبي معاوية عن موسى الصغير عن عبد الرحمن بن سابط وفيه: فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخن في بيته فأرسل إليه عمر بمال فأخذه فصره صرراً فتصدق به يميناً وشمالاً الحديث. ورواه أبو نعيم أيضاً من طريق خالد بن معدان قال: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن خديم الجمحي فساق الحديث وفيه: فبعث إليه عمر بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك، فقالت امرأته الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك في خير من ذلك ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها؟ قالت: نعم فدعا رجلاً من أهله يثق به فصررها صرراً ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهبية فقال: انفقي هذه ثم عاد إلى عمله. وروي المرفوع من حديث سعيد بن عامر الحكيم الترمذي في النوادر «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة حتى أن الرجل من الأغنياء ليدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج».

يدخلون الجنة بغير حساب: رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه، ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين، ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد.

وقيل: جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له: تخط، لو كنت غنياً لما قربتك، وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وأعراضه عن الأغنياء. وقال المؤمل: ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري، ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله.

وقال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعاً، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً.

وقال ابن عباس: ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر.

وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحد الخلقان ثيابه فإن ربك وربه واحد.

---

**( وقال أبو هريرة )** رضي الله عنه: **( ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب: رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه، ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين، ورجل دعا بشرابه فلا يقال أيها تريد )**، وهذا قد رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي سعيد، وفيه رجل غسل ثيابه فلم يجد له خلفاً، ورجل لم ينصب على مستوقده قدران، ورجل دعا بشراب فلم يقل له أيها تريد.

**( وقيل: جاء فقير إلى مجلس )** سفيان **( الثوري )** رحمه الله تعالى **( فقال له )** الثوري: **( تخط لو كنت غنياً لما قربتك )** رواه أبو نعيم في الحلية، **( وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقير وإعراضه عن الأغنياء )** رواه أبو نعيم في الحلية. **( وقال المؤمل )** بن إسماعيل البصري أبو عبد الرحمن نزيل مكة: **( ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثورى ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري )** رواه أبو نعيم في الحلية.

**( وقال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لنجا منهما جميعاً، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعاً، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً )** نقله صاحب القوت وقد تقدم نحوه في كتاب الخوف.

**( وقال ابن عباس )** رضي الله عنهما: **( ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر )**.

**( وقال لقمان عليه السلام لابنه )** وهو يعظه **( يا بني لا تحقرن أحد الخلقان ثيابه فإن ربك وربه واحد )**.

وقال يحي بن معاذ : حبك الفقراء من أخلاق المرسلين ، وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين ، وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين .

وفي الأخبار عن الكتب السالفة : أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام : إحذر أن أمقتك فتسقط عن عيني فاصب عليك الدنيا صباً .

ولقد كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما ، وإن درعهالمـرقوع ، وتقول لها الجارية : لو اشتريت لك بدرهم لحماً تفطرين عليه! وكانت صائمة ، فقالت : لو ذكرتيني لفعلت ، وكان قد أوصاها رسول الله ﷺ وقال : « إن أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء ، وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه » .

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم ، فأبى عليه أن يقبلها ، فألح

---

**( وقال يحي بن معاذ )** الرازي رحمه الله تعالى : **( حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين )** نقله صا :ب القوت .

**( وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه احذر ان أمقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صباً )** نقله صاحب القوت .

**( ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية )** بن أبي سفيان **( وابن عامر )** عبد الله **( وغيرهما ، وأن درعها لمرقوع ، وتقول لها الجارية : لو اشتريت لك بدرهم لحماً تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت : لو ذكرتيني لفعلت )** تقدم وأن الذي أرسل إليها مائة ألف درهم هو عبدالله بن الزبير وأن الجارية هي مولاتها أم درة ، **( وكان قد أوصاها رسول الله ﷺ وقال : « ان أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه » )** قال العراقي : رواه الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها اهـ .

قلت : لفظ الحاكم « إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقي ثوباً حتى ترقعيه » . وقد رواه البيهقي كذلك .

**( وجاء رجل إلى إبراهيم )** بن أدهم رحمه الله تعالى **( بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم : أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة**

عليه الرجل، فقال له ابراهيم: أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم؟ لا أفعل ذلك أبداً رضي الله عنه.

## بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين:

قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به»، وقال ﷺ: «يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا»، فالأول القانع وهذا الراضي، ويكاد يشعر هذا بمفهومه: أن الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثواباً كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه، ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله، فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر.

---

**آلاف درهم لا أفعل ذلك أبداً)** رواه القشيري في الرسالة بلفظ: إن رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وقال: تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل، والله الموفق.

**بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين القانعين والصابرين:**

وفي نسخة: والصادقين.

**(قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به»)** رواه ابن المبارك في الزهد، والترمذي وقال: صحيح، والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث فضالة بن عبيد وقد تقدم. وروى البيهقي من حديث أبي الحويرث، والديلمي من حديث عبد الله بن حنطب بن الحرث: «طوبى لمن رزقه الله الكفاف ثم صبر عليه». **(وقال ﷺ: «يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلاَّ فلا»)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف جداً، وأحمد بن الحسن بن أبان المضري متهم بالكذب ووضع الحديث اهـ.

قلت: وهو بضم الميم وفتح الضاد المعجمة ويعرف بالابلي، وقد روى عن أبي عاصم قال الدارقطني: كذاب.

**(فالأول القانع وهذا)** وفي نسخة والثاني **(الراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه بان الحريص)** الذي هو أحد أقسام الفقير **(لا ثواب له على فقره، ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثواباً كما سيأتي تحقيقه)** قريباً. **(فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله تعالى في حبس الدنيا عنه، ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر.**

**وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم، هم جلساء الله تعالى يوم القيامة ».**

**وروي عن علي كرّم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال: « أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى ». وقال ﷺ: « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً »، وقال: « ما من أحد غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا »، وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم. قال: ومن هم؟ قال: الفقراء الصادقون، وقال ﷺ: « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان**

---

**وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم، هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » )** قال العراقي: رواه الدارقطني في غرائب مالك، وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق، وابن عدي في الكامل، وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وأورده القشيري في الرسالة فقال: أخبرنا أبو عبد الله السلمي، أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء البزاز حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد البغدادي، حدثنا عثمان بن معبد، حدثنا عمر بن راشد، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين » الحديث.

**( وروي عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى » )** قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ وتقدم من رواية عند ابن ماجه، أن الله يحب الفقير المتعفف اهـ.

قلت: وروى الديلمي من حديث ابن عمر « يقول الله عز وجل الشاب المؤمن بقدري الراضي بكتابي القانع برزقي التارك لشهوته من أجلي هو عندي كبعض ملائكتي ».

**( وقال ﷺ: « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً » )** وفي بعض النسخ رزق بدل قوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتاً اهـ.

قلت: لفظ مسلم « اللهم ارزق آل محمد كفافاً » ولفظ المتفق عليه « اللهم ارزق آل محمد قوتاً » وعند أحمد والترمذي وابن ماجه وأبي يعلى والبيهقي « اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتاً ».

**( وقال ) ﷺ: ( « ما من أحد غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا » )** رواه ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم. **( وأوحى الله إلى إسماعيل عليه السلام: اطلبني عند المنكسرة قلوبهم. قال: ومن هم؟ قال: الفقراء الصادقون )**. وتقدم للمصنف في حقوق المسلم قال موسى عليه السلام: إلهي أين أبغيك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي. **( وقال ﷺ « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً » )** قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ.

راضياً »، وقال ﷺ: « **يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي؟ فتقول** الملائكة: ومن هم يا ربنا؟ **فيقول: فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري،** أدخلوهم الجنة. فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس **في الحساب يترددون »، فهذا في** القانع والراضي. وأما الزاهد **فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب إن شاء الله** تعالى.

وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا **يخفى ان القناعة يضادها الطمع. وقد قال** عمر رضي الله تعالى عنه: **إن الطمع فقر واليأس غنى، وإنه من يئس عما في أيدي الناس** وقنع استغنى عنهم.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: **ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش:** يا ابن آدم، **قليل يكفيك خير من كثير يطغيك.**

---

**( وقال ﷺ « يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة: ومن هم يا ربنا؟ فيقول: فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون » )** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس. **( فهذا )** ما ورد **( في القانع والراضي، وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى )**.

**( وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع )** فإن القناعة هي إلا جزاء باليسير من الاعراض المحتاج إليها، والطمع نزوع النفس إلى الشيء شهوة به، **( وقد قال عمر رضي الله عنه: إن الطمع فقر واليأس غني وأنه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم )** رواه أحمد في الزهد قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال، قال عمر في خطبته: تعلمون أن الطمع فقر وأن اليأس غنى وأن الرجل إذا يئس من شيء استغني عنه. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه، ورواه أيضاً عن أبيه، حدثنا إبراهيم بن محمد، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن وهب، عن الثوري، عن هشام، عن أبيه، عن زبيد بن الصلت عن عمر مثله.

**( وقال )** عبد الله **( ابن مسعود )** رضي الله عنه: **( ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش: يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك )**. روى أبو داود الطيالسي من حديث أبي الدرداء: ما طلعت شمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى. تفرد به قتادة عن خليد البصري عن أبي الدرداء.

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: ما من أحد إلا وفي عقله نقص، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحاً مسروراً والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص.

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك.

وقيل: كان ابراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله، فلما أكل نام، فقال لبعض غلمانه: إذا قام فجئني به، فلما قام جاء به إليه فقال ابراهيم: أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع؟ قال: نعم. قال: فشبعت؟ قال: نعم، قال: ثم نمت طيباً؟ قال: نعم. فقال ابراهيم في نفسه، فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر.

ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحاً وبقلاً فقال له: يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا؟ فقال: ألا أدلك على من رضي بشر من هذا؟ قال: بلى. قال من رضي بالدنيا عوضاً عن الآخرة.

---

( **وقال أبو الدرداء** ) رضي الله عنه. ( **ما من أحد إلا وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحاً مسروراً والليل والنهار دائبات في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك. ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص.**

**وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك** ) أي عدم تعلق النفس بالآمال والرضا بما يسر له في الحال وهذا أحسن ما عرف به الغنى.

( **وقيل: كان إبراهيم بن أدهم** ) رحمه الله تعالى ( **من أهل النعم بخراسان** ) إذ كان والده من أمراء بلخ، ( **فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل نام، فقال** ) إبراهيم ( **لبعض غلمانه: إذا قام** ) هذا الرجل من نومه ( **فجئني به** ) فانتظره، ( **فلما قام جاء به إليه فقال** ) له ( **إبراهيم: أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع؟ قال: نعم. قال: فشبعت؟ قال: نعم. قال: ثم نمت طيباً؟ قال: نعم. فقال إبراهيم في نفسه: فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر** ). وهذا أحد أسباب توبته وخروجه من ملك أبيه.

( **ومرّ رجل بعامر بن عبد قيس** ) وكان من الصديقين ( **وهو يأكل ملحاً وبقلاً فقال له: يا عبد الله** ) وفي نسخة يا أبا عبد الله ( **أرضيت من الدنيا بهذا؟ فقال: ألا أدلك على من رضي بشرّ من هذا. قال: بلى. قال: من رضي بالدنيا عوضاً عن الآخرة** ) ولفظ القوت: وكان عامر بن عبد قيس إذاعوتب في تقلله من الدنيا يقول: بل أنتم والله رضيتم بالقليل، وكان

وكان محمد بن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزاً يابساً فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول: من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد.

وقال الحسن رحمه الله: لعن الله أقواماً قسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون* فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ [الذاريات: ٢٢ - ٢٣] الآية. وكان أبو ذر رضي الله عنه يوماً جالساً في الناس فأتته امرأته فقالت له: أتجلس بين هؤلاء؟ والله ما في البيت هفة ولا سفة، فقال: يا هذه، إن بين أيدينا عقبة كؤداً لا ينجو منها إلاّ كل مخف، فرجعت وهي راضية.

---

غيره يقول: إذا قيل له أزهد الناس، فقال أنتم أزهد مني لأني زهدت في قليل يفنى وأنتم زهدتم في كثير يبقى.

(**وكان محمد بن واسع البصري رحمه الله**) تعالى (**يخرج خبزاً يابساً فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول: من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد**) قال أحمد في الزهد: حدثنا وكيع عن رجل قال: قال لمحمد بن واسع ابنه ليس كل ساعة تبقى لنا. قال: فدعا بخبز وملح ثم جعل يأكل، فقال: تراني أقنع بهذا وأرضي به أعينهم وادخل معهم أو ألي لهم. وقال عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد: حدثني سفيان بن وكيع قال: سمعت أبي يقول: بلغني أن محمد بن واسع أريد علي القضاء فأبى، فعاتبته امرأته قال: لك عيال وأنت محتاج. قال: ما دمت ترينني أصبر على الخل والبقل فلا تطمعين في هذا مني.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**لعن الله أقواماً أقسم لهم الله ثم لم يصدقوه ثم قرأ**) هذه الآية. (**﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون* فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ الآية**).

(**وكان أبو الدرداء**) رضي الله عنه وفي بعض النسخ أبو ذر (**جالساً في الناس فأتته امرأته فقالت له: تجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة**) أي ما يهف ويسف (**فقال: يا هذه إن بين أيدينا عقبة كؤداً لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهي راضية**) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي معاوية عن موسى الصغير عن هلال بن يساف عن أم الدرداء قالت، قلت لأبي الدرداء: مالك لا تطلب لأضيافك كما يطلب غيرك لأضيافهم؟ فقال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن امامكم عقبة كؤداً لا يجوزها المثقلون فأنا أحب ان أتخفف لتلك العقبة، تفرد به موسى الصغير عن هلال.

وروى الحرث بن أبي أسامة في مسنده من طريق أبي أسماء الرحبي أنه دخل على أبي ذر وهو بالربذة وعنده امرأة سوداء شعثة ليس عليها أثر المجاسد والخلوق. قال: فقال الا تنظرون إلى ما تأمرني به هذه السوداء؟ تأمرني أن آتي العراق فإذا أتيت العراق مالوا علي بدنياهم وأن خليلي عهد

وقال ذو النون رحمه الله: أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له.

وقيل لبعض الحكماء: ما مالك؟ فقال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس.

ويروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة: يا ابن آدم، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن إليك.

وقد قيل في القناعة:

اضرع إلى الله لا تضرع إلى النـــاس ... واقنع بيـأس فـإن العـز في اليـأس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغني مـن استغنـى عـن النـاس

وقد قيل في هذا المعنى أيضاً:

يا جامعاً مـانعـاً والدهـر يـرمقـه ... مقـــدراً أي بـــاب منـــه يغلقـــه
مفكـــراً كيـــف تـــأتيـــه منيتـــه ... أغـاديـاً أم بها يسري فتطـــرقـــه

---

إليَّ أن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض ومزلة واناء إن نأن عليه وفي أحمالنا اقتدار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير.

**( وقال ذو النون )** المصري رحمه الله تعالى: **( أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له )** وهو معنى حديث كاد الفقر أن يكون كفراً.

**( وقيل لبعض الحكماء: ما مالك؟ قال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس.**

**ويروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة: يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن إليك.**

**وقد قيل في القناعة )**:

**( اضرع إلى الله لا تضرع إلى النـــاس ... واقنـع بيـأس فـإن العــزّ في اليـأسِ**
**واستغن عن كل ذي قـربـى وذي رحـم ... إن الغني من استغنى عَنْ الناسِ )**

**وقد قيل في هذا المعنى أيضاً:**

**( يـا جـامعـاً مـانعـاً والدهـر يـرمقـه ... مقـــدّراً أي بـــاب منِـــه يغلقـــه**
**مفكـــراً كيـــف تـــأتيـــه منيتـــه ... أغاديا أم بها يسري فيطرقه )**

جمعت مالاً فقل لي هل جمعت لـه يـا جـامـع المال أيـامـاً تفـرقـه
المال عنـدك مخزون لـوارثـه مـا المال مـالـك إلا يـوم تنفقـه
أرفـه ببـال فتى يغـدو على ثقـة إن الذي قسم الأرزاق يـرزقـه
فالعرض منه مصـون مـا يـدنسـه والوجـه منـه جـديـد ليس يخلقـه
إن القنـاعـة مـن يحلـل بسـاحتهـا لم يلـق في ظلهـا همـا يـؤرقـه

**بيان فضيلة الفقر على الغنى:**

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا، فذهب الجنيد والخوّاص والأكثرون إلى تفضيل الفقر. وقال ابن عطاء: الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر. ويقال إن الجنيد دعا علي بن عطاء لمخالفته إياه في هذا فأصابته محنة، وقد ذكرنا ذلك في كتاب

---

أي يأتيه ليلاً:

( جمعت مالاً فقل لي هل جمعت لـه يا جامع المال أياماً تفرقه )
( المال عنـدك مخزون لـوارثـه ما المال مالك إلا يوم تنفقه )
( ارفـه ببـال فتى يغـدو على ثقـة إن الذي قسم الأرزاق يرزقه )
( فـالعـرض منـه مصـون مـا يـدنسـه والوجـه منـه جـديـد ليس يخلقـه )
( إن القنـاعـة مـن يحلـل بسـاحتهـا ولم يلـق في ظلهـا همـاً يـؤرقـه )

أي يحزنه ويقلقه.

**بيان فضيلة الفقر على الغنى:**

( **اعلم** ) هداك الله تعالى ( **أن الناس قد اختلفوا في هذه، فذهب** ) أبو القاسم ( **الجنيد و** ) إبراهيم بن أحمد ( **الخوّاص** ) مات قبل العشرين وثلاثمائة ( **والأكثرون** ) من المشايخ ( **إلى تفضيل الفقر** ) على الغنى وهو الحق الذي لا محيد عنه. ( **وقال** ) أبو العباس أحمد بن محمد ( **بن عطاء** ) الآدمي المتوفى سنة ٣٠٩: ( **الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر. ويقال: إن الجنيد** ) رحمه الله تعالى( **دعا علي بن عطاء** ) وباهله في هذه المسألة ( **لمخالفته إياه في هذا** ) وانكاره له أشد الإنكار ( **فأصابته محنة** ) واستجيب فيه دعاء الجنيد، وكان الجنيد يقول: الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وإن تساويا في المقام بحكم حالها لأن الغني التقي يمنع نفسه وينعم صفته، والفقير الصابر قد أدخل على صفته الآلام والمكاره، فقد زاد عليه بذلك وهذا كما قال. وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول: ما أعدل بالفقر شيئاً وكان يفضل حال الفقر ويعظم شأن الفقير الصابر. وقال المروزي وذكر بعض الفقراء فجعل يمدحه ويكثر السؤال عنه فقلت له: يحتاج إلى علم. فقال: ويحك اسكت صبره على الفقر ومقاساته للضر خير من كثير من

الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر، ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال وإن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل.

فأما الفقر والغنى إذا أخذ مطلقاً لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في تفضيل الفقر، ولا بد فيه من تفضيل فنقول إنما يتصور الشك في مقامين:

**أحدهما:** فقير صابر ليس بحريص على الطلب، بل هو قانع أو راضٍ بالإضافة إلى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصاً على إمساك المال.

**والثاني:** فقير حريص مع غني حريص، إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الغني الحريص الممسك، وأن الغني المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص، أما الأول فربما يظن أن الغني أفضل من الفقير، لأنهما تساويا في ضعف الحرص على المال، والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه، وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه، فأما الغني المتمتع بالمال وإن كان في مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع،

---

العلم ثم قال: هؤلاء خير منا. **( وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر، ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال، وأن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل )**.

**( وأما الفقر والغنى إذا أخذ مطلقاً لم يسترب )** أي لم يشك **( من قرأ )** وفي نسخة رأى **( الأخبار و )** طالع **( الآثار في تفضيل الفقر )** مطلقاً، ومنها ما تخص الراضين بالفقر والقانعين من الفقراء، والبصيرة تعضد ذلك لما فيه من عدم المشغلات والعجز عن قضاء الأوطار المذمومة وتخفة الحساب في القيامة وهذا يصح أن يكون مسلكاً في تفضيله على الغنى **( و )** لكن **( لا بد فيه من تفصيل )** يرفع عنه نقاب الخفاء **( فنقول: إنما يتصور الشك في مقامين )**.

**( أحدهما )**: في **( فقير صابر وليس بحريص على الطلب بل هو قانع راض بالإضافة إلى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصاً على إمساك المال )**.

**( والثاني )**: في **( فقير حريص )** على الطلب **( مع غني حريص )** على إمساك المال **( إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الغني الحريص الممسك )** على المال **( وأن الغني المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص )** فهذه أربع مقامات، وإنما الشك في المقامين الأولين **( أما الأول؛ فربما يظن أن الغني أفضل من الفقير لأنهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني )** زائد عليه فإنه **( متقرب بالصدقات والخيرات، والفقير عاجز عنه )** لفقد المال **( وهذا هو الذي ظنه )** أبو العباس **( بن عطاء )** فيما ذهب إليه **( فيما نحسبه، فأما الغني المتمتع بالمال وإن كان في مباح )** شرعي **( فلا يتصوّر أن يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له )**

**وقد يشهد له ما روي في الخبر: أن الفقراء شكوا إلى رسول الله ﷺ سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد، فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الأغنياء، فتعلم الأغنياء ذلك فكانوا يقولونه، فعاد الفقراء إلى رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال عليه السلام: « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ».**

**وقد استشهد ابن عطاء أيضاً لما سئل عن ذلك فقال: الغني أفضل! إنه وصف الحق أما دليله الأول ففيه نظر، لأن الخبر قد ورد مفصلاً تفصيلاً يدل على خلاف ذلك: وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني، وأن فوزهم بذلك الثواب فضل**

---

أي لابن عطاء ( **ما روي في الخبر أن الفقراء شكوا إلى رسول الله ﷺ سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد، فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم أنهم ينالون بها فوق ما ناله الأغنياء، فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولون فعادوا إلى رسول الله ﷺ فقال « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »** ) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه اهـ.

قلت: لفظها « ألا أحدثكم بحديث إن أخذتم به أدركتم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلاَّ من عمل مثله؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين » وفي لفظ للبخاري: « قال الفقراء ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا، وانفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال فقال: ألا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولم يأت بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله؟ تسبحون في دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتكبرون عشراً » ورواه مسلم نحوه، وهو بهذا اللفظ عند الطيالسي من حديث أبي الدرداء. وروى ابن ماجه من حيث أبي ذر « ألا أخبركم بأمر إذا فعلتموه أدركتم من قبلكم وفتم من بعدكم؟ تحمدون الله في دبر كل صلاة وتسبحونه وتكبرونه ثلاثاً وثلاثين وثلاثاً وثلاثين وأربعاً وثلاثين » وروى ابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة.

( **وقد استشهد ابن عطاء أيضاً لما سئل عن ذلك** ) سأله بعض الشيوخ عن الوصفين ايها أفضل؟ ( **فقال: الغني أفضل لأنه وصف الحق. أما دليله الأول** ) وهو التمسك بحديث أبي هريرة ( **ففيه نظر لأن الخبر** ) المذكور ( **قد روي مفصلاً تفصيلاً يدل على خلاف ذلك، وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء** ) و بيانه: أن هذا عند أولي الألباب في تدبر الخطاب يعني به الفقراء لأنه قيل لهم في أول الكلام: إن ذلك لم يسبقكم أحد قبلكم ولم يدرككم أحد بعدكم، فثبت هذا القول من الرسول و صح، فما جاء بعده يكون محمولاً عليه و مفسراً له، ولم يجز أن ينقلب الخطاب لأنه أخبار عن شيء فكيف يرجع عنه أو ينسخ الخبر عن أمر بقول آخر؟ فلما فعل الأغنياء ما أمر به الفقراء من الذكر وقف الفقراء في قول رسول الله ﷺ لنظرهم إلى مزيد الأغنياء عليهم بفضل القول، فرجعوا إليه يستفتون منه الخبر و يستثبتون عنه ما به أخبر فقال: لا تعجبوا فإن الذي

الله يؤتيه من يشاء، فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث الفقراء رسولاً إلى رسول الله ﷺ فقال: إني رسول الفقراء إليك، فقال: « مرحباً بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم » قال: يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه، ويعتمرون ولا نقدر عليه، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم، فقال النبي ﷺ: « بلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء: أما خصلة واحدة؛ فإن في الجنة غرفاً ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء، لا يدخلها إلا نبي فقير، أو شهيد فقير، أو مؤمن فقير، والثانية: يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام، والثالثة: إذا قال الغني: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البر كلها » فرجع إليهم

---

قلت كما قلت هو فضل الله يؤتيه من يشاء فأنتم ممن يشاء أن يؤتيه فضله، فثبتهم في القول الاول، ولم يرجع هو عن قوله إلى نقيضه، فصح هذا التأويل عن مآله الذي يؤل إليه باستنباط باطن العلم عنه، و بطل حمل ابن عطاء ومن وافقه الخبر على ظاهره ولما يأتهم تأويله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه إذ لم يعطوا حقيقة خبره وهو حيطته، إذ تأويل الحق الذي هو مآله و حقيقته عند الله تعليم من الله ليس على ظاهر الخطاب يستنبطه أولو الالباب، وقد قال: فقهه في الدين وعلمه التأويل شهد لبطلان تأويلهم قول الرسول في أول الكلام لا يسبقكم من قبلكم ولا يلحقكم من بعدكم، فكان قوله الثاني مواطئاً لقوله الأول إذ لم يناقض الأول بالآخر، فهذا من سحر البيان في قوله « إن من البيان لسحراً »، ( **فقد** ) جاء دليل ما قلناه مفسراً مكشوفاً في الخبر الذي ( **روى زيد بن أسلم** ) العدوي التابعي مولى عمر مات سنة ست وثلاثين ( **عن أنس بن مالك** ) رضي الله عنه ( **قال: بعث الفقراء رسولاً إلى رسول الله ﷺ فقال: إني رسول الفقراء إليك. فقال « مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم » فقال: قالوا يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالجنة** ) أي بالدرجات فيها ( **يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم. فقال رسول الله ﷺ « بلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء. أما خصلة واحدة فإن في الجنة غرفاً ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام، الثالثة: إذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البر كلها » فرجع إليهم** ) بهذا الجواب ( **فقالوا: رضينا رضينا** ). هكذا نقله صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجده هكذا بهذا السياق، والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه

فأخبرهم بما قال رسول الله ﷺ: «فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على أن قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» أي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم.

وأما قوله: إن الغنى وصف الحق، فقد أجابه بعض الشيوخ فقال: أترى أن الله تعالى غني بالأسباب والأعراض، فانقطع ولم ينطق، وأجاب آخرون فقالوا: إن التكبر من صفات الحق فينبغي أن يكون أفضل من التواضع، ثم قالوا: بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لأن صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء، وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها، ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا ﷺ: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قصمته». وقال سهل: حب العز والبقاء شرك في

---

من حديث ابن عمر «اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ما فضل به عليهم أغنياؤهم فقال: يا معشر الفقراء ألا أبشركم إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام» واسناده ضعيف، **(فهذا يدل على أن قوله)** في الخبر الاول **(«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» أي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم)**.

**(وأما قوله: إن الغنى وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ)** وهو الذي سأله عن الوصفين أيهما أفضل؟ **(فقال: أترى أن الله تعالى غني بالأسباب والأعراض، فانقطع)** ابن عطاء **(ولم ينطق)** بحرف إذ كان ذلك تسجيلاً عليه، وهذا كما قاله الشيخ لأن الحق سبحانه غني بوصفه، فالفقير أحق بهذا المعنى لأنه غني بوصفه بالايمان لا بالاسباب لانفراده عنها فهو الافضل وإلى الحق أقرب، فأما الغني فإنه متشتت مجتمع بالأسباب فهو مفضول بلا ارتيـاب وقد خالفه الخواص ابراهيم فوفق للصواب وكان فوقه في المعرفة فقال في كتابه شرف الفقر: والفقر صفة للحق يصف به الفقراء فوافق في التأويل يعني أنه تعالى متخل عن الاسباب منفرد عنها. **(و أجاب آخرون فقالوا)**: هذا غلط فاحش من جهة المعنى المذكور دخل على ابن عطاء لأنه إن كان فضل الغنى على الفقر لأنه صفة الحق فإن **(التكبر من صفات الحق، فينبغي أن يكون أفضل من التواضع)** الذي هو من صفات العبد، وكذلك الحمد والعز لأن ذلك كله صفة الحق، فلما أجمعوا على ذم من كان هذا وصفه كان من وصف بالغنى في معناه **(ثم قالوا: بل هذا يدل على أن الفقراء أفضل لأن صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء)**، والغنى صفة الحق مقترن بالعز والكبر، **(وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها)** ولا يشارك، بل ينبغي أن يسلم صفات الحق للحق، فبطل قول ابن عطاء، **(ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا ﷺ: «الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته»)** تقدم في ذم الكبر وفي العلم **(وقال)** أبو محمد **(سهل)** بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى مخالفاً له وموافقاً لما ذهب إليه الجنيد: **(حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لأنهما من صفات**

**الربوبية ومنازعة فيها لأنها من صفات الرب تعالى، فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر، وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها، إذ كما يناقض قول من فضل الغني بأنه صفة الحق بالتكبر، فكذلك يناقض قول من ذم الغني لأنه وصف للعبد بالعلم والمعرفة فإنه وصف الرب تعالى، والجهل والغفلة وصف العبد، وليس لأحد أن يفضل الغفلة على العلم، فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر: وهو أن ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي أن يضاف إلى مقصوده، إذ به يظهر فضله، والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن**

---

**الرب تعالى)** ولفظه عند صاحب القوت. قال سهل: من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته، وهذه صفات الربوبية يخشى عليه الهلكة، فإذا ثبت ذلك كان الفقر أفضل لأنه وصف العبودية فمن جعله وصفه فقد تحقق بالعبودية، وأخلاق العبودية هي أخلاق الايمان وهي التي أحبها الله تعالى من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف اليها، وأوصاف الربوبية ابتلى بها قلوب أعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء والغنى مضموم إليها. وكان الحسن يقول: ما رأيت الله تعالى جعل البقاء إلا لأبغض خلقه اليه وهو إبليس، وكذلك كان العلماء يقولون: لا ترغبوا في البقاء في هذا الدار فإن شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين، والغنى إنما يراد للبقاء، (**فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر. وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها إذ كما يناقض قول من فضل الغنى**) على الفقر (**بأنه صفة الحق بالتكبر**) والعز والبقاء، (**فكذلك يناقض قول من ذم الغنى**) وفضل الفقر (**بأنه وصف العبد بالعلم**) والمعرفة (**والقدرة فإنه وصف الرب تعالى والجهل**) والغفلة، (**والعجز وصف العبد وليس لأحد أن يفضل الغفلة والعجز على العلم والقدرة، فكشف الغطاء عن هذا هو ماذكرناه في كتاب الصبر، وهو أن مالا يراد لعينه بل يراد لغيره، فينبغي أن يضاف إلى مقصوده إذ به يظهر فضله**) وايضاح ذلك أنه تقدم أن الفقر مطلق ومقيد. والمطلق يراد لذاته والمقيد يراد لغيره والغنى كذلك، فالغنى المراد لذاته والفقر المراد لذاته سيان في أصل المقام، لأن من افتقر إلى الله استغنى به، ومن استغنى بالله افتقر إلى الله، فالتفاوت في كمال المقام لا في أصله، فم يبق إلا المقيد من كل واحد، وقد قلنا: ان المقيد ماله تعلق إلا بوجود المال وفقده، فلنذكر آفات المال وفوائده فمن تخلى من آفاته وتحلى بفوائده فهو الافضل وإلا فالعكس وللمال فوائد ثلاث.

**الأولى: أن ينفقه على نفسه إما في عبادة أو في الاستعانة على عبادة والقلب إذا انصرف إلى ذلك لم يتفرغ للدين والفقير محروم من فضل ذلك.**

**الثانية: ما يقي به العرض ويتحصل به المروءة وحسن الخلق وما يتقي به إضاعة الأوقات**

الوصول إلى الله تعالى ولا الفقر مطلوباً لعينه لكن لأن فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه، وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد، وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به، ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته، وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن، والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغني قد يكون من الشواغل، وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا، إذ لا يجتمع معه حب الله في القلب، والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله، وربما يكون شغله في الفراق أكثر، وربما يكون شغله في الوصال أكثر، والدنيا معشوقة

---

كالخادم، فإن الاوقات التي يصرفها في خدمة نفسه إذا تولاها غيره استفاد عمراً جديداً ليصرفه في الفكر والعلم ويستفيد من الفكر والعلم محبة الله والانس به.

الثالثة: وهو ما يتعدى نفعه كبناء المساجد والرباطات وحفر الآبار في الطرق وغير ذلك مما هو مستجلب لأدعية الصالحين. وللمال أيضاً آفات ثلاث.

الأولى: أنه يجر إلى المعصية، ومن العصمة أن لا يجد والصبر مع القدرة شديد.

الثانية: أنه يجر إلى التنعم بالمباح ومتى تعودت النفس ذلك تولد منها آفات عظيمة والفقير بمعزل عن ذلك.

الثالثة: وهي التي لا ينفك عنها أحد وهي أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله عز وجل وكل ما شغل عن الله تعالى فهو خسران، فالأفضل من قامت به هذه الفوائد وسلم من هذه الآفات، ومن لم يكن كذلك وإلا ففي الفقر السلامة الكبرى، وهذا حاصل ما يذكره المصنف فلنشرع فيه قال:

**( والدنيا ليست محذورة لعينها )** أي لذاتها، **( ولكن لكونها عائقة عن الوصول إلى الله تعالى، ولا الفقر مطلوباً لعينه لكن لأن فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه، وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله تعالى مثل سليمان عليه السلام )** وكذا داود وإبراهيم عليهما السلام فإنهم كانوا أصحاب جدة، **( و )** مثل **( عثمان )** بن عفان، **( وعبد الرحمن بن عوف )** رضي الله عنهما فإنهما من أغنياء الصحابة، فهؤلاء كلهم لم يشغلهم الغنى عن الله تعالى. **( وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن القصد )** كغالب أبناء الدنيا. **( وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والإنس به، ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته، وسلوك سبيل المعرفة مع )** وجود **( الشواغل )** الصارفة **( غير ممكن، والفقر قد يكون من الشواغل، كما أن الغنى قد يكون من الشواغل، وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا )** وهو أساس كل خطيئة **( إذ يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله، وربما يكون شغله في الفراق أكثر، وربما يكون شغله في الوصال أكثر )**

الغافلين، المحروم منها مشغول بطلبها، والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها، فإذاً إن فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد، إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة، ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده، إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة. وإن أخذت الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الخطر أبعد، إذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء، ومن العصمة أن لا يقدر، ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم: بلينا بفتنة الضراء فصبرنا، وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر. وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة إلا نادراً.

ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر ـ والضراء أصلح للكل دون ذلك النادر ـ زجر الشرع عن الغني وذمه، وفضل الفقر ومدحه، حتى قال المسيح عليه السلام: لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم.

وقال بعض العلماء: تقليب الأموال يمص حلاوة الإيمان.

---

باختلاف الأشخاص و الأحوال، **( و الدنيا معشوقة الغافلين )** والمغترين. **( المحروم عنها مشغول بطلبها )** بأي وجه انفق **( و القادر عليها مشغول بحفظها )** ورعايتها وتنميتها **وبالتمتع بها فإذاً إن فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى** استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة الضرورية ووجود قدر **الحاجة أفضل من فقده إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة، وإن أخذت الأمر باعتبار الأكثر فالفقير عن الخطر أبعد )** والداعية لا تتحرك باستشعار القدرة. فإن صبر بالصبر مع القدرة شديد **( إذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء، ومن العصمة أن لا يقدر )** وهو من قول علي رضي الله عنه كما تقدم. **( ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم: بلينا بفتنة الضراء فصبرنا، و بلينا بفتنة السراء فلم نصبر )** روى ذلك من قول عبد الرحمن بن عوف كما في الحلية وقد تقدم. **( وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الأمصار الكثيرة إلا نادراً )** والنادر كالمهدوم.

**( ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر و الضراء أصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى و ذمه، و فضل الفقر و مدحه حتى قال المسيح عليه السلام: لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم )** نقله صاحب القوت.

**( و قال بعض العلماء: تقليب الأموال يمص حلاوة الايمان )** نقله صاحب القوت.

وفي الخبر: «لكل أمة عجلاً وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم» وكان أصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة، أيضاً واستواء المال والماء، والذهب والحجر إنما يتصور للأنبياء عليهم السلام والأولياء؛ ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة، إذ كان النبي ﷺ يقول للدنيا: «إليك عني» إذ كانت تتمثل له بزينتها. وكان علي كرم الله وجهه يقول: يا صفراء غري غيري» ويا بيضاء غري غيري، وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادىء الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه، وذلك هو الغني المطلق، إذ قال عليه الصلاة والسلام: «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى

---

(وفي الخبر «إن لكل أمة عجلاً و عجل هذه الأمة الدينار و الدرهم») قال صاحب القوت: رويناه من طريق. و قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفروس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة باسناد فيه جهالة اهـ.

قلت: لفظ الديلمي «لكل أمة عجل يعبدونه و عجل أمتي الدراهم و الدنانير» وروي أيضاً من حديث أبي هريرة لكل شيء آفة تفسده و أعظم الآفات آفة تصيب أمتي حبهم الدنيا و حبهم الدينار و الدراهم. وفي القوت وفي الأثر «لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي هذا المال».

(وكان أصل عجل قوم موسى) عليه السلام (من حلية الذهب و الفضة أيضاً) كما هو بنص القرآن، (فاستواء المال و الماء و الذهب و الحجر إنما يتصور للأنبياء و الأولياء). روى ابن أبي الدنيا و ابن عساكر عن فضيل بن عياض قال: ضرب عيسى عليه السلام بيده إلى الأرض فقبض منها ثم بسطها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الاخرى مدر فقال لأصحابه: أيهما أحلى في قلوبكم؟ قالوا: الذهب. قال: فإنهما عندي سواء. (ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى) عليهم (بطول المجاهدة إذ كان النبي ﷺ يقول للدنيا «إليك عني إليك عني» إذ كانت تتمثل له بزينتها) رواه الحاكم مع اختلاف وقد تقدم في ذم الدنيا.

(وكان علي رضي الله عنه يقول: يا صفراء غري غيري و يا بيضاء غري غيري) رواه أحمد في الزهد: حدثنا وهب بن اسماعيل، حدثنا محمد بن قيس عن علي بن ربيعة الوالبي، عن علي ابن أبي طالب قال: جاءه ابن النباج فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المسلمين من صفراء و بيضاء. فقال: الله أكبر فقام متوكئاً على ابن النباج حتى قام على بيت مال المسلمين فقال: هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه. يا ابن النباج علي بأسباع الكوفة قال: فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول: يا صفراء و يا بيضاء غري غيري هاوها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه و صلى فيه ركعتين، (وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادىء الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه، وذلك هو المطلق إذ قال ﷺ «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس») متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم. (وإذا كان

غنى النفس » وإذ كان ذلك بعيداً ، فإذاً الأصلح لكافة الخلق فقد المال وإن تصدقوا به وصرفوه إلى الخيرات ، لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها ، وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم ، وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة. وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ، ومهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها ، والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لا محالة إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ ، وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره ، فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ، ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر ، وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ، ومثلهما مثل المشرق والمغرب ، فإنهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر ، بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر ، فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى ، فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوبه عن الدنيا وأنسه بها ، فإذاً فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبيهما بالمال فقط ، فإن تساويا فيه تساوت درجتهما ، إلا أن هذا مزلة قدم وموضع غرور ، فإن الغني ربما يظن أنه منقطع القلب عن

---

**ذلك بعيداً فإذاً الاصلح لكافة الخلق فقد المال وإن تصدقوا به و صرفوه إلى الخيرات )** ووجوه البر ، **( لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها )** وصرفها ، **( وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم ، و بقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة ، وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفات المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ، ومهما انقطعت أسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا و زهرتها )** أي تباعد ، **( و القلب إذا تجافي عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لا محالة إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ )** عن شغل ، **( وليس في الوجود إلا الله تعالى و غيره ، فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ، ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر ، و قربه من أحدهما بقدر بعده عن الآخر ، و مثلهما مثل المشرق و المغرب فإنهما جهتان متقابلتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد من الآخر ، بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر ، فعين حب الدنيا هو عين بغض الله ، فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا أو أنسه بها . فإذاً فضل الفقير و الغني بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط ، فإن تساويا فيه تساوت درجتهما إلا أن هذا مزلة القدم و موضع غرور ، فإن الغني ربما يظن )** في نفسه **( أنه منقطع القلب عن المال و يكون حبه دفيناً في باطنه )** كامناً **( وهو لا يشعر به ، وإنما**

المال، ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لا يشعر به، وإنما يشعر به إذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه أو إذا سرق منه، فإن وجد لقلبه إليه التفاتاً فليعلم أنه كان مغروراً، فكم من رجل باع سرية له لظنه أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار، التي كانت مستكنة فيه، فتحقق إذاً أنه كان مغروراً، وأن العشق مستكناً في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد، وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء، وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل، لأن علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته، فإن حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور، ولا يكون تأثيرها في إثارة الانس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول، ولذلك قال بعض السلف: مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفىء النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها، أفضل من عبادة غني ألف عام.

---

**يشعر به إذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه وإذا سرق منه، فإن وجد لقلبه إليه التفاتاً)** ولنفسه ميلاً **(فليعلم أنه كان مغروراً، فكم من رجل باع سرية له)** أي جارية **(لظنه أنه منقطع القلب عنها)** وقد سلا حبها. **(فبعد لزوم البيع و تسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه، فتحقق أنه إذاً كان مغروراً وأن العشق كان مستكناً في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد أو)** استكنانها في قلب **(الزناد، وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء و الأولياء)** فقد عصمهم الله تعالى عن الغرور، **(وإن كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق و أفضل لأن علاقة الفقير و أنسه بالدنيا أضعف، و بقدر ضعف علاقته)** بها **(يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فإن حركات اللسان)** بالأذكار **(ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور، فلا يكون تأثيره في إثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتأثيره في قلب مشغول)** وهذا هو المراد من الخبر «ان تموت و لسانك رطب بذكر الله» **(ولذلك قال بعض السلف: مثل من تعبّد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفىء النار بالحلفاء)**. وكان يحي بن معاذ يقول: إذا كان التعبد والاجتهاد على غير زهد لم يكن للعمل ميراث يعني من حكمة ولا معرفة، **(و)** قال آخر: مثل من زهد في الدنيا مع التنعم فيها **(مثل من يغسل يده من الغمر بالسمك)** كذا في القوت. **وقال: أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام)**.

وعن الضحاك قال: من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهيه فصبر واحتسب، كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى.

وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله: أدع الله فقد أضرَّ بي العيال فقال: إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادعُ الله لي في ذلك الوقت، فإن دعاءك أفضل من دعائي. وكان يقول: مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة، ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء. وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء. وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الذل عند النصف من نفسي، والزهد فيما جاوز الكفاف، وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في أن فقد المال أصلح من وجوده هذا، مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالاً وينفق طيباً، ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره، ومن نوقش الحساب فقد عذب، ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولاً بالحساب كما رآه رسول الله ﷺ، ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما

---

**( وعن الضحاك )** بن مزاحم الهلالي المفسر المشهور صدوق كثير الارسال روى له أصحاب السنن الاربعة مات بعد المائة **( قال: من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهيه فصبر و احتسب كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى )**.

**( وقال رجل لبشر بن الحرث )** الحافي رحمه الله تعالى: **( ادع الله لي فقد أضر بي العيال فقال )** بشر: **( إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت، فإن دعاءك أفضل من دعائي )** كذا في القوت. **( وكان )** بشر **( يقول: مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة، و مثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء )** كذا في القوت، **( وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء )** لأنهم ليسوا أهلاً لأن يؤخذ عنهم ذلك، **( وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الذل عند النصف من نفسي )** النصف محركة اسم من الانتصاف، **( والزهد فيما جاوز الكفاف )** نقله صاحب القوت، **( واذا كان مثل الصديق )** رضي الله عنه **( في حال كماله )** ومع شدته وقوته **( يحذر من الدنيا و وجودها، فكيف يشك في أن فقد المال أصلح من وجوده )** أو يتردد فيه؟ **( هذا مع ان أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالاً و ينفق طيباً، ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة و يطول انتظاره، ومن نوقش الحساب عذب )** كما ورد في الخبر و تقدم. **( ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف )** رضي الله عنه **( عن الجنة إذ كان مشغولاً بالحساب كما رآه رسول الله ﷺ )** فيما رواه الطبراني من حديث أبي امامة وقد تقدم قريباً. **( ولهذا قال**

أحب أن لي حانوتاً على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وأربح كل يوم خمسين ديناراً وأتصدق بها في سبيل الله تعالى. قيل: وما تكره؟ قال: سوء الحساب. ولذلك قال سفيان رحمه الله: إختار الفقراء ثلاثة أشياء، واختار الأغنياء ثلاثة أشياء، اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب، وما ذكره ابن عطاء من أن الغنى وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح، ولكن إذا كان العبد غنياً عن وجود المال وعدمه جميعاً بأن يستوي عنده كلاهما، فإما إذا كان غنياً بوجوده ومفتقراً إلى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى، لأن الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بأن يسرق، وما ذكر من الرد عليه بأن الله ليس غنياً بالأعراض والأسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال، وما ذكر من أن صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح، بل العلم من صفاته وهو أفضل

---

**أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(ما أحب أن لي حانوتاً على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة، وذكر و أربح كل يوم خمسين ديناراً و أتصدق بها في سبيل الله. قيل: وما تكره؟ قال: سوء الحساب)** رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن عبدالله، حدثنا عمر بن زرارة، حدثنا المحاربي، عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة قال: قال أبو الدرداء: والذي نفس أبي الدرداء بيده ما أحب لي اليوم حانوتاً على باب المسجد لا تخطئني فيه صلاة أربح فيه كل يوم أربعين ديناراً و أتصدق بها كلها في سبيل الله. قيل له: يا أبا الدرداء وما تكره من ذلك؟ قال: شدة الحساب. و رواه محمد بن جنيد التمار عن المحاربي فقال عن عمرو بن مرة عن أبيه. **(ولذلك قال شقيق)** بن إبراهيم البلخي رحمه الله تعالى: **(اختار الفقراء ثلاثة أشياء، و)** اختار **(الاغنياء ثلاثة أشياء. اختار الفقراء راحة النفس و فراغ القلب و خفة الحساب، واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب و شدة الحساب)**، فإن الفقراء فقدوا المال فارتاحت نفوسهم و تفرغت قلوبهم لله تعالى و سيخفف حسابهم غداً بخلاف الاغنياء الواجدي المال، فإنهم اتعبوا أنفسهم في حفظه ـ و تنميته وشغلوا قلوبهم بجبه و سيشتد حسابهم غداً. **(وما ذكره ابن عطاء)**. رحمه الله تعالى في جواب السائل لما سأله أي الوصفين أفضل **(من أن الغنى وصف الحق)** تعالى، **(فهو بذلك أفضل)** لأن أوصاف الحق كلها مفضلة. **(صحيح ولكن إذا كان العبد غنياً عن وجود المال و عدمه جميعاً بأن يستوي عنده كلاهما فيكون كالماء، فأما إذا كان غنياً بوجوده و مفتقراً إلى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى)** لأن الله تعالى **(غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور أن يسرق)** أو يفرق أو يصيبه غير ذلك من حوادث الدهر، **(وما ذكر في الرد عليه)** أي على ابن عطاء **(بأن الله ليس غنياً بالأسباب و الأعراض)** هو أيضاً **(صحيح)** لكن **(في ذم غني يريد بقاء المال، و)** أما **(ما ذكر من أن صفات الحق تعالى لا تليق بالعبد)** فهذا

شيء للعبد، بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى، وقد سمعت بعض المشايخ يقول: إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافاً له: أي يكون له من كل واحد نصيب، وأما التكبر فلا يليق بالعبد،

---

**( غير صحيح، بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد، بل منتهى )** كمال **( العبد )** وسعادته **( أن يتخلق بأخلاق الله تعالى )** وأن يتخلق بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه، ومن لم يكن له منها حظ إلا بأن يسمع لفظاً و يفهم في اللغة تفسيره و وصفه و يعتقد بالقلب وجود معناه لله تعالى فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله، فقد روى الطيالسي والحكيم و أبو يعلى من حديث عثمان باسناد ضعيف: إن لله مائة خلق وسبعة عشر خلقاً فمن أتى الله بخلق واحد منها دخل الجنة. و حظوظ المقربين من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة:

الأول: أن ينكشف لهم اتصاف الله تعالى بها انكشافاً يجري مجرى اليقين الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنة.

الثاني إستعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث منه شوقهم إلى الإتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليتقربوا بها من الحق قرباً بالصفة لا بالمكان.

الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات و التخلق بها و التحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانياً رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة.

**( وقد سمعت بعض المشايخ يقول: إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة و التسعون أوصافاً له أي يكون له من كل واحد نصيب )** و لفظ المصنف في خاتمة المقصد الأسنى: ولقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمدي يحكي عن شيخه أبي القاسم الكركاني قدس الله روحها أنه قال: إن الاسماء التسعة و التسعين تصير أوصافاً للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل ثم قال: وهذا الذي ذكره إن أراد به شيئاً يناسب ما أوردناه في التنبيهات يعني في أول المقصد الأسنى فهو صحيح، ولا يظن به إلا ذلك ويكون في اللفظ نوع من التوسع و الإستعارة و إلا فإن معاني الأسماء هي صفات الله تعالى و صفاته لا تصير صفة لغيره، ولكن معناه من يحصل ما يناسب تلك الأوصاف، ومن أراد غير ذلك فهو باطل لأن قول القائل: إن أسماء الله تعالى صارت أوصافاً له لا يخلو إما أن عنى به عين تلك الصفات أو مثلها فإن عنى به مثلها فإما إن عنى به مثلها مطلقاً من كل وجه، وإما عنى به مثلها من حيث الإسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني، وهذان قسمان وإن عنى به عينها فإما أن يكون بطريق الانتقال لصفات الرب إلى العبد أو بالانتقال، فإن لم يكن بالانتقال فإما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو فيكون صفاته صفاته، وإما أن يكون بطريق الحلول. وهذه أقسام ثلاثة وهو الانتقال و الإتحاد و الحلول، و قسمان متقدمان، فهذه خمسة أقسام الصحيح منها

فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى، وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به. نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى، وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وإنه يعلم أنه كذلك، والعبد مأمور بأنه يطلب أعلى المراتب إن قدر عليه، ولكن بالإستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس، فعلى العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر، والمطيع أكبر من العاصي، والعالم أكبر من الجاهل، والإنسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات، وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه، إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فإن ذلك موقوف على الخاتمة، وليس

---

قسم واحد، وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة و تشاركها في الإسم، ولكن لا تماثلها مماثلة تامة. و بقية الأقسام كلها محال و باطل و حيث يطلق الاتحاد و يقول هو هو لا يكون إلا بطريق التوسع اللائق بعادة الصوفية، وعليه ينبغي أن يحمل قول الشيخ أبي يزيد حيث قال: انسلخت نفسي عن نفسي كما تنسلخ الحية عن جلدها، فنظرت فإذا أنا هو فيكون معناه أن ينسلخ من شهوات نفسه و هواها و همها فلا يبقي فيه متسع لغير الله، ولا يكون همه سوى الله، وإذا لم يجد في القلب إلا جلال الله و جماله حتى صار مستغرقاً به يصير كأنه هو لا أنه هو تحقيقاً، و فرق بين قولنا هو هو، وبين قولنا كأنه هو، وهذه مزلة قدم، فإن من ليس له قدم راسخ في المعقولات ربما لم يتميز له أحدهما عن الآخر. هذا حاصل ما ذكره المصنف في خاتمة المقصد الأسنى.

**(وأما التكبر فلا يليق بالعبد، فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى)** بل اللائق منه في صفات الله تعالى رؤية الكل حقيراً بالإضافة إلى ذاته، ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا لله تعالى. **(وأما التكبر على من يستحق كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي يليق به. نعم قد يراد بالتكبر الزهوة و الصلف)** و التيه **(والإيذاء، وليس ذلك من وصف الله تعالى، وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك)** ولا يرى العظمة و الكبرياء إلا لنفسه فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد، **(والعبد مأمور بأن يطلب أعلى المراتب إن قدر عليه، ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل و التلبيس، فعلى أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر، والمطيع أكبر من العاصي، والعالم أكبر من الجاهل، و الإنسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات، وأقرب إلى الله تعالى منها، فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكان صفة الكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فإن ذلك موقف على الخاتمة، وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق،**

يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق. فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر؛ إذ ربما يختم للكافر بالإيمان، وقد يختم له بالكفر، فلم يكن ذلك لائقاً به لقصور علمه، عن معرفة العاقبة ولما تصوّر أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالاً في حقه لأنه من صفات الله تعالى، ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصاناً في حقه إذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره، فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى، فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء، فإذاً لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة، أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلاً، فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغني الشاكر.

**المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص إلى حال الغني الحريص:**

ولنفرض هذا في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده، فله حالة الفقد وحالة الوجود، فأي حالتيه أفضل؟ فيقول: ننظر فإن كان مطلوبه ما لا بد

---

**فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة الكافر)** ولا يفضل نفسه عليه **(إذ ربما يختم للكافر بالايمان)** فينجو، **(وقد يختم له بالكفر)** فيهلك، **(فلم يكن ذلك لائقاً به لقصور علمه عن معرفة العاقبة)**. وقال المصنف في المقصد الأسنى: حظ العبد من اسمه تعالى المتكبر أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق و بتكبر على كل شيء سوى الحق تعالى فيكون مستحقراً للدنيا والآخرة مترفعاً عن كل ما يشغله عن الحق تعالى. **(ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالاً في حقه لأنه من صفات الله تعالى، ولما كان معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك نقصاً في حقه إذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره، فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى، فلا جرم هو منتهى الفضيلة)** و غاية الكمال، **(وبه فضل الأنبياء و الأولياء و العلماء، فإذاً لو استوى عنده وجود المال و عدمه فهو نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة)** و كمال، **(أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلاً، فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغني الشاكر)** وبه تم بيان المقام الأول.

**المقام الثاني في بيان نسبة حال الفقير الحريص إلى حال الغني الحريص:**

**(ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقر وحالة الوجود، فأي حالية أفضل؟ فنقول: ننظر فإن كان مطلوبه ما لا بدّ منه في**

منه في المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل، لأن الفقر يشغله بالطلب، وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر إلا قدرة مدخوله بشغل؛ والمكفي هو القادر ولذلك قال ﷺ: «اللهم إجعل قوت آل محمد كفافاً» وقال: «كاد الفقر أن يكون كفراً» أي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وإن كان المطلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين؛ فحالة الفقر أفضل وأصلح، لأنهما استويا في الحرص وحب المال، واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين، واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن إفترقا في أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن إلى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركوناً إلى الدنيا؛ فحاله أشد لا محالة؛ إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا، وقد قال ﷺ: «إن روح القدس

---

**المعيشة كان قصده أن يسلك سبيل الدين)** لحج وجهاد وصلة وقربات **(ويستعين به عليه)** كمطعم وملبس ومسكن ونحو ذلك، **(فحال الوجود أفضل)** في حقه **(لأن الفقر يشغله بالطلب)**، والقلب إذا انصرف إلى ذلك لم يتفرغ للدين، **(وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر إلا قدرة مدخوله بشغل والمكفي هو القادر)** وليس هذا من حظوظ الدنيا، فإن أخذ الكفاية من الدنيا على نية التقوى على سلوك سبيل الدين كان ذلك كفاية، وهذه إحدى فوائد المال المشار إليها في الاجمال. **(ولذلك قال ﷺ: «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً»)** تقدم قريباً. **(وقال)** ﷺ: **(«كاد الفقر أن يكون كفراً»)** تقدم مراراً **(أي الفقر مع الاضطرار فيما لا بدّ منه)** فهذا هو الذي يكاد أن يكون كفراً، **(وإن كان المطلوب فوق الحاجة)** الضرورية **(أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقد أفضل وأصلح)** في حقه **(لأنهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في آن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا في ان كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى، ولكن افترقا في أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه)** ويطمئن **(إلى الدنيا، والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي يبغي الخلاص منه، ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركوناً إلى الدنيا)** أي ميلاً إليها **(فحاله أشد لا محالة إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا. وقد قال ﷺ «إن روح القدس)** أي جبريل عليه السلام **(نفث في روعي)** أي ألقى فيه **(أحبب ما أحببت**

نفث في روعي : أحبب من أحببت فإنك مفارقه » ، وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد ، فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ، ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا ، فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى ، فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه ، وفراقك لما تحبه ، وكل من فارق محبوباً فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقدر أنسه به وأنس الواجد للدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاقد لها ، وإن كان حريصاً عليها فإذاً قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الاشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما : غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم ، فيكون الوجود مزيداً له ؛ إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجميع هممهم ، والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فإن ذلك يكاد أن يكون كفراً ، أو لا خير فيه بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعاً لكانت معاصيه أقل ؛ فالأصلح له أن يموت جوعاً ولا يجد ما يضطر إليه أيضاً ؛ فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر . ويبقى

---

**فإنك مفارقه )** وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به » . رواه الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه. ورواه الطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي، وقد تقدم في آخر الباب السابع من كتاب العلم. **( وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد ، فينبغي أن تحب من لا يفارقك )** أبداً **( وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك )** ولو بعد حين **( وهو الدنيا فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى ، فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه، وكل من فارق محبوباً فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه )** له **( وقدر أنسه به )** وألفته **( معه وأنس الواجد للدنيا بالدنيا أكثر من أنس الفاقد لها وإن كان حريصاً عليها )** وملتفتاً لتحصيلها ، **( فإذاً قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين . أحدهما : غني مثل غنى عائشة )** رضي الله عنها **( يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود )** مع هذا الحال **( مزيداً له )** في حاله **( إذ يستفيد به )** حينئذ **( أدعية الفقراء والمساكين وجمع هممهم )** وتوجهات بواطنهم وفيه فضيلة ظاهرة ، **( والثاني : الفقر عن مقدار الضرورة )** الماسة **( فإن ذلك يكاد أن يكون كفراً )** كما ورد الخبر **( فلا خير فيه )** أي في الكفر أو في هذا الفقر **( بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يبقي حياته، ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر )** أو ما يفضي إليه **( و )** على **( المعاصي )** أو ما يفضي إليها ، **( ولو مات جوعاً لكانت معاصيه أقل فالأصلح له أن يموت جوعاً ولا يجد ما يضطر إليه أيضاً ، فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ، ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني**

**النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه. وفي غنى دونه في الحرص، على حفظ المال، ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره، فهذا في محل النظر والأظهر، أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده؛ والعلم عند الله تعالى فيه.**

## بيان آداب الفقير في فقره:

**اعلم أن للفقير آداباً في باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله ينبغي أن يراعيها.**

**فأما أدب باطنه فأن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر، أعني أنه لا يكون كارهاً فعل الله تعالى من حيث أنه فعله ـ وإن كان كارهاً للفقر ـ كالمحجوم ويكون كارهاً للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارهاً فعل الحجام ولا كارهاً للحجام، بل ربما يتقلد منه منة، فهذا أقل درجاته وهو واجب، ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر، وهو معنى قوله عليه السلام: «يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا» وأرفع من هذا أن لا يكون كارهاً للفقر، بل يكون راضياً به،**

---

**هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده)** بسرقة أو تفريق أو غير ذلك، **(كتفجع الفقير بفقده. فهذا في محل النظر)** والتأمل **(والأظهر)** في القولين **(أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما)** من الله تعالى **(بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه)** والله الموفق.

**بيان آداب الفقير في فقره:**

**(اعلم)** وفقك الله تعالى **(أن للفقير آداباً في باطنه وظاهره ومخالطته)** مع الناس **(وأفعاله ينبغي أن يراعيها)** ويحافظ عليها، **(فأما أدب باطنه فأن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر)** لأنه تعالى قسم لمصلحته. **(أعني أنه لا يكون كارهاً فعل الله تعالى من حيث أنه فعله، وإن كان كارهاً للفقر)** فإن قلت: الطباع تنفر من المؤلم، فأقول: الشرع لا يؤاخذ العباد على النفرة الطبيعية، وهذا **(كالمحجوم يكون كارهاً للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارهاً فعل الحجام ولا كارهاً للحجام)** فالنفرة من حديدة الحجام طبيعية لا خلاص منها إلا بالاستغراق وذلك مقام الصديقين، **(بل ربما يتقلد منه منة)** ويعطيه أجرة وهذه أفعال أختياريه، فهكذا ينبغي أن تفهم هذه المسألة **(وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله ﷺ: «يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلاَّ فلا»)** رواه الديلمي من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريباً. **(وأرفع من هذا أن لا يكون كارهاً للفقر بل يكون راضياً به وأرفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً**

وأرفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً به لعلمه بغوائل الغنى، ويكون متوكلاً في باطنه على الله تعالى واثقاً به في قدر ضرورته أنه يأتيه لا محالة ويكون كارهاً للزيادة على الكفاف. وقد قال علي كرّم الله وجهه: إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر؛ فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله، ويشكر الله تعالى على فقره، ومن علاماته ـ إذا كان عقوبة ـ أن يسوء عليه خلقه ويعصي ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء، وهذا يدل على أن كل فقير فليس بمحمود، بل الذي لا يتسخط ويرضى أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثمرته، إذ قيل: ما أعطى عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له: خذه على ثلاثة أثلاث: شغل وهم وطول حساب.

وأما أدب ظاهره: فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر، بل يستر فقره ويستر أنه يستره ففي الحديث: «إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال»، وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقال سفيان: أفضل الأعمال التجمل عند المحنة. وقال بعضهم: ستر الفقر من كنوز البر.

---

به) ومحباً له (لعلمه بغوائل الغنى) وتهاويله (ويكون متوكلاً في باطنه على الله واثقاً به في قدر ضرورته أنه يأتيه لا محالة) على كل حال، (ويكون كارهاً للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه: إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر، فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع فيه ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره، ومن علامته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء) نقله صاحب القوت، (وهذا يدل على أن كل فقر ليس محموداً) بل بعض الفقر مذموم وهذا منه، (بل الذي لا يتسخط ويرضى) بما قضاه له مولاه (أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثمرته) فهذا هو المحمود (إذ قيل: ما أعطي عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذه على ثلاثة أثلاث): ثلث (شغل) به، (و) ثلث (هم) ملازم وهذان في الدنيا، (و) ثلث (طول حساب) وهذا في الآخرة. وروى الطبراني من حديث ابن مسعود: من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث: شقاء لا ينفد عناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه.

(وأما أدب ظاهره) وفي نسخة وأما أدبه في ظاهره (فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر) لأحد (بل يستر فقره و) أعلى من ذلك أن (يستر أنه يستره، ففي الحديث: «إن الله تعالى يحب) عبده المؤمن (الفقير المتعفف أبا العيال») رواه ابن ماجه والطبراني وابن عدي والبيهقي من حديث عمران بن حصين وقد تقدم. (وقال) تعالى: (﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالى: (أفضل الأعمال التجمل عند المحنة) رواه أبو نعيم في الحلية. (وقال بعضهم: ستر الفقر من كنوز

وأما في أعماله ، فأدبه أن لا يتواضع لغني لأجل غناه ، بل يتكبر عليه . قال علي كرّم الله وجهه : ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى ، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل ، فهذه رتبة ، وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادىء الطمع . قال الثوري رحمه الله : إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مراء ، وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص . وقال بعض العارفين : إذا خالط الفقير الأغنياء انحلت عروته ، فإذا طمع فيهم انقطعت عصمته ، فإذا سكن إليهم ضل . وينبغي

---

**البر )** وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر : « من كنوز البر كتمان المصائب والأمراض والصدقة » . وروى الطبراني وابن عساكر من حديث أنس « ثلاث من كنوز البر : إخفاء الصدقة وكتمان الشكوى وكتمان المصيبة » .

**( وأما في أعماله فأدبه )** وفي بعض النسخ وأما أدبه في أعماله **( أن لا يتواضع لغني لأجل غناه )** فقد روى الديلمي من حديث أبي ذر « لعن الله فقيراً تواضع لغني من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه » . وروى البيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود « من دخل على غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه » وللطبراني في الصغير من حديث أنس « من تضعضع لغني لينال مما في يديه أسخط الله عز وجل » **( بل يتكبر عليه )** لله تعالى إن كان ذلك الغني ممن يفتخر بغناه فإن التكبر عليه حينئذ ربما يكون بمنزلة الصدقة إذا كان الفقر واثقاً بالله عز وجل ، والمعنى فيه والله أعلم أن ينظر إلى زيهم وهيئاتهم بنظر الحقارة والاعراض ليصغر في عيونهم بذلك ما عظم في نفوسهم من أمر الدنيا ، فليس المراد بالتكبر هنا معناه الظاهر الذي هو التطاول والتفاخر ، والتظاهر فهو من أكثف حجب القلب وأقوى صفات النفس. **( قال علي كرم الله وجهه : ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله تعالى )** وقد رأى بعض الصوفية علياً رضي الله عنه في المنام وطلب أن يسمع منه شيئاً فقاله له ذلك وقد تقدم . **( فهذه رتبة ، وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادىء الطمع )** والطباع تسرق العادات بالمجالسة فيورث ذلك بغض الفقر ومحبة الدنيا . **( قال )** سفيان **( الثوري )** رحمه الله تعالى : **( إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مراء وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص )** رواه أبو نعيم في الحلية ، وروى الديلمي من حديث أبي هريرة : « إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص » وقد تقدم في الأمر بالمعروف . **( وقال بعض العارفين : إذا مال الفقير إلى الأغنياء انحلت عروته )** أي عروة فقره إذ بميله إليهم يبغض الفقر ويحب الدنيا ، **( فإذا طمع فيهم انقطعت عصمته )** أي عصمة فقره بل تنكسر زجاجة زهده . **( فإذا سكن إليهم ضل )** عن طريق الوصول إلى الله تعالى وصار ذلك السكون من أكثف الحجب . وكان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول : يلقي الله في قلب الفقير الرغبة في أبناء الدنيا والطمع فيهم حتى يخرج إليهم ويلقي في قلوبهم المنع له والجفاء عليهم

أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطمعاً في العطاء.

وأما أدبه في أفعاله، فأن لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة، ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه، فإن ذلك جهد المقل، وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى. روى زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم» قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدّق بها، وأخرج رجل درهماً من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه، فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف»، وينبغي أن لا يدّخر مالاً بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات.

**إحداها:** أن لا يدّخر إلا ليومه وليلته وهي درجة الصدّيقين.

---

يؤذيه بذلك لئلا يستحليه ويعتاده فيرده بذلك إليه بعد ان منعه منهم، ثم يفتح له من عنده رزقاً من حيث لا يحتسب الغنى. **(ولا ينبغي أن يسكت عند ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطمعاً في العطاء)** وهذا واجب. روى البيهقي في الشعب من قول ابن مسعود: من خضع لغني ووضع له نفسه اعظاماً له وطمعاً فيما قبله ذهب ثلثا مروءته وشطر دينه.

**(وأما أدبه في أفعاله: فأن لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة الله)** عز وجل أي لا يمنعه عنها لأن الفقر أفرغ للشواغل فهو أزيد للعبادة (و) أن **(لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فإن ذلك جهد المقل)** وهو أفضل الصدقات كما في الخبر، **(وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى. روى زيد بن اسلم)** العدوي مولاهم التابعي المدني مرسلاً **(قال قال رسول الله ﷺ: «درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة الف درهم» قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال «أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بهاوأخرج رجل درهماً من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف»)** قال العراقي رواه النسائي من حديث أبي هريرة متصلاً، وتقدم في الزكاة والأصل له من رواية زيد بن أسلم مرسلاً اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن حبان والحاكم، ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي ذر ولفظهم جميعاً «سبق درهم مائة ألـف رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها».

**(وينبغي أن لا يدخر مالاً بل يأخذ)** منه **(قدر الحاجة ويخرج الباقي)** في سبيل الله تعالى **(وفي الادخار ثلاث درجات)**.

**(إحداها: ان يدخر ليومه وليلته وهي درجة الصديقين)**.

**والثانية:** أن يدخر لأربعين يوماً فإن ما زاد عليه داخل في طول الأمل، وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوماً. وهذه درجة المتقين.

**والثالثة:** أن يدّخر لسنته وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين، ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية، فغنى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته، وغنى الخصوص في أربعين يوماً، وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة، وقد قسم النبي ﷺ نساءه على مثل هذه الأقسام؛ فبعضهن كان يأتيها قوت سنة عند حصول ما يحصل، وبعضهن قوت أربعين يوماً وبعضهن يوماً وليلة وهو قسم عائشة وحفصة.

**بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال:**

ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور: نفس المال، وغرض المعطي، وغرضه في الأخذ.

**أما نفس المال**، فينبغي أن يكون حلالاً خالياً عن الشبهات كلها، فإن كان فيه

---

( **والثانية: أن يدخره لأربعين يوماً** ) ولا يزيد ( **فإن ما زاد عليه داخل في طول الامل** ) وهو مذموم، ( **وقد فهم العلماء ذلك** ) الحد ( **من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام** ) إذ كان ميقاته أربعين ليلة ( **ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوماً** ) ويأتي للمصنف في كتاب التوكل ما يرده ( **وهذه درجة المتقين** ).

( **والثالثة: أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب** ) والدرجات في الرخصة ( **وهي رتبة الصالحين** ) من خواص المؤمنين، ( **ومن زاد في الادخار على هذا** ) القدر ( **فهو واقع في غمار العموم** ) من المؤمنين ( **خارج عن حيز الخصوص بالكلية، فغنى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه** ) وفقد يقينه ( **في قوت سنته، وغنى الخصوص في أربعين يوماً وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة. وقد قسم النبي ﷺ لنسائه على مثل هذه الأقسام، فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل، وبعضهن قوت أربعين يوماً، وبعضهن يوماً وليلة منهن عائشة وحفصة** ) والله الموفق.

**بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه من غير سؤال:**

اعلم أنه ( **ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه** ) من غير سؤال ( **ثلاثة أمور: نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ، أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالاً** ) طيباً ( **خالياً**

شبهة فليحترز من أخذه، وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب.

وأما غرض المعطي، فلا يخلو إما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهداية، أو الثواب وهو الصدقة والزكاة، أو الذكر والرياء والسمعة إما على التجرد، وإما ممزوجاً ببقية الأغراض.

أما الأوّل ـ وهو الهدية ـ فلا بأس بقبولها، فإن قبولها سنة رسول الله ﷺ، ولكن ينبغي أن لا يكون فيها منة، فإن كان فيها منة فالأولى تركها، فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض، فقد أهدي إلى رسول الله ﷺ سمن واقط وكبش، فقبل السمن والاقط ورد الكبش، وكان ﷺ يقبل من بعض الناس ويرد على

---

عن الشبهات كلها، فإن كان فيه شبهة فليحترز من أخذه) وليجتنبه إلا أنهم أجازوا أخذها للحاجة القريبة من الضرورة ولطيب قلب المعطي إن كان والداً أو قريباً أو صديقاً، وإن كان حراماً فلا يأخذه لحاجته ولا لطيب قلب المعطي، (وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب) فلينظر هناك.

(وأما غرض المعطي، فلا يخلو إما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو) كان غرضه (الثواب) المجرد (وهو الصدقة والزكاة أو) كان غرضه (الذكر والرياء والسمعة إما على التجرد وإما ممزوجاً ببقية الاغراض).

(أما الأوّل وهو الهدية فلا بأس بقبولها فإن قبولها سنّة رسول الله ﷺ) فقد روى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي من حديث عائشة «كان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها» وقد تقدم. (ولكن ينبغي أن لا تكون فيها منة فإن كان فيها منة فالأولى) للمخلصين من الصادقين (تركها فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض) وذلك ممن يرى المنة للآخذ، (فقد أهدي إلى رسول الله ﷺ) من رجل أو امرأة (سمن وإقط وكبش فقبل السمن والإقط ورد الكبش) قال العراقي: رواه أحمد في أثناء حديث ليعلى بن مرة فأهدت إليه كبشين وشيئاً من سمن وإقط فقال النبي ﷺ «خذ السمن والإقط وأحد الكبشين ورد عليها الآخر». وإسناده جيد. وقال وكيع مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه انتهى.

قلت: هو يعلى بن مرة بن وهب بن جار الثقفي له ولأبيه صحبة، وهو الذي أمره النبي ﷺ بقطع أعناب ثقيف، ووالده ذكره البغوي وغيره في الصحابة له في ابن ماجه حديث اختلف في اسناده على الأعمش.

(وكان ﷺ يقبل من بعض الناس ويرد على بعض) قال العراقي: روى أبو داود

بعض، وقال: « لقد هممت أن لا أتهب إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي »، وفعل هذا جماعة من التابعين. وجاءت إلى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهماً فقال: حدثنا عطاء عن النبي ﷺ أنه قال: « من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله ». ثم فتح الصرة فأخذ منها درهماً ورد سائرها. وكان الحسن يروي هذا الحديث أيضاً ولكن حمل إليه رجل كيساً ورزمة من رقيق ثياب خراسان، فرد ذلك وقال: من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق. وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد في قبول العطاء. وقد كان الحسن يقبل من أصحابه. وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض

---

والترمذي من حديث أبي هريرة « وايم الله لا أقبل بعد يومي هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجراً » الحديث وفيه محمد بن إسحاق ورواه بالعنعنة. **( وقال )** ﷺ « **( لقد هممت ان لا أتهب )** أي لا أقبل الهبة **( إلا من قرشي أو ثقفي أو انصاري أو دوسي » )** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: روي من غير وجه عن أبي هريرة. قلت: ورجاله ثقات انتهى.

قلت: ورواه كذلك عبد الرزاق وابن أبي شيبة والنسائي والبيهقي ولفظهم « لقد هممت أن لا أقبل هدية ». وأما لفظ المصنف، فرواه أحمد والطبراني والبزار من حديث ابن عباس « لقد هممت أن لا أتهب هبة إلا من أنصاري أو قرشي أو ثقفي » ورجاله أحمد رجال الصحيح.

**( وفعل هذا جماعة من التابعين )** فقبلوا من البعض وردوا على البعض، **( و )** يحكي أنه **( جاءت إلى فتح )** بن شخرف **( الموصلي )** رحمه الله تعالى من أحد أصدقائه **( صرة فيها خمسون درهماً فقال: حدثنا عطاء )** إن كان هو ابن أبي رباح فإن فتحاً لم يدركه **( عن النبي ﷺ )** مرسلاً **( من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله )** عز وجل. قال العراقي: لم أجده مرسلاً هكذا. وسيأتي بعد هذا بحديث ما يصحح معناه، **( ثم فتح الصرة وأخذ منها درهماً ورد سائرها )** أي باقيها يحتمل أنه أخذ درهماً قدر حاجته ورد ما لم يحتج إليه، ويحتمل أنه أخذ الدرهم لتطييب قلب صديقه. **( وكان الحسن )** البصري رحمه الله تعالى **( يروي هذا الحديث أيضاً )** عن جماعة من الصحابة، **( ولكن )** روى أنه **( حمل إليه رجل كيساً )** فيه دراهم **( ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرّد ذلك )** كله **( وقال )**: يا هذا **( من جلس مجلسي هذا )** أي في التعليم والتذكير **( وقبل من الناس مثل هذا )** الذي أهدي إليه **( لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق )** أي حظ ونصيب من الثواب، **( وهذا )** بظاهره **( يدل على أمر العالم )** الذي انتصب لإفادة الناس، **( والواعظ )** الذي انتصب للتذكير **( أشد في قبول العطاء )** من غيرهما. **( وقد كان الحسن )** رحمه الله تعالى مع ذلك **( يقبل من أصحابه )** تطييباً لقلوبهم. **( وكان إبراهيم )** بن يزيد **( التيمي )** مع روعه **( يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين

عليه غيرهم المئين فلا يأخذها. وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئاً يقول: أتركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فأخبرني حتى آخذه وإلا فلا، وأمارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنّة على نفسه في قبول صديقه هديته، فإن علم أنه يمازجه منة فأخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين. وقال بشر: ما سألت أحداً قط شيئاً إلا سرياً السقطي لأنه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون عوناً له على ما يحب. وجاء خراساني إلى الجنيد رحمه الله بمال وسأله أن يأكله فقال: أفرّقه على الفقراء، فقال: ما أريد هذا. قال ومتى أعيش حتى آكل هذا؟ قال: ما أريد أن تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات، فقبل ذلك منه، فقال الخراساني: ما أجد في بغداد أمن عليّ منك، فقال الجنيد: ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك.

**الثاني:** أن يكون للثواب المجرد وذلك صدقة أو زكاة، فعليه أن ينظر في صفات

---

**ونحوه)** ويأخذ منهم وكانوا يعرفون له المنة والفضل في قبوله منهم، **(ويعرض عليه غيرهم المئين)** من الدراهم من غير سؤال **(فلا يأخذ)** منهم. **(وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئاً يقول)** له **(أتركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فأخبرني حتى آخذ وإلاَّ فلا)** آخذ اختباراً لصداقته، **(وإمارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده عليه (ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه)** والفضل **(في قبول صديقه هديته، فإن علم أنه يمازجه منة فأخذه مباح)** في ظاهر الشرع، **(ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين)** فإن صدقهم في فقرهم يحملهم على رد ما فيه منة. **(وقال بشر)** بن الحرث رحمه الله تعالى. **(ما سألت أحداً قط شيئاً إلاّ سرياً السقطي)** رحمه الله تعالى **(لأنه قد صح عندي زهده في الدنيا)** وتسلية نفسه عنها **(فهو يفرح بخروج الشيء من يده)** ويرى للآخذ منه **(ويتبرم)** أي يتضجر **(ببقائه عنده، فأكون عوناً على ما يحب)** نقله صاحب القوت. **(وجاء)** رجل **(خراساني إلى الجنيد)** رحمه الله تعالى **(بمال)** هدية **(وسأله أن يأكله)** أي يصرفه على ما يأكله **(فقال)**: أقبله و**(أفرقه على الفقراء. فقال: ما أريد هذا)** إنما أريد أن تصرفه على أكلك. **(قال)** الجنيد. هذا مال كثير **(ومتى أعيش حتى آكل)** وفي نسخة: إلى أن آكل **(هذا. قال)** الرجل: **(ما أريد أن تنفقه في الخل والبقل)** وما أشبه ذلك، **(بل)** تنفقه **(في الحلاوات والطيبات)** من لذائذ الأطعمة، **(فقبل ذلك منه)** تطييباً لخاطره وعرف منه صدق ارادته. **(فقال الخراساني: ما أحد في بغداد أمن عليّ منك)** أي أكثر منة منك عليّ حيث قبلته مني. **(فقال الجنيد: ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك)**، وهذا يدل على أنه يجوز قبول العطاء ممن يرى للآخذ منة ولو كان زائداً على قدر حاجته.

**(الثاني: أن يكون للثواب المجرد وذلك صدقة أو زكاة)** فإن كان **(زكاة فعليه أن**

نفسه هل هو مستحق للزكاة؟ فإن اشتبه عليه فهو محل شبهة، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة. وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر إلى باطنه، فإن كان مقارفاً لمعصية في السر يعلم أن المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرّب إلى الله بالتصدق عليه، فهذا حرام أخذه كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوي ولم يكن، فإنّ أخذه حرام محض لا شبهة فيه.

**الثالث:** أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة، فينبغي أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله، إذ يكون معيناً له على غرضه الفاسد. وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول: لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخاراً به لأخذت. وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة فقال: إنما أرد صلتهم إشفاقاً عليهم ونصحاً لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أمواهم وتحبط أجورهم.

---

**ينظر في صفات نفسه أنه هل هو مستحق للزكاة)** أم لا؟ فإن كان مستحقاً أخذ وإلاّ فلا وهذا واجب، **(فإن اشتبه عليه)** ذلك **(فهو محل شبهة)** أي شبهة صفة الاستحقاق وهي آفة، وأيضاً فيه تضييق على الفقراء فهي آفة ثانية فلا يترجح أخذها على الصدقة، ولكن في قبولها فوائد الاعانة على الواجب وعدم المنة وعدم الأخذ بالدين والأخذ للحاجة وأبعد من التكبر، وفي الصدقة عكس ذلك. **(وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة)** فليطلب من هناك، **(وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه)** أي يظن فيه الصلاح، **(فإن كان مقارفاً لمعصية في السر)** ولم يتب منها أو كان مصراً على معصية وهو **(يعلم أن المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب إلى الله تعالى بالتصدق عليه فهذا حرام أخذه)** أي لا يحل له القبول **(كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوي)** أي شريف هاشمي، **(ولم يكن)** كذلك، **(فإن أخذه حرام محض لا شبهة فيه)** وفي قبول الصدقة للمتصف بالوصف الذي يعطى بسببه فائدة عظيمة إذا كان المتصدق لا يسمح بتلك الصدقة إلا لزيد بعينه فقبولها إعانة له على البر وتوسع على الفقراء، ومن أخذ لله انتفى عنه الكبر والمنة، وهذه علامات باطنة بين العبد وربه والقيام بها يبلغ درجة الصديقين وإهمالها يبلغ درجة الغافلين.

**(الثالث: أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة، فينبغي أن يرد عليه قصده)** ولا يعان فيه **(ولا يقبله)** منه **(إذ يكون)** في قبوله منه **(معيناً على غرضه الفاسد)** وهو حرام، **(وكان سفيان الثوري)** رحمه الله تعالى **(يرد ما يعطى ويقول: لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخاراً به)** بين الناس **(لأخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة)** من أصدقائه **(فقال: إنما أرد صلتهم اشفاقاً عليهم ونصحاً لهم لأنهم يذكرون ذلك)** بين الناس **(ويحبون أن يعلم بهم)** ليذكروا به، **(فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم)** لفساد نياتهم.

وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر: أهو محتاج إليه فيما لا بدّ له منه أو هو مستغن عنه، فإن كان محتاجاً إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالأفضل له الأخذ، قال النبي ﷺ: «ما المعطي من سعة بأعظم أجراً من الآخذ إذا كان محتاجاً»، وقال ﷺ: «من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولااستشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه»، وفي لفظ آخر: «فلا يرده». وقال بعض العلماء: من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط. وقد كان سري السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمة الله عليهما شيئاً فرده مرة، فقال له السري: يا أحمد، إحذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ، فقال أحمد: أعد عليّ ما قلت! فأعاده، فقال أحمد: ما رددت عليك إلا لأن

---

**( وأما غرضه )** أي الفقير **( في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لا بدّ منه أو هو مستغن عنه، فإن كان محتاجاً وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي )** ومن استشراف النفس **( فالأفضل له الأخذ )** فإن رد ذلك عوقب باستشراف نفس أو طمع أو أخذ شبهة. **( قال النبي ﷺ: « ما المعطي من سعة بأعظم أجراً من الآخذ إذا كان محتاجاً إليه» )** رواه الطبراني من حديث ابن عمر وقد تقدم في كتاب الزكاة. وفي لفظ «ما الذي يعطي من سعة بأعظم أجراً من الذي يقبل من حاجة» رواه صاحب الحلية من حديث أنس. **( وقال ﷺ: «من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه» وفي لفظ آخر «فلا يرده» )** قال العراقي: روى أحمد وأبو يعلى والطبراني بإسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجهني «من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه» ولأحمد وأبي داود الطيالسي من حديث أبي هريرة «من آتاه الله من هذا المال شيئاً من غير أن يسأله فليقبله» الحديث. وفي الصحيحين من حديث عمر: «ما اتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه» الحديث انتهى.

قلت: حديث خالد بن عدي الجهني رواه كذلك ابن أبي شيبة وابن سعد وابن حبان والباوردي والحكيم وأبو نعيم والبيهقي والضياء بلفظ: «ما جاءه عن أخيه معروف» والباقي سواء. قال البغوي: لا أعلم له غيره. ويروى من حديث زيد بن خالد الجهني نحوه، رواه كذلك ابن حبان والحاكم وحديث أبي هريرة تمامه بعد قوله فلقبله فإنما هو رزق ساقه الله. وتمام حديث عمر فخذه وتموّله وما لا فلا تتبعه نفسك، وقد رواه كذلك النسائي، ورواه أحمد والطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه، ثم أشار المصنف إلى آفات الرد وعقوباته فقال:

**( وقال بعض العلماء: من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط، وقد كان سري السقطي )** رحمه الله تعالى **( يوصل إلى )** الإمام **( أحمد بن حنبل )** رحمه الله تعالى **( شيئاً )** من باب الهدية **( فرده مرة )** ولم يأخذه **( فقال له السري: يا أحمد احذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ. فقال له أحمد: أعد عليّ ما قلت فأعاده )** ما قال **( فقال أحمد: ما رددت عليك إلا )** أنه **( عندي**

عندي قوت شهر، فاحبسه لي عندك، فإذا كان بعد شهر فأنفذه إليّ، وقد قال بعض العلماء: يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره؛ فأما إذا كان ما أتاه زائد على حاجته فلا يخلو إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بأمور الفقراء والإنفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء، فإن كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لأخذه وإمساكه إن كان طالباً طريق الآخرة، فإن ذلك محض اتباع الهوى، وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أو داع إليه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ثم له مقامان:

**أحدهما**: أن يأخذ في العلانية ويرد في السر، أو يأخذ في العلانية ويفرق في السر، وهذا مقام الصديقين، وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمأنت نفسه بالرياضة.

**والثاني**: أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه، أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه، فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية؛ وقد ذكرنا

---

**قوت شهر فأحبسه لي عندك فإذا كان بعد شهر فانفذه لي)** فأنا أقبله. نقله صاحب القوت، وهذا يدل على جواز الرد إذا كان لغير حاجة **(وقد قال بعض العلماء: يخاف في الرد مع الحاجة)** إليه **(عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره)** من العقوبات، **(فأما إذا كان ما أتاه زائداً على)** قدر **(حاجته فلا يخلو إما أن يكون حاله الإشتغال بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء)** والقيام بمهاتهم **(والإنفاق عليهم لما)** جبل **(في طبعه من الرفق والسخاء، فإن كان مشغولاً فلا وجه لأخذه لإمساكه)** عنده **(إن كان طالباً طريق الآخرة فإن ذلك محض إتباع الهوى)** وإنما هو اختبار وابتلاء من الله تعالى، **(وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أو داع إليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع في الحمى)** وهو لا يشعر، وقد ورد ذلك في الخبر وتقدم هذا وجه الأولوية في عدم أخذه، **(ثم)** إن جوّزنا **(له)** الأخذ فله في الإخفاء والإظهار والأخذ والرد **(مقامات)** وأحوال:

**(أحدها: أن يأخذ في العلانية ويـرد في السر)** بحيث لا يطلع عليه أحد، **(أو يأخذ في العلانية ويفرق في السر وهذا مقام الصديقين)** من الزاهدين ويسمونه الزهد في الزهد لأنه ينشأ عن الزهد في المال والجاه وفي إظهار الأخذ آفة عظيمة فليأخذ حذره ومنها وهي احثاث المعطي وغيره على العطاء، **(وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمأنت نفسه بالرياضة)** والتهذيب، وهذا الذي ذكره المصنف مقاماً للصديقين أشبه أن يكون حالاً لهم، ولكن قد يكون الحال مقاماً وبالعكس كما تقدم.

**(والثاني: أن يترك)** رأساً **(ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية)** تركه علانية

هل الأفضل إظهار الأخذ أو اخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه. وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رحمها الله، فإنما كان لاستغنائه عنه، إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه، وصرفه إلى غيره، فإن في ذلك آفات وأخطاراً، والورع يكون حذراً من مظان الآفات، إذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه. وقال بعض المجاورين بمكة: كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله، فسمعت فقيراً قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي، أنا جائع كما ترى عريان كما ترى، فما ترى فيما ترى يا من يرى

---

وعدم تولي صرفه بنفسه، وتركه سراً كذلك أو أخذه علانية وتولى صرفه بنفسه وأخذه سراً وتولى صرفه بنفسه فهي أربع مقامات. فإذا أضيفت إلى المقامين الأولين صارت ستة، والأخذ في العلانية والإخراج فيها أيضاً هو مقام المقربين لأنهم لا يشهدون مع الله غير الله لأن كل ما سوى الله من الله وبالله ولله وإلى الله فلا غير حينئذ، لأن الغير هو المضاهي الظاهر ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. ومن شاهد الوجود على ما وصفنا انتفت عنه الآفات الداخلة على غيره من العمال، وهذا لا يخفى في الأخذ والعطاء تخوفاً على نفسه لا لأجل المعطي والآخذ لأن من المتصدقين من يقصد إظهار الصدقة ونشرها فلا يعان على قصده، ومن المتصدق عليهم من يشتهي ستر حاله فيعان عليه لأن ستر حال المؤمن واجب، وأما الأخذ في السر فهو مقام الصالحين من الزاهدين فإن سلم من آفاته. ومن آفاته خوف الجاه وإسقاط المنزلة من القلوب والنظر إليه بعين الرغبة والحسد في أن يرى المعطي بعين الإحسان وأما الأخذ في السر والإخراج في العلانية فإن سلم من الآفات التي ذكرت في الإخفاء ومن آفة الرياء في الإخراج فهو على خير والسلامة في مثل هذه الحالة بعيدة. وأما من يأخذ سراً ولا يخرج سراً ولا علانية، فهذا الذي يأكل الدنيا بالدين. نسأل الله أن يعيذنا من شره فإنه إذا مات فضح أهل الطريق.

( **وقد ذكرنا هل الأفضل إظهار الأخذ وإخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه، وأما امتناع أحمد عن قبول عطاء سري السقطي رحمها الله تعالى فإنما كان لاستغنائه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم ير لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره، فإن في ذلك آفات وأخطاراً** ) أعظمها الإشتغال بغير الله تعالى ( **والورع** ) من شأنه ( **يكون حذراً من مظان الأخطار** ) وفي نسخة الآفات فيجتنب عنها ( **إذا لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه** ) ومن يكون في الورع مثل أحمد رحمه الله تعالى. ( **وقال بعض المجاورين بمكة: كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله فسمعت** ) مرة ( **فقيراً قد فرغ من طوافه** ) وصلاته وتعلق بأستار الكعبة ( **وهو يقول بصوت خفي** ): يا رب إني ( **جائع كما ترى** ) يا رب إني ( **عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى** ) قيل:

ولا يرى، فنظرت فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه، فقلت في نفسي: لا أجد لدراهمي موضعاً أحسن من هذا، فحملتها إليه، فنظر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال: أربعة ثمن مئزرين، ودرهم أنفقه ثلاثاً فلا حاجة بي إلى الباقي فرده. قال: فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان، فهجس في نفسي منه شيء، فالتفت إليّ فأخذ بيدي، فأطافني معه أسبوعاً كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخشخش تحت أقدامنا إلى الكعبين: منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر، ولم يظهر ذلك للناس، فقال: هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لأن هذه أثقال وفتنة، وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة. والمقصود من هذا: أن الزيادة على قدر الحاجة، إنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه، وقدر الحاجة يأتيك رفقاً بك، فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والإبتلاء. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ما عَلَى الأَرْض زِينَةً لَها لَنبلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عملاً ﴾ [ الكهف: ٧ ] وقد قال ﷺ: « لا حق لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري عورته، وبيت يكنه، فما زاد هو حساب »، فإذا أنت في أخذ قدر

---

أنه كان من فقراء العجم ودعا بالعجمية وهذه ترجمته ( **فنظرت فإذا عليه خلقان** ) أي ثياب رثة ( **لا تكاد تواريه** ) لقصرها وتقطعها ( **فقلت في نفسي: لا أجد لدراهمي موضعاً أحسن من هذا فحملتها إليه فنظر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال: أربعة ثمن مئزرين، ودرهم أنفقه ثلاثاً ولا حاجة لي إلى الباقي فردّه** ) إلي. ( **قال: فرأيته الليلة الثانية يطوف وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي شيء** ) أي ساء ظني فيه، ( **فالتفت إلي فأخذ بيدي فأطافني معه اسبوعاً كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخشخش** ) أي يتحرك مع صوت ( **تحت أقدامنا إلى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس، فقال** ) لي: ( **هذا كله قد أعطانيه** ) ربي ( **فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لأن هذه أثقال وفتنة** ) وامتحان، ( **وذلك** ) أي الأخذ من أيدي الخلق ( **للعباد فيه رحمة ونعمة** ) أورده صاحب القوت في كتاب التوكل، وفيه ثم قال له: نحن مكاشفون بسر الملك وظاهر لنا كنوز الأرض، ولكن لا نأخذ منه شيئاً زهداً فيه، ولان له أثقالاً فتركه أفضل، ونأخذ أرزاقنا من أيدي الناس وبالأسباب لأنه أحب إلى الله لمنافع العباد ولأن الحكمة والأحكام في هذا أكثر. ( **والمقصود من ذكر هذا أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء** ) واختباراً ( **وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك** ) من حيث كان ( **رفقاً بك** ) وشفقة عليك، ( **فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والإبتلاء. قال الله تعالى: ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ﴾** ) أي نختبرهم ( **﴿أيهم أحسن عملاً﴾** ) أيهم أزهد في الدنيا. ( **وقال** ﷺ: « **لا حق لابن آدم إلاّ في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري عورته، وبيت**

الحاجة هذه الثلاث مثاب، وفيما زاد عليه إن لم تعص الله متعرض للحساب، وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب.

ومن الاختبار أيضاً: أن تعزم على ترك لذة من اللذات تقرباً إلى الله تعالى وكسراً لصفة النفس فتأتيك عفواً صفواً لتمتحن بها قوّة عقلك، فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها، فرد ذلك مهم وهو الزهد، فإن أخذته وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد، ولا يقدر عليه إلا الصديقون. وأما إذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء، وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدّخره، فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار، فربما يحلو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك.

---

**يكنه)** من الحر والبرد **(فما زاد فهو حساب»)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عثمان بن عفان إلا أنه قال: وجلف الخبز والماء بدل قوله طعام يقيم صلبه وقال صحيح انتهى.

قلت: لفظه في جامعه: «ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء» وقال حسن صحيح، وهكذا رواه ابنه عبد بن حميد والحاكم والضياء. وروى ابن النجار من حديث ثوبان: «يكفيك من الدنيا ما سد جوعتك ووارى عورتك فإن كان لك شيء يظللك فذاك وإن كانت لك دابة تركبها فبخ» **(فإذا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب)** لأن لك فيها حقاً وقد أذن لك الله في أخذها، **(وفيما زاد عليه إن لم تعص الله متعرض للحساب)** فيم أخذته وفيم صرفته، **(وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب)** فهذا معنى قوله: «حلالها حساب وحرامها عقاب».

**(ومن الإختبار أيضاً: أن تعزم على ترك لذة من اللذات)** الدنيوية **(تقرباً إلى الله تعالى وكسراً لصفة النفس)** أي لثورتها **(فتأتيك)** تلك اللذة **(عفواً صفواً)** من غير تبعة ولا كدورة **(ليمتحن بها قوة عقلك)** هل تلابسها أو تتركها، **(فالأولى الإمتناع عنها فإن النفس إذ رخص لها في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها)** القديمة **(وصرفته إلى محتاج)** سراً **(فهو غاية الزهد)** ويسمى زهد الزهد، **(ولا يقدر عليه إلا الصديقون)** من الزاهدين وقد أشرنا إلى ذلك في أول الفصل. **(وإما إذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء)** بالخدمة وقضاء الحوائج **(فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء)** إذ حاجاتهم كثيرة **(وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدخر لغد فإن إمساكه ولـو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار)** من الله تعالى، **(فربما يحلو في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك)** إلا لأمر ضروري لا بد منه.

وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كـان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة ، فإن رزقه الله من حلال قضاه ، وإن مات قبل القضاء قضاه الله تعالى عنه وأرضى غرماءه ، وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقراضه على بصيرة ، ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضي من مال بيت المال ومن الزكاة ، وقد قال تعالى : ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾ [ الطلاق : ٧ ] قيل معناه : ليبع أحد ثوبيه . وقيل معناه : فليستقرض بجاهه ، فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم : إن لله تعالى عباداً ينفقون على قدر بضائعهم ، ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى . ومات بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف : الأقوياء ، والأسخياء ، والأغنياء ، فقيل : من هؤلاء ؟ فقال : أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى ، وأما الأسخياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى ، وأما الأغنياء فهم أهل الإنقطاع إلى الله تعالى .

---

( **وقد تصدى لخدمة الفقراء** ) في الربط ( **والزوايا جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب** ) والملبس ( **وذلك هو** ) عين ( **الهلاك** ) ويليه أن يتخذها وسيلة إلى تحصيل الجاه ، ( **ومن كان غرضه الرفق** ) بالفقراء ( **وطلب الثواب** ) من الله تعالى ( **فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة** ) أن يأتي منهم شيء فيؤديه منه ، ( **فإن رزقه الله من حلال قضاه وإن مات قبل القضاء قضى الله تعالى عنه وأرضى عنه غرماءه، وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يشكف حاله عنده** ) أي يظهره له بأنه لا يملك شيئاً من متاع الدنيا والذي يستقرضه إنما هو لأجل الصرف على مواضع الثواب ، وأن سداده إنما هو من الفيض المطلق لا عن جهة معلومة معينة ( **ليقدم** ) المقرض ( **على إقراضه** ) وهو ( **على بصيرة** ) ويقين من أمره ، ( **ودين مثل هذا الرجل** ) إذا عجز أو مات ( **واجب أن يقضي من بيت المال ومن الزكوات** ) بعد أن يرفع أمره إلى ولي الأمر ، ( **فقد قال تعالى: ﴿ومن قدر عليه رزقه** ) أي ضيق وحبس ( **فلينفق مما آتاه الله﴾ قيل: معناه ليبع أحد ثوبيه** ) ويكتفي بالثـوب الواحد ( **وقيل: معناه فليستقرض بجاهه فذلك** ) مما ( **قد آتاه الله . وقال بعضهم: لله تعالى عباد ينفقون على قدر بضائعهم** ) الموجودة عندهم، ( **ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى** ) وهؤلاء أعلى مقاماً . ( **ومات بعضهم فأوصى بماله** ) أي ثلثه ( **لثلاث طوائف الأقوياء والأسخياء والأغنياء فقيل** ) له ( **من هؤلاء ؟ فقال: أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى، وأما الأسخياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى، وأما الأغنياء فهم أهل الإنقطاع إلى**

فإذاً مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه، وينبغي أن يرى ما يأخذه من الله لا من المعطي؛ لأن المعطي واسطة قد سخر للعطاء، وهو مضطر إليه بما سلط عليه من الدواعي والإرادات والاعتقادات.

وقد حكي أن بعض الناس دعا شقيقاً في خمسين من أصحابه، فوضع الرجل مائدة حسنة، فلما قعد قال لأصحابه: إن هذا الرجل يقول: من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدّمته فطعامي عليه حرام، فقاموا كلهم وخرجوا إلا شاباً منهم كان دونهم في الدرجة، فقال صاحب المنزل الشقيق: ما قصدت بهذا؟ قال: أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم. وقال موسى عليه السلام: يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يغديني هذا يوماً ويعشيني هذا ليلة فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي، أجري أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم. فلا ينبغي أن يرى المعطي

---

**الله تعالى)** انقطعوا إلى الله تعالى فأغناهم عن غيره، **(فإذاً مهما وجدت هذه الشروط فيه في المال وفي المعطي فليأخذ)** وهو الأفضل، **(وينبغي أن يرى ما ياخذه من الله)** تعالى **(لا من المعطي إنما المعطي)** في الظاهر **(واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر إليه بما سلط عليه من الدواعي)** والبواعث **(والإرادات والإعتقادات)** والمعطي الحق في الحقيقة هو الله تعالى هذا هو التوحيد الكامل وقد تقدم تحقيق ذلك في أسرار الزكاة.

**(وقد حكي أن بعض الناس)** من المعتقدين **(دعا شقيقاً)** بن إبراهيم البلخي رحمه الله تعالى **(في خمسين من أصحابه)** فأتى بهم إلى منزله **(فوضع الرجل مائدة حسنة، فلما قعد)** شقيق **(قال لأصحابه: إن هذا الرجل يقول)** يعني صاحب المائدة: **(من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام، فقاموا كلهم)** ولم يأكلوا **(وخرجوا)** من المنزل وكانوا ممن ينظرون إلى الحقائق **(إلا شاباً كان دونهم في الدرجة. فقال صاحب المنزل لشقيق: ماذا قصدت بهذا؟ قال: أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم)** هل كمل توحيدهم أم لا؟ فإن كمال التوحيد أن لا يرى في الوجود فاعلاً إلا الله ولا ينكر الوسائط فإنهم مسخرون بإذن الله تعالى، ولما كان الشاب لم يكمل في معرفته بعد أكل من الطعام ولم يقم فإن مقامه يعطي أن الذي صنع الطعام وقدمه إليه هو صاحب المنزل ولا يعدو علمه ذلك.

**(وقال موسى عليه السلام: يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يغديني هذا يوماً ويعشيني هذا ليلة، فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطالين)** وفي لفظ العاصين **(من عبادي ليؤجروا فيهم)** نقله صاحب القوت وقال: فعلم هذا للمتوكلين ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل إليهم قسمهم من المؤملين مقام للجمع في

إلا من حيث إنه مسخر مأجور من الله تعالى، نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه.

**بيان تحريم السؤال من غير ضرورة؛ وآداب الفقير المضطر فيه:**

اعلم أنه قد وردت مناة كثيرة في السؤال وتشديدات، وورد فيه أيضاً ما يدل على الرخصة إذ قال ﷺ: «للسائل حق ولو جاء على فرس»، وفي الحديث: «ردوا السائل

---

المعرفة واليقين فهو حال للمعطي الموصل وطريق للآخذ المتوكل، **(فلا ينبغي أن يرى المعطي إلا من حيث أنه مسخر مأجور من الله تعالى)** لا أنه المعطي حقيقة، والله الموفق.

**بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر إليه:**

**(اعلم)** أغناك الله تعالى **(أنه قد وردت مناة في السؤال وتشديدات)** عظيمة تدل على تحريمه والمراد بالسؤال هنا سؤال الناس عامة ويكون ذلك لنفسه، وخرج بذلك ما إذا كان يسأل لغيره فهذا غير داخل في تلك التشديدات بل هو معونة، وخرج من ذلك أيضاً ما إذا كان لنفسه لكنه سأل الأقارب والأصدقاء فهو طريق القوم وعليه العمل لأن الأصدقاء يفرحون بذلك ويرون الفضل والمنة للصديق القاصد وإليه يشير قوله: **(وورد فيه أيضاً ما يدل على الرخصة إذ قال ﷺ: «للسائل حق ولو جاء على فرس»)** قال العراقي: رواه أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي. وفي الأول يعلى بن أبي يحي جهله أبو حاتم ووثقه ابن حبان، وفي الثاني شيخ لم يسم وسكت عليهما أبو داود انتهى.

قلت: ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة والطبراني والباوردي وابن قانع وأبو نعيم في الحلية والبيهقي والضياء كلهم عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها. والرواية الثانية رواها أيضاً البيهقي وقال السخاوي في المقاصد هو من رواية فاطمة بنت الحسين ابن علي واختلف عليها فقيل عنها عن أبيها عن علي، وقيل بدون علي، وقيل عنها عن جدتها فاطمة الكبرى وهذه الرواية عند إسحاق بن راهويه، وعلى كل حال ففي الباب عن الهرماس عند الطبراني وفيه عثمان بن فائد وهو ضعيف، وعن ابن عباس وعن زيد بن أسلم رفعه مرسلاً بلفظ: «اعطوا السائل ولو جاء على فرس» أخرجه مالك في الموطأ هكذا، ووصله ابن عدي من طريق عبدالله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة ولكن عبدالله ضعيف، بل رواه ابن عدي أيضاً من طريق عمر بن يزيد المدائني عن عطاء عن أبي هريرة وعمر ضعيف أيضاً، وللدارقطني في الإفراد من طريق الحسن بن علي الهاشمي عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا يمنعن أحدكم السائل أن يعطيه وإن كان في يده قلباء من ذهب» وقال: تفرد به الحسن عن الأعرج وهو في مسند الضياء. ثم قال العراقي: وأما ما ذكر عن ابن الصلاح في علوم الحديث أنه بلغه عن أحمد بن حنبل أنه قال: أربعة أحاديث تدور في الأسواق ليس لها أصل منها: «للسائل حق» الحديث فإنه لا يصح عن أحمد، وقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده انتهى.

**ولو بظلف محرق » ، ولو كان السؤال حراماً مطلقاً لما جاز إعانة المتعدّي على عدوانه والإعطاء إعانة ، فالكاشف للغطاء فيه أن السؤال حرام في الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة ، فإن كان عنها بد فهو حرام ، وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة .**

---

قلت : ووجدت بخط الحافظ نقلاً عن خط ابن رجب الحنبلي ما نصه : ورد ذلك عن أحمد بمجرد روايته له في مسنده فيه نظر فكم من حديث قال فيه أحمد لا يصح ، وقد أخرجه في مسنده ومن كتب العلل لعبدالله بن أحمد والأشرم والخلال علم صحة هذا انتهى . وبخط الحافظ أيضاً الصحيح عن أحمد أنه أنكر حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده كذا نقل عنه مهنا ، وكذا قال ابن المديني : ثلاثة أشياء لا تصح عن النبي ﷺ منها : « لو صدق السائل » .

( **وفي الحديث : « ردوا السائل ولو بظلف محرق »** ) قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم بجيد ، وقال ابن عبد البر مضطرب انتهى .

قلت : رواه بهذا اللفظ أيضاً مالك وأحمد والبخاري في التاريخ وابن ماجه وابن حبان والبيهقي كلهم من طريق ابن بجيد الأنصاري عن جدته ، ورواه ابن سعد والطبراني من رواية عمرو بن معاذ الأنصاري عن جدته حواء . هكذا هو في الجامع الكبير للسيوطي .

وقال الحافظ في الإصابة : حواء أم بجيد بموحدة وجيم مصغر صحابية روى حديثها مالك عن زيد بن أسلم عن ابن بجيد الأنصاري عن جدته عن النبي ﷺ إنها سمعته يقول : « ردوا السائل ولو بظلف محرق » هكذا أخرجه أحمد في مسنده عن روح بن عبادة عن مالك ، وترجم لها حواء جدة عمرو بن معاذ ورواه أصحاب الموطأ فيه عن مالك عن زيد بلفظ : « يا نساء المؤمنات لا تحقرن إحداكن لجارتها ولو كراعاً محرقاً » ورواه مالك أيضاً عن زيد بن أسلم عن عمرو بن معاذ عن جدته حواء عن النبي ﷺ قال : « لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » وأخرجه من طريق سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن بجيد الأنصاري عن جدته مثله . وقال الليث : حدثني سعيد المقبري ، عن عبد الرحمن بن بجيد ، عن جدته وكانت ممن بايع رسول الله ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ : إن المسكين ليقوم على بابي فلا أجد له شيئاً أعطيه فقال لها : « إن لم تجدي له شيئاً تعطيه إياه إلا ظلفاً محرقاً فادفعيه إليه في يده » هكذا أخرجه ابن سعد عن أبي الوليد عن الليث وقال في القسم الثالث : فرق ابن سعد بين حواء جدة عمرو بن معاذ الأنصارية ، وبين حواء أم بجيد وهما واحدة .

( **ولو كان السؤال حراماً مطلقاً لما جاز إعانة المعتدي على عدوانه والإعطاء إعانة فالكاشف للغطاء فيه** ) عن وجه الصواب ( **أن السؤال حرام في الأصل** ) وإنما يباح بضرورة داعية له ( **أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فإن كان عنها** ) أي عن تلك الحاجة وفي نسخة عنه أي عن السؤال ( **بد فهو حرام** ) والحاجة الخفيفة فيها تردد ، ( **وإنما قلنا : إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة** ) وهي في الحقيقة آفات مهلكة .

**الأول:** إظهار الشكوى من الله تعالى، إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى، وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعاً على سيده، فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى، وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل إلا لضرورة كما تحل الميتة.

**الثاني:** أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله، بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه، فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة، وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى المسؤول.

**الثالث:** أنه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالباً، لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه، فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ، وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام

---

**( أما الأول: إظهار الشكوى من الله تعالى )** لقصور النعمة **( إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى، وكما أن العبد المملوك )** لرجل **( لو سأل )** الناس **( لكان سؤاله تشنيعاً على سيده، فكذا سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم )** لما في ضمنه في الشكاية من الله تعالى، **( ولا يحل إلا لضرورة )** ماسة **( كما تحل الميتة )** عند الضرورة.

**( والثاني: أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى )** وقد قيل: ثلاث من الذل: الدين ولو درهماً، والبنت ولو مريم، والسؤال ولو أين الطريق. **( وليس للمؤمن أن يذل نفسه )** كما ورد في الخبر أي إلا في عبادة كتعليم علم أو غيره وقد تقدم في كتاب العلم، **( بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه )** بل هو عين العبودية، **( فأما سائر الخلق فإنهم عباداً مثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة )** دعته لذلك، **( وفي السؤال للسائل بالإضافة إلى المسؤول منه )** ومن دعاء الإمام أحمد: اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

**( الثالث: أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول )** غالباً**)** لتردده بين العطاء والمنع **( لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه )** وإنما يستحيي أو يرائي، **( فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ )** بلا خلاف بين الأمة، وعلى هذا قولهم: ما أخذ بسيف المحاباة فهو حرام **( وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه )** حينئذ **( في صورة البخلاء، ففي البذل )** على الوجه المذكور **( نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان )** أحدهما في الظاهر والثاني في الباطن. **( والسائل هو السبب في الإيذاء )** المذكور

إلا بضرورة، ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله ﷺ: «مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها»، فانظر كيف سماها فاحشة، ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيره. وقال ﷺ: «من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم». ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم» وفي لفظ آخر: «كانت

---

(والإيذاء حرام إلا لضرورة) فلأجل هذه المفاسد كان السؤال حراماً في الأصل فلا يباح إلا لضرورة أو حاجة مهمة كما ذكر، وكل ذلك يحرم مع الغنى كما سيأتي ذلك. (ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله ﷺ حيث قال: «مسألة الناس من الفواحش ما أحل) أي ما أبيح (من الفواحش غيرها») قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (فانظر كيف سماها فاحشة) وهي ما تفاحش جرمها فتوجب الحد في الدنيا والعذاب في العقبى، (ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها) أي غير الخمر. (وقال ﷺ: «من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم، ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس له لحم») قال العراقي: رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية مقتصراً على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة. ولمسلم من حديث أبي هريرة: «من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً» الحديث وللبزار والطبراني من حديث ابن مسعود وابن عمر: «لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يخلق وجهه» وفي إسناده لين. وللشيخين من حديث ابن عمر: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم» انتهى.

قلت: لفظ حديث سهل بن الحنظلية عند أبي داود وابن حبان: «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم». ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقي وروى عبدالله بن أحمد في زوائد المسند من حديث علي: «من سأل مسألة عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم» وروى ابن حبان وابن شاهين وتمام والضياء من حديث عمر: «من سأل ليثري ماله فإنما هو رضف من النار يلقمه من شاء فليقل ومن شاء فليكثر». ولفظ حديث أبي هريرة عند مسلم» من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمر جهنم فليستقل منه أو ليستكثر». وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه. وروى أحمد وابن جرير في التهذيب وابن قانع والطبراني وأبو نعيم والضياء من حديث حبشي بن جنادة: «من سأل من غير فقر فإنما يأكل الجمر» وفي رواية لابن جرير والطبراني: «من سأل الناس ليثري به ماله كان خموشاً في وجهه ورضفاً من جهنم يأكله يوم القيامة فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر». وفي رواية أخرى للطبراني: «من سأل الناس في غير مصيبة حاجته فكأنما يلقم الرضفة». وقول المصنف: «ومن سأل وله ما يغنيه» الحديث يقرب منه ما رواه الديلمي من حديث أنس: «من سأل الناس وعنده ما يكفيه جاء يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم».

مسألته خدوشاً وكدوحاً في وجهه » ، وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد . وبايع رسول الله ﷺ قوماً على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة : « لا تسألوا الناس شيئاً » ، وكان ﷺ يأمر كثيراً بالتعفف عن السؤال ويقول : « من سألنا أعطيناه ، ومن استغنى أغناه الله ، وقال من لم يسألنا فهو أحب إلينا » ، وقال ﷺ : « استعفوا عن الناس وما قلّ من السؤال فهو خير » قالوا : ومنك يا رسول الله ؟ قال :

---

**( وفي لفظ آخر ) : « من سأل وله ما يغنيه ( كانت مسألته خدوشاً وكدوحاً في وجهه » )** قال العراقي : رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة انتهى .

قلت : رواه أحمد بلفظ : « من سأل مسألة وهو عنها غني جاءت يوم القيامة كدوحاً في وجهه » وفي رواية له : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح » ورواه كذلك أبو داود والترمذي وقال : حسن ، والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي . وحديث ابن عمر عند الشيخين : « ما يزال الرجل يسأل » الحديث . رواه أيضاً النسائي كلهم من طريق حمزة بن عبدالله بن عمر عن أبيه .

**( وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد . وبايع رسول الله ﷺ قوماً على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة )** كذا في النسخ والصواب خفية : **( ولا تسألوا الناس شيئاً » )** رواه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي ، وقد تقدم في كتاب ذم البخل وحب المال . وروى أبو داود والنسائي من حديث ثوبان : « من يتكفل لي أن لا يسأل الناس فاتكفل له بالجنة فكأن تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحداً يناوله إياه وينزل هو فيأخذه » .

**( وكان ﷺ يأمر كثيراً بالتعفف عن السؤال ويقول : « من سالنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله تعالى ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا » )** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في القناعة ، والحرث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حصين بن هلال لم أر من تكلم فيه وباقيهم ثقات انتهى .

قلت : ورواه ابن جرير في تهذيبه بلفظ : « من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سألنا شيئاً فوجدناه أعطيناه » . ورواه أحمد والنسائي والبيهقي والضياء بلفظ : « من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكفى كفاه الله ومن سأل قيمة وله قيمة فقد ألحف » .

**( وقال ﷺ : « استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير » قالوا : ومنك ؟ قال : « ومني » )** قال العراقي : رواه البزار والطبراني من حديث ابن عباس : « استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك » وإسناده صحيح وله في حديث لعدي الجذامي : « فتعففوا ولو بحزم الحطب » وفيه من لم يسم وليس فيه وما قل من السؤال الخ انتهى .

« ومني ». وسمع عمر رضي الله عنه سائلاً يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه: عشِّ الرجل فعشاه ثم سمعه ثانياً يسأل فقال: ألم أقل لك عشِّ الرجل؟ قال: قد عشيته، فنظر عمر فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزاً فقال: لست سائلاً ولكنك تاجر، ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرّة وقال: لا تعد. ولولا أن سؤاله كان حراماً لما ضربه ولا أخذ مخلاته، ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول: أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير، وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه؟ وهو استبعاد مصدره القصور في الفقه، فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده؟ أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباً في معصية الله وحاشاه، أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله، وهيهات فإن ذلك أيضاً معصية، بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رآه مستغنياً عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئاً فإنما أعطاه على اعتقاد أنه

---

قلت: حديث ابن عباس رواه أيضاً ابن جرير في تهذيبه، و العسكري في الأمثال، و البيهقي. و لابن عدي من حديث أبي هريرة « استغنوا بغنى الله ».

**( و سمع عمر )** بن الخطاب **( رضي الله عنه سائلاً يسأل )** الناس **( بعد المغرب فقال لواحد من قومه: عش الرجل )** فأخذه **( فعشاه ثم سمعه ثانية فقال: ألم أقل لك عش الرجل؟ قال: قد عشيته فنظر إليه عمر فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزاً فقال: لست سائلاً ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة و نثرها بين يدي إبل الصدقة و ضربه بالدرة و قال: لا تعد )** إلى صنيعك هذا. **( ولولا أن سؤاله كان حراماً لما ضربه ولا أخذ مخلاته )** ولما أنكر عليه فعله و نهاه عنه، **( ولعل الفقيه الضعيف المنة )** بضم الميم أي القوة **( الضيق الحوصلة )** بتشديد اللام **( يستبعد هذا من فعل عمر )** رضي الله عنه **( و يقول: أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير )** فهو لابأس به، **( فأما أخذ ماله )** وهو كسر الخبز التي كانت في المخلاة **( فهو مصادرة، و الشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه؟ وهذا إستبعاد مصدره القصور في الفقه فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه و اطلاعه على أسرار دين الله و مصالح عباده؟ أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة، أو )** أنه **( علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباً في معصية الله وحاشاه )** من ذلك، **( أو )** أنه **( أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله )** ﷺ. **( وهيهات فإن ذلك أيضاً معصية بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رآه مستغنياً عن السؤال، وعلم أن من أعطاه شيئاً فإنما أعطاه على إعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذباً فلم يدخل في ملكه**

محتاج، وقد كان كاذباً فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم، فبقي مالاً لا مالك له فوجب صرفه إلى المصالح، وإبل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذباً كأخذ العلوي بقوله: إني علوي وهو كاذب، فإنه لا يملك ما يأخذه، وكأخذ الصوفي الصالح الذي يعطي لصلاحه وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما أعطاه وقد ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر.

فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة، فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطراً إليه، أو محتاجاً إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغني عنه؛ فهذه أربعة أحوال:

أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتاً أو مرضاً وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤول

---

**بأخذه مع التلبيس)** و التخليط **( و عسر تمييزه ذلك و رده إلى أصحابه، إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقي مالاً لا مالك له فوجب صرفه إلى المصالح و إبل الصدقة و علفها من المصالح و يتنزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذباً كأخذ العلوي )** الشيء **( بقوله: إني علوي وهو كاذب )** في دعواه **( فإنه لا يملك ما يأخذه، و كأخذ الصوفي و المصالح الذي يعطى لصلاحه )** و تصوفه **( وهو في الباطن مقارف لمعصيته لو عرفها المعطي لما أعطاه. وقد ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم و يجب عليهم الرد إلى مالكه )** لعدم تحقق الإستحقاق، **( فاستدل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر )** رضي الله عنه.

**( فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشيء إنما يكون مضطراً إليه أو محتاجاً إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغني عنه؛ فهذه أربعة أحوال )** وهي في الحقيقة ثلاثة: الاضطرار أو الاحتياج أو الاستغناء، و الاحتياج على قسمين: إما مهم أو خفيف.

**( أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتاً أو مرضاً )** يؤدي إلى الموت، **( و سؤال العاري و بدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو )** أي هذا السؤال **( مباح مهما وجد بقية الشروط في المسؤول )** أي الطعام أو الثوب **( بكونه مباحاً و )** في **( المسؤول**

بكونه مباحاً، والمسؤول منه بكونه راضياً في الباطن وفي السائل بكونه عاجزاً عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة.

وأما المستغني فهو الذي يطلب شيئاً وعنده مثله وأمثاله، فسؤاله حرام قطعاً وهذان طرفان واضحان.

وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبة لا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذياً لا ينتهي إلى حدّ الضرورة، وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة، فهذا أيضاً ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضاً حاجة محققة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارة للأولى ولا يسمى سؤله مكروهاً مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني أذى أطيقه ولكن يشق عليَّ، فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى.

وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصاً ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق

---

**منه بكونه راضياً في الباطن)** غير مستحي في إعطائه ولا مراء، **(وفي السائل بكونه عاجزاً عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال إلا إذا استغرق في طلب العلم)** أوقاته بحيث لم يتفرغ للكسب، **(وكل من له خط.)** يقرأ **(فهو قادر على الكسب بالوراقة)** أي النساخة.

**(وأما المستغني وهو الذي يطلب شيئاً وعنده مثله أو أمثاله فسؤاله حرام قطعاً، وهذان طرفان واضحان)** وهما الاضطرار و الاستغناء. فالاضطرار مبيح و الاستغناء محرم.

**(وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف، وكمن له جبة لا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذياً لا ينتهي إلى حد الضرورة، وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة؛ فهذا أيضاً ينبغي أن يسترسل الاباحة لأنه أيضاً حاجة محققة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك الأولى، ولا يسمى سؤاله مكروهاً مهما صدق في السؤال و قال: ليس تحت جبتي قميص و البرد يؤذيني أذى أطيقه، ولكن يشق علي، فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤله إن شاء الله تعالى)**.

**(وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصاً ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه)** من منزله

من ثيابه عن أعين الناس وكمن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز ، وكمن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار ، أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة ؛ فهذا ونحوه إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام ، وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإيذاء المسؤول فهو حرام ، لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباح بها هذه المحذورات وإن لم يكن فيهاَ شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة .

فإن قلت : فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات ؟ فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ، ولكن يقول : أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حدّ الشكوى ، وأما الذل فبأن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخي الذي قد أعدّ ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فإن الذل لازم للمنة لا محالة ، وأما الإيذاء فسبيل الخلاص عنه أن لا

---

حاجته **( ليستر به الخروق من ثيابه عن أعين الناس )** كيلا يزدروا به ، **( وكمن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز ، وكمن يسأل لكراء الفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار ، أو يسأل كراء الجمل وهو قادر على الراحلة ؛ فهذا إن كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة )** المذكورة **( من الشكوى أو الذل أو إيذاء المسؤول فهو حرام )** لاشتماله على الأمور المحرمة **( لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباح بها المحظورات ، فإن لم يكن فيها شيء مباح من ذلك فهو مباح مع الكراهة )** ولذلك قلنا إن الحاجة الخفيفة فيها تردد .

**( فإن قلت : فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحظورات )** الثلاث ؟ **( فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله )** تعالى بلسانه ، **( و الاستغناء عن الخلق )** بأن لا يلتفت لما في أيديهم **( ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول : أنا )** بحمد الله تعالى **( مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة و فضول من النفس ، فيخرج به عن حد الشكوى ، وأما الذل فأن يسأل أباه أو قريبه )** في النسب **( أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله )** ولا يحتقره وهو سبيل العارفين **( أو )** يسأل **( الرجل السخي الذي قد أعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله و يتقلد منة بقبوله )** منه ذلك **( فيسقط عنه الذل بذلك ، فإن الذل لازم للمنة لا محالة ،**

يعين شخصاً بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضاً بحيث لا يقدم على البذل إلاّ متبرع بصدق الرغبة، وإن كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام، فهذا إيذاء، فإنه ربما يبذل كرهاً خوفاً من الملامة، ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة، وأما إذا كان يسأل شخصاً معيناً فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعريضاً يبقى له سبيلاً إلى التغافل إن أراد فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذٍ به، وينبغي أن يسأل من لا يستحيي منه لو ردّه أو تغافل عنه، فإن الحياء من السائل يؤذي كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي.

فإن قلت: فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهل هو حلال أو شبهة؟ فأقول: ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة، وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب ظاهره بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام، وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء، ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قد رضي به، وقد قال ﷺ: «إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر». فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات

---

**وأما إلايذاء فسبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصاً بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضاً بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق)** أي منظور إليه **(لو لم يبذل لكان يلام؛ فهذا إيذاء فإنه ربما يبذل كرهاً)** لا عن رضا قلبه **(خوفاً من الملامة ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص، لو قدر عليه من غير ملامة، وأما إذا كان يسأل معيناً فينبغي أن أن لا يصرح)** باسمه **(بل يعرض له تعريضاً يبقى له سبيل إلى التغافل إن أراد)** ذلك، **(فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذ به، وينبغي أن يسأل من لا يستحيي منه لو رده أو تغافل، فإن الحياء من السائل يؤذي كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي)**.

**(فإن قلت: فإذا أخذ مع العلم فإن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين)** في المجلس **(ولولاه لما أعطاه)** وفي نسخة لما ابتدأه به **(فهو حلال أو شبهة؟ فأقول: ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة، وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة، إذ فرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء)** من ضرب الجلد الظاهر وفي ذلك قيل:

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة

**(ولا يجوز أن يقال هذا في الظاهر قد رضي، وقد قال ﷺ «إنما أنا أحكم بالظاهر**

إذ لا يمكن ردهم إلى البواطن وقرائن الأحوال، فاضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب، ولكن الضرورة دعت إليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين، والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أفتوك وأفتوك، فإن المفتي معلم للقاضي والسلطان ليحكم في عالم الشهادة، ومفتي القلوب هم علماء الآخرة، وبفتواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة، كما أن بفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا، فإذاً ما أخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رد إلى صاحبه، فإن كان يستحيي من أن يسترده ولم يسترده فعليه أن يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصّى عن عهدته، فإن لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك إلى ورثته، فإن تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الأذى.

فإن قلت: فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل إلى الخلاص منه فربما

---

**والله يتولى السرائر»)** قال العراقي: لم أجد أصلاً، وكذا قال المزي لما سئل عنه، **(فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردهم في البواطن وقرائن الأحوال فأضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب، ولكن الضرورة دعت إليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله، والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام، فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك)** ولا تستفت إلا منه **(وإن أفتوك وأفتوك)** كما ورد ذلك في خبر وابصة بن معبد وغيره، **(فإن المفتي معلم للقاضي والسلطان)** ومن في معناهما من الحكام **(ليحكموا)** بفتواه **(في عالم الشهادة، ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة عن سطو سلطان الآخرة كما أن بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا، فإذا ما يأخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رده إلى صاحبه)** إن أمكنه، **(فإن كان يستحيي من أن يسترده)** فلم يسترده **(فعليه أن يثيبه على ذلك)** أي يجازيه **(بما يساوي قيمته)** في الوقت **(في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى)** أي يتخلص **(عن عهدته، فإن لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك إلى ورثته)** بعد موته ولا يجوز له أن يملكه بحال من الأحوال، **(فإن تلف في يده)** قبل الاسترداد **(فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه)** تصرف الملاك ثانياً **(وبالسؤال الذي حصل به الأذى)** أولاً.

**(فإن قلت: فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل**

يظن السائل أنه راضٍ ولا يكون هو في الباطن راضياً؟ فأقول: لهذا ترك المتقون السؤال رأساً فما كانوا يأخذون من أحد شيئاً أصلاً فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلاً إلا من السري رحمة الله عليهما وقال: لأني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فأنا أعينه على ما يحب وإنما عظم النكير في السؤال وتأكد الأمر بالتعفف لهذا، لأن الأذى إنما يحل بضرورة وهو أن يكون السائل مشرفاً على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الامتناع طريق الورعين، ومن أرباب القلوب من كان واثقاً ببصيرته في الاطلاع على قرائن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض، ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه، ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضاً ويرد بعضاً، كما فعل رسول الله ﷺ في الكبش والسمن والإقط، وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال، فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعاً في جاه أو طلباً للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك، فأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأساً إلا في موضعين.

**أحدهما**: الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى

---

**أنه راض ولا يكون هو في الباطن راضياً؟ فأقول: لهذا** ) السر ( **ترك المتقون السؤال رأساً فما كانوا يأخذون من أحد شيئاً أصلاً فكان بشر** ) الحافي رحمه الله تعالى ( **لا يأخذ إلا من السري** ) السقطي رحمه الله تعالى ( **وقال** ) لما سئل عن ذلك: ( **لأني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فأنا أعينه على ما يحب** ) وقد تقدم قريباً، وأين مثل السري حتى يؤخذ منه؟ ( **وإنما عظم النكير في السؤال و** ) اشتد ( **الأمر بالتعفف لهذا لأن الأذى إنما يحل** ) أي يصير مباحاً ( **بضرورة وهو أن يكون مشرفاً على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير وأكل الميتة، فكان الامتناع** ) عن السؤال ( **طريق الورعين، ومن أرباب القلوب من كان واثقاً ببصيرته في الإطلاع على قرائن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض، ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه، ومنهم من كان يأخذ مما يعطي ويرد بعضاً كما فعل رسول الله ﷺ في الكبش** ) حيث رده ( **والإقط** ) والسمن حيث أخذهما، ( **وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة، ولكن قد تكون رغبته طمعاً في جاه أو طمعاً للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك. وأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأساً إلا في موضعين** ):

( **أحدهما: الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى**

والخضر عليهم السلام ولا شك في أنهم ما سألوا إلا من علموا أنه يرغب في إعطائهم.

**والثاني**: السؤال من الأصدقاء والإخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علموا أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان، وكانوا قد وثقوا بإخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فإذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلاّ فكانوا يستغنون عن السؤال، وحدّ إباحة السؤال أن تعلم أن المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثيراً لا في تعريف حاجتك، فأما في تحريكه بالحياء وإثارة داعيته بالحيل فلا. ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الأحوال فالأخذ في الحالة الأولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت، ويتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلب فإنه الإثم، وليدع ما يريبه إلى ما لا يريبه وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته، فإن قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله ﷺ: « إن

---

**والخضر عليهم السلام)** أما سؤال سليمان فقد تقدم بيانه في كتاب الصبر، وأما قصة موسى والخضر فمذكورة في القرآن، **(ولا شك أنهم ما سألوا إلا من علموا أنه يرغب فيهم)**.

**(والثاني السؤال من الأصدقاء والإخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان)** كما تقدم في آداب الصحبة والأخوة، **(لأن أرباب القلوب)** قد علموا **(أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم أنهم كانوا يفرحون ببساطتهم، فإذا كانوا يسألون الإخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلا فكانوا يستغنون عن السؤال، وحد إباحة السؤال أن تعلم أن المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك)** بالعطاء **(دون السؤال، فلا يكون لسؤالك تأثير إلا في تعريف حاجتك فأما في تحريكه بالحياء وإثارة داعيته بالحيل)** والخداع **(فلا، وتتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا الباطن وحالة لا يشك)** فيها **(في الكراهة، ويعلم ذلك بقرينة الاحوال، فالأخذ في الحالة الاولى حلال طلق، وفي الثانية حرام سحت وتتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلب)** وهي الشبهات التي تحز في القلب وتحك كما في حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم، **(فإنه الإثم)** كما في الخبر. والإثم ما حاك في في الصدر **(وليدع ما يريبه إلى مالا يريبه)** كما في حديث الحسن وقد تقدم كل ذلك في العلم، **(وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته، فإن قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على**

أطيب ما أكل الرجل من كسبه » وقد أوتي جوامع الكلم لأن من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أبيه أو أحد قرابته، فيأكل من أيدي الناس، وإن أعطي بغير سؤال فإنما يعطي بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطي بدينه فيكون ما يأخذه حراماً، وإن أعطي بسؤال فأين من يطيب قلبه بالعطاء إذ سئل وأين من يقتصر في السؤال على حدّ الضرورة، فإذا فتشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وأن الطيب هو الكسب الذي اكتسبته بحلالك أنت أو مورثك فإذاً بعيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس. فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وأن يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه بمنه وسعة جوده، فإنه على ما يشاء قدير.

## بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال:

اعلم أن قوله ﷺ من سأل عن ظهر غنى، فإنما يسأل جمراً فليستقل منه أو ليستكثر »

---

**الكراهة، وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله ﷺ حيث قال « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه »** ) رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث عائشة وتمامه: « وأن ولده من كسبه فكلوا من أموالهم ». وروى ابن أبي شيبة والبخاري في التاريخ بلفظ إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وأن أولادكم من كسبكم » وقد تقدم في آداب الطعام، ( **وقد أوتي** ) ﷺ ( **جوامع الكلم** ) واختصر له الكلام اختصاراً رواه أبو يعلى والبيهقي من حديث عمر، ورواه الدارقطني من حديث ابن عباس وقد تقدم ( **لأن من لا كسب له ولا مال مما ورثه من كسب أبيه أو أحد أقربيه فيأكل من أيدي الناس، وإن أعطي بغير سؤال فإنما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشفت لا يعطى بدينه فيكون ما يأخذه حراماً، وإن أعطى لسؤال فأين من يطيب قلبه بالعطاء إذ سئل وأين من اقتصر في السؤال على حد الضرورة، فإذا فتشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت، وأن الطيب** ) الصافي وفي نسخة وأن أطيب ما تأكل ( **هو الكسب الذي اكتسبته أنت أو مورثك، فإذاً بعيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس** ) لما فيه ما يضاده ( **فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وأن يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه** ) يشير إلى الدعاء المأثور: « اللهم أغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك » ( **بمنه وكرمه وجوده** ) زاد بعض النسخ إنه على مايشاء قدير.

**بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال:**

( **إعلم** ) أغناك الله تعالى ( **أن قوله ﷺ « من سأل عن ظهر غنى فإنما يسأل جمراً**

**صريح في التحريم ولكن حدّ الغنى مشكل وتقديره عسير، وليس إلينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف، وقد ورد في الحديث: « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره » قالوا: وما هو؟ قال: « غداء يوم وعشاء ليلة ». وفي حديث آخر: « من سأل وله خمسون درهماً أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافاً ». وورد في لفظ آخر: « أربعون درهماً »**

---

**فليستقل منه أو ليستكثر »** ) رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية وقدوقد ذكر قريباً وفي كتاب الزكاة ولفظها « من سأل شيئاً وعنده مايغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم » وأما قوله: فليستقل منه أو ليستكثر » ففي حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم وابن ماجه، وفي حديث حبشي بن جنادة عند ابن جرير والطبراني، وفي حديث عمر عند ابن حبان كما ذكر كل ذلك قريباً ( **صريح في التحريم** ) أي تحريم السؤال، ( **ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس إلينا وضع المقادير بل يدرك ذلك بالتوقيف** ) من الشرع. ( **وقد ورد في الحديث** ) الآخر ( **« إستغنوا بغني الله تعالى عن غيره »** ) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وليس فيه عن غيره وقد تقدم قريباً ( **قالوا: وما هو** ) أي غنى الله تعالى؟ ( **قال: « غداء يوم وعشاء ليلة »** ) هو من بقية حديث أبي هريرة عند ابن عدي كما يرشد إليه كلام العراقي، وتبعه المناوي والموجود منه في الجامع الكبير والصغير للسيوطي هو ماذكرت، وادعى المناوي أن السيوطي ترك تلك الزيادة سهواً وليس كما ظن، بل هذا التقدير وقع في حديث سهل بن الحنظلية قالوا: وما يغنيه يا رسول الله؟ قال: قدر ما يغديه أو يعشيه ». رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان وابن جرير والطبراني والحاكم في حديث علي قالوا: وما ظهر غنى؟ قال: « عشاء ليلة » رواه عبدالله بن أحمد وإسناده حسن، وهذا هو المختار من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.

( **وفي حديث آخر « من سأل وله خمسون درهماً أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافاً »** ) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تهذيبه والحاكم والبيهقي من حديث ابن مسعود « من سأل الناس وله مايغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح » قيل: يارسول الله وما الغنى؟ قال « خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب » وفي رواية لأحمد: « ولا تحل الصدقة لمن له خمسون درهماً أو عرضها من الذهب ». رواه أحمد والبيهقي من حديث رجل من بني أسد: « من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً »! وقد تقدم هذا للمصنف في كتاب الزكاة فقال: وروى عطاء بن يسار منقطعاً « من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال » قال العراقي: هناك رواه أبو داود والنسائي من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلاً وليس بمنقطع كما ذكره الصنف لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وتقدم الكلام عليه هناك. وروى أبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني من حديث أبي سعيد « من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف ». ( **وورد في لفظ آخر « أربعون درهماً »** ) رواه النسائي والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: « من سأل وله أربعون درهما فهو الملحف ».

ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبغي أن يقطع بورودها على أحوال مختلفة، فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحداً والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين، فنقول قال رسول الله ﷺ: «لا حق لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري به عورته، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب». فلنجعل هذه الثلاث أصلاً في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والمقادير والأوقات، فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر إذا كان لا يقدر على المشي، وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته كالدابة أيضاً. وأما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس، وأما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا أثاث البيت جميعه ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الأواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف، فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أخس

---

**(ومهما اختلف التقت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي أن يقطع بورودها على أحوال مختلفة)** جمعاً بين الأخبار كيلا تتضاد، **(فإن الحق في نفسه لايكون إلا واحداً)** كما هو مذهب الأصوليين، **(والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب، ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين. فنقول: قال ﷺ «لا حق لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري عورته، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب»)** رواه الترمذي من حديث عثمان بن عفان نحوه وقد ذكر قريباً، **(فليجعل هذه الثلاث أصلاً في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والمقادير والأوقات. فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر إذا كان لا يقدر على المشي، وكذلك مايجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من)** يكون **(تحت كفالته كالدابة أيضاً، وأما المقادير فالثوب يراعى فيه مايليق بذوي الدين)** والمروءات **(وهو ثوب واحد وقميص)** يواري جسده **(ومنديل يربط)** به رأسه **(وسراويل)** أو إزار **(ومداس)** في رجليه، **فهؤلاء** كلهن بمنزلة ثوب واحد لا يستغنى عنها، فإن فرضنا ثوباً واحداً عريضاً طويلاً فالتحف به من رأسه إلى قدمه فهو كذلك إلا أنه ليس من ثياب ذوي الدين في الاعصار المتأخرة، **(وأما الباقي من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا أثاث البيت جميعه)** أي يراعى فيه مايكفيه، **(ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب)** ورفعتها **(وكون الأواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فإن ذلك مستغنى عنه، فيقتصر من العدد على نوع واحد من النوع على أخس أجناسه مالم يكن في غاية البعد عن العادة، وأما الطعام فقدره في اليوم مد)**

أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة. **وأما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير. والأدم على الدوام فضلة، وقطعه بالكلية إضرار ففي طلبه في بعض الأحوال رخصة. وأما المسكن فأقله ما يجزىء من حيث المقدار وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى. وأما بالإضافة إلى الأوقات فما يحتاج إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه، فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات.**

**إحداها:** ما يحتاج إليه في غد.

**والثانية:** ما يحتاج إليه في أربعين يوماً أو خمسين يوماً.

**والثالثة:** ما يحتاج إليه في السنة، ولنقطع بأن من معه ما يكفيه له ولعياله إن كان له عيال لسنة فسؤاله حرام، فإن ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهماً في الحديث، فإن خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة إذا اقتصد، أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك، وإن كان يحتاج إليه قبل السنة، فإن كان قادراً على السؤال ولا تفوته فرصته فلا

---

بالضم (**وهو ماقدره الشرع**) وهما حفنتان بالكفين هما قوت الحافن غداء وعشاء كفافاً لا إقتاراً ولا إسرافاً، (**ونوعه مايقتات**) من طعام بلده (**ولو كان من الشعير والأدم على الدوام فضله وقطعه بالكلية إضرار، ففي طلبه في بعض الأحوال رخصة. وأما المسكن فأقله ما يجزى من حيث المقدار، وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غني، وأما بالإضافة إلى الأوقات فما يحتاج إليه في الحال من طعام يوم وليلة**) وهو المعبر عنه بالغداء والعشاء، (**وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه، فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات**).

(**إحداها: ما يحتاج إليه في غداء**).

(**والثانية: ما يحتاج إليه في أربعين يوماً أو خمسين**).

(**والثالثة: ما يحتاج إليه في السنة**) وقد تقدم ذكرها قريباً. (**ولنقطع بأن من معه ما يكفيه**) أوله (**ولعياله إن كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فإن ذلك غاية الغنى**) في حقه، (**وعليه ينزل التقسيم بخمسين درهماً في الحديث**) المروي عن ابن مسعود (**فإن خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة إذا اقتصد**) بأن يأكل في كل شهر خمسين نصفاً فضة على أن خمسة دنانير صرفها ستمائة نصف فضة وتجعل الدرهم كناية عن النصف الفضة بمعاملة مصر الجارية الآن، وهذه الكفاية متيسرة إن كانت الأسعار متراخية، (**أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادراً على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يحل له السؤال لأنه**)

يحل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة، وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر. وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال لأن أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطراً عاجزاً عما يعينه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفاً وكان ما لأجله السؤال خارجاً عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج إلى السؤال، وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى، فيستفتي فيه قلبه ويعمل به إن كان سالكاً طريق الآخرة، وكل من كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى، فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين والإصغاء إلى تخويف الشيطان، وقد قال تعالى: ﴿فلا تخافُوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال عز وجل: ﴿الشيطان يعدكم الفقْرَ ويأمُرُكم بالفحشاء، واللهُ يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾ [البقرة:

---

**مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج إليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة، وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر)** وهو المروي عن سهل بن الحنظلية، **(وإن كان تفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال)** حينئذ **(لأن أمل البقاء سنة غير بعيد بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطراً عاجزاً عمن يعينه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفاً وكان ما لأجله السؤال خارجاً عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون بحسب درجات ضعف الإضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج إلى السؤال، وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتي فيه قلبه ويعمل به إن كان سالكاً سبيل الآخرة، وكلما كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله أعلى)** وهو داخل في حد قولهم الصوفي ابن وقته أي يقنع بما تيسر له من كل شيء في وقته سواء كان قوتاً ظاهراً أو معنوياً ولا يعلق قلبه بما سيأتي: **(فلا يكون خوف الإستقبال وقد آتاك الله قوتاً يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين)** بالله تعالى **(والإصغاء إلى تخويف الشيطان، وقد قال تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾)** أي موقنين فعبر عن اليقين هنا بالإيمان لأن اليقين الإيمان كله. **(وقال عز وجل: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾ والسؤال من)** جملة **(الفحشاء الذي أبيح بالضرورة)** وإليه يشير خير مسألة الناس

٢٦٨ ] والسؤال من الفحشاء التي أبيحت بالضرورة وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالاً موروثاً وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله. وهذه الخصلة من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

## بيان أحوال السائلين:

كان بشر رحمه الله يقول: الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين. وفقير لا يسأل وإن أعطي أخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس. وفقير يسأل عند الحاجة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين.

فإذاً قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أنه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة.

---

من الفواحش ثبت وروده كما تقدم، **( وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالاً موروثاً وادّخره لحاجة وراء السنة، وكلاهما مباح في الفتوى الظاهرة )** نظراً إلى ظاهر الحال **( ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بالله تعالى وهذه الخصلة )** المتضمنة لهذه الأوصاف الثلاث **( من أمهات المهلكات )** وأصول المرديات فنسأل الله تعالى حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

**بيان أحوال السائلين من السالكين:**

**( كان بشر )** بن الحرث الحافي **( رحمه الله تعالى يقول: الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين )** لكمال تجرده عن العلائق، **( وفقير لا يسأل وإن أعطي أخذ )** على قدر حاجته وردّ الباقي **( فهذا من المقربين في جنات الفردوس )** وهو أنزل درجة من الأوّل، **( وفقير يسأل عند الحاجة )** وفي نسخة عند فاقته **( فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين )** وهو أنزل درجة من الذي قبله، وهذا القول رواه القشيري في الرسالة في باب التوكل فقال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الحسن المخرمي يقول: حدثنا أحمد بن محمد بن صالح، حدثنا محمد بن عبدون، حدثنا الحسن الخياط قال: كنت عند بشر الحافي فجاءه نفر فسلموا عليه فقال: من أنتم ثم ساق القصة، وفي آخرها ثم قال بشر: أحسن الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فذاك من جملة الروحانيين، وفقير لا يسأل وإن أعطي قبل فذاك توضع له موائد في حظائر القدس، وفقير يسأل وإن أعطي قبل قدر الكفاية فكفارته صدقته.

**( فإذاً قد اتفق كلهم على ذم السؤال )** مطلقاً **( وعلى أنه مع الحاجة يحط المرتبة**

قال شقيق البلخي لابراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان: كيف تركت الفقراء من أصحابك؟ قال: تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا، وظن أنه لما وصفهم بترك السؤال قد أثنى عليهم غاية الثناء، فقال شقيق: هكذا تركت كلاب بلخ عندنا، فقال له ابراهيم: فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق؟ فقال: الفقراء عندنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا فقبَّل رأسه وقال: صدقت يا أستاذ.

---

**والدرجة )** ثم هذا الذي يسأل لا يخلو من أن يسأل لنفسه أو لغيره، فإن سأل لغيره فهو معونة وإن سأل لنفسه فلا يخلو من أن يسأل الأقارب والأصدقاء أو سائر الناس. الأوّل طريق القوم والثاني حرام وقد تقدم تفصيل ذلك.

**( قال شقيق )** بن إبراهيم **( البلخي )** رحمه الله تعالى **( لإبراهيم بن أدهم )** رحمه الله تعالى **( حين قدم عليه من خراسان: كيف تركت الفقراء من أصحابك؟ قال: تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا )** من الإعطاء **( صبروا، وظن أنه لما وصفهم بترك السؤال فقد أثنى عليهم غاية الثناء فقال شقيق: هكذا تركت كلاب بلخ عندنا )** إن اعطوا أكلوا وشكروا وإن منعوا صبروا، **( فقال له إبراهيم: فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق؟ فقال: الفقراء عندنا إن منعوا شكروا )** وعلموا أن المنع منة من الله عليهم لئلا يشغلهم بسواه **( وإن اعطوا آثروا )** غيرهم على أنفسهم ولم يتعلقوا بما لاح لهم من العطاء **( فقبَّل رأسه وقال: صدقت يا أستاذ )** هكذا سياق هذه القصة في النسخة وهو مزال عن الأصل، والصواب أن السائل هو إبراهيم والمسؤول هو شقيق. وقوله فقال شقيق صوابه، فقال إبراهيم وقوله، فقال له إبراهيم صوابه فقال له شقيق بدليل قوله يا أبا إسحاق فإنه كنية إبراهيم، وأما كنية شقيق فأبو علي.

وقد رواه أبو نعيم في الحلية على الصواب حيث قال: سمعت أبا القاسم عبد السلام بن محمد المخرمي البغدادي الصوفي يقول: حدثني أحمد بن محمد الخزاعي، عن حذيفة المرعشي قال: دخلنا مكة مع إبراهيم بن أدهم فإذا شقيق البلخي قد حج تلك السنة فاجتمعنا في شق الطواف فقال إبراهيم لشقيق: على أي شيء أصلتم أصلكم؟ فقال: أصلنا أصلنا على أنا اذا رزقنا أكلنا وإذا منعنا صبرنا. فقال إبراهيم: هكذا تفعل كلاب بلخ، فقال له شقيق: فعلام أصلتم؟ قال: أصلنا على أنا إذا رزقنا آثرنا وإذا منعنا شكرنا وحمدنا، فقام شقيق فجلس بين يدي إبراهيم فقال: يا أستاذأنت أستاذنا. ثم راجعت نسخة أخرى من الكتاب صحيحة بخط العجم، فإذا فيها على الصواب، كما أشرت إليه. وقال إبراهيم بن أدهم لشقيق حين قدم عليه فساقها، وفيه فقال إبراهيم: هكذا تركت كلاب بلخ وفيه فقال له شقيق: فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق؟

وذكر القشيري في باب الفتوة من الرسالة هذه القصة لشقيق مع جعفر الصادق فقال: وقيل سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة فقال: ما تقول أنت؟ فقال: إن أعطينا شكرنا وإن

فإذاً درجات أرباب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة، فلا بدّ لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها. فإنه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها إلى قلاعها، ومن أسفل سافلين إلى أعلى عليين. وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم رد إلى أسفل سافلين، ثم أمر أن يترقى إلى أعلى عليين، ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعاً، وإنما الشك فيمن عرف ذلك فإنه لا يقدر عليه وأرباب الأحوال قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيداً لهم في درجاتهم ولكن بالإضافة إلى حالهم فإن مثل هذه الأعمال بالنيات، وذلك كما روي أن بعضهم رأى أبا إسحاق النوري رحمه الله يمد يده ويسأل الناس في بعض المواضع قال: فاستعظمت ذلك واستقبحته له فأتيت الجنيد رحمه الله فأخبرته بذلك فقال: لا يعظم هذا عليك فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم وإنما سألهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضرهم، وكأنه أشار به إلى قوله ﷺ: «يد المعطي هي العليا»

---

منعنا صبرنا، فقال جعفر: الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل، فقال شقيق: يا ابن رسول الله ما الفتوة عندكم؟ قال: إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا. وفي بعض النسخ فقال شقيق: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

(**فإذاً درجات أرباب الأحوال**) من السالكين (**في الرضا والصبر والشكر والسؤال**) والإيثار والفتوة (**كثيرة**) مختلفة، (**فلا بدّ لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها ودرجاتها فإنه إذا لم يعلم لم يقدر في الرقي من حضيضها إلى يفاعها**) أي ذروتها (**ومن أسفل السافلين إلى أعلى عليين، وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم**) بنص القرآن (**ثم رد إلى أسفل السافلين**) بنص القرآن أيضاً، (**ثم أمر أن يترقى إلى أعلى عليين، ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقي مطلقاً وإنما الشك فيمن عرف ذلك فإنه ربما يقدر عليه**) فالترقي تابع للمعرفة والتمييز، (**وأرباب الأحوال**) في أثناء سلوكهم (**قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيداً في درجاتهم**) في بعض الأحيان وبعض المواطن، (**فإن مثل هذه الأعمال**) لا يطلع عليها وهي مربوطة (**بالنيات**) ففي الخبر: «إنما الأعمال بالنيات». (**وذلك كما روي أن بعضهم رأى أبا الحسن**) أحمد بن محمد (**النوري**) رحمه الله تعالى بغدادي المولد والمنشأ بغوي الأصل، وكان من أقران الجنيد وكان كبير الشأن مات سنة خمس وتسعين ومائتين (**يمد يده ويسأل الناس في بعض المواطن قال**) الرائي: (**فاستعظمت ذلك واستقبحته له**) أي عددته قبيحاً من مثله، (**فأتيت الجنيد**) رحمه الله تعالى (**فأخبرته بذلك فقال: لا يعظم هذا عليك**) ولا تتعجب منه، (**فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم**) لا ليأخذ منهم فإنه في غنى عن ذلك (**إنما سألهم ليثيبهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا**

فقال بعضهم: يد المعطي هي يد الآخذ للمال لأنه يعطي الثواب والقدر له لا لما يأخذه، ثم قال الجنيد: هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال: احملها إليه، فقلت في نفسي: إنما يوزن الشيء ليعرف مقداره، فكيف خلط به مجهولاً وهو رجل حكيم؟ واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة إلى النوري فقال: هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردّها عليه وقل له: أنا لا أقبل منك شيئاً وأخذ ما زاد على المائة قال: فزاد تعجبي فسألته فقال: الجنيد حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلباً لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه. قال: فرددتها إلى الجنيد فبكى وقال: أخذ ماله

---

**يضره)** قال المصنف: **(وكأنه)** أي الجنيد **(أشار)** بذلك **(إلى قوله ﷺ: «يد المعطي هي العليا»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وروى الطيالسي والنسائي والبغوي وابن قانع والباوردي والطبراني والبيهقي والضياء من حديث ثعلبة بن زهدم الحنظلي: «يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول». ورواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث أبي رمثة، ورواه النسائي أيضاً وابن حبان والحاكم من حديث طارق المحاربي، ورواه أحمد أيضاً من حديث رجل من بني يربوع.

**(فقال بعضهم: يد المعطي هي يد الآخذ للمال لأنه يعطي الثواب والقدر له لا لما يأخذه)**، وظاهر هذا يخالفه ما رواه الطبراني من حديث رافع بن خديج: «يد المعطي العليا ويد الآخذ السفلى إلى يوم القيامة» وما رواه مالك والشيخان والنسائي من حديث ابن عمر: «واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة» إلا أن يقال أن المراد بالمعطي الآخذ إذا كان من غير سؤال، والآخذ بالسؤال هو الذي اقتضى كون يده سفلى وهو وجيه إلا أنه لا يطابق واقعة حال النوري فتأمل.

**(ثم قال الجنيد)** رحمه الله تعالى: **(هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة)** من الدراهم **(فألقاها على المائة)** جزافاً **(ثم قال: احملها إليه)** أي إلى النوري **(فقلت في نفسي: إنما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولاً** وهو رجل حكيم؟ **واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة إلى النوري)** فاستشرف **(على)** باطن **(الأمر فقال: هات الميزان فوزن مائة درهم وقال: ردها عليه وقل له أنا لا أقبل منك شيئاً وأخذ ما زاد على المائة. قال)** الرجل: **(فزاد تعجبي فسألته)** يعني النوري **(فقال)**: أبو القاسم **(الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلباً لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه قال: فرددتها)** أي الصرة المذكورة **(إلى الجنيد)** رحمه الله تعالى **(فبكى وقال: أخذ ماله وردّ ما لنا والله**

وردّ مالنا والله المستعان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الأسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل، كمن ينكر مثلاً كون الدواء مسهلاً قبل شربه ومن أنكره بعد أن طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فأخذ ينكر كون الدواء مسهلاً، وهذا وإن كان في الجهل دون الأوّل ولكنه ليس خالياً عن حظ وافر من الجهل، بل البصير أحد رجلين: أما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل إلى عين اليقين، وإما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين، وإن لم يكن واصلاً إلى عين اليقين. ولعلم اليقين أيضاً رتبة وإن كان دون عين اليقين، ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى القلوب الضعيفة واتباع الشياطين.

---

**المستعان)**. أي: فمن كان بهذه المثابة من المعرفة والإستشراف على الخواطر كيف لا يكون السؤال مزيداً في درجاته. **(فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الأسرار، وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والإقبال على الله بكنه الهمة)** أي خالصها، **(فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل)** وهو **(كمن ينكر مثلاً كون الدواء مسهلاً)** للبطن **(قبل شربه)** واستعماله، **(ومن أنكره بعد أن طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه)** كاليبس البالغ وتحجر المعدة، **(وأخذ ينكر كون الدواء مسهلاً وهذا وإن كان في الجهل دون الأوّل ولكنه ليس خالياً عن حظ وافر من الجهل)** بل ضرره أشد، **(بل البصير السالك أحد رجلين: إما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل إلى)** مرتبة **(عين اليقين)** وهو مقام المشاهدة والكشف، **(وإما رجل لم يسلك الطريق)** رأساً فهذا لا كلام فيه **(أو سلك ولم يصل)** لقصوره في جهده **(ولكن آمن بذلك وصدق به)** وسلم لأهله، **(فهذا صاحب علم اليقين)** تصديقه اعطاه الدليل بتصور الأمر على ما هو عليه، **(وإن لم يكن واصلاً، إلى عين اليقين ولعلم اليقين أيضاً رتبة)** بالإضافة إلى ما قبله **(وإن كان دون عين اليقين، ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة**

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين: ﴿آمنا به كل من عند ربنا وما يذكَّر إلا أولوا الالباب﴾ [ آل عمران: ٧ ].

---

**الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى العقول الضعيفة وأتباع الشياطين، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين: ﴿آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾** ) ولنذكر ما يتعلق بالفقر مما ذكره القشيري وصاحب القوت وصاحب البصائر وغيرهم تكميلاً للباب وتكثيراً للفوائد.

قال القشيري في الرسالة: الفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختبار الحق سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء والفقراء صفوة الله من عباده ومواضع أسراره بين خلقه بهم يصون الخلق وببركاتهم يبسط الرزق. قال معاذ النسفي: ما أهلك قوماً وإن عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم، وقيل: لو لم تكن للفقير فضيلة غير إرادته سعة المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لأنه لا يحتاج إلى شرائها والغني يحتاج إلى بيعها، وهذا لعوام الفقراء فكيف حال خواصهم. وسئل يحي بن معاذ عن الفقر فقال: حقيقته أن لا تستغني إلا بالله ورسمه عدم الأسباب كلها. وقال إبراهيم القصار: الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه، وقدم على الأستاذ أبي علي الدقاق فقير في سنة خمس أو أربع وتسعين وثلاثمائة من زوزن وعليه مسح وقلنسوة مسح، قال له بعض أصحابنا: بكم اشتريت هذا المسح على وجه المطايبة؟ فقال: اشتريته بالدنيا فطلب بالآخرة فلم أبعه. سمعت الأستاذ أبا علي يقول: قام فقير في مجلس يطلب شيئاً وقال: إني جائع منذ ثلاث وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه قال: كذبت إن الفقر سر وهو لا يضع سره عند من يحمله إلى من يذيعه. وقال حمدون القصار: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء: رجل مؤمن قتل مؤمناً، ورجل يموت على الكفر، ورجل قلبه فيه خوف الفقر. وقال الجنيد: يا معشر الفقراء إنكم تعرفون بالله وتكرمون بالله، فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به. وسئل محمل بن عبدالله الفرغاني عن الإفتقار إلى الله أتم أم الإستغناء بالله؟ فقال: إذا صح الإفتقار إلى الله فقد صح الإستغناء بالله وإذا صح الإستغناء بالله فقد كمل الغنى به، فلا يقال أيهما أتم الإفتقار أم الغنى لأنهما حالتان لا يتم إحداهما إلا بالأخرى. وسئل رويم عن نعت الفقير فقال: إرسال النفس في أحكام الله، وقيل: نعت الفقير ثلاثة أشياء: حفظ سره، وإداء فرضه، وصيانة فرجه. وقيل للخراز: لم تأخر عن الفقراء رفق الأغنياء؟ فقال: لثلاث خصال لأن ما في أيديهم غير طيب ولأنهم غير موفقين ولأن الفقراء مرادون للبلاء. وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام إذا رأيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء فإن لم تفعل فاجعل كل شيء علمتك تحت التراب. وروي عن أبي الدرداء قال: لأن أقع من فوق قصر فانحطم أحب إليَّ من مجالسة الغني لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إياكم ومجالسة الموتى » قيل: ومن الموتى؟ قال: « الأغنياء ». وقيل للربيع بن خيثم: قد غلا السعر. فقال: نحن أهون على الله من أن يجيعنا إنما يجيع أولياءه. وقال إبراهيم بن أدهم: طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم

.........

الفقر، وقيل ليحيى بن معاذ: ما الفقر؟ قال: خوف الفقر. قيل: فما الغنى؟ قال: الأمن بالله. وقال ابن الكرنبي: إن الفقير الصادق ليحترز من الغني حذراً أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما أن الغني ليحترز من الفقر حذراً أن يدخل عليه فيفسد غناه عليه. وسئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه؟ فقال: وماذا للفقير أن يقدم به على ربه سوى فقره. وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع؟ قال: نعم. قال: عد المريض وكن لثياب الفقراء فالياً، فجعل موسى عليه السلام على نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلي ثيابهم ويعود المرضى. وقال سهل: خمسة أشياء من جوهر النفس: فقير يظهر الغنى، وجائع يظهر الشبع، ومحزون يظهر الفرح، ورجل بينه وبين رجل عداوة فيظهر له المحبة، ورجل يصوم بالنهار و ويقوم بالليل ولا يظهر ضعفاً. وقال بشر: أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر. وقال ذو النون: علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر. وقال الشبلي: أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر بباله أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره. سمعت الأستاذ أبا علي يقول: تكلم الناس في الفقر والغنى أيهما أفضل. وعندي أن الأفضل أن يعطى الرجل كفايته ثم يصان فيه. وسئل ابن الجلاء: متى يستحق الفقير إسم الفقر؟ فقال: إذا لم يبق عليه بقية منه، فقيل: كيف ذاك؟ فقال: إذا كان له فليس له، وإذا لم يكن له فهو له.

قلت: وهو من أحسن العبارات من معنى الفقر الذي يشير إليه القوم وهو أن يصير كله لله لا تبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهواه، فلو بقي عليه شيء في أحكام نفسه ففقره مدخول فيه اهـ.

ثم قال القشيري: وقيل صحة الفقر أن لا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا لمن إليه فقره. وقال ابن المبارك: إظهار الغنى في الفقر أحسن من الفقر. وقال بنان المصري: كنت بمكة قاعداً وبين يدي شاب فجاءه إنسان وحمل إليه كيساً فيه دراهم ووضعه بين يديه فقال: لا حاجة الي فيه. فقال: فرقه على المساكين، فلما كان العشاء رأيته في الوادي يطلب شيئاً فقلت: لو تركت لنفسك شيئاً مما كان معك؟ فقال: لم أعلم أني أعيش إلى هذا الوقت وقال أبو حفص: أحسن ما يتواصل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال وملازمة السنة في جميع الأفعال وطلب القوت من وجه حلال. وقال المرتعش: ينبغي للفقير أن لا تسبق همته خطوته. وقال أبو علي الروذباري: كان أربعة في زمانهم واحد كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان يوسف بن أسباط ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها شيئاً، وكان يعمل الخوص بيده وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً وهو أبو إسحاق الفزاري، فكان ما يأخذ من الإخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون والذي يأخذه من السلطان كان يخرجه في أهل طرسوس، والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو ابن المبارك يأخذ من الإخوان ويكافىء عليه، والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو مخلد بن الحسين كان يقول: السلطان لا يمن والإخوان يمنون. سمعت أبا علي الدقاق يقول في الخبر: من تواضع لغني لأجل غناه ذهب

ثلثا دينه إنما ذلك لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه، فإذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه، فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله. وقيل: أول ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء: علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنسه. وقيل: من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيراً ومن أراد الفقر لئلا يشتغل عن الله تعالى مات غنياً. وقال النوري: نعت الفقير السكون عند العدم والإيثار عند الوجود وسئل الشبلي عن حقيقة الفقير فقال: أن لا يستغني بشيء دون الله. وقال الجنيد: إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه، فقيل: وهل يكون فقير يوحشه العلم؟ فقال: نعم إذا كان الفقير صادقاً في فقره فطرحت عليه علمك ذاب كما يذوب الرصاص في النار وقال مظفر القرميسيني: الفقير هو الذي لا تكون له إلى الله حاجة وكأنه يشير إلى سقوط المطالبات وانتفاء الإختيار والرضا بما يجري الحق. وقال ابن خفيف: الفقر عدم الأملاك والخروج عن أحكام الصفات. وقال أبو حفص: لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحب إليه من الأخذ وليس السخاء أن يعطي الواجد المعدم، وإنما السخاء أن يعطي المعدم الواجد. وقال ابن الجلاء: لولا شرف التواضع لكان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر. وقال يوسف بن أسباط: منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين، وقال بعضهم: رأيت كأن القيامة قامت فيقال: ادخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة، فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لي: إنه كان له قميص واحد ولمالك بن دينار قميصان. وقال محمد المسوحي: الفقير الذي لا يرى لنفسه حاجة إلى الشيء من الأسباب. وسئل متى يستريح الفقير؟ فقال: إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه، وتذاكروا عند يحيى بن معاذ الفقر والغنى فقال: لا يوزن غداً الفقر ولا الغنى وإنما يوزن الصبر والشكر. وقيل: أوحى الله إلى بعض الأنبياء إذا أردت أن تعرف رضاي عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك. وقال الزقاق: من لم يصحبه التقي في فقره أكل الحرام النص. وقال أبو بكر بن طاهر: من حكم الفقير أن لا تكون له رغبة فإن كان ولا بد تجاوز رغبته كفايته، وسئل أبو بكر المصري عن الفقير الصابر فقال: الذي لا يملك ولا يملك وقال ذو النون: دوام الفقر إلى الله مع التخليط أحب إليّ من دوام الصفاء مع العجب، ومكث أبو جعفر الحذاء عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشاءين فيتصدق من الأبواب، وقال محمد بن علي الكتاني: كان عندنا بمكة فتى عليه أطمار رثة وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا فوقع محبته في قلبي ففتح لي بمائة درهم من وجه حلال فحملتها إليه ووضعتها على طرف سجادته وقلت: إنه فتح لي ذلك من وجه حلال تصرفه في بعض أمورك فنظر إليّ شزراً ثم قال: اشتريت هذه الجلسة مع الله على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات تريد أن تخدعني عنها بهذه وقام وبددها وقعدت التقطها فلا رأيت كعزه حين مر ولا كذلي حين كنت ألتقطها. وقال ابن خفيف: ما وجبت عليّ زكاة الفطر أربعين سنة ولي قبول عظيم بين الخاص والعام. وسئل عن الفقير يجوع ثلاثة أيام ثم يخرج ويسأل مقدار كفايته إيش يقال فيه؟ فقال مكدي كلوا واسكتوا فلو دخل فقير من هذا الباب لفضحكم كلكم. وسئل الدقي

عن سوء أدب الفقراء مع الله في أحوالهم فقال: انحطاطهم من الحقيقة إلى العلم، وقال: خير النساج دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير فلما رآني تعلق بي وقال: أيها الشيخ تعطف عليّ فإن محنتي عظيمة، فقلت، وما هي؟ فقال: فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فإذا هو قد فتح عليه بشيء من الدنيا. وقال أبو بكر الوراق: طوبى للفقير في الدنيا والآخرة لا يطلب السلطان منه في الدنيا الخراج ولا الجبار في الآخرة الحساب: إلى هنا كلام القشيري.

وقال السهروردي في العوارف، قال ابن الجلاء: الفقر أن لا يكون لك وإذا كان لك لا يكون لك حتى تؤثر، وقال بعضهم: نعت الفقير السكون عند العدم والإضطراب عند الوجود، وتقدم مثله في قول النوري إلا أنه قال: والبذل بذل الإضطراب وقال الدراج: فتشت كفن أستاذي أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة فتحيرت، فلما جاء قلت إني وجدت في كفنك قطعة. قال: قد رأيتها ردّها، ثم قال: خذها فاشترِ بها شيئاً، فقلت: ما كان من أمر هذه القطعة بحق معبودك؟ فقال: ما رزقني الله تعالى من الدنيا لا صفراء ولا بيضاء غيرها فأردت أن أوصي أن تشد في كفني فأردها إلى الله تعالى. وقال إبراهيم الخوّاص: الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين. وسئل سهل عن الفقير الصادق فقال: لا يسأل ولا يرد ولا يحبس. وقال أبو علي الروذباري: سألني الزقاق، فقال: يا أبا علي لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة؟ قال: قلت لأنهم مستغنون بالمعطي عن العطايا. قال: نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت: هات فافدني قال: لأنهم قوم لا ينفعهم الوجود إذا له فاقتهم ولا تضرهم الفاقة إذا له وجودهم. وقال بعضهم: الفقر وقوف الحاجة على القلب ومحوها عما سوى الرب. وقال المسوحي: الفقير الذي لا تغنيه النعم ولا تغيره المحن. وقال أبو بكر الطوسي: بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجبني أحد بجواب يقنعني حتى سألت نصر بن الحمامي فقال لي: لأنه أول منازل التوحيد فقنعت بذلك. وقال: فارس. قلت لبعض الفقراء مرة ورأيت عليه أثر الجوع والضر: لم لا تسأل فيطعموك؟ فقال: أخاف أن أسألهم فيمنعوني فلا يفلحون اهـ.

وقال صاحب البصائر: الفقر له بداية ونهاية وظاهر وباطن، فبدايته الذل ونهايته العز وظاهره العدم وباطنه الغنى، كما قال رجل لآخر: فقر وذل فقال: لا بل فقر وعز. فقال: فقر وثرى. فقال: لا بل فقر وعرش وكلاهما مصيب. وأما مسألة الفقير الصابر الغني الشاكر وترجيح أحدهما على الآخر فعند المحققين أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق، فالمسألة فاسدة من أصلها. وأن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان لا بفقر وغنى. قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] ولم يقل أفقركم أو أغناكم، ثم اعلم أن الفقر والغنى ابتلاء من الله للعباد فليس كل من أعطاه ووسع عليه قد أكرمه، ولا كل من ضيق عليه قد أهانه والألزم أن يكرم العبد بطاعته ومحبته ومعرفته وأن يهان إذا سلب ذلك ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى. وقال بعضهم: هذه المسألة محال أيضاً من وجه آخر وهو

أن كلاً من الغنى والفقر لا بدّ له من صبر وشكر، فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر، بل قد يكون قسط الغنى من الصبر أوفى لأنه يصبر عن قدرة فصبره أتم من صبر من يصبر عن عجز ويكون شكر الفقير أتم لأن الشكر هو استفراغ الوسع في طاعته، والفقير أعظم فراغاً بالشكر من الغني وكلاهما لا تقوم قائمة إيمانه إلا على ساق الصبر والشكر. نعم الذي رجع الناس إليه في المسألة أنهم ذكروا نوعاً من الشكر ونوعاً من الصبر وأخذوا في الترجيح فجردوا غنياً منفقاً متصدقاً باذلاً ماله في وجوه القرب شاكراً الله عليه وفقيراً متفرغاً لطاعة الله تعالى ولأوراد العبادات صابراً على فقره هل هو أكمل من ذلك الغنى أم بالعكس؟ فالصواب في مثل هذا أن أكملهما أطوعهما فإن تساوت طاعتهما تساوت درجتهما والله أعلم. اهـ.

وقال صاحب القوت، قال الله تعالى: ﴿سلامٌ عليكم بما صبرتم﴾ [الرعد: ٢٤] قيل: على الفقر وقد سمى الله الفقراء الصابرين محسنين ووضع عنهم السبيل يوم الدين فقال تعالى: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ [التوبة: ٩١] ثم أوقع الحجة والمطالبة على الأغنياء وسماهم ظالمين ووصفهم بأوصاف النساء وجعلهم من المخلفين فقال: من المعنيين في الآيتين ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ [التوبة: ٩٣] يعني بطلب العلوّ فيها ضد الفقراء الصادقين الذين قال في ذكرهم: ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ [القصص: ٨٣] وقد يحتج متوهم لفضل الأغنياء الممسكين لفضول الغنى عل الفقراء عنده بقوله تعالى مخبراً عن الفقراء ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألاَّ يجدوا ما ينفقون﴾ [التوبة: ٩٢] ولا يعلم أن هذا عند أهل التدبر للقرآن مزيد للفقراء لتمام حالهم لما كانوا محسنين كما قال: ﴿تماماً على الذي أحسن﴾ [الأنعام: ١٥٤] وقال ﴿سنزيد المحسنين﴾ [البقرة: ٥٨] فكان مزيدهم الحزن والإشفاق وخوف التقصير لمشاهدة عظيم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسيئون، حتى بشرهم الله بأنهم محسنون لما قال ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ [التوبة: ٩١] لأنه أضافهم إليه في الوصف وعطف بهم عليه في المعنى، وأيضاً فلم يكن بكاؤهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى، والله تعالى يمدحهم بصبرهم عن الدنيا ويذم الدنيا إليهم، لكن لما كان حزنهم على طلب المزيد من الفقر ليجدوا الإنفاق فيخرجوه فيفتقروا منه فيزدادوا فقراً من الدنيا ببذل المال على فقرهم فعلى كثرة الإنفاق وخيفة الفقر من الدنيا كان حزنهم، فهذا فضل ثان للفقر لا على الجمع والإدخار والموضع إلا على الذي فضل به الفقراء من هذه الآية عند أهل الإستنباط والدراية هو مشاركتهم الرسول في حاله، ووصف الله ورسوله ﷺ بمثل حالهم من قوله تعالى: ﴿قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ [التوبة: ٩٢] ثم نعتهم بمثله لأنهم هم الأمثل فالأمثل به فقال تعالى: ﴿أن لا يجدوا ما ينفقون﴾ [التوبة: ٩٢] فمن كان برسول الله ﷺ أمثل فهو الأفضل، وجعل ابن مسعود الفقر حقيقة الإيمان أو عبر عن ذروة الإيمان فقال: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، والذل أحب إليه من العز. وأما وهب بن منبه فإنه جعل هذه الخصال الثلاث من استكمال العقل

# الشطر الثاني من الكتاب
# في الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد، وبيان فضيلة الزهد، وبيان درجات الزهد وأقسامه، وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والأثاث وضروب المعيشة، وبيان علامة الزهد.

**بيان حقيقة الزهد:**

اعلم أن الزهد مقام شريف من مقامات السالكين، وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات، لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل، وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلاَّ فليس القول مراداً لعينه، وإن لم يكن صادراً عن حال سمي إسلاماً ولم يسم إيماناً والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر، والعمل يجري من

---

فقال: لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال فذكرها وكان أبو سليمان يقول: ما من شيء إلا وهو مطروح في الخزائن إلا الفقر مع المعرفة فإنه مخزون مختوم عليه لا يعطاه إلا من طبع بطابع الشهداء، وبه تم الكلام على الفقر بعون الله تعالى.

## الشطر الثاني من الكتاب: في الزهد

**( وفيه بيان حقيقة الزهد، وبيان فضيلة الزهد، وبيان درجات الزهد وأقسامه، وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والأثاث وضرورات المعيشة، وبيان علامة الزهد )** وذلك في فصول خمسة مرتبة.

**بيان حقيقة الزهد:**

**( اعلم )** هداك الله تعالى **( أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين )** وهو السادس من مقامات اليقين على ما رتبه صاحب القوت ولم يعد الفقر منها، وإنما ذكره في ضمن مقام الزهد، ونحن قلدناه في سياقه، وأما السهروردي وشيخ الإسلام الهروي وغيرهما من مشايخ القوم عدوا الفقر من جملة مقامات الدين وهي مائة مقام في سياق منازل السائرين. **( وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات )** المذكورة والآتية، **( لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل )**، فالعقد يرجع إلى القلب، والقول يرجع إلى اللسان، والعمل يرجع إلى الجوارح. **( وكان القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلاَّ فليس القول مراداً لعينه وان لم يكن صادراً عن حال سمي إسلاماً ولم يسم إيماناً )** فالعلم هو الأصل الذي هو عقد من عقود الإيمان بالله أو لله، والحال ما ينشأ عنه من المواجيد والعمل هو ما تنشئه المواجيد على القلوب والجوارح من الأعمال، **( والعلم هو السبب في**

الحال مجرى الثمرة، فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل.

أما الحال فنعني بها ما يسمى زهداً وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره، فإنما عدل عنه لرغبته عنه، وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره، فحاله بالإضافة إلى المعدول عنه يسمى زهداً، وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبة وحباً، فإذاً يستدعي حال الزهد مرغوباً

---

**الحال يجري مجرى المثمر، والعمل من الحال)** يجري **(مجرى الثمرة. فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل)**.

**(أما الحال؛ فنعني به)** هنا **(ما يسمى زهداً وهو)** الآلة التي لا يستغني عنها عابد ولا عارف لأن الدنيا عدوّة محبوبة. أما كونها عدوّة فلأنها قاطعة شاغلة، وأما كونها محبوبة فلأن أصل الحياة وكمالها لا يتأتى إلا بها، وأصل الحياة هو المقصود للعبادة والمعرفة، وكمال الحياة بالتنعيم هو القاطع إن كان محظوراً والشاغل ان كان مباحاً. وأما الزهد فلا يتعلق إلا بترك المباح وترك المباح منوط بثلاث آفات.

**الآفة الأولى:** أن الانهماك فيه يحمل على ترك الواجبات وفعل المحظوارت، ولا يقدر على فعل الواجبات وترك المحظورات إلا بترك فضول الشهوات المباحات.

**الآفة الثانية:** اعتياد النفس وإلفها به فيشق عليها مفارقته والمفارقة للدنيا ضرورة.

**الآفة الثالثة:** الاشتغال به عن معرفة الله التي ما خلقت إلا لأجلها، والقلب لا يتسع لحالين إما اقبال على الدنيا أو على الآخرة أو على الله تعالى، فإذا عرفت هذا عرفت أن الزهد في الدنيا ضرورة السالك، فأما السبب الموجب للزهد فقد قال الله تعالى: ﴿لعلكم تتفكرون* في الدنيا والآخرة﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٢٠] وقال ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فقد عرفك طريق الفكر في الآية الأولى، وهو أن تنظر إلى فناء الدنيا وسرعة ذهابها حتى كأنها لم تكن، وفي بقاء الآخرة وثباتها حتى كأنها لم تزل مع ما اشتملت عليه الدنيا من الخساسة والقذارة والمكابدة ومحاضرة الشركاء، وكذلك ما اشتملت عليه الآخرة من النفاسة والبهاء وعدم الآفات، والإيمان بهاتين المعرفتين واجب لأنهما من عقود الإيمان بالله، فإذا أضفت المعرفة بالآخرة إلى المعرفة بالدنيا وكانت إرادتك مائلة إلى الدنيا انصرفت إرادتك من الدنيا إلى الآخرة، فحينئذ تعرف حقيقة الزهد بالذوق إن كنت مصدقاً بها برهاناً أو تقليداً، فحقيقة الزهد انصراف الإرادة عن الدنيا حقارة لاستعظام ما عاين من نفاسة الآخرة وإليه أشار المصنف بقوله وهو:
**(عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فإنما عدل عنه لرغبته عنه، وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره، فحاله بالاضافة إلى المعدول عنه يسمى زهداً وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبة وحباً، فإذاً يستدعي حال الزهد مرغوباً عنه ومرغوباً فيه هو خير من المرغوب**

عنه ومرغوباً فيه هو خير من المرغوب عنه، وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضاً مرغوباً فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زاهداً إذ تارك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمى زاهداً وإنما يسمى زاهداً من ترك الدراهم والدنانير لأن التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة، وشر المرغوب فيه أن يكون عنده خيراً من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة، فالبائع لا يقدم على البيع إلا والمشترى عنده خير من المبيع، فيكون حاله بالإضافة إلى البيع زهداً فيه، وبالإضافة إلى العوض عنه رغبة فيه وحباً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وشَرَوْهُ بثمنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ معدودةٍ وكانوا فيه من الزَّاهدين﴾ [يوسف: ٢٠] معناه باعوه، فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه، إذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعاً في العوض، فإذاً كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضاً زاهد ولكن في الآخرة، ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا، كما خصص اسم الإلحاد بمن يميل

---

**عنه)** فهذا شرط المرغوب فيه، **(وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضاً مرغوباً فيه)** ولو **(بوجه من الوجوه، فمن رغب عما ليس مطلوباً)** هو **(في نفسه لا يسمى زهداً)** في الحقيقة **(إذ تارك الحجر والتراب والحشرات)** وما أشبه ذلك من المحقرات **(لا يسمى زاهداً وإنما يسمى زاهداً من ترك الدراهم والدنانير لأن)** الدراهم والدنانير مطلوبة في نفسها و**(الحجر والتراب ليسا في مظنة الرغبة)** إليهما، **(وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيراً من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة)** وإنما قال عنده لأنه إذا كان في نفس الأمر خيراً منه إلا أنه ليس عنده ذلك فلا تغلب رغبته، فلذلك اشترط أن يكون ذلك عنده لأجل غلبة رغبته، **(فالبائع لا يقدم على البيع إلا والمشترى عنده خير من المبيع فيكون حاله بالإضافة إلى المبيع زاهداً فيه وبالإضافة إلى العوض عنه رغبة وحباً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وشروه)** أي يوسف **(بثمن بخس)** ناقص **(دراهم معدودةٍ)** قليلة **(وكانوا فيه)** أي يوسف **(من الزاهدين﴾)** أي ممن يرغب عما في يده فيبيعه بثمن طفيف **(أي باعوه)** هو تفسير لشروه، **(فقد يطلق الشراء بمعنى البيع)** فيقولون: شريت بمعنى بعت، كما يقولون: ابتعت بمعنى اشتريت، وهما من الأضداد. **(ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه إذ طمعوا أن يخلو له وجه أبيهم)** منه، **(وكان ذلك عندهم أحب من يوسف فباعوه طمعاً في العوض)**، فلما باعوه وخرج من أيديهم كانوا من الزاهدين، **(فإذاً كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضاً زاهد ولكن في الآخرة)** هذا ما تقتضيه اللغة، **(ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن يزهد في الدنيا كما خصص**

إلى الباطل خاصة وإن كان هو للميل في وضع اللسان، ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالعدول إلى شيء هو أحب منه، وإلاَّ فترك المحبوب بغير الاحب محال، والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق، والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضاً زاهد ولكنه دون الأوّل، والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقاً، ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين، وهو زهد صحيح، كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة، فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات، والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس، ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات، والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهداً وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه، ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات، فإذاً الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولاً

---

اسم الالحاد بمن يميل إلى الباطل خاصة وان كان هو للميل في وضع اللسان) العربي، وكذا تخصيص اسم الحنيف بمن يميل إلى الحق وإن كان في أصل اللسان بمعنى الميل أيضاً، (ولما كان الزهد) عبارة عن (رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصوّر إلا بالعدول إلى شيء هو أحب منه، وإلاَّ فترك المحبوب بغير الأحب محال) وبهذا يفارق الفقر فإن حقيقة الفقر الفقد والاحتياج، (والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس) وحتى نسيم الأسحار (ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق) وهذا أعلى المراتب، (والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضاً زاهد ولكنه دون الأوّل، والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق إسم الزاهد مطلقاً، ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي دون البعض في التائبين وهو زهد صحيح، كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة) وقد ذكر وجه ذلك في كتاب التوبة، (فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات، والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس، ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات) أي يترك بعضاً منها دون بعض، (والمقتصر على ترك المحظورات دون المباحات لا يسمى زاهداً) وإنما يسمى تائباً (وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه، ولكن العادة تخصص هذا الاسم) أي الزهد (بترك المباحات، فإذاً الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا) وإعراضه عنها (عدولاً إلى

إلى الآخرة، أو عن غير الله تعالى عدولاً إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا، وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيراً عنده فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدوراً عليه، فإن ترك ما لا يقدر عليه محال، وبالترك يتبين زوال الرغبة، ولذلك قيل لابن المبارك: يا زاهد، فقال: الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها، وأما أنا فماذا زهدت؟

وأما العلم الذي هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيراً بالإضافة إلى

---

**الآخرة أو )** عن رغبته **( عن غير الله تعالى عدولاً إلى الله وهي الدرجة العليا )** في مراتب الزهد، **( وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيراً عنده )** لتغلب رغبته **( فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدوراً عليه )** وبهذا يفارق الفقر، **( فإن ترك ما لا يقدر عليه محال )**.

فإن قلت: هذا يرد عليكم في الزهد في نعيم الجنة بالنسبة إلى التنعم بمشاهدة الله تعالى فإن نعيم الجنة غير مقدور عليه؟

فأقول: نعيم الجنة ضربان: حسّي وعقلي، فالحسي ما يتلذذ به سائر البدن من مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومسموع ومنكوح، فلا تختلف اللذات الحسية في أصل ذلك إنما الاختلاف في كمال اللذة لأن قوّة اللذة على قدر الشوق وعلى كمال الملتذ به، فقد عرفت لذات الآخرة بالمقايسة على لذات الدنيا. وأما العقلي: فهو كسلام الملائكة وتبشيرها وتعظيمها وهذا أيضاً موجود في الدنيا بتعظيم العباد بعضهم بعضاً، فلا يختلف أيضاً في أصل اللذة إنما يختلف في كمالها لأن اللذة بتعظيم العظيم عظيمة، فلما ذاق العارفون في الدنيا اللذات المحسوسة والمعقولة كما وصفنا وذاقوا لذة معرفة الله تعالى بمطالعة جماله وكماله واستغرقهم ذلك في وقت الانس بمجالسته وموادته ومصافاته استحقروا عند اللذة بهذه المعرفة جميع اللذات العقلية والحسية، وصارت لذة المعرفة عندهم بالنسبة إلى اللذة العقلية كنسبة الحسية، ولا تؤثر لذة الحس على لذة العقل إلا بهيمة لم يخلق لها الإدراك الانساني.

**( وبالترك يتبين زوال الرغبة، ولذلك قيل لابن المبارك )** عبد الله رحمه الله تعالى: **( يا زاهد )** فأنكر على القائل **( فقال: إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز )** أي هو حقيق أن يسمى زاهداً **( إذ جاءته الدنيا راغمة )** أي صاغرة ذليلة **( فتركها )** وزهد عنها، **(وأما أنا ففيماذا زهدت )**؟ ولفظ القوت: وقد كان مالك بن دينار يقول: إذا قيل له إنك زاهد. قال: إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فتزهد فيها فأما أنا في أي شيء زهدت؟ اهـ. فهذا ما يتعلق بالحال بقي الكلام على طرفيه العلم والعمل فقال:

**( وأما العلم الذي هو مثمر هذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيراً بالاضافة إلى**

المأخوذ كعلم التاجر بأن العوض خير من المبيع فيرغب فيه، وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن تزول الرغبة عن المبيع، فكذلك من عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى، أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى، كما تكون الجواهر خيراً وأبقى من الثلج مثلاً، ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلىء، فهكذا مثال الدنيا والآخرة، فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض، والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له، فبقدر قوّة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة، حتى أن من قوي يقينه ببيع نفسه وماله، كما قال الله تعالى: ﴿إنَّ الله اشترى من الْمُؤمنينِ أنفُسَهُم وأمْوَالَهُم بأنَّ لَهُمُ الجنَّة﴾ [التوبة: ١١١] ثم بيّن

---

**المأخوذ)**، وهذا (**كعلم التاجر بأن العوض خير من البيع فيرغب فيه، وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصوّر أن تزول الرغبة عن المبيع، فكذلك من عرف أن)** ما عندكم ينفد و (**ما عند الله باق وان الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى)** بالإضافة إلى لذات الدنيا. وفي قوله تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ [النحل: ٩٦] إشارة حسنة حيث أضاف الدنيا إلينا ليذلنا بها لأنا أهل الغنى وليزهدنا فيها زهدنا في أنفسنا الأمارة بالسوء، وأضاف الآخرة إلى الآخر الأعلى ليعزنا بها ويشرفنا إليها لأنه أهل البقاء، فخص بها أهله إذ منحها البقاء والايمان بهذه المعرفة واجب لأنه من عقود الإيمان بالله، ثم مثل للذات الآخرة، مثالاً في عالم الملك فقال: (**كما تكون الجواهر)** واللآلى (**خيراً من الثلج مثلاً وهي أبقى كما يكون الجوهر أبقى من الثلج ولا يعسر عل مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلى، فهكذا مثال الدنيا والآخرة. فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض، والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له، فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة)** بخساسة الدنيا وقذارتها وفنائها ونفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (**تقوى الرغبة في البيع والمعاملة، حتى أن من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾)** فلما اشتراها باعوها، فالعبد إذا باع نفسه وماله من الله تعالى وخرج من هواه إلى سبيل مولاه فهو من الزاهدين، وهذا كما قال تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى★ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فإذا كان العوض واحداً هو الجنة ذكر في المعنيين كان بيع النفس والمال وإخراجها لله عز وجل بمعنى النهي عن الهوى فيهما الذي هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه للنفس وحبس النفس عليه. أعني المال. فاستبدال ذلك بضده من إخراج الهوى من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد في الدنيا إذ ليس ذلك من أمر النفس الأمارة بالسوء لأنه نهاية الخير، فصار نهياً لها عن الهوى الذي هو اقتناء المال للجمع والمنع لمتعة النفس به، وهذا هو الدنيا بوصف النفس الأمارة بالسوء لأن هذا سوء كله، فمن كان بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لأمرها بالسوء، وإذا لم تكن مرحومة لم يكن صاحبها بائعاً،

أن صفقتهم رابحة فقال تعالى: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ [التوبة: ١١١] فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر، وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا، إما لضعف علمه ويقينه، وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهوراً في يد الشيطان، وإما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوماً بعد يوم إلى أن يختطفه الموت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد الفوت، وإلى تعريف خساسة الدنيا الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدّنيا قليلٌ﴾ [النساء: ٧٧] وإلى تعريف

---

وإذا لم يبعها لم تكن مشتراة. (**ثم بيَّن ان صفقتهم رابحة فقال تعالى: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾**) فمن باع حياة نفسه وفرق مجموع ماله فاشتراه المولى الكريم منه فعوّضه داره وأسكنه عنده في جواره فقد ربحت صفقته واهتدى سبيله، فإيمان الزاهدين قد أمرهم باخراج المال والنفس التي هي الهوى ولدخول اليقين على إيمان التصديق، (**فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى**) وصفها بالخيرية لبقائها في المآل ومنحها وصفين من صفاته ليرغب فيها كما قال ﴿والله خير وأبقى﴾ فإذا شهد العبد بعين قلبه ويقين إيمانه ما صدق به مما علمه بفهم سمعه وإدراك خبره أن ما يفنى آخره كأنه لم يكن وما يبقى آخره كأنه لم يزل كان من المتفكرين في مثل هذه الآي المشاهدين لها كما قال تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون* في الدنيا والآخرة﴾ [البقرة: ٢١٩ - ٢٢٠] (**وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا إما لضعف علمه ويقينه، وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهوراً في يد الشيطان، وإما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوماً بعد يوم**) وحيناً بعد حين (**إلى أن يختطفه الموت ولا يبقى إلا الحسرة بعد الفوت**) ومن دامت غفلته عظمت في الآخرة حسرته وخسارته. ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون﴾ [هود: ٢٢] مع قوله ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الامر وهم في غفلة﴾ [مريم: ٣٩] فهذه صفات الجاهلين وأخلاق نفوس المشركين لفقد حقيقة العلم ووجد عدم اليقين وبمعنى ما ذكرناه ذكرهم خالقهم، فمن دخل في بعض مداخلهم ووقع به التهديد والوعيد والتخويف الشديد لهم في قوله مخبراً عنهم: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ [هود: ١٥] الآية وقوله تعالى: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ [يونس: ٧] فما أعظم حسرة الفوت على من خسر ما ربحه الزاهدون بعد الموت. (**وإلى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل**) والآخرة خير لمن اتقى﴾ والمراد بالدنيا هنا هو حب البقاء لمتعة النفس كما يدل عليه قوله تعالى مخبراً عنهم ﴿وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا إلى أجل قريب﴾ [النساء: ٧٧] فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لأنه المشي بالسيف إلى السيف والفناء بين السيفين، فقالوا: هلا أبقيتنا إلى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل، وهذا هو حب البقاء. ففسر حب البقاء بأنه الدنيا فقال تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾ فانكشف الناس وافتضح

نفاسة الآخرة الإشارة بقوله عز وجل: ﴿وقالَ الَّذِين أُوتوا العِلْمَ ويْلَكُم ثوابُ الله خيرٌ﴾ [ القصص: ٨٠ ] فنبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه، ولما لم يتصور الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن المحبوب في أحب منه قال رجل في دعائه: اللهم أرني الدنيا كما تراها، فقال له النبي ﷺ: « لا تقل هكذا ،ولكن قل أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك » ،وهذا لأن الله تعالى يراها حقيرة كما هي، وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلاله حقير. والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالإضافة إلى ما هو خير له، ولا يتصور أن يرى بائع الفرس وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلاً، لأنه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن الفرس، والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه، فيرى الكل في درجة واحدة بالإضافة إلى جلاله، ويراه متفاوتاً بالإضافة إلى غيره، والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالإضافة إلى نفسه لا إلى غيره.

---

المنافقون وابتلي هنالك المؤمنون عند فرض القتال، وظهر المحبون الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ،فعندها ربح الذين هم لأنفسهم وأموالهم بائعون وخسر الذين هم لحياة الآخرة مشترون. ( **وإلى تعريف نفاسة الآخرة الإشارة بقوله عز وجل** ) إذ وصف قارون ﴿فخرج على قومه﴾ إلى قوله: ( ﴿**وقال الذين أوتوا العلم** ) فجعل أهل الزهد علماء ( **ويلكم ثواب الله خير** ) لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ ( **فنبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه، ولما لم يتصوّر الزهد إلا بمعاوضة ورغبة في محبوب عمن أحب منه قال رجل في دعائه: اللهم أرني الدنيا كما تراها، فقال له النبي ﷺ « لا تقل هكذا** ) فإن الله لا يراها كما تراها ( **ولكن قل** ) اللهم ( **أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك »** ) ولفظ القوت كما يراها الصالح من عبادك. وقال العراقي: ذكره صاحب الفردوس مختصراً « اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك » ولم يخرجه ولده.

( **وهذا لأن الله تعالى يراها حقيرة كما هي** ) ولذلك لم ينظر إليها منذ خلقها لحقارتها كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في ذم الدنيا، ( **وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلاله** ) وكبريائه وعظمته ( **حقير، والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالإضافة إلى ما هو خير له، ولا يتصوّر أن يرى بائع الفرس وإن رغب عن فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلاً لأنه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن الفرس، والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه، فيرى الكل في درجة واحدة بالإضافة إلى جلاله، ويراه متفاوتاً بالإضافة إلى غيره** ) وفي نسخة ويراها متفاوتة بالإضافة إلى غيره. ( **والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالإضافة الى نفسه لا إلى غيره** ). وساق صاحب القوت هذا الحديث واستنبط منه معنى آخر فقال: وإظهار سر الملكوت معصية إذ الله تعالى لم يأمر به ولم يأذن فيه، فسبحان من خصّ الشاهدين الذين عنده في ظله بمعنى من شهادته كما أعطاهم حيطة بشيء من علمه فأحاط علمهم بما شاء لما أحاط لهم ما شاء ولذلك قال

وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنى، فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع وإخراجه من اليد وأخذ العوض، فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها، فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات، ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات، وإلاَّ كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن، فإذا وفى بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به، فإن الذي بايعه بهذا البيع وفى بالعهد، فمن سلم حاضراً في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد، وما دام ممسكاً للدنيا لا يصح زهده أصلاً، ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا: ﴿ليوسفُ وأخوه أحبّ إلى أبينا منّا﴾ [يوسف: ٨] وعزموا على

صاحب السر الذي عنده حقيقة الخبر للرجل الذي قال: اللهم أرني الدنيا كما تراها. فقال: «لا تقل» ثم ساق الحديث. ثم قال «فهذا على نحو ما أمر الآخر به إذ قال له: أوصني. قال: استحي من الله كما تستحيي من رجل صالح، فهذا الذي يمكنه معرفته إذ كان حقيقة الحق ممتنعة وكنه صفاته الموجبة للحياءوغيره محتجبة فردّه إلى ما يعلم وخاطبه بما يعقل اهـ. هذا ما يتعلق بأحد طرفي الحال وهو العلم، ثم شرع في بيان الطرف الثاني الذي هو العمل فقال:

(**وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك وأخذ لأنه بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى**) هو تذكير الدنيا من الدناءة وهي الخساسة، (**فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد وأخذ العوض، فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها**) أي بتمامها (**مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها، فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات، ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات وإلاَّ كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فإذا وفى بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فإن الذي بايعه بهذا البيع وفى بالعهد**) وهو الله سبحانه وتعالى، (**فمن سلم حاضراً في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد**) وكان معروفاً بذلك، (**وما دام ممسكاً للدنيا لا يصح زهده أصلاً، ولذلك لم يصف الله إخوة يوسف**) عليه السلام (**بالزهد في بنيامين**) وهو أخو يوسف لأمه راحيل، وقد كان زهدهم فيه يقارب زهدهم في يوسف لأنه كان نظيره عند أبيه، (**وإن كانواقد**) همّوا بالزهد فيه أيضاً ليخل لهم وجه أبيهم منهما الم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿إذ (**قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا**﴾ **وعزموا على**

إبعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك، ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه، بل عند التسليم والبيع، فعلامة الرغبة الإمساك، وعلامة الزهد الإخراج. فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهداً مطلقاً، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد، لأن ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه، وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها، فلا ينبغي أن تتدلى بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله، فإنك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها، فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها، فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها، وإذا كان هذا غرور

---

**إبعاده كما عزموا على يوسف )**، فقد جاء في الخبر: انهم أرادوا أن يلقوا أخاهم معه في الجب حين ألقى نفسه عليه، **( حتى تشفع فيه أحدهم )** وهو يهوذا فشفع فيه ورحمه ومنعه وكان شديداً بينهم منيعاً مهيباً فيهم، وقد قيل في السير: إن أخاهم الأكبر روبيل هو استوهبه منهم وقال: دعوه يكون فيه سلوة وعزاء للشيخ الكبير من يوسف لا تفجعوه ولا تفقدوه إياهما معاً فوهبوه له، ثم ان الله عز وجل لم يقل مع ارادتهم لذلك وهمهم به وعزمهم عليه، وكانوا فيهما من الزاهدين من قبل ان يتحققوا بالزهد فيه كالزهد في يوسف إذ لم يخرجوه من أيديهم، **( ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه )** من الجب، **( بل عند التسليم والبيع، فعلامة الرغبة الإمساك، وعلامة الزهد الإخراج )** فإذا كان الشيء موجوداً عندك وأنت ممسكه لنفسك، ثم توهمت أنك زاهد فيه لخواطر الإرادة أو لإرادة الزهادة فقد كذبت على نفسك بتسميتك إيانا زاهداً، **( فإن أخرجت عن يدك بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهداً مطلقاً، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصوّر منك الزهد )** فإن زهدك فيما لا تملك غير جائز، وكذا الزهد في معدوم باطل، وكما أن التصرف في مال غيرك غير جائز فكذلك لم يصح زهدك فيه، **( لأن مالا تقدر عليه لا تقدر على تركه )** ولعله لو كان موجوداً تغيَّر قلبك به وتقلب فيه، إذ ليس الخبر كالمعاينة لأن الخبر قد يوهم ويشبه، والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم على الخلقة، **( وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها، فلا ينبغي أن تتدلى بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله تعالى، فإنك إذاً لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها )** لأن للنفس بدوات لما أطبعت عليه من الشهوات والملل والتقليبات وحب المتعة بالموجود وادخار المحصول، فلا تجعل ظناً معدوماً كيقين موجود، **( فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي وبغضها عند تعذرها )** أو تعذر أسبابها، **( فإذا تيسرت له أسبابها من غير )** مانع **( مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها، وإذا كان غرور النفس في المحظورات )** التي الترك عنها

النفس في المحظورات، فإياك أن تثق بوعدها في المباحات، والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها، أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة، فإذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعذار ظاهراً وباطناً فلا بأس أن تثق بها وثوقاً ما، ولكن تكون من تغيرها أيضاً على حذر، فإنها سريعة النقض للعهد، قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع.

وبالجملة؛ فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلى ما ترك فقط وذلك عند القدرة. قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة: ألا ترى إلى ابن الحائك هذا لا نفتي في مسألة إلاّ رد علينا ـ يعني أبا حنيفة ـ فقال ابن شبرمة: لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو؟ لكن اعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها، وهربت منا فطلبناها، وكذلك قال جميع المسلمين

---

عبارة عن التوبة (**فإياك أن تثق بوعدها في المباحات**) الذي الترك عنها عبارة عن الزهد، ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم بقيامك بشرطه، وهو أن لا تحب وجود الشيء ولا تأسى على فقده وتكون مغتبطاً بعدمك مسروراً بفقدك يعلم الله من غيبك ويطلع على سرك، إنك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه إن دخل عليك لأن قلبك قانع بالله راض به عن الله بحالك التي هي العدم من الدنيا، غير محب للاستبدال بها من الغنى، فإذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهداً فكان لك بأحد هذه المعاني ثواب الزاهدين، وإن لم تكن للدنيا من الواجدين ولا لإخراجها من الغافلين وهذا زهد الفقراء الصابرين وهو التحقق بالفقر، (**والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة، فإذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف**) أي الموانع (**والأعذار ظاهراً وباطناً**) وتلك الأعذار تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان، (**فلا بأس أن تثق بها وثوقاً مّا**) أي أدنى وثوق، (**ولكن تكون من تغيرها أيضاً على حذر فإنها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع**) فإنها طبعت على الشهوات والملل والتقلبات.

(**وبالجملة؛ فلا أمان منها إلا عند الترك بالأضافة إلى ما ترك فقط وذلك عند القدرة. قال ابن أبي ليلى**) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي القاضي، أبو عبد الرحمن صدوق سيئ الحفظ جداً مات سنة ثمان وأربعين، روى له أصحاب السنن (**لابن شبرمة**) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيلي بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ثقة فقيه، مات سنة أربع وأربعين، روى له البخاري في صحيحه تعليقاً، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه: (**ألا ترى إلى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسألة إلا ردَّ علينا يعني أبا حنيفة**) الإمام رحمه الله تعالى ـ (**فقال ابن شبرمة: لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو؟ لكن اعلم أن الدنيا غدت**) أي صارت (**إليه فهرب منها**) كأنه يعني القضاء (**وهربت منا فطلبناها**)،

على عهد رسول الله ﷺ: انا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى: ﴿ولو أنَّا كتبنا عليهم أن اقتُلُوا أنْفُسَكُم أو أخْرُجُوا من دياركُم ما فعلُوه إلا قليلٌ منهم﴾ [ النساء : ٦٦ ] قال ابن مسعود رحمه الله. قال لي رسول الله ﷺ: أنت منهم

---

فإن كلاً منهما تولى قضاء الكوفة وأباها الإمام وضرب وامتحن لذلك، ولقد أنصف ابن شبرمة في جوابه. وأما ابن أبي ليلى، فكان يحسد الإمام دائماً ويعاديه لما يرى له من القدر والمنزلة عند الخاص والعام. سامح الله عن الجميع وجعلهم إخواناً على سرر متقابلين. **( ولذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله ﷺ: إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ قال ابن مسعود )** رضي الله عنه: **( قال لي رسول الله ﷺ: أنت منهم يعني من القليل )** قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ.

قلت: سياق هذه العبارة في القوت قال: وقد كان الناس مستورين بإظهار الزهد في البقاء ومظنوناً بهم حب الباقي الأعلى حتى نزلت ﴿ألم تـر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله﴾ [ النساء : ٧٧ ] الآية وحتى نزل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ كانوا قالوا: إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه، فلذلك قال: ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ [ الصف : ٢ ، ٣ ] وكذلك قال رسول الله ﷺ نزلت: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ [ النساء : ٦٦ ] قال ابن مسعود: قال لي رسول الله ﷺ قيل: « فأنت منهم » أي من القليل الذي كان يفعل ذلك اهـ.

ففي سياق المصنف سقط ظاهر يبينه سياق القوت ولذلك قال العراقي: لم أقف له على أصل أي لا أصل لهذه القصة في نزول قوله تعالى: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾ الآية وسياق صاحب القوت صحيح، فروى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال فنعمل به فأخبر الله نبيه: أن أحب الأعمال إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾.

وروى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر عن عبد الرحمن بن سابط قال: كان عبدالله بن رواحة مع نفر من أصحـابه يذكرون الله تعالى، فهشوا للذكر واشتاقوا فقالوا: لو نعلم الذي هو أحب إليك فعلناه، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله ﴿مرصوص﴾ فلما كان يوم مؤتة وكان ابن رواحة أحد الأمراء نادى في القوم: يا أهل المجلس الذين وعدتم ربكم قولكم لو نعلم الذي هو أحب إليك فعلنا، ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

ـ يعني من القليل ـ قال: وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى: ﴿منكم من يريدُ الدُّنيا ومنْكُم من يريدُ الآخرة﴾ [ آل عمران: ١٥٢ ] واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوّة على سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع، فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات، وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة؛ فأما كل نوع من الترك فإنه يتصوّر ممن لا يؤمن بالآخرة؛ فذلك قد يكون مروءة وفتوّة وسخاء وحسن خلق، ولكن لا يكون زهداً؛ إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألذ وأهنأ من المال، وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعاً في العوض ليس من الزهد، فكذلك

---

وروى عبد بن حميد، وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية عند قولهم: والله لو نعلم أحب الأعمال لفعلناه، فدلهم على أحب الأعمال إليه.

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قالوا: لو كنا نعلم أحب الأعمال إلى الله فنزلت هذه الآية.

وروى ابن المنذر وابن عساكر عن مجاهد قال: نزلت في نفر من الأنصار منهم عبدالله بن رواحة قالوا في مجلس لهم: لو نعلم أي عمل أحب إلى الله لعملناه حتى نموت، فقال ابن رواحة: لا أبرح حبيساً حتى أموت فقتل شهيداً. ورواه مالك في تفسيره عن زيد بن أسلم نحوه.

وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم على أحب الأعمال فقال: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي ﷺ مدبرين فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾.

**( وقال )** ابن مسعود أيضاً: **( ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى: ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾ )** ولفظ القوت ما أحسب أن فينا أحداً يريد الدنيا حتى نزلت. وقال العراقي: رواه البيهقي في الدلائل بإسناد حسن.

**( واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء )** والجود والفتوة، **( وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع، فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات، وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعملك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة، فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لا يعرف بالآخرة، فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهداً، إذ حسن الذكر )** والثناء الطيب **( وميل القلوب )** إليه بالمحبة **( من حظوظ العاجلة )** أي الدنيا **( وهي ألذ وأهنأ من المال، وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعاً في العوض ليس من الزهد، فكذلك تركه طمعاً**

تركه طمعاً في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالاً له لما في حفظ المال من المشقة والعناء . والحاجة إلى التذلل للسلاطين والأغنياء ليس من الزهد أصلاً ، بل هو استعجال حظ آخر للنفس ؛ بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفواً عفواً وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس ، فتركها خوفاً من أن يأنس بها ، فيكون آنساً بغير الله ومحباً لما سوى الله ، ويكون مشركاً في حب الله تعالى غيره . أو تركها طمعاً في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعاً في أشربة الجنة ، وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعاً في الحور العين ، وترك التفرج في البساتين طمعاً في بساتين الجنة وأشجارها ، وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعاً في زينة الجنة ، وترك المطاعم اللذيذة طمعاً في فواكه الجنة وخوفاً من أن يقال له : ﴿أذهبتُم

---

**في الذكر والثناء والإشتهار بالفتوة والسخاء )** والبذل **( واستثقالاً له لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة إلى التذلل للسلاطين والأغنياء ليس من الزهد أصلاً ، بل هو استعجال حظ آخر للنفس )** في الدنيا . ولفظ القوت : من جاد بمكله لله كان زاهداً فيه لوجه الله ووقع أجره على الله ، ومن جاد بماله لأجل الناس كان أيضاً زاهداً في ذلك موصوفاً بالسخاء ولكن ذلك لنفسه ولأجل هواه فهو موصوف بظاهر المروءة وبمعنى الفتوة ولا أجر له ، إذ لم يكن من عمال الله فبطل أجره لأنه عمل لأجل نفسه لا لوجه ربه ، وحصل في الدنيا شكره وذكره تعويضاً له من حرث الآخرة لأن هذا حرث الدنيا ، فلم يكن له في الآخرة أضعاف كثيرة وهذا هو الربا الذي أربى في أموال الناس لأنه عمل لأجل الناس ففي نصيبه مما كسب وذهب خلاقه في الآخرة إذ لم يحتسبه لفناء الدنيا وأهلها لأنه عمل لأجلهم وطلب ما عندهم من الذكر والثناء منهم ، والباقيات الصالحات ما يراد به الباقي يبقى ببقائه لصالحي أوليائه ، وكان ابن مالك يقول : ما رأيت من الفتوة والقراءة فرقاً إلا في شيء وأنه ما حظرت القراءة شيئاً إلا قبحته الفتوة ، وإنما يفترقان في أن القراءة يراد بها وجه الله ، والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم ، وقد كان استأذنا سفيان الثوري يقول : من لم يحسن يتفتي لم يحسن يتقرى أي من لم يعرف أحكام التفتي فيقوم به ويصبر عليه ، ويراعى حسن الأدب فيه حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقري ولم يقم بحسن الرعاية فيه حتى يوصف بأنه قارىء ، **( بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفواً عفواً وهو قادر على التنعيم بها من غير )** مانع من **( نقصان جاه وقبح اسم )** بسببها **( ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفاً من أن يأنس بها )** ويحبها ، **( فيكون آنساً بغير الله ومحباً لما سوى الله ويكون مشركاً في حب الله غيره أو تركها طمعاً في ثواب الله في الآخرة ، فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعاً في أشربة الجنة ، وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعاً في الحور العين ، وترك التفرج في البساتين طمعاً في بساتين الجنة وأشجارها ، وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعاً في زينة الجنة ، وترك المطاعم اللذيذة طمعاً في فواكه الجنة وخوفاً من**

**طيِّباتِكُم في حياتِكُم الدُّنيا﴾ [ الأحقاف: ٢٠ ] فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفواً صفواً لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقى . وأن ما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلاً .**

**بيان فضيلة الزهد :**

قال الله تعالى : ﴿فخرَجَ على قومِهِ في زينته﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وقال الذين أُوتُوا العِلْمَ ويْلَكُمْ ثوابُ الله خير لمن آمن﴾ [ القصص : ٧٩ ، ٨٠ ] فنسب الزهد إلى العلماء

---

**أن يقال له : ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ فآثر في جميع ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفواً صفواً )** من غير تعب ( **لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقى )** ، وما يفنى آخره كأنه لم يكن وما يبقى آخره كأنه لم يزل ، ( **وإن ما سوى هذا فمعاملات دنياوية لا جدوى لها في الآخرة أصلاً )** والله الموفق .

**تنبيه :**

اعلم أن الزهد على قسمين : مراد لذاته وهو الزهد فيما سوى الله تعالى من كل ما يشغل عن عين الشهود وهو من عقود الإيمان بالله لتعلقه بالجلال والكمال ، ومراد لغيره وهو فراغ القلب لهذه المعرفة ، وكلما ازددت تركاً للدنيا ازددت بالله معرفة ، والقدر الواجب من الزهد المراد لغيره ما يحث على الفراغ لأوقات الواجبات وهو لعمري سبب لإقامة الإخلاص الذي هو شرط في صحة العبادات ، فلا يقدر على ترك جملة من الشرور الظاهرة والباطنة إلا بترك الدنيا إلا أن ما ينهى عنه لغيره غير ما ينهى عنه لأجل نفسه ، والمباحات منهي عنها لأدائها إلى ما ذكرنا في الغالب ، ومن أهل التمكين من يعطي قوة يدبر بها العالمين ولا يشغله شيء عن الله ، فمنهم من وصل إلى هذا المقام الشريف بالكسب والإجتهاد وهو المسمى مريداً ، ومنهم من وصل إليه بنفس نفخ الرحمة في كشف الحجاب عن قلبه حتى وقف على حقيقة الأمر بغير مدافع ولا منازع وهو المسمى عند القوم مراداً وكل منهما مراد إلا أن هذا مراد بوسائط كثيرة ، وهذا مراد بغير واسطة . وقد أخبر الله عن كلا الحالين فقال : ﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ [ الشورى : ١٣ ] وينبغي أن يجري بينهما الخلاف الجاري في التفاضل بين أفاضل المؤمنين وأفاضل الملائكة لمناسبة الجذب والترقي . هذا إذا اتحدت المعرفتان فإن اختلفتا كانت الفضيلة على حسب المعرفة فافهم والله أعلم .

**بيان فضيلة الزهد :**

( **قال الله تعالى )** : إذ وصف قارون : ( **﴿فخرج على قومه في زينته﴾ )** من خيول وبغال وغلمان عليها بزة حسنة من أصفر وأحمر وأخضر ( **إلى قوله تعالى : ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير )** لمن آمن وعمل صالح ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ ( **فنسب الزهد إلى**

ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء، وقال تعالى: ﴿أولئك يُؤْتُون أجرَهُم مرَّتين بما صبروا﴾ [القصص: ٥٤] جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل: ﴿إنَّا جَعَلْنَا مَا علَى الأرْضِ زينة لها لنبلُوهُم أيُّهم أحسنُ عملاً﴾ [الكهف: ٧] قيل: معناه أيهم أزهد فيها، فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال. وقال تعالى: ﴿مَنْ كان يريدُ حَرْثَ الآخرة نَزِد له في حَرْثِهِ، ومَنْ كان يرِيدُ حرث الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنها ومَا لَهُ في الآخِرةِ من نصيب﴾ [الشورى: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ولا تَمُدَّنَّ عينَيْك إلى ما مَتَّعْنَا به أزواجاً مِنْهُم زَهْرَةَ الحياةِ الدنيا لِنَفْتِـنَهُم فيه ورِزْقُ ربِّكَ خير وأبقى﴾ [طه: ١٣١] وقال

---

**العلماء)** أي سماهم كذلك وخصه بهم وشرط له الصبر، **(ووصف أهله بالعلم)** إذ جاء في التفسير أن المراد بهم الزاهدون في الدنيا **(وهو غاية الثناء)** ونهاية المدح، وهذه الآية كافية في بيان فضل الزهد والزاهدين **(وقال تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ وجاء في التفسير)** صبروا **(على الزهد في الدنيا)** وقال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] قيل على الفقر ويشهد للصبر عن الدنيا في هاتين الآيتين قوله تعالى في وصف العلماء الزاهدين لما قال: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير﴾ قال عقيب ذلك في بقية ثنائه عليهم: ﴿ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ أي عن زينة الدنيا التي خرج فيها من وعظه الزاهدون الصابرون عنها، ثم قال في مدحهم بوصف آخر: ﴿يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ فقد حصل للزاهد أمران بصبره على الفقر وبوجود زهده، وللفقير المعدم أجر واحد على الغنى لوجود فقره وعدم زهده، فلحق بمقام الخوف الذي أعطى به الخائف جنتين، ففضل بالأخرى على مقام الرجاء إذ الخوف مقتضى العلم بالله لقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] ولذلك قال عيسى عليه السلام: خشية الله وحب الفردوس يباعدان عن زهرة الدنيا ويورثان الصبر على المشقة، فجعل الخشية لله تعالى والحب له يدلان على الزهد في الدنيا يورثانه ويسهلان الصبر على شدائدها إيثاراً لمحبة الله على محبة نفوسهم فيها وخيفة من الله أن يحاسبهم على التكاثر منها. **(وقال عز وجل: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض)** من المعادن والجواهر والنبات **(زينةً لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ قيل: معناه أيهم أزهد فيها)** رواه ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري، ورواه عن الحسن فقال: أيهم أشد تركاً للدنيا، **(فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال. وقال تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾)** معنى نزد له في حرثه أي لا نحاسبه بما نعطيه منها بعد أن لا يريدها وأن لا يكون من همه، فما أدخل عليه منها يخرج منه العبد من غير محاسبة، فهذا مجاز الدنيا لأن الرزق لا يزاد فيه ذرة على ما قسم له أوّل مرة فجعل ذلك له مجعل المجازاة على زهده فيها وجرى مجرى المكافاة لخروج همه منها. **(وقال تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير

تعالى: ﴿الذين يَسْتحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [ إبراهيم: ٣ ] فوصف الكفار بذلك، فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا.

وأما الأخبار: فما ورد منها في ذم الدنيا كثير، وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات، إذ حب الدنيا من المهلكات، ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فإنه من المنجيات، وهو المعنى بالزهد، وقد قال رسول الله ﷺ: «من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرّق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»، وقال ﷺ: «إذا رأيتم العبد وقد أعطي صمتاً وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة»، وقال تعالى: ﴿ومَنْ يُؤتَ

---

**وأبقى﴾** ) فأمره بأن لا يمد عينه إلى زهرة الحياة الدنيا وهو عين الزهد، ووصف رزق الآخرة بما وصف به نفسه بوصفين من الخيرية والبقاء حيث قال: ﴿والله خير وأبقى﴾ [ طه: ٧٣ ] وهذا غاية الثناء. ( **وقال تعالى: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾** ) قد ( **وصف الكفار بذلك، فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا** ). فهذه الآيات كلها دالة على الزهد بمنطوقها ومفهومها.

( **وأما الأخبار، فما ورد منها في ذم الدنيا كثير، وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات، إذ حب الدنيا من المهلكات** ) إذ هو أس الخطايا. ( **ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فإنه من المنجيات** ) فناسب إيراده هنا ( **وهو المعني بالزهد** ) أي وهو المراد به إذا أطلقوا لفظه، ( **وقد قال رسول الله ﷺ: «من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته** ) أي عياله وما يخاف عليه من الضياع، ( **وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة** ) وإن لم يردها» قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد، والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه اهـ.

قلت: حديثه رواه أيضاً ابن النجار ولفظه: «من أراد الآخرة وسعى لها سعيها كتب الله له غناه في قلبه وكف عليه ضيعته فيصبح غنياً ويمسي غنياً، ومن أراد الدنيا وسعى لها سعيها فشا الله ضيعته وكتب فقره في قلبه فيصبح فقيراً ويمسي فقيراً».

( **وقال ﷺ: «إذا رأيتم العبد قد أعطي صمتاً وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة»** ) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي خلاَّد بسند فيه ضعف اهـ.

قلت: لفظ ابن ماجه: «إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه

الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ [ البقرة: ٢٦٩ ] ولذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوماً أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه. وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا: يا رسول الله، أيّ الناس خير؟ قال: « كل مؤمن محموم القلب صدوق اللسان » قلنا: يا رسول الله وما محموم القلب؟ قال: « التقي النقي الذي لا غلّ فيه ولا غش ولا بغي ولا

---

يلقي الحكمة ». وكذلك رواه ابن سعد والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي وابن عساكر، ورواه أيضاً الطبراني والبيهقي من حديث أبي هريرة.

وقال القشيري في الرسالة: أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني، حدثنا أبو الحسن عبدالله بن أحمد بن يعقوب المقري، ببغداد، حدثنا جعفر بن مشاجع، حدثنا زيد بن إسماعيل، حدثنا كثير بن هشام، حدثنا الحكم بن هشام عن يحي بن سعيد، عن أي فروة، عن أبي خلاد وكانت له صحبة قال، قال النبي ﷺ: « إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة » انتهى.

أخرجه البزار من طريق الحكم بن هشام عن يحي بن سعيد بن أبان القرشي عن أبي فروة عن أبي خلاد، وأخرجه ابن منده من طريق هشام بن عمار عن الحكم وقال في رواية عن ابن خلاد، ويقال اسمه عبد الرحمن بن زهير وكانت له صحبة، وأخرجه ابن ماجه عن هشام بن عمار قال أبو الحسن القطان: أبو فروة لا يعرف وليس هو الجزري. قال الحافظ: قد ذكر البخاري أن أحمد بن إبراهيم رواه عن الحكم فقال عن أبي فروة الجزري، ورجح البخاري أن الحديث عن أبي فروة عن أبي مريم عن أبي خلاد وأخرجه سمويه في فوائده من طريقين عن الحكم بن هشام وقال في سياقه: وكان له صحبة ولم يذكر تسميته، ووقع في رواية لابن أبي عاصم عن أبي خالد والصواب عن أبي خلاد وقال فيها عنه سمعت رسول الله ﷺ.

**( وقال )** الله **( تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ )** فهذا الخير الكثير هو ظاهر عطاء الزاهدين وأوله، فكيف بباطن عطائهم ونهايته؟ **( ولذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوماً أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه )**، وهذا وصف من صفات الأبدال الذين هم خلائف الأنبياء وهم الصديقون والشهداء والملحقون بهم المرفوعون إلى الرفيق الأعلى. ثم هذا القول هكذا أورده صاحب القوت، وتبعه المصنف، وقد روي مرفوعاً نحوه أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى بلفظ: « من زهد في الدنيا أربعين يوماً وأخلص فيها للعبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقال: حديث منكر. وقال الذهبي: باطل وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله **( أي الناس خير؟ قال: « كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان » قلنا: يا رسول الله وما مخموم القلب؟ قال: « التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد » . قيل: يا رسول الله فمن على أثره قال: « الذي يشنأ**

حسد » قلنا: يا رسول الله، فمن على أثره؟ قال: « الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة »، ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا. وقال ﷺ: « إن أردت أن يحبك الله فازهد فيْ الدنيا »، فجعل الزهد سبباً للمحبة، فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات، فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات، ومفهومه أيضاً أن محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى، وفي خبر من طريق أهل البيت: « الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة، فإن صادفا قلباً فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا »،

---

**الدنيا )** أي يبغضها **( ويحب الآخرة » )** قال العراقي: رواه ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث عبدالله بن عمر، ودون قوله قيل يا رسول الله فمن على أثره وقد تقدم، ورواه بهذه الزيادة بالإسناد المذكور الخرائطي في مكارم الأخلاق اهـ.

قلت: لفظ الخرائطي: « خير الناس ذو القلب المحموم واللسان الصادق » قيل: قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المحموم؟ قال: « هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد » قيل: فمن على أثره؟ قال: « الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة » قيل: فمن على أثره؟ قال: « مؤمن في خلق حسن ». وهكذا رواه الحكيم والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي كلهم من حديث عبدالله بن عمر. ورواه أحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسلاً، وقد تقدم في ذم الدنيا. وأورده صاحب القوت ثم قال: والشيء يعرف بضده كما يعرف بمثله، فضد الشنآن المحبة وضد الزهد الرغبة.

**( ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا )** وأن الراغب فيها والمحب لها، كيف **( و )** قد **( قال ﷺ: « إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا » )** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم.

قلت: كأنه يشير إلى حديث سهل بن سعد: « ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد ما في أيدي الناس يحبك الناس » هذا الذي رواه ابن ماجه، ورواه أيضاً الطبراني والحاكم، ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم.

**( فجعل الزهد سبباً للمحبة )** أي محبة الله التي لا مثل لها، **( فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات، فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات )** وصار الزاهد حبيب الله **( ومفهومه أيضاً أن محب الدنيا )** الراغب لها **( متعرض لبغض الله )** مبغض عند الله **( وفي خبر )** مروي **( من طريق أهل البيت )** أسنده جعفر الصادق عن آبائه الأخيار إلى الرسول المختار قال فيه: **( « الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فإن صادفا قلباً فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا » )** هكذا في النسخ، وقد قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: والحديث مزال من أصله وصوابه: « الإيمان والحياء يجولان في القلوب كل ليلة فإذا صادفا قلباً فيه الزهد والورع أقاما فيه وإلا ارتحلا » وهكذا أورده صاحب القوت غير أنه قال:

ولما قال حارثة لرسول الله ﷺ: أنا مؤمن حقاً قال: «وما حقيقة إيمانك»؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها، وكأني بالجنة والنار، وكأني بعرش ربي بارزاً، فقال ﷺ: «عرفت فالزم، عبد نوَّر الله قلبه بالإيمان»؛ فانظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الإيمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين، وكيف زكاه رسول الله ﷺ إذ قال: عبد نوَّر الله قلبه بالإيمان. ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى

---

يطوفان بدل يجولان، ثم قال: وكأنه أراد بهذا محض الإيمان وخالصه الذي هو يقين المعاينة والحياء الذي هو نظر المشاهدة إن وجود ذلك على حقيقته في مكان الزهد فيما آمن بفنائه لوجود مكان الرغبة فيما آمنا ببقائه إذا تفكر في ذلك تفكر أولي الألباب فيما شهدوا من بيان الآيات في الخطاب.

( **ولما قال حارثة** ) بن مالك الأنصاري ويقال له أيضاً الحرث ( **لرسول الله ﷺ: أنا مؤمن حقاً قال: «وما حقيقة إيمانك»** )؟ فابتدأ بالزهد وجعله علماً لحقيقة الإيمان وقرنه بمشاهدة الإيقان. ( **قال: عزفت نفسي عن الدنيا** ) أي انصرفت يقال: عزف عن الشيء عزفاً وعزوفاً وعزيفاً من باب قتل وضرب انصرف عنه، ( **فاستوى عندي حجرها وذهبها** ) ثم ذكر المشاهدة بعد الزهد، فكانت عدته. فكما أن الشهادة بعد الزهادة كذلك حقيقة الإيمان بعد الزهد وهو إيمان الموقنين، وهذا تحقيق التصديق ثم قال: ( **وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزاً** ) أي ظاهراً ( **فقال ﷺ: «عرفت فالزم، عبد نور الله قلبه بالإيمان» فانظر كيف بدأ إظهار حقيقة الإيمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين، وكيف زكاه رسول الله ﷺ إذ قال: «عبد نـوّر الله قلبه بالإيمان»** ) قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحرث بن مالك، وكلا الحديثين ضعيف انتهى.

قلت: قال الحافظ في الإصابة في ترجمة الحارث بن مالك الأنصاري: روى حديثه ابن المبارك في الزهد عن معمر عن صالح بـن مسمار أن النبي ﷺ قـال: «يـا حـارث بـن مـالـك كيـف أصبحت»؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً قال: «إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك» قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي وكأني انظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أسمع عواء أهل النار. فقال: «مؤمن نور الله قلبه» وهو معضل. وكذا أخرجه عبد الرزاق عن معمر بن صالح عن مسمار وجعفر بن برقان أن النبي ﷺ قال للحارث.

وأخرجه في التفسير عن الثوري عن عمرو بن قيس الملائي عن زيد السلمي قال: قال رسول الله ﷺ للحارث: «كيف أصبحت يا حارث» قال: من المؤمنين. قال: «اعلم ما تقول» فذكر نحوه وزاد في آخره فقال: يا رسول الله ادع لي بالشهادة فدعا له، فأغير على سرح المدينة فخرج فقاتل فقتل.

وجاء موصولاً من طريق أخرى أخرجه الطبراني من طريق سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن

**الشرح في قوله تعالى: ﴿فمَنْ يرد الله أن يهدِيَهُ يَشرَحُ صدرَهُ للإسلام﴾ [ الأنعام: ١٢٥ ] وقيل له: ما هذا الشرح؟ قال: « إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفسح ». قيل: يا رسول الله. وهل لذلك من علامة؟ قال: « نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله » فانظر كيف جعل الزهد شرطاً للإسلام وهو التجافي عن دار الغرور. وقال ﷺ: « استحيوا من الله حق**

---

أبي الجهم، وابن منده من طريق سليمان بن سعيد عن الربيع بن لوط كلاهما عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: « يا رسول الله أنا من المؤمنين حقاً فقال: « انظر ما تقول » الحديث. وفي آخره: « من سره أن ينظر إلى من نور الله قلبه فلينظر إلى الحارث بن مالك ». قال ابن منده: رواه زيد بن أبي أنيسة عن عبد الكريم بن الحارث عن الحرث بن مالك ورواه جرير بن عتبة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ دخل المسجد فإذا الحرث بن مالك فحركه برجله فذكر الحديث. ورواه البيهقي في الشعب من طريق يوسف بن عطية الصفار، وهو حديث ضعيف جداً عن أنس أن النبي ﷺ لقي الحارث يوماً فقال: « كيف أصبحت يا حارث » ؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً الحديث بطوله. وفي آخره قال: « يا حارث عرفت فالزم ». قال البيهقي: هذا منكر وقد ضبط فيه يوسف فقال مرة الحارث ومرة حارثة.

وقال أبو عاصم حشيش بن أصرم في كتاب الإستقامة له: حدثنا عبد العزيز بن أبان، أنبأنا مالك بن مغول، عن فضيل بن غزوان قال: أغير على سرح المدينة فخرج الحارث بن مالك فقتل منهم ثمانية ثم قتل وهو الذي قال له النبي ﷺ: « كيف أصبحت يا حارثة ».

ورواه ابن أبي شيبة عن ابن نمير عن مالك بن مغول بالمرفوع، ولم يذكر فضيل بن غزوان قال ابن صاعد بعد أن أخرجه عن الحسين بن الحسن المروزي عن ابن المبارك: لا اعلم صالح بن مسمار أسند إلا حديثاً واحداً وهذا الحديث لا يثبت موصولاً.

**( ولما سئل رسول الله ﷺ معنى الشرح في قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ وقيل له: ما هذا الشرح؟ فقال: « إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفسح » قيل: يا رسول الله وهل لذلك من علامة؟ قال: « نعم، التجافي)** أي التباعد **( عن دار الغرور والإنابة )** أي الرجوع **( إلى دار الخلود والإستعداد للموت قبل نزوله » فانظر كيف جعل الزهد )** في علامة شرح الصدر بالنور وهو نور التصديق الذي هو عموم وصف المؤمنين لأنه هو التحقيق بالإسلام، فهذا هو الزهد جعله **( شرطاً للإسلام )** أي لحقيقته **( وهو التجافي عن دار الغرور )**.

وهذا الحديث: رواه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أبي جعفر المدايني هو عبدالله بن المسور من ولد جعفر بن أبي طالب قال: سئل النبي ﷺ عن هذه

الحياء» قالوا: إنا لنستحي منه تعالى، **فقال: «ليس كذلك. تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون»، فبيَّن أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى، ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا: إنا مؤمنون قال: «وما علامة إيمانكم؟» فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون،**

---

الآية قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «نور يقذف فيه فينشرح له» قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ قال: «نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والإستعداد للموت قبل لقاء الموت».

ورواه عبد بن حميد عن الفضيل أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: كيف الشرح؟ قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً قذف في قلبه النور فانفسح لذلك صدره» فقال: يا رسول الله هل لذلك من آية يعرف بها؟ قال: «نعم» قال: فما آية ذلك؟ قال: «التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود وحسن الإستعداد للموت قبل نزول الموت».

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذكر الموت عن الحسن نحوه. وقد روي ذلك من حديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب من طرق، وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا.

**(وقال ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء» قالوا: إنا نستحي منه. فقال:)** «ليس كذلك **(تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون» فبيَّن أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى)**، فقد فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أم الوليد ابنة عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: أم الوليد هذه ذكرها الدارقطني في الأخوة وقال: روى حديثها الطبراني وفيها نظر انتهى.

قال الحافظ: حديثها أنها قالت: اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية فقال: «أيها الناس الا تستحيون» قالوا: مم ذاك يا رسول الله قال: «تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تعمرون وتؤملون ما لا تدركون» أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، عن الوازع بن نافع، عن سالم بن عبدالله بن عمر عنها. وقال ابن منده: رواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوزاع بن نافع. قال الحافظ: والطريقان ضعيفان.

**(ولما قدم عليه) ﷺ (بعض الوفود)** من العرب قال لهم: «ما أنتم»؟ **(قالوا: إنا مؤمنون. قال: «وما علامة إيمانكم»؟ فذكروا الصبر على البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمواقع القضاء، وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء، فقال ﷺ: «إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون»**

ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون » فجعل الزهد تكملة لإيمانهم. وقال جابر رضي الله عنه: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة »، فقام إليه علي كرّم الله وجهه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها؟ صفه لنا فسره لنا، فقال: « حب الدنيا طلباً لها واتباعاً لها، وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة ». وفي الخبر: « السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن، والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك »، وقال أيضاً: « السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من

---

**فجعل الزهد تكملة لإيمانهم )** وعلوا لمقامهم وتماماً على إحسانهم. قال العراقي: رواه الخطيب وابن عساكر في تاريخيهما بإسناد ضعيف من حديث جابر.

**( وقال جابر )** بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه: **( خطبنا رسول الله ﷺ فقال: « من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها )** أي معها **( غيرها وجبت له الجنة »، فقام )** إليه **( علي )** بن أبي طالب **( كرم الله وجهه فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسّره لنا. فقال: « حب الدنيا طلباً لها وإتباعاً لها، وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة » )** قال صاحب القوت: رويناه عن ابن المنكدر عن جابر. وقال العراقي: لم أره من حديث جابر، وقد رواه الحكيم في النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف نحوه انتهى.

ثم قال صاحب القوت: فلذلك كان علي رضي الله عنه يجعل الزهد مقاماً في الصبر، ويجعل الصبر عمدة الإيمان، وفسر بذلك مقام اليقين الذي شرح فيه شعبة في حديثين رويناهما. أولهما قوله في الحديث الطويل الذي رواه عكرمة وعتبة بن حميد والحارث الأعور وقبيصة بن جابر الأسدي في مباني الإيمان أنه قال: « الإيمان على أربع شعب » وفي لفظ حديث بعضهم: « اليقين على أربع دعائم على الصبر واليقين والجهاد والعدل » ثم قال فيه: « والصبر على اربع شعب: على الشوق والشفقة والزهادة والترقب. فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات » ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن ترقب الموت سارع في الخيرات ». فاقام الزهد مقام اليقين إذ هو مقتضاه، فلما أوجب اليقين الزهد في الدنيا اقتضى الزهد تهوين مصائبها وتيسير شأنها وتسهيل أمرها فصغرت بعد كبرها وهانت بعد صعوبة حالها، فاستبدل بها الرغبة في الآخرة فسارع إليها بقدر هربه من الدنيا، ونافس فيها بقدر عزوفه عن ضدها عند التحقيق بإرادة الآخرة وسعى لها سعيها لما ركب طريقها وصار ابن سبيلها، فوجب حقه على الراغبين في الدنيا كما وجب ابن السبيل الذي ركب الطريق فتدبر.

**( وفي الخبر: « السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن، والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك » )** قال صاحب القوت: رويناه في خبر مقطوع. وقال العراقي: ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرجه ولده في مسنده، وقال أيضاً: « السخي قريب من الله

الجنة، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار »، والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا، والسخاء ثمرة الزهد، والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة.

وروي عن ابن المسيب عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأنطق بها لسانه وعرّفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى

---

قريب من الناس قريب من الجنة، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل» رواه الترمذي وقال غريب، والدارقطني في الافراد، وابن عدي والبيهقي والخرائطي في مكارم الأخلاق، والخطيب في كتاب ذم البخلاء من حديث أبي هريرة. ورواه البيهقي من حديث جابر بن عبد الله، ورواه الدارقطني والطبراني في الأوسط، والخطيب من حديث عائشة. قال الدارقطني: له طرق ولا يثبت منها شيء. قال السيوطي: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب وقد تقدم ذلك في ذم البخل. قال صاحب القوت: الخبر الأوّل مفسر للخبر المجمل الثاني بأي معنى كان السخي قريباً من الله لأن السخاء من اليقين، والسخي موقن فصار من المقربين، وبأي معنى كان البخيل بعيداً من الله بعيداً من الناس قريباً من النار أي بالشك لأنه ضد اليقين فصار به من المبعدين، فالسخاء أيضاً وصف الزاهد لا يكون الزاهد إلا سخياً لأنه لما زهد في الدنيا سخت نفسه بها وطابت عنها للاستبدال بها والتعويض عنها. ( **والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا** )، ووصف الراغب فيها لا يكون الحريص لا بخيلاً ولا يكون البخيل زاهداً، ( **و** ) قد يكون ( **السخاء** ) سبباً للزهد إذا سخت نفسه عن الشيء زهدت فيه كما إذا زهدت في شيء أخرجه إلى غيره، فصار السخاء ( **ثمرة الزهد** ) فنفس الزهد سخاء وعين البخل رغبة ( **والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة** ).

( **وروى** ) سعيد بن ( **بن المسيب** ) رحمه الله تعالى، ( **عن أبي ذر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها. وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام »** ) ولفظ القوت: « وبصره داءها ودواءها فبنور الحكمة أبصرت داء الدنيا وعرفت دواءها فوضعت الدواء على معاقر الداء فبرىء ولا ترى ذلك قبل نور الحكمة، وبالزهد في الدنيا إذا خرجت منها ورثت الحكمة فأخرجت من ظلمات الهوى إلى نور التقوى، إذ لا يبصر العبد عيب ما فيه ولا يعرف قبحه حتى يفارقه إلى هاديه ». وزاد في موضع آخر « ومن حرص عليها توّهه الله فيها ولم يبال في أي أوديتها يهلكه ». وقال العراقي: لم أره من حديث أبي ذر.

ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا من حديث صفوان بن أبي سليم مرسلاً، ولابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري: « من زهد في الدنيا أربعين يوماً وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقال حديث منكر. ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب، وأبو نعيم في الحلية مختصراً من حديث أبي أيوب « من أخلص لله » الحديث وكلها ضعيفة انتهى.

دار السلام »، وروي أنه ﷺ مرَّ في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم لأنها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر، ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى: ﴿وإذا العِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [ التكوير: ٤ ] قال: فاعرض عنها رسول الله ﷺ وغض بصره، فقيل له: يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لِمَ لا تنظر إليها فقال: « قد نهاني الله عن ذلك » ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا تمدنّ عينيك إلى

---

قلت: حديث أبي موسى الأشعري تقدم الكلام عليه قريباً. أما حديث أبي أيوب « من أخلص العبادة لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » فقد رواه الشيخ وأبو نعيم عن مكحول عن أبي أيوب، ورواه هناد في الزهد، وأبو نعيم أيضاً عن مكحول مرسلاً. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود « من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك ».

( **وروي أنه ﷺ مرَّ في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي** ) النوق ( **الحوامل** ) وهو تفسير للعشار. يقال: عشرت الناقة مشدداً فهي عشراء أتى على حملها عشرة أشهر وجمعه عشار ومثله نفساء ونفاس ولا ثالث لهما. وأما الحفل فهي جمع حافلة وهي التي ترك حلبها حتى اجتمع اللبن في ضرعها وهي محفلة أيضاً وأصله في الشاة ( **وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم** ) وأهمها وأكرمها عليهم ( **لأنها تجمع الظهر** ) للركوب عليها ( **واللحم** ) لأكلهم ( **واللبن** ) لشربهم ( **والوبر** ) للبسهم وكنهم والولد فهي خمسة، وهي الراحلة من الابل التي ضرب بها المثل في قلة وجودها مع الكثرة، فإن التي تجمع هذه الخمس من الإبل الحمولة قليل، فكذلك المؤمن الجامع للخصال الخمس عزيز قليل بين الجملة يجمع الزهد والعلم والعمل والخوف والورع، ( **ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى** ) في خطابه لهم بتعطيلها عند تكوير شمسها ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ ( ﴿**وإذا العشار عطلت**﴾ ) ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ يعني يومئذ تشهد ما قدمت من مثاقيل الذر من الخير والشر. ( **قال: فاعرض عنها رسول الله ﷺ** ) أعني عن العشار الحوامل ( **وغضّ بصره فقيل له: يا رسول الله هذه أنفس أموالنا** ) وكرائمها أعرضت عنها ( **لم لا تنظر إليها؟ فقال: « قد نهاني الله عن ذلك » ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به﴾ الآية** ) وتمامها ﴿أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ هكذا أورده صاحب القوت بعد أن قال: وقد نهى الله رسوله أن يوسع نظره إلى أبناء الدنيا مقتاً لهم، وأخبر أن ما أظهره من زينة الدنيا وزهرتها فتنة لهم، وأعلمه أن الزهد والقناعة خير وأبقى تنتظم هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به﴾ الآية وفي خبر أنه ﷺ فساقه. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: وروى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ﴿وإذا العشار عطلت﴾ أي سيّبها

**ما متعنا به﴾ [ طه: ١٣١ ] الآية. وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: «ألا تستطعم الله فيطعمك؟ قالت: وبكيت لما رأيت به من الجوع. فقال: يا عائشة، والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض، ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها، يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال: ﴿فاصْبِر كما صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسلِ﴾ [ الأحقاف: ٣٥ ] والله ما لي بد من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوّة إلا بالله».**

---

أهلوها أتاهم ما شغلهم عنها فلم تصر ولم تحلب ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها. وروى ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عروة أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ ﴿ولا تمدن عينيك﴾ إلى قوله ﴿نحن نرزقك﴾ ثم يقول: الصلاة الصلاة رحمكم الله. وقال صاحب القوت، بعد أن أورد قصة العشار، وبمعناه روينا في الاسرائيليات أن عيسى عليه السلام مرّ في الحواريين على شجرة خضرة نضرة تحتها غدير فنظروا إليها فأعرض هو فلم ينظر، فلما جاوزها قال: بحق أقول لكم لقد نقص من عقولكم بمقدار نظركم إلى الدنيا.

(**وروي عن مسروق**) بن الأجدع الهمداني التابعي الكوفي (**عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك؟ قالت: وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال: «يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض، ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها. يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولالآل محمد. يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العـزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ والله مالي بدّ من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوّة إلا بالله»**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق مختصراً «إن الله لم يرض من أولي العزم إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض لي إلا أن كلفني ما كلفهم فقال: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾» ومجالد مختلف في الاحتجاج به.

وروي عن عمر رضى الله عنه، أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها: البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق، ومرّ بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر، فقال عمر: يا حفصة، ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته؟ فقالت: بلى قال: ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث في النبوّة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة، وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث في النبوّة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر؟ وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قرّبتم إليه يوماً طعاماً على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض؟ وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال: « منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ». وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فلم يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة؟ وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ صنعت له امرأة من بني ظفر كساءين إزاراً ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر، فخرج إلى

---

( وروي عن عمر ) بن الخطاب ( رضي الله عنه أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها ): يا أبت ( البس لين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق، ومر بصنعة طعام تطعمه ) أي تأكله ( وتطعم من حضر ) منهم ( قال عمر: يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته؟ فقالت: بلى. قال: ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث في النبوّة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة، وناشدتك الله هل تعلمين أن النبي ﷺ لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر. وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قربتم إليه طعاماً على مائدة فيها ارتفاع فشق عليه ذلك حتى تغير لونه، ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض. وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها، فلما استيقظ قال: « منعتموني قيام الليلة بهذا العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها » وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يضع قميصه فيغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة، وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ صنعت له امرأة من بني ظفر )

الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك؟ فما زال يقول حتى أبكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج، وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال: كان لي صاحبان سلكا طريقاً، فإن سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما؟ وإني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلّي أدرك معهما عيشهما الرغيد.

---

قبيلة من الأنصار **(كساءين إزاراً ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه على عنقه فصلى كذلك، فما زال)** عمر **(يقول)** لها من هذا الجنس **(حتى أبكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج)**. قال العراقي: لم أجده هكذا مجموعاً في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث، فروى البزار من حديث ابن عمران بن حصين قال: ما شبع رسول الله ﷺ وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لحق بربه، وفيه عمرو بن عبيد العذري متروك الحديث. وللترمذي من حديث عائشة: ما شبع من طعام فما أشاء أن أبكي إلا بكيت قلت: لم؟ قلت: أذكر الحال التي فارق رسول الله ﷺ عليها الدنيا، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم. قال: حديث حسن. وللشيخين من حديثها: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعاً حتى قبض. وللبخاري من حديث أنس: كان لا يأكل على خوان الحديث، وتقدم في آداب الأكل، وللترمذي في الشمائل من حديث حفصة انها سئلت ما كان فراش النبي ﷺ؟ قالت: مسح نثنيه بثنيتين فينام عليه الحديث. ولابن سعد في الطبقات من حديث عائشة أنها كانت تفرش للنبي ﷺ عباءة باثنتين الحديث. وتقدما في آداب المعيشة. وللبزار من حديث أبي الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ لا ينخل له الدقيق ولم يكن له إلا قميص واحد، وفيه سعيد بن ميسرة كذبه القطان، وضعفه البخاري. ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت صلّى في شملة قد عقد عليها زاد الغطريقي في جزئه المشهور فعقدها في عنقه ما عليه غيرها واسناده ضعيف وتقدم في آداب المعيشة.

**(وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر)** رضي الله عنه **(وهو انه قال: كان لي صاحبان سلكا طريقاً فإن سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما وإني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما العيش الرغيد)**.

أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا سليمان بن خالد، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا زكريا بن محمد، أخبرنا محمد بن الحسين بن أبي بكر المراغي، أخبرنا عبد الرحيم بن الحسين الحافظ، أخبرنا عبد الوهاب بن علي السبكي، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا جماعة قالوا: أخبرنا ابن اللتي، أخبرنا أبو الوقت، أنبأنا أبو الحسن المظفري، أنبأنا ابن أعين آنبأنا إبراهيم بن خزيم، حدثنا عبد بن حميد، حدثنا محمد بن بشر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أخيه، عن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لأبيها. قد

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: « لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا العباءة، وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم ».

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت

---

أوسع الله الرزق فلو أنك أكلت طعاماً ألين من طعامك ولبست ثوباً ألين من ثوبك. فقال: سأخاصمك إلى نفسك، فجعل يذكرها ما كان فيه رسول الله ﷺ وما كانت فيه من الجهد حتى أبكاها فقال: قد قلت لك أنه كان لي صاحبان سلكا طريقاً وإني إن سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما، وإني والله لأشاركنهما في مثل عيشهما لعلي أن أدرك معهما عيشهما الرخي. وكذلك رواه النسائي من طريق ابن المبارك عن إسماعيل.

ورواه يزيد بن هارون عن إسماعيل عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال، قالت حفصة لعمر: يا أمير المؤمنين لو لبست ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو ألين من طعامك فقد وسع الله الرزق وأكثر من الخير فقال: إني سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها: أما والله إن قلت ذلك لك إني والله لئن استطعت لاشاركهما بمثل عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي. هكذا رواه أحمد في الزهد عنه، ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه، ورواه معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد أن حفصة وابن مطيع وابن عمر كلموا عمر فقالو: لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق، قال: أكلكم على هذا الرأي؟ قالوا: نعم. قال: قد علمت أنه ليس منكم إلا ناصح ولكن تركت صاحبي على جادة فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل. قال: وأصاب الناس سنة فما أكل عامئذ سمناً ولا سميناً.

**( وعن أبي سعيد الخدري )** رضي الله عنه، **( عن النبي ﷺ انه قال « لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا العباء، وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان أحب إليهم من العطاء إليكم » )** قال العراقي: رواه ابن ماجه باسناد صحيح في أثناء حديث أوله: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك الحديث دون قوله « وان كان أحدهم ليبتلى بالقمل » اهـ.

قلت: وروى أحمد باسناد صحيح ان كان النبي من أنبياء الله ليعرى حتى ما يجد ما يواري به عورته إلا العباءة يدرعها.

**( وعن ابن عباس )** رضي الله عنه، **( عن النبي ﷺ قال « لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من المزال » )** أي كان غالب طعامه من بقول الأرض

خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال؛ فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة.

وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: لما نزل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ ولا يُنفِقُونها في سبيل الله﴾ [التوبة: ٣٤] قال ﷺ: «تباً للدنيا تباً للدينار والدرهم» فقلنا: يا رسول الله نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأي شيء ندخر؟ فقال ﷺ: «ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته».

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث: هماً لا يفارق قلبه أبداً، وفقراً لا يستغني أبداً، وحرصاً لا يشبع أبداً».

---

زهداً في الدنيا حتى ترى خضرتها في جلدة بطنه، **(فهذا ما كان اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة)** فيقتضي أن ما اختاروه هو أعلى الدرجات وأفضل المقامات.

**(وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ قال ﷺ: «تباً للدنيا تباً للدينار والدرهم» فقلنا: نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأي شيء ندخر؟ فقال ﷺ: «ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته»)** رواه الترمذي وابن ماجه دون قوله «تبا للدينار والدرهم» وتقدم في النكاح وفي ذم الدنيا. قال العراقي: وهو من حديث ثوبان، وإنما قال المصنف: إنه حديث عمر لأن عمر هو الذي سأل النبي ﷺ أي المال نتخذ كما في رواية ابن ماجه، وكما رواه البزار من حديث ابن عباس.

**(وفي حديث حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنه **(عن رسول الله ﷺ)** قال: **(«من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث: هماً لا يفارق قلبه أبداً، وفقراً لا يستغني** به أبداً، **وحرصاً لا يشبع أبداً»)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: لم أجده من حديث حذيفة، وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن «من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث: شقاء لا ينفد عناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه» وفي آخره زيادة انتهى.

قلت: وتلك الزيادة «فالدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه» ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية من طريقه، ورواه ابن عساكر عن شعيب بن صالح قال عيسى بن مريم عليه السلام: والله ما

وقال النبي ﷺ : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ، وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته » .

وقال المسيح ﷺ : « الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . وقيل له : يا نبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتاً نعبد الله فيه ؟ قال : اذهبوا فابنوا بيتاً على الماء ، فقالوا : كيف يستقيم بنيان على الماء ؟ قال : وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا ؟

---

سكنت الدنيا في قلب عبد إلاَّ التاط قلبه منها بثلاث : شغل لا ينفك عناه ، وفقر لا يدرك غناه ، وأمل لا يبلغ منتهاه ثم ساقه بتلك الزيادة .

**( وقال ﷺ : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ، وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته » )** قال صاحب القوت : رويناه مرسلاً عن علي بن معبد عن علي بن أبي طلحة قال ، قال رسول الله ﷺ فساقه . قال العراقي : لم أجد له إسناداً ، وذكره صاحب الفردوس من رواية علي بن أبي طلحة مرسلاً « لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن يعرف في ذات الله أحب إليه من أن يعرف في غير ذات الله » ولم يخرجه ولده في مسنده ، وعلي بن أبي طلحة أخرج له مسلم . وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسلة والحديث إذاً معضل .

**( وقال المسيح عليه السلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها )** هذا قد رواه صاحب الفردوس من حديث ابن عمر إلا أنه قال : قنطرة الآخرة ولم يذكر له سنداً . وأما قول عيسى عليه السلام فأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهيب قال : بلغني أن عيسى عليه السلام قال ، قبل أن يرفع : يا معشر الحواريين إني قد كببت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فإنه لا خير في دار قد عصي الله فيها ، ولا خير في دار لا تدرك الآخرة إلا بتركها فاعبروها ولا تعمروها . وأخرجه ابن عساكر عن يحيى بن سعيد قال : كان عيسى عليه السلام يقول : أعبروا الدنيا ولا تعمروها وهو في القوت بلفظ : الدنيا قنطرة يعبر عليها إلى الآخرة والباقي سواء . **( وقيل له : يا نبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتاً نعبد الله فيه . قال : اذهبوا فابنوا بيتاً على الماء ، فقالوا : وكيف يستقيم بنيان على الماء ؟ قال : وكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا )** . قال صاحب القوت : ورويناه بمعنى آخر قالوا : انا نريد أن نبني بيتاً نجتمع فيه نتعبد ونتدارس فاختر لنا موضعاً نبني فيه . فقال : تعالوا فمشوا معه فوقف على قنطرة فقال : ابنوا ههنا . فقالوا : نبني على قنطرة وهي مدرجة للناس لا يدعونا فيها . فقال : كذلك الدنيا مدرجة الموتى وأنتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها انتهى .

وروى أحمد في الزهد عن سفيان الثوري قيل لعيسى عليه السلام : الا تبني بيتاً ؟ قال : ابني على طريق السبيل .

**وقال نبينا ﷺ: « إن ربي عز وجل عرض عليَّ أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك ».**

**وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم يمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي ﷺ: « يا جبريل، والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدّة من السماء أفظعته، فقال رسول الله ﷺ: « أمر الله القيامة أن تقوم »؟ قال: لا، ولكن هذا إسرافيل عليه السلام قد نزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل فقال: إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت، وإن شئت نبياً ملكاً، وإن شئت نبياً عبداً. فأومأ إليه جبريل أن تواضع لله فقال: « نبيا عبداً » ثلاثاً.**

---

**( وقال نبينا ﷺ: « إن ربي عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً. قلت: لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك » )** رواه أحمد والترمذي وابن سعد والطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة، وقد تقدم في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق. وفي القوت: والفقر اختيار رسول الله ﷺ عن حسن اختيار الله لما خيره من أن يجري له الأودية مالاً ويجعل له ذهباً وفضة ولا ينقصه ذلك من درجته عند الله شيئاً، فاختار بحسن توفيق الله وعصمته له الأحب إلى الله والأخير عند الله، إذا قد ضمن له إن أعطاه لا ينقصه فلم يبق إلا محبة الله فكانت آثر عنده من ترك نقيضه فقال « لا حاجة لي بذلك بل أجوع يوماً وأشبع يوماً أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت ».

**( وعن ابن عباس )** رضي الله عنه، **( قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم يمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي ﷺ: « والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفظعته، فقال رسول الله ﷺ: أمر الله القيامة أن تقوم؟ قال: لا. ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل إليك حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال: إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن تسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة وإن شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً )** فرفع رأسه إلى جبريل كأنه يستشيره، **( فأوحى إليه جبريل أن تواضع لله، فقال: )** بل **( نبياً عبداً » ثلاثاً )** قد تقدم في

وقال ﷺ : « إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه » .

وقال ﷺ لرجل: « ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » .

وقال صلوات الله عليه: « من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا » ، وقال ﷺ : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن خاف من النار لها عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » .

---

ذم الكبر مختصراً . **( وقال ﷺ : « إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه » )** . قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس دون قوله « ورغبه في الآخرة » وزاد « فقهه في الدين » وإسناده ضعيف جداً انتهى.

قلت: لفظ الديلمي « إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره عيوبه » . ورواه كذلك البيهقي في الشعب، ورواه البيهقي أيضاً عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً .

**( وقال ﷺ : « ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » )** رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد ، ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمرو قد تقدم. وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس « ازهد في الدنيا يحبك الله، وأما الناس فانبذ إليهم هذا فيحبونك » وقد تقدم أيضاً .

**( وقال ﷺ : « من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا » )** قال العراقي: لم أجد له أصلاً .

قلت: بل له أصل أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي بلفظ « من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيراً وكشف عنه العمى » .

قال: حدثنا أبو ذر محمد بن الحسين بن يوسف الوراق، حدثنا محمد بن الحسين بن حفص، حدثنا علي بن حفص العبسي، حدثنا نصير بن حمزة، عن أبيه، عن جعفر بن محمد ، عن محمد بن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ فساقه.

**( وقال ﷺ : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن خاف من النار لها عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » )** قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث علي انتهى.

ويروى عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام: «**أربع لا يدركن إلا بتعب: الصمت** وهو أول العبادة، والتواضع، وكثرة الذكر، **وقلة الشيء**»، **وإيراد جميع الأخبار الواردة** في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن، **فإن الأنبياء ما بعثوا إلا لصرف الناس عن** الدنيا إلى الآخرة، وإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق، **وفيما أوردناه كفاية والله** المستعان.

**وأما الآثار**؛ فقد جاء في الأثر: لا تزال لا إله إلا الله **تدفع عن العباد سخط الله عز** وجل ما لم يسألوا ما نقص من دنياهم. وفي لفظ آخر: **ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على** دينهم، **فإذا فعلوا ذلك** وقالوا لا إله إلا الله **قال الله تعالى: كذبتم، لستم بها صادقين**.

---

قلت: وكذلك البيهقي وتمام وابن عساكر وابن النجار مرفوعاً من حديثه، وأما صاحب الحلية فأورده من طريق خلاس بن عمرو عنه مرفوعاً بلفظ «وللصبر أربع شعب: الشوق والشفقة والزهادة والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات» قال: ورواه كذلك الاصبغ بن نباتة عن علي مرفوعاً، ورواه الحارث عن علي موقوفاً مختصراً، ورواه قبيصة بن جابر عن علي من قوله، ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله.

**(ويروى عن نبينا، وعن المسيح صلى الله عليهما وسلم: «أربع لا يدركن إلا بعجب؛ الصمت وهو أول العبادة، والتواضع، وكثرة الذكر، وقلة الشيء»)** قال العراقي: رواه الطبراني والحاكم من حديث أنس وقد تقدم انتهى.

قلت: ذكر في كتاب الصمت، ورواه البيهقي أيضاً وصححه الحاكم وتعقب، ورواه ابن عساكر عن أنس مرفوعاً. ويروى «لا يصبن إلا بعجب» وفي رواية «وذكر الله» بدل «وكثرة الذكر». وأما قول عيسى عليه السلام: فرواه ابن أبي الدنيا في الصمت.

**(وايراد جميع الاخبار الواردة في بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن)** لكثرتها **(فإن الأنبياء)** عليهم السلام **(ما بعثوا إلا لصرف وجوه الناس عن)** حب **(الدنيا الى الآخرة، فإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق)** لمن تتبع السياق، **(وفيما أوردناه كفاية والله المستعان)**.

**(وأما الآثار؛ فقد جاء في الأثر لا تزال)** كلمة **(لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله)** أي غضبه **(ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم)** بسلامه دينهم. **(وفي لفظ آخر: ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم، فإن فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى: كذبتم لستم بها صادقين)**. وفي لفظ آخر: فإذا قالوها ردت عليهم أو رد المصنف هذا في الآثار على أنه ليس

**وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: تابعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا.**

**وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين: أنتم أكثر أعمالاً واجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا خيراً منكم. قيل: ولم ذلك؟ قال: كانوا أزهد في الدنيا منكم.**

**وقال عمر رضي الله عنه: الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد.**

---

بمرفوع متصل وليس كذلك، بل روي ذلك من حديث زيد بن أرقم «لا تزال لا إله إلا الله تحجب غضب الرب عن الناس ما لم يبالوا ما ذهب من دينهم إذا صلحت لهم دنياهم، فإذا قالوها قيل كذبتم لستم من أهلها» رواه ابن النجار في تاريخه. وروى الحاكم في تاريخه من رواية أبان عن أنس رفعه «لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها حتى يستخفوا بحقها، والاستخفاف بحقها أن يظهر العمل بالمعاصي فلا ينكروه ولا يغيروه».

**(وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال: تابعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا)** ولفظ القوت: تابعنا الأعمال كلها بعضها على أثر بعض، لم نر أبلغ في أمر الآخرة من زهادة في الدنيا.

**(وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين)** أي للصدر الأول منهم لما رأوا شدة اجتهادهم في العبادة: **(أنتم أكثر أعمالاً واجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ و)** هم **(كانوا خيرا منكم. قيل: ولم ذاك؟ قال: كانوا أزهد في الدنيا منكم)**. نقله صاحب القوت قال: وكذلك قال أبو الدرداء لما وصف الأبدال فذكر قلوبهم ومواجيدهم وعلم اليقين منهم وأحوال الصديقين فيهم فقال له صاحبه: والله ما سمعت صفة أحسن من هذه ولا أعجب إليّ منها، فكيف لي أن أكون من أهلها؟ فقال: يا ابن أخي ما بينك وبين أن تكون من أوسطهم أو في أوسطها حالاً إلا أن تزهد في الدنيا، فبقدر زهدك فيها وبغضك لها يدخل حب الآخرة والرغبة والروح في قلبك، وبقدر ذلك يحبك ربك.

قلت: والمراد ببعض الصحابة هو عبد الله بن مسعود قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: أنتم أكثر صلاة وصياماً واجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيراً منكم. قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: هم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

**(وقال عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه: الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد)** وهذا

وقال بلال بن سعد كفى به ذُنباً أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها.

وقال رجل لسفيان: اشتهي أن أرى عالماً زاهداً، فقال: ويحك. تلك ضالة لا توجد.

وقال وهب بن منبه: إن للجنة ثمانية أبواب، فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون: وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنة.

وقال يوسف بن اسباط رحمه الله: إني لأشتهي من الله ثلاث خصال: أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون عليَّ دين، ولا على عظمي لحم فأعطي ذلك كله.

وروي أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها، وأرسل إلى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه: قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل

---

قد روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة رواه ابن لال في مكارم الأخلاق ولفظه «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تتعب القلب والبدن».

(وقال بلال بن سعد) ابن تميم الأشعري أو الكندي أبو عمرو أو أبو زرعة الدمشقي ثقة عابد فاضل مات في خلافة هشام، روى له البخاري في كتاب الأدب، وأبو داود في كتاب القدر والنسائي: (كفى به ذنباً أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها) نقله صاحب القوت عن بعض السلف. قال: والآخر يقول كفى من الذنوب التي لا نقتر منها ولا نتوب حبنا للدنيا ولأبنائها.

(وقال رجل لسفيان) الثوري: (اشتهي أن أرى عالماً زاهداً) في الدنيا (فقال: ويحك تلك ضالة لا توجد) رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى: (للجنة ثمانية أبواب، فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون) أي الملائكة الموكلون بالأبواب (يقولون: وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل) الناس كلهم (إلا الزاهدين في الدنيا والعاشقين في الجنة) أي المحبين لها.

(وقال يوسف بن أسباط) الشيباني رحمه الله تعالى: (إني لأشتهي من الله ثلاث خصال: أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون عليَّ دين ولا على عظمي لحم فأعطي ذلك كله) ترجم له أبو نعيم في الحلية وهو من أقران حذيفة المرعشي.

(وروي أن بعض الخلفاء) من بني العباس (أرسل إلى الفقهاء بجوائز) أي عطايا (فقبلوها، وأرسل إلى الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه): يا ابتاه (قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه) أي من الخصاصة، (فبكى

وقال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها، فلما هرمت ذبحوها لأجل أن ينتفعوا بجلدها، وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني، موتوا يا أهلي جوعاً خير لكم من أن تذبحوا فضيلاً.

وقال عبيد بن عمير: كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر، وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدّخر لغد، أينما أدركه المساء نام.

---

الفضيل وقال: **أتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت )** أي اسنت وعجزت عن العمل **( قيل: ألا تنتفعون بجلدها، وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني. موتوا يا أهلي جوعاً خير لكم من أن تذبحوا فضيلاً )** رواه أبو نعيم في الحلية نحوه في قصة طويلة قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا أبو عمر الجرمي النحوي، حدثنا الفضل بن الربيع قال: حج أمير المؤمنين - يعني هارون الرشيد - فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت لي أتيتك. فقال لي: ويحك قدحك في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله، فذكر لقيه لجماعة من الفقهاء منهم: سفيان بن عيينة، وعبد الرزاق بن همام وأنه أعطاهما الجوائز، ولقي الفضيل ابن عياض فذكر قصة طويلة تقدم بعضها في وعظ العلماء الملوك، وذكر وعظه له وفيه: فبكى هارون وقال: له عليك دين؟ قال: نعم دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل إن ساءلني وناقشني. قال: إنما أعني من دين العباد هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادتك، فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت قال: فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرحنا به؟ فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه.

**( وقال عبيد بن عمير )** بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي القاص من كبار التابعين مجمع على ثقته، روى له الجماعة: **( كان المسيح عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد أينما أدركه المساء نام )** روى ابن عساكر نحوه عن مجاهد ولفظه: كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يخبأ اليوم لغد ويبيت حيث آواه الليل، لم يكن له ولد فيموت ولابيت فيخرب. ورواه أحمد في الزهد عن سفيان: كان عيسى عليه السلام لا يخبأ عشاء لغداء ولا غداء لعشاء يقول: مع كل يوم وليلة رزقها، ليس له بيت يخرب. وروى ابن عساكر عن كعب أن عيسى عليه السلام كان يأكل الشعير ويمشي على رجليه ولا يركب الدواب ولا يسكن البيوت ولا يصطبح بالسراج ولا يلبس القطن ولم يمس النساء ولم يمس الطيب ولم يمزج شرابه بشيء قط ولم يبرده ولم يدهن رأسه قط، ولم يجعل بين الأرض وجلده شيئاً قط إلا لباسه، ولم يهتم لغداء قط ولا لعشاء قط، ولا اشتهى شيئاً من شهوات الدنيا.

وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم: هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بدّ لنا من الطعام والثياب والحطب! فقال لها أبو حازم: من هذا كله بدّ، ولكن لا بدّ لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار.

وقيل للحسن: لم لا تغسل ثيابك؟ قال: الأمر أعجل من ذلك.

وقال ابراهيم بن أدهم: قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية: فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب. الفرح بالموجود، والحزن على المفقود، والسرور بالمدح، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل.

---

(**وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم**) مسلمة بن دينار الأعرج المدني التابعي العابد الفقيه: (**هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بدّ لنا من الطعام والثياب والحطب، فقال أبو حازم: من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم إلى الجنة أو النار**).

(**وقيل للحسن**) البصري رحمه الله تعالى وقد رؤي عليه ثوب وسخ: (**لم لا تغسل ثيابك؟ قال: الأمر أعجل من ذلك**) نقله صاحب القوت.

(**وقال إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى: (**قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترتفع هذه الحجب**). الأول: (**الفرح بالموجود، و**) الثاني: (**الحزن على المفقود، و**) الثالث: (**السرور بالمدح، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص**) والحريص محروم، (**وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل**) نقله صاحب القوت. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو عمر وعثمان بن محمد العثماني، حدثنا العباس بن أحمد الرملي، عن بعض أشياخه قال: قال إبراهيم بن أدهم: على القلب ثلاثة أغطية: الفرح والحزن والسرور، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم وساقه إلى آخره كسياق صاحب القوت، ثم قال: ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣] ثم قال صاحب القوت: وهذان الوصفان هما أتم حالاً من الزهد من أعطى أحدهما تبعه الآخر، لأن الذي لا يأسى على ما فاته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما أتاه منها لأنه مثله، والذي لا يفرح بما أتاه منها هو الذي لا يحزن على ما فاته منها إذ هو نحوه، والأسى على المفقود بعد الفرح بالموجود، وهذان الوصفان هما ثمرة اليقين بما أمر به من ستر النصيب في الكتاب المبين ومشاهدة التوفية للنصيب لا محالة مع الزهد لقوله تعالى: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ [الأعراف: ٣٧] ثم أحكمه وفرغ منه لقوله تعالى: ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ [هود: ١٠٩] وكذلك كان أول الخبر عن فقد

**وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً.**

**وقال بعض السلف: نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف إلينا، وكأنه التفت إلى معنى قوله ﷺ: «إن الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه» فإذا فهم هذا علم أن النعمة في المنع المؤدي إلى الصحة أكبر منها في الإعطاء المؤدي إلى السقم.**

**وكان الثوري يقول: الدنيا دار التواء لا دار استواء، ودار ترح لا دار فرح، من**

---

الأسى على الفوت وترك الوجد بالفرح على ما لا يفوت، فأول الكلام قوله: ﴿ما أصابكم من مصيبة في الأرض﴾ فهذا المنفصل عن النفس ﴿ولا في أنفسكم﴾ وهذا المتصل بالجسم ﴿إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ نخلق النفس والمصيبة معاً ثم عقبه بقوله: ﴿لكيلا تأسوا﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣] على الفوات فيقطعكم الحزن عن المغيب ولا تفرح بما لك بما قد كتب في الكتاب، فيشغلك السبب عن ولي الأسباب، وهذا وصف عبد غير متملك لملك وسيما عبد قائم بحكم رب ونعت عبد موقن محب قد شغلته مشاهدة الآخرة عن التفرغ لمتعة الدنيا، وقد فرغته، معاينة الغيب عن الإشتغال بما يغني والله أعلم.

**(وقال ابن مسعود)** رضي الله عنه: **(ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً)** رواه مسروق عنه كما في القوت.

قلت: وقد روي نحوه مرفوعاً من حديث أنس: «ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط» رواه أبو نعيم. وروى ابن النجار عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده: «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم» وروى الشيرازي في الألقاب من طريق مالك بن دينار عن الحسن عن أنس عن علي رفعه: «ركعتان من عالم بالله خير من اسلف ركعة من متجاهل بالله».

**(وقال بعض السلف: نعمة الله علينا فيما صرف عنا)** من الدنيا **(أكثر من نعمته)** علينا **(فيما صرف إلينا)** نقله صاحب القوت، **(وكأنه التفت إلى معنى قوله ﷺ: «إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه»)** رواه أحمد، وابن عساكر من حديث محمود بن لبيد. ورواه الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري، وقد تقدم. وكان الفضيل يمثل حال المؤمن في الدنيا بالطفل مع أمه يقول: إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا ويعلله عنها ويمررها عليه مرة بالجوع ومرة بالعرى ومرة بالحاجة والغم والكروب، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها تعلله مرة تسقيه صبراً ومرة حضضاً ومرة تجرعه ألوان الأشربة والأغذية تريد بذلك ما هو خير له من حيث لا يعلم، **(وإذ فهم هذا علم أن النعمة في المنع المؤدي إلى الصحة أكثر منها في الإعطاء المؤدي إلى السقم)**.

**(وكان)** سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالى **(يقول: الدنيا دار التواء)** أي الهلاك **(لا**

**عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء.**

**وقال سهل: لا يخلص العمل المتعبد حتى لا يفزع من أربعة أشياء: الجوع والعرى، والقر، والذل.**

**وقال الحسن البصري: أدركت أقواماً وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب. كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً، ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم. كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك، ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه.**

---

**دار استواء)** أي اعتدال وإقامة، **(ودار ترح)** أي تعب وحزن **(لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء)** أي بسعة **(ولم يحزن على شقاء)** أي الضيق والتعب كذا في القوت.

**(وقال)** أبو محمد **(سهل)** التستري رحمه الله تعالى: **(لا يخلص العمل المتعبد حتى لا يفزع)** أي لا يجزع ولا يخاف **(من أربعة أشياء: الجوع والعرى والفقر والذل)** نقله صاحب القوت. ولفظه: لا يصح التعبد لأحد ولا يخلص له عمله حتى لا يجزع ولا يفر من أربعة أشياء والباقي سواء.

**(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(أدركت أقواماً وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا)** إذا **(أقبل)** عليهم، **(ولا يأسفون على شيء منها)** إذا **(أدبر)** عنهم، **(ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب)** فضلاً عن أن تكون مساوية له. **(كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة)** أو أقل أو أكثر **(لم يطوله ثوب، ولم تنصب له قدر، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً)** سوى الثوب الذي على جسده **(ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط)** وإنما يأكل كل ما وجد وتيسر، **(فإذا كان الليل فقيام على أقدمهم)** في العبادة **(يفترشون وجوههم)** تذللاً **(تجري دموعهم على خدودهم)** تخوفاً، **(يناجون ربهم في فكاك رقابهم)** من النار، **(كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها)** حيث أنعم الله عليهم بها **(وسألوا الله أن يقبلها)** منهم، **(وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم، فلم يزالوا على ذلك)** الحال والدؤب **(ووالله ما سلموا)** مع ذلك **(من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه)** والله الموفق.

## بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه، وإلى المرغوب عنه، وإلى المرغوب فيه:

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوّته على درجات ثلاث:

**الدرجة الأولى:** وهي السفلى منها: أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة، ولكنه يجاهدها ويكفها، وهذا يسمى المتزهد، وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد، والمتزهد يذيب أولاً نفسه ثم كيسه والزاهد أولاً يذيب كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر على ما فارقه؛

---

### بيان درجات الزهد وأقسامه وذلك بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه:

**(اعلم)** وفقك الله تعالى **(أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاثة)** وهي درجات الزاهد في بدايته.

**(الدرجة الأولى: وهي السفلى منها: أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة، ولكنه يجاهد ويكفها)** ويجنبها الأسباب التي ذكرناها مع قصر الأمل، **(وهذا يسمى المتزهد)** وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من التقلل ورثاثة الحال في كل شيء، فمثله مثل الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصابرها على العلم والبر فيكون له مقام من الصبر، **(وهو)** أي الزهد بالمعنى المذكور **(مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والإجتهاد)**. قال صاحب القوت: إن العبد قد جاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى، وكما يجاهدها في الصبر على مر الحق بأن يخرج المرغوب وينفق المحبوب ويتصبر على كراهة النفس لذوق ذلك ولقلة عادته بجريانه عليه كما يتصبر على ذوق مرارة الدواء خشية أن يقتله الداء فيكون له مقام في الزهد ينال به البر ويستوجب مدحاً فيه، وقد قال بعض البصريين من أهل المعرفة: إن من أكره نفسه على إخراج المحبوب من ماله وحمل عليها بالزهد فيه حتى بذله على تكره من النفس أن هذا أفضل ممن سمحت له نفسه ببذل ماله طوعاً من غير كراهة ولا وجد ثقل قالوا: الفضل المجاهدة فيه ولكراهة النفس وإكراهها اهـ.

**(والمتزهد)** غير الزاهد فإن المتزهد **(يذيب أولاً نفسه)** بأن يجاهدها على الزهد **(ثم كيسه)** بإخراج المرغوب منه، **(والزاهد أولاً يذيب كيسه)** بإخراج المحبوب من اليد في سبيل المطلوب **(ثم يذيب نفسه في الطاعة)** ويوطنها عليها **(لا في الصبر على ما فارقه)**، وهذا من قول أبي حاتم الأصم الزاهد يذهب كيسه قبل نفسه، والمتزهد يذهب نفسه قبل كيسه نقله

والمتزهد على خطر، فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير.

**الدرجة الثانية:** الذي يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه، كالذي يترك درهماً لأجل درهمين، فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل، ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت إليه، كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجباً بنفسه ويزهده، ويظن في نفسه أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه وهذا أيضاً نقصان.

**الدرجة الثالثة:** وهي العليا؛ أن يزهد طوعاً ويزهد في زهده فلا يرى زهده؛ إذ لا يرى أنه ترك شيئاً، إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة، فلا يرى ذلك معاوضة، ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً، والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خزفة بالإضافة إلى جوهرة، فهذا هو الكمال في الزهد.

---

القشيري. **( والمتزهد على خطر )** لا يأمن على حاله، **( فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا والإستراحة بها في قليل أو كثير )**.

**( الدرجة الثانية: الذي يترك الدنيا طوعاً )** أي اختياراً وجعله طاعة مع القدرة **( لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهماً لأجل )** تحصيل **( درهمين، فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل، ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت إليه )** لأنه ترك شيئاً لشيء، **( كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجباً بنفسه وبزهده، ويظن أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه وهذا أيضاً نقصان )**.

**( الدرجة الثالثة: وهي العليا )** منها **( أن يزهد طوعاً )** أي اختياراً **( ويزهد في زهده، فلا يرى زهده إذ لا يرى أنه ترك شيئاً إذ عرف أن الدنيا لا شيء )** في الحقيقة، كما ورد في الخبر: إن الله تعالى يقول للدنيا يوم القيامة اسكتي يا لا شيء » **( فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً )** كما قال بعض الزاهدين لبعض العارفين: لم يبق عليَّ من الدنيا إلاّ مصّ النوى، فهذا يرى هذا بعيداً عن الرغبة فقال: يا هذا نظرك إلى مص النوى لزهدك هو بقية من الدنيا أراد منه نسيان ذلك بالزهد في زهده على ترك النظر إلى وصفه لما يستغرقه في الجريان عليه، فلا يبقى بغير مجريه ويكون بحكم المجرى فيه، فهذا مقام فوق الزهد متصل بغيره من القرب المصطلح. **( والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خزفة بالإضافة إلى جوهرة، فهذا هو الكمال في الزهد** وسببه كمال

وسببه كمال المعرفة، ومثل هذا الزهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا، كما أن تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الإقالة في البيع.

قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبي موسى عبد الرحيم: في أي شيء تتكلم؟ قال: في الزهد، قال: في أي شيء؟ قال: في الدنيا. فنفض يده وقال: ظننت أنه يتكلم في شيء الدنيا لا شيء، إيش يزهد فيها.

ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته، أفترى أنه

---

**المعرفة)** وإنما تتفاوت مراتب الزهد بتفاوت المعرفة، **(ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الإلتفات إلى الدنيا، كما أن تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الإقالة في البيع)** وفي القوت، وقال أبو سعيد بن الإعرابي عن أشياخه: إنما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من القلب إذ هي لا شيء، وهذا لعمري هو الزهد في الزهد لأنه زهد، ثم لم ينظر إلى زهده فزهد فيه إذا لم يره شيئاً لأنه زهد في لا شيء، وهذا يشبه ما يقال: إن حقيقة الزهد هو الزهد في النفس لأنه قد يزهد في الدنيا لنفسه طلباً للعوض، فيكون ذلك رغبة على صفة، فإذا زهد في النفس التي يريد لها الأعواض على الزهد فهو حقيقة الزهد، وهو يشبه قول من قال: إن حقيقة الزهد في الغنى هو الزهد في البقاء لأن العبد ربما زهد في الغنى ولم يزهد في البقاء، فيكون فيه بقية من الرغبة، فإذا زهد في البقاء فهو حقيقة الزهد في الغنى، إذ كان الغنى يراد للبقاء وإذ لا متعة بالبقاء بغير غنى.

**(قال أبو يزيد)** البسطامي وهو من أعلى الطوائف إشارة وأغلقهم عبارة **(لأبي موسى)** هارون بن سليمان الكوفي مولى عمرو بن حريت المخزومي، روى له أبو داود والترمذي والنسائي **(عبد الرحيم)** بن يحيى الأسود الأرموي الدمشقي: **(في أي شيء تتكلم؟ قال)** فقلت: **(في الزهد. قال)** أبو يزيد **(في أي شيء؟ قال)** فقلت: **(في الدنيا، فنفض يده)** وأعرض **(وقال: ظننت أنه يتكلم في شيء. الدنيا لا شيء إيش يزهد فيها؟)** أورده صاحب القوت ولفظه، ثم قال: يتكلم بالزهد في لا شيء، وأي شيء الدنيا حتى تذكر بالزهد فيها؟ ثم قال: وكانت رابعة رحمها الله تعالى من قبله إذا ذكر جلساؤها الدنيا تقول: نوهتم بالدنيا إذ تذكرونها أي قدر لها حتى نقطع الوقت بذكرها، ولكن من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

**(ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات)** العيانية **(والمكاشفات)** الربانية **(مثل من منعه من باب الملك كلب)** جاثم **(على بابه، فألقى إليه لقمة من خبز فشغله)** بها، **(ودخل الباب ونال القرب)** والإتصال **(من الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته. افترى أنه يرى لنفسه يداً عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في**

يرى لنفسه يداً عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة ما قد ناله؟ فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع، والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع، ثم يبقى ثقلها في المعدة، ثم تنتهي إلى النتن والقذر، ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك الثفل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها. ونسبة الدنيا كلها أعني ما يسلم لكل شخص منها وإن عمّر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا، إذ لا نسبة للمتناهي إلى ما لا نهاية له، والدنيا متناهية على القرب، ولو كانت تتمادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها إلى نعيم الأبد، فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية، فأي نسبة لها إلى نعيم الأبد، فإذاً لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما زهد فيه، ولا يلتفت إلى ما زهد فيه إلاَّ لأنه يراه شيئاً معتداً به، ولا يراه شيئاً معتداً به إلا لقصور معرفته، فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة، فهذا تفاوت درجات الزهد، وكل درجة من هذه أيضاً لها درجات، إذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت أيضاً باختلاف قدر المشقة في الصبر، وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته إلى زهده.

---

**مقابلة ما قد ناله)** من القرب؟ **(فالشيطان كلب)** جاثم **(على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول، مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع)** والإذن حاصل، **(والدنيا)** بأسرها **(كلقمة خبز إن أكلت فلذتها في حال المضغ)** فقط **(وتنقضي)** تلك اللذة **(على القرب بالإبتلاع، ثم يبقى ثفلها في المعدة، ثم ينتهي إلى النتن والقذر، ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك الثفل)** من كل وجه ولو بعلاج، **(فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها؟ ونسبة الدنيا كلها أعني ما يسلم منها لكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا، إذ لا نسبة للمتناهي إلى ما لا نهاية له، والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها إلى نعيم الأبد)** بوجه من الوجوه، **(فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية، فأي نسبة لها إلى نعيم الأبد؟ فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه لها أيضاً درجات إذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت أيضاً باختلاف قدر المشقة في الصبر، وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته إلى زهده)**.

ثم اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى ذكر للزاهد ثلاث درجات وهي أحواله في بدايته وبقيت عليه درجتان، فالمجموع خمسة.

**وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب فيه فهو أيضاً على ثلاث درجات:**

**الدرجة السفلى: أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر، ومناقشة الحساب، وخطر الصراط، وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار، إذ فيها « إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير**

---

**الأولى منها**: أن يزهد في رؤيته لزهده لعلمه بتوفيق الله ومنته ورؤية التوفيق واجبة، وهي من عقود الإيمان بالله ولله لترددها بين الصفات الذاتية والفعلية، وهكذا في كل حال قال الله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ [ النور: ٢١ ].

**الثانية منها**: وهو مقام العارفين والمقربين من الزهاد، وهو أن لا يكون له اختيار في إخراج الدنيا ولا في إدخارها لأنه إذا علم مراد الله في الإخراج أخرج، وإذا علم مراد الله في الإدخار ادّخر لأن بواعثه في الأدّخار والإخراج تهذبت وسكنت وصار عبداً مفقوداً لنفسه موجوداً لسيده، فصار كفه خزانة من خزائن الله كمحل الوديعة المنتظر بها قدوم مالكها عرفها وردها إليه والله أعلم.

**( وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب فيه فهو أيضاً على ثلاث درجات )**.

**( الدرجة السفلى: أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام، كعذاب القبر، ومناقشة الحساب، وخطر الصراط، وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال والشدائد، كما وردت به الأخبار )** وتقدم ذكرها في آخر قواعد العقائد. **( وفي الخبر: « إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة من الإبل عطاشا )** من الحمض **( على عرقه لصدرت رواء » )** قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن عباس: « التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير » الحديث وفيه: « إني احتبست بعدك محتبساً فظيعاً كريهاً ما وصلت إليك حتى سال مني العرق ما لو ورده ألف بعير كلها آكلة حمض لصدرت عنه رواء » وفيه دويد غير منسوب يحتاج إلى معرفة. قال أحمد: هذا حديث منكر اهـ.

قلت: بقية الحديث بعد قوله: « ومؤمن فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال: « أي أخي ماذا حبسك والله لقد احتبست حتى خفت عليك »؟ فقال: أي أخي إني حبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً ما وصلت إليك حتى سال مني من العرق » ثم ساق الحديث. قول العراقي: نقلاً عن أحمد هذا حديث منكر يظهر في بادىء الرأي أنه قاله في المسند، وليس كذلك بل ذكره عنه الخلال في العلل وليس هو في المسند نبه عليه

عطاشاً على عرقه لصدرت رواء » فهذا هو زهد الخائفين، وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا، فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم.

**الدرجة الثانية:** أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها، وهذا زهد الراجين؛ فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم، بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له.

**الدرجة الثالثة:** وهي العليا. أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه، فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها، بل هو مستغرق الهم بالله تعالى، وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد، وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى؛ لأن من طلب غير الله فقد عبده، وكل مطلوب معبود، وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه، وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه، وكما أن من عرف

---

الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى. وروى الطبراني من حديث ابن مسعود: « إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول: رب أرحني ولو إلى النار ». **( فهذا أزهد الخائفين، وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم )** لأن احتباس الغني إنما كان لسبب غناه.

**( الدرجة الثانية: أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها، وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم، بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد )** قائم **( لا آخر له )**.

( الدرجة الثالثة: وهي العليا ) منها: **( أن لا تكون له رغبة إلا في الله ولقائه، فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها، بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد )**. وروى الحاكم من حديث ابن عمر: « من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة » الحديث وقد تقدم. **( وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله فقد عبده )** روى هناد في الزهد من حديث حذيفة: « من أصبح وأكبر همه غير الله فليس من الله في شيء **( وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا ازهد المحبين )**، وصاحب هذا المقام قد سباه الحسب وشغفه الشوق، فهو داخل في الخلق منفصل منهم غير مضيع لما ألزمه الله من حقوقهم فأنى لإبليس أن يطمع في هذا ومعه من الله عصمة وتأييد فلولا القدر لرفعه إليه من حبه له، **( وهم العارفون )** المتمكنون الداخلون مع الخلق بالأجسام، الخارجون بالقلوب واحدهم منقطع إلى ربه بهمه، ناظر إلى مولاه بنظره إليه بما

الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار ، فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن ، فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره ، ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم ، بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به ، والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك ، وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق .

وأما انقسامه بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ، ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الأقاويل ، ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل

---

تولاه فتوحد له بوصفه من حيث اتجه له واحدة بوجهه ، وتخلق له بخلقه ألبسه من نوره فيحجبه به عن خلقه فهو ظاهري باطني نبوي رباني ينظر بعين التعديل ، ظاهره حكمة وباطنه قدرة ، فهذا مقام زائد على حال الزهد وهي صفات ، فهذه الصفات يتحقق الموصوف بها بعد حقيقة زهده في الدنيا ، فهي ثمرة حب الله تعالى له عن فرع بغضه للدنيا عن أصل معرفته بمقت الله لها ، **( لأنه لا يحب الله خاصة إلا من عرفه )** إذ المحبة ثمرة المعرفة ، **( وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار )** لعزته ، **( فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار )** وجريان الأنهار من تحتها **( غير ممكن ، فلا يحب إلا لذة النظر )** إلى وجهه الكريم **( ولا يؤثر غيره )** عليها ، **( ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقي للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم ، بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والإستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى الإستيلاء على عصفور واللعب بـه والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب اللعب بالعصفـور التـارك للـذة الملـك ، وذلـك لقصوره عن إدراك لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الإستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق )** ، فهذا ما يتعلق بأقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب فيه .

**( وأما انقسامه بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل )** واختلف المشايخ فيه ، **( ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول )** رويت عنهم بالأسانيد المعتبرة **( فلا نشتغل بنقل تلك الأقاويل )** فإنه لا يفيد السالك في طريق الحق بل تشتبه عليه الأحوال بالأحوال فيقع

حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل. فنقول: المرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل، ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمل للجمل.

أما الإجمال في الدرجة الأولى؛ فهو كل ما سوى الله، فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضاً، والإجمال في الدرجة الثانية: أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرئاسة والمال والجاه وغيرها. وفي الدرجة الثالثة: أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس. وفي الدرجة الرابعة: أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه، وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب، إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها، كما أن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر. وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ

---

بذلك في حيرة وضلال، **(ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل فنقول: المرغوب عنه بالزهد إجمال وتفصيل، ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجل للجمل.**

**(أما الإجمال في الدرجة الأولى)** من الدرجات الثلاث: **(فهو)** أي المرغوب عنه **(كل ما سوى الله، فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضاً)** فإنه أيضاً مما سوى الله، **(والإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة)** أي بقاء لها وإمساك لقوتها **(وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها)** من كل ما تقتضيه النفس، **(وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع حظوظ النفس)** كما تقدم ذلك في ذم المال والجاه، **(وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم، إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه، وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب، إذ معنى الجاه)** كما سبق **(هو ملك القلوب والقدرة عليها كما أن بمعنى المال)** هو **(ملك الأعيان والقدرة عليها، فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه من الزهد عن الحصر. وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال)** تعالى: **(﴿زين للناس حب الشهوات من النساء**

حبّ الشَّهواتِ مَن النِّساءِ والبنينَ والقناطِيرَ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهب والفِضَّة والخَيْل المسوَّمة والأنْعَام والْحَرْثِ ذلِكَ متاعُ الحياة الدنيا﴾ [ آل عمران: ١٤ ] ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال عز وجل: ﴿اعلمُوا أنَّما الحياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكُم وتكاثُرٌ في الأموال والأولاد﴾ [ الحديد: ٢٠ ] ثم ردّه تعالى في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى: ﴿إنّما الحياة الدُّنيا لَعِبٌ ولهوٌ﴾ [ محمد ﷺ: ٣٦ ] ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر فقال: ﴿ونَهَى النَّفْسَ عن الهوى ★ فإن الجنَّة هي المأوى﴾ [ النازعات: ٤٠، ٤١ ] فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا، فينبغي أن يكون الزهد

---

**والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث﴾ ثم قال: ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾** ) فوصف حب الشهوات بالتزيين، ثم نسق الأوصاف السبعة على الحب لها، ثم أشار إليها بقوله: ﴿ذلك﴾ فذا إشارة إلى الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذلك والكاف للتمكين والتوكيد، فحصل من تدبر الخطاب أن هذه السبعة جملة الدنيا المرغوب عنها، وأن الدنيا هي هذه الأوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد إلى أصل من أصول هذه الجمل، فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب، ومن أحب أصلاً منها أو فرعاً من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام أن الشهوة دنيا، وفهمنا من دليله أن الحاجات التي تقع ضرورات ليست بدنيا، فإذا لم تكن الحاجة دنيا دّل أنها لا تسمى شهوة ( **ثم رده** ) أي مجموع هذه الأوصاف السبعة ( **في آية أخرى إلى خمسة** ) معان، ( **فقال تعالى: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾** ) فهذه الخمسة وصف من أحب تلك السبعة ( **ثم رده** ) أي مجموع تلك الخمسة ( **في موضع آخر** ) من كتابه العزيز ( **إلى** ) معنيين ( **إثنين** ) هما جامعان للسبعة، ( **فقال** ) تعالى: ( **﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ ثم رد الكل** ) من الموضعين ( **إلى** ) وصف ( **واحد في موضع آخر** ) من كتابه العزيز وعبّر عنه بمعنيين، فصارت الدنيا ترجع إلى شيئين جامعين مختصرين يصلح أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا، فالوصف الواحد الذي رد الإثنين إليه اللذان هما اللهو واللعب هو الهوى، وأنه رجعت السبعة فيه، ( **فقال** ) تعالى: ( **﴿ونهى النفس عن الهوى ★ فإن الجنة هي المأوى﴾** ) فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى: ﴿فأما من طغى ★ وآثر الحياة الدنيا ★ فإن الجحيم هي المأوى﴾ [ النازعات: ٣٧ - ٣٩ ] ( **فالهوى لفظ جامع يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا** ) إذ كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا، لأن النهي عنه ضد الإيثار له، فمن نهى نفسه عن الهوى فإنه لم يؤثر الدنيا، وإذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمن لم ينه نفسه عن الهوى بإيثاره الدنيا، فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وإيثاره في كل شيء ( **فينبغي أن يكون الزهد عنه** ) أي يكون الزهد عبارة عن

فيه، وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفارقه في الشرح مرة والإجمال أخرى.

فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها، ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة، لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء؛ فإنّ من أراد شيئاً أراد دوامه، ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة، فإذا رغب عنها لم يردها، ولذلك لما كتب عليهم القتال ﴿قالوا ربَّنا لِمَ كتبت علينا القِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرْتَنا إلى أجلٍ قريب﴾ [ النساء : ٧٧ ] فقال تعالى: ﴿قل متاعُ الدنيا قليل﴾ أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا، فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين. أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا إحدى الحسنيين، وكانوا إذا

---

مخالفة الهوى من كل شيء، **( وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض، وإنما يفارقه في الشرح مرة والإجمال أخرى )**، وأما المعنى الآخر الذي عبَّر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى فجعله دنيا أيضاً وهو حب البقاء لمتعة النفس، فقد أشار إليه المصنف بقوله:

**( فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها، ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة، لأنه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء، فإن من أراد شيئاً أراد دوامه، ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة، فإذا رغب عنها لم يردها )** واستنبط هذا المعنى من كلام الله تعالى كما أشار إليه المصنف بقوله: **( ولذلك لما كتب عليهم القتال )** أي فرض الجهاد في سبيل الله أخبر عنهم الله تعالى بقوله: **( وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ )** فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لأنه المشي بالسيف إلى السيف والفناء بين السيفين فقالوا: هلا أبقيتنا إلى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء، ففسر حب البقاء بأنه هو الدنيا، فقال تعالى: ( ﴿ **قل متاع الدنيا قليل** ) والآخرة خير لمن اتقى﴾ **( أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا )** فانكشف الناس، **( فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين )** بالإفتضاح وابتلي هنالك المؤمنون عند فرض القتال **( أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله )** كما أخبر عنهم الله تعالى في كتابه: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ أي مصطفين ( ﴿ **كأنهم بنيان مرصوص**﴾ ) [ الصف: ٤ ] في تراصهم من غير فرجة، والرص: اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه، **( وانتظروا إحدى الحسنيين )** مثنى الحسنى تأنيث الأحسن، كما قال تعالى: ﴿ تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾ [ التوبة: ٥٢ ]

دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه مبادرة الظمآن إلى الماء البارد حرصاً على نصرة دين الله أو نيل رتبة الشهادة، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة، حتى أن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول: كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز، فلما مات عدّ على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات، هكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وأما المنافقون، ففروا من الزحف خوفاً من الموت فقيل لهم: ﴿إن الموت الذي تفرّون منه فإنّهُ مُلاَقِيكم﴾ [الجمعة: ٨] فإيثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ﴿فأولئك الذين اشترُوا الضَّلالة بالهُدى فمَا ربحت

---

**(وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة)** ويرون الحور العين عياناً **(ويبادرون إليه)** أي إلى القتال **(مبادرة الظمآن)** في الهاجرة **(إلى الماء البارد حرصاً على نصرة دين الله)** لتكون كلمة الله هي العليا **(أو نيل رتبة الشهادة، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة)** لعلو رتبتها عندهم، **(حتى أن)** سيف الله أبا سليمان **(خالد بن الوليد)** بن المغيرة بن عبدالله المخزومي القرشي **(رضي الله عنه لما احتضر للموت على فراشه)** بالمدينة على الأصح أو بمدينة حمص على الأشهر **(كان يقول: كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز، فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات)** في سبيل الله. شهد غزوة مؤتة وكان الأمير الثالث، وأبلى في غزوة الفتح بلاء حسناً، ثم شهد حنيناً والطائف في هدم القرى واليرموك، وأسر أكيدر رومة، وقاتل أهل الردة قتالاً عظيماً، وافتتح دمشق.

قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا محمد بن عبيد، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى آل خالد قال: قال خالد عند موته: ما كان في الأرض ليلة أحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد. وروى أبو يعلى من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال، قال خالد: ما ليلة يهدى إليَّ فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إليَّ من ليلة شديدة الجليد فذكر نحوه. وقال ابن المبارك في كتاب الجهاد، عن حماد بن زيد، حدثنا عبدالله بن المختار، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، ثم شك حماد في أبي وائل قال: لما حضرت خالد الوفاة قال: لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهيلني ننتظر إلى صبح حتى نغير على الكفار.

**(وكذا كان حال الصادقين في الإيمان. وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفاً من الموت فقيل لهم: ﴿إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ فإيثارهم البقاء)** في الدنيا **(على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴿فأولئك الذين اشتروا الضلالة**

تِجَارَتهم وما كانوا مهتَدين﴾ [ البقرة: ١٦ ] وأما المخلصون، فإن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فلما رأوا أنهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلاً أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به، فهذا بيان المزهود فيه.

وإذا فهمت هذا علمت أن هذا ما ذكره المتكلمون في حدّ الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه أو على من كان يخاطبه،

---

**بالهدى)** يعني رغبوا في البقاء الأدنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخر الأعلى الأبقى إذ باعوه (**﴿فما ربحت تجارتهم﴾**) فمن اشترى ثلاثين سنة أو أربعين سنة بألف ألف وبأبد الآباد فكيف تربح تجارته (**وما كانوا مهتدين**) أي ممن هدى سبيله، فهذه تجارة من رغب في حياة دنية فاشتراها ببقاء أبد الآباد، فقد صار بائعاً للحياة الغالية بما استبدل به من اشتراء الحياة الدانية. (**وأما المخلصون: فإن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**) فهم لأنفسهم وأموالهم بائعون كما قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين﴾ [ التوبة: ١١١ ] الآية. (**فلما رأو أنهم تركوا تمتع عشرين سنة أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به**) كما قال تعالى: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ [ التوبة: ١١١ ] فشتان بين التجارتين وفرقان ما بين الربحين، (**فهذا بيان المزهود فيه**) فإذا كان حب البقاء هو الدنيا ينبغي أن يكون حب لقاء الله الباقي هو الزهد، فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء وصار الرغبة في البقاء مثل إتباع الهوى الذي هو الدنيا فمن زهد في الحياة الفانية للمتعة بها وفي ماله المجموع بالجهاد للنفس والإنفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا، ومن زهد فيها أحبه الله تعالى، ولذلك صار الجهاد من أفضل الأعمال لأنه حقيقة الزهد في الدنيا، ولأن الله يحب من زهد فيها بأنه قد قتل نفسه فيها فاستعجل الخروج إليه منها، ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لأنه هو حقيقة الرغبة في الدنيا، فالزاهد في هوى نفسه هو حبيب ربه، والراغب في حب البقاء لنفسه منافق في دين ربه، وبه كشف الله الكاذبين ووصفهم بمرض القلوب، وظهر مما ذكرنا أن حقيقة الدنيا هو حب البقاء لطاعة الهوى ومرافقة الهوى في حب العرض لأجل البقاء من الدنيا، فدخل أحد هذين في الآخر لأن حب البقاء لأجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الأمارة بالسوء وطاعة الهوى الذي هو عيش النفس إنما يكون لحب البقاء لأن العبد لو أيقن بالموت ساعة لآثر الحق على الهوى ولو أيس من البقاء لما رغب في العرض الأدنى، فصار حب البقاء من الهوى وصار إيثار الهوى إنما هو لحب البقاء فكان ذلك هو حقيقة الدنيا، فصار أقصر الناس أملاً للبقاء أزهدهم في الدنيا وصار أرغب الناس في الدنيا أطولهم أملاً.

(**وإذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره المتكلمون**) من الصوفية (**في حد الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه**) إذ كان مقاماً

**فقال بشر رحمه الله تعالى: الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة. وقال قاسم الجوعي: الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف، فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد، وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة، ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي المهيجة لأكثر الشهوات. وقال الفضيل: الزهد في الدنيا هو القناعة، وهذا إشارة إلى المال خاصة. وقال الثوري: الزهد هو قصر الأمل، وهو جامع لجميع الشهوات، فإن من يميل إلى الشهوات يحدّث نفسه بالبقاء فيطول أمله، ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها. وقال أويس: إذا خرج الزاهد يطلب**

---

له أقيم فيه أو حالاً له **( أو على من كان يخاطبه )** فخاطبه على قدر حاله أو مقامه، **( فقال بشر )** بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى: **( الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس )** وفي ملاقاتهم، إد الرغبة هي فيهم وفيما عندهم نقله صاحب القوت. وقال في موضع آخر: وكان بشر يقول: الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس لأنه كان يقول: حب لقاء الناس هو من الدنيا لأنه المرغوب فيه عندهم ويتسبب إليه بهم، فلذلك صار الزهد فقدهم، ولذلك قال بعض الحكماء: إذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه، وإذا هرب من الناس فاطلبه، وهذا هو حال الزاهد العابد المشغول بنفسه **( وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة )**، ومثله قول السري: مارست كل شيء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس فإني لم أبلغه ولم أطقه. رواه القشيري عن أبي عبدالله الصوفي، سمعت أبا الطيب السامري يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول فذكره.

**( وقال قاسم )** بن عثمان **( الجوعي )** الدمشقي منسوب إلى ربيعة الجوع، وقيل: كان يجوع كثيراً وقد سبق ذكره: **( الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد )**، فكأن الدنيا عنده هو الشبع وأكل الشهوات وتناول المطعوم من غير الحاجات عن فضول الكفايات نقله صاحب القوت. **( وهذا اشارة إلى الزهد في شهوة واحدة )** وهي شهوة البطن، **( ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي المهيجة لأكثر الشهوات )**.

**( وقال الفضيل )** بن عياض رحمه الله تعالى: **( الزهد هو القناعة )** وكانت الدنيا عنده هي الحرص والشره والضراعة وفي لفظ له: القناعة هي الزهد، **( وهذا إشارة إلى المال خاصة )**.

**( وقال )** سفيان **( الثوري )** رحمه الله تعالى: **( الزهد هو قصر الأمل )** وانتظار الموت، فصارت الدنيا عنده طول الأمل ونسيان قرب الأجل كذا في القوت. وقال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: حدثنا أحمد بن إسماعيل الأزدي، حدثنا عمران بن موسى الأسفنجي، حدثنا الدورقي، حدثنا وكيع قال، قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء اهـ وهو **( جامع لجميع الشهوات، فإن من يميل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله، ومن قصر أمله )** واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا **( فكأنه رغب**

ذهب الزهد عنه، وما قصد بهذا حدّ الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد. وقال أويس أيضاً: الزهد هو ترك الطلب للمضمون، وهو إشارة إلى الرزق، وقال أهل الحديث: الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول، والزهد إنما هو اتباع العلم ولزوم السنة، وهذا إن أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح، ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات، فإن من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة، وقد طوّلوها حتى ينقضي عمر الإنسان في

---

**عن الشهوات كلها )**، وقد روي مثل قول سفيان أيضاً عن أحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهما. قال القشيري: وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والأسباب الباعثة والمعاني الموجبة له.

**( وقال أويس )** بن عامر **( القرني )** رحمه الله تعالى وهو سيد التابعين في قول لرجل سأله عن الزهد: **( إذا خرجت تطلب )** أي الرزق **( ذهب الزهد )**. ولفظ القوت: إذا خرج العبد يطلب ذهب الزهد، وقال مرة لبعض من سأله عن الزهد: في أي شيء خرجت؟ فقال: أطلب المعاش، فقال له: فأين الزهد؟ يعني أن الزهد عنده أن يقطع العبد بدوام الشغل بالله عن التفرغ بطلب ما سوى الله، وأن ينسى في جنب ذكر الله ترك الطلب شغلاً مما يرد عليه من المطلوب فلا يبقى فيه فراغ المرغوب، فهذا غاية الزهد وهو طريق طائفة من الأبدال اقتطعوا عن الخلق وأريدوا بهذه الحال كذا في القوت **( وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد )** أي لا يكمل مقام الزهد إلا بالتوكل على الله تعالى. **( وقال أويس )** رحمه الله تعالى **( أيضاً: الزهد هو ترك الطلب للمضمون )** أي الذي ضمنه الله تعالى لعباده وأقسم عليه **( وهو إشارة إلى الرزق )** وهو بمعنى ما تقدم. قال هرم بن حيان لقيته على شاطىء الفرات يغسل كسراً وخرقاً قد التقطها من المنبوذ وكان ذلك أكله ولبسه، قال: فسألته عن الزهد أي شيء هو؟ فقال: في أي شيء خرجت؟ قلت: أطلب المعاش، قال: إذا وقع الطلب ذهب الزهد.

**( وقال )** بعض العلماء من **( أهل الحديث: الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد إنما هو إتباع العلم وطريق السنة )** قال صاحب القوت: وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كما روينا عن سفيان قال قالوا للزهري: ما الزهد؟ قال: ما لا يغلب الحرام صبره ولا يمنع الحلال شكره يعني أن يكون العبد صابراً عن الحرام حتى لا تغلبه شهوة الحرام، ويكون شاكراً في الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن الشكر اهـ.

**( وهذا إن أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح، ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فإن من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة )** بل يكون وبالاً فيها وسبباً لهلاكه، **( وقد طوّلوها )** أي تلك العلوم **( حتى ينقضى عمر الإنسان في الإستقلال بواحد منها، فشرط الزاهد أن يكون**

**الاشتغال بواحد منها، فشرط الزاهد أن يكون الفضول أوّل مرغوب عنه عنده، وقال الحسن: الزاهد الذي إذا رأى أحداً قال: هذا أفضل مني، فذهب إلى أن الزهد هو التواضع، وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد، وقال بعضهم: الزهد هو طلب الحلال، وأين هذا ممن يقول: الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس، ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال، وقد كان يوسف بن اسباط يقول: من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد.**

**وفي الزهد أقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة، فإن من طلب كشف حقائق**

---

**الفضول أول مرغوب عنه عنده )** وإلا لم يخلص له الزهد. وقال صاحب القوت: ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلوم التي معلوماتها تؤل إلى الدنيا وتدعو إلى الجاه والمنزلة عند أبنائها وفيما لا نفع فيه في الآخرة ولا قربة به عند الله، وقد يشغل عن عبادة الله تعالى ويفرق الهم عند اجتماعه بين يدي الله تعالى ويقسي انقلب ويحجب عن التفكر في آلائه وعظمته، وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علماً وجعلها البطالون شغلاً انقطعوا بها عن الله وحجبوا بها عن مشاهدة علم الحقيقة لا يستطيع ذكره لكثرة أهلها إلا أن يسأل عن شيء أعلم هو أم كلام أو حق أو تشبيه أو صدق وحكمة أو زخرف وغرور؟ أسنة هو أم بدعة؟ أعتيق أم محدث وتشديق فحينئذ يخبر بصواب ذلك.

**( وقال الحسن )** البصري رحمه الله تعالى: **( الزاهد الذي إذا رأى أحداً قال هذا أفضل مني )** قال صاحب القوت: **( فذهب إلى أن الزهد هو التواضع )**، وقد قال يوسف بن اسباط: غاية التواضع أن تخرج من بيتك فلا ترى أحداً إلا رأيت أنه خير منك رواه أبو نعيم في الحلية **( وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد )** إنما هو **( طلب الحلال )** وأنه واجب مفترض في مثل زماننا هذا لاختلاط الأشياء وغلبة الشهوات وهو قول عاد في أهل الشام وطريقة عبادهم مثل: إبراهيم بن أدهم، وسليمان، والخواص، ويوسف بن إسباط وحذيفة المرعشي، وأبي إسحاق الفزاري، وشعيب بن حرب، والداراني، ووهيب بن الورد، وفضيل بن عياض، وهم عشرة معروفون بأكل الحلال قالوا فقد تعين فرض الزهد ووجب تفقد المطاعم والسؤال عنها لقلة المتقين وفقد الورعين. **( وأين هذا ممن يقول: الزهد هو ترك الطلب كما قول أويس )** رحمه الله تعالى وذكر قريباً، **( ولا شك في أنه )** أي أويساً **( أراد به )** ترك **( طلب الحلال )** ولكل من القولين وجه، **( وقد كان يوسف بن إسباط )** الشيباني رحمه الله تعالى **( يقول: من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد )** نقله صاحب القوت.

**( وفي الزهد أقاويل )** كثيرة **( وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة )** مع أن بعضها عند التأمل يرجع إلى بعض ما ذكر، فمن ذلك قول بعضهم: الزهد أن لا تفرح بموجود من الدنيا ولا

........................................

تتأسف على مفقود منها نزع بذلك إلى قوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣] وقال أبو عثمان: الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي من أخذها. وقال أبو علي الدقاق: الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول أبني رباطاً ولا أعمر مسجداً. وقال ابن الجلاء: الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك فيسهل عليك الإعراض عنها. وقال الجنيد: الزهد خلو القلب مما خلت منه اليد. وقال ابن المبارك: الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر، وبه قال شقيق البلخي ويوسف بن إسباط. قال القشيري: وهذا أيضاً من أمارات الزهد، فإنه لا يقوى العبد على الزهد إلا بالثقة بالله. وقال عبدالله بن زيد: الزهد ترك الدينار والدرهم. وسأل رويم الجنيد عن الزهد فقال: هو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب ويروى عنه أيضاً الزهد خلو اليد من الملك وخلو القلب من التتبع. وقال الشبلي: الزهد أن تزهد فيما سوى الله تعالى. وقال ذو النون: الزهد في الدنيا هو الزهد في النفس. وقال الحسن البصري: الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها. وقال بعضهم: الزهد في الدنيا هو ترك ما فيها على من فيها، فهذه ثلاثة عشر قولاً نقلها القشيري في الرسالة.

وفي القوت وقالت طائفة: الزهد هو بعض المحمدة وأن لا تحب أن تحمد على شيء من أعمالك. وقال آخرون: الدنيا هي الأكل واللباس والمال، والزهد هو ترك فضول هذه الأشياء. وقال آخرون: حقيقة الدنيا هو حب الشرف والعلو وطلب العز والرئاسة فينبغي أن يكون الزهد عند هؤلاء هو حب الخمول والذلة وطلب الخضوع والضعة. وقال آخرون: الزهد مفارقة حظوظ النفس في كل شيء، وكان سفيان يقول: الزهد في الدنيا هو الصبر على الحق في كل شيء، وسئل حاتم الأصم عن الزهد فقال: رأسه الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الإخلاص فأدخل فيه التوكل وجعله أوله لأنه لا يزهد حتى يثق بالله في الرزق ويتوكل عليه فيه، وجعل الصبر حالاً منه أراد الثبات لئلا يميل أو يخرج فيرجع إلى الرغبة، وجعل نهايته الإخلاص وهذا إخلاص الصادقين أن تريد بذلك وجه الله وحده وابتغاء مرضاته لا تطلعاً إلى عوض ولا تطلباً لسبب هو دون الله تعالى، وكذلك جعل أحمد بن حنبل الإخلاص هو الزهد ففسره به لأنه إذا بلغ حقيقة الإخلاص لله وحده فقد زهد فيما سواه فاتفقا بمعنى تقاربا فيه، وأما أحدهما ففسر الزهد بالإخلاص جعله نهايته وهو حاتم، وأحمد عبر عن الإخلاص بالزهد لأنه حقيقته، وأما أيوب السختياني فإنه سئل عن الزهد ما هو؟ فقال: هو أن تقعد في بيتك فإن كان قعودك لله رضا وإلا خرجت تنفق درهمك فإن كان رضا وإلا أمسكت تمسك مالك، فإن كان رضا وإلا آخرجته تسكت، فإن كان سكوتك لله رضا وإلا تكلمت تتكلم، فإن كان كلامك لله رضا وإلا سكت هذا هو الزهد وإلا فلا تلعبوا، وهذا مقام المحاسبة للنفس وحال المراقب للرب ووصف المراعي للوقت، فجعل الدنيا هي ترك موافقة رضا الله تعالى في كل شيء إذ جعل الزهد فيها هو إتباع مرضاته في الأشياء. وقال مجاهد: الزهد الأثرة لله على ما سواه إذا أتاه شيء من الدنيا استعمل الخوف والحياء فيؤدي إلى كل ذي حق حقه. وكان ابن عيينة يقول: حد الزهد أن يكون شاكراً عند الرخاء

**الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة، وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه، فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته، وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته، وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة، فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة، والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف، وقد يكون سبب الاقتصار الإخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والأحوال تختلف،**

---

صابراً عند البلاء، فهذا قد صير الشاكر على النعمة والصابر على البلية زاهداً وجمع له الزهد بإجتماع الشكر والصبر وهذا زهد عموم المؤمنين وقيل ليحيي بن معاذ: متى يكون الرجل زاهداً؟ فقال: إذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهداً. وقال الداراني: الزهد التخلي من الدنيا والإشتغال بالعبادة فأما من تركها وتبطل فإنما طلب الراحة لنفسه. وقال سهل: أول الزهد التوكل وأوسطه إظهار القدرة. وقال أيضاً لا يزهد البعد زهداً حقيقياً لا رجعة بعده إلا بعد مشاهدة قدرة. وقال بعضهم: الزهد هو إخفاء الزهد. وقال سهل: لا ينال الزهد إلا بالخوف لأن من خاف ترك فجعل الزهد مقاماً في الخوف رفعة عليه. وفي الخبر: إنما الزهد أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يدك. فهذا مقام التوكل. وقال قوم: الزهد هو ترك الأدخار فكانت الدنيا عندهم الجمع، وقال بعضهم: الدنيا ما شغل القلب واهتم به فجعلوا الزهد ترك الاهتمام بِطرح النفس تحت تصريف الأحكام وهذا هو التفويض والرضا. وقال الداراني: التورع أول الزهد. وقال أبو هشام المغازلي: الزهد قطع الآمال وإعطاء المجهود وخلع الراحة. وقال ابن السماك: الزهد أن لا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها فاته لا يبالي على عسر أصبح أم يسر. وقال طيفور البسطامي: الزهد أن لا يملك ولا يملك. وقال علماء الظاهر: الزهد في الدنيا موافقة العلم والقيام بأحكام الشرع وأخذ الشيء من وجهه ووضعه في حقه، وما خالف العلم فهو جهل كله وهوى فذكروا فرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا غرائبه وباطنه. ذلك مبلغهم من العلم ونصيبهم من الفهم وهو مقامهم من المقال وطريقهم المشوب بالإعتلال. وقال الجنيد: الزهد معنيان ظاهر وباطن، فالظاهر نفض ما في الأيدي من الأملاك وترك طلب المفقود، والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود العزوف والإنصراف عن ذكر ذلك فهذه الأقوال مع ما ذكره المصنف تنيف على أربعين قولاً وإنما لم ير المصنف في نقلها فائدة.

**(فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة، وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته، وهؤلاء كلهم اقتصروا في البصيرة، لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف، وقد يكون سبب الإقتصار الأخبار عن الحاجة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والأحوال**

فلا جرم الأقوال المخبرة عنها تختلف، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحداً ولا يتصوّر أن يختلف، وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني إذ قال: سمعنا في الزهد كلاماً كثيراً، والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل، وقد فصل مرة وقال: من تزوّج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك ضداً للزهد، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى: ﴿إلا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾ [ الشعراء: ٨٩ ] فقال: هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال: إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف المزهود فيه، فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض ونفل وسلامة، كما قاله ابراهيم بن أدهم، فالفرض: هو الزهد

---

**تختلف فلا جرم الأقوال المخبرة عنها تختلف، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحداً ولا يتصور أن يختلف)** على الصحيح من مذهب الأصوليين، **(وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما قاله)** قارىء أهل الشام الإمام **(أبو سليمان)** أحمد بن محمد بن عبد الرحمن **(الداراني)** رحمه الله تعالى **(إذ قال: سمعنا في الزهد كلاماً كثيراً، والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل)** ولفظ القشيري، قال الداراني: الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى، ولفظ القوت وكان الداراني أبو سليمان يقول: الدنيا كل ما شغل عن الله وكان الزهد عنده دوام التفرغ لله تعالى بحسن الإقبال عليه اهـ.

وقال شارح الرسالة: أراد بترك ما يشغل عن الله أي بقلبه وإلا فهو من ثمرات الزهد، فقد يترك الإنسان ما يشغله عن الله لا لزهده بل لشغله بما هو أشرف منه اهـ هذا على سبيل الأجمال.

**(وقد فصل مرة وقال: من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا)** ولفظ القوت: من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشاً فقد ركن إلى الدنيا، **(فجعل جميع ذلك ضداً للزهد)**، ويقرب من قول الداراني قول داود الطائي: كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال فهو عليك مشؤم. **(وقرأ أبو سليمان)** الداراني **(قوله تعالى: ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ قال: هو القلب الذي ليس فيه غير الله)** فهذا زهد الصديقين، وإنما تكون هذه الثلاث دنيا لمن أراد الدنيا العاجل متعة النفس بها، فأما من أراد بها الآخرة فهي طرقات له إلى الآخرة. **(وقال)** مرة **(إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم عن همومها للآخرة)** فإذا رزق العبد فراغ القلب مع وجود هذه الثلاث التي ذكرت كن له قربات إلى المذكور، وقد كان رحمه الله تعالى ذا عيال ولم يكن يشغله ذلك عن أوقاته مع الله ولا يدخلون عليه في مقامه فيخرجونه من المقام كذا في القوت.

**(فهذا بيان أقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف المزهود فيه، فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض ونفل وسلامة كما قاله إبراهيم بن أدهم)** رحمه الله تعالى **(فالفرض: هو**

**في الحرام. والنفل: هو الزهد في الحلال. والسلامة: هو الزهد في الشبهات. وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد، إذ قيل لمالك بن**

---

**الزهد في الحرام، والنفل هو الزهد في الحلال، والسلامة هو الزهد في الشبهات)** فكأنه جعل الورع زهداً وهو التوسط بين الزهدين زهد عموم بداية وزهد خصوص نهاية. **(وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام)**.

وقال سلام بن أبي مطيع: الزهد على ثلاثة وجوه. واحد أن يخلص العمل لله والقول فلا يريد بشيء منه الدنيا ولا ما عند الخلق، والثاني: ترك ما لا يصلح القلب والدين، والثالث: الحلال أن يزهد في فضله وهذا تطوع.

وقال القشيري: اختلف الناس في الزهد فمنهم من قال: الزهد في الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى، فإذا أنعم الله على عبد بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه باختياره وبحق لا يقدم على إمساكه بحق إذنه، ومنهم من قال: الزهد في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة، فإن إقلال المال والعبد صابر في حال راض بما قسم الله له قانع بما يعطيه أتم من توسعه وتبسطه في الدنيا، ومنهم من قال: إذا أنفق ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما ينهاه الشرع عنه في حال التيسر، فحينئذ يكون زهده في المال الحلال أتم منه في الحرام، ومنهم من قال: ينبغي أن يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب الفضول فيما يحتاج إليه ويراعي القسمة فإن رزقه الله مالاً من حلال شكره وإن وفقه الله على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال، فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال.

وقال صاحب القوت: وكان الشاميون من العلماء يقولون: ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن يكون ذامك ومادحك سواء وتكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وتكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد غيرك، فهذا مقام التوكل وحال الرضا. **(وذلك من الزهد إذ قيل لمالك بن أنس: ما الزهد؟ قال: التقوى)** فأصل التقوى إتقاء الشرك ثم بعده إتقاء المعاصي والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات ثم يدع بعده الفضلات كذلك، وقال أبو حفص: التقوى في الحلال المحض لا غير، وقال الداراني: الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف الرضا. وقال ابن عطاء: للتقوى ظاهر وباطن فظاهره محافظة الحدود وباطنه النية والإخلاص، وكان سهل يقول: أزهد الناس في الدنيا أصفاهم مطعماً وقال أيضاً: أقصى مقام من الورع أو في مقام من الزهد، وتحقيق ذلك أن الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى وما دنا من قلبه من الشهوات، فمن زهد في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذا هو الزهد المفترض، ومن زهد في نصيبه من المباح وهو فضول الحاجات من كل شيء فهذا هو الزهد المفضل يرجع ذلك إلى حظوظ جوارحه التي هي أبواب الدنيا منه وطرقها إليه، فالزهد في محرماتها زهد المسلمين به يحسن إسلامهم، والزهد في شبهاتها زهد الورعين به يكمل إيمانهم، والزهد في حلالها من فضل

**أنس: ما الزهد؟ قال: التقوى، وأما بالإضافة إلى خفايا ما يتركه فلا نهاية للزهد فيه، إذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات، لا سيما خفايا الرياء فإن ذلك لا يطلع عليه إلا سماسرة العلماء، بل الأمور الظاهرة أيضاً درجات الزهد فيها لا تتناهى، فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجراً في نومه فقال له الشيطان: أما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك؟ قال: وما الذي تجدد؟ قال: توسدك الحجر: أي تنعمت برفع رأسك عن الأرض في النوم، فرمى الحجر وقال: خذه**

---

حاجات النفس زهد الزاهد به يصفو يقينهم، وفي حديث عمرو بن ميمون عن الزبير أن النبي ﷺ قال: «يا زبير اجهد نفسك عند نزول الشهوات والشبهات بالورع الصادق وعن محارم الله وادخل الجنة بغير حساب».

**( وأما بالإضافة إلى خفايا ما يتركه فلا نهاية للزهد فيه، إذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء فإن ذلك لا يطلع عليه إلا سماسرة العلماء )** أي نقادهم وجهابذتهم. وفي القوت: ومن أفضل الزهد الزهد في الرئاسة على الناس وفي المنزلة والجاه عندهم، والزهد في حب الثناء والمدح منهم لأن هذه المعاني هي أكبر أبواب الدنيا عند العلماء، فالزهد فيها هو زهد العلماء كان سفيان الثوري يقول: الزهد في الرئاسة ومدح الخلق أشد من الزهد في الدينار والدرهم قال: لأن الدينار والدرهم قد يبذلان في طلب ذلك وكان يقول هذا باب غامض لا يتبصر به إلا سماسرة العلماء. وقال الفضيل: نقل الصخور من الجبال أيسر من إزالة رئاسة قد ثبتت في قلب جاهل.

قلت: وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا إسحاق بن خلف قال: الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرئاسة في الذهب والفضة لأنك تبذلها في طلب الرئاسة وقد روي عن يوسف بن إسباط نحوه كما في الحلية.

**( بل الأمور الظاهرة أيضاً درجات الزهد فيها لا تتناهى، فمن أقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجراً في نومه فقال له الشيطان: أما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك؟ قال: وما الذي تجدد؟ قال: توسدك الحجر أي تنعمت برفع رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجر وقال: خذه فيما تركته لك )**. ولفظ القوت: ولا نهاية للزهد عند طائفة من العارفين لأنه قد يقع عن نهاية معارفهم بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوى. وقال بعضهم: نهاية الزهد أن تزهد في كل شيء وتتورع عن كل شيء للنفس فيه متعة وبه راحة، فهذا كما روي عن عيسى عليه السلام أنه وضع تحت رأسه حجراً فكأنه لما ارتفع رأسه عن الأرض استراح بذلك فعارضه إبليس فقال: يا ابن مريم أليس تزعم أنك زهدت في الدنيا؟ قال: نعم. قال: فهذا الذي وطأته تحت رأسك من أي شيء هو؟ قال: فرمى عيسى بالحجر وقال: هذا لك مع ما تركت اهـ.

مع ما تركته لك. وروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركاً للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس، فسألته أمه أن يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل، فأوحى الله تعالى إليه: يا يحيى، آثرت علي الدنيا، فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه. وقال أحمد رحمه الله تعالى: الزهد زهد أويس، بلغ من العرى أن جلس في قوصرة. وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط، فقال: ما أقمتني أنت إنما أقامني الذي لم يرض لي أن أتنعم بظل الحائط. فإذاً درجات الزهد ظاهراً وباطناً لا حصر لها، وأقل درجاته: الزهد في كل شبهة ومحظور، وقال قوم: الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور، فليس

---

قلت أخرجه ابن عساكر عن الحسن البصري قال: إن عيسى عليه السلام مر به إبليس يوماً وهو متوسد حجراً وقد وجد لذة النوم فقال له: يا عيسى تزعم أنك لا تريد شيئاً من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا. فقام عيسى عليه السلام فأخذ الحجر فرمى به وقال: هذا لك مع الدنيا.

( و ) مثله ( **روي عن يحي بن زكريا عليهما السلام أنه لبس المسوح حتى نقب جلده** ) أي أثر فيه لخشونته، وكان عليه السلام قد طلب من أمه ذلك حين مرَّ ببيت المقدس ورأى الرهبان لابسين كذلك ( **تركاً للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس، فسألته أمه أن يلبس مكان المسح جبة من صوف** ) لأنه ألين من الشعر ( **ففعل** ) طاعة لأمة لأنه كان باراً بها، ( **فأوحى الله تعالى إليه: يا يحي آثرت عليَّ الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه** ) ولبس مدرعته من الشعر نقله صاحب القوت.

( **وقال أحمد** ) بن حنبل رحمه الله تعالى: ( **الزهد زهد أويس** ) القرني رحمه الله تعالى ( **بلغ من العري إلى أن جلس في قوصرة** ) نقله صاحب القوت. والقوصرة بالتخفيف والتثقيل وعاء التمر يتخذ من قصب.

( **وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال: ما أقمتني أنت إنما أقامني الذي لم يرض لي أن أتنعم بظل الحائط** ) رواه ابن عساكر عن أبي سليمان الداراني قال: بينما عيسى عليه السلام يمشي في يوم صائف وقد مسه الحر والشمس والعطش، فجلس في ظل خيمة فخرج إليه صاحب الخيمة فقال: يا عبدالله قم من ظلنا فقام عيسى وجلس في الشمس وقال: ليس أنت الذي أقمتني إنما أقامني الذي لم يرد أن أصيب من الدنيا شيئاً ( **فإذاً درجات الزهد ظاهراً وباطناً لا حصر لها** ) إذ لا نهاية لمعارف الزاهدين بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوى ( **وأقل درجاته: الزهد في كل شبهة ومحظور** ) وهو زهد الورعين به يكمل إيمانهم كما سبق قريباً.

( **وقال قوم: « الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور، فليس ذلك من درجاته**

**ذلك من درجاته في شيء ، ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصوّر الزهد الآن .**

**فإن قلت : مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصوّر ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى ؟**

**فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل القلب عليه ذكراً وفكراً ، ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء ، ولا بقاء إلا بضروريات النفس ؛ فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلاً بغير الله ؛ فإن ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه ؛ فالمشتغل بعلف الناقة وبسقيها في طريق الحج ليس معرضاً عن الحج ، ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ، ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات ، بل غرضك**

---

**في شيء ، ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن )** روي ذلك عن جماعة ، منهم : يوسف بن إسباط .

قال صاحب الحلية : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ، حدثنا المسيب بن واضح سألت يوسف بن إسباط عن الزهد ما هو ؟ قال : أن تزهد فيما أحل الله فأما ما حرم الله فإن ارتكبته عذبك الله .

وحدثنا أبو محمد بن حيان ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا الحسين بن منصور ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا سهل أبو الحسن ، سمعت يوسف بن إسباط يقول : لو أن رجلاً في ترك الدنيا مثل أبي ذر وسلمان وأبي الدرداء ما قلنا له زاهد ، لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض والحلال المحض لا يعرف اليوم .

**( فإن قلت : مهما كان الصحيح هو أن الزهد هو ترك ما سوى الله ، فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك إشتغال بما سوى الله تعالى؟ فاعلم أن معنى)** العزوف و**( الإنصراف من الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل القلب عليه ذكراً وفكراً )** والتوجه بكنه الهمة إليه ، **( ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء ولا بقاء إلا بضروريات النفس)** مما تحتاج إليه إضطراراً ، **( فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان)** قصدك و**( غرضك الإستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلاً بغير الله ، فإن ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه ، فالمشتغل بعلف الناقة وبسقيها )** ورعايتها في خدمتها **( في طريق الحج ليس معرضاً عن الحج ، ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ، ولا غرض لك في تنعم ناقتك**

مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك، فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب، وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن، فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوّي على طاعة الله تعالى، فذلك لا يناقض الزهد، بل هو شرط الزهد، وإن قلت: فلا بدّ وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع؛ فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ، فإن شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش، ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصوداً عنده ومطلوباً بالقصد، فلا يكون القلب منصرفاً إليه، فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الأسحار وصوت الأطيار، ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره، ولقد كان في الخائفين من طلب موضعاً لا يصيبه فيه نسيم الأسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه، فيكون فيه أنس بالدنيا ونقصان في الإنس بالله بقدر وقوع الإنس بغير الله، ولذلك كان داود الطائي له حب مكشوف فيه ماؤه فكان لا

---

باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى) تحملك و(تسير بك إلى مقصدك، فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب، وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن، فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ) والتنعم، (بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد) لأنه به حصوله (وإن قلت: فلا بدّ وأن أتلذذ بأكل ذلك عند الجوع! فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ، فإن شارب الماء البارد قد يتلذذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش، ومن يقضي حاجته يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصوداً عنده ومطلوباً بالقصد فلا يكون القلب منصرفاً إليه، فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الأسحار وصوت الطيور) الناغية، (ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الإستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين) من الزاهدين (من طلب) لنفسه (موضعاً لا يصيبه فيه نسيم الأسحار خيفة من الإستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس إلى الدنيا ونقصان) في الأنس بالله (بقدر وقوع الأنس بغير الله) ويروى أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن برخ يعني الأسود الذي كان موسى استسقى لبني إسرائيل نعم العبد هو إلا أن فيه عيباً قال: وما هو؟ قال: يعجبه نسيم السحر فيسكن إليه ومن أحبني لم يعجبه شيء أو لم يسكن إلى الشيء، فعابه باستراحة النفس إلى روح الفضاء ونقصه عن التمام بسكون قلبه إلى نسيم السحر.

(ولذلك كان) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (له حب مكسور)

**يرفعه من الشمس، ويشرب الماء الحار ويقول: من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا، فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط، فإنه وإن كان شاقاً فمدّته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد، لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لأنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.**

---

وهو بضم الحاء المهملة الخابية للماء جمعه حباب بالكسر وحببة مثل عنبة **( فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس، ويشرب الماء الحار ويقول: من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا )**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا إسحاق بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أحمد بن أبو الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: كان داود الطائي له دنان: دن للماء ودن للخبز، فأما دن الماء فكان قد جعله في الأرض لئلا يصيبه الروح فيبرد.

وروي من طريق حفص بن عمر الجعفي قال: دخل رجل على داود الطائي فقال: يا أبا سليمان أنا عطشان. قال: اخرج واشرب فجعل يدور في الدار لا يجد ماء فرجع إليه، فقال: يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة. فقال: اللهم غفراً بل هناك ماء. قال: فخرج يلتمس فإذا دن من هذا الأصيص الذي يفعل فيه الطين وقطعة خزفة أسفل كوز فأخذ تلك الخزفة يغرف بها فإذا ماء حار كأنه يغلي لم يقدر أن يسيغه فرجع إليه، فقال: يا أبا سليمان مثل هذا الحر الناس يكادون ينسلخون ودنّ مدفون في الأرض وكوز مكسور فلو كانت جريرة وقلة. فقال داود: حب حيري وجرة ملارية وقلال منقشة وجارية حسناء وأثاث وناض وفضول لو أردت هذا الذي يشغل القلب لم أسجن نفسي ههنا إنما أطلقت نفسي عن هذه الشهوات وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا إلى روح الآخرة.

روي من طريق سهل بن سليمان النيلي، حدثنا عبدالله الأعرج أو غير قال: أتيت داود فصليت مع المغرب ثم تبعته إلى داره فذكر الحديث وفيه: ثم قام داود إلى شن في الدار في يوم صائف فأخذ يشرب منه فقلت: يا أبا سليمان لو أمرت أن يبرد لك هذا الماء. فقال: أما علمت أن الذي يبرد له الماء في الصيف ويسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله.

**( فهذه مخاوف المحتاطين )** لدينهم **( والحزم في جميع ذلك الإحتياط فإنه وإن كان شاقاً فمدته قريبة والإحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين أنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين )** والله الموفق.

**بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة:**

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهمّ؛ فالفضول كالخيل المسوّمة مثلاً، إذ غالب الناس إنما يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشي، والمهم كالأكل والشرب، ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر، وإنما ينحصر المهم الضروري، والمهم أيضاً يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته، فلا بدّ من بيان وجه الزهد فيه، والمهمات ستة أمور: المطعم، والملبس، والمسكن، واثاثه، والمنكح والمال. والجاه يطلب لأغراض. وهذه الستة من جملتها، وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربع المهلكات، ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة.

**الأول المطعم:** ولا بدّ للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض، فلا بدّ من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد؛ فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر، فإن من يملك طعام يومه فلا يقنع به، وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت

---

**بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة:**

( **اعلم** ) وفقك الله تعالى ( **أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول** ) وهو ما زاد على الحاجة ( **وإلى مهم** ) ضروري ( **والفضول كالخيل المسوّمة** ) أي المعلمة أو المرعية كما في الصحاح. وقال الأزهري: هي المرسلة وعليها ركبانها ( **إذ غالب الناس إنما يقتنيها** ) ويتخذها ( **للترفة بركوبها وهو قادر على رجليه** ) أو على خيل أقل منها، ( **والمهم كالأكل والشرب، ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر** ) لكثرتها ( **وإنما ينحصر المهم الضروري** ) الذي لا بدّ منه، ( **والمهم** ) الضروري ( **أيضاً تتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته، فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور:** ) الأول: ( **المطعم** ) والمشرب تابع له، ( **و** ) الثاني ( **الملبس، و** ) الثالث ( **المسكن، و** ) الرابع ( **أثاثه، و** ) الخامس ( **المنكح، و** ) السادس ( **المال، و** ) أما ( **الجاه** ) فإنه ( **يطلب لأغراض. وهذه الستة من جملتها** ) أي الأغراض، ( **وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الإحتراز عنه في كتاب الرياء من ربع المهلكات** ) فلا نعيده، ( **ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة** ).

( **الأول المطعم:** ) فنقول ( **ولا بدّ للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه** ) ويقوّيه على العبادة ( **ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد، فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر** ) وفي نسخة جميع العمر ( **فإن من يملك طعام يومه فلا يقنع به،**

تناوله إما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض، ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدّخر من غدائه لعشائه، وهذه هي الدرجة العليا.

**الدرجة الثانية:** أن يدخر لشهر أو أربعين يوماً.

**الدرجة الثالثة:** أن يدخر لسنة فقط، وهذه رتبة ضعفاء الزهاد، ومن ادّخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهداً محال، لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس، كداود الطائي فإنه ورث عشرين ديناراً فأمسكها وأنفقها في عشرين سنة، فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد. أما عرضه فبالإضافة إلى المقدار، وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل، وأوسطه رطل، وأعلاه مدّ واحد: وهو ما قدره الله تعالى في إطعام المسكين في الكفارة، وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن

---

**وأما عرضه ففي مقدار الطعام، وجنسه ووقت تناوله، وأما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الإقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض، ومن هذا حاله إذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه )** ولا من عشائه لغدائه ( **وهذه هي الدرجة العليا** ) كما سبق في الأدخار.

( **الثانية: أن يدخر لشهر أو أربعين يوماً** ) وهي الدرجة الوسطى.

( **الثالثة** ) أن ( **يدخر لسنة فقط** ) وهي إثنا عشر شهراً. ( **وهذه رتبة ضعفاء الزهاد، ومن ادخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهداً محال لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس كداود** ) بن نصير ( **الطائي** ) رحمه الله تعالى ( **فإنه ورث عشرين ديناراً فأمسكها** ) لنفسه ( **وأنفقها في عشرين سنة** ) رواه أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، حدثنا عثمان بن زفر، أخبرني ابن عم لداود قال: ورث داود الطائي من أبيه عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة كل سنة ديناراً منه يصل ومنه يتصدق ( **فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد** ) وسيأتي جواب أبي سليمان الداراني عن هذا.

( **وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مدّ واحد** ) وهو رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لأن الصاع خمسة أرطال وثلث، والمدّ رطلان عند أهل العراق، ( **وهو ما قدره الله في إطعام المساكين في**

والاشتغال به، ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب، وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت، ولو الخبز من النخالة، وأوسطه خبز الشعير والذرة، وأعلاه خبز البر غير منخول، فإذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله.

**وأما الأدم:** فأقله الملح أو البقل والخل، وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان أي دهن كان، وأعلاه اللحم أي لحم كان، وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين، فإن صار دائماً أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً، وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائماً، وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل، ويأكل ليلة ولا يشرب، وأعلاه أن ينتهي إلى أن يطوي ثلاثة أيام أو أسبوعاً وما زاد عليه، وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات، ولينظر إلى أحوال رسول الله ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الأدم.

قالت عائشة رضي الله عنها: كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول

---

**الكفارة وما وراء ذلك فهو من إتساع البطن والإشتغال به، ومن لم يقدر على الإقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب، وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو)** كان **(الخبز)** المتخذ **(من النخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة)** والدخن **(وأعلاه خبز البر)** من دقيق **(غير منخول، فإذا ميزت النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج من آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله)**.

**(وأما الأدم فأقله الملح)** الجريش **(أو البقل)** من نبات الأرض **(والخل)** منفرداً ومجموعاً **(وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان أي دهن كان، وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائماً)** في كل يوم **(أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج من آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً، وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم والليلة مرة)** واحدة، **(وهو أن يكون صائماً)** فيفطر عليه، **(وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة)** عند الإفطار **(ولا يأكل ويأكل كل ليلة)** عند الإفطار **(ولا يشرب، وأعلاه أن ينتهي إلى أن يطوي ثلاثة أيام)** تباعاً **(وأسبوعاً)** تباعاً **(وما زاد عليه)** فلا حدّ له، **(وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام** وكسر شرهه **في ربع المهلكات فلا نعيده، ولينظر في أحوال رسول الله ﷺ والصحابة)** رضوان الله عليهم **(في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الآدم)**.

**(قالت عائشة رضي الله عنها: كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول**

الله ﷺ مصباح ولا نار. قيل لها: فبم كنتم تعيشون؟ قالت: بالأسودين التمر والماء. وهذا ترك اللحم والمرقة والأدم.

وقال الحسن: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض. ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد، وأجلس كما تجلس العبيد».

وقال المسيح عليه السلام: بحق أقول لكم، إنه من طلب الفردوس فخبز الشعير له، والنوم على المزابل مع الكلاب كثير.

---

**الله ﷺ مصباح ولا نار. قيل لها: فبم كنتم تعيشون؟ قالت: بالأسودين التمر والماء)**. ولفظ القوت: قد جاءت الأخبار في وصف النبي ﷺ وحال أهل بيته وأزواجه أن كان يأتي عليهم الهلال بعد الهلال ثلاثة أهلة ولا توقد في بيوت أزواجه ولا يرى دخان لخبز ولا طبخ. قال عروة: فقلت لعائشة: يا أمه فما كان تعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، وكان لنا جيران من الأنصار يرسلون إلينا باللبن في الحين بعد الحين اهـ.

قال العراقي: روى ابن ماجه من حديث عائشة: «يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوته دخان» الحديث. وفي رواية له: ما يوقد فيه بنار، ولأحمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوته نار، وفي رواية ثلاثة أهلة.

(**وهذا**) أي تعيشهم بالأسودين (**ترك اللحم والمرقة والأدم**).

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد، وأجلس كما تجلس العبيد»**) قال العراقي: تقدم دون قوله: «إنما أنا عبد» فإنه ليس من حديث الحسن إنما هو من حديث عائشة وقد تقدم اهـ.

قلت: وروى ابن عساكر من حديث أبي أيوب: كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول: «من رغب عن سنتي فليس مني» وروى الطبراني من حديث ابن عباس: «كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير» وروى ابن ماجه من حديث أنس: «كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار». وروى أبو يعلى من حديث عائشة بسند حسن: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وعند ابن عدي «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد».

(**وقال عيسى عليه السلام: بحق أقول لكم أنه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير**). رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ بلفظ:

وقال الفضيل: ما شبع رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر.

وكان المسيح ﷺ يقول: يا بني إسرائيل، عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير، وإياكم وخبز البر، فإنكم لن تقوموا بشكره. وقد ذكرنا سيرة الأنبياء والسلف في المطعم والمشرب في ربع المهلكات فلا نعيده.

ولما أتى النبي ﷺ أهل قباء، أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل، فوضع القدح من يده وقال: «أما إني لست أحرمه ولكن أتركه تواضعاً لله تعالى».

وأتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال: اعزلوا عني حسابها. وقد قال يحيى بن معاذ الرازي: الزاهد الصادق قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث أدرك، الدنيا سجنه، والقبر مضجعه، والخلوة مجلسه، والاعتبار فكرته،

---

قال عيسى عليه السلام: أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس.

**(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(ما شبع رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر)** ولفظ القوت، وفي الخبر: ما شبع رسول الله ﷺ وأهل بيته من خبز ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل وتقدم في أخلاق النبوة.

**(وكان عيسى عليه السلام يقول: يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير، وإياكم وخبز البر، فإنكم لن تقوموا بشكره)** كذا في القوت. وروى ابن عساكر من طريق كعب الأحبار نحوه. **(وقد ذكرنا سيرة الأنبياء)** عليهم السلام **(والسلف)** الصالح **(في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده)** ثانياً.

**(ولما أتى النبي ﷺ أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال: «أما أني لست أحرمه ولكن أتركه تواضعاً لله تعالى»)** رواه الحكيم في النوادر عن أبي جعفر محمد بن علي أن النبي ﷺ أتاه أوس ابن خولة بقدح فيه لبن وعسل فوضعه وقال فذكره وفي آخره: «فإنه من تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر افقره الله» وقد تقدم.

**(وأتي عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف)** فذاقها فإذا ماء وعسل **(فقال: اعزلوا عني حسابها)** واعزلوا عني مؤنتها. رواه جعفر بن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن وقد تقدم، **(وقد قال يحيى بن معاذ الرازي)** رحمه الله تعالى: **(الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك)** أي حيث يدركه الليل يأوي، **(الدنيا سجنه، والقبر مضجعه، والخلوة مجلسه، والإعتبار فكرته، والقرآن**

والقرآن حديثه، والرب أنيسه، والذكر رفيقه، والزهد قرينه، والحزن شأنه والحياء شعاره، والجوع إدامه، والحكمة كلامه، والتراب فرشه، والتقوى زاده، والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل حسبه، والعقل دليله، والعبادة حرفته، والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى.

**المهم الثاني: الملبس:** وأقل درجاته: ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة. وهو كساء يتغطى به. وأوسطه: قميص وقلنسوة ونعلان، وأعلاه: أن يكون معه منديل وسراويل. وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حدّ الزهد. وشرط الزاهد: أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه: بل يلزمه القعود في البيت. فإذا صار صاحب قميصين وسروالين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار. أما الجنس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ. وأما من حيث الوقت، فأقصاه ما يستر سنة، وأقله ما يبقى يوماً. حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر إن كان يتسارع الجفاف إليه، وأوسطه ما يتماسك عليه شهراً وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد، إلا إذا كان المطلوب خشونته،

---

**حديثه، والرب أنيسه، والذكر رفيقه، والزهد قرينه، والحزن شأنه، والحياء شعاره، والجوع إدامه، والحكمة كلامه، والتراب فراشه، والتقوى زاده، والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل حسبه، والعقل دليله، والعبادة حرفته، والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى)** فقد أدرج فيه جملة من المقامات الإعتبار والحزن والحياء والصبر والتوكل و[illegible]. وقال ذو النون المصري: الزاهد قوته ما وجد وثوبه ما ستر وبيته ما آواه وماله وقته.

**(المهم الثاني: الملبس: وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة. وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان، وأعلاه أن يكون منديل)** لربط الرأس **(وسراويل. وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حدّ الزهد. وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت)** حتى يجف، **(فإذا صار صاحب قميصين** وسروالين ومنديلين **فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار. أما الجنس فأقله المسوح الخشنة)** وهي ثياب تنسج من الشعر **(وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ)** وهو الكرباس. **(وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة، وأقله ما يبقى يوماً حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه)** فيتكسر، **(وأوسطه ما يتماسك عليه شهراً وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد)** لما سبق أن الزهد عبارة عن قصر الأمل، **(إلا إذا كان المطلوب**

**ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه، فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به، فإن أمسكه لم يكن زاهداً بل كان محباً للدنيا، ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس. قال أبو بردة: أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين. وقال ﷺ: «إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس». وقال عمرو بن الأسود العنسي: لا ألبس مشهوراً أبداً، ولا أنام بليل على دثار أبداً ولا أركب على مأثور أبداً، ولا أملأ جوفي من طعام**

---

**خشونته)** وفي نسخة جشوبته أي غلظه، **(ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به، فإن أمسكه لم يكن زاهداً بل كان محباً للدنيا)** ومحبة الدنيا تخالف صفة الزهد، **(ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء)** عليهم السلام **(والصحابة)** رضوان الله عليهم **(كيف تركوا الملابس)** واعرضوا عنها. **(قال أبو بردة)** هانىء بن نيار رضي الله عنه: **(أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين)** رواه الشيخان وتقدم في آداب المعيشة **(وقال ﷺ: «إن الله يحب المبتذل الذي لا يبالي ما لبس»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: وجدت بخط الحافظ السخاوي ما لفظه: هذا عجيب فهو في مسند الفردوس من طريق يعقوب بن عتبة بن المغيرة عن أبي هريرة ولفظ: «إن الله عز وجل يحب المؤمن المبتذل الذي لا يبالي ما لبس». اهـ.

قلت: ورواه كذلك من هذا الطريق ابن النجار في تاريخه.

**(وقال عمرو بن الأسود العنسي)** بالنون، ويقال الهمداني، ويقال له عمير بالتصغير وهو به أشهر وهو والد حكيم بن عمير يكنى أبا عياض وأبا عبد الرحمن، سكن داريا من دمشق وسكن حمص أيضاً، له روايات عن عمر ومعاذ وابن مسعود وعبادة بن الصامت وأم حرام بنت ملحان وأبي هريرة وعائشة وغيرهم، وقال ابن حبان: عمير بن الأسود كان من عباد أهل الشام وكان يقسم على الله فيبرّه وقال ابن عبد البر: اجمعوا على أن عمرو بن الأسود كان من العلماء الثقات وأنه مات في خلافة معاوية وكان يقول: **(لا ألبس مشهوراً أبداً)** أي ثوب شهرة **(ولا أنام بليل على دثار أبداً ولا أركب على مأثور أبداً)** أي ليناً سهلاً. يقال: وثر الشيء وثارة لان وسهل فهو وثير وفراش وثير ثخين لين، ووثر مركبه بالتشديد وطأه. ومنه ميثرة السرج بكسر الميم وأصلها الواو والجمع مواثر ومياثر على الأصل ولفظ المفرد، **(ولا أملأ جوفي من طعام أبداً)** رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا مسلم بن سعيد، حدثنا مجاشع بن عمرو بن حسان، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن يحيى بن جابر الطائي قال، قال عمرو بن الأسود: لا ألبس مشهوراً أبداً ولا أملأ جوفي من طعام بالنهار أبداً حتى القاه. **(فقال**

أبداً فقال عمر: من سره أن يَنظر إلى هدى رسول الله ﷺ **فلينظر إلى عمرو بن الأسود**.

وفي الخبر: « **ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيباً** » **واشترى رسول الله ﷺ ثوباً بأربعة دراهم. وكانت قيمة ثوبيه عشرة، وكان إزاره أربعة أذرع ونصفاً. واشترى سراويل بثلاثة دراهم. وكان يلبس شملتين**

---

**عمر )** رضي الله عنه: **( من سرّه أن ينظر إلى هدي رسول الله ﷺ فلينظر إلى عمرو بن الأسود )** رواه أبو نعيم في الحلية من طريق يحيى بن جابر الطائي بالسند المذكور قال: وكان عمر بن الخطاب يقول فذكره. وقال العراقي: رواه أحمد بإسناد جيد عن عمر لكن في الإصابة لتلميذه بسند لين قال: وأورده ابن أبي عاصم في الوحدان بهذا الأثر، وليس في ذلك ما يقتضي أن له صحبة، ولكن يقتضي أن له إدراكاً، وقد خرج الطبراني في مسند الشاميين من وجه آخر أنّ عمرو بن الأسود قدم المدينة فرآه عبدالله بن عمر يصلي فقال: من سره أن ينظر إلى أشبه الناس صلاة برسول الله ﷺ فلينظر إلى هذا.

**( وفي الخبر: « ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيباً » )** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر بإسناد جيد دون قوله :« وإن كان عنده حبيباً » اهـ.

قلت: وفي رواية لابن ماجه: « من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه » وقد رواه كذلك أيضاً في المختارة وروى الطبراني من حديث أبي سعيد: « من لبس ثوباً مشهوراً من الثياب أعرض الله عنه يوم القيامة ». ورواه هو وتمام وابن عساكر من حديث أم سلمة بإسناد لين « من لبس ثوباً يباهي به ليراه الناس لم ينظر الله إليه حتى ينزعه ». وروى الحارث والطبراني من حديث أنس: « من لبس رداء شهرة أو ركب ذا شهرة أعرض الله عنه وإن كان له ولياً ».

**( واشترى رسول الله ﷺ ثوباً بأربعة دراهم )** كذا في القوت. وقال العراقي: روى أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال: دخلت يوماً السوق مع رسول الله ﷺ فجلس إلى البزارين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث وإسناده ضعيف.

**( وكان قيمة ثوبيه )** ﷺ **( عشرة )** إلى دينار كذا في القوت وقال العراقي: لم أجده. **( وكان إزاره )** ﷺ **( أربعة أذرع ونصفاً )** ولفظ القوت: وكان طول إزاره أربعة أذرع ونصفاً وفي خبر سبعة أشبار. وقال العراقي: روى أبو الشيخ وفي كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من رواية عروة بن الزبير مرسلاً « كان رداء النبي ﷺ أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف » الحديث. وفيه ابن لهيعة. وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة: « وكان له إزار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر » وفيه محمد بن عمر الواقدي.

**بيضاوين من صوف، وكانت تسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد، وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ. وفي الخبر: كان قميص رسول الله ﷺ كأنه قميص زيات. ولبس رسول الله ﷺ يوماً واحداً ثوباً سيراء من سندس قيمته مائتا درهم، فكان أصحابه يلمسونه ويقولون: يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة**

---

**( واشترى سراويل بثلاثة دراهم )** كذا في القوت. وقال العراقي: المعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي يعلى وشراؤه للسراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه. قال الترمذي: صحيح انتهى زاد صاحب القوت بعد قوله بثلاثة دراهم «وكان كم قميصه إلى أطراف أصابعه» وقيل مرة إلى الرسغ فإذا تشنج وقلص صار إلى أنصاف ساقيه وكذلك الإزار إلى عضلة الساق. **( وكان )** ﷺ **( يلبس شملتين بيضاوين من صوف )** ومرة سوداوين من شعر، **( وكانت تسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد )** يشير إلى قول أهل اللغة قالوا: الحلة بالضم لا تكون إلا ثوبين من جنس واحد. قال المرزوقي: وكانوا يأتزرون ببرد ويرتدون بآخر ويسميان حلة والجمع حلل مثل غرفة وغرف، **( وربما كان )** ﷺ يلبس **( بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ )** من قرية باليمن تسمى سحول وفيها كفن مع الثالث مثلها، وربما كانت البردة مخططة بتلوين الأصابع كبرود أهل اليمن اليوم، وربما كانتا خضراوين كلهما من خيط واحد، وربما كانت شملته بيضاء لا شيمة فيها غير ضبطها الأبيض كل ذلك في القوت. وقال العراقي: تقدم في آداب المعيشة وأخلاق النبوة لبسه للشملة والبردة والحبرة، وأما لبسه للحلة ففي الصحيحين من حديث البراء: رأيته في حلة حمراء، لأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الحرورية وعليه أحسن ما يكون، وقال رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من حلل اليمن وقال: رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل. وفي الصحيحين من حديث عائشة «أنه ﷺ قبض في ثوبين أحدهما إزار غليظ مما يصنع باليمن» وتقدم في آداب المعيشة، ولأبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رمثة «وعليه بردان أخضران» سكت عليه أبو داود واستغربه الترمذي، وللبزار من حديث قدامة الكلابي وعليه حلة حبرة وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف قاله الذهبي.

**( وفي الخبر: كان قميص رسول الله ﷺ كأنه قميص زيات )** قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه ولحيته كان ثوبه ثوب زيات، **( و )** قد **( لبس ﷺ يوماً واحداً ثوباً سيراء )** بكسر السين وفتح التحتية ممدوداً ضرب من البرود فيه خطوط صفر **( من سندس )** فنعل من سدس إسم لمارق من الديباج **( قيمته مائتا درهم )** فلبسه وخطب فيه، **( فكان أصحابه يلمسونه )** بأيديهم **( ويقولون: يارسول الله أنزل هذا عليك من الجنة تعجباً )** من لونه ولينه، **( وكان قد أهداه له المقوقس )** جريج بن

تعجباً، وكان قد أهداه إليه المقوقس ملك الاسكندرية، **فأراد أن يكرمه بلبسه، ثم** نزعه وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به، ثم حرم لبس الحرير والديباج. وكأنه إنما لبسه أولاً تأكيداً للتحريم، كما لبس خاتماً من ذهب يوماً ثم نزعه، **فحرم لبسه على** الرجال، وكما قال لعائشة في شأن بريرة: « اشترطي لأهلها الولاء »، **فلما اشترطته صعد** عليه السلام المنبر فحرّمه، وكما أباح المتعة ثلاثاً ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح، **وقد صلى** رسول الله ﷺ في خميصة لها علم، فلما سلم قال: « **شغلني النظر إلى هذه، اذهبوا بها إلى** أبي جهم وائتوني بانبجانيته ». يعني كساء، **فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم، وكان**

---

ميناء ( **ملك الاسكندرية، فأراد أن يكرمه بلبسه** ) ويرى رسله قبول هديته ( **ثم نزعه** ) وقد لبس نحوه من قميص معمد بحرير أهداه إليه النجاشي ملك الحبشة، فخطب فيه مرة ثم نزعه حين نزل من المنبر، ( **وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لباس الحرير والديباج** ) بعد ذلك، ( **وكان إنما لبسه أولاً** ) ولفظ القوت فقد يكون لبسه إياه ( **تأكيداً للتحريم، كما لبس خاتماً من ذهب يوماً** ) واحداً ( **ثم نزعه** ) ورمى به كما في الصحيحين وتقدم، ( **فحرم لبسه على الرجال** ) ولفظ القوت وحرم لبس الحرير والذهب على الذكور، ( **وكما قال لعائشة** ) رضي الله عنها ( **في شأن بريدة** ) مولاة لقوم من الأنصار وكانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها ( « **اشترطي لأهلها الولاء** » ) وذلك حين أرادت أن تشتريها منهم، وطلبوا منها أن يكون الولاء لهم فأقرها ﷺ على هذا الشرط أولاً، ( **فلما اشترطته** ) بعد أن اشترتها وأعتقتها ( **صعد ﷺ المنبر فحرمه** ) وقال « إنما الولاء لمن أعتق » لينوه بذلك. فهذه حكمة من الحكيم وتعليم من العليم. وقصة بريرة في الصحيحين، وقد جمع العز بن جماعة فوائد هذا الحديث في رسالة فزادت على ثلاثمائة ولخصها الحافظ في فتح الباري، ( **وكما أباح المتعة** ) أي متعة النساء ( **ثلاثاً** ) وذلك في غزوة أوطاس، ( **ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح** ) وحديث إباحة المتعة رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع، قال صاحب القوت: وقد يحتج بمثل هذا علماء الدنيا ويطرقوا به لأنفسهم ويدعون الناس منه إليهم سراً ويظهرون الدعوة إلى الله علانية تأولاً بمتشابه الحديث، كما تأول أهل الزيغ متشابه القرآن على أهوائهم إبتغاء الفتنة وطلباً للدنيا، لأن حديث رسول الله ﷺ على معاني كلام الله تعالى منه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام، فعدل علماء الدنيا وأهل الأهواء عن المحكم السائر من فعل رسول الله ﷺ، وقوله إلى ما ذكرناه ونبذوا المحكم وراءهم ظهرياً. ( **وقد صلى رسول الله ﷺ في خميصة** ) وهي كساء أسود مربع ( **لها علم، فلما سلم قال « شغلني النظر إلى هذه إذهبوا بها إلى أبي جهم** ) بن حذيفة بن غانم القرشي العدوى رضي الله عنه من مسلة الفتح وكان معمري قرشي ومن مشيختهم ( **وائتوني بانبجانيته » يعني كساءه** ) هو في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة قالت صلى النبي ﷺ في خميصة لها أعلام « إذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وائتوني بانبجانية أبي جهم فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي ». وقد تقدم في كتاب الصلاة. وذكر الزبير

**شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد فصلى فيه، فلما سلم قال: «أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فإني نظرت إليه في الصلاة» ولبس خاتماً من ذهب ونظر إليه على المنبر نظرة فرمى به فقال: «شغلني هذا عنكم، نظرة إليه ونظرة إليكم». وكان ﷺ قد احتذى مرة نعلين جديدين، فأعجبه حسنها، فخرَّ ساجداً وقال: «أعجبني حسنها فتواضعت لربي خشية أن يمقتني» ثم خرج بهما فدفعهما إلى أوّل مسكين رآه.**

---

بن بكار من وجه آخر مرسل أن النبي ﷺ أتي بخميصتين سوداوين فلبس إحداهما وبعث الأخرى إلى أبي جهم فصلى في تلك الخميصة وبعث إليه التي لبسها هو ولبس هو التي كانت عند أبي جهم بعد أن لبسها أبو جهم لبسات، **( فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم )** كذا في القوت قال: وفي هذا حجة على من كان إذا أعجبه الشيء واستحسنه كسره وأحرقه، وفيه شاهد ومحجة لمن أخرج عن يده ما يستحسنه ويخاف فتنته لحصول الزهد بالإخراج ولانتفاع الغير به وفيه حجة على من ادعى الزهد بلبس الناعم، وأن ذلك لا يضر الزاهد ولا يخرجه عن حقيقة الزهد فيه إبطال لمن ادعى أن النظر إلى الزينة لا يشغله، وأن الرونق والفتنة لا تدخل عليه إذ لا يقدر أن يقول: إنه غير مقام الرسول فاعتبروا يا ذوي البصائر والعقول تمويه الراغبين بالزهد مع استعمال الفضول.

**( وكان شراك نعله )** ﷺ **( قد خلق فأبدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم )** من الصلاة **( قال «أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الشراك الجديد فإني نظرت إليه في الصلاة» )** تقدم في كتاب الصلاة. **( ولبس )** ﷺ مرة **( خاتماً ونظر إليه )** وهو **( على المنبر نظرة فرمى به وقال: «شغلني هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم» )** قال: فلا يدري من أخذه. رواه الشيخان وقد تقدم. قال صاحب القوت: وقد يحتج بهذا لما كرهناه من إتلاف المال المنظور إليه وليس فيه حجة له لأنه ﷺ لم يتلفه إذ لم يرم به في بر ولا بحر ولا مضيعة ولا أفسده، وإنما نزعه ورمى به بين المسلمين ووهبه لمن أخذه فجاز ذلك عن وجد الوقت وحده.

**( وكان ﷺ قد احتذى مرة نعلين جديدتين فأعجبه حسنها فخرّ ساجداً وقال «أعجبني حسنها فتواضعت لربي خشية أن يمقتني» ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه )**، وأمر علياً فاحتذى له نعلين سبتيتين قال: فرأيته وقد لبسهما يعني جرداوين. وقد تقدم في كتاب الصلاة.

قال صاحب القوت: وهذا مثل الحديث الآخر في إخراج الخميصة زهداً فيها وإخراج النعل ولم يقطعها فيكون فساداً، إذ هو ﷺ ينهى عن إضاعة المال إلا أن فيه شاهداً لمن إذا استحسن شيئاً خاف المقت عليه إلا أنه لا يبلغ فيه إتلافه فيكون إفساداً، وفيه دليل على دخول التغيير والرد إلى الصفة بالمناظرة الحسنة خلاف من ادعى البراءة من ذلك، وفيه شاهد آخر لمن تطرق بالحسن من الأشياء إلى الله تعالى، وشهد الحسن الأعلى بها وكان المحاسن طريقاً له إلى الحسن الجميل، لأنه ﷺ لما قال «أعجبني حسنها» خرّ ساجداً فكان ذلك اقتراباً له من القريب وتقرباً منه وتطرقاً إلى الحبيب، وقد قال تعالى ﴿واسجد واقترب﴾ [ العلق: ١٩ ].

وعن سنان بن سعد قال: حيكت لرسول الله ﷺ جبة صوف من صوف أنمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال: « انظروا ما أحسنها! ما ألينها »! قال: فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله هبها لي، وكان رسول الله ﷺ إذا سئل شيئاً لم يبخل به، قال: فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى، فمات ﷺ وهي في المحاكة.

وعن جابر قال دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من وبر الإبل، فلما نظر إليها بكى وقال: « يا فاطمة، تجرّعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد »، فأنزل عليه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [ الضحى: ٥ ] وقال ﷺ: « إنّ من خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله تعالى، ويبكون سراً من خوف عذابه، مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة، يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان، أجسامهم في الأرض وأفئدتهم عند العرش »،

---

**( وعن سنان بن سعد )** هكذا في سائر النسخ، والصواب سهل بن سعد كما نبه عليه العراقي، وليس في الصحابة من اسمه سنان بن سعد **( قال: حيكت لرسول الله ﷺ جبة صوف من صوف أنمار جعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال: « أنظروا ما أحسنها ما ألينها » قال: فقام إليه إعرابي فقال: يا رسول الله هبها لي، وكان رسول الله ﷺ إذا سئل شيئاً لم يبخل به قال: فدفعها إليه وأمر أن تحاك له واحدة أخرى، فمات ﷺ وهي في المحاكة )** قال العراقي: رواه أبو داود الطيالسي، والطبراني من حديث سهل بن سعد دون قوله: وأمر أن تحاك له أخرى، فهي عند الطبراني فقط وفيه زمعة بن صالح ضعيف.

**( وعن جابر )** رضي الله عنه **( قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله عنها وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من خلة الإبل، فلما نظر إليها بكى وقال « يافاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد » فأنزل عليه ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ )** قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك العسكري في المواعظ، وابن مردويه، وابن النجار.

**( وقال ﷺ « إن خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف عذابه، مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة، يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان. أجسامهم في الأرض )** وقلوبهم في الآخرة **( وأفئدتهم عند العرش » )** قال صاحب القوت: رويناه من حديث عياض بن غنم عن النبي ﷺ قال، وفي رواية أخرى: تفتح عليهم الدنيا فيزهدون في حلالها ويتبلغون بالسير منها ليسوا من الدنيا وليست الدنيا منهم في شيء اهـ.

قلت: رواه أبو نعيم من طريق مكحول عن غياض بن غنم، ورواه هو أيضاً من وجه آخر

**فهذه كانت سيرة رسول الله ﷺ في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه، إذ قال: « من أحبني فليستن بسنتي »، وقال: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ ». وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُوني يُحْبِبكُمُ**

---

والحاكم وصححه وتعقب، والبيهقي في الشعب وضعفه، وابن النجار من حديث عياض بن سليمان وكانت له صحبة ولفظه « خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قوم يضحكون جهراً من سعة رحمة ربهم، ويبكون سرا من خوف عذاب ربهم، يذكرون ربهم بالغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد، ويدعونه بألسنتهم رغباً ورهباً، ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً، ويقبلون بقلوبهم عوداً وبدءاً، فمؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرح ولا بذخ، يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة، يقرأون القرآن ويقربون القربان ويلبسون الخلقان، عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة، يتوسمون العباد ويتفكرون في البلاد، أرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة، ليس لهم هم إلا ما أمامهم، أعدوا الجهاز لقبورهم والجواز لسبيلهم والاستعداد لمقامهم » ثم تلا ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ [ إبراهيم: ١٤ ] قال الذهبي: هذا حديث عجيب منكر، وعياض لا يدرى من هو. قال ابن النجار. ذكره أبو موسى المديني في الصحابة اهـ.

قلت: رواه الحاكم في المستدرك من طريق الوليدبن مسلم عن حمزة بن عماد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان. ورواه أبو موسى المديني في الذيل من هذا الوجه لكن وقع عنده حماد عن أبي حميد.

**( فهذه كانت سيرة رسول الله ﷺ في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذ قال « من أحبني فليستن بسنتي » )** رواه يعلى من حديث ابن عباس بلفظ: « من أحب فطرتي فليستن بسنتي » وفي رواية بزيادة « وإن من سنتي النكاح » ورواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة، والبيهقي أيضاً والضياء من حديث عبيدالله بن سعد، وقد تقدم في كتاب النكاح.

**( وقال )** ﷺ: **( « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » )** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية، **( و )** قد **( قال )** الله **( تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ )** وقد كان أبو محمد سهل يقول: من علامة حب الله تعالى حب النبي ﷺ، ومن علامة حب النبي ﷺ حب السنة، ومن علامة حب السنة بغض الدنيا، فإن القوم كانوا زاهدين. وقال مرة: من علامة حب السنة بغض الدنيا، ومن علامة بغضها أن لا تأخذ منه الإزدراء أو بلغة.

وقال ﷺ « إن أقرب الناس مني مجلساً يوم القيامة من كان على مثل ما أنا عليه اليوم من الدنيا » فلذلك كان أبو ذر يقول لأصحابه: أنا أحبكم إلى رسول الله ﷺ وأقربكم منه غداً

**الله﴾ [آل عمران: ٣١]، وأوصى رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها خاصة وقال: « إن أردت اللحوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي ثوباً حتى ترقعيه »، وعدّ على قميص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم. واشترى علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ثوباً بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال: الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه. وقال الثوري وغيره: ألبس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال، وكان الفقير ليمرّ بي وأنا أصلي فأدعه**

---

مجلساً. قالوا: كيف ذلك؟ قال: لأني اليوم على مثل ما فارقته عليه وكلكم قد غيرتم، هذا لزهده. وكان مالك بن دينار في التابعين بدلاً عن أبي ذر في الزهد لأنه زاد على أصحابه في التزهد والتقشف بلبس الخشن وأكل الخشن وترك الادخار وبذاذة الحال، ولم يكن يغلق بابه إنما كان يشده بشريط وقال: لولا الكلاب لما شددته بشريط، وأما الحسن البصري فإن مالك بن دينار كان يقول: أيها الناس معلمي والله الحسن به تأدب ومنه تعلم، ولم يفارقه حتى مات فهو بدل عنه والحسن كان بدلاً عن صاحب السر حذيفة بن اليمان. وكان الإمام أبو محمد سهل لم يكن في عصره مثله، فكان بدلاً عنهم وخلفاً منهم، ثم الله أعلم حيث يجعل رسالاته ولا قوة إلا به.

**(وأوصى رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها خاصة وقال)** يا عائشة **(إذا أردت اللحوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء و)** أن **(لا تنزعي ثوباً حتى ترقعيه»)** رواه الترمذي وقال: غريب والحاكم وصححه من حديث عائشة وقد تقدم.

**(وعد على قميص عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم)** رواه جعفر بن سليمان، حدثنا مالك بن دينار، حدثنا الحسن أن عمر خطب وهو خليفة وعليه إزار فيه إثنتاعشرة رقعة. وروى عفان، عن مهدي بن ميمون، حدثنا الجريري، عن أبي عثمان قال: رأيت عمر يطوف عليه إزار فيه إثنتا عشرة رقعة إحداهن من أدم أحمر. وروى أسد بن موسى، الغني في مجلس قط أذل منه عند الثوري، وقال آخر: كنا إذا جلسنا عند سفيان تمنينا أنا فقراء لما نرى يرمي الجمرة عليه إزار فيه إثنتاعشرة رقعة بعضها من أدم.

**(واشترى علي رضي الله عنه ثوباً بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال: الحمدلله الذي كساني هذا من رياشه)** رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي سعيد الازدي، وكان إماماً من أئمة الأزد. قال: رأيت علياً أتى السوق وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي فجاء به فأعجبه فقال: لعله خير من ذاك. قال: لا، ذاك ثمنه قال: فرأيت علياً يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه، وإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما فضل من أطراف أصابعه.

**(وقال)** سفيان **(الثوري وغيره: إلبس من الثياب مالا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال)** نقله صاحب القوت، **(وكان)** الثوري رحمه الله تعالى **(يقول: إن الفقير ليمر بي**

يجوز، ويمرّ بي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته ولا أدعه يجوز. وقال بعضهم: قوّمت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق. وقال ابن شبرمة: خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته. وقال بعض السلف: البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة، ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر إليك. وقال أبو سليمان الداراني: الثياب ثلاثة: ثوب لله وهو ما يستر العورة، وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه، وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه. وقال بعضهم: من رق ثوبه رق دينه. وكان جمهور العلماء من التابعين

---

**وأنا أصلي فأدعه )** أي أتركه **( يجوز )** أي يمر، **( ويمر بي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته ولا أدعه يجوز )** نقله صاحب القوت، وتقدم للمصنف عن المؤمل قال: مارأيت الغني في مجلس قط أذل منه عند الثوري، وقال آخر: كنا إذا جلسنا عند سفيان تمنينا أنا فقراء لما نرى من إقباله عليهم وإعظامه لهم. رواه أبو نعيم في الحلية، وكذلك كان العلماء يقولون في وصف العالم: إنما العالم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنياً، ويقوم الغني من عنده فقيراً، ولا يستحيي الفقير من فقره ويزري الغني بغناه على نفسه.

**( وقال بعضهم: قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق )** نقله صاحب القوت قال: فهكذا كان علماء الآخرة الزاهدون في الدنيا ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ [ الأعراف: ١٦٩ ] الآية.

**( وقال )** عبدالله **( بن شبرمة )** الكوفي قاضيها: **( خير ثيابي ماخدمني وشرها ماخدمته )** نقله صاحب القوت. **( وقال بعض السلف: ألبس من الثياب مايخلطك بالسوقة ولا تلبس منها مايشهرك فينظر إليك )**، وبعضهم يقول: شر الثياب مايرفع الناس من رؤوسهم فينظرون إلى صاحبها، وكانوا يقولون: كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله له.

**( وقال أبو سليمان الداراني )** رحمه الله تعالى: **( الثياب ثلاثة: ثوب لله وهو مايستر العورة )** وتؤدى فيه الفريضة، **( وثوب للنفس وهو مايطلب لينه )** ونقاؤه، **( وثوب للناس وهو مايطلب جوهره وحسنه )** وهو شرها، ثم قال: وقد يكون الواحد لله تعالى وللنفس نقله صاحب القوت.

**( وقال بعضهم: من رق ثوبه فقد رق دينه )** فإن الثوب الرقيق يحوجه إلى إحضار ثمن كثير والحلال ضيق فيحتاج أن يمد يده إلى الشبهات بل إلى الحرام المحض، وهذا هو رقة الدين. وقد كان بعض العلماء يكره أن يكون على الرجل من الثياب مايجاوز قيمة أربعين درهماً، وبعضهم يقول إلى المائة وبعده سرفاً فيما جاوزها.

**( وكان جمهور العلماء )** و **( من )** خيار **( التابعين قيمة ثيابهم مابين العشرين إلى**

**قيمة ثيابهم ما بين العشرين إلى الثلاثين درهماً، وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته، وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه.**

**وقال بعض السلف: أول النسك الزي، وفي الخبر: «البذاذة من الإيمان»، وفي الخبر: «من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقاً على الله أن يدخر له من عبقري الجنة في تخات الياقوت». وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: قل**

---

**الثلاثين)** درهماً، وكان المتقدمون من الصحابة أثمان أزرهم إثني عشر درهماً، وكانوا يلبسون ثوبين قيمة نيف وعشرين إلى الأربعين، وكان الأحنف بن قيس يقول: ماكذبت كذبة منذ علمت أن الكذب يضر أهله إلا مرة واحدة فإن عمر بن الخطاب نظر إلى إزاري من العيبة فجسه فوجده ناعماً فقال: بكم أخذت هذا؟ ففزعت منه فقلت: بعشرين. قال: كثير فهلا بعشرة وقدمت عشرة لغد ليوم فقرك وفاقتك. قال: وقد كنت اشتريته بثلاثين وأخفيت عشرة رهبة منه.

**(وكان)** سليمان **(الخواص)** رحمه الله تعالى أحد زهاد عصره وكان **(لا يلبس أكثر من قطعتين)** مئزرين أو **(قميص ومئزر تحته، وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه)** أو يحله من وسطه فيغطي به رأسه. أي فكذلك يستحب للفقير وهو حد اللباس من الحاجة نقله صاحب القوت.

**(وقال بعض السلف: أول النسك الزي)** حتى يشبه القلب القلب أي: إذا رأيت إثنين زيهما واحد وشمائلهما واحد في اللبسة والآداب فاعلم أن قلب أحدهما على قلب الآخر في المجانسة أو يقاربه في الحال والهمة، وإن كان أحدهما ظاهره ظاهر أبناء الآخرة فإن باطنه باطن أهل الآخرة، وقد اتفقا من جهة أو دخلا من باب كذا في القوت. **(وفي الخبر «ألبذاذة من الإيمان»)** رواه أحمد وابن ماجه والطبراني والحاكم في الكنى وفي المستدرك، والبيهقي وأبو نعيم والضياء من حديث عبدالله بن أبي أمامة ثعلبة الحارثي عن أبيه مرفوعاً. وقد سئل الإمام أحمد عن البذاذة فقال: هي التقارب في اللباس ويقرب منه الإبتذال وهو التقارب والدنو في كل من المستعمل، والمبتذل كالملبوس منه. يقال: فلان متبذذ إذا لم يبال مالبس أو استعمل مافيه ضعة ودنوّ. **(وفي الخبر «من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله تعالى)** خيره الله من حلل الإيمان أيها شاء» وفي لفظ آخر «من ترك زينة لله ووضع ثياباً حسنة تواضعاً لله **(وابتغاء لوجهه كان حقاً على الله أن يدخر له من عبقري الجنة في تخات الياقوت»)** الحديث. رواه الترمذي وحسنه والطبراني وأبو نعيم والحاكم والبيهقي والضياء من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعاً، والحديث الثاني رواه أبو علي الذهلي في فوائده، وابن النجار من حديث ابن عباس. ورواه أبو سعد الماليني في مسند الصوفية، وأبو نعيم في الحلية بلفظ «من ترك زينة الدنيا لله» وهذا قد تقدم في ذم الدنيا.

**(وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي)**، ولا

**لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي. ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ، فقال: انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق. وجاء عبدالله بن عامر بن ربيعة إلى أبي ذر في بزته، فجعل يتكلم في الزهد، فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر. فشكاه إلى عمر فقال: أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة. وقال علي كرّم الله وجهه: إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره. ولما عوتب في خشونة لباسه قال: هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلم.**

---

يركبوا مراكب أعدائي، **( ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي )** ورد ذلك في الخبر كما في القوت.

**( ونظر رافع بن خديج )** بن رافع بن عدي الحارثي الأوسي الأنصاري أول مشاهده أحد ثم الخندق، مات سنة ثلاث وسبعين أو أربع وسبعين، وقيل: قبل ذلك، روى له الجماعة، **( إلى بشر بن مروان )** بن الحكم بن العاص أخي عبدالملك **( على منبر الكوفة )** إذ كان والياً عليها من طرف أخيه **( وهو يعظ )** الناس في خطبته **( فقال )** رافع: **( أنظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق )** قيل: **( و )** ما **( كان عليه )**؟ قال: **( ثياب رقاق )** نقله صاحب القوت.

**( وجاء عبدالله بن عامر بن ربيعة )** القرشي له رؤية، وقد روى عن الصحابة **( إلى أبي ذر )** رضي الله عنه **( في بزته فجعل يتكلم في الزهد، فوضع أبو ذر )** رضي الله عنه **( راحته على فيه وجعل يضرط به )** كالمستهزىء، **( فغضب ابن عامر فشكاه إلى عمر )** رضي الله عنه. كذا في النسخ، ولفظ القوت: فأتى ابن عمر فشكا إليه وقال: ألم تر مالقيت من أبي ذر: قال: وما ذاك؟ قال: جعلت أقول في الزهد فأخذ يهزأ بي، **( فقال )** ابن عمر: **( أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة )** ولفظ القوت: تأتي أبا ذر في هذه البزة وتتكلم في الزهد.

**( وقال علي رضي الله عنه: إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره )** نقله صاحب القوت، **( ولما عوتب رضي الله عنه في خشونة لباسه قال: هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلم )** ولفظ القوت: وعوتب رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الكرابيس قيمة قميصه ثلاثة دراهم إلى خمسة. ويقطع مافضل من أطراف أصابعه فقال: هذا الذي أدنى إلى التواضع وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثنا علي بن حكيم ح.

**ونهى ﷺ عن التنعم وقال: « إن لله تعالى عباداً ليسوا بالمتنعمين ». ورؤي فضالة بن عبيد وهو والي مصر أشعث حافياً فقيل له: أنت الأمير وتفعل هذا؟ فقال: نهانا رسول الله ﷺ عن الإرفاء، وأمرنا أن نحتفي أحياناً. وقال علي لعمر رضي الله عنهما: إن أردت أن تلحق بصاحبيك فأرقع القميص ونكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع. وقال عمر: اخشوشنوا وإياكم وزي العجم كسرى وقيصر، وقال علي كرّم الله**

---

وحدثنا محمد بن علي، حدثنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد قالا: حدثنا شريك، عن عثمان بن أبي زرعة عن زيد بن وهب قال: قدم على علي رضي الله عنه وفد من أهل البصرة فيهم رجل من رؤوس الخوارج يقال له الجعد بن بعجة، فعاتب علياً في لبوسه فقال: مالك وللبوسي إن لبوسي أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

( **ونهى ﷺ عن التنعم وقال « ألا إن عباد الله ليسوا بالمتنعمين »** ) رواه أحمد وأبو نعيم من حديث معاذ بلفظ « إياك والتنعم فإن لله عباداً ليسوا بالمتنعمين » وقد تقدم.

( **ورؤي فضالة بن عبيد** ) بن ناقد بن قيس الأنصاري الأوسي، أول مشاهدة أحد وشهد فتح مصر، ثم نزل دمشق وولي قضاءها، ومات سنة ثمان وخمسين، روى له مسلم والأربعة ( **وهو والي مصر أشعث** ) أغبر ( **حافياً فقيل له: أنت الأمير وتفعل هذا؟ فقال: نهانا رسول الله ﷺ عن الإرفاه** ) أي التنعم، ( **وأمرنا أن نحتفي أحياناً** ) ويروى نتحفى. رواه أبو داود باسناد جيد، والإحتفاء البذاذة والتبذل.

( **وقال علي لعمر رضي الله عنهما: إن أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع** ) نقله صاحب القوت.

( **وقال عمر رضي الله عنه: اخشوشنوا وإياكم وزي العجم كسرى وقيصر** ) ولفظ القوت: وكان عمر يقول: إخلولقوا واخشوشنوا وتمعددوا وإياكم وزي العجم كسرى وقيصر واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزواً وعليكم بالمعدية الأولى سنة أبيكم إسماعيل انتهى.

رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أبي عثمان قال: أتانا كتاب عمر ونحن بأذربيجان: ياعتبة بن فرقد إياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهانا عنه إلا هكذا، ورفع رسول الله أصبعيه.

وقد رواه أحمد في مسنده، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا عاصم الأحول عن ابن عثمان فذكره، وبه قال: حدثنا يزيد أنبأنا عاصم عن أبي عثمان أن عمر قال: اتزروا وارتدوا وانتعلوا والقوا الخفاف والسراويلات والقوا الركب وانزوا نزواً وعليك بالمعدية وارموا الأغراض وذروا التنعم وزي العجم، وإياكم والحرير.

وقال أبو نعيم في الغريب: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي العدبس الأسدي عن

وجهه: من تزيّا بزي قوم فهو منهم. وقال رسول الله ﷺ: «إن من شرار أمتي الذين

---

عمر أنه قال: اخشوشنوا وتمعددوا واجعلوا الرأس رأسين. ومعنى تمعددوا اتبعوا معد بن عدنان في الفصاحة، وقيل: تشبهوا بعيشه من الغلظ والتقشف فكونوا مثله ودعوا التنعم وزي الأعاجم.

وقال الرامهرمزي في الأمثال: المعنى اقتدوا بمعد بن عدنان، والبسوا الخشن من الثياب، وامشوا حفاة فهو حث على التواضع ونهي عن الإفراط في الترفه والتنعم. وقد روى الرامهرمزي في الأمثال، عن عبدالله بن سعيد، عن أبيه، عن رجل من أسلم يقال له ابن الأدرع له صحبة رفعة: تمعددوا واخشوشنوا وامشوا حفاة. ويروى: تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة. رواه الحاكم في الكنى، والبغوي، والطبراني، وابن منده من حديث أبي حدرد.

قال ابن عساكر: إعتقد البغوي إن ابن أبي حدرد هو عبدالله فأخرجه في ترجمته، وإنما هو القعقاع بن عبدالله بن أبي حدرد. وكذلك رواه صفوان بن عيسى، ويحيي بن زكريا بن أبي زائدة، عن عبدالله بن سعيد المقبري، فيكون الحديث مرسلاً لأن القعقاع لا صحبة له، وعبدالله بن سعيد ضعيف بمرة هذا كلام الحافظ السيوطي في الجامع الكبير.

وقال الحافظ السخاوي في المقاصد: رواه أبو الشيخ في السبق، وابن شاهين في الصحابة، والطبراني في الكبير، وعنه أبو نعيم في المعرفة كلهم من طريق يحي بن زكريا بن أبي زائدة عن عبدالله بن سعيد المقبري عن أبيه عن القعقاع بن أبي حدرد رفعه: تمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا وانتضلوا وامشوا حفاة. وهو عند الشيخ فقط من طريق صفوان بن عيسى، عن عبدالله بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبدالله بن أبي حدرد، عن النبي ﷺ. وكذا أخرجه أبو نعيم في المعرفة من طريق صفوان، لكن جعله عن القعقاع كالأول. ورواه أيضاً من طريق إسماعيل بن زكريا، عن عبدالله بن سعيد، عن أبيه، عن القعقاع بن أبي حدرد. وكذا أخرجه البغوي في معجم الصحابة في ترجمة القعقاع، لكنه لم يسمه إذ ساقه، بل قال عن ابن أبي حدرد، وأعاده في عبد الله من العبادلة من حديث إسماعيل أيضاً ولم يسمه. كذلك رواه الطبراني في الكبير من طريق منده بن علي، عن عبدالله بن سعيد، عن أبيه، عن عبدالله بن أبي حدرد. وأبو الشيخ أيضاً من طريق سعد بن سعيد ابن أبي سعيد المقبري، عن أخيه عبد الله، عن جده، عن أبي هريرة رفعه مثله. ورواه الرامهرمزي في الأمثال من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الرحمن، عن عبد الله بن سعيد، عن أبيه عن رجل من أسلم يقال له ابن الأدرع رفعه «تمعددوا» الحديث. فهذا مافيه من الإختلاف ومداره على عبدالله بن سعيد وهو ضعيف.

**(وقال علي رضي الله عنه: من تزيّا بزي قوم فهو منهم)** وقد روي نحوه مرفوعاً من حديث ابن عمر «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه أحمد وأبو داود والطبراني من طريق ابن منيب الجرشي عنه، وفي السند ضعف. ورواه البزار من حديث حذيفة وأبي هريرة. ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان من حديث أنس، وهو عند القضاعي من حديث طاوس مرسلاً. وله شاهد جيد

**غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام». وقال ﷺ: «أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطراً». وقال أبو سليمان الداراني،**

---

من قول الحسن البصري «قلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم». رواه العسكري في الامثال من طريق حماد عن حميد الطويل قال: كان الحسن يقول فذكره. ومن قول عمر بن عامر البجلي «من تشبه بقوم لحق بهم» ورواه العسكري أيضاً من طريق زافر عنه.

**(وقال ﷺ «إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون بالكلام»)** قال العراقي: رواه الطبراني باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة «سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام» الحديث وآخره: «أولئك شرار أمتي» وقد تقدم.

قلت: وتمامه: «ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام فأولئك شرار أمتي» وقد رواه أبو نعيم في الحلية كذلك.

وروى ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسن عن أمه عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها رفعته «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام». وقد رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة كذلك وتقدم.

وروى الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر «شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألواناً ويلبسون من الثياب ألواناً ويركبون من الدواب ألواناً يتشدقون في الكلام» وقد صححه الحاكم وتعقب وتقدم.

**(وقال ﷺ: «أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطراً»)** قال العراقي: رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد، ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي هريرة: قال محمد بن يحيى الذهلي: كلا الحديثين محفوظ انتهى.

قلت: لفظ مالك في الموطأ «أزرة المؤمن إلى نصف الساق ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جرّ إزاره بطراً لم ينظر الله إليه». وكذلك رواه الطيالسي، وأحمد، وابن ماجه، وأبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي، والضياء من حديث أبي سعيد. ورواه الطبراني من حديث ابن عمر. وفي رواية «أزرة المؤمن إلى نصف الساق وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار» ورواه كذلك الطبراني من حديث عبد الله بن مغفل، وفي رواية أزرة المؤمن إلى عضلة ساقيه ثم إلى الكعبين فما كان أسفل من ذلك ففي النار» رواه كذلك أحمد من حديث أبي هريرة، واقتصر النسائي من حديث أبي هريرة وابن عمر على الجملة الأولى فقط، وكذلك النسائي والبيهقي من حديث أبي سعيد، وكذلك ابن أبي عاصم

قال رسول الله ﷺ : « لا يلبس الشعر من أمتي إلا مراء أو أحمق » وقال الأوزاعي : لباس الصوف في السفر سنّة ، وفي الحضر بدعة . ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة : ما دعاك إلى مدرعة الصوف ؟ فسكت . فقال : أكلمك ولا تجيبني ! فقال : أكره أن أقول زهداً فأزكي نفسي ، أو فقراً فأشكو ربي . وقال أبو سليمان لما اتخذ الله ابراهيم خليلاً أوحى إليه : أن وارعورتك من الأرض وكان لا يتخذ من كل شيء إلا واحداً سوى السراويل ، فإنه كان يتخذ سراويلين فإذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لا يأتي عليه حال إلا وعورته مستورة . وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه : ما لك لا تلبس الجيد من الثياب ؟ فقال : وما للعبد والثوب الحسن ، فإذا عتق فله والله ثياب لا تبلى أبداً . ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء

---

وسمويه والضياء من حديث أنس ، وروى الطيالسي ومسلم من حديث ابن عمر « من جرّ إزاره يريد بذلك الخيلاء فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة » . وروى أحمد والستة من حديثه « من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » . وروى أحمد من حديث أبي سعيد « من جرّ ثيابه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » الحديث .

( **وقال أبو سليمان** ) الداراني رحمه الله تعالى ، ( **قال رسول الله ﷺ « لا يلبس الشعر من أمتي إلا مراء أو أحمق** ) قال العراقي : لم أجد له اسناداً . ( **وقال** ) أبو عمرو ( **الاوزاعي** ) رحمه الله تعالى : ( **لباس الصوف في السفر سنّة وفي الحضر بدعة** ) كذا في القوت . ( **ودخل محمد بن واسع** ) أبو يحيى البصري العابد رحمه الله تعالى ( **على قتيبة بن مسلم** ) الباهلي صاحب خراسان ، وكان أمير الجيش ، وكان محمد بن واسع قد خرج معه ( **وعليه جبة صوف فقال له قتيبة** ) : يا أبا يحيى ( **ما دعاك إلى مدرعة الصوف** ) وكان استحقرها ؟ ( **فسكت** ) محمد بن واسع ولم يجب ، ( **فقال** ) قتيبة : ( **أكلمك ولا تجيبني . فقال : أكره أن أقول** ) لبستها ( **زهداً** ) وتقشفاً ( **فازكي نفسي ، أو** ) لبستها ( **فقراً** ) وقلة ( **فأشكو ربي . وقال أبو سليمان** ) الداراني رحمه الله تعالى : ( **لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً أوحى الله إليه أن وار عورتك من الأرض ، وكان** ) عليه السلام ( **لا يتخذ من كل شيء** ) من الثياب ( **إلا واحدا سوى السراويل ، فإنه كان يتخذ سراويلين فإذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لا يأتي إليه حال إلا وعورته مستورة ، وقيل لسلمان الفارسي** ) رضي الله عنه : ( **ما لك لا تلبس الجيد من الثياب ؟ فقال : ما للعبد والثوب الحسن فإذا اعتق** ) أي من رقّ النار ( **فله والله ثياب لا تبلى أبداً** ) . وروى أبو نعيم في الحلية عن الحسن قال : كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين ، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها ، وإذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده . ( **ويروى عن عمر بن عبد العزيز** ) رحمه الله

**شعر يلبسها من الليل إذا قام يصلي. وقال الحسن لفرقد السبخي: تحسب أن لك فضلاً على الناس بكسائك، بلغني أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية نفاقاً. وقال يحي بن معين: رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت: إنك تكسي خيراً من هذا! فقال: ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة، فجعل يحي بن معين يحدث بها ويبكي.**

---

تعالى (**أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسها من الليل إذا قام يصلي**) تقشفاً وزهداً رواه أبو نعيم في الحلية. (**وقال الحسن**) البصري (**لفرقد**) بن يعقوب (**السبخي**) بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة أبي يعقوب البصري العابد صدوق لين الحديث مات سنة إحدى وثلاثين، روى له الترمذي وابن ماجه: (**تحسب أن لك فضلاً على الناس بكسائك: «بلغني ان أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية نفاقاً**) أي يلبسونها وباطنهم مخالف لظاهرهم، فالحسن رحمه الله تعالى خاطب فرقداً ينبهه أن لا يغره لبس الصوف.

(**وقال يحي بن معين**) بن عوف الغطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل. مات سنة ثلاث وثلاثين عن بضع وسبعين سنة، روى له الجماعة: (**رأيت أبا معاوية**) يمان (**الأسود**) رحمه الله تعالى ترجم له أبونعيم في الحلية وروى من طريق بشر بن الحرث سمعت المعافى بن عمران يقول: كان عشرة ممن مضى من أهل العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد لا يدخلون بطونهم إلا ما يعرفون من الحلال وإلا استفوا التراب، ثم عدّ بشر منهم أبا معاوية الأسود (**وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت**) له: (**إنك تكسى خيراً من هذا. فقال: ما أضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة، فجعل يحي بن معين يحدث بها ويبكي**) رواه أبو نعيم في الحلية من غير هذا الوجه قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد، حدثنا أحمد بن مهدي، حدثنا أبو موسى الفارقي قال: كنت أسمع أبا معاوية الأسود إذا قام من الليل يستقي الماء يقول: ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

حدثنا محمد بن عمر بن مسلم املاء، حدثنا عبد الله بن بشر بن صالح، حدثنا يوسف بن معبد، حدثنا ابراهيم بن مهدي، سمعت أبا معاوية بن الأسود يقول: ما ضرهم ما أصابهم في دنياهم جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

حدثنا محمد بن أحمد بن شاهين، سمعت عبد الله بن أبي داود، وسمعت أبا حمزة نصر بن الفرج وكان خادم أبي معاوية الأسود فقيل له: أي شيء يتكلم به أبو معاوية ويتمثل؟ فقال: كان يجيء ويذهب ويقول: ما ضرهم ما نالهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: كتب إلى أبو موسى بن المثنى،

**المهم الثالث: المسكن:** وللزهد فيه أيضاً ثلاث درجات:

**أعلاها:** أن لا يطلب موضعاً خاصاً لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصفة.

**وأوسطها:** أن يطلب موضعاً خاصاً لنفسه مثل كوخ مبني من سعف أو خص أو ما يشبهه.

**وأدناها:** أن يطلب حجرة مبنية إما بشراء أو إجارة، فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد، فإن طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حدّ الزهد في المسكن، فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة

---

حدثني عمرو بن أسلم، حدثنا أبو معاوية الأسود قال: شمروا طلاباً وشمروا هرباً لم يضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

**( المهم الثالث: المسكن: وللزهد أيضاً فيه ثلاث درجات ).**

**( أعلاها: أن لا يطلب موضعاً خاصاً لنفسه فيقنع بزوايا المساجد )** فيأوي إليها إن كان متجرداً عن العيال وذلك **( كأصحاب الصفة )** رضوان الله عليهم، وهم أناس من فقراء الصحابة ليس لهم مسكن يأوون إليه كانوا يسكنون في صفة المسجد، وكان عددهم يختلف بحسب اختلاف الأوقات والأحوال، فربما تفرق عنها وانفض قادموها من الغرباء فيقل عددهم، وربما يجتمع فيها واردوها من الوفود فينضم إليهم فيكثروا، والمشهور من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وايثارهم القلة واختيارهم لها، فلم يجتمع لهم ثوبان ولا حضرهم من الأطعمة لونان. وقال أبو هريرة: رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب، فمنهم من يبلغ ركبته، ومنهم من هو أسفل من ذلك، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته. رواه أحمد في الزهد.

**( وأوسطها: أن يطلب موضعاً خاصاً لنفسه مثل كوخ مبني من سعف )** النخل وجريده، **( أو خص )** وهو بالضم بيت من قصب فارسي والجمع أخصاص، **( أو ما يشبهه )**.

( وأدناها: أن يطلب **حجرة مبنية** ) بطين ولبن ( إما بشراء أو إجارة ) أو استعارة، **( فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم تكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد، فإن طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حدّ الزهد في المسكن واختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله**

إلى الأوقات بأن يكون مملوكاً أو مستأجراً أو مستعاراً ، وللزهد مدخل في جميع ذلك . وبالجملة؛ كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حدّ الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الأعين والأذى وأقل الدرجات فيه معلوم، وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جداً ، وقد قيل : أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله ﷺ التدريز والتشييد ، يعني بالتدريز : كف دروز الثياب فإنها كـانت تشلّ شلاً ، والتشييد : هو البنيان بالجص والآجر ، وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد . وقد جاء في الخبر : « يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود اليمانية » . وأمر رسول الله ﷺ العباس أن يهدم عليّة كان قد علا بها .

---

**بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكاً أو مستأجراً أو مستعاراً ، وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة ، كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حدّ الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته )** بها يصل إليه بـل لا يعد من الدنيا ، **( وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد و )** حر الشمس و**( دفع الأعين )** لئلا تتطلع إليه **( والأيدي )** لئلا تصل إليه ، **( وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا ، وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جداً ، وقد قيل )** : أوّل بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ المناخل والموائد ، و**( أوّل شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله ﷺ التدريز والتشييد ، يعني بالتدريز كف دروز الثياب فإنها كانت تشلّ شلاً )** والشلالة هي الخياطة الخفيفة ، والتدريز هي الكفافة وهي إعادة الخياطة على الشلالة . **( والتشييد : هو البنيان بالجص والآجر )** يقال : شيد بناءه إذا بناه بالشيد بالكسر وهو الجص ، ولا يتم ذلك إلا بالآجر ، **( وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد )** وأعلاه بالطين والرهوص كذا في القوت. قال العراقي : أما شلّ الثياب من غير كف ، فروى الحاكم والطبراني أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من الكم من غير كف ، وقال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ . وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة : « فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة » الحديث . ولهما من حديث أبي سعيد « وكان المسجد على عريش فوكف المسجد » الحديث .

**( وقد جاء في الخبر « يأتي على الناس زمان يوشون )** أي يزينون **( ثيابهم )** كذا في النسخ وفي بعضها بنيانهم **( كما توشى البرود اليمانية )** فإنها تخطط بالألوان المختلفة من الحرير » أورده صاحب القـوت وأغفلـه العـراقـي . **( وأمـر رسـول الله ﷺ )** عمـه **( العبـاس )** بـن عبـد المطلـب رضي الله عنـه **( أن يهدم عليتـه )** بكسر العين واللام واليـاء المشـددتين هـي الغـرفـة

**ومرّ عليه السلام بجنبذة معلاة فقال: «لمن هذه» قالوا: لفـلان، فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان، فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجهه ﷺ فأخبر فذهب فهدمها، فمرّ رسول الله ﷺ بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمه فدعا له بخير.**

**وقال الحسن: مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة. وقال النبي ﷺ: «إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين». وقال عبدالله بن عمر:**

---

المشرفة وجمعها علالي (**كان قد علا بها**) أي رفع بناءها. قال العراقي: رواه الطبراني من رواية أبي العالية أن العباس بنى غرفة فقال له النبي ﷺ: «اهدمها» الحديث وهو منقطع.

(**ومرّ** ﷺ) يوماً (**بجنبذة معلاة**) أي قبة مرتفعة (**فقال: لمن هذه؟ قالوا: لفلان**) وسموا رجلاً من أصحابه، (**فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان**) فاستنكر ذلك من فعل رسول الله ﷺ، (**فسأل الرجل أصحابه عن تغيير وجه رسول الله ﷺ فأخبر**) بالسبب، (**فذهب فهدمها فمر رسول الله ﷺ بالموضع فلم يرها**) فسأل عنها (**فأخبر بأنه هدمها فدعا له بخير**) أورده صاحب القوت. وقال العراقي: رواه أبو داود من حديث أنس باسناد جيد بلفظ «فرأى قبة مشرفة» الحديث. والجنبذة: القبة انتهى.

قلت: ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن رسول ﷺ مرّ ببنية قبة لرجل من الأنصار فقال: «ما هذا»؟ قالوا: قبة فقال: «كل بناء ـ وأشار بيده على رأسه ـ أكبر من هذا فهو وبال على صاحبه يوم القيامة». وروى في الكبير من حديث واثلة «كل بنيان وبال على صاحبه إلا ما كان هكذا» وأشار بكفه الحديث.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة**). قال العراقي: رواه ابن حبان في الثقات، وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسلاً، وللطبراني في الأوسط من حديث عائشة «من سأل عني أو سرّه أن ينظر إليّ فلينظر أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة» الحديث. واسناده ضعيف انتهى.

قلت: وتمامه: ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمر إليه اليوم المضمار وغداً السباق والغاية الجنة والنار، وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية.

(**وقال**) ﷺ: (**«إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين»**) قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد بلفظ خضر له في الطين واللبن حتى يبني انتهى.

قلت: ورواه كذلك الطبراني في معاجيمه الثلاثة، والخطيب من حديث جابر ورجاله رجال الصحيح، خلا شيخ الطبراني. قال الهيتمي: لم أجد من ضعفه وله في الأوسط عن أبي بشير الانصاري: إذا أراد الله بعبد هواناً أنفق ماله في البنيان. وفي لفظ له بزيادة: «والماء والطين» وهكذا رواه بهذه الزيادة الحسن بن سفيان، وابن أبي الدنيا والبغوي وأبو نعيم في المعرفة. والبيهقي

مرّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصاً فقال: «ما هذا؟» قلنا: **خص لنا قد وهى**، فقال: «أرى الأمر أعجل من ذلك». **واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب فقيل له**: لو بنيت؟ فقال: هذا كثير لمن يموت. وقال الحسن: **دخلنا على صفوان بن محيريز وهو** في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له: لو أصلحته؟ **فقال: كم من رجل قد مات وهذا** قائم على حاله. وقال النبي ﷺ: «من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة». وفي الخبر: «كل نفقة للعبد يؤجر عليها إلا ما أنفقه في الماء والطين» **وفي قوله تعالى**:

---

كلهم عن محمد بن بشير الانصاري. قال البغوي: وماله غيره. ورواه أيضاً ابن عدي من حديث أنس.

**(وقال عبد الله بن عمرو بن العاص)** رضي الله عنهما: **(مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصاً فقال: ما هذا؟ قلنا: خص لنا قد وهي. قال: أرى الأمر أعجل من ذلك)**. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه انتهى.

قلت: ورواه أحمد كذلك ولفظه قال: الأمر أسرع من ذلك.

**(واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب)** بأن ربط بعضه على بعض **(فقيل له: لو بنيت)** بالطين؟ **(فقال: هذا كثير لمن يموت)** ومن هنا قولهم المشهور: بيت العنكبوت كثير لمن يموت.

**(وقال الحسن البصري)** رحمه الله تعالى: **(دخلنا على صفوان بن محيريز)** هكذا في النسخ وهو غلط والصواب صفوان بن محرز، وهو ابن زياد المازني البصري العابد ثقة له فضل وورع. قال ابن حبان: في الثقات مات سنة أربع وسبعين في ولاية عبد الملك قال: وكان من العباد اتخذ لنفسه سرباً يبكي فيه. وقال الواقدي: توفي في ولاية بشر بن مروان، روى له الجماعة غير أبي داود، **(وهو في بيت من قصب قد مال عليه، فقيل له)**: أي قال له أحد أصحاب الحسن: **(لو أصلحته؟ فقال: كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله. وقال ﷺ: «من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة»)** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد فيه لين وانقطاع اهـ.

قلت: لكن بلفظ «كلف يوم القيامة أن يحمله على عنقه» وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية، والبيهقي، وابن عساكر.

**(وفي الخبر «كل نفقة)** ينفقها **(العبد يؤجر عليها إلا ما أنفقه في الماء والطين»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث خباب بن الأرت بإسناد جيد بلفظ «الا في التراب» أو قال في البناء انتهى.

قلت: ورواه الطبراني بلفظ «كل نفقة ينفقها العبد يؤجر عليها إلا البنيان».

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فساداً﴾ [ القصص: ٨٣ ] إنه الرئاسة والتطاول في البنيان. وقال ﷺ: « كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلاّ ما أكن من حر وبرد ». وقال ﷺ: « للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله: « اتسع في السماء » أي في الجنة. ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بني بجص وآجر فكبّر وقال: ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون، يعني قول فرعون: ﴿فأوقِد لي يا هامان على الطين﴾ [ القصص: ٣٨ ] يعني به الآجر. ويقال: إن فرعون هو أوّل من بني له بالجص والآجر، وأوّل من عمله هامان، ثم تبعها الجبابرة، وهذا هو الزخرف. ورأى بعض السلف جامعاً في بعض الأمصار فقال:

---

( وفي قوله تعالى: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علـوّاً في الأرض ولا فساداً﴾ ) قيل: هو حب الكثرة وطلب ( **الرئاسة والتطاول في البنيان، و** ) كذلك ( **قال ﷺ « كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حرّ وبرد »** ) وفي لفظ: « إلا مسجداً من بيوت الله ». قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أنس باسناد جيد: « إلا مالا وإلا ما لا يعني ما لا بد منه» انتهى.

قلت: سبق ذكره قريباً في حديث القبة عند الطبراني في الأوسط وفي الكبير. قال صاحب القوت: ولذلك جعل التطاول في البنيان من أشراط الساعة وقرب توقع وقوعها في خبر الجساسة: أن الدجال سأل هل تطاول الناس في البنيان؟ قالوا: نعم. قال: الآن دنا خروجي في أشياء عددها.

( **وقال ﷺ للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله « اتسع في السماء »** ) قال المصنف: ( **أي في الجنة** ) قال العراقي: رواه أبو داود في المراسيل من رواية اليسع بن المغيرة قال: شكا خالد بن الوليد فذكره، وقد وصله الطبراني فقال: عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خالد بن الوليد إلا أنه قال « ارفع إلى السماء وسأل الله السعة » وفي اسناده لين انتهى.

ولفظ القوت: وشكا العباس إلى رسول الله ﷺ ضيق منزله فقال: « يا عم اتسع في السماء » ـ يعني في طلب الآخرة ـ « ولا تطلب سعة الأرض بالدنيا ».

( **ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام** ) حين توجه إليه ( **إلى صرح** ) عال ( **قد بني بجص وآجر فكبّر** ) أي قال: الله أكبر ( **وقال: ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون: ﴿فاوقد لي يا هامان على الطين﴾ يعني به الآجر. ويقال: إن فرعون أوّل من بني له بالجص والآجر، وأوّل من عمله هامان ثم تبعها الجبابرة وهذا هو أوّل الزخرف** ) كل ذلك في القوت إلا أنه قال: وهذا من الزخرف.

( **ورأى بعض السلف** ) مسجداً ( **جامعاً في بعض الامصار فقال: أدركت هذا المسجد**

أدركت هذا المسجد مبنياً من الجريد والسعف، ثم رأيته مبنياً من رهص، ثم رأيته الآن مبنياً باللبن، فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرهص، وكان أصحاب الرهص خيراً من أصحاب اللبن. وكان في السلف من يبني داره مراراً في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام البنيان، وكان منهم من إذا حجّ أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه، فإذا رجع أعاده، وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن، وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة. قال الحسن: كنت إذا دخلت بيوت رسول الله ﷺ ضربت بيدي السقف. وقال عمرو بن دينار: إذا أعلى العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك: إلى أين يا أفسق الفاسقين؟ وقد نهى سفيان عن النظر إلى بناء مشيد وقال: لولا نظر الناس لما شيدوا فالنظر إليه معين عليه. وقال الفضيل: إني لا أعجب ممن بنى وترك ولكن أعجب ممن نظر إليه ولم يعتبر. وقال ابن مسعود رضي الله

---

**مبنياً من الجريد والسعف ثم رأيته)** بعد سنين **(مبنياً من رهوص، ثم رأيته الآن مبنياً باللبن)** والآجر، **(فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرهوص، وكان أصحاب الرهوص خيراً من أصحاب اللبن)** نقله صاحب القوت.

**(وكان في السلف من يبني داره مراراً في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام البنيان)** واتقانه، **(وكان منهم من إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه، فإذا رجع أعاده، و)** العذر في ذلك أنه **(كانت بيوتهم من الحشيش)** والثمام **(والجلود)** وهي عادة العرب إلى **(الآن ببلاد اليمن)** كل ذلك في القوت. **(وكان ارتفاع بناء السقف)** ولفظ القوت: وكان سمك بناء الصحابة **(قامة وبسطة. قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(كنت إذا دخلت بيوت)** أصحاب **(رسول الله ﷺ ضربت بيدي إلى السقف)** كذا في القوت.

**(وقال عمرو بن دينار)** المكيّ أبو محمد الأثرم الجهمي مولاهم ثقة ثبت مات سنة ست وعشرين ومائة، روى له الجماعة: **(إذا أعلى العبد البنيان فوق ستة أذرع ناداه ملك)** الهواء: **(إلى أين يا أفسق الفاسقين)**؟ كذا في القوت.

**(وقد نهى سفيان)** الثوري رحمه الله تعالى **(عن النظر إلى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوه فالنظر إليه معين عليه)** ولفظ القوت وقال بعضهم: كنت أمشي مع سفيان في طريق فنظرت إلى باب مشيد بالجص فقال: لا تنظر إليه، فقلت: يا أبا عبد الله ما تكره من النظر إليه؟ فقال: إذا نظرت إليه كنت عوناً له على بنائه لأنه إنما بناه لينظر إليه، ولو كان كل من يمرّ به لا ينظر إليه ما عمله.

**(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(إني لا أعجب ممن بني وترك، ولكني أعجب ممن نظر إليه ولم يعتبره)** رواه أبو نعيم في الحلية. **(وقال ابن مسعود)** رضي الله

عنه: يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين، يصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير دينكم.

**المهم الرابع: أثاث البيت**؛ وللزهد فيه أيضاً درجات.

**أعلاها**: حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفى إذ كان لا يصحبه إلا مشط وكوز فرأى إنساناً يمشط لحيته بأصابعه، فرمى بالمشط. ورآى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز، وهذا حكم كل أثاث فإنه إنما يراد لمقصود، فإذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة، وما لا يستغني عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به.

**وأوسطها**: أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها. وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف.

---

عنه: ( **يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين** ) وهي خيل الروم، ( **يصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير دينكم** ) وهذا من جملة الأخبار بما سيقع.

( **المهم الرابع: أثاث البيت** ) أي متاعه: ( **وللزهد فيه أيضاً درجات** ).

( **أعلاها: حال عيسى المسيح عليه السلام إذ كان لا يصحبه** ) منه ( **إلا مشط وكوز** ) فالمشط للحيته والكوز لشربه، وبينما هو يمشي ( **فرأى انساناً** ) قد غسل وجهه وهو ( **يمشط لحيته باصبعه** ) يخللها به ( **فرمى بالمشط** ) إذا رأى الاصابع كافية، ( **ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز** ) إذ رأى كفيه كافية، وصحب زاهد مسواكاً فرأى رجلاً يتسوّك بأصابعه فرمى بالمسواك. ( **وهذا حكم كل أثاث فإنه إنما يراد لمقصود، فإذا استغنى عنه فإنه وبال في الدنيا والآخرة، وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف** ) في آلات الشرب والطبخ والعجن والغسل وغيرها، ( **ولا يبالي بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به** )، وذلك في الزهد ولا يتشاءم بالشرب من شربة مكسورة الطرف أو من ابريق كذلك فإنه من الجهل بالسنّة.

( **وأوسطها: أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه، ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصده كالذي معه قصعة يأكل فيها** ) الطعام ( **ويشرب فيها** ) الماء ( **ويحفظ المتاع فيها** ). فهذه ثلاثة مقاصد في آلة واحدة. ( **وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف.**

**وأعلاها:** أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فإن زاد في العدد أو في نفاسة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول، ولينظر إلى سيرة رسول الله ﷺ وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان ضجاع رسول الله ﷺ الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف. وقال الفضيل: ما كان من فراش رسول الله ﷺ إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه عليه الصلاة والسلام، فدمعت عينا عمر فقال له النبي ﷺ: «ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب»؟ قال: ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير

---

**وأعلاه: أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس، فإن زاد في العدد)** بأن اتخذ صحنين أو ابريقين أو قصعتين أو قدرين، **(أو)** زاد **(في نفاسة الجنس)** بأن اتخذ من خزف الصين الساج أو المموّه بالنقوش، فقد **(خرج عن جميع أبواب الزهد)** آخرها وأوّلها، **(وركن إلى طلب الفضول. ولينظر إلى سيرة رسول الله ﷺ وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان ضجاع رسول الله ﷺ الذي ينام عليه وسادة من أدم)** أي جلد مدبوغ **(حشوها ليف)** النخل. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه انتهى.

قلت: ولفظهم: كانت وسادته التي ينام عليها من أدم حشوها ليف، وكذلك رواه أحمد.

**(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف)** قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث حفصة بقصة العباءة وقد تقدم. ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه.

**(وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير)** من جريد **(مرمول)** أي منسوج **(بشريط، فجلس)** ولفظ القوت **(فقعد فرؤي أثر)** حبال **(الشريط في جنبه)** عليه السلام **(فدمعت عينا عمر)**. ولفظ القوت: فأدرت عيني في بيت رسول الله ﷺ فما رأيت إلا صاعين من شعير مصبوب في زاوية البيت واهب في ناحية منه غير مدبوغة. قال: فلم أملك عيني فبكيت، **(فقال النبي ﷺ: «ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب»)**؟ ولفظ القوت قال «فما يبكيك يا ابن الخطاب»؟ **(قال)**، فقلت **(ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك)** ونعيم الدنيا، **(وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله)**. ولفظ القوت: وأنت رسول الله ﷺ وخيرته من خلقه على ما أرى **(نائم على سرير**

مرمول بالشريط؟ فقال ﷺ: «أما ترضى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: «فذلك كذلك». ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الأثاث. فقال: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا. فقال: إنه لا بدّ لك من متاع ما دمت ههنا، فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

ولما قدم عمير بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له: ما معك من الدنيا؟ فقال: معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها، ومعي جرابي أحمل فيه

---

**مرمول بالشريط. فقال ﷺ)**: «أفي شك أنت يا عمر، **(أما ترضى أن تكون لهم)** وفي نسخة لهما **(الدنيا ولنا الآخرة» قال)**: قلت **(بلى يا رسول الله. قال «فذلك كذلك»)** وفي لفظ: فقلت رضيت، وفي لفظ آخر: أولئك قد عجلت لهم طيباتهم في الدنيا فدلّ قوله ﷺ: «أفي شك أنت» على أن القلة والزهد من اليقين لأنه ضد الشك فمن شك في ذلك أو رغب فهو غير موقن. قال العراقي: هو متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم.

**(ودخل رجل على أبي ذر)** رضي الله عنه، **(فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الاثاث. فقال: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا. فقال: إنه لا بدّ لك من متاع ما دمت ههنا. فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه)**. وقد روى صاحب الحلية في ترجمة أبي الدرداء نحو هذه القصة، عن خالد بن جدير الأسلمي أنه دخل على أبي الدرداء، فرأى تحته فراشاً من جلد أو صوف وعليه كساء صوف وسبتية صوف وهو وجع وقد عرق فقال: لو شئت لكسيت مما يبعث به أمير المؤمنين. قال: إن لنا داراً وإنا لنطمئن إليها ولها نعمل. ومن طريق الاوزاعي عن حسان بن عطية أن أصحاباً لأبي الدرداء تضيفوه فضيفهم، فمنهم من بات على لبده، ومنهم من بات على ثيابه كما هو، فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال: إن لنا داراً لها نجمع وإليها نرجع.

**(ولما قدم عمير بن سعد)** بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي هكذا نسبه الواقدي، وتبعه ابن عبدالبر وكان يقال له نسيج وحده. قيل: كان عمر يسميه بذلك لاعجابه به صحب رسول الله ﷺ وشهد فتوح الشام، واستعمله عمر على حمص إلى أن مات وكان من الزهاد، روى عنه راشد بن سعد، وحبيب بن عبيد وابنه عبد الرحمن بن عمير. قال ابن سعد: مات في خلافة عمر، وقيل في خلافة عثمان، وقيل في خلافة معاوية، وكان **(أمير حمص)** استعمله عمر **(على عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنهما)** أي عن عمر وعن عمير **(قال له: ما معك من الدنيا؟ فقال: معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها،**

طعامي، ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي، ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي وطهوري للصلاة، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي، فقال عمر: صدقت رحمك الله. وقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها ستراً، وفي يديها قلبين من فضة فرجع، فدخل عليها أبو رافع

---

**ومعي جرابي أحمل فيها طعامي، ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي، ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي، فقال عمر: صدقت رحمك الله)** رواه أبو نعيم في الحلية، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن المرزبان الأدمي، حدثنا محمد بن حكيم الرازي، حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، حدثني أبي عن جدي عن عمير بن سعد الأنصاري قال: بعثه عمر بن الخطاب عاملاً على حمص فمكث حولاً يأتيه خبره فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا إذا جاءك كتابي هذا، فاقبل واقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا. قال: فأخذ عمير جرابه فجعل فيه زاده وقصعته وعلق أداوته وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة. قال: فقدم وقد شحب لونه واغبر وجهه وطالت شعرته، فدخل على عمر وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله. فقال عمر: ما شأنك؟ فقال عمير: ما ترى من شأني ألست تراني صحيح البدن ظاهر الدم معي الدنيا أجرها بقرنها. قال: وما معك؟ فظن عمر أنه قد جاء بمال فقال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي، وثيابي وأداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً إن عرضني، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. قال عمر: فجئت تمشي؟ قال: نعم. قال: ما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها؟ قال: ما فعلوا وما سألتهم ذلك. فقال عمر: بئس المسلمون خرجت من عندهم. فقال عمير: اتق الله يا عمر قد نهاك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة. قال عمر: فأين بعثتك وأي شيء صنعت؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: سبحان الله! فقال عمير: أما لولا أني اخشى أن أغمك ما أخبرتك بعثتني حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيت به قال، فما جئتنا بشيء قال: لا، قال: جددوا لعمير عهداً. قال: إني ذلك لشيء لا عملت لك ولا لأحد بعدك ثم ساق الحديث بطوله، وفيه وفاته بالمدينة وشهود عمر جنازته. وقوله: وددت لو أن رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين. وروى الواقدي هذا القول عن عمر، ولفظه: وددت لو أن لي رجالاً مثل عمير بن سعيد أستعين بهم على أعمال المسلمين.

**(وقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها)** وكان من أول من يدخل عليها من أهله إذا قدم من سفر، **(فرأى على باب منزلها ستراً وفي يديها قلبين من فضة)** مثنى قلب بضم فسكون وهو السوار، **(فرجع)** ولم يدخل، **(فدخل عليها أبو رافع)**

**وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله ﷺ ، فسأله أبو رافع فقال: « من أجل الستر والسوارين » فأرسلت بهما بلالاً إلى رسول الله ﷺ وقالت: قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى ، فقال: « اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة » فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم، فدخل عليها ﷺ فقال: « بأبي أنت قد أحسنت ». ورأى رسول الله ﷺ على باب عائشة ستراً فهتكه وقال: « كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به إلى آل فلان ». وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشاً جديداً وقد كان ﷺ ينام على عباءة مثنية ،**

---

مولى رسول الله ﷺ ( **وهي تبكي، فأخبرته برجوع رسول الله ﷺ** ) وقالت: لأمر ما رجع ، فقال: أنا أسأله ما ردّه ، ( **فسأله أبو رافع فقال: « من أجل الستر والسوارين »** ) فأخبرها فهتكت الستر ونزعت السوارين ، ( **فأرسلت بهما بلالاً إلى رسول الله ﷺ وقالت: قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى، فقال: « اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة » فباع** ) بلال ( **القلبين بدرهمين ونصف، وتصدق بهما عليهم، فدخل عليها ﷺ** ) وضمها إليه ( **فقال: « بأبي أنت وأمي قد أحسنت** ) أنت مني » كذا في القوت. وقال في موضع آخر ، ونظر ﷺ إلى فاطمة رضي الله عنها في عنقها عقد من حرز فيه شيء من ذهب وعلى بابها ستر فرجع ولم يدخل فقال: « مالي وللدنيا » فنزعت ذلك وأرسلت به إلى بعض الفقراء ، ورأى ﷺ في يد الحسن والحسين رضي الله عنهما قلبين من فضة قد زينتهما بهما فاطمة رضي الله عنها ، فنزعهما وأمر بلالاً ، أن يتصدق بثمنهما على أهل الصفة. وقال العراقي: لم أره مجموعاً . ولأبي داود وابن ماجه من حديث سفينة بإسناد جيد أنه ﷺ جاء فوضع يديه على عضادتي الباب، فرأى القرام قد ضرب في ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة: لعلي انظر ما أرجعه الحديث. وللنسائي من حديث بإسناد صحيح قال: جاءت ابنة هبيرة إلى النبي ﷺ وفي يديها فتح من ذهب. الحديث. وفيه وجد في يد فاطمة سلسلة من ذهب ، وفيه يقول الناس: فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار وأنه خرج ولم يقعد فأمرت بالسلسلة فبيعت فاشترت بثمنها عبداً فاعتقته ، فلما سمع ذلك قال: « الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار » انتهى.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية من طريق شريك عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن علي بن الحسين، عن أبي رافع قال: لما ولدت فاطمة حسناً قالت: يا رسول الله ألا أعق على ابني ؟ قال: « لا ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره ورقاً أو فضة على الأوفاض والمساكين » يعني بالأوفاض أهل الصفة.

( **ورأى رسول الله ﷺ على باب عائشة** ) رضي الله عنها ( **ستراً فهتكه وقال: « كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به إلى آل فلان »** ) وفي القوت ستراً فيه صورة، وفيه: « إني إذا رأيته ذكرت الدنيا » وقال العراقي: رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها.

( **وفرشت له عائشة** ) رضي الله عنها ( **ذات ليلة فراشاً جديداً ، وقد كان ﷺ ينام على**

**فما زال يتقلب ليلته، فلما أصبح قال لها: «أعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة». وكذلك أتته دنانير خمسة أو ستة ليلاً فبيتها، فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل. قالت عائشة رضي الله عنها: فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال: «ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده». وقال الحسن: أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط. كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه.**

---

**عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته، فلما أصبح قال لها: «أعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة»** ) كذا في القوت، وفي موضع آخر منه: وأهدت لعائشة امرأة فراشاً ففرشته لرسول الله ﷺ، وكان فراشه عباءة مطوية فلما اضطجع عليها أنكر لينه وتوطئته ووطاءه فسألها فاخبرته فقال: «ردي العباءة ونحي هذا» انتهى.

وقال العراقي: روى أبو الشيخ ابن حيان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديثها قالت: دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية، فانطلقت فبعثت إليّ بفراش حشوه صوف، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا» الحديث. وفيه: أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته، وفيه مجالد بن سعيد مختلف فيه، والمعروف حديث حفصة المتقدم ذكره من الشمائل.

**( وكذلك أتته دنانير ستة أو خمسة ليلاً فبيّتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل. قالت عائشة )** رضي الله عنها: **( فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه، ثم قال: «ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده» )** كذا في القوت. قال: وروى الحسن أن النبي ﷺ لم يكن يبيت عنده مالاً ولا يقبله إن جاءه ليلاً أو عشاءً، لم يبيته وإن جاءه غدوة لم ينتظر به القابلة.

قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة بإسناد حسن أنه قال في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما فعلت بالذهب»؟ فجاءت ما بين الخمسة إلى الثمانية إلى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول: «ما ظن محمد» الحديث، وفيه رواية سبعة أو تسعة دنانير، وله من حديث أم سلمة بإسناد صحيح دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو ساهم الوجه قالت: فحسبت ذلك من وجع فقلت: يا نبي الله ما لك ساهم الوجه؟ فقال: «من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا أمس أمسينا وهي في خصم الفراش» وفي رواية: «أمسينا ولم ننفقها».

**( وقال الحسن )** البصري رحمه الله تعالى: **( أدركت سبعين )** رجلاً **( من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط. كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسده وجعل ثوبه فوقه )** نقله صاحب القوت.

**المهم الخامس: المنكح: وقد قال قائلون: لا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في** كثرته وإليه ذهب سهل بن عبدالله وقال: **قد حبب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف** نزهد فيهن؟ ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال: **كان أزهد الصحابة علي بن أبي** طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية، **والصحيح ما قاله أبو** سليمان الداراني رحمه الله إذ قال: **كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك** مشؤوم، والمرأة قد تكون شاغلاً عن الله تعالى. وكشف الحق فيه أنه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الأحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب، فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم يكن عليه آفة في تركه ولا فعله ولكن ترك النكاح احترازاً عن ميل القلب إليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد، فإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازاً من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس

---

(**المهم الخامس: المنكح: وقد قال قائلون**) من الصوفية: (**لا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في كثرته، وإليه ذهب**) أبو محمد (**سهل بن عبدالله**) التستري رحمه الله تعالى، (**وقال قد حبب إلى سيد الزاهدين**) ﷺ (**النساء**) فكيف نزهد فيها ولا معنى لمحبتهن إلا النكاح؟ كأنه يشير إلى الخبر المشهور: «حبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» ولفظ سهل: لا يصح الزهد في النساء لأنه قد حبب إلى سيد الزاهدين، (**ووافقه**) في ذلك الإمام أبو محمد سفيان (**بن عيينة**) الهلالي مولاهم المكي رحمه الله تعالى (**وقال**): ليس في كثرة النساء دنيا. (**كان أزهد الصحابة**) وأعلاهم شأناً فيه (**علي بن أبي طالب**) رضي الله عنه (**كان له أربع نسوة**) بالصداق (**وبضع عشرة سرية**) مات عنهن، (**والصحيح**) في ذلك (**ما قاله أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى (**إذ قال: كل ما شغلك عن الله من أهل ومال فهو عليك مشؤوم**) هكذا نقله القشيري، ويروى أيضاً من قول داود الطائي كما تقدم قريباً. ونقل القشيري أيضاً عن الداراني قال: الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى. وقال أحمد بن حنبل: زهد العارفين ترك العبد ما يشغل عن الله تعالى، (**والمرأة قد تكون شاغلة عن الله تعالى**) فيكون الزهد تركها، (**وكشف الحق فيه أنه قد تكون العزوبة أفضل**) للسالك (**في بعض الأحوال كما سبق**) بيانه (**في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة**) عن شبق كشبق الحمار لا يرعوى ولا ينتهي إلا بالسفاد. (**فهو واجب**) حينئذ، (**فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم تكن عليه آفة في فعله ولا تركه، ولكن ترك النكاح احترازاً من ميل القلب إليهن والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد**) إذ الإنس بغير الله من الدنيا، (**وإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله تعالى، ولكن ترك ذلك احترازاً من لذة النظر**) إليها (**والمضاجعة**) لها (**والمواقعة**)

هذا من الزهد أصلاً ، فإن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة محمد ﷺ من القربات ، واللذة التي تلحق الإنسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره ، إذ لم تكن هي المقصد والمطلب ، وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازاً من لذة الأكل والشرب ، وليس ذلك من الزهد في شيء ، لأن في ترك ذلك فوات بدنه ، فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله ، فلا يجوز أن يترك النكاح زهداً في لذته من غير خوف آفة أخرى ، وهذا ما عناه سهل لا محالة ، ولأجله نكح رسول الله ﷺ . وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله ﷺ في أنه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذراً من مجرد لذة الوقاع والنظر ، ولكن أنى يتصور ذلك لغير الأنبياء والأولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان ، فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك .

قال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة .

---

بها ، **( فليس هذا من الزهد أصلاً ، فإن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير )** سواد **( أمة محمد ﷺ من القربات )** لما في الخبر « تزوجوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم » وتقدم . **( واللذة التي تلحق الإنسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره إذ لم تكن )** تلك اللذة **( هي المقصد والمطلب ، وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازاً من لذة الأكل والشرب ، وليس ذلك من الزهد في شيء لأن في ترك ذلك فوات بدنه )** لما يعتريه من الضعف ووهن القوى ، **( فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله ، فلا يجوز أن يترك النكاح زهداً في لذته من غير خوف آفة أخرى )** تعرض عليه ، **( وهذا ما عناه )** أي قصده **( سهل )** التستري رحمه الله تعالى من قوله : لا يصح الزهد في النساء **( لا محالة ، ولأجله نكح رسول الله ﷺ . وإذا ثبت هذا فمن )** كان **( حاله حال رسول الله ﷺ في أنه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن )** كما تقدم ذلك في النكاح ، **( فلا معنى لزهده فيهن حذراً من مجرد لذة الوقاع والنظر ، ولكن أنى يتصور ذلك لغير الأنبياء )** عليهم السلام **( والأولياء )** الذين على قدمهم ، **( فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان ، فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله )** عن الله تعالى ، **( وإن لم يشغله وكان يخاف من أن يشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة )** وليقتصر عليها ، أو لينكح **( غير جميلة )** أي مشهورة بالجمال بحيث يشار إليها ، **( وليراع قلبه في ذلك )** .

**( قال أبو سليمان )** الداراني رحمه الله تعالى : **( الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو اليتيمة على الجميلة والشريفة )** نقله صاحب القوت . ويروى عنه أيضاً : الزهد في النساء أن تختار

**وقال الجنيد رحمه الله: أحب للمريد المبتدىء أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوّج، وقال: أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع**

---

المرأة الدميمة والقريبة الأمر من كبر وغير منظر على الشابة الحسناء، وذهب إلى ذلك مالك بن دينار فكان يقول: يترك الرجل اليتيمة أو الضعيفة لله فإن أطعمها أو كساها أو فرحها أجر في ذلك وكان له في ثواب الآخرة، ويتزوج ابنة فلان وفلان.

وبالجملة: الإقتصاد في شأن النساء والتقلل وأخذ الحاجة والكفاية منهن كالقول في شأن الدنيا. من ذلك أن لا ينكح المرأة لما ينكح أبناء الدنيا من المعاني الثلاث: لا لحسنها ولا لحسبها ولا لمالها فلم يبق إلا الدين والصلاح، فهذه زوجة أخروية ليست من الدنيا، وقد جعل رسول الله ﷺ في وصف الفقراء أنهم لا تفتح لهم الأبواب ولا ينكحون المتمتعات أو المتنعمات، فدل أنهم ينكحون المتبذلات، وذلك في خبر أبي سلام الحبشي رفعه: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم» قيل: من هم» قال: الشعث رؤساً الدنس ثياباً الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات» فلما سمع ذلك عمر بن عبد العزيز منه بكى حتى أخضل لحيته وقال: لست منهم قد فتحت لي السدد يعني الأبواب، ونكحت المتنعمات يعني أم البنين بنت عبد الملك، ولكن لا جرم والله لا أدهن رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي حتى يدنس. وكان يحي بن معاذ الرازي يتكلم في تزويج الزاهد فيقول: الكيس من الزهاد من إذا أراد التزويج لله، وعلى الزاهد أن يلقى المرأة بهذه الخصال فإن هي إجابته وإلا ترك أولها: في شأن الكفاية والمعاش فيقول: لا أسعى في طلب دنيا ولو كسب دانقين، والثانية: أن يعلمها أنه ليس عنده مال وأن يده في مالها إن كان عندها كيده في ماله في إخراجه والثالثة: يقول إن أردت الخروج إلى حج أو زيارة أو غزو لزمت الرضا وكنت عوناً في إنفاذه، والرابعة إن تزوجه عليك ثلاثاً لم تعرضي بوجهك ولم تتغيري، والخامسة خفة الصداق، والسادسة: خذ وهات، والسابعة: سرعة البناء فإن وافق منها هذه الخصال فليتقدم ولا يتوقف وكانت امرأته زاهدة وكان يحكي عنها زهد النساء قال: قالت لي أهلي: ما زهد النساء؟ قلت: ترك الزينة والرياء. قالت: أعلى من هذا. قلت: ما هو؟ قالت: تطيب نفسها لزوجها بأن يتزوج عليها من شاء من النساء، فإن الزوج من الدنيا وهو يشتد على النساء وتعلق قلبها به من الدنيا قال: فقلت لها: هي بضاعتكم أنتم بها أعرف. قال: وقلت لها قد أذن الله في تزويج أربعة من النساء. فقالت: ليس يفرض عليك أن تتزوج بأربعة وفرض عليك أن تعدل بين إثنين.

**(وقال الجنيد)** رحمه الله تعالى: **(أحب للمريد المبتدىء)** في إرادته وسلوكه **(أن لا يشغل قلبه بثلاث)** خصال **(وإلا تغير حاله)** ونقص مزيده من سلوكه: **(التكسب، وطلب الحديث، والتزويج)** نقله صاحب القوت أي: فإن في هذه الخصال ركوناً إلى الدنيا، وهو مثل قول أبي سليمان الذي تقدم قريباً، من تزوج أو سافر أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا. **(وقال)** الجنيد أيضاً: **(أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه)** نقله صاحب

همه، فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعاً.

**المهم السادس: ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة وهو المال والجاه:** أما الجاه؛ فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض والأعمال، وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا محالة في قلب خادمه، لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه، وهذا له أول قريب ولكن يتمادى به إلى هاوية لا عمق لها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لجلب نفع أو لدفع ضر أو لخلاص من ظلم، فأما النفع فيغني عنه المال فإن من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للمستأجر قدر وإنما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة، وأما دفع الضر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له في قلوبهم أو محل له عند السلطان، وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب، والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلاً فإن

---

القوت. أي: فإن الإشتغال بالقراءة والكتابة يشتت همه ويغير حاله، ( **فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فما يشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعاً** ).

( **المهم السادس: ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة** ) من المهمات المذكورة، ( **وهو المال والجاه. أما الجاه: فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الإستعانة في الأغراض والأعمال، وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا محالة في قلب خادمه** ) ليتوصل به إلى قضاء حاجاته، ( **لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته** ) بل لم يعتن به أصلاً، ( **وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه** ) كما سبق بيان ذلك في كتاب ذم الجاه ( **وهذاله أول قريب، ولكن يتمادى** ) أي ينجر ( **إلى هاوية لا عمق لها** ) أي لا آخر، ( **ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه** ) كما في الخبر، ( **و** ) هذا إن طلبه بالعبادات حرم قليله و كثيره، وكان كطالب المال بسبب محرم والقدر المباح منه، ( **فإنما يحتاج إلى المحل في القلوب** ) لإحدى ثلاث: ( **إما لجلب نفع، أو لدفع ضرر، أو لخلاص من ظلم. أما النفع فيغني عنه المال، فإن من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للمستأجر قدر، وإنما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة، وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل، أو يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان** ) فهو كالحش من البيت يراد لغيره لا لذاته، بل يراد لدفع الأذى لأنه صفة الكمال، ( **وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك** ) بل حق الزاهد أن لا

اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عند الأذى ولو كان بين الكفار ، فكيف بين المسلمين؟ فأما التوهمات والتقديرات التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة ، إذ من طلب الجاه أيضاً لم يخل عن أذى في بعض الأحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه ، فإذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً واليسير منه داع إلى الكثير ، وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره .

وأما المال؛ فهو ضروري في المعيشة أعني القليل منه ، فإن كان كسوباً فإذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب . كان بعضهم إذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام ، هذا شرط الزهد ، فإن جاوز ذلك إلى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حدّ ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعاً ، وإن كانت له ضيعة ولم يكن له قوّة يقين في التوكل فأمسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ، ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فإن شرط التوكل في الزهد كما شرطه أويس القرني رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد . وقولنا :

---

يسعى ( **لطلب المحل في القلوب** ) أصلاً ، ( **فإن اشتغاله بالدين والعبادة** ) من ذكر ومراقبة وعزلة ( **يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه به الأذى، ولو كان بين** ) أظهر ( **الكفار ، فكيف بين المسلمين؟ وأما التوهمات والتقديرات التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب، فهي أوهام كاذبة** ) وتقديرات باطلة ، ( **إذ من طلب الجاه أيضاً لم يخل عن أذى في بعض الأحوال، فعلاج ذلك بالإحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه، فإذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً واليسير منه داع إلى الكثير وضرواته أشد من ضراوة الخمر** ) في عسر الإنفكاك منه ، ( **فليحترز من قليله وكثيره** ) .

( **وأما المال: فهو ضروري في المعيشة أعني القليل منه، فإنه كان كسوباً فإذا اكتسب حاجة يومه** ) مما يكتفي به ، ( **فينبغي أن يترك الكسب** ) في ذلك اليوم . ( **كان بعضهم** ) أي من المتكسبين الزاهدين ( **إذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام** ) والسفط محرك وعاء المتاع ( **هذا شرط الزاهد ، فإن جاوز ذلك إلى مايكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حدّ ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعاً، وإن كانت له ضيعة** ) مثل أرض يستغلها ( **ولم تكن له قوة يقين في التوكل فأمسك منها مقدار ما يكفي ريعه** ) وهو ما يفيض من غلال الضيعة ( **لسنة واحدة فلا يخرج بهذا المقدار عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة، ولكن يكون من ضعفاء الزهاد** ) لا من أقويائهم ، ( **فإن شرط التوكل في الزهد** ) بأن لا يكمل إلا به ( **كما شرطه أويس القرني** ) رحمه الله تعالى فيما فهم من كلامه السابق ذكره ، ( **فلا يكون**

إنه خرج من حدّ الزهاد نعني به أن ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله، وإلا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالإضافة إلى ما زهد فيه من الفضول والكثرة، وأمر المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل.

وقد قال أبو سليمان: لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه، فإن أجابوا وإلاَّ تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله، نعم لا ينبغي أن يجيبهم أيضاً فيما يخرج عن حدّ الاعتدال، وليتعلم من رسول الله ﷺ إذا انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين، لأن ذلك من الزينة لا من الحاجة، فإذاً ما يضطر الإنسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور، بل الزائد على الحاجة سم قاتل، والمقتصر على الضرورة دواء نافع، وما

---

**هذا من الزهاد )** لفقد وصف التوكل فيه **( وقولنا: إنه خرج عن حدّ الزهاد نعني به أن ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله، وإلا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالإضافة إلى ما زهد فيه من الفضول والكثرة )** فإطلاق الزهد عليه بهذا الإعتبار فقط، وعلى الجملة فللزهد مخصوص موعود عند الله، فمتى ما نال منه شيئاً أخذ من ذلك الثواب بقسطه، **( وأمر )** الأعزب **( المنفرد في جميع ذلك أخذ من أمر المعيل )** أي ذي العيال كما قيل:

مـــا للمعـــالي والمعيـــل وإنما يسعـى إليهـن الفـريـد القـادرُ

**( وقد قال أبو سليمان )** الداراني رحمه الله تعالى: **( لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله )** أي يكلفهم **( إلى الزهد بل يدعوهم إليه فإن أجابوا وإلا تركهم، وفعل بنفسه ما شاء. معناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله )** هذا ما فهم من كلامه. **( نعم، لا ينبغي أن يجيبهم أيضاً فيما يخرج عن حدّ الإعتدال، وليتعلم من رسول الله ﷺ إذا انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب ستر )** كانت علقته في ناحية البيت **( وقلبين )** في يدها أو يد الحسن أو الحسين كما تقدم الكلام عليه قريباً، **( لأن ذلك من الزينة لا من الحاجة )**، وكذلك لما تزينت أم سلمة بخرص من ذهب جعلته في أذنها قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ رفعت قناعي عن أذني رجاء أن ينظر إلى زينتي قالت: فأعرض ولم يلتفت فقلت: يا رسول الله إنما تزينت لك. فقال: « عن زينتك اعرض ما ضرك لو جعلتيه من فضة ثم لطختيه بالزعفران فكان كأنه ذهب » فأمرها بفعل من لا يحب الدنيا لعينها، وإنما يدخل فيها الظاهر مرافقها لأن الفضة والزعفران وإن أشبهت الذهب في اللون فإنما هو متاع في الوقت لأن لها قيمة الذهب وقدره لا وجود حلاوته في قنيته، فكذلك حال الزاهد في حلاوة الدنيا لعينها فيستعمل الدنيا فيما قرب ودنا ويبدل دقيقاً منها ذا قيمة بيسير دونه، **( فإذاً ما يضطر الإنسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور، بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقصر على الضرورة دواء نافع**

بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سماً قاتلاً فهو مضر، وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعاً لكنه قليل الضرر وسم محظور شربه، والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه أمره، فمن احتاط فإنما يحتاط لنفسه ومن تساهل فإنما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة، فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة. والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا، بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط.

ويدل عليه ما روي أن ابراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموماً، فأوحى الله تعالى إليه: لو سألت خليلك لأعطاك، فقال: يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها شيئاً، فأوحى الله تعالى إليه: ليس الحاجة من الدنيا، فإذاً قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة

---

**وما بينهما درجات متشابهة، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سماً قاتلاً فهو مضرّ، وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعاً ولكنه قليل الضرر والسم محظور شربه، والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه أمره، فمن احتاط فإنما يحتاط لنفسه ومن تساهل فإنما يتساهل على نفسه، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة، فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة)**، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ حين سئل عنهم: «ما أنا عليه وأصحابي». **( والمقتصر على قدر الضرورة و ) على ( المهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا، بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط )**.

**( ويدل عليه ما روي أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يقرضه )** ولفظ القوت فتوارى عنه، **( فرجع مهموماً فأوحى الله إليه: لو سألت خليلك لأعطاك)** ولفظ القوت: لو بخليلك أنزلت حاجتك لقضاها لك يعني نفسه تعالى. **( فقال: يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن اسألك منها شيئاً )** فتمقتني، فأوحى الله إليه): أما علمت أنه **( ليس الحاجة من الدنيا )**، وفي لفظ القوت: ليس هو من الدنيا. نقله صاحب القوت، وقد روي مرفوعاً نحوه: «من نظر إلى زهرة الدنيا أصبح ممقوتاً في ملكوت السماء، ومن صبر على القوت نزل في الفردوس حيث أحب» فدل ذلك على أن القوت ليس هو من الدنيا لأنه استثناه بمدحه على الصبر عليه بعد ذمها. وفي خبر آخر: «لا يعذب الله مؤمناً جعل رزقه في الدنيا قوتاً». **( فإذاً قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة وهو في الدنيا**

في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه، وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فيأكلونه، وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معيناً لهم عليها، ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حياً ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه، فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فإنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومراءاة الأصدقاء. وسائر حظوظ الدنيا، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه فقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوباً من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة، فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة، فيكون أهون

---

أيضاً كذلك يعرفه من يختبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة) والتعب (في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه) في معاملاته، (وغاية سعادته به أن يسلم لورثته) إذا مات (فيأكلونه وهم أعداؤه) إذ كانوا يتمنون موته وينتظرونه، (وربما يستعينون على المعصية فيكون معيناً لهم عليها) إذ ورثهم ما أطغاهم فهو جمع مالاً لذريته يغنيهم في الدنيا بفقره في الآخرة وينجيهم به من الذل الذي بذل نفسه وهلكته في عاقبته فصار نعيمه لهم وشقاؤه عليه ترفهوا فيه بعده وهلك هو به، (وكذلك يشبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز إذ لا يزال ينسج على نفسه) لجهله وعدم معرفته بنفسه (حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه) فصار عمله وكدحه لغيره ومتنعماً به ومات هو فيه، (فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فإنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل) أي تتفاوت (فيقيده المال والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومراءاة الأصدقاء، وسائر حظوظ الدنيا. فلو فطن له أنه قد أخطأ فيه بقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها) عنه، (ولو ترك محبوباً من محابه باختياره كاد يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة) فمن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه، وقد قيل: بعداً وسحقاً لقتيل الدنيا لا يقاد له منها، فإن قوي حرصه عليها واشتد عشقه لها قتل غيره لغلبة هواه وقلة مبالاته لمن صحبه ووالاه واطراحه لأحكام مولاه، (فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها) وراء ظهره، (فهي) أي تلك السلاسل (تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة، فيكون أهون أحواله عند

أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين، والذي ينشر بالمنشار إنما يترك المؤلم ببدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره، فما ظنك بألم يتمكن أولاً من صميم القلب مخصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره، فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين، فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى، وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم إذ النار غير مسلطة إلا على محجوب، قال الله تعالى: ﴿كلاَّ إنهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالو الجحيم﴾ [المطففين: ١٥، ١٦] فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب، وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه؟ فنسأل الله تعالى أن يقرر في أسماعنا ما نفث في روع رسول الله ﷺ حيث قيل له: أحبب من أحببت، فإنك مفارقه. وفي معنى ما ذكرناه من المثال قول الشاعر:

كدود كدود القز ينسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجُه

ولما انكشف لأولياء الله تعالى ان العبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك

---

**الموت أن يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل أحد جانبيه من الآخر بالمجاذبة من الجانبين، والذي ينشر بالمنشار إنما ينزل المؤلم ببدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره، فما ظنك بألم يتمكن أولاً من صميم القلب مخصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره، فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين، فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم، إذ النار غير مسلطة إلا على محجوب**)، ولذا قالوا: أشد العذاب الحجاب (**قال الله تعالى: ﴿كلاَّ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾**) أي عن رؤيته ولقائه (**﴿ثم إنهم لصالو الجحيم﴾ فرتب العذاب بالنار عل ألم الحجاب، وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار، فكيف إذا أضيف العلاوة إليه**)؟ فيكون أشد فأشد. (**فنسأل الله أن يقذف**) وفي نسخة يقرر (**في أسماعنا ما نفث في روع رسول الله ﷺ حيث قيل له: أحبب ما أحببت فإنك مفارقه**) رواه الطيالسي والشيرازي والبيهقي من حديث جابر قال لي جبريل: «يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واحبب من أحببت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه» وقد تقدم.
(**وفي معنى ما ذكرنا من المثال قال الشاعر**):

ألم تـر أن المرء طـول حيـاتـه معنـى بـأمـر لا يـزال يعـالجه
(**كدود كدود القـز ينسـج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو نـاسجـه**)

والكدود: فعول من الكد وهو التعب. (**ولما انكشف لأولياء الله تعالى أن العبد مهلك**

دود القز نفسه: رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن: رأيت سبعين بدرياً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم. وفي لفظ آخر: كانوا بالبلاء أشد فرحاً منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم قالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول: أخاف أن يفسد على قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده، والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ [ يونس: ٧ ] وقال عز وجل: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمْرُه فرطاً﴾ [ الكهف: ٢٨ ] وقال تعالى: ﴿فاعرض عمَّن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلاَّ الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغهم من العلم﴾ [ النجم: ٢٩ ، ٣٠ ] فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم،

---

**نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه )** بنسجه على نفسه ( **رفضوا الدنيا بالكلية )** حلالها وحرامها ولم يتعلقوا باعراضها، ( **حتى قال الحسن )** البصري رحمه الله تعالى: ( **رأيت سبعين بدرياً )** أي ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ ( **كانوا )** والله ( **فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم )** كذا في القوت، مع أنهم ممن قد اطلع الله عليهم فغفر لهم. ( **وفي لفظ آخر: كانوا بالبلاء )** والشدة تصيبهم ( **أشد فرحاً منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين )**.

ألا إن سرّ جنـــــونهم عـزيـز لـدي أبـوابـه يسجـد العقـل

( **ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق )** أي من نصيب، ( **ولو رأوا شراركم قالوا: ما يؤمن من هؤلاء بيوم الحساب )** كذا في القوت وتقدم ذكره أيضاً في كتاب عجائب القلب. قال: ( **وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول )**: لا حاجة لي به ( **أخاف أن يفسد عليَّ قلبي، فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده )** ومن تغيره وابعاده ويعمل في أسباب صلاحه ورشاده، ( **والذين أمات حبّ الدنيا قلوبهم ) فهم** يتقلبون في ظلمات الهوى، فربما انقلبوا على وجوههم فهم ممن خسر الدنيا والآخرة، أو يكونون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله فهم ممن رضي بلا شيء، ( **فقد أخبر الله تعالى عنهم )** في كتابه العزيز: ( **إذ قال تعالى: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والّذين هُم عن آياتنا غافلون﴾ وقال تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ )** أي مجاوزاً لما نهي عنه مقصراً عما أمر به، وقيل: مقدما إلى الهلاك. فهؤلاء يستحقون الإعراض من الحبيب، ويستوجبون المقت من القريب، كمثل من أمر الله تعالى بالإعراض عنهم ( **و )** ترك القبول منهم إذ ( **قال تعالى: ﴿وأعرض عمن توّلى عن ذكرنا ولم يُرد إلاَّ الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغُهم من العلم﴾ فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم، ولذلك قال رجل**

ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام: احملني معك في سياحتك. فقال: أخرج مالك والحقني. فقال: لا أستطيع، فقال عيسى عليه السلام: بعجب يدخل الغني الجنة ـ أو قال بشدة ـ وقال بعضهم: ما من يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات: مَلكان بالمشرق وملكان بالمغرب، يقول أحدهما بالمشرق: يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً، ويقول اللذان بالمغرب، أحدهما: لدوا للموت وابنوا للخراب. ويقول الآخر: كلوا وتمتعوا لطـول الحساب.

---

**لعيسى عليه السلام: احملني معك في سياحتك. فقـال: أخـرج مـالـك والحقني. فقـال: لا أستطيع. فقال عليه السلام: بعجب يدخل الغني الجنة ـ أو قال بشدة )** . نقله صاحب القوت وتقدم قوله: بعجب يدخل الغني الجنة قريباً. **( وقال بعضهم: ما من يوم ذر شارقه )** أي طلعت شمسه **( إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات، ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب. يقول أحدهم بالمشرق: يا باغي الخير )** أي طالبه **( هلمّ )** أي أقبل، **( ويا باغي الشر )** أي طالبه **( اقصر، ويقول الآخر: اللهم اعط منفقاً خلفاً )** أي عوضاً **( واعط ممكساً )** أي بخيلاً **( تلفاً )** أي هلاكاً. **( ويقول اللذان بالمغرب أحدهما: لدوا للموت وابنوا للخراب، ويقول الآخر: وتمتعوا لطول الحساب )** هكذا عزاه المصنف لبعضهم تبعاً لصاحب القوت. وقد روي ذلك مرسلاً من حديث عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس، رواه البيهقي في الشعب ولفظه: « ما من يوم طلعت شمسه إلا يقول من استطاع أن يعمل فيّ خيراً فليعمله فإني غير مكر عليكم أبداً، وما من يوم إلا ينادي مناديان من السماء يقول أحدهما: يا طالب الخير ابشر يا طالب الشر أقصر، ويقول أحدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكاً تلفاً ». ورواه الديلمي عن عثمان بن محمد المذكور، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس مرفوعاً وزاد بعد قوله « أبداً » وكذلك يقول الليل. وروى الحاكم في المستدرك من حديث أبي سعيد « ما من صباح إلا وملكان يناديان. يقول أحدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكاً تلفاً. وملكان موكلان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان، وملكان يناديان: يا باغي الخير هلمّ، ويقول الآخر: يا باغي الشر اقصر، وملكان يناديان. يقول أحدهما: ويل للرجال من النساء، ويقول الآخر: ويل للنساء من الرجل ». وقد صححه الحاكم وتعقب. وروى البيهقي من حديث الزبير: « ما من صباح يصبحه العباد إلا وصارخ يصرخ: يا أيها الناس لدوا للتراب واجمعوا للفناء وابنوا للخراب ». وروى الديلمي من حديث أبي هريرة « إن لله تعالى ملكاً بباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجاز غداً، وملك آخر بباب آخر ينادي: اللهم اعط منفقاً خلفاً وعجل لممسك تلفاً ».

## بيان علامات الزهد :

اعلم أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك، فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد، فكم من الرهابين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا ديراً لا باب له، وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له، فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة، بل لا بدّ من الزهد في المال والجاه جميعاً حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا، بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرفيعة، كما قال الخوّاص في وصف المدعين إذ قال: وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموّهون بذلك على الناس ليهدي إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين، ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وأنهم على السنّة، وأن الأشياء داخلة إليهم وهم خارجون منها، وإنما يأخذون بعلة غيرهم. هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجئوا إلى المضايق، وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب

---

## بيان علامات الزهد:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى لولا الامتحان لكثر الصادقون، ولا بد لكل مؤثر من أثر يدل عليه، فكذلك لا بدّ لكل مقام من علامة تدل على صحته، وإليه أشار المصنف بقوله: (**إنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك، فإن ترك المال وإظهار الخشونة**) في العيش (**سهل على من أحب المدح بالزهد، فكم في الرهابين**) جمع رهبان جمع راهب (**من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا ديراً لا باب له**) ولا منفذ للهواء فيه، (**وإنما مسرة أحدهم**) وفي نسخة مشرب أحدهم (**معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له**) بترك الدنيا والزهد فيها، (**فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة، بل لا بدّ من الزهد في المال والجاه جميعاً حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا، بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرفيعة، كما قال**) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد (**الخوّاص**) رحمه الله تعالى هو من أقران الجنيد والنوري مات بالري سنة ٢٩١ (**في وصف المدعين**) في الزهد (**إذ قال: وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموّهون بذلك على الناس ليهدي إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين، ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم، وأنهم على السنّة، وأن الأشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها، وإنما يأخذون بعلة غيرهم هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجئوا إلى المضايق**) قال: (**وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية**

أخلاق نفوسهم ، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالاً لهم فهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى ، فهذا كله كلام الخوّاص رحمه الله .

فإذاً معرفة الزهد أمر مشكل ، بل حال الزهد على الزاهد مشكل ، وينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات .

**العلامة الأولى :** أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى : ﴿لكيلا تأسَوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [ الحديد : ٢٣ ] بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك : وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده .

---

**أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم ، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالاً لهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى ، فهذا كله كلام الخوّاص )** أورده في كتاب شرف الفقراء . ونقله صاحب القوت ، وتقدم أن الخواص كان لا يلبس أكثر من قطعتين مئزرين أو قميص ومئزر تحته ، وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه أو يحله من وسطه فيغطي به رأسه ، وقد كان يحيى بن معاذ الرازي يصف الزاهدين من العارفين والمتحققين بالحال المستحقين لاسم الزهد ، ومعناه في نتف من كلامه هي من أحوال أهل المعرفة زادوا بها على مقام الزاهدين من المؤمنين ، وكان يقول في وصفهم : الزهد مع الغنى أفضل من الزهد مع الفقر ، يزهد الرجل ، وفي قصره أمثال التصاوير من النساء ، لو نظر الزاهد الفقير إلى وصيفة منهن غشي عليه وقال : إذا زهد في الدنيا حجبه عن العامة ، وإذا عرف حجب عن الزهاد وقال : إذا حجب العارف لعزته اصطيد بالطعمة ، يدعى إلى طعام فيجيب فيظفرون به بذلك ، وكذلك اصطيد أبوه آدم بالطعمة من الشجرة وكان يقول : لا يمكن العابد والزاهد أن يستتر عن الخلق والعارف مستور كأنه رجل من الناس وهو أفضل ما تحمله الأرض لا يعرفه إلا مثله ولا يصبر على معاشرته إلا شكله . هذا كله كلام يحيى بن معاذ وسيأتي باقي كلامه بعد .

**( فإذاً معرفة الزهد مشكل ، بل حال الزهد على الزاهد مشكل ، وينبغي أن يعوّل في باطنه على ثلاث علامات ) :**

**( الأولى : أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى : ﴿لكيلا تأسوا )** أي تحزنوا **( على ما فاتكم ولا تفرحوا )** على النعمة **( بما أتاكم﴾ )** فرح بطر ، **( بل ينبغي أن يكون )** الزاهد بإعراضه عن الدنيا وقلة رغبته فيها **( بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده )** لاكتفائه بما ينفعه ، وقد جعل بعضهم هذا المعنى حداً للزهد كما تقدم في أوّل السياق وهو في الحقيقة من ثمراته أو من علاماته .

**العلامة الثانية:** أن يستوي عنده ذامه ومادحه، فالأوّل علامة الزهد في المال، والثاني علامة الزهد في الجاه.

**العلامة الثالثة:** أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة، إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان. وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره، ولذلك قيل لبعضهم: إلى ماذا أفضى بهم الزهد؟ فقال: إلى الانس بالله. فأما الأنس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان.

---

**(الثانية: أن يستوي عنده ذامّه ومادحه)** فلا يفرح إذا سمع بمدحه ولا يحزن إذا سمع بذمه، وكان يونس بن ميسرة يذهب إلى هذا ويقول: ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن يكون ذامك ومادحك سواء **(فالأولى علامة الزهد في المال، والثانية علامة الزهد في الجاه)** لأن معنى الجاه ملك القلوب، فإذا استوى عنده الذم والمدح لم يفتقر إلى ملك القلوب.

**(الثالثة: أن يكون أنسه بالله تعالى)** لا بشيء من الأشياء، **(والغالب على قلبه حلاوة الطاعة)** فإن الأنس بالله والدنيا لا يجتمعان، **(إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله، وهما في القلب كالماء والهواء في القدح، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان)**، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: إذا ذكر الدنيا والآخرة إن هما إلا بمنزلة قدحين لك ملىء أحدهما فما هو إلا أن يفرغ أحدهما في الآخر. يعني أنك إذا امتلأت بالدنيا تفرغت من الآخرة، وإن امتلأت بالآخرة تفرغت من الدنيا وإن كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثي قدح الدنيا وإن كان لك ثلثا قدح الآخرة يكون لك ثلثه من الدنيا. قال صاحب القوت: وهذا تمثيل حسن وتعديل صحيح. **(وكل من أنس بالله تعالى اشتغل به ولم يشتغل بغيره، ولذلك قيل لبعضهم: إلى ماذا أفضى بهم الزهد؟ فقال: إلى الانس بالله)**، والمراد بالبعض أبو محمد سباع الموصلي، ففي القوت قال مضر بن عيسى، قلت لسباع الموصلي: يا أبا محمد إلى أي شيء أفضى بهم الزهد؟ قال: إلى الانس بالله. أي لزوال وحشة الدنيا وخروج ظلمة النفس بالهوى وقع الانس بالنور ولا يجد الانس بالحبيب والوجد بالقريب غير زاهد. **(فأما الانس بالله وبالدنيا لا يجتمعان)**. وقال صاحب القوت: قوت الزهد الذي لا بدّ منه وبه تظهر صفة الزاهد ويفضل به على الراغب هو أن لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك، وأن يأخذ الحاجة من كل شيء ولا يتناول عند الحاجة إلا سدّ الفاقة ولا يطلب الشيء قبل الحاجة، وأوّل الزهد دخول غم الآخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة للرب، ولا يدخل غم الآخرة في قلبه حتى يخرج هم الدنيا، ولا يدخل حلاوة المعاملة حتى يخرج حلاوة الهوى، وكل من ترك المعصية لم يجد حلاوة الطاعة رجع إليها، ومن ترك الدنيا ولم يجد حلاوة الزهد رجع فيها، وكل

وقد قال أهل المعرفة: إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعاً وعمل لهما، وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها، ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي. وقال أبو سليمان: من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين، ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين، والزاهد لا بدّ وأن يكون في أحد هذين المقامين، ومقامه الأوّل أن يشغل نفسه بنفسه، وعند ذلك يستوي عنده المدح والذم والوجود والعدم، ولا يستدل بإمساكه قليلاً من المال على فقد زهده أصلاً.

---

من وجد حلاوة الطاعة ولم يجد حلاوة المعرفة لم يدم عليها، وكل من وجد حلاوة الزهد ولم يذق حلاوة اليقين لم يؤمن عليه دخول التفتين ورغب في الدنيا ولو بعد حين.

( **وقد قال أهل المعرفة** ) في تنويع الإيمان في القلب فجعلوه على مقامين، وجعلوا لهما زهدين حيث قالوا: ( **إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعاً وعمل لهما** ) وكل منهما يتجاذبان، ( **وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب** ) أي باطنه ( **وباشره** ) أحب الآخرة وحدها وعمل لها و( **أبغض الدنيا، فلم ينظر إليها ولم يعمل لها** ) نقله صاحب القوت، ( **ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي** ) أي يخالطه.

( **وقال أبو سليمان** ) الداراني رحمه الله تعالى: ( **من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين، ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين** ). ولهذين المقامين دليل من السنة، وهو ما روي عن النبي ﷺ انه سئل أي الناس خير؟ فقال: من يشنأ الدنيا ويحب الآخرة. قيل: فإن لم يكن؟ قال: مؤمن في خلق حسن، والشاهد الآخر من الخبر الثاني أن النبي ﷺ سأل أصحابه: أتدرون من خير الناس؟ قالوا: مؤمن موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله. فقال: نعم الرجل هذا وليس به خير الناس فقير يعطي جهده وقد تقدم هذا، ( **والزهد لا بدّ وأن يكون في أحد هذين المقامين، ومقامه الأوّل أن يشغل نفسه بنفسه، وعند ذلك يستوي عنده المدح والذم والوجود والعدم** ) وهذا مقام المشاهدة للآخرة، ويكون بعد الزهد الذي يكون عن حقيقة الإيمان ثم تستوي الأشياء عنده ويستوي عدمها ووجودها، وعنده يكون استواء المدح والذم لاستواء قلبه في المشاهدة، وقد روي من حديث الحسن أن النبي ﷺ قال لرجل: « هل استويت؟ » قال: وكيف استوي؟ قال « يستوي عندك المدح والذم » فهذا يكون لسقوط قدر النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها يسقط الرياء والرغبة فيثبت الاخلاص والزهادة. ( **ولا يستدل بامساكه قليلاً من المال على فقد زهده أصلاً** ). وقد روي عن السفيانيين أنهما سئلا: أيكون الرجل زاهداً وله مال؟ قالا: نعم، إذا كان ممن إذا ابتلي فصبر، وإذا أنعم عليه شكر. قال ابن أبي الحواري: فقلت لابن عيينة: يا أبا محمد قد أنعم عليه فشكر وابتلي فصبر وحبس النعمة

قال ابن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان: أكان داود الطائي زاهداً؟ قال: نعم. قلت: قد بلغني أنه ورث عن أبيه عشرين ديناراً فأنفقها في عشرين سنة، فكيف كان زاهداً وهو يمسك الدنانير؟ فقال: أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فإن الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس، ولا يتم الزهد إلا بالزهد في جميعها، فكل من ترك من الدنيا شيئاً مع القدرة عليه خوفاً على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه، وآخره أن يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجراً كما فعله المسيح عليه السلام، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه نصيباً وإن قلّ، فإن أمثالنا لا تستجرىء على الطمع في غاياته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه. وإذا لاحظنا

---

كيف يكون زاهداً؟ فضربني بيده وقال: اسكت من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى من الصبر، فذلك الزهد، ووافقها الزهري كذلك: وقد فصل أبو سليمان ذلك.

(**قال**) أبو الحسن أحمد (**ابن أبي الحواري**) الدمشقي، صحب أبا سليمان الداراني وغيره، وكان يسميه الجنيد ريحانة الشام مات سنة ٢٣٠. (**قلت لأبي سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**أكان داود**) بن نصير (**الطائي**) أبو سليمان (**زاهداً؟ قال: نعم. قلت: قد بلغني أنه ورث عن أبيه عشرين ديناراً فأنفقها في عشرين سنة، فكيف كان زاهداً وهو يمسك الدنانير**)؟ رواه كذلك عثمان بن زفر عن ابن عم لداود وقد تقدم. وروى أبو نعيم في الحلية، عن أبي محمد بن حيان، حدثنا إسحاق بن حسان، حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال، قال أبو سليمان الداراني: ورث داود الطائي من أبيه دنانير فكان ينفق منها حتى كفن بآخرها (**فقال: أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية، فإن الزهد ليس له غاية**) ينتهي السالك إليها (**لكثرة صفات النفس، ولا يتم الزهد إلا بالزهد في جميعها**) والحب للجليل والانس باللطيف هما غاية الطالبين، فمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يدرك حال الانس وسرائر الغيب الملكوتية في مقام الحب والخلة اليقينية، وغيابات السر العزية الجبروتية في حال الانس، (**فكل من ترك من الدنيا شيئاً مع القدرة عليه خوفاً على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه**) وهذا أوّله وله درجات، (**وآخره أن يترك كل ما سوى الله**) تعالى (**حتى لا يتوسد حجراً**) أي لا يضع رأسه على شيء مرتفع ولو حجراً، فإنه من جملة نعيم الدنيا لحصول الراحة للنفس بسببه، (**كما فعله المسيح**) عيسى (**عليه السلام**) وتقدم ذكره قريباً، وبين هذين مقامات ولتلك المقامات درجات، وقد عين بعضهم للزهد أربعة وعشرين مقاماً ونوعه، ومنهم من أوصل إلى ثلاثة وسبعين مقاماً. (**فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه**) أي الزهد (**نصيباً وإن قلّ فإن أمثالنا لا يستجريء على الطمع في غاياته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله**) تعالى (**غير مأذون فيه، وإذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا**) ظاهرة

عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاظمه شيء فلا بعد في أن لعظم السؤال اعتماداً على الجود المجاوز لكل كمال.

فإذاً علامة الزهد استواء الفقر والغنى، والعز والذل، والمدح والذم، وذلك لغلبة الانس بالله ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخـر لا محالة مثل: أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها. وقيل: علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول: أبني رباطاً أو أعمر مسجداً.

وقال يحي بن معاذ: علامة الزهد السخاء بالموجود.

---

وباطنة (**علمنا ان الله تعالى لا يتعاظمه شيء فلا بُعد في أن نعظم السؤال اعتماداً على الجود**) الإلهي (**المجاوز لكل كمال**) فما لا يدرك كله لا يترك كله ومن فاته من الكمال وبله لا يفوته ظله.

(**فإذاً علامة الزهد استواء الفقر والغنى، والعز والذل، والمدح والذم لغلبة الانس بالله**) المتوحد بالافعال. وقال يحي بن معاذ: لا يكمل للزاهد زهده إلا باستواء الحال في هذه الخصال: الموجود، والمقصود، والسفـر والحضر، والعـز والذل، والمدح والذم، والغنـى والفقـر. (**وتتفرع عن هذه العلامات علامات أخر لا محالة مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها**) أي لا يكترث نقله القشيري عن أبي عثمان المغربي وجعله حداً للزهد وهو من علاماته.

(**وقيل: علامته أن يترك الدنيا كما هي**) وليس من علاماته خلو اليد من المال، لأنه قد يمسكه لغرض ديني، وقيل: لا يستحب ذلك (**فلا يقول: أبني**) بها (**رباطاً أو أعمر**) بها (**مسجداً**) أو نحوه مما ترتاح النفس إليه من حب الثناء عليها به نقله القشيري قال: سمعت أبا علي الدقاق يقول ذلك، وقد جعله حداً للزهد وهو من علاماته.

وبالجملة؛ فشرط الزهد أن لا يكون بقلبه التفات للدنيا إذا اعرض عنها. وقال محمد بن إسحاق الصوفي. والصحيح عندي إذا وجد في نفسه هذه العلامات فليخرج الدنيا إلى الأحوج والأولى، فإن لم يوجد ذلك وعلم وجود الأفضل والمحتاج في ثاني الحال فلا يضره ابقاء المال في يده حتى يجد موضعه، وإياك أن تغتر بهذا قبل وجدان العلامات فيهلكك سم المال قبل أن تنتفع بدرياقه. نعم إلا أن يكون متبوعاً يخاف من اقتداء الغير به فيتركها في الوقت تأسياً بالأنبياء عليهم السلام فافهم ذلك.

(**وقال**) أبو زكريا (**يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**علامة الزهد السخاء بالموجود**) وقال مرة الزهد يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح نقله القشيري. فالزاهد لا كلفة عليه في بذل الموجود وإن جلّ، والمحب يسهل عليه بذل روحه لله وشتان بين المقامين.

**وقال ابن خفيف: علامته وجود الراحة في الخروج من الملك. وقال أيضاً: الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف.**

**وقال أبو سليمان: الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفاً بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم.**

**وقال أحمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله: علامة الزهد قصر الأمل. وقال سري: لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه.**

---

**( وقال )** أبو عبيد الله محمد **( بن خفيف )** الشيرازي المعروف بالشيخ الكبير وهو رئيس الطريقة البكرية: **( علامة الزهد وجود الراحة في الخروج من الملك )** نقله القشيري، ولعله بما يلحق القلب عند وجوده من التشويش في حفظه ومن خوفه على قلبه من تعلقه به وكيف يصرفه. **( وقال أيضاً: الزهد هو عزوف النفس )** أي انصرافها **( عن الدنيا بلا تكلف )** فيه، لأن قلبه امتلأ بصغر قدرها وما يترتب عليها من ضررها بخلاف المتزهد، فإنه يتكلف للاعراض عنها فقوله: بلا تكلف إشارة إلى الفرق بين الزاهد والمتزهد، ثم إن هذا القول الذي عزاه المصنف لابن خفيف قد عزاه القشيري لغيره وهذا لفظه بعد أن ذكر قوله الأوّل. وقال أيضاً: الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك، وقيل: الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف ولعل في سياق المصنف سقطاً فتأمل.

**( وقال أبو سليمان )** الداراني رحمه الله تعالى: **( الصوف )** أي لبسه **( علم من أعلام الزهد فلا ينبغي )** للزاهد **( أن يلبس صوفاً بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم )** نقله القشيري. أي: رغبة لبس صوف بخمسة دراهم. أشار بذلك إلى أن الزهد في القلب ليس بلبس الغليظ ولا بأكل الخشن وإن كان ذلك علامة له، لأن الزهد ضد الرغبة هو من أعمال القلوب. وفي القوت قال أحمد بن أبي الحواري: لبست عباءة فنظر إلي وقال: هذا يكون آخر الزهد جعلتموه أوله. أما يستحي أحدهم يلبس عباءة بدرهمين وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم وقال: لو ستر زهده بثوبين أبيضين كان أحب إليَّ.

**( وقال أحمد بن حنبل وسفيان )** الثوري وعيسى بن يونس وغيرهم: **( علامة الزهد إنما هو قصر الأمل )** قال القشيري: وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من إشارات الزهد والأسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له انتهى أي عرفاً، فإن العبد متى أقصر أمله واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا قلّت رغبته فيها وفترت همته عن تحصيلها، وقد جاء في الخبر « كفى بذكر الموت مزهداً » وتقدم في أوّل الباب: إن هذا حدّ للزهد والصحيح أنه من العلامات.

**( وقا السري )** السقطي رحمه الله تعالى: **( لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه )** أي بغيرها من الشهوات لأن شغله بنفسه إنما هو باعراضها عن محبوباته الدنيوية، فإذا عدل عنها

وقال النصراباذي: **الزاهد غريب في الدنيا، والعارف غريب في الآخرة.**

وقال يحيى بن معاذ: **علامة الزهد ثلاث: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رئاسة.** وقال أيضاً: **الزاهد لله يسعطك الخل والخردل، والعارف يشمك المسك والعنبر.**

---

إلى غيرها فقد اشتغل عنها وعن اعراضها عن ذلك، فلا يكون زاهداً، ومتى زهد في شيء من الدنيا وبقي عليه شيء لم يزهد فيه لم يكمل زهده، ولذلك لما سئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا التنعم بمص النواة قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم. أشار به إلى ان من بقي عليه ما ذكر لم تكمل حريته من رق الشهوات، **(ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه)** عن مولاه لأن شغله إنما هو بمولاه عمن سواه نقله القشيري.

**(وقال)** القشيري: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت **(النصراباذي يقول)**، وهو أبو القاسم ابراهيم بن محمد شيخ خراسان في وقته، وصحب الشبلي وأبا علي الروذباري والمرتعش، وكان إماماً محدثاً صوفياً مات بمكة سنة ٣٦٧، **(الزاهد غريب في الدنيا، والعارف)** بالله **(غريب في الآخرة)** أي لأن أكثر العمال لها إنما يعملون خوفاً من العقاب أو رجاء للثواب بخلاف العارفين فإنه بمعرفة جلال الله وعظمته وبحسن وجوب عبوديته لحق أمره ونهيه لا يترك العمل أصلاً، وهذا غريب قليل في ابناء الآخرة.

**(وقال يحيى بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(علامة الزهد ثلاث)**: احداها **(عمل بلا علاقة)** أي خالصاً لله تعالى لا لعلة من علل الدنيا ولا لخوف العقاب ورجاء الثواب في الآخرة. فكمال زهده في الحظوظ العاجلة والآجلة أن يكون عمله لوجه ربه خاصة دون غيره. **(و)** الثانية: **(قول بلا طمع)** أي عاجل ولا آجل، فيخلص في أقواله كما يخلص في أعماله. **(و)** الثالثة. **(عز بلا رئاسة)** بأن يكون عزيزاً عن أن يذل نفسه في طلب الدنيا فيتعاطى الأمور الخسيسة التي تزري بقدره فلا يكون عزه إلا بمولاه، وربما أغناه به بفضله عمن سواه. وهذا القول نقله القشيري ولفظه. وقال يحيى بن معاذ: لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال فذكرها، ولا يخفى أن المراد بحقيقته هي غلبة أحواله على القلب، فلا يكون حداً جامعاً للزهد، ولذلك عبّر المصنّف عنها بالعلامة.

**(وقال أيضاً: الزاهد لله)** لكون قلبه امتلأ بهوان الدنيا عند الله وكثرة آفاتها بحيث أنك تجد أكثر كلامه في بيان نقائصها كأنه **(يسعطك)** يا طالبها **(الخل والخردل)** من حيث أنه يؤلمك بكلامه وينكد عليك ما أنت فيه ويصغر قدرك، **(والعارف)** بالله لكون قلبه قد امتلأ بمعرفته وبجماله وبجلاله وتوالي إنعامه وإفضاله على خلقه بحيث أنك تجد أكثر كلامه في بيان ذلك كأنه **(يشمك المسك والعنبر)** من حيث أنه يرغبك في نيل المقامات، ويشرح صدرك بذكر فضل الله ونعمه على خلقه، فكل من الزاهد والعارف تكلم بما غلب عليه من أحواله وهذا القول نقله القشيري هكذا، ولفظ القوت ننشر عليك المسك والعنبر، **(وقال له)** أي ليحيى بن معاذ:

وقال له رجل: متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين؟ فقال: إذا صرت من رياضتك لنفسك في السر إلى حدّ لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح. وقال أيضاً: الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها، والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها، والعارف يشتغل بالله تعالى ولا يلتفت إليها. وقال السري: مارست كل شيء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس فإني لم أبلغه ولم أطقه.

---

( **رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين** ) وفي بعض نسخ الرسالة: وسئل أيضاً متى أبلغ حقيقة الزهد وأقعد مع الزاهدين ( **فقال: إذا صرت** ) أي وصلت ( **من رياضتك لنفسك في السر إلى حدّ لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك في بساط الزاهدين جهل، ثم لا آمن عليك أن تفتضح** ) بينهم نقله القشيري في الرسالة، وهو تنبيه على أنه لا ينبغي للعبد أن يقطع الأسباب ويتجرد عنها حتى يجد من نفسه قوّة على الصبر على ألم الجوع نحو ثلاثة أيام، ولا يجد منها الضعف عن عبادته، وإلاَّ كان مغروراً ومعرضاً نفسه إلى سؤال الخلق، ولا يخفى أن هذا من علامات الزهد لا أنه من حقيقته.

( **وقال أيضاً: الدنيا كالعروس** ) المجلوة تراها الأبصار وتحبها القلوب وتمدحها الألسن من حيث أن الله تعالى خلقها وجلها بالمال والبنين وغيرها، ( **ومن يطلبها** ) ويعمرها ( **ماشطتها** ) من حيث أنه يديرها حسناً للمغرورين، ( **والزاهد فيها يسخم** ) أي يسود ( **وجهها وينتف شعرها** ) الذي هو من جلة الزينة ( **ويخرق ثوبها** ) من حيث أنه لما عرف نقصها وفناءها وقطعها للعبد عن عبادته اشتغل بتزهيد الخلق فيها وتقبيح محاسنها، ( **والعارف** ) بالله ( **يشتغل بالله** ) تعالى لا يلتفت إليها لكمال شغله بالله وبمعرفته وجماله وجلاله ومناجاته عن ذمها فضلاً عن مدحها، وهذا القول نقله القشيري أيضاً، وليحيي بن معاذ نتف كلام في مقام الزهد والمحبة غير ما ذكره المصنف وقد تقدم بعضه، وسيأتي بعضه في خاتمة الكتاب.

( **وقال السري** ) السقطي رحمه الله تعالى: ( **مارست كل شيء من أمر الزهد** ) فنلت منه ما أريده كالزهد في المطعم والملبس والمنام وفضول الكلام ( **إلا الزهد في الناس** ) أي في لقائهم والتبسط معهم والاستئناس بمحادثتهم، ( **فإني لم أبلغه ولم أطقه** ) أي لعزته نقله القشيري، وهذا أيضاً من علامات الزهد، وقد جعله بعض حداً له كما تقدم.

**وقال الفضيل رحمه الله: جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.**

**فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه، وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلنشرع في بيانه إن شاء الله تعالى.**

---

**( وقال الفضيل )** بن عياض رحمه الله تعالى: **( جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا )** ولذلك جعل أساس كل خطيئة. وقال بعضهم: أصول الشر ثلاثة: الحرص والحسد وحب الدنيا، وفروعه ستة: طلب الرئاسة والفخر والثناء وحب الراحة والطعام والنوم، **( وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا )** فإذا أعرض العبد عنها تيسرت له الخيرات كلها، وهذا القول نقله القشيري في الرسالة بسنده قال: سمعت محمد بن عبد الله يقول: حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن جعفر قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول فذكره، وعزاه صاحب القوت إلى سفيان الثوري والفضيل أي أن هذا القول قد روي عن كل منهما.

**( فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه )** وثمراته، **( وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل )** لكونه شرطاً فيه، **( فلنشرع في بيانه إن شاء الله تعالى )**. ولنختم هذا الباب بفصول فيها بيان لما أبهمه المصنف، وتفصيل لما أجمله ومزيداً لما أشار إليه تارة وتركه أخرى فنقول:

## فصل

الورع لا يوصل إليه إلا بعد الزهد في الدنيا لأنه إذا لم يزهد في شيء لم يمكنه أن يرع عنه، فإذا أعطى الزهد فيه وعوض من الرغبة بدلاً منه سهل عليه الورع عنه فتركه زهداً في الدنيا ورغبة فيما وعد الله وخيفة من المطالبة به وحباً لموافقة محبة الله بتركه. ألم تسمع إلى حسان بن أبي سنان وكان من خيار التابعين إذ يقول: ما زاولت شيئاً أيسر من الورع عليَّ. قيل: وكيف ونحن نظن أنه من أشد الأعمال؟ فقال: إذا رابني أمر تركته، فلما وهب له الزهد فيه وعوض عنه محبة الله به هان عليه الورع.

## فصل

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، والذل أحب إليه من العز، وحتى يكون مادحه وذامه عنده سواء؛ فهذا هو تفسير حقيقة الزهد في النفس وهو يستوعب كلية الزهد في الدنيا، والثلاث الأخر التي قرنها بالفقر هن من إخبات الفقير إذا كان صادقاً زاهداً. كان ذليلاً في نفسه متواضعاً بنفسه لا يكترث بمدح ولاذم لسقوط نفسه عنده وإطراح الخلق عنده، فهذا علم وجود اليقين الذي ضده علامة النفاق أن يكره الذم ويحب المدح.

وأما وهب بن منبه فقد جعل الزهد من استكمال العقل فقال: لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال: يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والذل أحب إليه من العز، والتواضع أحب إليه من الشرف، فهذا عقل العالمين بالله وهم عقلاء الموقنين وهو عقل هداية الآخرة المنوط بمعرفة الآخرة، لا عقل الواله على الدنيا المرتبط بالعكوف على الخلق لقوة مشاهدة الخلق بعين اليقين ولضعف شاهد المعقول باستجلاب حظوظ النفس من الفضول، فلذلك جعل ابن مسعود هذه الثلاث من حقيقة الإيمان وذروته. ولعمري أن كمال الإيمان وأعلاه هو بكمال العقل ونهاه، فالعقل مكان الإيمان مثله كالفتيلة مكان المصباح، فإذا حقق الإيمان وكمل زيد في تحقيق العقل وتكميله وكان معه الزهد بحقيقته.

## فصل

قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: إنما فضل الله الأنبياء بما أعطاهم من العلم به وما زهدوا في الدنيا مع القيام والصبر عليه، فجعل العلم بالله معياراً على النبوة تفاضل الأنبياء وهو علم اليقين الكاشف لعين اليقين المتجلي به وصف الوحدانية وجعل سبب ذلك الزهد، فالزهد مقتضى اليقين لأنه موجب الزهد فهو عنه ولذلك فسروا الزهد باليقين.

## فصل

قال رسول الله ﷺ: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق بما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها ارغب فيها لو أنها أبقيت لك». رواه الترمذي. وقال غريب ضعيف من حديث أبي ذر ورواه البيهقي في الزهد كذلك. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي الدرداء.

وروى الديلمي من حديث ابن عباس: «الزهد في زماني هذا في الدنانير والدراهم، وليأتين على الناس زمان الزهد في الناس أنفع لهم من الزهد في الدنانير والدراهم».

وروي أيضاً من حديث أبي هريرة: «الزهد أن تحب ما يحب خالقك وأن تبغض ما يبغض خالقك وأن تتحرج من حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها فإن حلالها حساب وحرامها عذاب وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم لنفسك وأن تتحرج عن الكلام فيما لا يعنيك كما تتحرج من الحرام وأن تتحرج من كثرة الأكل كما تتحرج من الميتة التي قد اشتد نتنها وأن تتحرج من حطام الدنيا وزينتها كما تتحرج من النار وأن تقصر أملك من الدنيا»، فهذا هو الزهد في الدنيا. فهذه الأخبار الثلاثة جامعة لحقائق الزهد.

## فصل

قال سهل التستري رحمه الله تعالى: الصديقون في بدايتهم طلبوا الدنيا من الله فمنعهم، فلما تمكنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها، فالحال الأول: موضع العصمة إن منعهم منها

لضعفهم لئلا يهلكوا بقبولها ، فلما تمكن منهم ومكنهم عنده ردّها عليهم لأنهم قد صلحوا للأخذ آخذين ما آتاهم ربهم أنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، فلما ذاقوا حلاوة الزهد وجدوا نعيم الحب لم يكن عندهم للدنيا ولا في قلوبهم قدر ، فاعرضوا عنها لما عرضها عليهم بحسن إقبالهم عليه .

## فصل

كان عون بن عبيد الله المسعودي يحكي عن طريقة السلف فقال : إن من كان قبلكم كانوا إنما يجعلون لدنياهم ما فضل من آخرتهم ، وأنكم تجعلون آخرتكم ما فضل عن دنياكم أي لرحجان كفة الآخرة في قلوبهم وغلبة أمرها عليهم ولقوة يقينهم يقدمون شأنها فيبدأون بأن ينقلوا من دار عنها يرتحلون إلى دار فيها يقيمون أحسن ما يدخرون ، ويقدمون لدار الحياة والبقاء المؤبد من محل الموت والفناء المؤقت المحدود أجود ما يقتنون ، إذ دارهم أمامهم وحياتهم بعد موتهم لأنهم خلقوا للآخرة لا للدنيا وللبقاء لا للفناء ، ثم يجعلون ما فضل من عيشهم لدنياهم لأنه متاع في الحال وبلاغ إلى وقت وحين ، وهذا علامة حسن اليقين وهو يقين الزهد الذي صار الزهاد به زاهدين ، لا يقين الإيمان الذي صار به المسلمون مؤمنين بنفي الشرك بالصاحبة والولد .

## فصل

أصل الرغبة في الدنيا من ضعف اليقين ، لأن العبد لو قوي يقينه نظر بنوره إلى الآجل فغاب في نظره العاجل فزهد فيما غاب وأحب الحاضر فآثر ما هو أعود عليه وأبقى وأنفع له ولمولاه أرضى وقدم ما يفنى وينقطع إلى ما يدوم ويتصل ، وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن ، لأن الحاضر لا يحب ما غاب وانتقل . ألم تسمع إلى وصفه تعالى إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿لا أحب الآفلين﴾ [ الأنعام : ٧٦ ] بعد قوله : ﴿ليكون من الموقنين﴾ فالموقن مأمور باتباع ملة إبراهيم ، وليس يشهد الوعد والوعيد بنور العقل إنما يشهد بنور اليقين .

## فصل

الزهد يكون بمعنيين : إن كان الشيء موجوداً فالزهد فيه إخراجه وخروج القلب منه ولا يصح الزهد مع تبقيته للنفس لأن ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الأغنياء ، وإن لم يكن الشيء موجوداً وكان العدم هو الحال ، فالزهد هو الرضا بالحال والغبطة بالفقد وهذا زهد الفقراء ، وكذلك في القدرة على الهوى لا يصح إلا مع وجود الإبتلاء به ، فمتى قدر عليه فصبر عنه لمجاهدة نفس أو مدافعة وقت أو قطع سبب فذلك زهده فيه ، فأما أن يريد أن يزهد فيه أو يهم بتركه أو يعزم على قطعه فليس ذلك زهداً فيه ، بل نيات وإرادات من غير حقيقة ، فمن أخرج من يده الشيء طوعاً ونفسه تتبعه فله مقام في الزهد بالمجاهدة ، ومن أمسك الشيء وأظهرت نفسه الزهد فيه بالإرادة والهمة فذلك تأميل وتمن يدخل في باب نيات الخير لا في المسارعة إلى الخيرات ولا المسابقة بالقربات بالسعي لها والمنافسة فيها ، ولا مقام في المنافسة لمن لم يتبع الإرادة بالسعي والمعاملة ، ولا

مقام في الزهد لمن لم يردف الإرادة بإخراج المزهود فيه، لأن الإمساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهادة، فكيف يوصف بالشيء وضده في حالة قائمة؟ فالممسك للشيء المتوهم للزهد بإظهار نفسه ذلك بأحد وصفين: إما أن لا يعرف الزهد أو لا يعرف خفي شهوة النفس ولطيف تمنيها من معدن حسن ظنها بوصفها. هذا إن لم يموّه على الراغبين ولم يكذب على وجده لأجل خفي الرغبة فيهم، والمخرج للشيء عن يده المخرج لقلبه منه هو المتحقق بالزهد فيه، والممسك للشيء المغتبط بإمساكه الذي همه فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه، وكذلك كل من أمل شيئاً وادخره لنفسه لا يكون زاهداً فيه حتى يخرجه من يده وقلبه استصغاراً له وتعوضاً منه.

## فصل

قد يصح الزهد للعارف في الشيء مع وجوده عنده إذا لم يقتنه لمتعة النفس ولم يتملكه ويسكن إليه، بل كان موقوفاً في خزانة الله تعالى التي هي يده منتظراً لحكم الله فيه وصحة ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة إذا رأى حكماً لله أن ينفذه ويكون كأنه لغيره من إخوانه أو سبيل من سبل الله، وقد يصح الزهد مع الوجود لمن دون العارف من المريدين إذا أمسك الشيء لأوقات حاجته واستعان به على آخرته أو يكف به نفسه عن الرغبة والطمع ويقمع طبعه عن الشره والضرع، ويكون سبباً لقطع التشرف وحسم النفس من التصنع والتكلف، وقد يكون هذا المقام للخصوص من العلماء بهذه النيات زائداً على مقامات من الزهد للمريدين.

قال عبد الرحمن بن مهدي: خرج محمد بن يوسف الأصبهاني إلى مكة ومعه مائة دينار وليس معه إلا كساء أدبت وما رأيت مثله، وكذلك يحيى بن سعيد القطان ما رأيت مثله وقدمه على الثوري، ولما قدم عبد الجليل الزاهد إلى واسط اجتمع إليه أهل العراق يسألونه عن الزهد فقال: اصبروا حتى أبيع دقاق تمر حملته من البصرة وأتفرغ لكم للمسائل، وكان يتجر فيجعل ثلثاً لأهله وعياله، وثلثاً لإخوانه الفقراء، وثلثا يرده في تجارته، وكذلك كان حال جماعة من زاهدي السلف فلم يكن ذلك ينقصهم عند العلماء وكان مزيداً في حالهم وطريقاً لهم إلى مقامهم من الزهد وهو وصف الأقوياء من الزهاد.

## فصل

خالص الزهد إخراج الموجود من القلب، ثم إخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم الوجود على الإستصغار له والإحتقار والتقالل، فبهذا يتم الزهد ثم ينسى زهده في زهده فيكون حينئذ زاهداً في زهده لرغبته في مزهده، وبهذا يكمل الزهد وهذا لبه وحقيقته وهو أعز الأحوال في مقامات اليقين وهو الزهد في النفس لا النفس لأجل الزهد ولا للرغبة في الزهد للزهد، وهذه مشاهدة الصديقين وزهد المقربين عند وجود عين اليقين، ودون هذا مقامات إخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره إليه، وعلى مجاهدة النفس فيه وهو زهد المؤمنين والورع من الزهد، كما أن الزهد

من الإيمان والقناعة باب من الزهد والرضا باليسير من الأشياء حال من الزهد والتقلل في الأشياء مفتاح الزهد.

## فصل

قال بعض السلف: أبى أهل العلم بالله أن يسمعوا الحكمة والوعظ إلا من الزاهدين في الدنيا وقالوا: ليس أهل الدنيا لذلك أهلاً ولا يليق بهم، وفعله رجاء بن حيوة عالم الشام: بلغنا أنه كان يجلس إلى رجل زاهد ببيت المقدس فيستمع إليه، فجاء يوماً إلى مجلسه وقد اجتمع الناس فجلس وراءهم وهو يحسب أنه فيهم، فلما أبطأ تكلم شيخ في المجلس وهو مؤذن ببيت المقدس لابأس به، فأنكر رجاء صوته فقال: من هذا المتكلم؟ فقال الشيخ: أنا رحمك الله. فقال: اسكت عافاك الله فإنا نهينا أن نسمع الزهد إلا من أهله، وقال نحوه سلمان لعمر بن الخطاب، وذلك أنه حمل إليه أبراد فكسا الصحابة برداً برداً، فلما كان في يوم الجمعة خرج في بردين فخطب، فلما قال في وعظه: ألا اسمعوا فقام سلمان فقال: والله لا نسمع. قال: ولم، قال: لأنك كسوتنا برداً برداً وخرجت علينا في حلة. فقال: رحمك الله إني غسلت ثوبي ولم يكن لي غيره فاستعرت هذا وهو برد عبدالله بن عمر. فقال: قل الآن حتى نسمع. وهذا أبو عبدالله أحمد بن حنبل وهو من أئمة الدين لما سئل عن الصدق ما هو؟ قال: هو الإخلاص. قال: فما الإخلاص؟ قال: هو الزهد، فقيل: يا أبا عبدالله وأي شيء الزهد؟ فسكت. فقال: سلوا الزهاد سلوا بشراً. وقال أبو طالب الوراق: دخلت عليه في جماعة من أصحاب الحديث كنت قد نسخت لهم كتاب الزهد الذي جمعه لأقرأه لهم عليه ففرش لنا في الدار حصير جديد ونزل إلينا من غرفة له، فلما قعد وأخذ الأصل بيده أطبقه ثم قال: يا أبا طالب الزهد لا يقرأ إلا على الزهد وكشط الحصير الجديد من تحتنا وقعدنا على التراب.

## فصل

يروى أن عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال: أنشد الله رجلاً علم في عيباً إلا أخبرني به، فقام شاب في المجلس فقال: يا أمير المؤمنين فيك عيبان إثنان. قال ما هما رحمك الله؟ قال: تذيل بين البردين وتجمع بين الأدمين. قال: فما أذال بين البردين ولا جمع بين الآدمين حتى لقي الله عز وجل. هكذا يروى تذيل بالذال المعجمة وله معنيان: أشهرهما أي تجمع بين ذيل ثوبك فيتفق ذيل البرد الأعلى مع ذيل البرد الأسفل لطوله، واغرب الوجهين أن معنى تذيل تضع ثوبين معاً أي نتركهما موضوعين لك ولا يبعد أن يكون بالدال المهملة، والمعنى تبدل بردا ببرد دولة هذا ودولة هذا، وأراد أن يكون له واحد لا يذيله بآخر.

## فصل

تقدم قول الأحنف بن قيس: ما كذبت كذبة إلا مرة وله قصة، وهي أنه وفد مع قومه من

البصرة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فلما قاربوا دخول المدينة نزعوا ثياب سفرهم ومهنتهم ولبس كل واحد ثوبين جديدين أو غسيلين أو قال أبيضين. قال: وفعلت مثل ذلك، فلما دخلنا أطراف المدينة نريد الدخول إلى عمر جعل أهل المدينة يرمقوننا بأبصارهم ويعرضون، وجعلوا يلحظوننا وتنبو أبصارهم عنا فسمعتهم يقولون: أبناء دنيا. قال: فعلمت أن القوم ليسوا وأمثالنا وأنهم أهل الآخرة، فعطفت رأس راحلتي ونزعت ثوبي ورددتها إلى العيبة، ثم أخرجت ما كنت خلعته من ثياب سفري وبذلتي فلبسته، ثم دخلنا على عمر قال: فجعل الناس تنبو أعينهم عن أصحابي وينظرون إلي من بينهم كأنهم يغبطوني. قال: فلما نظر إليهم عمر وكان أول يوم رأيته، فإذا رجل عليه خلق مرقوع وعلى كنفه درة، فلما قفلنا من بعيد أخذ كفاً من حصى فحصبنا به قال: ثم لحظني بعينه، فقال: هذا نعم فأدناني وقربني من بينهم وقال: من أنت لله درك أو قال أبوك؟ فقلت: أنا الأحنف بن قيس التميمي. فقال: أنت سيد قومك؟ قال: وأعجبه هيئتي فقام واتكـأ على يدي فجعل يسألني عن الطريق وعن الركاب وكيف كنا نسير بها إلى أن وافى رحلنا وموضع مناخنا، فرمق عيبتي فرأى طرف الثوب خارجاً فلمسه وذكر أول الخبر الذي تقدم ذكره.

## فصل

روينا في الإسرائيليات أن موسى عليه السلام وصف الزهد لبني إسرائيل فقام إليه رجل منهم فقال: يا نبي الله أنا منهم. قال: أنت إذاً تغديت تجد ما تتعشى. قال: نعم. قال: اجلس فلست منهم، ثم قام إليه آخر فقال: يا نبي الله أنا منهم. قال: أنت إذا تغديت تجد ما تتعشى. قال: لا. قال: فلك ما تبيع؟ قال: نعم. قال: اجلس فلست منهم، فقام إليه آخر فقال: يا نبي الله أنا منهم. قال: أنت إذا تغديت تجد ما تتعشى؟ قال: لا. قال: فلك ما تبيع؟ قال: لا. قال: فلك من يقرضك؟ قال: نعم. قال: اجلس فلست منهم، ثم قام آخر فقال: أنا منهم. فقال له مثل ذلك إلى أن قال: فلك من يقرضك؟ قال: لا ولا أملك من الدنيا إلا هـذه الشملة من الصوف ولقد آذاني فيه الدواب وأنا استحي من ربي عز وجل أن أنزعها فأفليها واتعرى بين يديه. قال: اجلس أنت منهم، فهذا الذي أراده موسى عليه السلام من الزهد هو حقيقته، وهو زهد أولي العزم من الزهاد، وهذه الحال من عزائم الأمور وتفصيل مقاماته أن للزهد في حال الفقر مقامات.

**فالمقام الأول:** هو أن لا يجد الفقير معلوماً غير ما حمل في جوفه وعلى ظهره، وهذا هو حال الفقير الأول الذي قال له موسى: لست منهم يعني من أولي العزم من الزهاد، إذ لم يكن حاله حال عزيمة الزهد لأجل وجد العوض المعتاد وهو فضل ما يبيعه من العوض فقام له مقام المعلوم من النقد.

**المقام الثاني:** من الفقر في الزهد هو فقد العوض الذي هو عوض عن الناض وهذا حال الثاني.

**المقام الثالث:** هو أن يعدم الأعراض والأعواض وليس هو حقيقة الفقر لأجل بقاء الأسباب

..........................................................................................

التي تقوم مقام الأعواض، وهو الجاه الذي يستقرض به فيقرض وهو أيضاً سبب به يعرف لأجل معرفته افترض، فهذا يحجبه عن حقيقة الفقر وينقصه عن عزيمة الزهد، فحسب موسى عليه السلام وجود الجاه له رغبة منه هي دون الله تعالى حتى يكون بالوصف الذي وصف الله به أولياءه في الغاية من قوله تعالى: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ [ التوبة: ١١٨ ] فهذا مثل فقد المعلوم الذي تقوم به الأشياء وهو بمعنى حال الأول، ثم قال: ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ [ التوبة: ١١٨ ] فلم يبق له عوض يقوم مقام المعلوم الذي له قيمة شيء فيبيعه وهذا بمعنى حال الثاني، ثم قال: وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فهذا سقوط الأعواض بعد فقد الأعراض، وعدم الجاه الذي هو سبب الإستقراض فلم يبق له جاه يعول عليه ولا معرفة من الخلق ولا سبب بينه وبينهم ينظر به إليه، ولم يبق بينه وبين الله إلى الله مأوى يسكن فيه ولا ظل يستظل به ولا ملجأ يستند إليه حينئذ قال الله تعالى بعد بلوغ الغاية: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ [ التوبة: ١١٨ ] أي عطف عليهم لينعطفوا عليه ونظر إليهم لينظروا إليه، وهذا وصف الثالث الذي قال له موسى عليه السلام: أنت منهم إذ قد تحقق بالفقر وبلغ عزيمة الأمر فلم يجد دون الله سبباً منفصلاً من مال ولا معنى متصلاً من حال وهو الجاه والمنزلة الذي يقوم مقام الأعراض ويتسبب به إلى الأسباب، فهذا وصف فقير ونعت غريب غريب الدار في وطنه غريب الوجد من مسكنه غريب العلم من دمنه غريب الحال من أمته غريب في غربته غريب في تغربه غريب بمغربه لا يعرفه ابناء جنسه، متوحد بأنيسه عن أنسه، قد طمست نفسه في رمسه وشغل بيومه عن غده وأمسه، فهذا من وحش الملل في داره وأنسه لزواره، قد قرت عينه بقراره وفرّ من إيلافه وفراره وصفت روحه من إقذاره فهو موضع نظره ومعقل خبره وغيث بلاده وروح عباده، ومن خالص وداده قد زهد في زهده وعدم وجوده بوجده وفنيت نفسه عن جهده وبقيت روحه بموجده، وكذلك روينا أن داود عليه السلام سأل ربه عن المعرفة وكأنه تشوق إليها، فأوحى الله إليه: لا بدّ لك من سبد ولبد، ومن عرفني لم يسكن إلى سبد ولبد، والله الموفق.

## فصل

قال صاحب القوت: حدثني عبد الكريم بن أحمد، حدثني جعفر بن محمد، حدثنا الخواص عبدالله بن الحسين، حدثني سعدون بن عبد الرحمن المكي، عن المغيرة بن قيس، عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال: أتينا على أهل ماء في سفر لنا مع رسول الله ﷺ وأسود مولى لهم ميت بالأمس ليس له ثوب يكفنونه وما عندهم غاسل يحسن غسله قد قطع له لا يدرون كيف يأتون، فهجمنا عليهم من الغد ظهراً وقد أروح وترك القوم خباءهم وخرجوا كراهية لجواره، فكان أول من نزل منا رسول الله ﷺ ثم مشى حتى دخل عليه، فجاءه القوم يعتذرون إليه من تركهم إياه، فانطلق النبي ﷺ حتى قام على بئر لهم عادية فتفل فيها فاستحالت عذباً فأسقينا، وأمر علياً وأبا أمامة فغسلاه وكفنه رسول الله ﷺ في بردة له ما زاده عليها، ثم صلى عليه، وولي إدخاله في قبره

علي وأبو أمامة، فلما فرغ النبي ﷺ قال لأصحابه: «أنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية». فقلنا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «إنه كان إذا جاءه الشتاء ادّخر حلة الصيف لصيفه وإذا جاءه الصيف ادّخر حلة الشتاء لشتائه من قابل» ثم قال: «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار» الحديث. وقد تقدم مراراً مختصراً على قوله: «من أقل ما أوتيتم اليقين» الخ وسبق قول العراقي أنه لم يجده فتنبه لذلك.

## فصل

الزاهد في الدنيا مسجون مضيق عليه وليس كل من أراد وصل إلى المسجون، وكلما كان السجن أضيق عليه وأشد كان الوصول إلى الزهد أبعد وأشق، ولذلك صار أولياء الله محجوبين عن الناس لا يصل إليهم كل إنسان إلا من توصل أو توسل على قدر تضايق السجون.

## فصل

في سياق كلام يحيى بن معاذ الرازي في الزهد والمعرفة وقد تقدم بعضه، ونذكر الآن ما وعدناه به قال: حبك الدنيا حب بلاء وحبك الآخرة حب بلوى ومن رضي باختيار الله دام فرحه، لأن العارف من أخذ الآخرة بيمينه والدنيا بشماله وأقبل على الله بقلبه لا يلهيه شيء، وما دام يخاف من وقوع الدنيا عليه فإنه لم يصل بعد، وقعد إليه مرة رجل من الزهاد فجعل يحدثه الزاهد بأحاديث من فضل القلة والفقر ويحيى ينظر إلى وجهه كالمتعجب، فلما قام قال: لو لم يعللوا المساكين بمثل هذه الأحاديث لتفقأت مرارتهم من الغم وكانوا لا يصبرون على الفقر. هيهات! لم يتقدم القوم عند الله بفقر ولا غنى ولكن بالعلم والمعرفة. قيل له: وما عبادة العارف؟ قال: الدنيا دار سير إلى الله تعالى، فإن لم يسر بأعمال جوارحه فهو سائر بقلبه خطو القدم ذراع وخطو القلب ألف فرسخ. وقال أيضاً التماسك العطر في حوانيت الصيادلة جهل إنما هو الشغل بالله عن الدنيا والآخرة معاً. وقال: طلبوا العبودية في الزهد فلم يروها الزاهد ألج من يرى يثبت على ترك الشيء أربعين سنة، ولكنه كلما كان ألج كان أصدق بما لم يوافق نفسه هواه في الأخذ، فلا سبيل له إليه إلا بالترك حتى يترك أخلاق العبيد ويتخلق معه بأخلاق الأحرار، ولا يوجد صدق العبودية إلا في منازل المحبة والمعرفة. وقال في تفسير قول عيسى عليه السلام: يا عبيد الدنيا أنتم عبيد أتقياء ـ يعني الزهاد ـ ولا أحرار أقوياء يعني العارفين وقال: خض بحار المعرفة إليه تستهين جهد الزهد والعبادة في جنب ما تدفع إليه مما لا قوام للعقل عليه، فإن البهاء مع العبادة، والكفاية مع الزهد، والبصيرة مع العلم، والجوائز السنية مع المعرفة. وحكى مرة فقال: التقى أحمد بن حرب وابن حضرويه وأبو حامد فقالوا لأحمد بن حرب: إن جعلت لك الدنيا فما أنت صانع بها؟ قال: كنت أرضي بها خصمائي لئلا تلحقني تبعة يوم القيامة. قالوا لابن خضرويه: فما كنت صانعاً بها أنت؟

.................................................................................

قال: كنت اجعلها كلها لقمة وأضعها في فم مؤمن فاستريح منها. قالوا لأبي حامد: فما كنت تصنع بها أنت؟ قال: كنت اجعلها لطلاب الآخرة فأحوز ثواب ذلك. قال يحيى: أما ابن حرب فانطقه لسان العصاة ودرجته درجة التوابين، وأما ابن خضرويه فانطقه لسان المحبة ودرجته درجة المشتاقين، وأما أبو حامد فانطقه لسان الشفقة ودرجته درجة الزاهدين. قيل ليحيى بعد ذلك: ما كنت صانعاً بها؟ قال: وما حكم العبد في مال سيده انتظر قضاءه فيها فاصرفها فيه فهو أعرف بالتدبير. وكان يقول: الزاهد عيشه إلى يوم واحد والعارف أسقط الأمل أصلاً لأن حياته بيد غيره. وقال: من صدق في الترك عذر في الأخذ يعني الدنيا ـ وقال: الصوف لباس العجم ما رأيته على أحد استبرع عقله. وقال: نفور العارفين من الزاهدين أكثر من نفور الزاهدين من الراغبين، وكان يقول: الدنيا كلها لا تعدل عند ربها جناح بعوضة، فكم مقدار تركت منها ينبغي لك أن تضعها على طبق وتقول: ما صنعت شيئاً لأنه لو عرف قدر المزهود من المعرفة لم يذكر الزهد. وقال: ترى الزاهد إذا دخل في الزهد جوّع نفسه وباع شيأه كله من الخوف من الدنيا لا يشك حتى إذا قوي يقينه ورأى الأمر كائناً وجوده بغير الأسباب عرف من بعد وندم على كثير مما كان باع من كتب ومتاع. وقال: الزهد كله غصن من أغصان شجرة المعرفة. وقال: إنما يتركون ويحزنون ليفرح ويأخذون ويفرحون ليفرح فما عليهم تركوا وأخذوا وحزنوا وفرحوا إذا كان فرحه موجوداً لهم في الحالتين، فقيل له: هو يفرح؟ قال: نعم أليس في الخبر: «الله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل بعيره» الحديث. وقال: يا زاهد إن كنت تعجب ممن ترك الجنة في جنب دنياه، فالعارف أشد تعجباً حين شغلتك الجنة عن خالقها وكل حالة تفخر بها في سيرك إليه إلا كسرها عليك الوصول ليكون فخرك به لا بغيره.

قال صاحب القوت وجملة الأمر أن يحيى بن معاذ لم يكن يتكلم بلسان الزهد ولم يكن عمله يصلح للمريدين ولا للسالكين، لأنه لم يكن من علماء الطريق، وقد هلك بمثل هذا فريق توهموا مقام المعرفة وتظننوا حال العارف حتى فاتهم بذلك مقام الزهد ولم يدركوا حال العارفين، وأولى الأشياء بالعاقل مراعاته لما هو حاصل ومعرفته بقدر حاله وأعمال نفسه في سر اختلاله. وقال في موضع آخر: وأما طريق يحيى بن معاذ وبعض العارفين في شأن الدنيا، فإن من لم يتملك الملك لم يضره ما ملك بعد أن لا ينظر إلى نفسه فيه كما لا يشهده له، بل يجده في خزانة الله التي هي يده وتمليكه ويكون موقوفاً فيها إلى تنفيذ حكم الله فيه من وضعه في مواضعه وإخراجه في أوقاته إلى أهله، فهذا مستودع يؤدي الأمانة فيه ووكيل مستخلف يطيع الموكل به، فمقام هذا من التوحيد وشهادته بعين اليقين يزيد على مقامات الزاهدين، وهذا وصف الصحابة الأعلمين وكان يقول: لا تأمن مكره ولا تغترن انظر أن لا تكون قد تركت الزهد والعبادة ظناً منك بأنك قد وصلت إلى درجة الحب والمعرفة فتصير في القيامة عارياً منها كلها لا في منازل العارفين ظهرت ولا فضل الزهد والعبادة أدركت. هذا مع قوله: إذا صح الزهد خرج شهوة النساء من قلبه فلم يردهن، فإذا أقيم مقام المعرفة ردوها عليه. وقال مرة: إذا زهد ترك الشهوات فإذا عرف عاودها ويكون وجده

أفضل من تركه. وقال: إذا صح زهده لم يلحظ من الدنيا مشتهياً له، فإذا لحظة قالوا: خذه فيجعلونه عليه لأن قلبه قد وقع عليه. قال: وكذلك إذا عرف لم يلحظ من الآخرة شيئاً بقلبه، فإن وقع قلبه على شيء منها جعل له كأنه يقول: إذا صح تركه للدنيا والآخرة لأجل الله فإنه يردهما عليه، إذ الله تعالى لا يعبأ بهما شيئاً، وكان يقول: الزهد يورث السخاء بالنفس عن الآخرة وحب الله يشغل عن الدارين جميعاً. وقال: ترك الدنيا مهر الآخرة ونفسك خير من الدنيا فلا تبعها بها، ومن علامة المعرفة بهذا بيع الدنيا كلها في جنبها، وقيل له: ما غاية الزهد؟ فقال: أن لا يصحب من الدنيا ما يلزمه حفظه.

## فصل

الزهد لا ينقص من الرزق، ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع والفقر، فيكون هذا رزقاً للزاهد من الآخرة على هذه الصفة من حرمان نصيبه من الدنيا وحمايته عن التوسع فيها، ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنعه من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختبار من الله تعالى وحيطة نظر، ولعل بطالاً لاعباً يحتج لتوسعه بهواه فيقول: إن الزهد في الدنيا لما لم ينقص من رزقي شيئاً قد فتح لي مقاماً مع التوسع والاستكثار لأني إنما آكل رزقي وآخذ قسمي، فلي من الزهد مقام ومن الرضا والتوكل حال يزخرف على من لا يعرف الزهد ويغر بمقاله من لا يعرف طرائق الزاهدين، ولعله ممن يأكل الدنيا بالدين، فسمي الاحتجاج لنفسه بهواه والاعتزاز عند الجاهلين زهداً خيفة لومهم إياه، فكان ذلك معه احتجازاً عن الزهد لزهده في الزهد وقوّة رغبته في الرغبة، ولا يعلم المغرور بدار الغرور أنه وإن كان يأكل رزقه من الدنيا ويأخذ قسمه من العطاء فبحكم البعد والبغض وبوصف الرغبة والحرص، لأن السارق والغاصب أيضاً يأكل رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار، إذ كان الله سبحانه يرزق الحرام للظالمين كما يرزق الحلال للمتقين، وإنما بينهما سوء القضاء للأعداء وحسن التوفيق والاختيار للأولياء، فقد حرم المدعي لذلك رزقه من الزهد وبخس نصيبه الأوفر من حب الفقر ونقص حظه الأفضل من الآخرة إذ كانت الدنيا ضدها وجعل ما صرف فيه وما صرف إليه سبباً لنقصان مرتبته من طريق الزاهدين، وأنه قد اختبر بالدنيا وبما فتح عليه من السراء ليظهر صدقه من كذبه، فوقع في الفتنة ولم يفطن للابتلاء وصارت مشاهدته هذه عن وجوده حجاباً له عن علوم العارفين، فاستدرج بعلمه هذا وعدل به إليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الورعين الزاهدين، هذا إذا كان صادقاً في مشاهدته تلك، وإن كان كاذباً في دعواه فهم من أولياء الشيطان ومن المحرومين الغافلين قد مكر به وعدل عن علوم الموقنين، وقد قال بعض العارفين: من كتم ما يجده من أفات نفسه عوقب بادعاء منزلة لم يبلغها، نعوذ بالله من الاغترار بعلم الاظهار، ونسأله التوفيق لمشاهدة علم التحقيق.

## فصل

الزهد في الدنيا على ثلاثة أحوال: رجل قد غلبها موجودة ومفقودة، ورجل قد غلبته موجودة ومفقودة، ورجل قد غلبها مفقودة وغلبته موجودة.

تفسيره: أن من الناس من قهر هواه وملك نفسه وشهوته وهو قادر عليها وهي موجودة له، فذلك أحرى أن يغلب نفسه فيما فقد من الدنيا وغاب عنه وهذا مقام الصديقين.

والثاني: قد غلبته نفسه وأهواه الهوى وأمالته الشهوات موجودة إذا قدر عليها ومفقودة له بالاهتمام بها والفكر والخواطر فيها والارادة لها، فهذا ساقط لاقط لا مقام ولا وصف وهذا حال الجاهلين ونعت الغافلين.

والثالث: قد غلبته نفسه في الموجود من الهوى والحاضر من الشهوة، فإذا غاب ذلك عنه غلبها في العدم وملكها عند الفقد، وهذا حال المجاهدين وطريق السائرين ونعت المريدين. وقد قيل ليحي بن معاذ: أيصل العبد إلى درجة يسلم فيها من الذنب ومن الزهد إلى درجة يستغني فيها عن الدنيا؟ فقال: هذا لا يكون لا يستغني عن الدنيا أحد، وإنما وقع التفاضل بين الناس على القليل والكثير، فأزهدهم فيها أقلهم حظاً منها كما لا يسلم من الذنب أحد، ولكن أفضلهم أقلهم ذنباً. وكان رحمه الله يقول في العدل قولاً فصلاً قال: إن زهادكم يأمرونكم بأن يكون الدرهم أول شيء تتركونه من الدنيا، وأنا آمركم أن يكون الدرهم آخر شيء تتركونه منها. قيل له: لم ذلك؟ قال: لأن الدرهم معلق على شهوة النفس والشهوة معلقة على النفس، فترك الدرهم من قبل إزالة الشهوة عن النفس بالسياسة خطأ ودخول في الطمع لمن عنده الدرهم ووقوع البلاء، حتى إذا زالت بحسن السياسة هذه الشهوة عن نفسك ذهب عنك حب الدرهم شئت أم أبيت ضرورة، إذ كانت علة حبك له الشهوة والشهوة قد ذهبت وبالدرهم يتم أمر هذه السياسة، فلهذا قلت: أجعل الدرهم آخر شيء تتركه بعد الفراغ من النفس. واعلم أن إمساك الدرهم على هذا التدبير لا يكون علاقة ولكنه يكون سياسة يصلح به، وكان يقول: راحة الأبدان في زهد القلوب، ومشقة الأبدان في حرص القلوب، وقال: طلبت الدنيا فلم أسترح، وطلبت العلو فلم أسترح، وطلبت العبادة والعلم فلم أسترح، ودخلت في الزهد واستوطنت الثقة بالله فاسترحت. وكان يقول: ما دامت شهوة النفس معك فأنت مطية الدنيا وتساق المطية حيث يريد صاحبها لا حيث تريد هي، وإذا ذهبت الشهوة فالدنيا مطيته يسوقها حيث يريد. وقال بعض أهل المعرفة: إن الله لا يرضى ممن عرفه أن يعلق بشيء دونه، فإن فعل ذلك غمه الله ولوعه من ذلك حتى يرجع إليه، ويقال: إن من صح زهده في الدنيا حتى يستوي عنده ذهبها وحجرها مشى على الماء، وفيه قال الشاعر:

لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في وصلي مشيت بلا شك على الماء

وقال يحي بن معاذ: أولياء الآخرة ثلاثة: قانع وزاهد وصديق، فالقانع المحترف الطالب للحلال المنفق على السبيل والسنة، النازل عن جناح الرغبة في طلب الفضول من حطام الدنيا،

...........................................................................

والزاهد التارك للطلب ومعه شهوته، فإن أصاب نعيم الدنيا من غير كلفة أكل ونكح وإن منع صبر ورضي، والصديق هو واجد النعيم لا يريده لمزايلة الشهوة إياه. وقال أيضاً: ليس بزاهد من استخدم غيره بما يصل هو إلى فعله. وقد قال أبو سليمان لأحمد بن أبي الحواري: إذ قال قلت لبعض أصحابنا: اسقني ماء فناولني شربة، فقال لي أبو سليمان: رأيت من زهد في الدنيا يستخدم ويقول: اسقني ماء، وكان يحيى بن معاذ يدخل العلم والعبادة في الزهد يجعل الثلاثة كالشيء الواحد لا يتم بعضه إلا ببعض، فقال: الزهد والعبادة والعلم مثل الثوب وسداه الزهد ولحمته العبادة ونساجه العلم لا يلتحم الثوب بغير هذه الثلاث. كذا لا يلتحم أمر الآخرة إلا بثلاثها، وكان يحيى بن معاذ يقول: إذا وصل فرح فإذا اتصل استأنس فقيل له: نراك تفرق بين الوصول والاتصال فتجعل الاتصال أعلى وأقرب فقال: اضرب لكم مثلاً رجل سار طريقاً وقصد ملكاً كريماً، ثم وصل إليه حتى إذا قدم عليه فقد وصل ثم يتصل بمنادمة الملك شيئاً بعد شيء يتقرب به إليه ويقرب منه حتى يدنيه الملك ويؤنسه، فالسير والتعب لقطع المنازل والفرح في الوصول والانس في الاتصال، والاتصال كان مقام أبي يزيد، والوصول كان مقام يحيى بن معاذ رحمة الله عليهما.

## فصل

قال أبو يزيد البسطامي: حقيقة الزهد لا يكون إلا عند ظهور القدرة والعاجز لا يصح زهده وهو أن يعطيه كن ويطلعه على الاسم ويقدره على الأشياء باظهار الكون فيزهد في ذلك حباً لله تعالى أن يعمل عمله، ويتركه حباً لله تعالى أن يقوم مقام القدرة، وكشف هذا المقام يخرج إلى علم غريب لا يعرف وسر عجيب لا يوصف. وفقنا الله وإياكم لما يحب، وبلغنا ما نؤمل منه بفضله ورحمته.

وهذا آخر شرح كتاب الفقر والزهد ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. نجز ذلك على يد مسوده أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني تاب الله عليه بمنه، في ضحوة نهار الأربعاء لتسع بقين من شوّال سنة ١٢٠٠ حامداً لله مصلياً مسلماً مستغفراً.

(انتهى الجزء الحادي عشر ويليه إن شاء الله الجزء الثاني عشر<br>وأوله كتاب التوحيد والتوكل)

# فهرس الجزء الحادي عشر من اتحاف السادة المتقين

الموضوع — الصفحة